

كتاب الأغاني



كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة (٣٥٦) هجرية

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي

الجزء التاسع عشر

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

بيروت – لبنان – بناية كليربارا – شارع دمشق – ص.ب: ١١/٧٩٥٧
تلفون المستودع ٢٧٤٦٩٦–٢٧٣٠٣٢–٢٧٨٧٦٦ المنزل ٨٣٠٧١١–٨٣٠٧١٧
برقياً: التراث – تلكس ٢٣٦٤٤ LE / التراث

Beyrouth Liban - Imm. Kleopatra - Rue Dakkache - B. P. 11/7957
Tél. Dépôt 274696, 273032, 278766 – Domicile 830711, 830717
Télégr. ALTOURAS – Telex 23644 LE

بسم الله الرحمن الرحيم

[١/١٩] / ذكر أبي محجن ونسبه[1]

نسبه

أبو مِحجَن عبدُ الله[2] بنُ حبيب بنِ عَمْرو بنِ عُمَيْر بنِ عَوْف بنِ عُقْدة بن عَنَزة بن عَوْف بن قَسِيّ وهو ثَقِيف، وقد مضى نسبه في عِدَّة مواضع.

وأبو مِحجَن من المُخَضْرَمين الّذِين أدرَكُوا الجاهلية والإسلام، وهو شاعر فارس شُجاع معدود في أولي البَأْسِ والنَّجْدَة، وكان من المُعاقِرين للخَمْر المَحْدُودين في شُرْبها.

نفاه عمر بجزيرة حضوضي مع ابن جهراء ففر منه

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفش، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ الحَسَن الأحوَل، عن ابنِ الأعرابيِّ، عن المُفَضَّل، قال:

لَمَّا كَثُرَ شُرْبُ أبي مِحْجَن الخَمْرَ، وأقامَ عُمَر بنُ الخَطَّاب رَضِيَ الله عنه عليه الحَدَّ مِراراً وهو لا يَنْتَهي، نَفاه إلى جزيرة في البَحْر يقال لها حَضَوْضَى[3]، وبعث معه حَرَسِيًّا[4] يُقال له ابنُ جَهْراء، فهَرب منه على ساحل البَحْر، ولحق بسَعْد بن أبي وَقّاص، وقال في ذلك يَذْكُر هَرَبه من ابنِ جَهْرَاء:

الحَمْدُ للهِ نَجّاني وخَلّصَني ... من ابن جَهْراءَ والبُوصِيُّ[5] قد حُبِسَا

من يَجشَم البَحْرَ والبُوصِيُّ مَرْكَبُه ... إلى حَضَوْضَى فبئس المَرْكَبُ الْتَمَسا

[٢/١٩] / أبلغ لَدَيْك أبا حَفْص مُغَلْغَلَةً ... عبدَ الإله إذا ما غارَ أو جَلَسا

أنّي أكُرُّ على الأُولى إذا فَزِعوا ... يوماً وأحبِس تحت الرّايةِ الفَرَسا

أغشى الهِياجَ وتَغْشاني مُضاعَفَةٌ ... من الحَديد إذا ما بعضُهم خَنَسا[6]

---

(١) هذه الترجمة جاءت بالجزء الحادي والعشرين وموضعها هنا كما جاءت في ف وغيرها من النسخ المخطوطة الموثوق بها.

(٢) في «المؤتلف والمختلف» للآمدي ط. الحلبي / ١٣٣: حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غِيرة الثقفي.

(٣) قال الحازمي: حضوضى: جزيرة في البحر، وفي «معجم ياقوت»: حضوضى: جبل في الغرب، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها.

(٤) الحرسي: واحد حرس السلطان.

(٥) البوصي: ضرب من السفن (فارسي معرب).

(٦) خنس: تأخر وتخلف.

أحب الشموس الأنصارية فشكاه زوجها لعمر

هذه روايةُ ابنِ الأعرابيّ عن المفَضّل، قال ابنُ الأعرابيّ: وحدّثني ابنُ دأب بسبب نَفْي عُمَر إيّاه، فذكر أنّ أبا مِحْجَن هَوِيَ امرأةً من الأنصار يقال لها شَمُوس، فحاول النَّظَر إليها بكلّ حِيلة، فلم يَقْدر عليها، فآجَر نفسَه من عامل يعمل في حائط[1] إلى جانب منزلها، فأشرف من كُوَّة[2] في البُسْتان، فرآها فأنشأ يَقولُ:

ولقـد نظـرتُ إلـى الشّموس ودُونهـا ... حَـرَجٌ مـن الـرّحمـن غيـرُ قليـلِ
قـد كنـتُ أحْسَبُنـي كـأغْنَـى واحـدٍ ... وَرَدَ المـدينـةَ عـن زراعـة فُـولِ

رجع إلى حديث فراره من ابن جهراء

فاستَعْدَى زوجُها عليه عُمَرَ بنَ الخَطّاب، فنفاه إلى حَضَوْضَى، وبَعَث معه رجلاً يقال له ابنُ جَهْراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يَستعين به، قال له عُمَر: لا تدَع أبا مِحْجَن يُخرج معه سَيْفاً، فعَمد أبو مِحْجَن إلى سيفه فجعل نصلَه في غِرارة وجعل جَفْنَة في غِرارة أُخرى، فيهما دَقيق له.

فلما انتهى به إلى السّاحل وقَرُب البُوصيّ اشترى أبو مِحْجن شاةً وقال لابن جهْراء: هلمّ نَتغدّ ووثب إلى الغِرارة كأنّه يُخرج منها دقيقاً فأخذ السيفَ، فلما رآه ابنُ جهراء والسيفُ في يده خرج يعدو حتى ركب بَعيرَه راجعاً إلى عُمَر، فأخبره الخبر.

قاتل العجم يوم أرماث بعد أن أطلقته امرأة سعد بن أبي وقاص

[٣/١٩] / وأقبل أبو مِحجن إلى سَعْد بن أبي وَقّاص وهو يُقاتل العَجَم يوم القادسيّة، وبلغ عُمرَ خبرُه، فكتب إلى سعد بِحَبْسه، فحَبَسه، فلما كان يوم أرْماث[3]، والتحم القِتالُ سأل أبو مِحْجَن امرأةَ سَعْد أن تُعطِيَه فرس سعد وتحُلَّ قيده ليُقاتِل المشركين، فإن استُشْهد فلا تَبِعة عليه، وإن سَلِم عاد حتى يَضع رِجلَه في القيْد، فأعطته الفرسَ، وخَلّت سبيله، وعاهدها على الوفاء، فقاتل فأبلى بَلاءً حَسناً إلى الليل، ثم عاد إلى حَبْسه.

حدّثني بهذا الحديث عمّي عن الخَرّاز، عن المدائنيّ، عن إبراهيم بنِ حَكِيم، عن عاصِم بن عُروَة:

أنّ عُمر بن الخَطّاب رضي الله عنه غَرّب رجلاً من ثَقيف وهو أبو محجن، وكان يُدمِن الخمر وأمرَ ابن جَهْراء النَّصريّ ورجلاً آخر أن يحملاه في البَحْر، وذكر الخَبر مثل الذي قبله، وزاد فيه: وقال أبو مِحْجَن أيضاً:

---

(١) الحائط: البستان.

(٢) الكوة: الخرق.

(٣) ف: يوم «قس الناطف»، وفي «معجم البلدان» ١ ـ ٢١١: أرماث كأنه جمع رمث: اسم نبت بالبادية، كان أول يوم من أيام القادسية يسمونه يوم أرماث، وذلك في أيام عمر بن الخطاب وإمارة سعد بن أبي وقاص، قال ياقوت: ولا أدري أهو موضع أم أرادوا النبت المذكور.

قال عمرو بن شأس الأسدي:

عشيـة أرمـاث ونحـن نـذودهـم ... ذيـاد العـوافـي عـن مشـاربهـا عكـلا

وفيه ٤ ـ ٩٧: قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين في سنة ١٣ هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو، ويعرف هذا اليوم بيوم الجسر.

صوت

صاحِبا سَوْءٍ صَحِبتُهما ... صاحَباني يوم أرْتحِلُ
ويقولان: ارتَحِل مَعنا ... فأُنادِي[1]: إنّني ثمِلُ
إنّني باكرتُ مُترعةً ... مزّةً راوُوقها خَضِلُ[2]

[4/19] / الغناء في البيتين الأخيرين لنَشو خفيف رمل وأوله:

* ويقُولان اصْطبِح مَعَنا *

قال الأصبهانيّ: وهذهِ القصة كانت لأبي مِحجَن في يوم من أيّام حَرْب القادسية يُقال له: يوم أرْماث، وكانت أيّامُها المَشهُورة يومَ أغْواث ويوم أرماث ويوم الكتائب وخَبرُها يَطُول جِدّاً؛ وليس في كلّها كان لأبي محجَن خبَرٌ، وإنما ذكرنا ها هنا خَبرَه، فذَكرنا منها ما كان اتّصالُه بخبر أبي مِحجَن.

حدّثنا بذلكَ محمدُ بنُ جَرير الطّبريّ، قال: كتَب إليّ السّريُّ بنُ يَحْيى؛ يذكر عن شُعيب، عن سَيف، عن محمد بن طَلحة وزيادٍ وابن مخراق، عن رجل من طيـىء قال:

لَمّا كانَ يَومُ الكتائب اقتتلَ المسلمون والفُرس مُنْذ أصبحُوا إلى أن انتصف النّهار، فلما غابت[3] الشّمس تزاحف النّاسُ فاقتتلوا حتى انتصف اللّيلُ؛ وهذه اللّيلة التي كان في صَبيحتها يوم أرْماث، وقد كان المسلمون يوم أغواث أشرفوا على الظّفر وقَتلوا عامّة أعلام الفُرْس، وجالت خَيلُهم في القَلْب، فلولا أنّ رَجْلهم[4] ثَبتُوا حتى كرّت الخيْلُ لكان رئيسُهم قد أُخِذ؛ لأنه كان ينْزل عن فَرَسه، ويَجلِس على سريره، ويأمُر النّاسَ بالقتال؛ قالوا: فلمّا انتصَف اللّيلُ تحاجز الناس، وبات المسلمون يَنتمون منذ لدن أمسَوْا.

وسمع ذلك سعد فاستَلقى لينام، وقال لبعض من عنده: إن تمّ الناسُ على الانتماء فلا تُوقِظْني فإنهم أقوياء على عَدُوّهم؛ وإن سَكتوا وسَكت العدو فلا تُنبِّهني فإنهم على السواء؛ وإن سمعتَ العدُوّ ينتمون وهؤلاء سُكوتٌ فأنْبِهني فإن انتِماء العدُوّ من السُّوء.

[5/19] / قالوا: ولما اشتدَّ القِتال في تلك الليلة، وكان أبو مِحْجَن قد حبسه سعد بكتاب عُمَر، وقيّده فهو في القصر، صعد أبو محجن إلى سعد يَسْتَعْفيه ويستقيله، فزَبَره[5] وردّه، فنزل فأتى سَلْمى بِنتَ أبي حَفْصة فقال: يا بنت آلِ أبي حَفصة، هل لكِ إليّ خَيْر؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تُخلِّين عنّي وتُعيرينَني البَلْقاء، فلِلّه عليّ إن سلّمني الله أن أرجِعَ إلى حضرتك حتى تَضعِي رِجليّ في قَيْدي. فقالت: وما أنا وذاكَ؟ فرجَع يَرسُف في قُيوده ويقول:

كَفَى حزنًا أن تَرْدِيَ[6] الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكَ مَشْدُوداً عليّ وِثاقِيَا

---

(1) في: ما، مج، س: «وأقول».
(2) الراووق: الباطية أو الكأس، والخضل: المبتلّ النديّ.
(3) ف: «فلما قامت الشمس».
(4) الرجل: جمع الراجل وهو الماشي على رجليه.
(5) زبره عن كذا: منعه ونهاه.
(6) في ما، مج، المختار: «ترتدي». وردي الفرس: رجم الأرض بحوافره في سيره وعدوه.

إذا قُمتُ عَنّاني الحديدُ وغُلِّقَت مَصاريعُ من دُوني تُصِمُّ المُناديا
وقد كُنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ فقد تركوني واحداً لا أخاليا
وقد شَفَّ جِسمي أنّني كلَّ شارِقٍ أُعالِجُ كَبْلاً مُصْمتاً قد بَرانِيا[1]
فللّه دَرّي يومَ أُترَكُ مُوثقاً وتَذْهَلُ عنّي أُسرَتي ورِجاليا
حَبيساً عن الحَرْب العَوانِ وقد بدت وإعمالُ غَيري يوم ذاكَ العَواليا
ولِلّهِ عَهْدٌ لا أخيسُ بعَهْده لئن فُرِجَت ألّا أزُورَ الحوانِيا[2]

فقالت له سَلْمى: إني قد استَخَرْتُ الله ورضيتُ بعَهْدك، فأطلَقَته وقالت: أمّا الفرس فلا أُعيرها، ورجَعَت إلى بيتها، فاقتادها أبو مِحْجَن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق، فركبها ثم دَبَّ عليها، حتى إذا كان بحِيال المَيْمَنَة، وأضاء النّهار، وتصافّ النّاس، كَبَّر، ثم حَمَل على مَيْسَرة القَوْم فلَعِب برُمحه وسِلاحه / بين الصَّفَّين، ثم رجَعَ من خلف المسلمين إلى القَلْب فبَدَر[3] أمامَ الناس، فحمل على القَوْم فلعب بين الصَّفَّين بِرُمحه وسلاحه، وكان يقصفُ الناسَ لَيلَتئذ قصفاً مُنكَراً؛ فعجب الناسُ منه وهم لا يعرِفُونه ولم يرَوْه بالأمس، فقال بعضُ القوم: هذا من أوائل أصحاب هِشام بن عُتبة أو هشامٌ بِنفسه. وقال قوم: إن كان الخِضر يَشْهد الحُروبَ فهو صاحبُ البَلْقاء. وقال آخرون: لَولا أنّ الملائكة لا تُباشر القِتال ظاهراً لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا؛ وجعل سَعد يقول ـ وهو مشرف ينظر إليه ـ: الطَّعنُ طَعنُ أبي مِحْجن، والضَّبرُ ضَبرُ البَلْقاء[4]. ولولا مَحْبس أبي مِحْجن لقُلتُ: هذا أبو محجن وهذه البَلْقاء، فلم يزل يُقاتِل حتى انتصف الليل، فتحاجَز أهلُ العسكَرين وأقبل أبو مِحْجن حتى دَخَل القصر، ووضع عن نفسه ودَابّته، وأعاد رجْلَيه في القَيد، وأنشأ يقول:

[6/19]

لقد عَلِمتْ ثقيفٌ غَيرَ فخرٍ بأنّا نحن أكرمهُم سُيوفاً
وأكثرُهم دُروعاً سابغاتٍ وأصبرُهم إذا كرِهوا الوُقوفا
وأنّا رِفْدُهم في كلِّ يومٍ فإن جحدوا فسَلْ بهمُ عَريفا[5]
وليلةَ قادسٍ لم يَشْعُروا بي ولم أُكْرِهْ بمخرجيَ الزُّحوفا
فإن أُحبَسْ فقد عَرفوا بَلائي وإن أُطلَقْ أُجرِّعْهم حُتوفا[6]

فقالت له سَلْمى: يا أبا مِحْجن؛ في أيّ شيء حَبَسك هذا الرّجل؟ فقال: أمَا والله ما حبَسني بحرامٍ أكلتُه ولا

(١) الشارق: الشمس حين تشرق، والكبل: القيد.
(٢) لا أخيس بالعهد: لا أنقضه. والحواني: الخمارات.
(٣) في تاريخ الطبري ٣ ـ ٥٤٨ ط. المعارف: «فندر أمام الناس»، أي تقدم.
(٤) الضبر: جمع القوائم والوثب.
(٥) في تاريخ الطبري ٣ ـ ٥٤٩ ط. المعارف:
وأنّا وفدهم في كل يوم فإن عميوا فسل بهم عريفا
(٦) في تاريخ الطبري ٣ ـ ٥٤٩ ط. المعارف:
فإن أحبس فذلكم بلائي وإن أترك أذيقهم الحتوفا

شَرِبتُه، ولكني كنتُ صاحبَ شراب في الجاهلية وأنا / امرؤٌ شاعِر يدبُّ الشِّعر على لِساني فينفُثُه[١] أحياناً، فحَبَسني [٧/١٩] لأني قلتُ:

إذا مِتُّ فادفِنِّي إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامِي بعد مَوْتِي عُروقُها

ولا تَدفِنَنِّي في الفَلاة فإنني ... أخافُ إذا ما مِتَ ألاّ أذُوقُها[٢]

لِيُروَى بخمر الحُصِّ[٣] لَحمِي فإنَّني ... أسِيرٌ لها من بعد ما قد أسُوقُها

سعد بن أبي وقاص يعلم خبر إطلاقه وصدق قتاله فيفرج عنه

قال: وكانت سَلْمى قد رأت في المسلمين جَوْلةً، وسَعَد بنُ أبي وَقّاص في القَصر لِعِلّة كانت به، لم يقدِر معها على حُضورِ الحَرْب، وكانت قبلَه عند المثنّى بنِ حارثة الشَّيْبانيّ! فلما قُتِل خَلَف عليها سَعْد، فلما رأت شِدَّةَ البَأس صاحت: وامُثَنَّياه ولا مُثنّى لي اليوم، فلَطَمها سَعد، فقالت: أُفٌّ لك، أَجُبْناً وغَيْرَة؟ وكانت مُغاضِبة لِسَعد عشيّةَ أرْماثٍ وليلة الهَدْأة وليلَةَ السَّواد، حتى إذا أصبحتْ أتتْه وصالحَتْه، وأخبرته خَبر أبي مِحْجن، فدَعا به وأطْلَقه وقال: اذهَب فلَسْتُ مُؤاخذَكَ بشيء تقولُه حتى تَفعَله، قال: لا جَرَمَ، واللهِ إني لا أُجَبْتُ لِساني إلى صِفَة قَبِيح أبداً.

خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الأعاجم

أخبرني أحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجوهَريُّ، وحبيبُ بنُ نَصْرٍ المُهَلبيّ، قالا: حدّثنا عُمَر بنُ شَبَّة، قال: حدّثنا محمد بنُ حاتِم، قال: حدّثنا محمد بنُ حازم، قال: حدّثنا عَمْرُو بنُ المهاجِر، عن إبراهيم بنِ محمد بن سعد، عن أبيه، وأخبَرَني عليُّ بنُ سليمان الأخفَش قال: حدّثنا محمد بنُ الحسن بن دينار مَوْلَى بني هاشم، عن ابنِ الأعرابيّ عن المفضَّل، وروايتُه أتَمّ، قالوا:

كان أبو مِحْجَن الثَّقَفِيّ فيمن خرَجَ مع سعد بن أبي وَقَّاص لحَرْب الأعاجم / فكان سعد يُؤتى به شارباً فيتهدّدُه [٨/١٩] فيقول له: لستُ تارِكَها إلا للهِ عزَّ وجلَّ؛ فأمّا لِقَولِك فلا. قالوا: فأُتِيَ به يوم القادِسِيّة وقد شَرِب الخمرَ؛ فأمر به إلى القَيْد، وكانت بِسَعْد جراحة فلم يَخْرُج يومئذ إلى النّاس؛ فاستَعمل على الخَيْل خالِدَ بنَ عُرْفُطَة، فلما التَقَى النّاسُ قال أبو مِحْجَن:

كفى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنَا ... وأُترَكَ مَشْدُوداً عليّ وِثاقِيَا

يقسم على ألا يشرب الخمر بعد أن عفا عنه سعد

وذَكَر الأبيات وسائِرَ خَبَره مثل ما ذكره محمد بنُ جرير، وزاد فيه: فجاءت زَبْراءُ امرأةُ سَعد ـ هكذا قال: والصَّحيح أنها سَلْمى ـ فأخبرت سعداً بخَبَره؛ فقال سعد: أمَا واللهِ لا أضرِب اليَوْم رَجُلاً أَبْلَى اللهُ المُسْلَمين على يده

---

(١) في تاريخ الطبري ٤ ـ ١٢٤ ط. الحسينية: «يبعثه على شفتي أحياناً فيساء لذلك ثنائي، ولذلك حبسني».

(٢) أذوقها مرفوعة باعتبار «أن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن أو ضمير متكلم محذوف وجملة أذوقها خبر، وانظر «خزانة الأدب» ٣ ـ ٥٥٠ ط. بولاق.

(٣) الحص «بالضم» في اللغة الورس، وهو موضع بنواحي حمص ينسب إليه الخمر، وأورد ياقوت في ٢ ـ ٧٤، الأبيات الثلاثة، وجاء البيت الأخير برواية:

ويروى بخمر الحص لحدي فإنني ... أسير لها من بعد ما قد أسوقها

وهذه روايته أيضاً في «تاريخ الطبري» ٣ ـ ٥٤٩ ط. المعارف.

ما أبلاهم، فخَلّى سبيلَه، فقال أبو مِحْجَن: قد كنتُ أشرَبُها إذ كان الحدُّ يُقام عليّ وأُطَهَّر منها، فأما إذ بَهْرَجْتَني[1] فلا واللهِ لا أَشْرَبُها أبداً. وقال ابنُ الأعرابيّ في خبره: وقال أبو مِحْجَن في ذلك:

إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنِعَتْ ... وحالَ مِن دونها الإسلامُ والحَرَجُ

فقد أُباكِرُها صِرْفاً وأَمزُجُها ... رِيّاً وأَطرَبُ أحياناً وأَمْتَزِجُ

وقد تَقومُ على رأسي مُنَعَّمَةٌ ... خَوْدٌ إذا رَفَعت في صَوْتها غُنُجُ[2]

تُرَفِّعُ الصَّوتَ أحياناً وتخفِضُه ... كما يَطِنُّ ذُبابُ الرَّوضَةِ الهَزِجُ

يرد على امرأة ظنت أنه فر من المعركة

أخبرني الجَوْهَرِيُّ والمُهَلَّبِيّ قالا: حدّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّة وقال:

لَمّا انصرَف أبو مِحْجَن لِيَعُودَ إلى محبسه رَأتْه امرأة فظنَّتْه مُنهزماً؛ فأنشأت تُعيِّره بفِراره:

[٩/١٩] / مَنْ فارِسٌ كَرِهِ الطِّعانَ يُعيرُني ... رُمحاً إذا نَزلوا بِمَرْجِ الصُّفَّرِ

فقال لها أبو محجن:

إن الكِرامَ على الجِيادِ مَبِيتُهم ... فَدَعِي الرِّماحَ لأهْلِها وتَعطَّرِي

يرثي أبا عبيد بن مسعود بعد أن قتله فيل الأعداء

وذكر السَّرِيّ، عن شُعَيْب، عن سيف في خَبَره، ووافَقَتْه رواية ابنِ الأعرابي عن المُفَضَّل:

أنَّ الناس لَمّا التَقَوْا مع العجم يوم قُسِّ النّاطِف، كان مع الأعْجام فِيلٌ يَكُرُّ عليهم؛ فلا تَقوم له الخَيْل؛ فقال أبو عُبَيْد بنُ مَسْعود: هل له مَقْتل؟ فقيل له: نَعَمْ؛ خُرْطُومه إلا أنّه لا يُفلِت منه مَنْ ضَرَبه؛ قال: فأنا أَهَب نَفسِي للهِ، وكمن له حتى إذا أقْبَل وَثَبَ إليه فضرَب خُرْطُومه بالسَّيْف؛ فرَمَى به، ثم شَدّ عليه الفِيلُ فقتَله، ثم اسْتَدار فطَحَن الأعاجِمَ وانْهَزَمُوا، فقال أبو مِحْجَن الثّقفيّ يَرْثي أبا عُبَيْد:

أنّى تَسَدَّت[3] نحوَنا أُمُّ يوسُفٍ ... ومِنْ دونِ مَسْراها فَيافٍ مَجاهِلُ

إلى فِتيةٍ بالطَّفِّ نِيلَتْ[4] سَراتُهم ... وغُودِر أفراسٌ لهم ورَواحِلُ

وأَضْحَى أبو جَبْرٍ خَلاءً بيُوتُه ... وقد كان يَغْشاها الضِّعافُ الأرامِلُ

وأضحى بَنُو عمرو لَدَى الجِسْر منهمُ ... إلى جانب الأبياتِ جُودٌ ونائِلُ

وما لُمْتُ نفسِي فيهمُ غَيْرَ أنّها ... لها أَجَلٌ لم يأتِها وهو عاجِلُ

وما رِمْتُ حتى خَرَّقُوا بسِلاحهم ... إهابي وجادَت بالدِّماء الأباجِلُ[5]

(١) بهرجتني: أهدرتني بإسقاط الحد عني (اللسان).

(٢) الخود: المرأة الشابة. والغنج: الدلال. وفي س، ف: «فيها إذا رفعت في صوتها غنج».

(٣) تسدت نحونا: جازت.

(٤) ف: «حلت سراتهم».

(٥) رمت: فارقت وبرحت. والإهاب: الجلد. والأباجل: جمع أبجل وهو عرق غليظ في الرجل أو في اليد بإزاء الأكحل.

/ وحتـى رأيـتُ مُهـرتـي مُـزْوَئِـرةً مِـنَ النَّبْـلِ[١] يَـدْمَـى نَحـرُهـا والشّـواكِـلُ [١٠/١٩]
ومـا رُحْـتُ حتـى كنـتُ آخـرَ رائـحٍ[٢] وصُـرِّع حـولـي الصّـالِحُـون الأمـاثِـلُ
مَـررْتُ علـى الأنصـارِ وَسْـطَ رِحـالِهِـم فقلـتُ: ألا هَـلْ منكـم اليـوم قـافِـلُ؟
وقـرَّبْـتُ رَوَّاحـاً وكُـوراً ونُمْـرقـاً وغُـودِر فـي أُلَّيـس[٣] بِكْـرٌ ووائِـلُ
ألاَ لَعَـنَ اللهُ الـذيـن يَسُـرُّهـم رَدَايَ ومـا يَـدْرون مـا الله فـاعِـلُ

يقسم في شعر له بأنه لا يشرب الخمر أبداً

قال الأخفش في روايته، عن الأحْول، عن ابن الأعرابيّ، عن المفضّل: قال أبو محْجَن في تَرْكه الخَمر:

رأيـتُ الخَمـرَ صـالحـةً وفيهـا مناقـبُ تُهلِـك الـرّجـل الحَليمـا
فـلا واللهِ أشـربُهـا حَيـاتـي ولا أُسقـي بهـا أبـداً نَـديمـا

معاوية وابن أبي محجن

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا محمدُ بن سَعْد الكُرانيُّ قال: حدّثنا العُمريُّ، عن لَقِيط، عن الهَيْثم بن عَدِيّ. وأخبرَني محمد بن الحَسن بن دُرَيْد قال: حدثنا عبدُ الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عَمّه، وأخبرني إبراهيمُ بن أيوب عن ابن قُتيبَة قالوا:

دخَل ابنُ أبي محْجَن على معاوية، فقال له: ألَيسَ أبوك الذي يقول:

إذا مِـتُّ فـادفنّـي إلـى أصـلِ كَـرْمَـةٍ[٤] تُـرَوِّي عِظـامـي بعـد مَـوتـي عُـروقُهـا
ولا تَـدْفِنَنّـي بـالفـلاة فـإنّنـي أخـافُ إذا مـا مـتّ ألاّ أذوقُهـا

/ فقال ابنُ أبي مِحْجَن: لو شئتَ لذكرتُ ما هو أحْسَن من هذا من شعره؛ قال: وما ذاك؟ قال: قوله: [١١/١٩]

لا تَسـأَلِـي النـاسَ عـن مـالـي وكَثْـرَتـه وسـائلـي النـاسَ مـا فِعْلـي ومـا خُلُقـي[٥]
أُعطِـي السِّنـانَ غـداةَ الـرَّوْعِ حِصَّتـه وعـامِـلَ الـرُّمـح أرويـه مـن العَلَـق[٦]
وأطعـن الطعنـةَ النَّجـلاءَ عـن عُـرُضٍ وأحفـظُ السـرَّ فيـه ضَـرْبـةُ العُنُـقِ
عَـفُّ المَطـالـب عمّـا لسـتُ نـائلَـه ـ وإن ظُلِـمـتُ ـ شـديـدُ الحِقْـد والحَنَـق

---

(١) كذا في «معجم البلدان». ومزوئرة: معرضة ومنحرفة. والشواكل جمع شاكلة وهي الخاصرة. وفي س: «لدى الفيل» بدل «من النبل» وفي ف: «أرى الفيل».

(٢) ف: «أول رائح».

(٣) أليس: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية. وفي ف، ما، مج: «وغودر في الأبيات».

(٤) في «الشعر والشعراء»، و «خزانة الأدب»: «إلى جنب كرمة».

(٥) في «الشعر والشعراء»:

لا تسـألِ النـاس: مـا مـالـي وكثـرتـه وسـائـل القـوم: مـا حـزمـي ومـا خلقـي

(٦) عامل الرمح: ما يلي السنان، والعلق: الدم.

وقد أجودُ وما لي بذي فَنَعٍ ... وقد أكرُّ وراءَ المُحجَرِ البَرِقِ[1]

والقومُ أعلمُ أني من سَراتِهمُ ... إذا سَما بَصَرُ الرِّعديدةِ الشَّفِقِ[2]

قد يُعسِرُ المرءُ حيناً وهو ذُو كَرَمٍ ... وقد يَثُوبُ[3] سَوامُ العاجزِ الحَمِقِ

سيَكثُرُ المالُ يوماً بعد قِلَّتِه ... ويكتسي العُودُ بعد اليُبسِ بالوَرَقِ

فقال معاوية: لَئن كنا أسأنا لك القول لنُحسننّ لكَ الصَّفَد[4]، ثم أجزل جائزته وقال: إذا ولدت النِّساء فلْتلِد مِثلك!.

عمر بن الخطاب يحده وجماعة من أصحابه في شربهم الخمر

أخبرني الحَسن بنُ عليّ وعيسَى بن الحُسين الورّاق، قالا: حدثنا ابن مَهْرويه، قال: حدثني صالح بن عبد الرّحمن الهاشميّ، عن العُمريّ، عن العتبيّ، قال: أُتِيَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة فيهم أبو مِحْجن الثقفيّ وقد شربوا الخَمْر، فقال: أشربتم الخَمْر بعد أن حرّمَها الله ورسوله، فقالوا: ما حرّمها الله ولا رسوله؛ إن الله تعالى يقول: / [١٢/١٩] ﴿ليسَ عَلَى الذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصّالحات جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتَّقَوْا وآمَنوا وعَمِلوا الصالحات﴾[5]؛ فقال عمر لأصحابه: ما تَرونَ فيهم؟ فاختلفوا فيهم فبَعث إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشاوَره؛ فقال عليّ: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يَستحِلّوا المَيْتة والدّم ولحم الخِنزير؛ فسكتوا، فقال عمر لعليّ: ما ترى فيهم؟ قال: أرَى إن كانوا شرِبُوها مُستحلّين لها أن يُقتلوا، وإن كانوا شربُوها وهم يُؤمنون أنها حَرامٌ أن يُحَدُّوا، فسألهم؛ فقالوا: والله ما شككنا في أنها حرام، ولكنا قدّرنا أن لنا نجاةً فيما قُلناه، فجعل يحدُّهم رَجلاً رجلاً، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي مِحْجن، فلما جلده أنشأ يقول:

ألم تَرَ أنّ الدهرَ يعثُر بالفتى ... ولا يستطيعُ المَرءُ صرْفَ المَقادرِ

صَبرتُ[6] فلم أجزَعْ ولم أكُ كائعاً ... لحادثِ دَهْرٍ في الحُكومةِ جائرِ

وإني لَذُو صَبرٍ وقد ماتَ إخوتي ... ولستُ عن الصهباءِ يَوماً بصابرِ

رَماها أميرُ المُؤمنين بحتْفِها ... فخُلّانُها يبكون حولَ المَعاصرِ

فلما سمع عمر قوله:

* ولستُ عن الصَّهْباء يوماً بصابر *

قال: قد أبدَيتَ ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبةً لإصرارِك على شُرْب الخَمر؛ فقال له عليّ عليه السلام: ما ذلك لك، وما يجوزُ أن تُعاقب رجلاً قال: لأفعلنّ وهو لم يفعل، وقد قال الله في سورة الشعراء: ﴿وأنّهُمْ يقولون

---

(١) في ما، ف: «وقد أكر وراء المحجر الفرق». والفنع: الكثرة، والمحجر: المغطى المستور. والبرق: الدهش المتحير حتى لا يطرف.

(٢) في الشعر والشعراء ـ ٣٨٨ ط. الحلبي، والخزانة ٣ ـ ٥٥٥: «إذا تطيش يد الرعديدة الفرق». والرعديدة: الجبان يرعد عند القتال.

(٣) يثوب: يجتمع. وفي شرح شواهد المغني ـ ٣٨: «وقد يثوب الغنى للحاجز الحمق».

(٤) الصفد: العطاء.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٦) في ف، ما: «ضربت» بدل «صبرت». والكائع: الجبان الهياب.

ما لا يفعلون﴾[١]، فقال عمر: قد استثنى اللهُ منهم قوماً فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ﴾[٢]. فقال عليٌّ عليه السلام: أفهؤلاء عندكَ منهم وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يشرَب العبدُ الخَمرَ حين يشربُها وهو مُؤمنٌ».

/ قبره في أذربيجان نبتت عليه كرمة [١٣/١٩]

أخبرنا محمد بنُ خَلف بن المَرْزبان، قال: حدَّثنا أحمدُ بن الهَيْثَم بن فِراس، قال: حدّثنا العُمرِيّ، عن الهَيثَم بن عَدِيّ، قال:

أخبرني مَنْ مرّ بقبر أبي مِحْجَن الثقفيّ في نَواحي أذْرَبيجان ـ أو قال في نواحي جُرْجان ـ فرأيتُ قبرَه وقد نَبَتت عليه ثلاثة أُصول كَرْم قد طالت وأثمرت وهي مَعْرُوشة، وعلى قبره مكتوب: هذا قبر أبي مِحْجن الثقفيّ، فوقَفتُ طويلاً أتعَجّب مما اتَّفق له حتى صار كأمنِيّة بَلَغها حيث يقول:

إذا مِتُّ فادفِنّي إلى أصلِ كَرْمةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوْتي عُروقُها

/ صـوت [١٤/١٩]

ألا يا لَقومي لا أرى النَّجمَ طالعاً ... ولا الشّمسَ إلاّ حاجِبي بيَمِيني
مُعزَّبَتي خَلفَ القفا بعمُودِها ... فجُلُّ نكيري أن أقولَ ذَرِيني
أمينٌ على أسرارِهنّ وقد أُرَى ... أكونُ على الأسرار غيرَ أمينِ
فلَلموتُ خيرٌ من حِداجٍ مُوَطَّأٍ ... مع الظُّعنِ لا يأتي المحلَّ لحينِ

عَرُوضه من الطَّويل؛ والمُعزَّبة: امرأةٌ تكون مع الشّيخ الخَرِف تكلَؤه. وقوله:

* أمينٌ على أسرارِهنّ... *

أي أنّ النّساء صِرْن يتحدَّثن بين يَدَيّ بأسرارِهنّ، ويَفعلن ما كُنَّ قبل ذلك يَرْهبنَني فيه؛ لأني لا أضُرُّهن. والحِداج والحِدْج: مركب من مَراكب النّساء.

الشِّعر لزُهَير بنِ جَناب الكلبيّ، والغناء لأهل مكة، ولحنه من خَفيفِ الثّقيل الأول بالوُسْطى عن الهِشاميّ وحَبَش، وفيه لِحُنين ثاني ثقيل بالوُسْطى.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

[١٩/١٥]

/ أخبار زهير بن جناب ونسبه(١)

نسبه

زُهَير بن جُنَاب بنِ هُبَل بنِ عبد الله بنِ كِنانة بنِ بكر بنِ عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد اللاّت بن رُفَيْدَة بنِ ثَوْر بنِ كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلب(٢) بن حُلْوان بنِ عِمْران بن الحَاف بن قُضَاعة.

شاعِرٌ جاهليٌّ، وهو أحد المُعَمَّرين، وكان سَيِّدَ بني كَلْب وقائدَهم في حروبهم؛ وكان شُجاعاً مُظفَّراً مَيْمُونَ النَّقِيبة في غَزواته، وهو أحَدُ مَنْ مَلّ عُمرَه فشَرب الخمر صِرْفاً حتى قتلَتْه.

ولم يُوجد شاعرٌ في الجَاهِليّة والإسلام وَلَد من الشّعراء أكثر ممَّنْ وَلَدَ زُهَيْرٌ، وسأذكر أسماءهم وشيئاً من شِعرهم بعقِب ذِكْر خَبرِه إن شاء اللهُ تعالى.

سبب غزوه غطفان

قال ابنُ الأعْرَابِيّ: كان سَبَبُ غَزْوة زُهَيرِ بنِ جَناب غَطَفَان أنّ بَنِي بَغيض حين خرجوا من تِهامةَ ساروا بأجْمَعهم، فتَعرّضت لهم صُدَاء وهي قبيلة من مَذْحِج؛ فقاتلوهم وبَنُو بَغيض سائِرون بأهْلِيهم ونِسائِهم وأموالهم، فقاتلوا عن حَرِيمهم فظَهرُوا على صُداء فأوْجَعُوا فيهم ونكَأُوا(٣)؛ وعزّت بَنُو بَغيض بذلك وأثْرت وأصابت غَنائمَ؛ فلمّا رَأوْا ذلك قالوا: أما وَالله لنتّخِذَنّ حَرماً مِثلَ حرَم مكةَ لا يُقتَل صَيدُه، ولا يُعضَد شَجرُه، ولا يُهاج عائذُه(٤)، فوَلِيتْ ذلك بَنُو مُرّة بن عوف.

[١٩/١٦] ثمّ كان القائمَ على أمر الحَرم وبناءِ حائطه رِياحُ بنُ ظالم، ففَعلوا ذلك وهم / على ماء لهم يُقال له بُسّ(٥). وبَلَغ فِعلُهم وما أجمعوا عليه زُهيرَ بنَ جَناب وهو يومَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي كَلْب؛ فقال: والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيّ، ولا أُخلّي غَطَفانَ تَتّخِذ حَرَماً أبداً.

قتل فارسهم الأسير وردّ نساءهم وقال شعراً في ذلك.

فنادى في قَوْمِه فاجتمعوا إليه فقام فيهم، فذكر حالَ غَطَفَان وما بلغه عنها؛ وأنّ أكرمَ مأثُرة يعتقدُها هو وقَوْمه أن يمنعوهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه، فأجابوه، واستمدّ بني القَيْن من جُشَم(٦) فأبَوْا أن يَغزُوا معه، فسار في

(١) جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين، وموضعها هنا وفقاً لما جاء في ف وغيرها من المخطوطات الموثوقة.

(٢) ف: «وبرة بن ثعلبة».

(٣) ما: «ونكوا». ونكأ العدوّ: جرحه وقتله.

(٤) لا يهاج عائذه: لا يفزع من يلجأ إليه ويعتصم به.

(٥) في «معجم ياقوت» ١ ـ ٦٢٢، بسّ: «ماء لغطفان».

(٦) استمد بني القين من جشم: طلب منهم المدد.

قَوْمه حتى غزَا غَطفَان؛ فقَاتلهم فظَفِر بهم زُهَيْر وأصاب حاجتَه فيهم، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حَرَمهم الذي بَنَوْه، فقال لبعض أصحابه: اضرب رقبَته، فقال: إنّه بَسْلٌ[1]، فقال زهير: وأبيك ما بَسْلٌ عليّ بحَرام.

ثم قام إليه فضَرب عُنقَه وعَطَّلَ ذلك الحَرَم؛ ثم مَنَّ على غطفَان وَرَدّ النّساء واستاق الأموالَ؛ وقال زُهَيرٌ في ذلك:

ولـم تَصْبِـر لَنـا غطفَـانُ لَمّـا ... تـلاقَيْنـا وأُحـرِزَت النّسـاءُ

فلَـوْلا الفَضْـلُ منّـا مـا رجَعتـم ... إلـى عـذراءَ شِيمَتُهـا الحَيـاءُ

وكـم غـادَرتُـمُ بَطَـلاً كمِيًّـا[2] ... لـدى الهَيْجـاء كـان لـه غَنـاءُ

فـدُونكـم دُيـونـاً فـاطْلبُـوهـا ... وأوْتـاراً ودُونكـم اللّقـاءُ

فـإنّـا حَيْـثُ لا نَخْفـى عليكـم ... لُيـوثٌ حيـن يحتَضِـرُ اللِّـوَاء[3]

فَخَلّـى بعـدَهَـا غطفَـانُ بُسّـا ... ومـا غَطفَـانُ والأرض الفَضَـاء!

/ فقـد أضحـى لِحَـيّ بنـي جَنـابٍ ... فضـاءُ الأرضِ والمـاءُ الـرَّواءُ[4]

ويصـدُق طَعنُنـا فـي كـلّ يـوم ... وعِنـد الطّعـن يُختَبَـر اللّقـاءُ

نَفَيْنـا نخـوَةَ الأعـداء عنّـا ... بـأرْمَـاح أسِنّتهـا ظِمـاءُ

ولـولا صبـرُنـا يـوم التَقَيْنـا ... لَقِيْنـا مثـلَ مـا لقِيـتْ صُـدَاءُ

غَـداةَ تَعـرّضـوا لِبَنـي بغِيـضٍ ... وصِـدْقُ الطّعْـن للنَّـوْكَـى[5] شفـاءُ

وقـد هَـربَـتْ حِـذارَ المـوتِ قَيْـنٌ ... علـى آثـارِ مَـنْ ذَهَـب العَفـاءُ

وقـد كُنّـا رَجَـوْنـا أن يُمِـدّوا ... فـأخلَفنـا مـن أُخـوتِنـا الـرَّجـاءُ

وألهـى القَيـنَ عـن نَصـر المـوالـي ... حِـلابُ النِّيـبِ والمـرعـى الضَّـرَاءُ[6]

[١٧/١٩]

طعنه ابن زيّابة وظن أنه مات فحمل إلى قومه وعوفي

وقال أبو عَمرو الشَّيباني: كان أبرهة حين طلَع نجْداً أتاه زُهيرُ بنُ جناب، فأكرمه أبرهة وفَضّله على مَنْ أتاه من العرب، ثم أمَّره على ابني وائل: تغْلب وبكر، فَوليَهم حتى[7] أصابتهم سَنةٌ شَدِيدة، فاشتدّ عليهم ما يَطلبُ منهم زُهير، فأقام بهم زُهَير في الجَدْب، ومنعهم من النُّجْعة حتى يُؤدُّوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلما رأى ذلك ابنُ زَيّابة ـ أحدُ بني تَيْم الله بنِ ثعْلبة، وكان رجلاً فاتِكاً ـ بيّت زُهيراً[8] وكان نائماً في قُبّة له من أدَم، فدَخل فألْفَى زُهَيْراً نائماً، وكان رجلاً عَظيمَ البَطْن، فاعتَمَد التَّيمِيُّ بالسَّيف على بَطْن زُهَيْر حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين

(١) بسل: حرام.

(٢) في ف: «وكم غادرت من بطل كمي».

(٣) يحتضر: يحضر. وفي «مختار الأغاني»: «حين يهتصر اللواء» أي حين يسقط.

(٤) الماء الرواء: العذب أو الكثير.

(٥) النوكى جمع أنوك، وهو الأحمق أو العاجز الجاهل.

(٦) في مج: «وألهي القين عن محض الموالي». وفي ف: «جلاب النبت» بدل «حلاب النيب». والضراء: الشجر الملتف.

(٧) في ف: «حين أصابتهم».

(٨) بيت فلانا: أوقع به ليلاً دون أن يعلم.

[١٩/١٨] الصِّفاق، وسَلِمت أعفاجُ بطنه[١]، وظَنَّ التَّيميُّ أنَّه / قد قتله، وعلم زُهَير أنه قد سَلِم، فتخوَّف أن يتحرّك فيُجهز عليه، فسَكَت. وانصرَفَ ابنُ زَيَّابة إلى قومه، فقال لهم: قد ـ والله ـ قَتلتُ زُهَيراً وكَفَيْتُكموه، فسَرَّهم ذلك. ولمَّا عَلِم زُهير أنه لم يُقْدِم عليه إلا عن ملأٍ من قَوْمه بكر وتَغلِب ـ وإنما مع زُهير نَفَر من قومه بمنزلة الشُّرَط ـ أَمَرَ زُهير قومَه فغيَّبوه بين عمودين في ثيابٍ ثم أَتَوُا القومَ فقالوا لهم: إنكم قد فَعَلْتم بصاحبِنا ما فعلتُم، فأْذَنُوا لنا في دَفنه، ففَعلوا.

شعر ابن زيابة في نبوّ سيفه عنه

فحملوا زُهَيراً ملْفُوفا في عَمودين والثِّياب عليه، حتى إذا بَعُدُوا عن القوم أخرَجُوه فلفَّفُوه في ثيابه، ثم حفروا حَفِيرَةً وعَمَّقوا، ودَفَنوا فيها العَمُودَين، ثم ساروا ومَعَهم زُهَير، فلمّابلغ زُهَير أرضَ قَومه جمع لِبكْر وتَغْلب الجُمُوع، وبلغَهم أنَّ زُهَيراً حيٌّ، فقال ابنُ زَيَّابة:

طَعْنَـةً مـا طَعَنْـتُ فـي غَبَـش[٢] اللَّيـ ... ـلِ زُهَيـراً وقـد تَـوافَـى الخُصـومُ
حيـنَ تَجْبِـي لـه المـواسِـمَ بَكـرٌ ... أَيـنَ بَكْـر، وأيْـنَ منهـا الحُلـومُ!
خـانَنِـي السيـفُ إذ طَعَنْـتُ زُهَيْـراً ... وهـو سيـفٌ مُضلَّـلٌ مَشـؤُومُ[٣]

غزا بكراً وتغلب وشعره في ذلك

قال: وجمع زُهَير بَنِي كلْب ومَن تجمَّع له من شُذَّاذِ العَرَب والقَبائل[٤]، ومَنْ أطاعه من أهْل اليمن، فغزَا بكراً وتَغْلِب ابنَيْ وائِل، وهم على ماء يُقالُ له الحُبَيّ[٥]، وقد كانوا نَذِرُوا[٦] به، فقاتَلهم قِتالاً شَدِيداً، ثم انْهَزَمت بَكر [١٩/١٩] وأسْلَمتْ بني تَغْلب، فقاتلت شَيئاً من قتال ثم انْهزَمت، وأُسِر كُلَيْب ومُهَلْهِل / ابنَا رَبِيعَة، واستِيقَت الأموالُ، وقَتَلت كلْبٌ في تَغلب قَتْلَى كثيرة، وأسروا جَماعة من فُرْسانِهم ووُجوهِهم، وقال زُهَير بنُ جناب في ذلك:

تَبّـاً لِتَغْلِـبَ أنْ تُسـاقَ نِسـاؤُهـم ... سَـوْقَ الإمـاء إلـى المـواسِـمِ عُطَّـلا[٧]
لحقـتْ أوائِـلُ خَيلِنـا سَـرَعـانَهـم[٨] ... حتـى أَسَـرْنَ علـى الحُبَـيِّ مُهَلْهِـلا
إنّـا ـ مُهَلْهِـلُ ـ مـا تَطِيـشُ رِمـاحُنـا ... أيـام تَنْقُـفُ[٩] فـي يـدَيْـك الحَنْظَـلاَ
وَلَّـت حُمَـاتُـك هـاربيـن مـن الـوَغَـى ... وبَقِيـتَ فـي حَلَـق الحـديـد مُكَبَّـلاَ
فلئـن قُهِـرْتَ لقـد أسـرتُـك عَنْـوةً ... ولئـن قُتِلْـتَ لقـد تكُـون مُـؤَمَّلا[١٠]

---

(١) الصفاق: الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر. والأعفاج: جمع عفج، وهي معي الإنسان.
(٢) في المختار: «في غلس الصبح». وفي الشعر والشعراء ـ ٣٣٩ ط. الحلبي: «غبس الليل»، وكلها بمعنى الظلمة.
(٣) في «الشعر والشعراء» ـ ٣٣٩: «خانني الرمح... وهو رمح...».
(٤) ف، المختار: «من شذاذ القبائل».
(٥) في ما: «المجبيّ». وفي المختار: «الحنيّ» وكلاهما «تصحيف»، وحُبَيّ: موضع بتهامة.
(٦) نذِروا به: علموا به فحذروه واستعدوا له.
(٧) ف، ما: «إذ تساق». وعطل: بدون حلي.
(٨) سرعان الخيل: أوائلها.
(٩) ف، المختار: «ينبت في يديك». وتنقف الحنظلَ: تشقه.
(١٠) س، ف: «مرملا»، والمرمل: المطلخ بالدم.

وقال أيضاً يُعيِّر بَني تَغْلِب بهذه الواقعة في قَصِيدة أوّلها:

حَـــيِّ داراً تَغَيَّـــرت بـــالجَنـــابِ ... أقفَـــرَتْ مِـــن كـــواعـــبٍ أتـــرابِ

يقولُ فيها:

أيْـــنَ أيْـــنَ الفِـــرارُ مِـــن حـــذَرِ المَـــوْ ... ت وإذ يَتَّقُـــون بـــالأســـلابِ!

إذْ أسـرنَـــا مُهَلْهِـــلاً وأخَـــاهُ ... وابـــنَ عَمْـــرٍو فـــي القِـــدِّ وابـــنَ شَهـــابِ

وسَبيْنَـــا مِـــن تَغْلـــبٍ كُـــلَّ بَيْضـــا ... ءَ رَقُـــودِ الضُّحَـــى بَـــرُودِ الـــرُّضـــابِ

يَـــوْمَ يـــدعُـــو مُهلهـــلٌ بـــالبَكْـــر ... هـــا أهَـــذِي حفِيظَـــةُ الأحـــسابِ[1]!

وَيْحَكـــم وَيْحَكـــم أُبِيـــح حِمـــاكُـــم ... يـــا بنـــي تغلـــبٍ أمَـــا مِـــن ضِـــرابِ!

وهُـــمُ هـــارِبُـــون فـــي كـــلِّ فَـــجٍّ ... كشَـــرِيـــدِ النَّعـــام فـــوقَ الـــرَّوَابِـــي

/ واســـتـــدارَت رَحَـــى المَنَـــايَـــا عليهـــم ... بِلُيُـــوثٍ مِـــن عـــامـــرٍ وجنَـــابِ [١٩/٢٠]

طَحَنتهـــم أرحـــاؤُهـــا[2] بطَحـــونٍ ... ذاتِ ظُفْـــرٍ حـــدِيـــدَةِ الأنيَـــابِ

فهُـــمُ بَيْـــن هـــاربٍ ليـــس يـــألُـــو ... وقَتِيـــلٍ مُعفَّـــرٍ فـــي التُّـــرابِ

فضَـــلَ العِـــزُّ عِـــزُّنـــا حيـــن نَسْمُـــو ... مِثْـــلَ فَضْـــلِ السَّمـــاءِ فَـــوْقَ السَّحـــابِ

وفد مع أخيه حارثة على أحد ملوك غسان

أخبرني محمد بنُ الحَسَن بن دُرَيد، قال: حدَّثنا عمِّي، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، قال:

وَفَد زُهَير بن جَناب وأخُوه حارِثة على بَعْض ملوك غسَّان، فلما دَخَلا عليه[3] حدّثاه وأنْشَداه، فأعجب بهما، ونادَمَهما، فقال يَوْماً لهما: إن أُمِّي عليلةٌ شَدِيدَةُ العِلَّة، وقد أعياني دَوَاؤُها، فهل تَعْرِفان لها دَوَاء؟ فقال حارِثةُ: كُمَيْرة حارَّة ـ وكانت فيه لُوثَة ـ فقال الملك: أيّ شيء قُلْت؟ فقال له زُهَير: كُمَيْئَة حارّة تُطعِمُها، فوثَب الملك ـ وقد فهم الأولى والآخِرَة ـ يُريهما أنه يأمُر بإصلاح الكمأة لها، وحلُم عن مَقَالة حارثة. وقال حارثة لزُهير: يا زُهير اقْلِبْ ما شِئت ينقَلِب، فأرسلها مَثَلاً.

ذهب عقله آخر عمره فكان يخرج فيرده أحد ولده

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حَدّثني أحمدُ بن الغَيْث الباهليّ عن أبيه، قال:

كان من حديث زُهيرِ بنِ جَناب الكلبيّ أنه كان قد بلغ عُمراً طويلاً حتى ذهب عقلُه، وكان يَخرُج تائهاً لا يَدْري أين يَذْهب، فتلحَقُه المرأة من أهله والصَّبِيّ، فتردّه وتقول له: إني أخاف عليك الذّئب أن يأكلك، فأين تَذْهب؟ فذَهب يوماً من أيّامه، ولَحِقته ابنةٌ له فردَّته، فرجع معها وهو يَهْدِج كأنه رَأْلٌ[4]، وراحَت عليهم سماءٌ في الصيف / فعلتهم منها بَغْشَةٌ[5] ثم أردَفَها غَيْث، فنَظر وسمع له الشَّيخُ زَجَلاً مُنكراً. فقال: ما هذا يا بُنَيّة؟ فقالت: عارضٌ [١٩/٢١]

---

(١) في «المختار»: «ويحكم في حفيظة الأحساب». وفي ف: «أين حامي حفيظة الأحساب».

(٢) في «المختار»: «رحاؤها»، والطحون: الحرب.

(٣) ف: «دخلا إليه».

(٤) الرأل: ولد النعام.

(٥) البَغْشة: المطرة الضعيفة.

هائِلٌ إن أصابَنا دُونَ أهلِنا هَلكنا، فقال: انْعَتِيه لي، فقالت: أراه مُنبَطحاً مُسْلَنْطِحاً[١]، قد ضاق ذَرْعاً وركب رَدْعاً[٢]، ذا هَيْدَب[٣] يطير، وهَماهِم[٤] وزَفير، يَنْهض نَهْضَ الطير الكسير، عليه مِثْل شَبَارِيق[٥] السَّاج، في ظُلْمَةِ اللَّيْل الدَّاج، يتضاحك مِثْل شُعَل النيران، تَهرب منهُ الطير، وتُوَائِل[٦] منه الحَشَرةُ. قال: أي بُنيَة، وائِلي منه إلى عِصْرٍ[٧] قبل أن لا عَيْن ولا أثر.

كان يدعى الكاهن لصحة رأيه

أخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريّ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ عبيد، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، عن مَشْيخة من الكلبيّين قالوا:

عاش زُهَيْر بنُ جَناب بنِ هُبَل بن عَبدِ الله خَمْسين ومِائتَي سنة أوقع فيها مَائتي وَقْعة في العرب، ولم تَجْتَمع قُضَاعةُ إلا عليه وعلى حُنِّ بن زَيْد العُذْريّ، ولم يكُن في اليَمَن أشْجَع ولا أخْطَب ولا أوجَه عند المُلُوك من زُهَيْر. وكان يُدْعَى الكاهن، لِصِحَّة رَأْيه.

عمّر حتى ملّ عمره، وشعره في ذلك

[٢٢/١٩] قال هِشام: ذَكَر حَمَّاد الرَّاوية أنَّ زُهَيْراً عاش أرْبَعمائة وخَمْسين سنة، قال: / وقال الشَّرقيُّ بنُ القُطَاميّ: عَاشَ زُهَيْر أربعَمائة سنة، فرأته ابنةٌ له فقالت لابْن ابنها: خُذْ بِيَد جَدّك، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: فُلَانُ بن فُلانِ بنِ فُلانة، فأنشأ يقول:

أبَنِـــيَّ إنْ أهْلِــكْ فقــد ... أوْرثْتُكُـــمْ مَجْـــداً بَنِيَّـــهْ
وتَـــرَكْتُكُـــم أبنـــاءَ ســـا ... داتٍ زِنَـــادُكُـــم ورِيَّـــهْ[٨]
ولَكُـــلُّ مـــا نـــالَ الفَتَـــى ... قـــد نِلْتُـــه إلا التَّحِيَّـــهْ[٩]
والمـــوتُ خَيْـــرٌ لِلفَتَـــى ... فَلْيَهْلِكَـــنْ وبـــه بَقِيَّـــهْ
مِـــن أنْ يُـــرَى الشَّيْـــخَ البَجـــا ... لَ وَقَـــدْ تَهـــادَى بـــالعَشِيَّـهْ[١٠]
ولقـــد شَهِـــدتُ النَّـــارَ لـــلأسْـ ... ـــلاف تُـــوقَـــد فـــي طَمِيَّـهْ[١١]

---

(١) ف: «أراه مسطحاً مسلنطحاً متبطحاً». والمسلنطح: الواقع على وجهه.
(٢) ركب ردعاً: سقط وكأنه وقع على عنقه.
(٣) الهيدب: السحاب الداني.
(٤) الهماهم: جمع همهمة، وهي ترديد الزفير.
(٥) الشباريق: القطع.
(٦) توائل منه: تطلب النجاة.
(٧) عِصْر ـ بكسر أوله وسكون ثانيه ـ ورواه بعضهم بالتحريك، والأول أشهر وأكثر: هو كل ما يتحصن به.
(٨) في أمالي المرتضى ١: ٢٤٠: «وتركتكم أرباب سادات». زنادكم ورية: كني بذلك عن بلوغ مآربهم.
(٩) التحية: الملك أو البقاء.
(١٠) البجال: الذي يبجله قومه. وفي الشعر والشعراء: «من أن يُرى الشيخ الكبير».
(١١) في معجم ياقوت: طمية: جبل في طريق مكة، وروى البيت فيه:

* ولقد شهدت النار بالأنفار توقد في طميَّهْ *

ولقــــد رَحَلْــــتُ البــــازِلَ الـ ـكَــوْمــاء ليــس لهــا وَلِيَّــةْ[١]
وخَطَبْــتُ خُطْبَــةَ مــاجِــدٍ[٢] غَيْــرِ الضَّعِيــفِ ولا العَيِيَّــةْ
ولقــــد غَــدوتُ بمُشْــرِفِ الـ ـقُطْـريـن لـم يَغمِـزْ شَظِيَّـةْ[٣]
فــأصبــتُ مــن بَقَــرِ الجَنــا بِ ضُحَـى ومــن حُمُـرِ القَفِيَّـةْ[٤]

/ قال ابنُ الكَلْبيّ: وقال زُهَيْر في كِبَره أيضاً: [١٩/٢٣]

ألا يــا لَقَــوْمِـي لا أرى النَّجـمَ طـالِعـاً ولا الشَّمــسَ إلا حــاجِبـي بِيَمينـي
مُعَــزِّبَتِــي عنــد القَفــا بعَمُــودِهــا فـأقْصَـى نكيـري أن أقـول ذَرِينـي[٥]
أمِيــنٌ علــى أسـرَارِهــنَّ وقــد أرى[٦] أكُــونُ علــى الأسـرارِ غَيـرَ أمِيـنِ
فلَلْمــوتُ خَيــرٌ مــن حِــداجٍ مُــوَطَّــإٍ علــى الظُّعْــن لا يــأتـي المحـلَّ لِحِيـنِ

قال: وقال زُهَيْر أيضاً في كِبره:

إن تُنْسِنــي الأيــامُ إلا جــلالــة أَمُــتْ حيـن لا تـأسَـى علـيَّ العـوائِـدُ
فيَـأذَى بِـيَ الأدنـى ويَشْمَـت بـي العِـدَا ويــأمَــن كَيْـدي الكـاشِحُـون الأبـاعـدُ

قال: وقال زُهَير أيضاً:

لقــد عُمِّــرتُ حتــى لا أُبــالِــي أحَتْفِـي فـي صبَـاحِـي أم مَسـائـي
وحُــقَّ لمــن أتَــتْ مِــاتَــان عــامــاً عليــه أنْ يمَــلَّ مــن الثَّــوَاءِ
شَهِــدتُ المُــوقِــديــن علــى خَــزَازَى وبـالسُّـلاَّنِ جَمْعـاً ذا زُهـاءِ[٧]
ونــادمــتُ المُلــوكَ مِــنَ آلِ عَمْــرٍو وبعــدَهُــم بنــي مــاءِ السمــاءِ

خالفه ابن أخيه عبد الله بن عليم فشرب الخمر

قال ابنُ الكَلْبيّ: وكان زُهَيْر إذا قال: ألاَ إن الحَيّ ظاعن، ظَعَنت قُضاعة؛ وإذا قال: ألاَ إن الحيَّ مُقِيم، نَزَلوا وأقاموا. فلَمَّا أن أَسَنَّ نصبَ ابنَ أخِيه عبد الله بنَ عُلَيم للرِّياسة في كَلْب، وطَمع أن يكون كعَمِّه وتَجْتَمع قُضاعةُ كلّها عليه، فقال / زُهَيْر يوماً: ألاَ إنَّ الحيَّ ظاعن، فقال عَبْدُ الله: ألاَ إنَّ الحيَّ مُقِيم، فقال زُهَير: ألا إنَّ الحيَّ مُقِيم، [١٩/٢٤] فقال عبد الله: ألاَ إنَّ الحيَّ ظاعن، فقال زُهير: مَنْ هذا المُخالف عَلَيَّ منذ اليَوْم؟ فقالوا: ابنُ أخيك عبدُ الله بنُ عُلَيم، فقال: أعدى الناسِ للمرءِ ابنُ أخيه إلاّ أنَّهُ لا يدَعُ قاتِلَ عَمِّه أو يَقْتُلَه. ثم أنشأ يقول:

---

(١) البازل: الناقة انشق نابها بدخولها في السنة التاسعة، والكوماء: الضخمة السنام. والولية: كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره.
(٢) في أمالي المرتضى: «وخطبت خطبة حازم».
(٣) مشرف القطرين: مرتفع الجانبين. وغمزت الدابة: مالت من رجلها أي ظلعت، والشظية: عظم الساق.
(٤) القفية: الناحية.
(٥) المعزّبة: امرأة الرجل، والقفا: موضع.
(٦) في أمالي المرتضى: «أميناً على سر النساء وربما».
(٧) في معجم البلدان: خزازى: جبل. وفي ف: حوازى (تحريف). والسلان: الأودية. وكانت عندهما وقائع. وقوم ذو زهاء: ذو عدد كثير. وفي المعمرين ـ ٢٧: «شهدت المحصأين على خزاز».

وكَيْـفَ بِمَــنْ لا أستَطِيــعُ فِــراقَــه ... ومَـنْ هـو إن لـم تجْمَـعِ الـدَّارُ آلِـفُ!
أمِيــرُ شِقــاقٍ إنْ أُقِـم لا يُقِـسِم مَعِـي ... ويَـرْحَـلْ، وإن أرحَـلْ يُقِـم ويخـالِـفُ[1]

ثم شَرِب الخمرَ صِرْفاً حَتَّى مات.

قال: ومِمّن شَرِب الخمرَ صرْفاً حتى ماتَ عَمرو بنُ كُلْثُوم التغْلبيّ، وأبو بَراء عامِرُ بن مالِك مُلاعِبُ الأسِنّة.

قال هِشام[2]: عاشَ هُبَل بنُ عبد الله جَدُّ زُهَيْر بن جَناب سِتَّمائة سنة وسَبْعِين، وهو القائل:

يـا رُبَّ يَـومٍ قـد غَنِـي فيـه هُبَـلْ ... لــه نَــوالٌ ودُرُورٌ وجَــذَلْ[3]

* كأنَّه في العِزّ عَوْفٌ أو حَجَلْ *

قال: عَوْف وحَجَل: قَبِيلَتان من كَلْب.

كان نازلاً مع الجلاح بن عوف فأنذرته أخته فخالفه الجلاح فرحل هو وقال شعراً

وقال أبو عَمْرو الشَّيْباني: كان الجُلاحُ بن عَوْف السَّحْميُّ قد وَطَّأ لزُهَيْر بن جَناب وأنزله معه، فلم يزل في جَناحِه حتى كثُر مالُه وولَدُه، وكانت أختُ زُهَيْر مُتَزَوِّجة في بني القَيْن بن جَسْر، فجاء رَسولُها إلى زُهَيْر ومعه بُرْد فيه صِرارُ رَمْل وشَوكةُ قَتاد، / فقال زهير لأصحابه: أتتكُم شَوكةٌ شَديدة، وعددٌ كَثِير فاحتَمِلوا، فقال له الجُلاحُ: [١٩/٢٥] أنَحتَمِلُ لقَوْل امرَأة! والله لا نَفْعَل، فقال زُهَير:

أمـا الجُـلاحُ فـإنَّنـي فـارَقْتُـه ... لا عـن قِلًـى ولقـد تَشِطُّ بنـا النَّـوَى
فَلَئِـن ظَعَنْـتَ لأُصبِحَـنَّ مُخيِّمـاً[4] ... ولَئِـنْ أقمـتَ لأظعَنَـنَّ علـى هَـوَى

قال: فأقام الجُلاح، وظَعن زُهَير، وصَبَّحهم الجَيش فقَتَل عامّة قوم الجُلاح وذَهَبوا بماله.

قال: واسم الجُلاح عامرُ بنُ عَوْف بنِ بَكْر بنِ عَوْف بنِ عامر بنِ عَوْف بنِ عُذْرَة.

اجتمع مع عشيرته فقصده الجيش فهزمهم وقتل رئيساً منهم

ومَضى زُهَيْر لوَجْهه حتى اجْتَمَع مع عَشِيرته من بني جَناب، وبَلَغ الجيشَ خَبرُه فقَصَدوه، فحارَبَهم وثَبَتَ لهم فهزمهم وقَتَل رَئيساً منهم، فانْصَرفُوا عنه خائبين، فقال زُهَيْر:

أمِــن آلِ سَلْمــى ذا الخَيــالُ المُــؤَرِّقُ ... وقـد يَمِـقُ[5] الطيفَ الغَـرِيبُ المُشَـوَّقُ
وأنَّــى اهْتَــدَت سَلمَــى لِــوَجْــهِ محلِّنــا ... ومــا دونهــا مــن مَهْمَــه الأرض يَخفِــقُ
فلــم تَــرَ إلا هــاجعــاً عنــد حُــرَّةٍ ... علـى ظهـرهـا كُـورٌ عَتِيـقٌ ونُمْـرُقُ[6]
ولمّــا رَأتْنــي والطَّلِيــحَ تَبَسَّمَــتْ ... كمـا انهـلَّ أعْلَـى عـارضٍ يتـألَّـقُ
فحُيِّيــتِ عَنّــا زَوِّدينــا تحيَّــةً ... لعـلَّ بهـا العـانِـي مـن الكَبْـل يُطْلَـقُ

---

(١) ف: «أمين شقاء...».
(٢) ف: «هاشم».
(٣) الدرور: الكثرة. والجذل: الفرح. وفي ف: «ودروه»، وهو التلألؤ.
(٤) مخيماً: مقيماً.
(٥) يمق: يحب
(٦) الكور: الرحل. والنمرق: الوسادة الصغيرة.

فـردّت سَـلامـاً ثـم ولّـت بحـاجَـةٍ ... ونحـن لعُمْـرِي يـابْنَـةَ الخَيْـرِ أشْـوَقُ[١]

/ فيـا طِيـبَ مـا ريّـا[٢] ويـا حُسْـنَ مَنْظَـرٍ ... لَهَـوْتُ بـه لـو أنّ رُؤيـاكِ تَصْـدُقُ [٢٦/١٩]

ويـومَ أُثـالَـى قـد عـرفـتُ رُسـومَهـا ... فعُجْنـا إليهـا والـدُّمـوعُ تَـرَقْـرَقُ

وكـادت تُبِيـنُ القَـولَ لَمّـا سـألتُهـا ... وتُخْبِـرُنـي لـو كـانـت الـدارُ تَنْطِـقُ

فيـا دارَ سَلْمـى هِجْـتِ للعيـن عَبْـرةً ... فمـاءُ الهـوى يـرفَـضُّ أو يَتَـرَقْـرَقُ[٣]

وقال زهير في هذه القصيدة يَذْكُر خِلافَ الجُلاح عليه:

أيـا قَـوْمَنـا إن تَقْبَلُـوا الحَـقَّ فـانْتَهـوا ... وإلا فـأنيـابٌ مـن الحـرب تَحْـرُقُ[٤]

فجـاءُوا إلـى رَجْـراجَـةٍ مُكْفَهِـرَّة ... يكـاد المـديرُ نحـوَهـا الطَّـرْفَ يَصْعَقُ[٥]

سيُـوفٌ وأرمـاح بـأيـدي أعـزَّة ... ومَـوْضُـونـةٌ مِمّـا أفـاد مُحَـرِّقُ[٦]

فمـا بَـرِحُـوا حتـى تَـرَكْنـا رئيسَهـم ... وقـد مـار فيـه المَضْـرَحِـيُّ المُـذَلَّـقُ[٧]

وكـائِـنْ تـرَى مـن مـاجِـدٍ وابْـنِ مَـاجِـدٍ ... لـه طَعْنَـةٌ نجـلاءُ للـوَجْـه يَشْهَـقُ

وقال زُهَيْر في ذلك أيضاً:

سـائِـل أُمَيْمَـة عنّـي هـل وَفَيْـتُ لهـا ... أم هـل مَنَعْـتُ مـن المَخْـزاة جيـرانَـا

لا يَمْنَـع الضَّيْـفَ إلا مـاجِـدٌ بطَـلٌ ... إنّ الكـريـمَ كـريـمٌ أينَمـا كـانَـا[٨]

لَمّـا أبَـى جيـرتـي إلا مُصمِّمَـةً ... تَكْسُـو الـوُجـوهَ مـن المَخْـزاة ألـوانَـا

/ مِلْنـا عليهـم بـوِرْدٍ لا كِفـاءَ لـه ... يَفْلِقْـن بـالبِيـضِ تحـت النَّقْـعِ أبْـدانَـا [٢٧/١٩]

إذا ارجَحَنُّـوا عَلَـوْنـا هـامَهـم قُـدُمـاً ... كـأنّمـا نَخْتَلـي بـالهـام خُطْبـانَـا[٩]

كـم مـن كـريـم هَـوَى للـوَجْـه مُنْعفِـراً ... قـد اكْتَسَـى ثـوبُـه فـي النَّقْـع ألـوانَـا

ومِـنْ عَمِيـدٍ تَنـاهَـى بعـد عَثْـرتـه ... تَبْـدُو نـدامتُـه للقَـوْم خَـزيـانَـا

كل أولاده شعراء وهذه نماذج من شعرهم

وأمّا الشعراء من ولد زهير:

فمنهم مَصادُ بنُ أسعد بنِ جُنادة بن صَهْبان بنِ امرِىء القَيْس بنِ زُهَيْر بنِ جَناب، وهو القائلُ:

---

(١) في ر: «... ثم ولت لحاجة...».

(٢) في ف: «فيا طيب مثوانا».

(٣) في ف: «يتدفق». وجاء في ف: «قال مؤلف هذا الكتاب: أخذ ذو الرمة هذا البيت كله فقال:

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفض أو يترقرق

(٤) تحرّق: تحتك شدة وغيظاً فيسمع لها صوت.

(٥) كتيبة رجراجة: تموج من كثرتها. وفي ف: «يكاد المُرَنّى» بدل «يكاد المدير».

(٦) الموضونة: الدرع المنسوجة أو المقاربة النسج.

(٧) المضرحي: النسر، والمُذلّق: المحدد الطرف. وفي ر: «وقد حار فيه المضرحيّ».

(٨) ف: «حيثما كانا».

(٩) ارجحنوا: مالوا ووقعوا. تختلي: نقطع. الخطبان: نبت، أو الخضر من ورق السمر.

تمَنَّيْتَ أن تَلْقَى لِقاحَ ابنِ مُحرِزٍ وقبلك شامتها العُيونُ النَّواظرُ
مُمَنَّحةً في الأقربين مُناخَةً وللضَّيف فيها والصَّديق مَعاقرُ[1]
فهَلاَّ بَني عَيناء عاينتَ جَمْعَهمْ بحالة[2] إذا سُدَّت عليك المَصادرُ

ـ ومنهم حُرَيْثُ بنُ عامر بنِ الحارث بن امرىء القَيْس بن زُهَيْر بن جناب، وهو القائل:

أرى قَومي بني قَطَنٍ أرادُوا بِالأَ يتركوا بِيَديَّ مالاَ
فإن لم أجْزِهم غَيْظاً بغَيْظٍ وأوردْهُم على عَجَلٍ شِلالاَ[3]
فَلَيْتَ التَّغْلَبِيَّة لم تَلِدْني ولا أغْنَتْ بما ولدت قِبالا[4]

ـ ومنهم الحَزَنْبَل بنُ سَلامة بنِ زُهَيْر بن أسْعد بن صَهْبان بنِ امرىءِ القَيْس بن زُهَيْر بن جَناب، وهو القائل:

[٢٨/١٩] / عَبَثَت بمُنْخَرِق القَمِيص كأنَّه وَضَحُ الهِلال على الخُمُور مُعذِل
يا سَلْمَ وَيْحكِ والخَليل مُعاتِبٌ أزْمَعْتِ أن تَصلِي سِواي وتَبْخَلي
لَمَّا رأيتِ بعارِضَيَّ ولمَّتي غِيَرَ المَشيب على الشباب المُبْدَلِ[5]
صرَّمْتِ حَبْل فتًى يهَشُّ إلى النَّدى لو تَطْلُبِين نداه لم يَتَعَلَّلِ
إنا لنَصْبر عند مُعتَرَك الوغَى ونَبُذ مكرُمَة الكريمِ المُفْضِلِ[6]

ـ ومنهم عُزَيْرُ بن أبي جابر بن زُهَيْر بن جناب، وهو القائل:

أبلِغْ أبا عَمْرٍو وأنْتَ عليَّ ذُو النِّعَم الجَزِيلَهْ
أنَّا مَنَعْنا أنْ تَذِلَّ بِلادُكُمْ وبَنُو جَدِيلَهْ
وطَرقْتُهم لَيْلاً أُخَبِّرهم بهم ومعِي وَصِيلَهْ[7]
فصدَّقْتُهم خَبَري فَطارُوا في بِلادِهم الطَّويلَهْ

ـ ومنهم عرفَجَةُ بنُ جُنادَة بنِ أُبيِّ بنِ النُّعمان[8] بنِ زُهَير بنِ جَنابٍ، وهو القائل:

عفا أبرقُ العَزَّاف من أُمّ جابِرٍ فمُنْعَرَجُ الوادي عفا فَحَفيرُ
فرَوْضُ ثُوَيْر عن يمين رَوِيَّةٍ كأن لَمْ تَرَبَّعْه أوانِسُ حُورُ[9]
رِقاقُ الثَّنايا والوُجوه، كأنها ظِباءُ الفلا[10] في لَحْظِهن فتُورُ

---

(١) س: «ممنحة في الأمر بين مباحة». وفي ف: «ممنحة في الأقربين مباحة».
(٢) حالة: موضع. وفي ر: «بحالك».
(٣) شلالاً: متفرقين.
(٤) ف: «ولا غنيت». وقبالاً، أي بما يقبل.
(٥) س، ر: «غير الشباب على المشيب المبدل».
(٦) ف: «الأفضل».
(٧) وصيلة: رفقة أو سيف.
(٨) س، ف: «بن أبي النعمان».
(٩) أبرق العزاف، وثوير، وروية: مياه في بلاد العرب. وحفير: موضع بين مكة والمدينة.
(١٠) ف: «ظباء الملا».

ـ ومنهم المُسَيَّب بنُ رِفْل[1] بنِ حارِثَةَ بنِ جَناب بنِ قَيْس بنِ امرِىءِ القَيْسِ بنِ أبي جابر بنِ زُهَير بنِ جَناب، وهو القائل:

[٢٩/١٩] / قَتَلْنا يَزِيدَ بنَ المُهَلَّب بعدما ... تَمَنَّيْتُمُ أن يَغلِبَ الحَقَّ باطِلُهْ
وما كان منكم في العِراقِ مُنافِقٌ ... عن الدِّينِ إلا من قُضاعةَ قاتِلُه
تَجَلَّلَه قَحْلٌ بأبيضَ صارِمٍ ... حُسامٍ جَلا عن شفرَتَيْه صَياقِلُه[2]

يَعْنِي بالقَحْل ابنَ عَيّاش بن شَمِر بن أَبِي شَرَاحِيل بنِ غُرَيْر بن أبي جابر بنِ زُهَيْر بن جَناب، وهو الذي قَتل يَزِيد بن المُهَلَّب.

ومن بني زُهَيْر شُعَراء كثير، ذَكرتُ منهم الفُحول دُونَ غَيْرِهم.

[٣٠/١٩]

/ صوت

تَدَّعي الشوقَ إن نَأَتْ ... وتَجَنَّى إذا دَنَتْ
سَرَّني لو صَبَرتُ عَنْـ ... ـها فتُجزَى بما جَنَتْ
إنَّ سَلْمَى لو اتَّقَتْ ... رَبَّها فِيَّ أَنْجَزَتْ
زَرَعَتْ في الحَشا الهوَى ... وسَقَتْه حتى نَبَتْ[3]

الشِّعر لمُسْلِم بنِ الوَليد، والغِناءُ لعَرِيب خَفيفُ ثَقِيل. وقيل: إنه لأبي العبيس بن حَمْدون. وذكر الهشاميّ أن لإسحاق في: إنّ سَلْمَى... وما بعده لَحْناً من الثَّقِيل الأول بالبِنْصَر.

---

(١) ف: «المسيب بن زفر» وجاء في ذلك «المسيب بن الرفل الزهيري من ولد زهير بن جناب».

(٢) ف، س: «تجلله فحل».

(٣) الأبيات في شرح الديوان ـ ٣٠٨ ط. دار المعارف. وبعد البيت الأول:

واعتَدَدنا وأخلفت ... فأساءت وأحسنت

[١٩/٣١]

/ نسب مسلم بن الوليد وأخباره[١]

نسبه

وهو مُسلِم بنُ الوَليد، أبوه الوَليد مَوْلَى الأنصار ثم مَوْلَى أبي أُمامة أسعَد بن زُرَارة الخَزْرَجيّ.

كان يلقب صريع الغواني

يُلَقَّب صريعَ الغَوانِي، شاعر مُتقدم من شُعَراء الدَّولة العَبَّاسيّة، مَنشؤُه ومولده الكوفة.

وهو - فيما زعموا - أوَّل من قال الشّعر المعروف بالبَدِيع، هو لَقَّب هذا الجِنسَ البَديعَ واللَّطيفَ[٢]. وتَبِعَه فيه جماعة، وأشْهَرُهم فيه أبو تَمَّام الطائيّ فإنه جعل شِعرَه كُلّه مَذهَباً واحداً فيه. ومُسْلِم كان مُتَفَنّناً مُتصَرّفاً في شعره.

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيمانَ الأخفش، قال: قال أبو العَبّاس محمد بنُ يَزيد:

كان مُسلِم شاعراً حَسَن النَّمط، جَيّد القَوْل في الشراب[٣]، وكثيرٌ من الرُّواة يَقرِنه بأَبِي نُواس فِي هذا المعنى. وهو أوّلُ مَنْ عقد هذه المعاني الظَّرِيفة واستَخْرجها.

اتهم بأنه أول من أفسد الشعر

حَدَّثنا أحمَدُ بنُ عُبَيْد الله بنِ عَمّار، قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ القاسِمِ بنِ مَهْرُويه، قال: سَمِعتُ أبي، يقول: أولُ من أفْسد الشّعر مُسلِمُ بنُ الوَليدِ، جاء بهذا الذي سَمَّاه النَّاس البَدِيع، ثم جاء الطائيُّ بعْده فتَفَنَّن فيه[٤].

كان منقطعاً إلى يزيد بن يزيد

أخْبَرني إبراهيمُ بنُ أيُّوب عن عبدِ اللهِ بنِ مُسْلِم الدِّينَوَرِيّ، قال:

كان مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد وأخُوه سُلَيمان مُنقَطِعَين إلى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن مَنْصُور بن زِياد، ثم الفَضْل بنِ سَهْلٍ بعد ذلك. وقَلَّدَ الفَضْلُ مُسْلِماً المَظالمَ بِجُرْجَان فمات بها.

[١٩/٣٢] / أخبرني عليُّ بنُ سُليْمان، قال: حدّثنا محمدُ بنُ يَزيد قال:

كان السبَبُ في قَوْلِ مُسْلِم:

تَـدّعِـي الشـوقَ إن نـأَتْ وَتَجنَّـى إذا دَنَـتْ

---

(١) سقطت هذه الترجمة من طبعة بولاق، وموضعها هنا كما جاءت في نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة.

(٢) في مي: «فجنس البديع، وتبعه...». وفي مج: «وهو لقب الجنس البديع وتبعه...».

(٣) في مي، مج: «جيد الغزل في الشراب».

(٤) في ما: «فجن فيه فتحير الناس». وفي ف: «ثم جاء الطائي بعده فتحير الناس فيه».

غازل جارية منزلها في مهب الشمال من منزله، ولم يكن يهواها

أنَّهُ عَلِقَ جَارية ذات ذِكْرٍ وَشَرَف[1]، وكان مَنزِلُها في مَهَبِّ الشَّمَال من مَنْزِله، وفي ذلك يقول:

صوت

أُحِبُّ الرِّيحَ ما هَبَّتْ شَمالاً ... وأحسُدُها إذا هَبَّتْ جَنُوبا

أُهابُكِ أن أبوحَ بذاتِ نَفْسي ... وأفرَقُ إن سَألتُكِ أن أخِيبا

وأهجُر صاحِبي حُبَّ التَّجَنِّي ... عليه إذا تَجَنَّيْتِ الذُّنوبا[2]

كأنِّي حين أُغضِي عن سِواكُم ... أخافُ لكم على عَيْنِي رَقِيبا

غَنَّى عبد الله بنُ العَبّاس الرَّبيعي في هذه الأبيات هزجاً بالبِنْصر عن الهِشاميّ.

كان يحب جاريته محبة شديدة

قال: وكانت له جارية يُرْسِلها إليها ويَبُثُّها سِرّه، وتعودُ إليه بأخبارها ورسائِلُها؛ فطال ذلك بينهما؛ حتى أَحبَّتْها الجاريةُ التي عَلِقها مُسْلِم ومالت إليها، وكِلتاهما في نهاية الحُسْن والكمال.

وكان مُسلم يُحِبُّ جاريتَه هذه مَحَبَّة شديدة، ولم يكن يَهْوى تلك، إنما كان يُرِيد الغَزَل والمُجُون والمُراسلة، وأن يَشيع له حَدِيثٌ[3] بِهَواها، وكان يَرَى ذلك من / المَلاحة والظَّرف والأدب، فلما رَأى مَودَّة تلك لجارِيته هَجَر [١٩/٣٣] جارِيَته مُظْهِراً لذلك، وقطعها عن الذَّهاب إلى تلك، وذلك قولُه:

وأهجُر صاحِبي حُبَّ التَّجَنِّي ... عليه إذا تجنَّيت الذُّنُوبا

وراسَلَها مع غيرِ جاريتِه الأولى، وذلك قوله:

تَدَّعي الشوقَ إن نأتْ ... وتجنَّى إذا دنتْ

واعدتنا وأخلفتْ ... ثم ساءتْ فأحسنتْ[4]

سرَّني لو صبرتُ عنـ ... ـها فتُجْزَى بما جنتْ

[5]إنَّ سَلْمَى لو اتَّقَتْ ... رَبَّها في أنجزَتْ

زرعتْ في الحشا الهوى ... وسقتْه حتى نَبَتْ[5]

أخبرني الحُسَيْن بنُ يَحْيَى ومحمدُ بنُ يَزِيد، قالا: حدّثنا حَمَّادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال:

لقي مُسلِم بنُ الوَليد أبا نُواس فقال له: ما أَعرِف لك بَيْتاً إلا فيه سَقَطٌ، قال: فما تَحفَظ من ذلك؟ قال: قُلْ أنت ما شِئتَ حتى أُريك سَقَطَه فيه، فأنشَدَه:

---

(١) في ما: «ذات خطر وشرف».

(٢) في الديوان ـ ٢٧٤ ط. المعارف: «إن تجنبت».

(٣) في مي: «وأن يسمع له حديث...» الخ.

(٤) في ما، والديوان ـ ٣٠٨، و «المختار»: «فأساءت وأحسنت».

(٥ ـ ٥) التكملة من مي والديوان ـ ٣٠٨.

ذكر الصَّبوحَ سُحَيرةً[1] فارتاحا وأمَلَّه دِيكُ الصَّباح صِياحا

فقال له مُسلم: فلِمَ أمَلَّه وهو الذي أذكَره وبه ارْتاح؟ فقالَ أبُو نُواس: فأنشِدْني شَيئاً مِن شعْرك ليس فيه خَلل، فأنشدَه مُسلم:

[١٩/٣٤] / عاصَى الشَّبَابَ فراح غير مُفنَّد[2] وأقَام بين عزيمة وتَجَلُّدِ

فقال له أبُو نواس: قد جَعلتَه رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد. فتشاغَبا وتسَابَّا ساعة، وكلا البيتين صحيح المعنى.

ذُكر أمام المأمون وعرضت أبيات من شعره أعجبته

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال: قال لي محمد بنُ عبد الله بن مُسْلم: حَدَّثَني أبي، قال:

اجتمع أصحابُ المأمون عنده يَوْماً، فأفاضوا في ذكر الشّعر والشّعراء، فقال له بعضُهم: أين أنت يا أميرَ المؤمنين عن مُسلِم بنِ الوَليد؟ قال: حَيث يقولُ ماذا؟ قال: حيثُ يقول وقد رَثى رجلاً:

أرادوا ليُخفُوا قبرَه عن عَدُوِّه فَطِيبُ تُرابِ القبر دلّ علَى القَبْرِ

وحيث مَدَحَ رَجُلاً بالشَّجاعة فقال:

يَجودُ بالنَّفس إذ ضَنَّ[3] الجَوادُ بها والجُودُ بالنَّفس أقْصَى غايةِ الجُودِ

وهجَا رَجُلاً بقُبْح الوجه والأخلاقِ فقال:

قَبُحَتْ مناظِرُه فحين خَبَرْتُه حَسُنَتْ مناظِرُه لِقُبْح المَخْبَرِ

وتَغازَل فقال:

هَوًى يَجِدُّ وحَبِيبٌ يَلعَبُ أنتَ لَقًى بينهما مُعَذَّبُ

فقال المَأمونُ: هذا أشعَرُ مَنْ خُضتُم اليَوم في ذِكْرِه.

الرشيد ينبه يزيد بن مزيد إلى ما قاله فيه مسلم من مدح

أخبرني محمدُ بنُ عِمْران الصَّيْرفيّ والحَسَن بنُ عليّ الخَفَّاف، قالا: حدَّثَنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حَدَّثني قَعْنَب بنُ المُحرِز، وابنُ النَّطَّاح، عن القَحْذَميّ، قال:

[١٩/٣٥] / قال يَزِيدُ بنُ مَزيد: أرسلَ إليَّ الرَّشيدُ يوماً في وقت لا يُرسَل فيه إلى مِثْلي فأتيتُه لابِساً سِلاحِي، مُستَعِدًّا لأمر إن أرادَه، فلما رآني ضَحِك إليَّ ثم قال: يا يَزِيد خَبِّرني مَنِ الَّذي يَقولُ فيك:

تَراهُ في الأمْنِ في دِرْعٍ مُضاعفَة لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يُدْعَى على عَجَلِ[4]
صَافي العِيان طَمُوحُ العَيْنِ هِمَّتُه فَكُّ العُناةِ وأسْرُ الفَاتِك الخَطِلِ

---

(١) في ما، ف: «بسحرة».

(٢) في مي، مج: «ذكر الصبوح فراح غير مفند». والتفنيد: اللوم. والبيت في الديوان ـ ٢٣٠ من قصيدة طويلة.

(٣) في مي، والعقد، وديوان المعاني: «إن ضن الجواد». وفي الديوان ـ ١٦٤: «إذ أنت الضنين بها». وفي تاريخ بغداد: «إذ ضن البخيل بها».

(٤) في الشعر والشعراء ٢: ٨١١، والأغاني ٥: ٤١: «أن يأتي على عجل». وفي شرح سقط الزند ٦٨: «أن يؤتى على عجل».

لِلهِ مـــن هـــاشِـــم فـــي أرضِـــه جَبَـــلٌ وأنـــتَ وابنُـــك رُكْنَـــا[١] ذلـــك الجَبَـــلِ

فقلت: لا أعرفُه يا أَمِيرَ المُؤْمنين. قال: سَوْءَةً لك من سَيِّد قَوم يُمدَح بمِثْل هذا الشِّعر ولا تَعرِف قائِلَه، وقد بَلَغ أميرَ المُؤْمنين فرَواه ووَصَل قائِلَه، وهو مُسْلِمُ بنُ الوَلِيدِ. فانصرفتُ فدَعوتُ به ووصلتُه ووَلَّيتُه.

أخبَرني محمدُ بن عِمرَان الصَّيْرَفيّ، والحَسَنُ بن عَلِيّ الخَفَّاف، قالا: حدَّثنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدَّثَني أبو عبدِ الله أحمَدُ بنُ محمد بنِ سُلَيمان الحَنَفيّ ذو الهِدْمَين، قال: حدَّثني أبي، قال:

دخل يَزِيدُ بنُ مَزْيد على الرَّشِيد فقال له: يا يَزِيد، مَنِ الذي يَقُول فيك:

لا يَعبَـقُ الطِّيـبُ خَـدَّيْـه ومفـرِقَـه ولا يُمسِّـــح عَيْنَيْـــه مـــن الكُحُـــلِ

قـــد عَـــوَّدَ الطَّيـــر عـــاداتٍ وَثِقْـــن بهـــا فهُـــنَّ يَتْبَعْنـــه[٢] فـــي كُـــلِّ مُـــرْتَحَـــلِ

يزيد بن مزيد يسمع مدحه فيه ويأمر له بجائزة

فقال: لا أعرِف قائِلَه يا أَمِير المُؤْمنين. فقال له هارُون: أَيُقال فيك مِثْلُ هذا / الشِّعر ولا تَعرِف قائِلَه! فخرَج [٣٦/١٩] من عنده خَجِلاً، فلما صار إلى مَنْزِله دعا حاجبَه فقال له: مَنْ بالبابِ مِنَ الشُّعَراء؟ قال: مسلم بن الوليد، فقال: وكيف حَجبتَه عنّي فلم تُعْلِمْني بمكانه؟ قال: أخبرتُه أنَّكَ مُضِيقٌ[٣]، وأنّه ليس في يَدَيْك شيء تعطيه إياه، وسألتُه الإمساكَ والمُقامَ أياماً إلى أن تَتّسع. قال: فأنكَر ذلك عليه وقال: أدخِلْه إليَّ. فأدخله إليه، فأنشدَه قوله:

أُجْـرِرتُ حبلَ خَلِيـع فـي الصِّبَـا غَـزِل وشَمَّـرتْ هِمَـمُ العُـذَّالِ فـي عَـذَلِـي[٤]

رَدَّ البُكـاءَ علـى العَيْـن الطَّمُـوحِ هَـوًى مُفَـرَّقٌ بيـن تَـوْدِيـعٍ ومُـرْتَحَـلِ[٥]

أَمَـا كَفَـى البَيْـنَ أن أُرمَـى بـأَسْهُمِـه حتـى رَمـانِـي بلَحْـظِ الأعيـنُ النُّجُـلِ!

ممـا جَنَـت لـي ـ وإن كـانـت مُنًى صَـدَقَـتْ ـ صبَـابَـةُ خُلَـسُ التَّسلِيـم بـالمُقَـلِ[٦]

فقال له: قد أمرْنا لك بخَمْسين ألفَ دِرْهم، فاقبِضْها واعذِر. فخرج الحاجبُ فقال لمُسْلم: قد أمرني أن أرهن ضَيْعَةً من ضِياعهِ على مِائَة ألف دِرْهم، خَمْسُون ألْفاً لك وخَمْسُون ألْفاً لنَفَقتِه. وأعطاه إيَّاها، وكتب صاحِبُ الْخبَر بذلك إلى الرّشيد، فأمر لِيَزِيد بمائَتي ألفِ دِرهم وقال: اقضِ الخَمْسين التي أخذها الشّاعر وزِدْه مثلَها. وخُذ مائَةَ ألْفٍ لِنَفَقَتك. فافتَكَّ ضَيْعَتَه، وأعطى مُسلماً خَمْسين ألفاً أُخرى.

يزوره صديق من الكوفة فيبيع خفيه ليقدم له طعاماً

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ الخفَّاف، قال: حدّثنا محمَّد بنُ القاسمُ بن مهْرُويه، قال: حدّثني عليُّ بنُ عُبَيد الكُوفيّ، وعليُّ بنُ الحَسَنِ كِلاهما، قال: أخبرَني عَلِيُّ بنُ عَمرو، قال:

/ حدّثني مُسْلمُ بنُ الوليد المَعْروف بصَرِيع الغَوانِي قال: كنتُ يوماً جالساً في دكان خَيَّاط بإزاء مَنْزِلي، إذْ [٣٧/١٩]

(١) في المختار من شعر بشار ـ ٣٠: «وأنت وابناك ركنا ذلك الجبل».

(٢) في مي: «فهن يصحبنه».

(٣) أضاق الرجل فهو مضيق: ضاق عليه معاشه.

(٤) في الديوان ـ ١: «في العذل».

(٥) في المختار: «ومحتمل». وفي الديوان ط. المعارف: «هاج البكاء... ومحتمل».

(٦) في الديوان ـ ٣: «مما جنى لي».

رأيتُ طارقاً ببابي، فَقُمتُ إليه فإذا هو صَدِيق لي من أهْلِ الكُوفَة قد قَدِمَ من قُمّ، فسُرِرْتُ به، وكأنَّ إنساناً لَطَمَ وجْهي، لأنَّه لم يكُنْ عِندي دِرْهم واحد أُنفِقُه عليه، فقُمْتُ فسلّمتُ عليه، وأدخلتُه مَنْزِلي، وأخذتُ خُفَّين كانا لي أتَجَمَّل بهما، فدفَعْتُهُما إلى جارِيتي، وكتبتُ معهما رُقْعَة إلى بعض مَعارفي في السُّوق، أسألُه أن يَبيع الخُفَّين ويَشْتَرِيَ لي لَحماً وخُبزاً بِشَيْءٍ سَمَّيتُه. فَمَضَت الجاريةُ وعادَت إليَّ وقد اشترى لها ما قد حَدَّدْتُه له، وقد باع الخُفَّين[1] بتسْعَةِ دراهم، فكأنَّها إنما جاءت بخُفَّين جَدِيدَين. فقَعَدْت أنا وضَيْفي نَطْبُخ، وسألتُ جاراً لي أن يَسْقِيَنا قارُورَة نَبيذ، فوجَّه بها إليَّ، وأمرتُ الجارِيَة بأن تُغلِق باب الدَّار مخافةَ طَارِق يَجِيء فَيَشْرَكُنا فيما نحن فيه، لِيَبْقَى لي وله ما نأكُله إلى أن يَنْصرِف.

يصل إليه رسول يزيد بن مزيد ويدفع إليه عشرة آلاف درهم

فإنّا لَجالِسَان نَطْبُخ حتى طرق البَابَ طَارِقٌ، فقلت لِجارِيَتي: انْظُري مَنْ هذا. فنَظَرت من شِقِّ البَابِ فإذا رَجُل عليه سَوادٌ وشاشِيَّة ومِنطَقة ومعه شاكِرِيّ، فخَبَّرتْني بِمَوضعه فأنكرْتُ أمرَه[2]، ثم رَجَعت إلى نفسي فقلت: لَسْتُ بصاحب دَعارَة، ولا للسُّلطان عَلَيَّ سَبِيل. فَفَتَحْتُ الباب وخرجتُ إليه، فنزل عن دَابَّتِه وقال: أأنتَ مُسْلِم بنُ الوَليد؟ قلت: نَعَم. فقال: كيفَ لي بِمَعْرِفَتِكَ؟ قلت: الذي دَلَّكَ على مَنْزِلي يُصَحِّحُ لك مَعْرِفتي. فقال لغُلامه: امضِ إلى الخَيَّاط فسَلْه عنه. فمَضَى فسألَه عَنِّي فقال: نَعَم هو مُسلِم بنُ الوليد. فأخرج إليَّ كِتاباً من خُفِّه، وقال: هذا كتاب الأمير يَزِيدَ بنِ مَزْيد إليّ، يأمُرني ألاّ أفُضَّه إلا عند لِقائك، فإذا فيه: إذا لَقِيتَ مُسلِمَ بن الوَليد فَادْفَعْ إليه / هذه العَشَرَةَ الآفِ دِرْهم، التي أنفذتُها تكون له في منزله، وادفع ثلاثةَ آلاف دِرْهم نَفَقَةً لِيَتَحَمَّلَ بها إلينا. [١٩/٣٨] فأخذْتُ الثَّلاثَةَ والعشْرة، ودَخلْتُ إلى منزلي والرَّجُل معي، فأكلْنا ذلك الطعام، وازْدَدْتُ فيه وفي الشَّراب، واشتريْتُ فاكِهَة، واتَّسَعْتُ ووهبتُ لِضَيْفِي من الدَّراهم ما يُهْدِي به هَدِيَّة لِعِياله.

يذهب إلى يزيد وينشده قصيدة في مدحه

وأخذتُ في الجهاز، ثم ما زِلتُ معه حتى صِرْنا إلى الرَّقَّة إلى باب يَزِيد، فدَخَل الرَّجلُ وإذا هو أَحَدُ حُجَّابه، فوجَدَه في الحَمّام، فخرج إليَّ فَجَلَس معي قَليلاً، ثم خُبِّر الحاجبُ بأنَّه قد خَرَج من الحَمّام، فأدخَلَني إليه، وإذا هو على كُرْسيّ جالس، وعلى رَأْسه وَصِيفة بِيَدها غِلافُ مِرْآة، وبِيَده هو مِرْآة، ومُشْط يُسرِّح لِحْيَتَه، فقال لي: يا مُسلِم، ما الذي بَطَّأَ بك عَنَّا؟ فقلت: أيُّها الأمير، قِلَّةُ ذاتِ اليَد. قال: فأَنْشِدْني. فأنشَدْتُه قَصِيدَتي التي مَدَحْتُه فيها:

أَجْـرَرْتُ حَبـلَ خَلِيـع فـي الصِّبَـا غـزِلِ ... وشَمَّـرتْ هِمَـمُ العُـذّالِ فـي عَـذَلـي

فلما صِرتُ إلى قولي:

لا يعبَـقُ الطِّيـبُ خَـدَّيْـه ومفـرِقَـه ... ولا يُمَسِّـحُ عَيْنَيْـه مـن الكُحُـلِ[3]

---

(١) في ف والمختار: «الخف».

(٢) في ما: «أمري». والشاشية: العمامة. والمنطقة: الحزام ينتطق به. والشاكري: الأجير.

(٣) في الأغاني ٥/ ٤٤، وابن خلكان ٢/ ٢٨٤: «كفيه ومفرقه». وجاء في شرح الديوان ـ ١٣: «لا يعبق الطيب خديه ومفرقه أي لا يلصق بهما. ولا يمسح عينيه من الكحل أي لا يتكحل... يطعن بذلك على بني عمه الذين كانوا أقبلوا إلى أبيهم ليلاً متعطرين، وأقبل هو إليه في السلاح».

يقص عليه سبب دعوته له

وَضَع المِرآة في غِلافِها، وقال للجارية: انْصرِفي، فقد حرّم علينا مُسلِم الطِّيبَ. فلما فرغْتُ من القصيدة قال لي: يا مُسْلِم، أتَدْرِي ما الّذي حَدَاني إلى أن وَجْهتُ إليك؟ فقلتُ: لا واللهِ ما أدْرِي. قال: كنتُ عند الرّشيد منذُ لَيالٍ أغْمِزُ[1] رِجْلَيه، إذ قال لي: يا يزيد، من القائل فيك:

[١٩/٣٩] / سَـلَّ الْخَلِيفَـةُ سَيْفـاً مـن بَنـي مَطَـرٍ ... يَمضِـي فيَخْتـرِمُ الأجسـادَ والهـامـا[2]

كـالـدَّهـر لا يَنْثَنـي عمّـا[3] يَهُـمّ بـه ... قـد أوسَـعَ النـاسَ إنعـامـاً وإرغـامـا

فقلت: لا واللهِ ما أدْرِي. فقال لي الرّشِيد: يا سُبْحان الله! أنتَ مُقِيم على أعرابِيّتك، يُقال فيك مِثْلُ هذا الشِّعْر ولا تَدرِي مَنْ قائلُه! فسألت عن قائله، فأُخبِرتُ أنّك أنتَ هو، فقُم حتى أُدخِلَكَ على أميرِ المُؤْمنين.

يدخل على الرشيد ويمدحه فيأمر له بجائزة

ثم قام فدَخَل على الرّشيد، فما عَلِمتُ حتى خرَج عليّ الإذن فأُذِن لي، فدخَلْتُ على الرّشيد، فأنشدْتُه ما لي فيه من الشِّعر، فأمر لي بمائتَي ألف دِرْهم، فلما انْصرَفْتُ إلى يَزيد أمر لي بِمائةٍ وتِسْعِين ألفاً، وقال: لا يَجُوز لي أن أُعطِيَك مِثْلَ ما أعْطاك أميرُ المُؤْمنين. وأقطَعَني إقطاعات تبلُغ غَلَّتُها مائتي ألف دِرْهم.

يهجو يزيد فيدعوه الرشيد ويحذره

قال مُسلِم: ثم أفْضَتْ بي الأُمورُ بعد ذلك إلى أن أغْضَبَني فهَجَوْتُه، فشَكاني إلى الرّشيد، فدَعَاني وقال: أتَبِيعُني عِرضَ يزيد؟ فقلت: نَعَم يا أميرَ المؤمنين. فقال لي: بِكَم؟ فقلتُ: برغِيف خبز. فغَضِب حتى خِفْتُه على نَفسِي، وقال: قد كُنتُ على أن أشْتَرِيَه منك بمَالٍ جَسِيم، ولَستُ أفعَل ولا كرامةَ، فقد عَلِمتُ إحسانَه إليك، وأنا نَفِيٌّ من أبي، وواللهِ ثُمّ والله لئن بَلَغَني أنّك هَجَوْتَه لأنْزِعَنّ لِسانَكَ من بَيْن فَكَّيْكَ، فأمسَكتُ عنه بعد ذَلك، وما ذكرتُه بخَيْر ولا شرّ.

البيدق يصله بيزيد بن مزيد ويسمعه شعره فيأمر له بجائزة

أخبرني الحَسَنُ بن علي، قال: حدّثَنا محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُويه، قال: حدّثني محمد بنُ عَبدِ الله اليَعْقُوبيّ، قال:

[١٩/٤٠] / حدّثَني البَيْدَقُ[4] الرّاوية ـ وكان من أهل نَصِيبِين ـ قال: دَخلْتُ دارَ يَزِيدَ بنِ مَزْيد يوماً وفيها الخَلْق، وإذا فتًى شابٌّ جالِس في أفْناء النّاس، ولم يَكُنْ يَزيد عرفَه بَعْدُ، وإذا هو مُسْلِم بنُ الوَلِيد، فقال لي: ما في نَفسِي أن أقولَ شِعْراً أبداً، فقلتُ: ولِـمَ؟ قال: لأنّي قد مَدحْتُ هذا الرّجل بشِعْر ما مُدِح بمِثْلِه قطّ، ولَسْت أجِد مَنْ يُوَصِّله، فَقلتُ له: أنشِدْني بعضَه، فأنْشَدَني منه:

مُـوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذِي رَهَـجٍ ... كـأنّـه أجَـلٌ يَسْعَـى إلـى أمَـلِ

---

(١) الغمز: الكبس باليد والجس.

(٢) في الديوان ـ ٦٣: «فيخترق الأجساد». وفي ديوان المعاني: «فيخترق الأحشاء».

(٣) في الديوان ـ ٦٢: «لا ينثني عمن يهم به».

(٤) في مي: «البيزق».

يَقْرِي السُّيوفَ نُفوسَ النّاكِثِين بـه ... وَيَجْعَلُ الرُّوسَ تِيجانَ القَنا الذُّبُلِ
لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومَفرِقَه ... ولا يُمَسِّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ
إذا انتَضَى سيفَه كانت مسالِكُه ... مسالكَ المَوْت في الأجسام والقُلَلِ[1]
وإن خَلَتْ بحَدِيث النَّفْس فِكرتُه ... عاش الرّجاءُ وماتَ الخَوْفُ من وَجَلِ[2]
كاللَّيث إن هِجْتَه فالمَوْتُ راحَتُه ... لا يَسْتريحُ إلى الأيّام والدُّوَلِ
لله من هاشم في أرضِه جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُك رُكْنا ذَلك الجَبَلِ
صدَّقْتَ ظَنّي وصدَّقتَ الظُّنونَ به ... وَحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْل عن جملي[3]

قال: فأخذتُ منها بيْتَيْنِ، ثم قلت له: أنشِدْني أيضاً ما لك فيه، فأنشدَني قَصِيدة أخرى ابتداؤُها:

[١٩/٤١] / طيفَ الخيال حَمِدْنَا منكَ إلمامَا ... داوَيْتَ سُقْماً وقد هَيَّجتَ أسقامَا

يقول فيها:

كالدَّهر لا يَنْثَنِي عَمّا يَهُمّ به ... قد أوسعَ النّاس إنعاماً وإرغامَا

قال: فأنشدْتُ هذه الأبياتَ يَزِيدَ بنَ مَزْيد، فأمر له بخَمْسِمِائة دِرْهم. ثم ذكرتُه بالرَّقّة فقلت له: هذا الشّاعر الذي قد مَدَحَك فأحسَن، تَقْتَصِر به على خَمْسِمِائة دِرْهم! فبَعث إليه بخَمسمائة دِرْهم أُخرى، قال: فقال لي مُسلِم: جاءَتْني وقد رَهَنْتُ طَيْلساني على رُؤُوس الإخوان[4]، فوقعت مِنّي أحسنَ مَوْقع.

تضمخ يزيد بالطيب ثم غسله لئلا يكذب قول مسلم

أخبَرني محمد بنُ عِمْران، قال: حدَّثنا العَنَزِيّ، عن محمد بنِ بَدْر العِجْلِيّ، عن إبراهيمَ بن سالم، عن أبي فِرْعَوْنَ مَوْلَى يَزيد بنِ مَزْيد قال:

رَكِب يَزِيدُ يوماً إلى الرّشيد فتغلَّف بغَالِية[5]، ثم لم يلبَثْ أنْ عاد فدعا بطَسْتٍ فغَسَل الغَالِيَة، وقال: كرهتُ أن أُكذِّب قولَ مُسلِم بنِ الوليد:

لا يَعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومَفرِقَه ... ولا يُمسِّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ

يشير على يزيد بن مزيد بإحراق كتاب وصله

أخبرني جَعْفَر بنُ قُدامَة، قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حَدَّثني أبُو تَوْبة، قال:

كان مُسلِم بنُ الوَليد جالِساً بَيْنَ يَدَي يَزِيد بنِ مزْيد فأتاه كِتابٌ فيه مُهِمّ له، فقرأه سِرّاً ووضَعَه، ثم أعادَ قِراءَته ووضَعَه، ثم أراد القِيامَ، فقال له مُسلِم بن الوليد:

(١) في الديوان ـ ١٤: «في الأبدان والقلل».

(٢) في الديوان ـ ٢٤: «حيي الرجاء»، وفي المستجاد ـ ١٠١: «... بحديث النفس نظرته». وجاء في الشرح: «إذا خلت بحديث النفس فكرته فإنه يفكر في بذل العطايا للناس فيموت خوفهم للفقر عند ذلك».

(٣) في ف: «وحل جودك»، والمثبت من ما، مج، والديوان ـ ٢٣، وجاء في الشرح: «صدّقت به ظني وظن من علم إقبالي إليك، وأغنيتني عن السفر فلا أحتاج إلى أن أسافر بعدها أبداً».

(٤) ف: «على رؤوس لإخواني».

(٥) تغلف بغالية: تطيب بالطيب.

الحَزْم تَخْرِيقُه إن كنت ذا حَذَر[١] وإنّما الحَزْم سُوءُ الظَّنِّ بالنّاسِ
لقد أتاك وقد أدَّى أمانَتَه فاجعل صِيانَتَه في بَطْنِ أرماسِ

/ قال: فضَحِك يَزِيد وقال: صَدَقْتَ لعَمْرِي. وخَرَّق الكِتاب، وأمر بإحراقِه. [٤٢/١٩]

انقطع إلى محمد بن يزيد بعد موت أبيه ثم هجره

حدَّثني عَمِّي وجَحْظَةُ، قالا: حدَّثنا عَلِيُّ بنُ الحُسَين بنِ عبدِ الأعلى، قال: حدَّثني أبو مُحَلِّم، وحَدَّثني عَمِّي، قال: حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعْد، قال: حدَّثني أبو تَوْبة، قال:

كان مُسلِم بن الوَلِيد صَدِيقاً ليَزِيدَ بنِ مَزْيد ومَدّاحاً له، فلما مات انْقَطَعَ إلى ابنه محمدِ بنِ يَزِيد، ومَدَحه كما مَدَح أباه، فلم يَصْنَع إليه خيراً، ولم يُرضِه ما فعله به، فهَجَره وانقَطَع عنه، فكَتَب إليه يَسْتَحفيه[٢] ويَلومُه على انقِطاعه عنه، ويُذَكِّره حُقوقَ أبيه عليه، فكَتَب إليه مُسْلِم:

لَبِستُ عَزاءً عن لِقاءِ محمدٍ وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً ووَدُودَا
وقُلتُ لنَفْسٍ قادَها الشَّوقُ نحوه فَعوَّضَها حُبُّ اللِّقاء صُدودَا
هَبِيه امرأً قد كان أصْفاكِ وُدَّه فماتَ وإلّا فاحْسُبِيه يَزِيدَا
لعَمْرِي لقد وَلَّى فلم ألْقَ بعده وَفاءً لِذِي عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا

مات يزيد ببرذعة فرثاه مسلم

أخبرني محمدُ بنُ القاسِم الأنبارِيّ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ محمد بنِ أبي سَعْد، قال:

أُهْدِيَتْ إلى يَزِيدَ بنِ مَزْيد جارِيَةٌ وهو يأكل، فلما رُفِع الطَّعام من بين يديه وَطِئَها فلم يَنْزِل عنها، إلا مَيِّتاً، وهو بِبَرْذَعة[٣]، فدُفِن في مَقابِر بَرْذَعة، وكان مُسْلِم معه في صَحَابته فقال يَرْثِيه:

/ قَبرٌ بِبَرْذَعةَ استَسَرَّ ضَرِيحُه خَطَراً تَقاصَرُ دُونَه الأخطارُ [٤٣/١٩]
أبقَى الزَّمانُ على رَبِيعَةَ بعده حُزناً كعُمر الدهر لَيس يُعارُ
سلكت بك العُربُ السَّبِيلَ إلى العُلا حتى إذا بلغوا المَدَى بك حارُوا

ويُروَى:

* حتى إذا سَبق الرَّدَى بك حاروا[٤] *

ـ هكذا أنشده الأخفش ـ:

نُفِضَتْ بك الأحلاس نَفْضَ إقامةٍ واسترجَعَت رُوَّادَها الأمصارُ
فاذهَبْ كما ذَهَبتْ غَوادِي مُزْنَةٍ أثنى عليها السَّهلُ والأوعارُ

---

(١) في الديوان ـ ٣٢٤، وعيون الأخبار: «تخريقه».
(٢) استحفاه: استخبره. وفي مي، ما: «يستجفيه».
(٣) برذعة: بلد في أقصى أذربيجان.
(٤) في مي، مج: «حتى إذا بلغوا المداخل جاروا». وفي ف: «حتى إذا بلغوا المدى بك جاروا».

قصة راويته الذي أرسله إلى داود بن يزيد المهلبي

نَسختُ من كِتاب جَدِّي يَحْيَى بنِ محمد بنِ ثَوابَة: حَدَّثَني الحَسَنُ بنُ سَعِيد، عن أبيه، قال:

كان دَاودُ بنُ يَزِيدِ بنِ حاتِمٍ المُهَلَّبِيّ يَجْلِس للشُّعراء في السَّنة مجْلِساً واحداً فيَقْصِدونه لذلِك اليَوْم ويُنْشِدُونه، فَوجَّه إليه مُسلِم بنُ الوَليد راوِيَتَه بشِعْره الذي يقول فيه:

جعلتَــه حيــث تَــرتــابُ الــرّيــاح بــه وتحسُــد الطَّيــرَ فيــه أَضْبُــعُ البِيــدِ[1]

فقَدِم عليه يوْمَ جُلُوسه للشُّعَراء، ولَحِقه بعَقِبِ خُروجهم عنه، فَتقدَّم إلى الحاجِب وحسر لِثامَه عن وَجْهه ثم قال له: استأذِنْ لي على الأمِير. قال: ومَنْ أنت؟ قال: شاعر. قال: قد انْصَرَم وقتُك، وانصَرَف الشُّعراء، وهو على القِيام. فقال له: وَيْحك / قد وَفَدْتُ على الأمير بشِعْر ما قالت العَرَبُ مثلَه. قال: وكان مع الحاجب أدَب يَفْهَم به ما يَسْمَع، فقال: هاتِ حتى أَسْمَع، فإن كان الأمرُ كما ذَكَرتَ أوصلْتُك إليه. فأنشدَه بَعضَ القَصيدة، فسمع شَيْئاً يَقصُرُ الوَصفُ عنه، فدَخَل على داود فقال له: قد قَدِم على الأمِير شاعر بشِعْر ما قِيل فيه مِثلُه، فقال: أَدخِل قائلَه. فأدخلَه، فلمَّا مَثَل بين يديه سلَّـم وقال: قَدِمتُ على الأمير ـ أعزّه الله ـ بمَدْح يسمعه فيعلم به تَقدُّمي على غَيْرِي مِمَّن امتدَحه. فقال: هاتِ. فلما افْتَتَح القَصيدة وقال: [١٩/٤٤]

لا تَــدْعُ بــي الشَّــوق إنــي غَيــرُ مَعْمــودِ نَهى النُّهَى عن هوَى البِيضِ الرَّعادِيدِ[2]

استَوى جالِساً وأطْرق، حتى أتى الرَّجلُ على آخرِ الشِّعر، ثم رَفَع رأسه إليه ثم قال: أهذا شِعْرك؟ قال: نَعم أعزَّ اللهُ الأمير، قال: في كَمْ قُلتَه يا فتى؟ قال: في أربعة أشْهر، أبقاك الله، قال: لو قُلتَه في ثمانيةِ أشْهُر لكُنتَ مُحْسِناً، وقد اتَّهَمْتُك لجَوْدة شِعْرك وخُمول ذِكرك، فإن كُنتَ قائلَ هذا الشِّعر فقد أنظرْتُك أربعةَ أشْهُـر في مِثْلِه، وأمرتُ بالإجْراء عليك، فإن جِئتَنا بمِثْل هذا الشِّعر وَهبتُ لك مِائةَ ألفِ دِرْهم وإلا حَرَمْتك. فقال: أو الإقالة، أعزَّ اللهُ الأمير. قال: أَقَلْتُك، قال: الشِّعرُ لمُسْلِم بنِ الوَليد، وأنا راوِيتُه والوافِدُ عليك بشِعْره. فقال: [3]أنَا ابنُ حاتِم[3]، إنَّك لَمَّا افْتَتحتَ شِعرَه فقُلْت:

* لا تَدْعُ بي الشَّوْقَ إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ *

سَمِعتُ كلامَ مُسْلِم يُنادِيني فأجَبْت نِداءَه واستَوَيْتُ جالساً. ثم قال: يا غُلام، أعطِه عَشْرَةَ آلاف دِرْهم، واحمِل السَّاعةَ إلى مُسلمٍ مِائةَ ألف دِرْهم.

[١٩/٤٥] / أنشد الفضل بن سهل شعراً فولاه البريد بجرجان

أخبرَني الحُسَيْن بنُ القَاسِمِ الكَوْكَبِيّ، قال: حدَّثَنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حَدَّثني مَسعودُ بنُ عِيسى العَبْدِيّ، قال: أخبَرني مُوسَى بنُ عَبْدِ الله التَّميميّ، قال:

دَخَل مُسلم بنُ الوَليد الأنصاريّ على الفَضْل بن سَهْل ليُنْشِدَه شِعْراً، فقال له: أيُّها الكَهْل، إنِّي أُجِلُّك عن الشِّعر فسَلْ حاجَتَك، قال: بل تَسْتَتِمّ اليَدَ عندي بأن تَسْمَع، فأنْشَدَه:

---

(١) في مي، مج: «أسبع» بدل: «أضبع».

(٢) في الديوان ـ ١٥١: «نهى النهي عن هوى الهيف الرعاديد».

(٣ ـ ٣) التكملة من ما، ساقطة من مي، مج.

دُموعُها من حِذارِ البَيْنِ تَنْسَكِبُ وقَلبُها مُغرَمٌ من حَرِّها يَجِبُ
جِدّ الرَّحِيلُ به عنها ففارقَها لِبَيْنِهِ اللَّهوُ واللَّذَّاتُ والطَّرَبُ
يَهْوَى المَسِيرَ إلى مَرْوٍ ويَحزُنُه فِراقُها فهو ذو نَفْسَيْنِ يرتَقِبُ

فقال له الفَضْل: إني لأُجِلُّك عن الشعر، قال: فأغْنِني بما أَحْبَبتَ من عَملك؛ فَولاَّه البَريدَ بجُرْجان.

قال بيتاً من الشعر أخذ معناه من التوراة

أخبرني الحَسَنُ بنُ عَلِيّ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدَّثني الحُسَين بن أبي السَّرِيّ.
وأخبَرني بهذه الأخبار محمد بنُ خَلَف بن المَرْزُبان، قال: حدّثني إبراهيمُ بن محمد الوَرّاق، عن الحُسَيْن بن أبي السَّرِيّ قال: قيل لمُسلِم بنِ الوَليد: أيُّ شِعْرك أحبُّ إليك؟ قال: إن في شِعْري لَبَيْتاً أخذتُ معناه من التَّوراة، وهو قَوْلي:

دَلَّت على عَيْبِها الدُّنيا وصَدَّقَها ما استَرْجَع الدّهرُ ممّا كان أعْطاني

قذف في البحر بدفتر فيه شعره فقلّ شعره

قال الحُسين: وحدَّثني جماعة من أهْل جُرْجان أنَّ راوِية مُسلِم جاء إليه بعد أن تابَ ليَعرِض عليه شِعرَه، فتَغافَله مُسلِم، ثم أخَذَ منه الدَّفْتَر الذي في يدِه، فقَذَف به في البَحْر، فلهذا قَلَّ شِعْرُه، فلَيْس في أَيْدي النَّاس منه إلا ما كان بالعراق، وما كان في أيدي المَمْدُوحِين من مَدائِحهم.

[٤٦/١٩]

/ **كان يكره لقب صريع الغواني**

قال الحُسَين: وحدّثني الحُسين بنُ دِعْبل، قال: قال أبي لمُسْلم: ما مَعْنى ذلك:

* لا تَدْعُ بي الشّوقَ إنّي غيرُ مَعْمُود *

قال: لا تَدْعُني صَرِيعَ الغَواني فلستُ كَذلك؛ وكان يُلقَّبَ هذا اللَّقَب وكان له كارهاً.

عتب عليه عيسى بن داود ثم رضي عنه

أخبرني محمدُ بنُ خَلَف بنِ المرزُبان، قال: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ، عن أبيه، قال: عَتَب عِيسَى بنُ داود[١] على مُسلِم بن الوليد فهَجَره، وكان إليه مُحسناً، فكتب إليه مسلم:

شَكَرتُك للنُّعمى فلمّا رمَيْتَني بِصدِّكَ تأديباً شكرتُك في الهَجْرِ
فعِندِيَ للتَّأديب شُكْرٌ وللنَّدى وإن شِئت كان العَفْوُ أدْعى[٢] إلى الشُّكرِ
إذا ما اتّقاكَ[٣] المستليمُ بعُذْرِه فعَفْوك خَيرٌ من مَلامٍ على عُذْرِ

قال: فرَضي عنه وعادَ له إلى حاله.

(١) كذا في مي، مج. وفي ف: «عيسى برد أبيرود». وفي ما: «عيسى بن يزد أبيرود»
(٢) في ما والديوان ـ ٣١٩: «أدنى»، والمثبت من ف، مي، مج.
(٣) في ما: والديوان ـ ٣١٩: «إذا ما التقاك».

كان بخيلاً

أخبرني الحَسَن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثني محمدُ بنُ الأشعث، قال: حدّثني دِعْبِل بنُ عَليّ، قال:

كان مُسلِم بنُ الوَلِيد من أبخَلِ الناس، فرأيْتُه يوماً وقد استَقْبل الرِّضا عن غُلام له بعد مَوْجِدَة، فقال له: قد رَضِيتُ عنك وأمرتُ لك بدِرْهم.

[١٩/٤٧] / **يذمه دعبل عند الفضل بن سهل فيهجوه**

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ، قال: حدّثني ابنُ مَهْرُويه، قال: حدّثني محمدُ بنُ عمرو بن سعيد قال:

خرج دِعْبِل إلى خُراسانَ لَمَّا بَلَغَه حُظْوةُ مُسْلِم بنِ الولِيد عند الفَضْل بن سَهْل. فصار إلى مَرْو، وكَتَب إلى الفَضْل بنِ سَهْل:

لا تَعْبَأنْ بِابْنِ الوَلِيد فإنّه ... يرميك بعد ثلاثةٍ بمَلالِ

إنَّ المَلُولَ وإن تَقادَم عَهدُه ... كانت مَودّتُه كَفَيْءِ ظِلالِ

قال: فدَفَع الفَضْلُ إلى مُسلِم الرُّقْعَةَ وقال له: انظر يا أبَا الوليد إلى رُقعَةِ دِعْبِل فيك، فلمّا قرأها قال له: هل عَرفت لَقَب دِعْبِل وهو غُلام أمرد وهو يُفسَق به؟ قال: لا، قال: كان يُلَقّب بمَيّاس، ثم كتَب إليه:

مَيّاسُ قل لي: أينَ أنتَ من الورَى ... لا أنتَ مَعلومٌ[1] ولا مجهولُ!

أمّا الهِجاءُ فدَقّ عِرضك دونَه ... والمَدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جليلُ

فاذهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرضك إنّه ... عِرضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذَليلُ

ما جرى بينه وبين دعبل بسبب جارية

أخبرني محمدُ بن الحُسَين الكِنْديّ الكُوفيّ مُؤَدّبي، قال: حدّثني أزهرُ بن محمد، قال:

حدّثني الحُسَين بنُ دِعْبِل، قال: سمعتُ أبي يقول: بَيْنا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مَرّت بي جارية لم أر أحسنَ منها وَجْهاً ولا قدّاً تتَثنّى في مَشيِها وتَنظُر في أعطافِها، فقلت مُتعرِّضاً لها:

دُموعُ عيني بها انْبِساطُ ... ونَومُ عيني به انْقِباضُ

[١٩/٤٨] / فأجابَتْني بسُرعة فقالت:

وذا قليلٌ لمَن دَهَتْه ... بلَحْظِها الأعيُنُ المِراضُ

فأدهَشَتْني وعَجِبْت منها فقلت:

فهل لِمَولاي عَطفُ قَلْبٍ ... ولِلّذي في الحَشا انْقِراضُ

فأجابَتْني غير مُتوقِّفة فقالت:

إن كُنتَ تهوى الوِدادَ منا ... فالوُدُّ في دِينِنا قِراضُ

(١) في ف، مي، مج: معقول.

قال: فما دَخَل أُذُني كَلامٌ قطّ أَحلى من كَلامها، ولا رأيتُ أنضرَ وَجْهاً منهـا، فعدَلْتُ بها عن ذَلِك الشعر[١] وقلت:

أتُـرى الـزَّمـانُ يَسـرُّنـا بتَـلاقٍ ... ويَضُـمُّ مُشتَـاقـاً إلـى مُشْتـاقِ

فأجابَتْني بسُرعة فقالت:

مـا لِلـزَّمـانِ وللتَّحَكُّـم بيننـا ... أنـتَ الـزَّمـان فسُـرَّنـا بتَـلاقِ

قال: فمَضَيْت أمامها أؤُمّ بها دَارَ مُسلِم بنِ الوليد وهي تَتْبَعُني، فصِرتُ إلى مَنْزِله، فصادَفْتُه على عُسْرة، فدَفَع إليّ مِنْدِيلاً وقال: اذهَب فبِعْه، وخُذْ لنا ما نَحتاجُ إليه وعُدْ؛ فمَضَيْت مُسرِعاً. فلما رجَعْتُ وَجَدْتُ مُسلِماً قد خَلاَ بها في سِرْداب، فلما أحَسَّ بي وثب إليّ وقال: عَرَّفَك اللَّهُ يا أبا عَلِيّ جَمِيلَ ما فَعَلْت، ولَقَّاك ثَوابَه، وجَعَله أحسنَ حَسَنَةٍ لك، فغاظَنِي قولُه وطَنْزُه[٢]، وجَعلتُ أفكِّر أيَّ شيء أعمَل به، فقال: بحياتي يا أبا عَلِيّ أخبِرني مَنِ الذي يَقول:

بِـتُّ فـي دِرْعِهـا وبـات رَفِيقِـي ... جُنُـبَ القَلْـبِ طـاهِـرَ الأَطْـرافِ

/ فقلـت: [٤٩/١٩]

مَـنْ لَـهُ فـي حِـرِ أمِّـه ألـفُ قَـرْنٍ ... قـد أنـافَـتْ علـى عُلُـوِّ مَنـافِ!

وجعلت أشتُمه وأثِب[٣] عليه، فقال لي: يا أحمَق، مَنْزِلي دخلتَ، ومَنْدِيلي بِعت، ودَراهِمي أَنْفَقْت، على مَنْ تَحْرَد أنت؟ وأيّ شَيْء سَبَبُ حَرَدِك يا قَوّادُ؟ فقلت له: مهما كَذَبتَ عليّ فيه من شَيْء فما كَذَبتَ في الحُمْقِ والقِيادَة.

هجاؤه ثلاثة كانوا يصلونه

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ، قال: حدَّثني ابنُ مَهْرُويَه والعَنَزِيُّ، عن محمد بن عبدِ اللهِ العَبْديّ، قال:

هَجَا مُسلِمُ بنُ الوَلِيد سَعِيدَ بن سَلْم ويَزِيدَ بن مَزْيد وخُزَيْمة بنَ خازِم فقال:

دُيـونُـك لا يُقضَـى الـزَّمـانَ غَـرِيمُهـا ... وبخلُـك بُخـلُ البـاهِلِـيّ سَعِيـدِ
سَعِيـدُ بـنُ سَلْـم أبخـلُ[٤] النَّـاس كُلُّهـم ... ومـا قَـومُـه مـن بُخْلِـه ببَعِيـدِ
يَـزِيـدُ لـه فَضْـلٌ ولكـنَّ مَـزْيَـداً ... تَـداركَ فينـا بخلَـه بيَـزِيـد[٥]
خُـزيمـةُ لا عَيْـبٌ لـه[٦] غيـرَ أنـه ... لمطبخـه قُفْـلٌ وبـابُ حَـدِيـدِ

هجاؤه سعيد بن سلم

أخبرني هاشِمُ بنُ محمد الخُزاعيّ، قال: حدَّثنا عِيسَى بنُ إسماعيل تِينَةُ، قال: حدَّثنا الأصمَعِيُّ، قال: قال لي سَعِيدُ بنُ سَلْم: قَدِمَت عليّ امرأةٌ من باهِلَة من اليَمامة، فمدحَتْني بأَبْيات، ما تَمّ سُرُوي بها حتى

---

(١) في ما: «الوجه».
(٢) طنزه: سخريته وتهكمه.
(٣) ف: «وأبث عليه».
(٤) في الديوان ـ ٢٧١: «سعيد بن سلم ألأم الناس كلهم».
(٥) في الديوان ـ ٢٧١: «تدارك أقصى مجده بيزيد».
(٦) في الديوان ـ ٢٧١: «خزيمة لا بأس به غير أنه».

نَقَّصَنِيها مُسلِمُ بنُ الوَليد بهِجاء بَلَغني أنّه هَجاني به، فقلت: ما الأبياتُ التي مُدِحَتَ بها؟ فأنشدني:

[٥٠/١٩] / قُتَيْبَةُ قَيْسٍ ساد قَيْساً وسَلْمها ... فلما تَوَلَّى ساد قَيْساً سَعِيدُها

وسَيِّدُ قَيْسٍ سَيِّدُ النَّاس كلّها ... وإن مات مِن رَغْمٍ وذُلٍّ حَسودُها

هُمُ رفعوا كَفَّيْك بالمَجْدِ والعُلا ... ومَن يَرفَعُ الأبناءَ إلا جُدودُها

إذا مدّ للعليا سَعِيدٌ يَمينَه ... ثنت كَفُّه عنها أكُفّاً تُريدُها

قال الأصمَعِيّ: فقلتُ له: فبأيّ شَيْء نَقَّصها عليك مُسلِم؟ فضَحِكَ وقال: كلَّفْتَنِي شَطَطاً، ثم أنشد:

وأحببتُ من حُبِّها[1] الباخِلينَ ... حتى وَمِقْتُ ابنَ سَلْم سَعِيدَا

إذا سِيلَ عُرفاً كسا وَجهَه ... ثِياباً من النَّقْع صُفْراً وسُودَا[2]

يَغارُ[3] على المَالِ فِعْلَ الجَوا ... د وتأبى خلائِقُه أن يَجُودَا

يهجو بعض الكتاب لأنه لم يعجبه شعره

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُرانيُّ، قال: حدّثني النَّوْشَجانيُّ الخَليلُ بن أَسَد، قال: حدّثني عليُّ بنُ عَمْرو، قال:

وَقَف بعضُ الكُتّاب على مُسلِم بنِ الوَليد وهو يُنشِد شِعْراً له في مَحْفِل، فأطال ثم انصرف، وقال لِرَجُل كان مَعَه: ما أدْرِي أيَّ شيء أعجَب الخَليفةَ والخَاصَّةَ من شِعْر هذا؟ فوالله ما سَمِعْتُ منه طائِلاً، فقال مُسلِم: رُدُّوا عليَّ الرَّجل، فرُدَّ إليه، فأقبَل عليه ثم قال:

أمّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرضُك دونَه ... والمَدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جليلُ

فاذْهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرضِك إنّه ... عِرضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذَليلُ

[٥١/١٩] / **كان أستاذاً لدعبل ثم تخاصما ولم يلتقيا**

أخبَرني محمد بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان، قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ محمد الوَرّاقُ، قال: حدّثني الحُسَيْن بنُ أبي السَّرِيّ، قال:

كان مُسلم بنُ الوَليد أُستاذَ دِعْبِل وعنه أخَذ، ومن بَحْره استَقَى. وحدّثني دِعْبِل أنّه كان لا يزال يَقول الشِّعر فيعرضُه على مُسْلم، فيقول له: إيّاك أن يكون أوّلُ ما يَظْهَر لك ساقِطاً فتُعرَف به، ثم لو قلت كُلَّ شَيْء جَيّداً كان الأوّل أشْهَرَ عنك، وكُنتَ أبداً لا تَزال تُعيَّر به، حَتّى قُلْتُ:

* أينَ الشَّبابُ وأيّةً سَلَكا *

فلما سَمِع هذه قال لي: أظهِر الآن شِعرَك كيف شِئْت.

قال الحُسن: وحَدّثني أبو تَمّام الطّائيّ قال:

---

(١) في ما: «من أجلها».

(٢) في الديوان ـ ٢٧٠: «ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً».

(٣) في ف: «أغار». وفي الديوان ـ ٢٧٠: «يغير».

ما زال دِعْبِل مُتَعصّباً لمُسْلم، مائِلاً إليه، مُعترِفاً بأُستاذِيّته حتى وَرَد عليه جُرْجانَ، فجَفاه مُسلِم، وهَجَره دِعْبِل، فكتب إليه:

أبـا مَخْلَـدٍ كُنّا عَقِيدَيْ مَـوَدَّة ... هَـوانَا وقَلْبانا جَميعاً مَعاً مَعا

أحـوطُك بـالغَيْب الـذي أنتَ حـائِطِي ... وأجْـزَعُ إشفـاقاً بـأنْ تَتَـوجّعَـا[1]

فصَيَّـرتَنـي بعـد انْتِكـاثِـك[2] مُتْهِمـاً ... لنفسـي عليهـا أرهَـبُ الخَلْـق أجْمَعَـا

غَشَشْتَ الهـوى حتـى تَـداعَتْ أُصـولُـه ... بنـا وابتَـذَلْـتَ الـوَصـلَ حتـى تَقطَّعـا

وأنـزلْـتَ مـن بيـن الجَـوانـح والحَشـا ... ذَخيـرةَ وُدٍّ طـال مـا قـد تمنَّعَـا

فـلا تَلْحَيَنِّـي ليـس لـي فيـكَ مَطْمَـع ... تَخـرَّقْـتَ حتـى لـم أجِـد لـك مَـرْقَعَـا

فَهبْـك يَمِينـي استـأكَلَـتْ فَقَطَعْتُهـا ... وَجَشَّمْـتُ قلبـي صَبْـرَه فَتَشَجَّعَـا[3]

/ قال: ثم تَهاجَرا بعد ذلك، فما الْتَقَيا حتى ماتا. [١٩/٥٢]

محمد بن أبي أمية يمزح معه

أخبرني عَمّي، قال: حدّثنا أحمدُ بن أبي طاهر، قال: أخبرَني أحمدُ بن أبي أُميّة، قال: لقي أخي محمدُ بنُ أبي أُميّة مُسلِمَ بنَ الوَليدِ وهو يتَثَنّى[4]، ورواته مع بَعْض أصحابه[5]، فسَلّم عليه، ثم قال له: قد حضرَني شيء. فقال: هاته، قال: على أنه مزاح ولا تَغْضب، قال: هاته ولو كان شَتْماً، فأنشدتُه:

مـن رَأى فيمـا خَـلا رَجُـلاً تِيـهُـه أرْبَـى عـلـى جِـدَتِـهْ

يـتَـمـشّـى راجـلاً ولـه شـاكِـرِيّ فـي قَـلَـنْسِـيَـتِـه

فسكت عنه مُسلِم ولم يُجِبه، وضَحِك ابنُ أبي أُميّة وافترَقا.

لقي محمد بن أبي أمية بعد موت برذونه فردّ عليه مزاحه

قال: وكان لمحمد بِرْذَوْن يركبُه فنفق، فلَقِيه مُسلِم وهو راجل، فقال: ما فَعَل بِرْذَوْنُك؟ قال: نَفَقَ، قال: فنُجازيك إذاً على ما أسلَفْتَنَاه، ثم أنشده:

قـل لابـن مَـيٍّ لا تَكُـن جـازِعـاً ... لـن يَـرْجـع البِـرْذَوْنُ بـاللَّيْـتِ[6]

طـامِـنَ أحشـاءَك فِقْـدانُـه[7] ... وكُنْـتَ فيـه عـالِـيَ الصَّـوتِ

(١) المختار: «من أن يتوجعا». وفي ف: «أحوطك بالغيب الذي لست حائطي».

(٢) المختار: «بعد انتهابك».

(٣) المختار: «صبوةً فتجشما» بدل: «صبره فتجشعا».

(٤) في ما: «يمشي».

(٥) في مي: «وطويلته مع بعض أصحابه».

(٦) في الديوان ـ ٢٨٢: «ليس على البرذون من فوت». والبرذون: ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء.

(٧) في الديوان ـ ٢٨٢: «طأطأ من تيهك فقدانه».

وكُنْتَ لا تَنْزِلُ عن ظَهْرِه ولو من الحُشِّ[١] إلى البَيْتِ
ما ماتَ مِنْ سُقْمٍ ولكِنَّه[٢] ماتَ من الشَّوقِ إلى المَوْتِ

أبو تمام يحفظ شعره وشعر أبي نواس

أخبَرَني الحَسَنُ بنُ عليّ، قال: حدَّثني ابنُ مَهْرُويه، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ سَعِيد الحَرِيريّ أنَّ أبا تَمَّام حَلَفَ ألّاَ يُصَلِّيَ حتى يحفظ شِعْرَ مُسلِم وأبِي نُواس، فَمَكَثَ / شَهْرَين كذلك حتى حفِظ شِعرَهما. قال: ودخلتُ عليه فرأيت شِعرَهما بين يَدَيْه، فقلت له: ما هذا؟ فقال: اللاَّت والعُزَّى وأَنا أعبدُهما مِن دُون الله. [١٩/٥٣]

اجتمع مع أبي نواس فتناشدا شعرهما

أخبَرني الحَسَنُ بنُ عَلِيّ، قال: حدَّثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدَّثني سَمْعانُ بنُ عبد الصّمد، قال: حدَّثني دِعْبِل بنُ عليّ، قال:

كان أبو نُواس يسألُني أن أجمَع بينه وبين مُسلِم بن الوليد؛ وكان مُسلِم يسألُني أن أجمَع بينه وبين أبي نُواس، وكان أبو نُواس إذا حَضَر تخلَّف مُسْلِم، وإذا حَضَر مُسلِم تخلَّف أبُو نُواس، إلى أن اجْتَمَعا، فأنشده أبو نُواس:

أجارةَ بَيْتَيْنا أبُوكِ غَيُورُ ومَيْسُور ما يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وأنشدَه مُسلِم:

للهِ مِن هاشِمٍ في أرْضِه جَبَلٌ وأنتَ وابنُك رُكْنَا ذَلِك الْجَبَلِ

فقلت لأبي نُواس: كيفَ رأيتَ مُسلِماً؟ فقال: هو أشْعَر النّاس بَعدِي. وسألت مُسلِماً وقلت: كيفَ رأيتَ أبا نُواس؟ فقال: هو أشعَرُ الناس وأنا بَعْده.

أمر له ذو الرياستين بمال عظيم بعد أن أنشده شعراً شكا فيه حاله

أخبرني الحَسَنُ، قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنصاريّ من ولَدِ النُّعمانِ بنِ بَشِير، قال: حدثني مسلم بن الوليد، قال:

وَجَّه إليَّ ذُو الرِّياسَتَيْن، فحُمِلتُ إليه، فقال: أنشِدْني قولك:

بالغَمْرِ من زَيْنَبَ أطْلالُ مَرَّتْ بها بعدك أحوالُ

فأنشدْتُه إيّاها حتَّى انتَهَيْتُ إلى قولي:

وقائلٍ ليست له هِمَّةٌ كلاَّ ولكن لَيس لي مالُ
وهِمَّةُ المُقْتِرِ أُمْنِيَّةٌ هَمٌّ مع الدَّهر[٣] وأشْغالُ
/ لا جِدَةٌ أُنهِضُ عَزْمي بها[٤] والنّاسُ سُؤَّالٌ وبُخَّالُ [١٩/٥٤]

(١) الحش: البستان.
(٢) في الديوان ـ ٢٨٢: «ما مات من حتف ولكنه».
(٣) الديوان ـ ١٢١: «عون على الدهر».
(٤) في الديوان ـ ١٥٠: «لا حدة تنهض في عزمها».

فاقعُدْ معَ الدَّهرِ إلى دَوْلَةٍ تَرفَعُ فيها حالَكَ الحالُ[1]

قال: فلمّا أنشدتُه هذا البيت قال: هذه واللهِ الدّولةُ التي تَرْفَعُ حالَك[2]. وأمر لي بمَالٍ عَظِيمٍ وقلّدني ـ أو قال قَبّلَني ـ جَوْزَ جُرْجان[3].

هجا معن بن زائدة ويزيد بن مزيد فهدده الرشيد

حدّثني جَحْظَة، قال: حدّثني مَيْمُونُ بنُ هَارون، قال:

كان مُسلِمُ بنُ الوليد قد انحرف عن مَعْنِ بنِ زائدَة بعد مَدْحه إياه، لِشيء أوحَشَه منه، فسَأله يَزِيدُ بنُ مَزْيد أن يَهَبه له، فوَعَده ولم يَفْعل، فتركَه يَزِيد خَوفاً منه، فهجاه هِجاءً كثيراً، حتى حَلَف له الرشيد إن عَاوَدَ هِجاءَه قَطَع لِسانَه، فمِن ذلك قولُه فيه:

يا مَعْنُ إنّك لم تَزَل في خَزْيَةٍ حتى لَفَفتَ أباكَ في الأكفانِ

فاشكُر بَلاءَ المَوْتِ عِندَكَ إنّه أودى بلُؤْمِ الحَيّ من شيْبَانِ

قال: وهَجا أيضاً يَزِيدَ بنَ مَزْيدَ بعد مَدْحِه إياه فقال:

أيَزِيدُ يا مَغْرورُ ألأمَ مَنْ مَشَى تَرجُو الفَلاحَ وأنتَ نُطْفَةُ[4] مَزْيَدِ

إن كُنتَ تُنكِر مَنطِقي فاصرُخ به يَوْمَ العَرُوبةِ[5] عند بابِ المَسْجِدِ

في مَنْ يَزِيدُ فإن أصبتَ بِمَزْيدٍ فَلْساً فَهاكَ على مُخاطَرةٍ يَدِي

/ هكذا روى جَحْظَة في هذا الخَبَر، والشِّعران جميعاً في يزِيدَ بنِ مَزْيَد، فالأوّل منهما أوّلُه: [١٩/٥٥]

* أيَزِيدُ إنّك لم تَزَل في خَزْيَةٍ *

وهكذا هو في شعر مُسلِم. ولم يَلْق مُسلِم مَعْنَ بنَ زائِدَة، ولا له فيه مَدْح ولا هِجاء.

رثاؤه يزيد بن مزيد

أخبرني عَمّي، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبد الله بنِ جُشَم، قال:

كان يَزِيدُ بنُ مَزْيد قد سأل مُسلِمَ بنَ الوليد عما يَكْفيه ويَكفِي عيالَه، فأخبره فجعَله جرايةً له، ثم قال: لَيْس هذا مما تُحاسَبُ به بَدَلاً من جائزةٍ أو ثَوابِ مَدِيح. فكان يَبْعَث به إليه في كُلّ سنة، فلمّا مات يَزِيد رَثاه مُسلِم فقال:

أحقّاً أنّه أودَى يَزِيدُ تَبَيّنْ أيُّها النّاعِي المُشِيدُ!

أتَدْرِي مَن نَعَيْتَ وكيفَ دَارَتْ بهِ شَفَتَاكَ دار بها الصَّعِيدُ[6]

---

(١) في الديوان ـ ١٥٠: «فاصبر مع الدهر... تحمل فيها...».

(٢) في مي، مج: «التي ترفع حالك الخال». وفي المختار: «هذه الدولة التي يرفع فيها حالك».

(٣) ما: «حوز». ولعلها جوز حانان أو جوزجان، وهما واحد. اسم لكورة واسعة من كور بلخ بخراسان. وقبّله: جعله يلتزم العمل.

(٤) في ف: «خلقة».

(٥) يوم العروبة: يوم الجمعة، وهو من أسمائها القديمة.

(٦) في الديوان ـ ١٤٧:

تأمل من نعيت وكيف فاهت به شفتاك كان بها الصعيد

أحـامِـي المَجْـدِ والإسـلام أودَى — فمـا لِـلأرض وَيْحـك لا تَمِيـدُ!
تـأمَّـلْ هـل تَـرَى الإسْـلامَ مـالـت — دعـائِمُـه وهـل شـابَ الـولِيـدُ
وهـل شِيمَـت سُيـوفُ بَنـي نِـزار — وهـل وُضِعَـت عـن الْخَيْـل اللُّبـودُ
وهـل تَسْقِـي البِـلادَ عُشَّـارُ[1] مُـزْنٍ — بـدِرَّتِهـا وهـل يَخْضَـرّ عُـودُ
أمـا هُـدّت لمَصْـرعِـه نِـزارٌ — بلـى وتقـوَّض المَجْـدُ المَشِيـدُ
وحـلَّ ضَـرِيحَـه إذ حـلَّ فيـه — طـرِيـفُ المَجْـد والحَسَـبُ التَّلِيـدُ

[١٩/٥٦] / أمـا والله مـا تنفَـكُّ عَيْنـي — عليـك بـدَمْعِهـا أبـداً تَجـودُ
وإن تَجْمُـدْ دُمـوعُ لَئِيـم قـومٍ — فليـس لـدَمْـع ذي حَسَـبٍ جُمـودُ
أبعْـد يَـزِيـدَ تَخْتَـزِنُ البَـواكِـي — دُمـوعـاً أو تُصـانُ لهـا خُـدُودُ
لِتَبْكِـكَ قُبَّـةُ الإسـلام لَمَّـا — وَهَـتْ أطنـابُهـا ووَهَـى العَمُـودُ
ويبكِـكَ شـاعِـرٌ لـم يُبْـقِ دَهْـرٌ — لـه نَشَبـاً وقـد كَسَـد القَصِيـدُ
فـإن يَهْلِـك يـزِيـدُ فكُـلُّ حَـيٍّ — فَـرِيـسٌ للمَنِيَّـةِ أو طَـرِيـدُ

هكذا في الخبر، والقصيدة للتَّيميّ.

مدح الفضل بن سهل

أخبرني محمدُ بنُ يَحيى الصُّوليّ، قال: حدَّثنا الهِشاميُّ، قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ عَمْرو، قال: حدَّثني مُوسَى بنُ عبد الله التَّميميّ، قال: دخل مُسلِم بنُ الوليد على الفَضْل بنِ سَهْل، فأنشدَه قولَه فيه:

لـو نَطَـق النـاسُ أو أنْبـوْا بعلمهـمُ — ونبّهـتْ عـن مَعـالِـي دَهْـرِك الكُتُـبُ[2]
لـم يَبْلُغـوا منـك أدنـى مـا تَمُـتُّ بـه — إذا تفـاخـرت الأمـلاكُ وانْتَسَبُـوا

فأمر له عن كُلّ بيت من هذه القصيدة بألفِ دِرْهم.

رثاؤه الفضل بن سهل

ثم قُتِلَ الفَضْل فقال يَرْثيه:

ذَهَلْتُ فلـم أنقَـع غَلِيـلاً بعَبْـرةٍ — وأكبـرتُ أن ألقـى بيـومـك نـاعِيـا
فلمَّـا بَـدَا لـي أنّـه لاعِـجُ الأسَـى — وأنْ ليْـسَ إلا الـدَّمـعُ للحُـزْنِ شـافِيَـا
أقمـتُ لـك الأنـواحَ تَـرتـدُّ بينهـا — مـآتِـمُ تنـدبـن[3] النَّـدَى والمَعـالِيـا
ومـا كـان مَنْعَـى الفَضْـل مَنْعـاةَ وَاحـدٍ[4] — ولكـنّ مَنْعَـى الفَضْـل كـان مَنـاعِيـا

[١٩/٥٧] / أللبَـأْسِ أم لِلجُـود أم لمُقـاوِمٍ — مـن المُلْـكِ يَـزْحَمْـن الجبالَ الـرَّوَاسِيَـا!

---

(١) في ما، والوفيات: ثقال مزن. وعشار معدول عن عشرة عشرة، يقال: جاءوا عشار أي جاءوا عشرة عشرة.
(٢) في الديوان ـ ٣٠٤: ٥. . . أو أنْبَوا بعلمهم». وفي المختار: «ونبأت عن معالي دهرك».
(٣) ف: «تبدين الندى والمعاليا».
(٤) وفي ف والديوان ـ ٣٤٦: «منعى وحادة». وفي ما والمختار: «منعى وجادة».

عَفَتْ بَعدَكَ الأيّامُ لا بل تَبدَّلت ... وكُنّ كأعيادٍ فعُدْنَ مَباكِيا
فلم أرَ إلّا قَبلَ يومِك ضاحِكاً ... ولم أرَ إلا بَعدَ يومِك باكِيا

عابه العباس بن الأحنف في مجلس فهجاه

أخبرني الحُسَين بنُ القَاسم الكَوْكبيُّ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ عجلان، قال: حدثنا يَعقوبُ بنُ السِّكّيت، قال: أخبرني محمد بن المُهَنّا، قال:

كان العَبّاسُ بنُ الأحنَف مع إخوان له على شَراب، فذكروا مُسلِمَ بنَ الوليد، فقال بعضُهم: صَرِيعُ الغَواني، فقال العَبّاس: ذاكَ يَنْبَغي أن يُسَمَّى صَرِيع الغِيلان لا صَرِيع الغَواني، وبَلَغ ذلك مُسلِماً فقال يَهْجُوه:

بَنُو حَنِيفَةَ لا يَرضَى الدَّعِيُّ بهم ... فاتْرُكْ حَنِيفَةَ واطلُب غيرَها نَسَبا
فاذْهَبْ فأنتَ طَلِيقُ الحِلْم[1] مُرتَهَنٌ ... بسَوْرة الجَهْلِ ما لم أمْلِك الغَضَبا
اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرضَى بِنِسْبَتِهم ... إني أرَى لكَ خَلْقاً يُشبِهُ العَرَبا
مُنّيتَ مِنّي وقد جَدَّ الجِراءُ[2] بنا ... بغايةٍ مَنَعَتْك الفَوْتَ والطَّلَبا

ينصرف عن هجاء خزيمة بن خازم ويتمسك بهجاء سعيد بن سلم

أخبرني محمد بنُ يَزِيد، قال: حدثنا حَمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: قلتُ لمُسلِم بنِ الوَليد: وَيْحَك! أما استَحْيَيْتَ من النّاس حين تَهجو خُزَيْمةَ بنَ خازِم، ولا استحْيَيْتَ منا ونحن إخوانُك، وقد علمتَ أنّا نَتولّاه وهو مَنْ تَعرِف فَضْلاً وجُوداً؟ فضَحِك، وقال لي: يا أبا إسحاق، لِغَيْرِك الجَهْل، أما تَعْلم أنَّ الهجاء آخِذٌ بِضَبْع الشّاعر وأجدَى عليه من المَدِيح المُضرِع؟ وما ظَلمتُ مع ذلك منهم أحداً، / ما مَضَى فلا سَبِيلَ إلى رَدِّه، [٥٨/١٩] ولكن قد وَهبتُ لك عِرْضَ خُزَيْمَة بعد هذا. قال: ثم أنشدَني قولَه في سَعِيد بن سَلْم:

دُيونُك لا يُقضَى الزَّمانَ غَرِيمُها ... وبُخلُك بُخلُ الباهِليِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْم أبخَلُ الناس كُلِّهم ... وما قَومُه من بُخله ببَعِيدِ

فقلتُ له: وسَعِيدُ بنُ سَلْم صَديقي أيضاً، فهَبْه لي، فقال: إن أقبلْتَ على ما يَعْنيك، وإلا رَجعْتُ فيما وهبتُ لك من خُزَيمة، فأمسَكْتُ عنه راضِياً بالكَفاف.

مدح محمد بن يزيد بن مزيد ثم انصرف عنه

أخبرني حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيّ، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سَعْد، قال: حدثني عبدُ الله بنُ محمد بنِ مُوسَى بنِ عُمَر بنِ حَمْزة بن بَزِيع، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ الحَسَن اللِّهبيّ، قال:

كان مُسلِم بنُ الوَليد مَدّاحاً لِيَزيدَ بنِ مَزْيد، وكان يُؤثِره ويُقدّمه ويُجزِل صِلَته، فلما ماتَ وفَد على ابنه محمد، فمدَحه وعزّاه عن أبيه، وأقام ببابه أيّاماً فلم يَرَ منه ما يُحِبّ، فانصرف عنه وقال فيه:

لَبِستُ عَزاءً عن لِقاء محمدٍ ... وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودَا

(١) في الديوان ـ ٢٥٩: «فاقعد فأنت طليق العفو مرتهن».
(٢) في الديوان ـ ٢٥٩: «وقد هاج الرهان». والجراء: الفتوة.

وقلتُ لِنَفْسٍ قادَها الشّوقُ نحوَه فَعوَّضها منه اللِّقاءُ صُدُودَا[1]
هَبِيهِ امرأً قد كان أصفاكِ وُدَّه وماتَ وإلا فاحسُبِيهِ يَزِيدَا
لعَمْرِي لقد وَلَّى فلم أَلْقَ بَعدَه وفاءً لذي عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا

مدح الفضل بن يحيى فأجزل له العطاء ووهبه جارية أعجبته بعد أن قال فيها شعراً

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بنِ دَاوُدَ، قال:

[١٩/٥٩] / دَخَل مُسلِم بنُ الوَليد يوماً على الفَضْل بن يَحْيى، وقد كان أتاه خَبَرُ مَسيرِه، فجلس للشُّعراء فَمَدَحُوه وأثابَهم، ونَظَر في حَوائجِ النّاس فقَضَاها، وتفرَّق النّاسُ عنه، وجلس للشّرب، ومُسْلِم غَيْرُ حاضِرٍ لذلك، وإنَّما بَلَغَه حين انْقَضى المَجْلِس، فجَاءَه فأُدخِل إليه فاستَأْذن في الإنشاد، فأَذِن له، فأنْشَده قولَه فيه:

أتَتْك المَطايَا تَهْتَدِي بمَطِيَّةٍ عليها فَتًى كالنَّصْلِ مُؤنِسُه النَّصْلُ

يَقولُ فيها:

وَرَدتُ[2] رِواقَ الفَضْلِ آمُلُ فَضْلَه فحَطَّ الثَّناءَ الجَزْلَ نائِلُه الجَزْلُ
فتًى تَرتَعِي الآمالُ مُزنَةَ جُودِه[3] إذا كان مَرْعَاها الأمانِيُّ والمَطْلُ
تَساقطُ يُمناه النَّدى وشِمالُه الرَّدى وعُيونُ القَوْل مَنْطِقُه الفَصْلُ
أَلَحَّ على الأيام يَفْرِي خُطُوبَها على مَنْهجٍ أَلْفَى أباه به قَبْلُ
أنافَ به العلياءَ يَحْيى وخالِدٌ فلَيسَ له مِثْلٌ ولا لَهُما مِثْلُ
فُروعٌ أصابت مَغْرِساً مُتَمَكِّناً وأَصْلاً فطابت حيث وجّهها الأَصلُ[4]
بكَفِّ أبي العَبّاس يُستَمطَر الغِنَى وتُستَنزَل النُّعمى ويُسْتَرعَف النَّصلُ

قال: فطَرِب الفَضْل طَرَباً شَدِيداً، وأمر بأنْ تُعَدَّ الأبياتُ، فعُدَّت فكانت ثَمانِين بَيْتاً فأمر له بثَمانِين ألف درهم، وقال: لولا أنَّها أكثر ما وُصِل به الشُّعراء لزِدْتُك، ولكنّه شأوٌ لا يُمْكِنُني أن أتجاوَزه ـ يعني أنَّ الرشيدَ رَسَمَه [١٩/٦٠] لِمَرْوان بن أبي / حَفْصة ـ وأمره بالجُلوس معه والمُقام عنده لمُنادَمَته، فأقام عنده، وشَرب معه، وكان على رَأْس الفَضل وَصِيفة تَسْقِيه كأنها لُؤلُؤَة، فلَمَح الفَضْلُ مُسلِماً ينظر إليها، فقال: قد ـ وحَياتي يا أبا الوَليد ـ أعجبَتْك، فقُل فيها أبياتاً حتى أَهَبَها لك، فقال:

إن كُنتِ تَسْقِين غيرَ الرَّاح فاسقِينِي كأساً أَلَذَّ بها من فِيكِ تَشْفِينِي
عَيْناكِ راحِي، ورَيْحاني حَدِيثُك لي، ولَونُ خَدَّيْك لَونُ الوَرْد يَكْفِيني
إذا نَهانِيَ عن شُرْب الطِّلا حَرَجٌ فخَمْرُ عَيْنَيْكِ يُغنِيني ويَجْزِيني

---

(١) في الديوان ـ ٣١٠: «فعوضها حب اللقاء صدوداً».

(٢) في الديوان ـ ٢٦٣: «وردن رواق الفضل فضل ابن جعفر».

(٣) في ما: «فضله». وفي المختار: «الأماني والبُطل».

(٤) في ما: «فطالت». وفي الديوان ـ ٢٦٤:

فروع تلقتها المغارس فاعتلى بها عاطفاً أعناقها قصده الأصل

لولاَ علاماتُ شيبٍ لو أتت وَعَظت   لقد صَحوتُ ولكن سوف تأتيني
أُرضِي الشَّبابَ فإن أهلِك فعن قَدَر   وإن بَقِيتُ فإن الشَّيبَ يُشقِيني[1]

فقال له: خُذها بُورِك لك فيها. وأمر بتوجيهها مع بَعْض خدمها إليه.

ماتت زوجته فجزع عليها وتنسك

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبِيّ، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ إبراهيم، قال:

كانت لمُسلِم بنِ الوليد زوجَةٌ من أهله، كانت تكفيه أمرَه وتَسُرُّه فيما تَلِيه له[2] منه، فماتت فجَزِع عليها جَزَعاً شَدِيداً، وتَنسَّك مُدَّة طويلة، وعَزَم على مُلازَمة ذلك، فأقسَم عليه بعضُ إخوانِه ذاتَ يوم أن يَزُوره فَفَعَل، فأكلوا وقدَّموا الشَّرابَ، فامتنع منه مُسلِم وأباه، وأنشأ يقول:

بُكَاءٌ وكَأسٌ، كيف يَتَّفِقانِ؟[3]   سَبِيلاهُما في القَلْب مُختَلِفانِ
دَعَانِي وإفراطَ البُكاءِ فإنَّني   أرَى اليومَ فيه غَيْرَ ما تَرَيانِ
غَدَتْ والثَّرى أولَى بها من وَلِيِّها   إلى منزلٍ ناءٍ لعَيْنِكَ دَانِ
فلا حُزْن حتى تَذرِفَ العَينُ ماءَها   وتعترِفَ الأحشاءُ للخَفَقانِ
وكَيفَ بِدفْع اليأسِ للوَجْدِ بعدَها   وسَهْمَاهُما[4] في القلب يَختَلِجانِ!

[٦١/١٩]

هاجاه ابن قنبر فأمسك عنه بعد أن بسط لسانه فيه

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر، قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني عَلِيُّ بنُ الصَّبّاح، قال: حدثني مالكُ بنُ إبراهيم، قال:

كان مُسلِم بنُ الوليد يُهاجِي الحَكَم بنَ قَنْبر المَازِنيّ، فغَلَب عليه ابنُ قَنْبر مدة وأخرسه، ثم أثاب مُسلِم بعد أن انْخزَل وأُفحِم، فهتَك ابنَ قَنْبر حتى كَفّ عن مُناقَضَتِه، فكان يَهْرب منه، فإذا لَقِيه مُسلِم قَبَض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيُمْسِك عن إجابته؛ ثم جَاءَه ابنُ قَنْبر إلى منزله واعْتذَر إليه ممّا سَلَف، وتَحمَّل عليه بأهلِه وسَأله الإمساكَ، فوَعَده بذلك، فقال فيه:

حَلُم ابنُ قَنْبرَ حين أقْصَر جهلُه   هل كان يَحلُم شاعِرٌ عن شاعِرِ؟
ما أنتَ بالحَكَم الذي سُمِّيتَه   غالتْك حِلْمَك هَفْوةٌ من قاهرِ
لولا اعْتِذارُك لارْتَمى بك زاجِرٌ   مَرِحُ العُبابِ يَفوتُ طرف النّاظِرِ
لا تُرتِعَنْ لَحمِي لِسانَك بعدَها   إنّي أخاف عليك شَفْرةَ جَازِرِ
واستَغْنِم العَفوَ الذي أوتِيتَه   لا تأمَنَنْ عُقوبةً من قادِرِ

---

(١) في الديوان ـ ٣٤٤: «... فإن الشيب يسلبني».
(٢) المختار: «وتستره عن الناس بمالها».
(٣) المختار: «يجتمعان».
(٤) في ف، ما: «وهَمّاهُما».

مسلم وابن قنبر يتهاجيان في مسجد الرصافة

أَخْبَرَنِي الحَسَن بنُ عَلِيّ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ القَاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثني محمد بنُ عبد الله أبو بكر العَبْديّ، قال:

رأيتُ مسلمَ بنَ الوليد وابنَ قَنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جُمُعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجَيان، فبدأ مسلم فقال:

أنا النَّار في أحجارها مُستكنَّةٌ ... فإن كنتَ ممن يقدحُ النَّارَ فاقدحِ

[١٩/٦٢] / فأجابه ابنُ قَنبر فقال:

قد كنتَ تَهوي وما قوسي بمُوتَرة ... فكيف ظنُّك بي والقوسُ في الوَترِ

قال: فوثب إليه مسلم وتواخزا[1] وتواثبا، وحَجَز الناسُ بينهما فتفرّقا.

لامه رجل من الأنصار على انخزاله أمام ابن قنبر فعاد إلى هجائه

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثني محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثني عليّ بن عُبيد الكوفيّ، قال: حدثني عليُّ بن عمروس الأنصاريّ، قال:

جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخَزْرَج إلى مُسلم بنِ الوليد فقال له: وَيْلك ما لَنا ولَك، قد فضَحتنا وأخزيتَنا، تعرّضتَ لابن قَنْبر فهاجَيْتَه، حتى إذا أمكنْتَه من أعراضنا انخزَلتَ عنه وأرعَيْتَه لُحومَنا، فلا أنت سَكتَّ ووَسِعك ما وَسِع غيرك، ولا أنت لَمّا انتصرتَ انتصفتَ. فقال له مسلم: فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه، فإن كفَّ وإلا تحمَّلتُ عليه بإخوانه، فإن كَفّ وإلا وَكلتُه إلى بَغْيه، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهر له ليلةً يدعو اللهَ عليه فيها فإنها تُهلِكه، فقال له الأنصاريّ: سَخِنَتْ عينُك! أَوَ بهذا تَنتصِفُ ممن هجاك؟ ثم قال له:

قد لاذ من خوفِ ابنِ قَنبرٍ مُسلمٌ ... بدُعاء والِدِه مع الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ
ثَكِلَتْك أمُّكَ قد هتكتَ حريمَنا ... وفضَحتَ أُسرتَنا بني النجارِ
عمَّمتَ خَزْرَجَنا ومعشَر أَوْسِنا ... خِزياً جَنيتَ به على الأنصارِ
فعليكَ من مولًى وناصرِ أُسرةٍ ... وعشيرةٍ غضَبُ الإلَهِ الباري

قال: فكاد مسلم أن يموت غمّا وبكاءً وقال له: أنت شرٌّ عليّ من ابنِ قَنبر. ثم أثاب وَحِمّي، فهتك ابنَ قَنبر ومَزَّقه حتى تركه، وتحمّل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة.

[١٩/٦٣] / رجع الحديث عما وقع بينه وبين ابن قنبر

ونَسختُ هذا الخبرَ من كتاب جدّي يحيى بنِ محمد بن ثَوابَة بخطه، قال:

حدثني الحسن بن سعيد، قال: حدثني منصور بنُ جُمهُور قال:

---

(١) تواخزا: طعن كل منهم صاحبه طعنة غير نافذة.

لما هجا ابنُ قَنبر مسلمَ بنَ الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشلَى[١] عليه لسانَه قال: فجاءه عمٌّ له فقال له: يا هذا الرجل، إنك عند الناس فوق ابنِ قَنبر في عَمود الشعر، وقد بَعث[٢] عليك لسانَه ثم أمسكتَ عنه، فإما أن قارَعْتَه أو سالَمْتَه. فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجَّد فيه، وله بين ذلك دَعَوات يدعو بهنّ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دَعَواته، فإنا نُكْفاه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غلب ابنُ قَنبر واللئيمُ مُغلَّبٌ ... لما اتَّقيتَ هِجاءه بدُعاءِ

ما زال يقذف بالهجاء ولذعِه ... حتى اتّقوه بدَعوة الآباء!

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابنُ قَنبر يبلغ مني هذا كلَّه، فأمسِكْ لسانك عني، وتعرَّف خبره بعد هذا. قال: فبعث ـ واللهِ ـ عليه من لسان مسلم ما أسكتَه. هكذا جاء في الأخبار.

وقد حدثني بخبر مناقضتِه ابنَ قَنبر جماعةٌ ذكروا قصائدَهما جميعاً، فوجدت في الشعر الفضلَ لابنِ قَنبر عليه، لأن له عدةَ قصائد لا نقائضَ لها، يذكر فيها تعريدَه[٣] عن الجواب، وقصائدَ يذكر فيها أنّ مسلماً فَخَر على قريش وعلى النبي ﷺ ورماه بأشياء تُبيح دمَه، فكفَّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها، وجَحَد أشياء كان قالها فيه.

فمن أخبرني بذلك هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ، قال:

حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ عبدِ الله بنُ الوليد مولى الأنصار، وكان عالماً بشعر مسلم بنِ الوليد وأخباره، قال:

[١٩/٦٤]

/ سبب المهاجاة بينه وبين ابن قنبر

كان سببُ المهاجاة بين مسلم بنِ الوليد والحكَم بنِ قَنبر أنَّ الطِّرِمّاح بنَ حَكِيم قد كان هجا بني تَميم بقصيدته التي يقول فيها:

لا عَزَّ نصرُ امرىءٍ أضحَى له فرسٌ ... على تميم يريد النصرَ من أحدِ

إذا دعا بشعارِ الأزْدِ نفَّرهم ... كما يُنفِّر صوتُ الليث بالنَّقَدِ

لو حانَ وِردُ تميم ثم قيل لهم: ... حَوضُ الرسولِ عليه الأزدُ لم تَرِدِ

أو أنزلَ الله وحْياً أن يعذِّبَها ... إن لم تَعُد لقتال الأزد، لم تَعُدِ

وهي قصيدة طويلة، وكان الفرزدق أجاب الطِّرماح عنها، ثم إن ابنَ قَنْبر المازنيّ قال بعد خبر طويل يرد على الطِّرِمّاح:

يا عاوِياً هاج لَيْثاً بالعُواء له ... شَثْنَ البراثن وَرْدَ اللون ذا لِبَدِ[٤]

أيّ الموارد هابت جَمَّ غَمْرتِه ... بنو تميم على حال فلم تَرِدِ

ألم تَرِدْ يوم قَنْدابيل مُعلَمة ... بالخَيْل تَضْبِر نحو الأزد كالأُسُدِ[٥]

---

(١) أشلى لسانه: أطلقه.

(٢) في مي: «بعثت».

(٣) تعريده: هربه.

(٤) في مي: «ذا اللبد».

(٥) قندابيل: مدينة بالسند. وفي ف: «قتل أبيك» بدل: «قندابيل» وضبرت الفرس: جمعت قوائمها ووثبت.

بفتيـةٍ لـم تنـازعْهـا فتطبعَهـا[1] بلـؤمهـا طيِّـئٌ لـديـاً ولـم تلـدِ
خـاضـت إلـى الأزد بحـراً ذا غـوارب مـن شُمْـرٍ طـوالٍ وبحـراً مـن قَنـاً قِصَـدِ[2]
فـأوردَتْهـا مَنـايـاهـا بمُـرْهَفَـةٍ مُلْـسِ المضـارب لـم تُفْلَـلْ ولـم تَكَـدِ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. وقد كان الطِّرمّاح قال أيضاً:

تميـمٌ بطُـرْقِ اللـؤمِ أهـدى مـنَ القَطَـا ولـو سلَكـتْ طُـرُقَ المكـارمِ ضَلَّـتِ
أرى الليـلَ يجلـوه النهـارُ ولا أرى عظـامَ المخـازي عـن تميـمٍ تَجَلَّـتِ

[١٩/٦٥] / وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها، وقال ابن قَنْبر[3] ينقُضُها:

لَعمـرُكَ مـا ضلَّـتْ تَميـمٌ ولا جَـرَتْ علـى إثـرِ أشْيـاخ عـن المَجْـد ضَلَّـتِ
ولا جُبُنـت بـل أقـدَمـت يـوم كسَّـرت لهـا الأزدُ أغمـادَ السُّيـوفِ وسَلَّـتِ
بغـائـط قَنـدابيـلَ والمـوتُ خـائـضٌ عليهـا بـآجـالٍ لهـا قـد أظلَّـتِ[4]
فمـا بَـرِحـت تُسقَـى كُـؤوسَ حِمـامِهـا إذا نَهِلَـتْ كَـرُّوا عليهـا فَعَلَّـتِ
إلـى أن أبـادَتْهـم تَمِيـمٌ وأكـذبـت أمـانِـيَّ للشَّيطـانِ عنهـا اضمحلَّـتِ
وحـانَ فِـراقٌ منهـمُ كُـلَّ خَـذْلـةٍ مُفـارِقـةٍ بَعـلاً بـه قـد تَمَلَّـتِ

وهي أيضاً طَويلة قال: فَبَلَغ مُسلمَ بنَ الوليد هِجاءُ ابن قَنْبر للأزْد وطَيِّـى وردُّه على الطِّرمّاح بعد موته. فغضب من ذلك. وقال: ما المعنى في مناقضة رجُل مَيِّت وإثارة الشَّرّ بذِكْر القبائل، لا سيّما وقد أجابَه الفرزدقُ عن قوله؟ فأبَى ابنُ قنبر إلا تَمادِياً في مُناقضته، فقال مسلم قَصِيدتَه التي أولها:

آيـاتُ أطـلالٍ بـبـرامـةَ دُرَّسِ هِجْـنَ الصَّبـابـةَ إذ ذكَـرْتُ[5] مُعـرَّسِـي
أوحَـتْ إلـى دِرَرِ الـدُّمـوع فـأسْبَلَـتْ واستَفْهَمتُهـا غيـرَ أنْ لَـمْ تَنبِـسِ

يقول فيها يصف الخمر:

صفـراءَ مـن حَلـب الكـروم كسـوتُهـا بيضـاء مـن حَلـب الغُيُـوم البُجَّـسِ[6]
طـارت[7] ولاوَذَهـا الحَبـابُ فحَـاكَهـا فكـأن حِلْيَتَهـا جَنِـيُّ النَّـرجِـسِ

[١٩/٦٦] / ويقولُ فيها يَصِفُ السُّيوفَ:

وتُفـارِقُ الأغمـادَ تبـدُو تـارةً حُمْـراً وتَخفَـى تـارة فـي الأرؤُسِ
حَـربٌ يكـون وَقـودُهـا أبنـاءَهـا لَقِحَـتْ علـى عُقْـرٍ ولمَّـا تُنْفَـسِ

(١) في ما، مهذب الأغاني: «فتطعنها».
(٢) القصد: القطع جمع قصدة.
(٣) في ما: «وقال الفرزدق يجيبه».
(٤) في ف: «... والموت جائل... عليها بآجال لهم قد أظلت».
(٥) في ما: «والهوى بمعرّسي». وفي الديوان ـ ١٣٠: «واستثرن معرّسي».
(٦) في الديوان ـ ١٣١: «من صوب الغيوم البُجَّس».
(٧) في الديوان ـ ١٣٢: «مزجت». وفي مي: «طارت ولاذ بها الحباب فحاطها».

مــن هــاربٍ رَكِـب النَّجـاء ومُقعَـصٍ ... جَثَمــت منيَّتُــه علــى المُتنفِّــس
غصَبتْـــه أطـــرافُ الأسِنَّـــة نفسَـــه ... فثَــوى فَــريســـةَ وُلَّــغٍ أو نُهَّــسِ
إن كنــتِ نــازلــةَ اليفــاع فنكِّبي ... دار الــرَّبــاب وخَــزْرَجــيّ أو أوْسِــي
وتجنَّبــي الجَعْفــراءَ[1] إنَّ سُيــوفَهــم ... حُــدُثٌ وإن قنــاتَهــم لــم تَضْــرَس
هــل طَيِّــئُ الأجبال شــاكــرةُ امرئٍ ... ذادَ القــوافــيَ عــن حِمــاهــا مِـردس[2]
أحمِــي ـ أبــا نفــر ـ عِظــامَ حُفَيْــرة ... دَرَسَــتْ وبــاقــي غَــرْسِهــا لــم يَــدْرُس
كــافــأتُ نِعْمتهــا بضِعْــفِ بــلائهــا ... ثــم انفــردْتُ بمنصِــب لــم يَــدْنَــس[3]
وإذا افتخــرتُ عــددْتُ سَعــيَ مــآثــر ... قَصُــرت علــى الإغضــاء طَـرْف الأشْــوس
رَفَعــت بنُــو النَّجّــار حِلْفــي فيهــمُ[4] ... ثــم انفــردتُ فــأفسَحُــوا عــن مَجلسِــي
فــاعقِــلْ لســانَــك عــن شتــائــم قــومنــا[5] ... لا يعلقَنْــك خــادرٌ مــن مــأنَــس
أخلفْــت فَخْــرَك[6] مــن أبيــك وجِئتَنِــي ... بــابٍ جَــديــدٍ بعــد طُــول تَلمُّــس
أخــذَتْ عليــه المحكَمــاتُ طــريقَهــا ... فَغَــدا يُهــاجِــي أعظُمــاً فــي مَــرْمَــسِ[7]

/ قال: فلم يُجبْه ابنُ قَنْبر عن هذه بشيء، ثم التقيا فتعاتَبا، واعتذر كل واحدٍ منهما إلى صاحِبه، فقال مُسلم [٦٧/١٩] يهجوه:

حَلُــمَ ابــنُ قَنْبــر حيــن قصَّــر شِعــرُه ... هــل كــان يَحلُــم شــاعــرٌ عــن شــاعِــرِ

يهجو قريشاً ويفخر بالأنصار

وقد مَضت هذه الأبيات مُتقدّماً. قال: ومكث ابنُ قنبر حيناً لا يُجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكَفافِ، ثم هجا مُسلم قُريشاً وفخر بالأنصار فقال:

قُــل لِمَــن تــاه إذ بِنــا عــزَّ جهْــلاً ... ليــس بــالتِّيــه يفخَــر الأحــرارُ
فتنــاهَــوْا وأقصِــرُوا فلقــد جــا ... رَت عــن القَصْــد فيكــمُ الأنصــارُ[8]
أيُّكــم حــاطَ ذا جِــوارٍ بعــزٍّ ... قبــل أنْ تَحتــويــه مِنَّــا الــدّارُ
أو رَجــا أن يفــوتَ قــومــاً بــوِتْــرٍ ... لــم تَــزلْ تَمتطيهــمُ الأوتــارُ
لــم يَــكُــن ذاك فــيــكــمُ فــدَعــوا الــفــخْــر بــمــا لا يَــســوغُ فــيــه افــتــخــارُ
ونِــزاراً ففــاخِــرُوا تَفضلُــوهــم ... ودَعُــوا مَــنْ لــه عبيــداً نِــزارُ

(١) في مي، مج: «الحمراء». وفي الديوان ـ ١٣٦: «الخفراء».
(٢) في الديوان ـ ١٣٧: «الأقعس» بدل «مردس». والمردس: الآلة التي تسوى وتكسر.
(٣) في ما: «لم ينجس».
(٤) في الديوان ـ ١٣٦: «بيتي فيهم... ثم انتميت».
(٥) في الديوان ـ ١٣٩: «عرضنا».
(٦) في الديوان ـ ١٣٩: «أخلقت فخرك». وفي ف، ما: «نجرك».
(٧) في ما: «مدرس». وفي الديوان ـ ١٤٠: «فغدا يناقض أعظماً في ارمس».
(٨) في الديوان ـ ٣١٥: «الأبصار» بدل «الأنصار».

فَبِنَا عَزَّ منكُم الذُّلُّ والدَّ ـهرُ عليكم بريبةٍ كَرّارُ
حاذِرُوا دولةَ الزَّمانِ عليكم إنّه بين أهلهِ أطْوارُ
فَتُرَدُّوا ونحن للحالة الأُو لى وللأوحد[1] الأذلّ الصَّغارُ
فاخرتْنا لمّا بَسَطْنا لها الفخرَ قريشٌ وفخرُها مُستَعارُ
ذكرتْ عِزَّها وما كان فيها قَبْل أن يَستجيرَنا مُستَجارُ
إنّما كان عِزُّها في جبالٍ تَرتَقِيها كما تَرقَى الوِبارُ[2]
[١٩/٦٨] / أيُّها الفاخِرُون بالعِزّ، والعِزُّ لقَومٍ سِواهُمُ والفَخارُ
أخبِرونا مَنِ الأعزُّ أَالمَنْـ ـصورُ حتى أعتلَى أم الأنصارُ؟
فَلَنَا العِزُّ قبل عِزّ قُريشٍ وقُريشٌ تِلك الدُّهور تِجارُ

ابن قنبر يجيبه

قال: فانبرى له ابنُ قنبر يُجيبه فقال:

ألا أمْثُلْ أميرَ المُؤمنين بمُسلمٍ وأفْلِق به الأحشاءَ من كل مُجرمِ
ولا تَرجِعَنْ عن قَتْله باستِتابةٍ فما هو عن شَتْم النَّبي بمُحرِمِ[3]
ولا عن مُساواةٍ له ولقومه قُريشٍ بأصداءٍ لِعادٍ وجُرْهُمِ
ويفخَر بالأنصار جَهْلاً على الذي بنُصرته فازوا بحظٍّ ومَغْنمِ
وسُمُّوا به الأنصارَ لا عزَّ قائلٌ أراد قُريشاً بالمقَالِ المُذمَّمِ
ومنهم رَسولُ الله أزكَى مَنِ انتمَى إلى نَسَبٍ زاكٍ ومجدٍ مُقدَّمِ
وما كانَت الأنصار قبل اعْتِصامِها بنَصْر قُريش في المحلِّ المُعظَّمِ
ولا بالأُلَى يعلُون أقدارَ قومِهم صُداء وخَولانٍ ولَخمٍ وسلْهَمِ
ولكنَّهم باللهِ عاذُوا ونَصرِهم قريشاً ومن يَستعْصِم اللهَ يُعصَمِ
فعَزُّوا وقد كانوا وفِطْيَوْنُ[4] فيهم من الذلّ في باب من العِزّ مُبْهَمِ
يسومهم الفِطْيَوْن ما لا يُسامُه كريمٌ ومن لا يُنكر الظُّلم يُظلَمِ
وإنّ قُريشاً بالمآثر فُضِّلَتْ على الخلق طُرًّا من فَصِيح وأعْجَمِ
فما بالُ هذا العِلْج ضلَّ ضلالُه يَمُدّ إليهم كفَّ أجذَم أعْسَمِ[5]
يُسامي قُريشاً مُسلمٌ وهمُ همُ بمولًى يَمانِيٍّ وبيتٍ مُهدَّمِ
[١٩/٦٩] / إذا قام فيه غيرهم لم يكن له مقامٌ به من لُؤم مَبْنًى ومَدْعَمِ

(١) في ف: و «للأدحر».
(٢) في ف: «إنما كان غيرها». والوبارُ: جمع وبر؛ وهو حيوان من ذوات الحافر في حجم الأرنب.
(٣) في ف: «بمحجم».
(٤) الفطيون: ملك تملك بيثرب. وقال ابن الكلبي: الفطيون اسمه عامر بن عامر بن ثعلبة (الاشتقاق لابن دريد).
(٥) الأعسم، من عسم الكف وهو يبس مفصل الرسغ حتى يعوج.

جَعاسِيسُ[١] أشباهُ القُرودِ لو أنّهم يُباعون ما ابتِيعوا جميعاً بدِرْهمِ
وما مُسلمٌ من هؤلاء ولا ألى ولكنّه من نسلِ عِلْجٍ مُلَكَّمِ
تولّى زماناً غيرهم ثُمّتَ ادّعى إليهم فلم يُكرَمْ ولم يتكرّمِ[٢]
فإن يَكُ منهم فالنَّضيرُ ولِفُّهُم[٣] مواليه لا مَنْ يدّعي بالتزعُّمِ
وإن تدعُه الأنصارُ مولّى أشمَّهُم بقافيةٍ تَسْتكرِه الجِلْدَ بالدَّمِ
عِقاباً لهم في إفكِهم وادّعائِهم لأقلفَ منقوشِ الذراعِ مُوَشَّمِ
فلا تَدَّعوه وانتفوا[٤] منه تَسْلَموا بنَفْيِكُمُوه من مَقامٍ ومأثمِ
وإلّا فغُضّوا الطَّرْفَ وانتظروا الرّدى إذا اختلفت فيكم صَوارِدُ أسهُمي
ولم تَجدوا منها مِجَنّاً يُجِنُّكم إذا ذلعت من كُلِّ فجٍّ ومَعْلَمِ
وأنتم بنو أذنابِ من أنتُمُ له ولستم بأبناءِ السَّنامِ المقدَّمِ
ولا بنبي الرأسِ الرفيعِ مَحلُّه فيسمو بكم مَوْلى مُسَامٍ وينتمي
فكيفَ رضيتم أن يُسامَى نبيكم ببيتكم الرَّثِّ القصيرِ المهدَّمِ
سأحطِم من سَامى النبيَّ تطاوُلاً عليه وأكوي مُنتماه بِمِيسَمِ
أيُعدَلُ بيتٌ يثربيٌّ بكعبةٍ[٥] ثَوتها قريشٌ في المكانِ المُحرَّمِ
/ قُريشٌ خِيارُ اللهِ واللهُ خصَّهم بذلك فاقْعَسْ أيُّها العِلْجُ وارْغَمِ [١٩/٧٠]
ومَنْ يَدّعي منه الولاءَ مُؤخَّرٌ إذا قيل للجاري إلى المجد أقْدِمِ

قال: وكان مُسلم قال هذه القصيدة في قُريش وكَتمها، فوقعت إلى ابن قَنْبر، وأجابه عنها، واستعلى عليه وهَتكه، وأغرى به السُّلطانَ، فلم يكن عند مُسلم في هذا جَواب أكثر من الانتِفاء منها، ونسْبتها إلى ابن قنْبر، والادّعاء عليه أنّه ألصقَها به ونَسَبها إليه، ليُعرِّضه للسُّلطان، وخافه فقال يَنْتفي من هذه القصيدة ويهجُو تميماً:

قصيدته في هجاء تميم

دعوتَ أميرَ المُؤمنين ولم تَكُن هُناك، ولكن مَنْ يَخَفْ يَتَجشَّمِ
وإنّكَ إذ تَدْعُو الخليفةَ ناصِراً لكالمُتَرقِّي في السماءِ بسُلَّمِ
كذاكَ الصَّدَى تَدْعو من حيث لا ترى وإن تَتَوهَّمْه تَمُتْ في التَّوهُّمِ
هجوتَ قُريشاً عامداً ونحلْتَني رُويدَكَ يَظْهرْ ما تَقُول فيُعْلَمِ
إذا كان مِثْلي في قَبيلي فإنّه على ابنَيْ لُؤيٍّ قُصْرَةً غيرُ مُتْهِمِ

---

(١) الجعاسيس: جمع جعسوس، وهو القصير. وفي مي: «جعاميس». والجعسوس: الرجيع. يقال: رمى بجعاميس بطنه.
(٢) في ما: «ولما يكرم».
(٣) في مي، مج: «ولفه».
(٤) في مي، مج «وابعدوا».
(٥) في ف، مي، مج: «أتعدل بيتاً يثربياً بكعبة».

سيكشفك التعديلُ عمَّا قرفتني ... به فتأخرْ عارفاً أو تقدَّمِ[1]

فإنَّ قريشاً لا تُغيِّر وُدَّها[2] ... ولا يُستمالُ عهدُها بالتَّزعُّمِ

مضى سَلفٌ منهم وصلَّى بِعَقْبِهم ... لنا سلفٌ في الأوّل المُتقدِّمِ

جَرَوْا فَجرينا سابِقِينَ بِسَبْقِهم ... كما اتَّبَعَتْ كفٌّ نواشرَ مِعْصَمِ

وإنَّ الذي يَسْعى ليقطَعَ بيننا ... كمُلتمِس اليربُوعِ في جُحرِ أرقَمِ

أضلَّك قَدْعُ الآبِداتِ طريقَها ... فأصبحتَ من عَميائِها في تَهَيُّمِ[3]

[٧١/١٩] / وخانَتْك عند الجري - لمَّا اتَّبَعْتَها - ... تميمٌ فحاولتَ العُلا بالتقحُّمِ

فأصبحتَ ترميني بسَهمي وتتَّقي ... يَدِي بيدِي، أُصلِيتَ نارَكَ فاضْرَمِ

ابن قنبر يهجوه

قال: ثم هجاه ابنُ قنبر بقصيدة أوّلُها:

قُلْ لِعبدِ النُّضيرِ مُسلمِ الوغدِ الدَّنيِّ اللئيمِ شيْخِ[4] النِّصابِ

اخسَ يا كلبُ إذ نبحتَ فإنِّي ... لستُ ممن يجيبُ نبحَ الكِلابِ

أفأرضى ومنصِبي مَنصبُ العِزِّ ... وبيتي في ذِرْوة الأحسابِ

أن أحطَّ الرَّفيعَ من سَمْك بيتي ... بمُهاجاة أوشَبِ الأوشابِ

مَنْ إذا سِيلَ: مَن أبُوه؟ بَدا منه حياءٌ يَحميه رجْعَ[5] الجوابِ

وإذا قيلَ حين يُقبِلُ: مَن أنتَ ومَنْ تعتزيه في الأنسابِ

قلتَ: هاجي ابنِ قَنْبرٍ، فتسربلْتَ بذكري فخراً لدى النُّسَّابِ

ابن قنبر يتابع هجاءه

وهي قصيدة طويلة، فلم يُجبه مُسلم عنها بشيء، فقال فيه ابنُ قنبر أيضاً:

لستُ أنفيك إنْ سِوايَ نَفاكا ... عن أبيك الذي له مُنتماكا

ولماذا أنفيك يا بنَ وليدٍ ... من أبٍ إن ذكرتَه أخزاكا

ولو أنِّي طلبتُ ألأمَ منه ... لم أجِده إن لم تكن أنتَ ذاكا

لو سواه أباك كان جَعَلنا ... ه إن[6] الناسُ طاوعونا أباكا

حاكَ دهراً بغَيْر حِذقٍ[7] لبُرْدٍ ... وتحوكُ الأشعارَ أنتَ كذاكا

---

(١) قرفتني: اتهمتني. والتعديل: تزكية الشهود.

(٢) في ما، والديوان - ٣٣٩: «لا يغادَرُ ودُّها».

(٣) في الديوان - ٣٣٩: «أضلك قرع الآبدات...»، والقدع: المجاوزة. وتهيمه الهوى تهيماً: حمله على الهيام.

(٤) في مي: «سنخ». والسّنخ: الأصل.

(٥) في مي: «ردّ الجواب».

(٦) في ما: «إذا الناس».

(٧) وفي ف: «حاك دهراً بغير جدّ لبُرد».

/ وهي طويلة، فلم يُجبه مسلم عنها بشيء، فقال ابنُ قَنبر أيضاً يهجوه: [١٩/٧٢]

فَخَـر العبـدُ عبـدُ قِـنّ[١] اليهـودِ ... بضعيـف مـن فخـره مَـرْدودِ
فـاخـر الغُـرَّ مـن قـريـش بـإخـوا ... ن خنـازيـر [مـن] يشـربِ والقُـرودِ
يتـولّـى بنـي النّضيـر ويـدعُـو ... بهـمُ الفخـرَ مـن مكـان بَعيـدِ
وبَنِـي الأوس والخـزرج أهـل الـذُّ ... لّ فـي سـالـف الـزّمـان التّليـدِ
إذ رَضُـوا بـافتضـاض[٢] فِطْيَـوْن منهـم ... كـلّ بِكْـرٍ ريّـا الـرّوادفِ رُودِ
وبنـو عمّهـا شُهـود لمَـا يَفْـ ... ـعل فِطْيَـوْن قُبّحـوا مـن شُهـودِ
خَلْـفَ بـاب الفِطْيَـون والبَعْـل منهـم[٣] ... لا بـذي غَيـرةٍ ولا بنجيـدِ
فـإذا مـا قَضـى اليهُـوديّ منهـا ... نَحْبـه[٤] قُنّعـوا بخِـزْي جديـدِ

قال: فلما أفحش في هذه القصيدة وفي عدّة قصائد قالها، ومُسلم لا يُجيبه، مشى إليه قوم من مَشْيخة الأنصار، واستعانوا بمشيخة من قُرّاء تميم وذوي العلم والفَضْل منهم، فمشوا معهم إليه فقالُوا له: ألا تستحِي من أن تَهجُو من لا يُجيبك؟ أنتَ بدأتَ الرّجل فأجابك، ثم عُدت فكفّ، وتجاوزْت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رَسولُ الله ﷺ يحميها ويذُبّ عنها ويصونها، لغير حال أحلّت لك ذلك منهم، فما زالوا يَعِظونه ويقُولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمُسلِم، فانقطعَت.

[١٩/٧٣]

/ صوت

ثـلاثـةٌ تُشـرق الـدُّنيـا ببَهْجتهـم ... شمسُ الضحـى وأبُـو إسحـاق والقمـرُ
يحكِـي أفـاعيلَـه[٥] فـي كـلّ نـائبـةٍ ... الغيـثُ والليـثُ والصّمصـامـةُ الـذَّكَـرُ

الشِّعر لمحمد بن وُهَيب، والغناء لعلّويه ثقيل أول بالوُسطى، وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثَقِيل أول آخر عن الهِشاميّ.

---

(١) في ف: «فخر العبد، علجَ قن اليهود». وفي مي: «فخر العلج، علج قن اليهود».
(٢) افتض الجارية: أزال بكارتها.
(٣) البعل: المرأة. وفي ما، مي: «والفعل فيهم».
(٤) في ما: «وطرا».
(٥) في مي: «فعائله».

[١٩/٧٤] ١٤١/١٧

/ أخبار محمد بن وهيب[١]

شعراء الدولة العباسية

محمد بنُ وُهَيْب الحِمْيَريّ صَليبَة شاعر من أهلِ بغداد من شُعراء الدولة العباسية، وأصلُه من البصرة[٢]، وله أشعار كثيرة يَذكُرها فيها ويتشوَّقُها، ويصف إيطانَه إياها ومنشأه بها.

مدح الحسن بن رجاء ثم المأمون فأكرمه

[٣]وكان يَسْتَمْنِحُ الناسَ بشعْره، ويتكسَّب بالمدِيح، ثم توسّل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضّحاك ومَدَحه، فأوصَله إليه وسَمِع شعره فأعجِب به واقتطعه إليه، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسْنَى جائِزَته، ثم لم يزل مُنْقطعاً إليه حتى مات. وكان يَتَشيَّع، وله مَراثٍ في أهل البيت.

منزلتـه

هـو متوسط من شعراء طبقته، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياء متكلفة[٣].

المعتصم يسمع مديحه ويجيزه دون غيره

أخبرنا محمد بن خلف وَكِيع، قال: زعم أبو مُحلِّم، وأخبرني عمّي، عن عليّ بن الحُسَين بن عبد الأعلى، عن أبي مُحلِّم، قال:

اجتمع الشعراءُ على باب المعتصِم فبعث إليهم محمدُ بنُ عبد الملك الزَّيات أنّ أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يُحسِن أن يقول مثلَ / قولِ النمريّ في الرشيد: ١٤٢/١٧

خَلِيفَـةَ الله إن الجُـودَ أودِيَـةٌ ... أحلَّـك اللهُ منهـا حيـث تجتمـعُ

مَـنْ لـم يكـن بـأميـن الله مُعتصمـاً ... فليـس بـالصلـوات الخمـس ينتفـعُ

إن أخلـف القطـرُ لـم تُخلِـف مخـايِلُـه[٤] ... أو ضـاق أمـرٌ ذكـرنـاه فيتَّسِـعُ

[١٩/٧٥] / فلْيدخُل وإلا فلْينصرف، فقام محمدُ بن وُهَيب فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأيّ شيءٍ قُلت؟ فقال:

ثـلاثـةٌ تُشـرِق الـدنيـا ببهجتهم ... شمسُ الضُّحى وأبـو إسحاقَ والقمرُ

---

(١) موضع هذه الترجمة هنا كما جاءت في ف والمخطوطات الموثوقة بعد ترجمة مسلم بن الوليد، وجاءت في طبعة بولاق بعد ترجمة عبد الله بن العباس الربيعي.

(٢) في المختار: «من شعراء البصرة».

(٣ ـ ٣) التكملة من ف.

(٤) المخايل من السحب: المنذرة بالمطر. ويقال: ظهرت في فلان مخايل النجابة: دلائلها ومظنتها.

تحكـي[1] أفـاعيلَـه فـي كـل نـائبـةٍ ... الغيـثُ والليـثُ والصَّمصـامـةُ الـذَّكـرُ

فأمر بإدخاله وأحسن جائزَته.

رجع الحديث عن صلته بالحسن بن رجاء

أخبرني عمِّي، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان بن موسى قال: حدثني محمد بن وُهَيْب الشاعر قال:

لما تولَّى الحسنُ بن رجاء بن أبي الضَّحاك الجبلَ قلتُ فيه شِعراً وأنشدتُه أصحابنا دِعْبِلَ بنَ عليّ وأبا سعد المخزوميّ، وأبا تمام الطائيّ، فاستحسنوا الشعر وقالوا: هذا لعمري من الأشعار التي تُلقَى بها الملوكُ، فخرجتُ إلى الجبل فلما صِرْتُ إلى هَمَذان أخبره الحاجبُ بمكاني فأذن لي فأنشدتُه الشعرَ فاستحسن منه قولي:

أجـارتَنـا إنّ التَّعفُّـفَ بـاليـاس ... وصَبْـراً علـى استِـدْرار دُنيـا بـإبْسـاس[2]

حَـرِيَّـان ألاّ يقـذِفـا بمـذلـةٍ ... كـريمـاً وألاّ يُحـوِجـاه إلـى النـاسِ

أجـارتنـا إنّ القِـداحَ كـواذِبٌ ... وأكثـرُ أسبـاب النَّجـاح مـع اليـاسِ

فأمر حاجبَه بإضافتي فأقمتُ بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحُمْلان أو خِلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ فقال لي: يا محمد إن الشتاء عندنا عِلَج[3] فاعدُ يوماً للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحبُّ إليّ، فلما كاد الشتاء أن يشتدّ قال لي: هذا أوانُ[4] الوداع، فأنشدني الثلاثةَ الأبيات فقد فهمت الشعر كله، فلما أنشدته:

/ أجـارتَنـا إن القِـداح كـواذِبٌ ... وأكثـرُ أسبـاب النَّجـاح مـع اليـاسِ [٧٦/١٩]

قال: صدقت، ثم قال: عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطُوه لكل بيت ألفَ درهم، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي:

صوت

دِمـاءُ المُحبِّيـن لا تُعقَـلُ[5] ... أمـا فـي الهـوى حَكَـمٌ يعـدِلُ!

تعبَّـدنـي حَـوَرُ الغـانيـات ... ودانَ الشبـابُ لـه الأخطـلُ[6]

ونظـرةِ عيـن تعلَّلتُهـا ... غِـراراً كمـا ينظـر الأحـولُ

مُقَسَّمـةٍ بيـن وجـه الحبيـبِ ... وطـرف الـرقيـبِ متـى يغفَـلُ

---

(١) انظر ص ٧٣.

(٢) الإبساس: التصويت للناقة بلطف لتسكن وتدرّ.

(٣) في مي: «صعب». والعلج: الشديد.

(٤) مي: «يوم الوداع».

(٥) لا تعقل: لا تدفع ديتها.

(٦) الأخطل: السريع الخفيف أو الأحمق.

(١في هذه الأبيات هَزَج طنبوريّ سمعته من جحظة فذكر أنه يُراه للمسدودِ ولم يحقِّق صانعه.

قال الأصبهانيّ: وهذه الأبيات له في المطَّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ.

قال محمدُ بنُ وُهَيْب: وأُهدِي إلى الحسن بن رجاء غلامٌ فأُعجِب به فكتبتُ إليه:

ليهنــك الــزائــرُ الجــديــدُ ... جـرى بـه الطـائـرُ السعيـدُ

جــاء مشــوقٌ إلــى مشــوقٍ ... فــذا وَدُودٌ وذا وَدودُ

يَــومُ نَعيــمٍ ويــومُ لهــوٍ ... خُصِصْــتَ فيــه بمــا تــريــدُ

إلــفٌ مشــوقٌ أتــاه ألــفٌ ... فمستفــادٌ ومُستفيــدُ[١)]

[١٩/٧٧] / حدثني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار بهذا الحديث، عن يعقوبَ بن إسرائيل قَرْقارة، عن محمد بن محمد بن مروان[٢] بن موسى، عن محمد بن وُهَيْب، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه، فلم يزل يَستعيدُني:

[١٤٣/١٧] / أجارتنـا إن القِـداح كـواذبٌ ... وأكثـر أسبـاب النّجـاح مـع اليـاسِ

وأنا أعيده عليه، فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أؤمل.

دخل على أبي دلف فأعظمه لإعجابه بشعره

حدثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب، قال: حدثني أبو هِفّان، قال: حدّثني خالي، قال:

كنت عند أبي دُلَف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمدُ بنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جدّاً، فلما انصرف قال له أخوه مَعْقِل: يا أخي، قد فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه، ما هو في بيت من الشَّرف، ولا في كمال من الأدب، ولا بموضع من السلطان، فقال: بلى يا أخي، إنه لحقيقٌ بذلك، أو لا يستحِقه وهو القائل:

صوت

يَــدُلُّ علــى أننــي عــاشــقٌ ... مــن الــدمــع مُنْتَشْهَــدٌ نــاطِــقُ

ولــي مــالــكٌ أنــا عبــدٌ لــه ... مُقِــرٌّ بــأنــي لــه وامــقُ

إذا مــا سمــوتُ إلــى وَصلِــه ... تعــرّض لــي دونــه عــائــقُ

وحــاربنــي فيــه ريــبُ الــزّمــان ... كــأنَّ الــزَّمــان لــه عــاشِــقُ

في هذه الأبيات رمل طُنبُوريّ أظنُّه لجحْظَة.

هنأ المطلب بن عبد الله بعد عودته من الحج فوصله بصلة كبيرة

حدَّثني عمّي، قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال:

[١٩/٧٨] / لما قَدِمَ المُطَّلِب بنُ عبد الله بن مالك من الحج لَقِيه محمدُ بنُ وُهَيْب مستقبِلاً مع من تلقّاه، ودخل إليه مهنئاً بالسَّلامة بعد استقراره، وعاد إليه في الثالثة[٣] فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها:

(١-١) التكملة من ف، مي.

(٢) ف: «محمد بن محمد بن هارون».

(٣) ب: «في الثانية».

وما زلتُ أسترعِي[1] لكَ اللهَ غائباً وأُظهِرُ إشفاقاً عليكَ وأكتُمُ
وأعلمُ أنَّ الجودَ ما غِبتَ غائبٌ وأنَّ النَّدى في حيثُ كُنتَ مُخيِّمُ[2]
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً وحُمَّ لقاءٌ بالسُّعود ومَقْدَمُ
وظلَّ يُناجيني بمدحِك خاطرٌ[3] وليليَ ممدودُ الرّواقين أدهَمُ
وقال: طواه الحجُّ فاخشعْ لفقده ولا عيشَ حتى يستهِلَّ المحرَّمُ
سيفخَر ما ضمَّ الحطيمُ وزمزمٌ بمُطَّلبٍ لو أنه يتكلَّمُ
وما خُلِقَتْ إلا من الجود كفُّه على أنها والبأس خِدْنانِ توأمُ
أعدتَ إلى أكناف مكة بهجةً خُزاعِيَّةً كانت تُجِلّ وتُعظِمُ
ليالي سُمّارِ الحَجون إلى الصَّفا خُزاعة إذ خلّت لها البيتَ جُرهُمُ
ولو نطقت بَطحاؤُها وحَجونُها وخيفُ مِنًى والمأزِمان[4] وزمزمُ
إذاً لادعَتْ[5] أجزاءُ جسمك كلها تَنافسُ في أقسامه لو تُحَكَّمُ
ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بدءِ خلقه إذاً كنت جسماً بينهن تُقَسَّمُ
/ سَما بك منها كل خيْفٍ فأبطحٍ نَما بك[6] منه الجوهرُ المتقدِّمُ [٧٩/١٩]
وحنَّ إليك الركنُ حتى كأنه وقد جئتَه خِلٌّ عليك مُسَلِّمُ

قال: فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طُرَف ما قدم به وحمله، والله أعلم.

مدح الحسن بن سهل فأطربه ولم يقصد غيره إلى أن مات

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة، قال: حدثني الحسنُ بنُ الحسن بن رجاء، عن أبيه وأهله، / قالوا: ١٤٤/١٧

كان محمدُ بن وُهَيب الحميريّ لمّا قدم المأمونُ من خُراسان مُضاعاً مُطَّرَحاً، إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتّاب[7] والقوّادِ بالمديح ويسترفِدُهم فيحظى باليسير، فلما هدأت الأمور واستقرّت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصّته وذوي مودّته ومَنْ يقرب من أُنسِه، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء، فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها:

ودائعُ أسرارٍ طَوتْها السرائرُ وباحت بمكتوماتِهنّ النّواظرُ
مَلكْتُ بها[8] طيَّ الضمير وتحته شَبا لوعةٍ عضب الغِرارين باتِرُ

---

(١) ب: «أستدعي» وأسترعي لك الله: أطلب منه أن يرعاك.
(٢) ب: «في حيث أنت مخيم».
(٣) ب: «خاطري».
(٤) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام ومكة.
(٥) ف: «إذا لادعت... تنافس في أحكامها».
(٦) ف: «تصابك منه».
(٧) مي: «وأوساط الناس من الكتاب».
(٨) ف: «تمكن في طي الضمير». وفي المختار: «ملكن إلى طي الضمير».

فأعجم عنها ناطقٌ وهو مُعرِبٌ وأعربت العُجمُ الجفونُ العواطِرُ(١)

ألم تغذُني السرّاءُ في رَيّقِ الهوى(٢) غريراً بما تَجْنِي عليّ الدوائرُ

تُسالمني الأيامُ في عُنفوانِه ويكلؤني طرْفٌ من الدهر ناظِرُ

حتى انتهى إلى قوله:

[١٩/٨٠] / إلى الحَسن الباني العُلا يَمّمتْ بنا(٣) عَوالِي المُنى حيثُ الحَيا المتظاهرُ

إلى الأملِ المبسُوطِ والأجلِ الذي بأعدائِه تكبُوا الجدودُ العواثرُ

ومن أنبعت عينَ المكارمِ كفُّه يقوم مقام القَطْرِ والروضُ داثرُ

تعصَّب تاجَ الملكِ في عُنفوانِه وأطّت به عصْرَ الشّباب المنابرُ(٤)

تُعَظِّمُه(٥) الأوهامُ قبل عِيانه ويصدرُ عنه الطّرف والطّرف حاسِرُ

به تُجتدَى النُّعمَى وتُستدرَك المُنى وتُستكمل الحُسنى وتُرعَى الأواصرُ

أصاتَ بنا داعِي نوالِك مؤذِناً بجودك إلا أنه لا يُحاوِرُ(٦)

قسمْتَ صُروفَ الدهر بأساً ونائلاً فَمالُك موتورٌ وسيفُك واترُ

ولمّا رأى اللهُ الخلافةَ قد وَهَتْ دعائمُها واللهُ بالأمر خابرُ

بَنَى بك أركاناً عليك مُحيطةً فأنت لها دون الحوادثِ ساتِرُ(٧)

وأرعنَ فيه للسوابغ جُنّةٌ وسقفَ سماءٍ أنشأتْه الحوافرُ(٨)

يعني أنّ على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها.

لها فَلَكٌ فيه الأسنّةُ أنجمٌ ونقعُ المنايا مُستطِيرٌ وثائرُ

أجزْتَ قضاءَ الموتِ في مُهَجِ العِدا ضُحًى فاستباحتْها المنايا الغوادِر

[١٩/٨١] / لكَ اللّحظاتُ الكالِئاتُ قواصداً بنُعمَى وبالبأساءِ وَهْي شَوازِرُ(٩)

ولم تكن إلا بنَفسِك فاخراً لما انتسبتْ إلاّ إليك المفاخرُ

قال: فطرب أبو محمد حتى نزل عن سَريره إلى الأرض وقال: أحسنتَ والله وأجملتَ، ولو لم تَقُل قط

(١) في ب: «وأعجبت العجم». وفي مي، مد: «الجفون الفواتر». وفي ف: «الجفون النواظر».

(٢) ب: «ألم تقذني السراء في رتق الهوى».

(٣) ف: «. . . المعالي صمت بنا».

(٤) وأطت المنابر: صوتت. وفي ف: «وأطت به غض الشباب المآثر».

(٥) ب: «تعطفه».

(٦) ب: «أهاب بنا. . . بدونك إلا أنه لا يحاور».

(٧) في المختار: جاء عجز البيت التالي مكان هذا العجز.

(٨) جيش أرعن: له فضول يشبه رعن الجبل. ويقال: لقوهم بأرعن أي بجيش مضطرب لكثرته. والسوابغ جمع سابغة، وهي الدرع الواسعة. الجنة: السترة. الحوافر جمع حافر، وهو من الدابة بمنزلة القدم للإنسان.

(٩) في ب: «وبالبأساء فيه شواذر». والشوازر من شزره وشزر إليه: نظر إليه بمؤخر عينه. وأكثر ما يكون في حال الإعراض أو الغضب.

ولا تقولُ في باقي دَهْرِك غير هذا لَمَا احتجتَ إلى القوْل، وأمر له بخمسةِ آلاف دينار فأحضِرت واقتطعه إلى نفسه، فلم يزل في جَنْبتِهِ[١] أيّامَ ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدَّى لغيره.

تردد على علي بن هشام فحجبه فهجاه هجاءً موجعاً

حدَّثني أحمدُ بنُ جعفر جَحْظَة، قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون، قال:

كان / محمد بن وُهَيْب الحِمْيَريّ الشاعر قد مدح عليّ بنَ هِشام وتردّد إليه وإلى بابه دَفَعات، فحجبه ولقيه يوماً، فعرض له في طريقه وسلَّم عليه، فلم يرفع إليه طرفه، وكان فيه تِيهٌ شديد، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت إليه خرَّقها وقال: أيّ شيء يريد هذا الثقيل السَّيِّىءُ الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضَباً وقال: والله ما أردتُ مالَه وإنما أردتُ التوسُّلَ بجاهه سيُغنِي الله جل وعز عنه، أما والله ليذُمَّنَّ مغبَّةَ فِعله. وقال يهجوه:

١٤٥/١٧

أَزْرت بِجُودِ عَلَيّ خِيفَةُ العَدَم[٢] ... فصَدَّ مُنهزِماً عن شَأْوِ ذِي الهِمَمِ

لو كانَ مِنْ فارِسٍ في بَيْت مَكرُمةٍ ... أو كان مِن وَلَدِ الأملاك في العَجَمِ

أو كان أولَه أَهْلُ البِطاح أو السِّرِّ ... كسبُ المُلَبُّونَ إهلالاً إلى الحرَمِ

أيامَ تُتَّخذ الأصنامُ آلهةً ... فلا تَرَى عاكِفاً إلا على صَنَمِ

لشجَّعَتْه على فعلِ المُلوك لهم ... طَبائِعٌ لم تَرُعْها خِيفَةُ العَدَمِ

/ لم تندَ كفَّاك[٣] من بَذْل النَّوال كما ... لم يندَ سَيفُك مُذْ قُلِّدتَه بدَمِ [١٩/٨٢]

كُنتَ امرأً رفعَتْه فِتنةٌ فعَلا ... أيامَها غادِراً بالعَهْد والذِّمَمِ

حتى إذا انكَشفَت عَنَّا عِمايَتُها[٤] ... ورُتِّبَ النَّاسُ بالأحساب والقِدَمِ

مات التَّخلُّقُ وارتدَّتك مُرتَجِعاً ... طَبيعَةٌ نَذْلَةُ الأخلاقِ وَالشِّيَمِ

كَذاكَ مَنْ كان لا رأساً ولا ذَنَباً ... كَزُّ[٥] اليَدَيْن حَديثُ العَهْد بالنِّعَمِ

هَيهاتَ ليس بحمَّالِ الدِّيات ولا ... مُعطِي الجَزِيل ولا المَرهُوب ذِي النِّقَمِ

قال: فحدَّثني بعضُ بني هاشم أنّ هذه الأبيات لمَّا بلغت عليَّ بنَ هِشام ندم على ما كان منه، وجَزِع لها وقال: لعن الله اللَّجاج فإنه شرُّ خُلُقٍ تَخلَّقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أني لا أدخلُ على الخليفة وعليّ السيفُ إلا وأنا مُسْتَحٍ منه، أذكر قول ابنِ وُهَيب فيّ:

لم تَندَ كَفّاك من بَذْلِ النّوال كما ... لَم يَنْدَ سَيفُك مذ قُلِّدتَه بِدَمِ

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثني ميمونُ[٦] بن هارون، قال: مَنْ سمع ابنَ الأعرابيّ، يقول:

---

(١) جنبته: ناحيته.

(٢) ف: «أزردت عليه بجود خيفة العدم».

(٣) في المختار: «لم تند كفك».

(٤) في المختار، مي، ب: «غيابتها».

(٥) في معاهد التنصيص ١: ٢٢٤: «كد اليدين».

(٦) ف: «محمد بن هارون».

أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمدِ بنِ وُهَيب:

لَم تَندَ كَفّاكَ مِن بَذلِ النَوالِ كَما ... لَم يَندَ سَيفُكَ مُذ قُلِّدتَهُ بِدَمِ

تعرض لأعرابية فأجابته جواباً مسكتاً

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزُبان، قال: حدثني محمدُ بنُ مرزوق البَصْرِيُّ، قال:

[١٩/٨٣] / حدثني محمد بن وُهَيب قال: جلستُ بالبَصرة إلى عطّار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطّار خَلُوقاً فقلت له: تجدُها اشترته لابنتها وما ابنتُها إلا خُنْفُساءُ، فالتفتت إليّ مُتَضاحكة، ثم قالت: لا والله، لكن مهاةٌ جيداء[١]، إن قامت فَقَناةٌ، وإن قعدت فحصاة، وإن مشت فقطاةٌ، أسفلُها كثيب، وأعلاها قضيب، لا كَفَتياتِكم اللواتي تسمِّنونهن بالفَتُوت[٢]، ثم انصرفت وهي تقول:

إنّ الفَتُوتَ للفَتاةِ مَضرَطَه ... يَكرُبها في البَطنِ حتى تَثلِطَه[٣]

[١٤٦/١٧] // فلا أعلمُني ذَكرتُها إلا أضحكني ذِكرُها.

تردد على مجلس يزيد بن هارون ثم تركه

حدثني عيسى بن الحسين الورّاق، قال: حدثنا أبو هفّان، قال:

كان محمدُ بنُ وُهَيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون، فلزمه عدّة مجالس يُملِي فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، لا يذكر شيئاً من فضائل عليّ عليه السلام، فقال فيه ابنُ وُهَيب:

آتي يَزيدَ بنَ هارونٍ أدالِجُه[٤] ... في كلِّ يَومٍ وَمالي وابنِ هارونِ

فلَيتَ لي بِيَزيدٍ حينَ أَشهَدُه ... راحاً وقَصْفاً ونَدماناً يُسلِّيني

أغدو إلى عُصبةٍ صَمَّت مسامِعُهم ... عن الهُدى بينَ زِنديقٍ ومأفونِ

لا يذكُرون عَليّاً في مَشاهِدِهم ... ولا بَنِيهِ بَني البِيضِ المَيامينِ

[١٩/٨٤] / اللهُ[٥] يَعلَمُ أَنّي لا أُحِبُّهُمُ ... كما هُمُ بِيَقينٍ لا يُحِبّوني

ويَستَطيعونَ عن ذِكرى[٦] أَبا حَسَنٍ ... وفَضلِهِ قَطَّعوني بالسَّكاكينِ

ولستُ أَترُكُ تَفضِيلي لَهُ أَبداً ... حَتى المَماتِ عَلى رَغمِ المَلاعينِ[٧]

---

(١) ب: «لا والله ولكن مهاة خبنداة».
(٢) فت الشيء: دقه وكسره فهو مفتوت وفتيت وفتوت.
(٣) ب: «يكربها بالليل» ـ ويكربها: يشق عليها.
(٤) أصل المدالجة: السير في آخر الليل، ومنه قول البحتري:

ومن سحر به دالجت فيها ... تغنم قينة وهبوب ساق

والمقصود هنا أسهر معه وقتاً طويلاً من الليل.
(٥) مي، مد، ف: «إني لأعلم».
(٦) مي، ف: «في ذكري».
(٧) ف: «على رغم المعادين».

مذهبه من شعره

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إسحاق بن محمد الكوفيّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن يوسف. وأخبرني به الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاق، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال:

كان محمد بن وُهَيب يأتي أَبِي فقال له أَبي يوماً: إنك تأتينا وقد عرفتَ مذاهبنا فنحبُّ أن تعرِّفنا مذهبَك فنوافقَك أو نخالفَك، فقال له: في غدٍ أُبيِّن لك أمري ومذهبي. فلما كان من غدٍ كُتب إليه:

أيُّها السَّائلُ قد بيّنتُ إن كنتَ ذَكيّا
أحمدُ اللهَ كثيراً ... بأياديه عَلَيّا
شَاهِداً[1] أن لا إلٰه ... غيره ما دمتُ حَيّا
وَعَلى أحمدَ بالصّد ... قِ رَسولاً ونَبِيّا
ومَنحتُ الودَّ قُربا ... هُ وَواليتُ الوَصِيّا
وَأتاني خَبرٌ مُطَّرحٌ ... لم يَكُ شَيّا
أنّ عَلى غير اجْتِماع ... عَقَدُوا الأمر بَدِيّا
فوقَفتُ القَومَ تَيماً ... وعَدِيّا وأُمَيّا
غَير شَتّامٍ ولكِنّي ... تَوَلَّيتُ عَلِيّا

احتزازه بشعره [٨٥/١٩]

حدثني جَحْظةُ، قال: حدثني عليُّ بن يحيى المنجم، قال:

بلغ محمدَ بنَ وُهَيب أنّ دِعْبل بنَ عليّ قال: أنا ابنَ قَولي[2]:

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِه فبَكى

وأنّ أبا تمام قال: أنا ابنُ قولي[2]:

نَقِّل فؤادَكَ حَيثُ شِئْتَ من الهَوَى ... ما الحُبُّ إلا للحَبيبِ الأوّلِ

فقال محمدُ بنُ وُهَيب: وأنا ابنُ قولي[2]:

ما لِمَن تَمَّت محاسِنُه ... أن يُعادِي طَرْفَ مَنْ رَمَقا
/ لكَ أن تُبدِي لنا حَسَناً ... ولنا أن نُعمِلَ الحَدَقا

١٤٧/١٧

قال أبو الفرج الأصبهانيُّ[3]: وهذا من جيّد شعره ونادره، وأول هذه الأبيات قولُه:

نَم فقد وَكَّلتَ بي الأَرَقا ... لاهياً تُغرِي بمَنْ عَشِقا[4]

---

(١) ف: «شاهد» بدل «شاهداً».
(٢) في ب: «قال أين قولي».
(٣) ف: «قال مؤلف هذا الكتاب».
(٤) ف: «لا هيا بعداً لمن عشقا».

إنَّمـا أبقيـتَ مـن جَسَـدي شَبَحـاً غَيـرَ الـذي خُلِقـا
كنـتُ كـالنُّقصـان فـي قَمَـر مـاحِقـاً[1] منـه الـذي اتّسقـا
وفَتًـى نـاداكَ مـن كَثَـب أُسْعِـرَت أحشـاؤُه حُـرَقَـا[2]
غَـرِقَـت فـي الـدَّمـع مُقلتُـه فـدعـا إنسانُهـا الغَـرَقـا
إنّمـا عـاقَبـتَ نـاظِـرَه أن أعـاد اللَّحـظَ[3] مُسْتَـرِقـا
مـا لِمَـن تَمَّـت محـاسنُـه أن يُعـادِي طَـرْف مـن رَمَقـا
[٨٦/١٩] / لـكَ أن تُبْـدِي لنـا حُسنـاً ولنـا أن نُعمِـل الحَـدَقـا
قـدَحَـت كَفّـاكَ زَنْـدَ هَـوى فـي سَـوادِ القَلْـب فـاحتَـرقـا

وصف غلمان أحمد بن هشام فوهبه غلاماً فمدحه

حدثني عمّي، قال: حدثني أبو عبد الله الهِشاميّ، عن أبيه، قال:

دخل محمد بن وُهَيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه، فرأى بين يديه غلماناً رُوقَةً مُرداً وخَدَماً بِيضاً فُرّهاً[4] في نهاية الحسن والكمال والنظافة، فدهِش لما رأى وبقي مُتَبلّداً لا ينطق حَرفاً، فضحِك أحمد منه وقال له: ما لك؟ ويْحك! تكلّم بما تريد، فقال:

قـد كـانـت الأصنـامُ وَهْـي قـديمَـةٌ كُسِـرَت وجَـدَّعَهُـنَّ إبـراهيـمُ
ولَـديْـكَ أصنـامٌ سَلِمْـن مـن الأذى وصَفَـت لَهُـنّ غَضـارَةٌ[5] ونَعِيـم
وبِنَـا إلـى صَنَـمٍ نَلُـوذ بِـرُكْنِـه فَقـرٌ وأنـت إذا هُـزِزْتَ كَـرِيـمُ

فقال له: اختر من شئت، فاختار واحداً منهم، فأعطاه إياه، فقال يمدحه:

فَضَلَـتْ مَكـارِمُـه علـى الأقـوامِ وعَـلا فَحـازَ[6] مكـارِمَ الأيّـامِ
وعلَتْـه أُبّهَـةُ الجَـلال كـأنَّـه قَمَـرٌ بـدا لـكَ مـن خِـلال غَمـامِ
إنَّ الأميـرَ علـى البَـرِيّـة كُلِّهـا بعـد الخَليفـة أحمـدُ بـنُ هشـامِ

الحسن بن سهل يصله بالمأمون فيمدحه

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامَة في خبره الذي ذكرتُه آنِفاً عنه، عن الحسن بن الحسن بن رجاء، عن أبيه، قال:

لمَّا قدم المأمُونُ، لقِيَه أبو محمد الحسن بنُ سَهل، فدخلا جميعاً، فعارضَهُما ابنُ وُهَيب وقال:

[٨٧/١٩] / اليـومَ جُـدِّدَت النَّعمـاءُ والمِنَـنُ فـالحمـد لله حَـلَّ العُقـدةَ الـزَّمَـنُ

---

(١) ب: «ما خفي منه».

(٢) ف: «. . . من كرب. . . ملأت أحشاءه حرقاً».

(٣) ب: «إذ أعاد الطرف».

(٤) الروقة: الجميل جداً من الغلمان والجواري ـ للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع. وفره فراهة: جمل وحسن أو حذق ومهر فهو فاره جمعه فُرّه.

(٥) ف: «نضارة». والغضارة: النعمة وطيب العيش.

(٦) ف، ب، المختار: «فخار».

اليومَ أظهرتِ الدُّنيا محاسِنَها ... لِلنَّاس لما التَقى المأمونُ والحَسَنُ

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال: هذا رجل من حِمْيَر، شاعر مطبوع، اتصل بي متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نُظرائه، فأمر المأمونُ بإيصاله مع الشعراء، فلما وقف بين يديه، وأذِن له في الإنشاد، أنشده قولَه:

طَلَلان طال عليهما الأمَدُ ... دَثَرا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ

/ لَبِسا البِلَى فكأنَّما وَجَدا ... بعد الأحِبَّة مثلَ ما أجِدُ [١٤٨/١٧]

حُيِّيتما طَلَلين، حالُهما ... بعد الأحِبَّة غيرُ ما عَهِدُوا

إمَّا طَوَاكِ[١] سُلُوُّ غانيةٍ ... فهَواكِ لا مَلَلٌ ولا فَنَدُ

إن كنتِ صادِقَةَ الهوَى فردِي ... في الحُبِّ منْهَلِيَ[٢] الذي أرِدُ

أدَمِي هَرقْتِ وأنتِ آمنةٌ ... أم ليس لي عَقْلٌ ولا قَوَدُ[٣]؟

إن كنتِ فُتِّ وخانني سَبَبٌ ... فلربَّما يُخطِىءُ[٤] مُجتهِدُ

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون:

يا خَيْرَ مُنتَسِبٍ لمَكْرُمةٍ ... في المجد حيث تَبَحْبَح[٥] العَدَدُ

في كل أُنْمُلةٍ لراحَتِه ... نَوءٌ يَسُحُّ وعارِضٍ حَشِدُ[٦]

/ وإذا القَنَا رَعَفَت أسِنَّتُه ... عَلَقاً وصُمٌّ كُعوبها قِصَدُ[٧] [٨٨/١٩]

فكأنَّ ضوءَ جَبِينه قَمَرٌ ... وكأنَّه في صَولةٍ أسَدُ

وكأنَّه رُوحٌ تُدَبِّرنا ... حَركاتُه وكأنَّنا جَسَدُ

المأمون يستشير فيه الحسن بن سهل ثم يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة

فاستحسنها المأمونُ وقال لأبي محمد: احتكم له، فقال: أمير المؤمنين أولى بالحكم، ولكن إن أذِن لي في المسألة سألتُ له، فأما الحُكم فلا، فقال: سَلْ، فقال: يُلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة، فقال: ذلك والله أردتُ، وأمر بأن تُعدّ أبياتُ قصيدتِه ويُعطَى لكل بيت ألف درهم، فعُدّت فكانت خمسين، فأُعطِي خمسين ألف درهم.

من مدائحه للمأمون

قال الأصبهانيّ: وله في المأمون والحسن بنِ سهل خاصة مدائحُ شريفة نادرة، من عيونها قَولُه في المأمون في قصيدة أولُها:

---

(١) في ف: «إن ماطلوك».
(٢) في مد: «منهلنا». وفي المختار ومعاهد التنصيص: «منهله».
(٣) لا عقل ولا قود أي لا دية ولا قصاص.
(٤) مد، ف: «فلربما لم يحظ مجتهد».
(٥) في ب، المختار: «حيث ينتج العدد».
(٦) النوء: المطر. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. وحشد: لا ينقطع ماؤه.
(٧) العلق: القطعة من العلق للدم، والرمح الأصم: الصلب المتين، والقصد: جمع قصدة؛ وهي القطعة مما يكسر.

العُــذرُ إن أنصفــتَ مُتَّضِـحُ وشَهِيـدُ حُبِّـك[١] أدمـعٌ سُفُـحُ
فضَحَـت ضَمِيـرَك عـن وَدائِعِـه إنّ الجُفـونَ نـواطِـقٌ فُصُـحُ[٢]
وإذا تكلَّمـت العُيـونُ[٣] علـى إعجـامِهـا فـالسِّـر مُفْتَضِـحُ
رُبمـا أبيـتُ مُعـانِقـي قَمَـرٌ للحُسْـن فيـه مخـايـل تَضِـحُ[٤]
نَشَـر الجمـالُ علـى مَحـاسِنـه بِـدَعـاً وأذْهَـب هَمَّـه القَـرحُ
يَخْتـال فـي حُلَـلِ الشّبـاب بـه مَـرَحٌ ودَاؤُك أنـه مَـرِحُ
مـا زال يُلثِمُنـي مـراشِفَـه ويَعُلُّنـي الإبـريـقُ والقَـدَحُ
/ حتـى استـردَّ اللَّيـلُ خِلْعَتَـه ونَشـا خِـلالَ سَـوادِه وَضَـحُ [٨٩/١٩]
وبَـدَا الصَّبـاحُ كـأن غُـرَّتـه وَجـهُ الخَليفـةِ حيـن يُمتَـدَحُ

يقول فيها:

نَشَـرت بـك الـدُّنيـا محـاسِنَهـا وتَـزيَّنَـت بصفـاتِـك المِـدَحُ
وكـأنَّ مـا قـد غـابَ عنـك لـه بـإزاء طـرفـك عـارضـاً شبـحُ[٥]
وإذا سَلِمـتَ فكـلُّ حـادِثَـةٍ جلَـلٌ فـلا بُـؤسٌ ولا تَـرَحُ

مدح المطلب بن عبد الله فوصله وأقام عنده مدة

[١٤٩/١٧] / أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني أهلُنا:

أنّ محمد بنَ وُهَيْب قصد المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ - عمّ أبي - وقد وَلِيَ الموصِل وكان له صديقاً حَفِيًّا، وكانَ كثيرَ الرِّفد له والثَّواب على مدائحه، فأنشدَه قولَه فيه:

صـوت

دِمـاءُ المُحبِّيـن لا تُعقَـل أمـا فـي الهَـوَى حـاكِـمٌ[٦] يَعـدِلُ
تَعبَّـدنـي حَـوَرُ الغـانِيـات ودَانَ الشَّبـابُ لـه الأخطـلُ[٧]
ونَظـرةِ عيـن تَـلافَيْتُهـا غِـراراً كمـا يَنظُـر الأحـولُ
مُقسَّمـةٍ بيـن وَجـه الحَبيـب وطَـرْفِ الرَّقيـب متـى يَغفُـلُ
أذمُّ علـى غُـربـاتِ[٨] النَّـوى إليـك السُّلُـوَّ ولا أذهَـلُ

---

(١) ف: «وشهود حبك».

(٢) مي، مد، ب: «فضح».

(٣) التجريد: «وإذا تكلمت الجفون».

(٤) مي، مد: «ربما أبيت... مخايل فصح». وفي ب: «مخايل نصح». وتضح: تبين وتظهر.

(٥) ف: «بإزاء طرفك عارض سنح».

(٦) ب: «حكم يعدل».

(٧) ب: «الأخضل». والأخطل: الخفيف السريع أو الأحمق.

(٨) الغربات جمع غربة، وهي البعد.

وقـالـوا عَـزاؤُك بعـد الفِـراق ... إذا حُـمَّ مكـروهُـه أجمـلُ

[١٩/٩٠] أَفِيـدي دَمـاً سَفَكَتْـه العُيـونُ ... بـإيمـاضِ كحـلاء لا تُكحَـلُ

فكُـلُّ سِهـامِـك لـي مُقصِـدٌ[1] ... وكُـلُّ مـواقِعِهـا مَقْتَـلُ

سـلامٌ علـى المنزل المُسْتَحِيـلِ ... وإن ضَـنَّ بـالمَنْطِـق المنـزِلُ

وعَضْب[2] الضَّرِيبة يَلْقى الخُطوب ... بجِـدٍّ عـن الـدَّهـر لا يَنْكِـلُ

تَغَلْغَـل شَـرْقـاً إلـى مَغـرِبٍ ... فلمَّـا تبـدّت لـه المـوصِـلُ

ثَـوَى حيـث لا يُستمـال الأريـب ... ولا يُـؤْلـف اللَّقِـن الحُـوَّلُ

لَـدى مَلِـكٍ قـابلتْـه السُّعـودُ ... وجـانَبَـه الأنْجُـم الأُفَّـلُ

لأيّـامـه سَطَـواتُ الـزَّمـان ... وإنعـامُـه حيـنَ لا مَـوْئِـلُ

سمـا مَـالِـكٌ بـك للبَـاهِـرات ... وأوْحَـدَكَ المَـرْبـأُ الأَطـولُ

ولـيـس بَعِيـداً بـأن تَحْتَـذِي[3] ... مـذاهِـبَ آسـادِهـا الأشبُـلُ

قال: فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته[4] وجِراياته وجدّد له صلة، فأقام عنده بُرهة أخرى، ثم دخل عليه فأنشده:

ألا هـل إلـى ظِـلّ العَقِيـق وأهلِـه[5] ... إلـى قَصْـر أوس فـالحَـزِيـر مَعـادُ؟

وهـل لـي بـأكنـافِ المُصلّـى فسفْحِـه ... إلـى السُّور مَغْـدًى نـاعـمٌ ومُـرادُ؟

فلـم تُنسِنـي نهـرَ الأُبُلَّـةِ نِيَّـةٌ ... ولا عَـرَصـاتِ المَـرْبـدَيْـن بِعـادُ[6]

[١٩/٩١] / هنـالـك لا تَبْنـي الكـواعِـبُ خيمـةً ... ولا تتهـادى كَلْثَـمٌ وسُعـادُ

أجِـدِّيَ[7] لا أَلْقَـى النَّـوَى مُطْمَئِنَّـةً ... ولا يَـزْدَهِينـي مَضْجـع ومِهـادُ

فقال له: أبيتَ إلا الوطنَ والنِّزاعَ إليه! ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقرَ له زَوْرقاً من طُرَف المَوْصِل وأذِن له.

المأمون يتمثل من شعره

[8]حدثني محمد بن يحيى الصُّولي، قال: حدثني أبو عبد الله الماقُطانيّ، عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى، عن سعيد بن وهيب، قال:

كان المأمونُ كثيراً ما يتمثَّل إذا كربَهُ الأمرُ:

---

(١) مقصد: مصيب قاتل.

(٢) ب: «وغض الضريبة».

(٣) مد: «وليس بديعاً بأن تحتذى». وفي مي: «وليس عجيباً بأن تحتذى». وفي ف: «وليس بديعاً بأن تقتفى».

(٤) ف، مي: «في إقامته».

(٥) ب: «ألا هل إليّ فيّ العقيق وظلّه».

(٦) ف: «ولا يتهادى بالمربين بعاد».

(٧) ف: «أجدك لا تلقى النوى».

(٨) من أول هنا حتى آخر الترجمة ساقط من ب ثابت في ف، مي، مم.

ألا رُبَّما ضَاقَ الفَضَاءُ بأهلِه ... وأمكَنَ من بَيْن الأسِنَّة مَخرَجُ

قصيدته في ابن عباد وزير المأمون حين أبعده

قال الأصبهانيّ: وهذا الشعر لمحمد بن وُهَيب يقوله في ابن عَبّاد وزيرِ المأمون، وكان له صديقاً، فلما وَلِيَ الوزارةَ اطَّرحه لانقطاعه إلى الحسنِ بنِ سهْل فقال فيه قصيدة أوّلُها:

تَكلَّمَ بالوحيِ البَنانُ المُخَضَّبُ ... ولله شكوى مُعجِم كيف يُعرِبُ؟
أإيماءُ أطرافِ البنانِ وَوَجهُها ... أباتا له كيف الضَّميرُ المُغَيَّبُ؟
وقد كان حُسنُ الظَّنِّ أنجبَ مَرَّة ... فأحْمَدَ عُقْبَى أمرِه المُتعقِّبُ
فلما تَدبَّرت الظُّنون[1] مُراقِباً ... تَقَلُّبَ حالَيْها إذا هي تكذِبُ
بدأتَ بإحسانٍ فلما شكرتُه ... تنكَّرتَ لي حتى كأنّيَ مُذنبُ
وَكلُّ فتى يلقي الخطوبَ بعزمه ... له مذهبٌ عمَّن له عنه مذهبُ
/ وهل يصرع الحُبُّ الكريمَ وقلبُه ... عَليمٌ بما يأتي وَما يتجَنَّبُ
تأَنَّيتُ حتى أوضح العِلمُ أنّني ... مع الدهر يوماً مُصعِدٌ وَمُصوِّبُ
والحقتُ أعجازَ الأمور صُدورَها ... وَقَوَّمها غَمزُ القِداح المُقَلَّبُ
وأيقنتُ أن اليأسَ للعِرض صائنٌ ... وأن سوف أغضي للقذى حين أرغبُ
أغادرتَني بين الظُّنون مُمَيِّزاً ... شواكِلَ أمرٍ بينهن مجرِّبُ
يُقرِّبني مَنْ كُنت أُصفيك دونه ... بوُدّي وتنأى بي فلا أتقرَّبُ
فللّه حظِّي منك كيف أضاعَه ... سُلوُّك عنّي وَالأمورُ تَقَلَّبُ
أبعدكَ أستَسْقي بوارِقَ مُزنَةٍ ... وَإن جاد هَطّلٌ من المُزْن هَيْدَبُ[2]
إذا ما رأيتُ البرقَ أغضَيْت دونَه ... وَقلت إذا ما لاح: ذَا البرقُ خُلَّبُ
وإن سَنَحت لي فُرصَةٌ لم أُسامِها ... وَأعرضتُ عنها خوف ما أترقَّبُ
تأدَّبتُ عن حُسْن الرّجاء فلن أرَى ... أعودُ له إن الزّمان[3] مؤدِّبُ

وقال له أيضاً:

هل الهَمُّ إلا كُربَةٌ تتفَرَّج ... لها مُعقِبٌ تُحدَى إليه وَتُزعَجُ[4]
وَما الدّهر إلا عائدٌ مِثلُ سالِفٍ ... وما العَيْش إلا جُدَّةٌ ثم تنهَجُ[5]
وَكيف أشيمُ البَرقَ وَالبَرقُ خُلَّبٌ ... وَيُطْمِعُني رَيْعانُه المُتبَلِّجُ[6]
/ وَكيف أُدِيم الصبرَ لا بِي ضَراعَةٌ ... ولا الرِّزقُ مَحْظورٌ وَلا أنا مُحرَجٌ؟

[١٩/٩٢] [١٩/٩٣]

(١) ف: «الأمور».
(٢) الهيدب: السحاب المتدلي الذي يدنو من الأرض ويرى كأنه خيوط عند انصبابه.
(٣) مي، مم: «الرجاء».
(٤) مي: «هل الدهر» بدل: «هل الهم».
(٥) المختار: «وما الدهر إلا غابر». الجُدَّة: الطريقة. وتنهج: تبلى.
(٦) المختار: «ومطمعني إنعامه المتبلج». والمتبلج: المنير.

ألا رُبّمـــا كـــان التَّصَبُّـــرُ ذِلَّـــةً ... وَأَدْنَـى إلـى الحـالِ التـي هـي أَسْمَـجُ
وَهـل يَحمِـلُ الهَـمَّ الفَتَـى وَهْـو ضـامـنٌ ... سُـرى الليـلِ رَحّـالُ العَشيّـاتِ مُـدلِـجُ
وَلا صبـرَ مـا أَعْـدى علـى الـدّهـر مطلـبٌ ... وَأمكـــن إدلاجٌ وَأصحـــر منهـــجُ[1]
ألا رُبّمـــا ضـــاق الفضـــاءُ بـــأهلِـــه ... وَأمكـــن مـــن بيْـــن الأسِنّـــة مَخْـــرجُ
وقَـد يُـركَـبُ الخَطـبُ الـذي هـو قـاتِـلٌ ... إذا لـــم يَكُـــن إلا عليْـــه مُعـــرَّجُ

مدح الأفشين فأجازه المعتصم

حدثني بعضُ أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال:

كان محمدُ بنُ وُهَيب تيّاهاً شديد الذّهاب بنفسه، فلمّا قدم الأَفشِين ـ وقد قَتَل بابك ـ مدحَه بقصيدته التي أوّلها:

طُلـــــولٌ ومَغــــانِيهــــا ... تُنـــــاجِيهـــــا وَتَبْكِيهـــــا

يقـول فيهـا:

بعَثْـــتَ الخيـــلَ، والخَيْـــرُ ... عَقِيـــدٌ فـــي نَـــوَاصِيهـــا

وهي من جَيّد شعره، فأنشدَناها ثم قال: ما لها عيبٌ سوى أنها لا أُختَ لها.

قال: وأمر المعتصم للشعراء الذين مَدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرِقَتُها على يد ابن أبي دُوَاد، فأعطى منها محمدَ بنَ وُهَيْب ثلاثين ألفاً، وأعطى أبا تمّام عشرة آلاف درهم. قال ابنُ أبي كامل: فقُلْت لعليّ بن يحيى المُنجِّم: ألا تعجب من هذا الحظّ؟ يُعطَى أبو تمام عشرة آلاف وابنُ وُهَيْب ثلاثين ألفاً، وبينهما كما بيْن السماءِ والأرض. / فقال: لذلك عِلّة لا تعرفها؛ كان ابنُ وُهيْب مُؤدّبَ الفتْحِ بنِ خاقان، فلذلك وَصَل إلى هذه [١٩/٩٤] الحال.

يذكر الدنيا ويصف حاله وهو عليل

أخبرني محمدُ بنُ يَحْيى الصُّوليّ. قال: حدثني أبو زَكْوان، قال:

حدثني مَنْ دخل إلى محمد بن وُهَيْب يعودُه وهو عليل قال: فسألتُه عن خبره فَتَشكّى ما به ثم قال:

نُفـوسُ المَنـايـا بـالنُّفـوس تَشعَّـبُ ... وكُـلٌّ لـه مـن مَـذْهَـب المَـوت مَـذْهَـبُ
نُـراعُ لِـذكـر المـوت سـاعـةَ ذِكْـرِه ... وتَعتَـرِضُ الـدُّنيـا فَنلْهُـو ونلعَـبُ
وآجـالُنـا فـي كـلّ يَـوْم وليلـةٍ ... إلينـا علـى غِـرّاتِنـا تتقَـرّبُ
أأيقَـنَ أنّ الشيـبَ يَنْعَـى حيـاتـه ... مُـدِرٌّ لأَخْـلافِ الخَطيئـةِ مُـذنِـبُ
يَقِيـنٌ كـأنّ الشّـكّ أغلـبُ أمـرِه ... عليـه وعـرفـانٌ إلـى الجهـل يُنْسَـبُ
وقَـد ذَمَّـتِ الـدُّنيـا إلـيّ نَعِيمَهـا ... وخـاطَبَنـي إعجـامُهـا وهـو مُعْـرِبُ

---

(١) البيت من نسختي مي، مم. وجاء مكان هذا البيت في المختار:

أبـى لـي إغضـاء الجفـون علـى القـذى ... يقينـــي ألاّ عـــسـر إلا سيفـــرج

واصحر: اتسع.

ولكنّني منها خُلِقتُ لغَيْرِها ... وما كنتُ منه فهو عندي[1] مُحبَّبُ

ابن أبي فنن وأبو يوسف الكندي يطعنان عليه فيرد عليهما من ينصفه

أخبرني الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال:

كنّا في مَجلس ومعنا أبو يوسف الكِنديّ وأحمد بن أبي فَنَن، فتذاكرنا شعرَ محمدَ بنَ وُهَيْب فطعَن عليه ابنُ أبي فَنَن وقال: هو مُتكلِّف حَسودٌ، إذا أنشد شعراً لنفسه قَرَظه ووصفه في نِصْف يوم وشكا أنّه مَظلوم مَنحوس الحظّ وأنّه لا تُقصِّر به عن مراتب القُدَماء حالٌ، فإذا أُنشِدَ شعرُ غيره حَسده، وإن كان على نَبيذ عَرْبد عليه، وإن كان صاحِباً عاداه واعتَقد فيه كلَّ مكروه. فقُلت له: كلاكما لي صديق، وما أمتَنع من / وَصْفِكما جميعاً بالتَّقدُّم وحسن الشعر، فأخبرني عَمّا أسألُك عنه إخبارَ مُنصِف، أَوَ يُعَدّ مُتكلِّفاً مَنْ يقول: [١٩/٩٥]

أَبَى لِيَ إغضاءَ الجُفونِ على القَذَى ... يَقينِيَ أن لا عُسْرَ إلاّ مُفرَّجُ

ألا رُبَّما ضاق الفَضاءُ بأهلِه ... وأمكَنَ مِن بَيْنِ الأسِنَّةِ مَخرَجُ؟

أوَ يُعَدّ متكلّفاً مَنْ يقول:

رَأَتْ وَضَحاً مِن مَفْرِق الرأسِ راعها ... شَريحين مُبْيَضٌّ به وبَهيمُ؟

فأمسك ابنُ أبي فنَن، واندفَع الكِنديّ فقال: كان ابنُ وُهَيْب ثِنَوِيّا. فقلتُ له: مِن أينَ عَلِمتَ ذاك؟ أكلَّمكَ على مَذهب الثَّنوِيّة قطّ؟ قال: لا، ولكني استدلَلْت من شعره على مذهبه، فقُلتُ: حيث يقول ماذا؟ فقال: حَيْث يقول:

* طَلَلان طال عليهما الأمَدُ *

وحيث يقول:

* تفترّ عن سِمْطَيْنِ من ذهب *

إلى غير ذلك مما يَستَعمِلُه في شعره مِن ذكر الإثنين.

فشَغَلني واللهِ الضّحكُ عن جوابه. وقلت له: يا أبا يوسف، مِثلُك لا ينبغي أن يَتكلّم فيما لم يَنفُذ فيه عِلمُه.

يستنجز محمد بن عبد الملك الزيات حاجته

أخبرني أحمد بنُ عُبَيد الله بن عَمّار، قال: حدّثني أحمدُ بن سُليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، قال:

سأل محمدُ بنُ وُهَيْب محمدَ بنَ عبد الملك الزّيّات حاجةً فأبطأ فيها، فوقف عليه ثم قال له: [١٩/٩٦]

/طُبِعَ الكَريمُ على وَفائِهْ ... وعَلى التَّفضُّل في إخائِهْ

تُغنِي عِنايَتُه الصَّديقَ عن التَّعَرُّض لاقتِضائِهْ

حَسْبُ الكَريم حَياؤه[2] ... فكِلِ الكَريمَ إلى حَيائِهْ[2]

فقال له: حَسْبُك فقد بلَغتَ إلى ما أحبَبْتَ[3]، والحاجَةُ تسبِقُك إلى مَنزلك. ووَفى له بذلك.

---

(١) المختار: «فهو شيء محبب».

(٢) وفي التجريد: «.... حباؤه... حبائه» بدل: «حياؤه... حيائه...».

(٣) ف: «فقد حثثت فأبلغت». وفي التجريد: «قد حثثت فأبلغت».

[٩٧/١٩]

/ صوت

وددتُ على ما كان من سَرَف الهَوَى وغَيّ الأماني أنّ ما شِئْتُ يُفعَلُ
/ فترجِعَ أيّام تَقَضَّت ولَذّةٌ تولّت، وهل يُثنَى من الدّهر[1] أوّل!

١٥٠/١٧

الشعر لمُزاحم العُقَيليّ والغِناء لمقاسة بن ناصح، خفيف رمل بالبنصر عن الهشامِيّ. قال الهِشاميّ: وفيه لأحمد بن يَحيَى المكّيّ رملٍ.



(١) ب، س: «من العيش».

[١٩/٩٨]

/ أخبار مزاحم ونسبه

نسبه

هو مُزاحِم بنُ عَمْرو[١] بن الحارثِ بن مُصَرِّف بن الأعلم بن خُوَيْلد بن عَوْف بن عامِر بن عُقَيْل بنِ كَعْب بنِ ربِيعة بنِ عامر بنِ صعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوازِن.

وقيل: مُزاحِم بنُ عَمْرو بن مُرّة بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب.

بدويٌّ شاعر فصيح إسلاميّ، صاحب قصيد ورجز، كان في زمن جرير والفرزدق. وكان جرير يصفه ويُقرِّظُه ويقدِّمه.

بيتان له تمنى جرير أنهما له

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ، عن إسحاق المَوْصِلِيّ، قال: قال لي عُمارة بنُ عُقَيل: كان جريرٌ يقول: ما مِن بيتين كنتُ أُحِبّ أن أكون سُبقتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقَيْليّ:

وَدِدْتُ على ما كان من سَرَفِ الهَوَى ... وغَيِّ الأماني أنّ ما شئتُ يُفعَلُ

فترجِعَ أيّامٌ مَضَيْنَ ولَذّةٌ ... تَوَلَّت وهل يُثْنَى من العَيْش أوّلُ!

قال المفضّل: قال إسحاق: سَرَفُ الهوى: خطؤه، ومثله قولُ جرير:

أعطَوْا هُنَيْدَةَ[٢] تحدُوها ثَمانِيَةٌ ... ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

[١٩/٩٩] / أراد أنهم يحفظون[٣] مواضعَ الصنائع، لا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسُّط في الجُود.

إسحاق يعجب بشعره

قال إسحاق: وواعدَني زيادٌ الأعرابيّ موضعاً من المسجد، فطلبته فيه فلم أجده، فقلت له بعد ذلك: طلبتُك لموعدك[٤] فلم أجدك. فقال: أين طلبتَني؟ فقلت: في موضع كذا وكذا، فقال: هناك والله سَرِفْتُك، أي أخطأتُك.

أخبرني محمدُ بنُ مزيد بن أبي الأزهر، قال:

---

(١) مي، ف: «مزاحم بن الحارث بن مصرف»، وفي الخزانة ٣: ٤٥: «مزاحم بن الحارث: شاعر إسلامي من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

(٢) هنيدة: مائة من الإبل.

(٣) ف: «لا يخطؤون» بدل «يحفظون». وفي ب: «أراد أنهم لا يخطئون مواضع الصنائع إلا أنه...».

(٤) مي: «الموضعك».

أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العُقَيْليّ قال ـ وكان يستجيدُها ويستحسنُها ـ:

لِصَفْرَاءَ في قَلْبِي من الْحُبِّ شُعبَة ... حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صَمِيمُ[١]

بها حلَّ بَيتُ الحُبِّ ثم ابتَنى بها ... فبانَت بُيوتُ الحَيِّ وهو مُقِيمُ

بَكَت دارُهم من نَأيِهم فتهلَّلَت ... دموعي فأيُّ الجازِعينَ أَلُومُ!

أَمُسْتَعْبِراً يبكي من الحُزْن والجَوَى ... أَمْ آخَرُ يَبْكي شَجْوَه فيَهِيمُ؟

تَضمَّنه من حُبِّ صَفْراء بعدما ... سلا هَيَضاتُ الحب فهو كَلِيمُ[٢]

ومن يَتَهيَّضْ[٣] حبُّهن فُؤادَه ... يَمُت أو يَعِش ما عاش وهو سَقِيمُ

كحَرَّان صادٍ ذِيدَ عن بَرْدِ مَشْرَبٍ ... وعن بَلَلاتِ الرِّيق[٤] فَهْو يَحُومُ

منعه عمه من زواجه بابنته لفقره

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السُّكَّري، قال: أخبرنا محمد بن حَبِيب، عن ابن أبي الدُّنيا العُقَيليّ ـ قال ابن حبيب: وهو صاحب الكسائيّ وأصحابنا ـ قال:

[١٩/١٠٠] [١٥١/١٧] كان مزاحم العقيليّ خطب ابنة عم له دِنْيَة[٥] فمنعه أهلُها لإملاقه وقلة ماله، وانتظروا /بها /رجلاً مُوسراً في قومها كان يذكرها ولم يحقق، وهو يومئذ غائب. فبلغ ذلك مُزاحماً من فعلِهم، فقال لعمِّه: يا عمِّ، أتقطَع رَحِمي وتختار عليّ غيري لفضل أباعَر تحوزُها وطفيفٍ من الحظ تحظى به! وقد علمت أني أقرب إليك من خاطبها الذي تريده، وأفصح منه لساناً، وأجودُ كفًّا، وأمنع جانباً، وأغنى عن العشيرة! فقال له: لا عليك فإنها إليك صائرة، وإنما أُعَلِّل أمَّها بهذا، ثم يكون أمرها لك، فوثق به.

تزوجت ابنة عمه في غيابه فقال فيها شعراً

وأقاموا مدة، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب، وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه[٦] أمرها، فرغب فيها، فأنكحوه إياها، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول:

نَزلت بمُفْضَى سيلِ حَرْسَيْن والضُّحى ... يَسِيلُ بأطراف المخارم آلُها[٧]

بمسقِيَّةِ الأجفان أنفَدَ دَمعَها ... مُقارِبةُ الأُلاَّف ثُمَّ زِيالُها[٨]

فلما نَهاها اليأسُ أن تُؤنس الحِمَى ... حِمَى البِشْرِ جَلَّى عَبْرَةَ العَيْنِ جالُها[٩]

---

(١) ب: «سموم». وفي مي، مد: «جموم». وفي ب: «لم تبحه الغانيات سموم».

(٢) ب: «فهو كظيم». والهيضات جمع هيضة، وهي معاودة الهم والحزن.

(٣) تهيضه الغرام: عاوده مرة بعد أخرى.

(٤) مي: «نهلات الريق».

(٥) ابنة عم له دنية أي، لاصقة النسب.

(٦) ب: «فذكروا».

(٧) حرس: من مياه بني عقيل بنجد. والمخارم: الطرق في الغليظ من الأرض. وفي مي، مد، ف: «نظرت» بدل: «نزلت». وفي ب: «يسير بأيام المخارم».

(٨) ف: «مفارقة الألاف».

(٩) مي، ف: «حمى البين جلى عبرة البين جالها».

أيا ليلَ إن تَشحَط بك الدارُ غُربةً ... سوانا ويُغني النفسَ فيك احتيالُها
فكَمْ ثم كَمْ من عَبْرة قد رَدَدتُها ... سَريع على جَيْب القَميصِ انهِلالُها[(١)]
خليليّ هل من حِيلةٍ تَعْلَمانها ... يُقرِّبُ من ليلى إلينا احتيالُها
فإنَّ بأعلى الأخشبَيْن أراكةً ... عدَتني عنها الحَرْبُ دانٍ ظِلالُها
وفي فَرْعها لو تُستطاع جَنابُها ... جنًى يجتنيه المُجْتَني لو يَنالُها
هنيئاً لليْلى مُهْجَةٌ ظَفِرت بها ... وتَزويجُ لَيْلى حين حان ارتحالُها

[١٠١/١٩] / فقد حَبَسُوها مَحْبِس البُدْن وابتَغى ... بها الرِّبحَ أقوامٌ تَساخَف مالُها[(٢)]
فإنّ مع الرَّكْبِ الذين تحمَّلُوا ... غمامةَ صَيْف زعزعَتْها شمالُها

سجنه ثم هربه

وقال محمد بنُ حَبيب في خَبره، قال ابنُ الأعرابيّ:

وقع بين مُزاحم العُقَيْلي وبين رجل من بَني جُعدة لِحَاءٌ في ماء فتَشاتما وتَضاربا بعِصِيِّهما، فشجَّه مُزاحم شجَّة أمَّتْه[(٣)]، فاستعدَت بنو جَعْدة على مُزاحم فَحُبِس حبساً طويلاً، ثم هَرَب من السُّجن، فمكَث في قومه مدة، وعُزل ذلك الوالي وولي غيره، فسأله ابنُ عَمّ لمزاحم يقال له مُغلِّس أن يكتب أماناً لمزاحم، فكَتبه له، وجاء مُغلّس والأمان معه، فَنَفَر مُزاحم منه وظنَّها حِيلةً من السُّلطان، فهَرَب وقال في ذلك:

أتاني بقِرطاس الأميرِ مُغَلِّسٌ ... فأفزعَ قِرطاسُ الأمير فُؤَادِيا
فَقلتُ له: لا مَرحباً بك مُرسَلاً ... إليّ ولا لي من أميرك داعِيَا[(٤)]
أليستْ جِبالُ القَهْر قُعْساً مكانُها ... وعَرْوَى وأجبالُ الوَحَاف كما هِيا؟[(٥)]
أخاف ذُنُوبي أن تُعَدّ بِبابِه ... وما قد أزلَّ الكاشِحُون أمامِيا
ولا أسْتَرِيم عُقْبةَ الأمر بعدما ... تورَّط في بهماءِ كَعْبي وساقِيا[(٦)]

هوى امرأة من قومه وتزوجت غيره

أخبرني محمد بن مَزْيد، وأحمد بن جعفر جحظة، قالا: حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه، قال:

١٥٢/١٧ كان مُزاحمٌ العُقَيليّ يهوَى امرأةً من قومه يقال لها مَيّة، فتزوَّجت رجلاً كان / أقربَ إليها من مزاحم، فمر عليها بعد أن دَخَل بها زوجُها، فوقفَ عليها ثم قال:

[١٠٢/١٩] / أيَا شفَتَيْ مَيٍّ أمَا من شَريعةٍ ... من الموت إلا أنتما تُورِدانِيَا!
ويا شَفَتَيْ مَيٍّ أمالِي إليكما ... سبيلٌ وهذا الموت قد حَلَّ دانِيَا!

---

(١) ف: «انهمالها».
(٢) تساخف مالها: رق حالها.
(٣) أمته: أصابت أم دماغه.
(٤) ف، مي: «ولا لبّى أميرك».
(٥) قُعساً جمع أقعَس أي ثابتة. وفي مد: «تمسي مكانها».
(٦) مد، ف: «ولا أستديم... تورّط بي وهنا بكعبي وساقيا».

ويـــا شفَتَـــيْ مَـــيٍّ أمـــا تَبـــذُلان لـــي بشـــيء وإن أعطَيـــت أهلـــي ومـــاليـــا!

فقالت: أعزِزْ عليّ يابن عمّ بأن تسأل ما لا سَبيل إليه، وهذا أمر قد حِيل دونه، فَالْهَ عنه. فانصرف.

جرير يتمنى أن يكون له بعض شعر مزاحم

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفشُ، قال: حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحويّ، قال:

حدَّثني عُمارة بن عُقَيل قال: قال لي أُبي: قال عبد الملك بنُ مروان لجرير: يا أبا حَزْرة، هل تُحب أن يكون لك بشيء من شِعْرك شيءٌ من شِعْر غَيرِك؟ قال: لا، ما أُحِب ذلك، إلا أنّ غُلاماً يَنْزِل الرَّوضاتِ من بلاد بني عُقَيل يقال له مُزاحِم العُقَيليّ، يقول حَسناً من الشعر[1] لا يقدر أحد أن يقول مثلَه، كنت أحِبّ أن يكون لي بعضُ شِعْرِه مُقايَضة ببعض شِعري.

هوى امرأة من قومه يقال لها ليلى وتزوجت غيره

أخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُريد، قال: حدَّثني عمِّي، عن العبَّاس بن هشام، عن أبيه، قال:

كان مُزاحم العُقَيليّ يَهوَى امرأةً من قَوْمه يقال لها ليلى، فغَاب غَيْبة عن بلاده، ثم عاد وقد زُوِّجَت، فقال في ذلك:

أتـانِـي بظَهْـرِ الغَيْـب أن قـد تَـزَوَّجَـت فظَلَّـت بـيَ الأرضُ الفضـاءُ تـدُورُ
وزايَلَنـي لُبِّـي وقـد كـان حـاضِـراً وكـاد جَنـانِـي عنـد ذاك يَطِيـرُ
فَقلـت وقـد أيقنـتُ أن ليـس بَيْنَنـا تَـلاقٍ وعَيْنـي بـالـدمـوع[2] تمـورُ
/ أيـا سُرعـةَ الأخبـارِ حيـن تَـزَوَّجـتْ فهـل يـأتِيَنِّـي بـالطَّـلاق بَشِيـرُ
ولسـتُ بمُخْـصٍ حُـبَّ ليلـى لسـائِـلٍ مـن النَّـاس إلا أن أقـول كَثِيـرُ

[١٠٣/١٩]

صوت

لهـا فـي سَـوادِ القَلْـب تِسعـةُ أسْهُـمِ وللنـاس طُـرًّا مـن هَـوايَ عَشِيـرُ[3]

قال ابن الكلبيّ: ومن الناس من يزعم أنّ لَيْلَى هذه التي يَهْواها مُزاحم العُقَيليّ هي التي كان يَهْواها المجنون، وأنهما اجتمعا هو ومُزاحم في حُبِّها.

هوى امرأة أخرى من قشير وتزوجت غيره

قال الأصبهانيّ: وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن عليّ بنِ الصّباح، عن ابن الكلبيّ، قال:

كان مزاحمُ بن مُرّة العُقَيْلي يَهوي امرأة[4] من قُشَير يقال لها ليلى بنت مُوازِر، ويتحدّث إليها مدة حتى شاع أمرُهما، وتحدّثت جَوارِي الحيّ به، فنَهاه أهلُها عنها، وكانوا مُتجاوِرين، وشَكَوْه إلى الأشياخ من قومِه فنَهَوْه

(١) مي، مد: «وحشياً من الشعر».
(٢) مي: «وعيني بالدماء».
(٣) عشير، أي جزء من العشرة.
(٤) ف: «جارية من قشير».

واشتدُّوا عليه، فكان يتفلَّت إليها في أوقات الغَفَلات، فيتحدّثان ويتشاكيان، ثم انتجَعَت بنُو قُشَير في ربيع لهم ناحِيَةً غير تلك قد نضَّرها غَيْثٌ وأخصبها، فبَعُد عليه خبرُها واشتاقَها، فكان يسأل عنها كلَّ وارد، ويُرسِل إليها بالسلام مع كل صادِر، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومِها، فسأله عنها فأخبره أنها خُطِبت فزُوِّجت، فوجَم طويلاً ثم أجهش باكِياً وقال:

أتـانـي بظَهْـر الغَيْـب أن قـد تَـزَوَّجـت ... فظلَّـت بـي الأرضَ الفَضـاء تَـدُورُ

وذكر الأبيات الماضية.

[١٩/١٠٤] / وقد أنشدني هذه القصيدة لمُزاحم ابنُ أبي الأزهر، عن حَمّاد / عن أبيه، فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها:

[١٥٣ / ١٧]

وتُنشَـر نفسـي بعـد مَـوْتـي بـذِكْـرِهـا ... مِـراراً فمـوتٌ مـرَّة ونُشـورُ

عَجَجْـت لـربـي عَجّـة[1] مـا مَلَكتُهـا ... وربّـي بـذي الشَّـوْق الحـزيـنِ بَصِيـرُ

ليـرحـم مـا أَلقَـى ويعلـمَ أنَّنـي ... لـه بـالـذي يُسـدِي إلـيَّ شَكـورُ

لئـن كـان يُهـدِي بـردُ أنيـابهـا العُـلا ... لأحْـوجَ مِنّـي إنَّنـي لفَقيـرُ

الفرزدق وجرير وذو الرمة يفضلونه على أنفسهم

حدثني عَمِّي، قال: حدّثني أبو أيوب المَدِينيّ، قال: قال أبُو عدنان:

أخبرنا تميمُ بنُ رافع قال: حُدِّثت أنّ الفَرزْدق دخل على عبد الملك بن مَروان - أو بعضِ بنيه - فقال له: يا فرزْدق، أتعرف أحداً أشعرَ منك؟ قال: لا، إلا غُلاماً من بني عُقَيل، يركب أعجازَ الإبل وَيَنْعت الفَلواتِ فيُجيد، ثم جاءه جرير فسأله عن مِثل ما سأل عنه الفرزْدق فأجابه بجوابه، فلم يلبَث أن جاءه ذو الرُّمة فقال له: أنت أشعرُ النَّاس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني عُقَيل يقال له مُزاحم يسكن الرَّوضات؟ يقول وَحْشِيّاً من الشعر لا يُقدرُ على مثله، فقال: فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك، فأنشده قولُه:

خليلَـيَّ عُـوجَـا بـي علـى الـدار نَسْـألِ ... مَتَـى عهـدُهـا بـالظَّـاعِـن المُتَـرحِّـلِ[2]

فعُجـتُ وعـاجـوا فـوق بَيْـداء مـوَّرتْ[3] ... بهـا الـريـح جـولان التـرابِ المُنَخَّـلِ

حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا.

[١٩/١٠٥]

/ صوت

أُكذِّب طَـرْفي عنـكِ فـي كُـلِّ مـا أرى ... وأُسمِـع أُذْنـي منـك مـا ليـس تَسْمَـعُ

فـلا كَبِـدي تَبلَـى ولا لـكِ رَحمـةٌ ... ولا عنـك إقصـارٌ ولا فيـك مَطْمَـعُ

لقِيـتُ أمـوراً فيـك لـم ألـقَ مِثْلَهـا ... وأعظـمُ منهـا فيـك مـا أتـوقـعُ

فـلا تسـألينـي فـي هـواكِ زيـادةً ... فـأيسـرُه يُجـزِي وأدنـاه يُقنِـعُ

الشعر لبكر بن النَّطّاح، والغِناء لحسين بن مِحْرز ثقيل أول بالوُسطى عن الهشاميّ.

---

(١) عج الرجل: صاح ورفع صوته، وفي ف: حججت لربي حجة.

(٢) في الخزانة ٣: ٤٥: «بالظاعن المتحمل».

(٣) مي، مد: «صفقت»، وموّرت: أثارت.

/ أخبار بكر بن النطاح ونسبه

[١٠٦/٩٩]

اسمه ونسبه

بكر بنُ النطَّاح الحنفيّ[١]. يُكنى أبا وائل، هكذا أخبرنا وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب، وذكر غيره أنه عِجْليٌّ من بني سَعْد بن عِجْل، واحتجَّ مَنْ ذكر أنه عِجْليّ بقوله:

فإن يَكُ جَدُّ القومِ فِهْرُ بن مالِك ... فَجَدِّيَ عِجْلٌ قَرْمُ بَكْرِ بن وائِلِ

وأنكر ذلك مَنْ زعم أنه حَنَفيٌّ وقال: بل قال:

* فَجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْرِ بنِ وائلِ *

وعِجْل بنُ لُجيم وحنيفة بن لُجيم أخوان.

وكان بكر بن النطّاح صُعلوكاً يُصيب الطَّريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دُلَف من الجُند، وجعل له رِزْقاً سُلطانيًّا، وكان شُجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشِّعر والتصرُّف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام.

قصته مع أبي دلف

/ فأخبرني الحسنُ بنُ عليّ[٢]، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه، قال: حدَّثني أبي، قال: ١٥٤/١٧

قال بكر بنُ النَّطّاح الحنفيّ قصيدتَه التي يقول فيها:

هنيئاً لإخواني ببَغْدادَ عِيدُهم ... وعِيدِي بحُلْوانِ قِراعُ الكَتائِبِ

وأنشدها أبا دُلَف فقال له: إنك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشَّجاعة، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قطّ، ولا فيك، فقال له: أيُّها الأمير وأيّ غناء يكون عند الرجل الحاسِر الأعْزل؟ فقال: أعطوه فرساً وسيفاً وتُرساً ودرعاً ورمحاً، فأعطوه ذلك أجمع، فأخذه وركب الفرسَ وخرج على وجهه، فلقيه مالٌ لأبي دُلف يُحمَل من بعض ضياعه، فأخذه / وخرج جماعةٌ من غلمانه فمانعُوه عنه، فجرحهم جميعاً وقَطعَهم وانهزموا. وسار بالمال، فلم ينزل إلا على [١٠٧/١٩] عشرين فرْسخاً، فلما اتصل خبرُه بأبي دُلف قال: نحن جَنَينا على أنفسنا، وقد كُنَّا أغنياءَ عن إهاجة أبي وائل، ثم كتب إليه بالأمان، وسوَّغه المالَ، وكتب إليه: صِرْ إلينا فلا ذنْب لك، لأنا نحن كنا سبب فِعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا؛ فرجَع ولم يزل معه يمتدحه، حتى مات.

---

(١) في تاريخ بغداد ٧: ٩٠: بكر بن النطاح بن أبي حمار الحنفي.

(٢) ف: «عليّ بن الحسين».

قصته مع الرشيد ويزيد بن مزيد

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثني محمدُ بنُ موسى، قال: حدثني الحسنُ بنُ إسماعيل، عن ابن الحَفصِيّ، قال: قال يزيدُ بنِ مَزْيد:

وجَّه إليَّ الرشيدُ في وقت يرتاب فيه البريءُ، فلمَّا مثُلت بين يديه قال: يا يزيدُ، مَنِ الذي يقول:

ومَـــن يَفْتَقِــرْ مِنَّــا يَعِــشْ بحُســامِــه ... ومَـن يَفْتَقِـر مِـن سـائـر النَّـاسِ يَسْـألِ

فقلت له: والذي شرَّفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه، قال: فمن الذي يقول:

وإن يَـكُ جَـدُّ القَـوْمِ فِهْـرَ بـن مَـالِـك ... فَجـدِّي لُجَيْـمٌ قَـرْمُ بَكْـر بـن وائِـلِ

قلت: لا والذي أكرمك وشرَّفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه، قال: والذي كَرَّمني وشرَّفني إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتُك بساطي وشرَّفتُك بصنيعتي أني أحتَمِلك على هذا؟ أو تظن أني لا أُراعي أُمورك وأتقصّاها، وتحسب أنه يخفى عليّ شيءٌ منها؟ والله إن عُيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك، هذا جِلْفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طورَه وألحق قُريشاً بربيعة فأْتني به. فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، وكان أحد أصحابي، فدعوتُه وأعلمتُه ما كان من الرشيد، فأمرتُ له بألفي درهم، وأسقطتُ اسمه من الديوان، وأمرتُه ألا يظهر ما دام الرشيدُ حيًّا، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فألحقتُ اسمَه وزِدتُ في عطائِه[(١)].

[١٩/١٠٨] / **شعره في جارية تدعى رامشنة**

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع، قال: حدثني محمد بن حمزة العلويّ، قال: حدثني أبو غسّان دَماذ، قال:

حضرتُ بكرَ بنَ النَّطّاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيّين، وكانت للحنفيّ جاريةٌ يقال لها رامِشْنة، فقال فيها بكر بن النطاح:

حيَّتْـك بـالـرَّامِشْـن رامِشْنَـةٌ ... أحسـنُ مـن رامِشْنَـة الآسِ
جـارِيـةٌ لـم يُقْتَسَـم بُضْعُهـا ... ولـم تَبِـتْ[(٢)] فـي بَيْـت نَخَّـاسِ
أفسـدت إنسـانـاً عَلَـى أهلِـه ... يـا مُفْسِـدَ النّـاسِ علـى النّـاسِ

(١٥٥/١٧) / وقال فيها:

أُكـذِّب طَـرْفـي عنـكِ والطَّـرْف صـادِقٌ ... وأُسمِـعُ أُذْنِـي منـكِ مـا لَيْـس تَسْمَـعُ
ولـم أسكُـن الأرضَ التـي تَسْكُنِينهـا ... لكـي لا يقـولـوا صـابـرٌ ليـس يَجْـزَعُ
فـلا كَبِـدي تَبْلَـى ولا لَـكِ رَحْمَـة ... ولا عَنْـكِ إقصـارٌ ولا فيـكِ مطْمَـعُ
لَقِيـتُ أُمـوراً فيـكِ لـم ألْـقَ مثلَهـا ... وأعظَـمُ منهـا منـكِ مـا أتـوقَّـعُ
فـلا تَسْـألِينـي فـي هَـوَاكِ زِيَـادة ... فـأيْسَـرُه يُجْـزِي وأدْنـاه يُقْنِـعُ

---

(١) مي، مد، ف: «وزدت في إنزاله».

(٢) ف، مي، مد: «تقم»، بدل: «تبت».

المأمون يعجب بشعره وينقد سلوكه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، عن عليّ بن الصَّباح ـ وأظنه مُرسلاً وأن بينه وبينه ابنَ أبي سَعْد أو غيره، لأنه لم يَسْمع من عليّ بن الصبَّاح ـ قال: حدثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون:

انشِدْني أشجعَ بيت وأعفَّه وأكرمَه من شِعْر المحدثين، فأنشدته:

ومــن يَفْتَقِــر منّــا يَعِــشْ بحُسَــامــه ... ومــن يَفْتَقِــرْ مــن ســائــرِ النّــاس يَسْــأَلِ

وإنّــا لنَلْهُــو بــالسُّيــوف كمــا لَهَــت ... عَــروسٌ بعِقــدٍ أو سِخــابِ[1] قَــرَنْفُــلِ

/ فقال: ويحك! مَنْ يقول هذا؟ فقلتُ: بكْرُ بنُ النطّاح، فقال: أحسنَ والله، ولكنه قد كَذَب في قوله، فما بالُه يسألُ أبا دُلَف ويمتدحُه وينتجعُه! هلاّ أكل خُبزَه بسَيْفه كما قال!. [١٩/١٠٩]

مدح أبا دلف فأعطاه جائزة

أخبرني الحسَن بن عليّ، قال: حدَّثنا ابنُ مهرُوُيه، قال: حدَّثني أبو الحسن الكَسْكَرِيُّ[2]، قال:

بَلَغني أن أبا دُلَف لَحِق أكراداً قَطَعوا الطَّريق في عمله، وقد أردَف منهم فارسٌ رفيقاً له خَلْفه، فطَعنهما جميعاً فأنفذهما، فتحدثَ الناسُ بأنه نَظَم[3] بطعنة واحدة فارِسَيْن على فرس، فلما قَدِم من وجهه دخَل إليه بكْرُ بن النَّطّاح فأنشده:

صـوت

قــالــوا: ويَنْظِــم فــارسَيْــن بطَعْنَــةٍ ... يَــوم اللِّقــاء ولا يَــراهُ جَلِيــلا

لا تَعْجَبُــوا فلَــوَ انّ طُــولَ قَنــاتِــه ... ميــلٌ إذاً نَظَــم الفــوارسَ ميــلا[4]

قال: فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم، فقال بكْرٌ فيه:

لــه راحــةٌ لــو أن مِعْشــار جُــودِهــا ... على البَرّ كــان البَرُّ أنــدى مــن البَحْــرِ

ولــو أنّ خَلْــقَ الله فــي جِسْــم فــارِس ... وبــارزَه كــان الخلِــيَّ مــن العُمْــرِ

أبــا دُلَــف بُــورِكْــتَ فــي كــل بَلْــدةٍ ... كمــا بُــورِكَــتْ فــي شهْــرهــا لَيلــةُ القَــدْرِ

عشق غلاماً نصرانياً وقال فيه شعراً

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيْد الله بنِ عَمّار، وعيسى بنُ الحسين، قالا: حدّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل، قال: حدّثني أبو زائدة، قال:

/ كان بكْرُ بن النّطّاح الحنفيّ يتعشّق غُلاماً نَصرانيًّا ويُجَنُّ به، وفيه يقول: [١٩/١١٠]

---

(١) سخاب قرنفل: عقد قرنفل.

(٢) ف: «العسكري». وفي مد: «الكسكوبي». والكسكري نسبة إلى كسكر: كورة واسعة بالقرب من البصرة.

(٣) ف: «أنه أنفذ بطعنة واحدة».

(٤) في فوات الوفيات ١: ٧٩: «لا تعجبن لو كان مد قناته . . . ميلاً . . .».

يـا مَـنْ إذا دَرَس الإنجيـلَ كـان لـه ... قَلْـبُ التَّقِـيِّ عـن القُـرآن مُنْصَـرِفـا
إنِّـي رأيتُـك فـي نـومـي تُعـانِقُنـي ... كمـا تُعـانِـق لامُ الكـاتِـب الألِفـا

رده أبو دلف فغضب عليه وانصرف عنه

156/17 أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ، قال: حدّثني الحسن بن عبد الرحمن / الرَّبعيّ[1]، قال:

كان بكرُ بنُ النّطّاح يأتي أبا دُلَف في كل سَنة، فيقول له: إلى جَنْب أرضِي أرضٌ تُباع وليس يحضُرني ثمنُها، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطِيه ألفاً لنفقته[2]، فجاءه في بعض السنين فقال له مِثْل ذلك، فقال له أبو دُلَف: ما تَفْنَى هذه الأرَضُون التي إليها جانب ضَيْعتك[3]! فغَضِب وانصرف عنه، وقال:

يـا نفـسُ لا تجـزَعـي مـن التّلَـفِ ... فـإن فـي الله أعظـمَ الخَلَـفِ
إن تَقْنَعـي بـاليَسِيـرِ تَغْتَبِطـي ... ويُغْنِـكِ الله عـن أبـي دُلَـفِ

رده قرّة بن محرز فغضب عليه وانصرف عنه كذلك

قال: وكان بَكْر بنُ النّطاح يأتي قُرّة بنَ مُحرِزِ الحنفيّ بكَرْمان فيعطيه عشرة آلاف درهم، ويُجري عليه في كل شهر يقيم عنده ألفَ درهم، فاجتاز به قُرّة يوماً وهو ملازم في السّوق وغُرماؤه يُطالبونه بدَين، فقال له: ويحك! أما يكْفِيك ما أعطيك حتى تستدين وتُلازَم في السّوق! فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول:

ألا يـا قُـرّ لا تَـكُ سَـامِـرِيّـاً[4] ... فتَتْـرِكَ مَـنْ يَـزُورك فـي جِهـادِ
أتعجَـبُ أنْ رأيـتَ علـيَّ دَيْنـاً ... وقـد أودَى الطّـرِيـفُ مـع التّـلادِ
مـلأتُ يَـدِي مـنَ الـدُّنيـا مِـراراً ... فمـا طَمِـع العَـوَاذِلُ فـي اقْتِصـادي
ولا وَجَبَـت علـيَّ زَكـاةُ مـالِ ... وهـل تَجِـبُ الـزّكـاةُ علـى جَـوَادِ!

مدح أبا دلف ببيتين فأعطاه جائزة [111/19]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيَد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

كنت يوماً عند عليّ بن هشام، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقَيل، فحدّثتُه أنّ بَكْر بنَ النطّاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده، فقال لي أبو دلف: يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تَستطرِفه، فبدَر إليه بَكْرٌ وقال: أنا أُنشدك أيها الأميرُ بيْتين قلتُهما فيك في طريقي هذا إليك وأُحكِّمك، فقال: هاتِ، فإن شَهِد لك أبو محمد رَضِينا، فأنشده:

إذا كـانَ الشّتـاءُ فـأنـتَ شَمْـسٌ ... وإن حَضَـر المَصِيـفُ[5] فـأنـتَ ظِـلُّ
ومـا تَـدْرِي إذا أَعْطَيْـتَ مـالاً ... أَتُكثِـرُ فـي سَمـاحِـك أم تُقِـلُّ

---

(١) ف، ب: «الحسن بن عبد الله بن الربعيّ».

(٢) ف، مي: «لنفقتها».

(٣) مي، مد: «أرضك».

(٤) سامري، منسوب إلى السامريّ، من قوم موسى الذي جعل من الذهب عجلاً يعبد.

(٥) فوات الوفيات ١: ٧٩: «وإن كان المصيف...».

فقلت له: أحسنَ والله ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذ رضيتَ فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحُمِلتْ إليه، وانصرفت إلى منزلي، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إليّ، وجّه بها أبو دلف، قال: فقال عُمارة لعليّ بن هشام: فقد قلت أنا في قريب من هذه القصّة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ أكفَّهم ... لأموالهم مِثلُ السِّنين الحَواطم[1]
وأنهمُ لا يُورِثُون بَنِيهمُ ... ـ وإن وَرِثوا خَيراً ـ كُنوزَ الدَّراهم

رثى معقل بن عيسى

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو تَوْبة، قال:

كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطّاح، وكان بكر فاتِكاً صُعلوكاً، فكان لا يزال قد أحدَث حادثة في عمل أبي دلف، أو جنى جِناية، فَيَهُمّ به فيقوم دونه معقل حتى يَتَخَلَّصَه، فمات مَعقِلٌ فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله:

[١١٢/١٩]

/ وحدَّث عنه بعضُ من قال إنّه ... رَأتْ عَينُه فيما تَرَى عَينُ حالِم[2]
/ كأنَّ الذي يَبْكي على قَبْر مَعْقِل[3] ... ولم يرَه يَبْكي على قَبْر حاتمِ

١٥٧/١٧

ولا قَبرِ كَعْبٍ إذ يَجودُ بنَفْسِه ... ولا قَبْر حِلْفِ الجُود قَيْس بن عاصِم
فأيقنتُ أنَّ الله فضَّل مَعْقِلاً ... على كل مَذْكُور بفَضْلِ المَكارِم

هجاء عباد بن الممزق لبخله

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكرانِيّ، قال: حدّثني العُمَرِيّ، قال:

كان بكْرُ بن النَّطّاح الحنفيّ أبو وائل بخيلاً، فدخل عليه عبّاد بن المُمزَّق يوماً، فقدّم إليه خُبزاً يابساً قليلاً بلا أُدْم، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع، فقال عَبّادٌ يهجوه:

مَنْ يَشْتَرِي مِني أبا وائِلٍ ... بكرَ بنَ نَطّاح بِفَلْسَيْن؟
كأنما الآكِلُ من خُبزِه ... يأكلُهُ من شَحمَةِ العَيْنِ

قال: وكان عَبّاد هذا هَجّاءً ملعوناً، وهو القائل:

أنَا المُمزِّق أعراضَ اللِّئام كما ... كان المُمزِّق أعراضَ اللِّئام أبي

مدح مالك بن طوق ثم هجاه

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا أبو هِفّان، قال:

كان بكْرُ بن النطّاح قصد مالك بنَ طَوْقٍ فمدحه، فلم يرض ثوابَه، فخرج من عنده وقال يَهْجوه:

فليتَ جَدا مالكٍ كُلَّه ... وما يُرتجى منه من مَطْلَبِ
أُصِبتُ بأضعاف أضعافِه ... ولم أنتَجِعْه ولم أرغَبِ

---

(١) حطمه: كسره، والسنون الحواطم: المهلكة.

(٢) ف، المختار:

وحدثني عن بعض من قال إنه ... رأت عينه فيما ترى عين نائم

(٣) المختار: «كأن الذي يبكي على قبر معقل».

أســـأْتُ اخْتِيـــاريَ منـــك الثَّـــوابَ[1] لـــي الـــذّنـــبُ جَهْـــلاً ولـــم تُـــذْنِـــبِ

[١٩/١١٣] / وكتبَها في رقعة وبعث بها إليه، فلما قرأها وَجّه جماعة من أصحابه في طلبه، وقال لهم: الويْلُ لكم إن فاتكم بَكْر بنُ النَّطَّاح.

اعتذر إليه وأعطاه فمدحه

ولا بد أن تَنْكفِئوا على أثره[2] ولو صار إلى الجَبل، فلَحِقوه فردُّوه إليه، فلما دخل دارَه ونظر إليه قام فتلقاه وقال: يا أخي، عَجِلْتَ علينا وما كُنّا نقتصر بك على ما سلف وإنما بعَثْنا إليك بنفقة، وعوّلنا بك على ما يتلوها، واعتذر كلُّ واحد منهما إلى صاحبه، ثم أعطاه حتى أرضاه، فقال بَكْرُ بن النَّطَّاح يمدحه:

أقـولُ لمُـرتـادِ نـدى غيـرِ مـالِـكٍ كفـى بَـذْلَ هـذا الخلـق بعـضُ عِـداتِـهِ
فَتًـى جـاد بـالأمـوال فـي كُـلِّ جـانـبٍ وأنْهَبَهـا[3] فـي عَـوْده وبَـداتِـه
فلـو خَـذلـتْ أمـوالُـه بـذْلَ[4] كَفِّـه لقـاسَـم مَـنْ يَـرجُـوه شَطْـرَ حَيـاتِـه
ولـو لـم يجـد فـي العُمْـر قسمة مـالِـه[5] وجـاز لـه الإعطـاء مـن حَسنـاتِـه
لجـادَ بهـا مـن غَيْـر كُفْـر بـرَبِّـه وشـاركَهـم فـي صَـوْمـه وصَـلاتِـه

فوَصَله صِلة ثانية لهذه الأبيات، وانصرف عنه راضياً.

هكذا ذكر أبو هِفّان في خبره وأحسَبه غلطاً، لأن أكثر مدائح بَكْر بن النَّطَّاح في مالك بن عليّ الخُزاعِيّ ـ وكان يتولّى طريقَ خُراسان ـ وصار إليه بكر بن النَّطّاح بعد وفاة أبي دُلَف ومدحه، فأحسن تَقَبُّلَه وجعله في جُنده، وأسنَى له الرّزق، فكان معه، إلى أن قتَله الشُّراة بحُلوان، فرثاه بَكْرٌ بعدّة قصائد هي من غُرر شعره وعيونه.

[١٩/١١٤] **كان مع مالك الخزاعي يوم أن قتل فرثاه**

فحدَّثني عمِّي، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، عن أبي وائِلةَ السَّدُوسِيّ، قال:

١٥٨/١٧ عاثت الشُّراةُ بالجبل عَيْثاً شديداً، وقتلوا الرجال والنساءَ والصِّبيان، / فخرج إليهم مالكُ بنُ عليّ الخُزاعِيّ وقد وردُوا حُلوان، فقاتلهم قِتالاً شديداً فهزمهم عنها، وما زال يَتْبَعُهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها: حُدَّان[6]، فقاتلوه عندها قِتالاً شديداً، وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم، وأصابت مالكاً ضربةٌ على رأسه أثبتته[7]، وعُلِمَ أنه ميِّت، فأمر بردِّه إلى حُلوان، فما بلغها حتى مات، فدفن على باب حلوان، وبُنيت لقبره قُبَّةٌ على قارعة الطريق، وكان معه بكر بنُ النَّطَّاح يومئذ، فأبلى بَلاءً حسناً، وقال بَكْر يرثيه:

---

(١) ب: «أسأت اختياري فنلت النوى».
(٢) مي: «ولا بد أن تبلغوا في أثره».
(٣) فوات الوفيات ١: ٧٩: «وأوهبها».
(٤) فوات الوفيات: «جود كفه».
(٥) فوات الوفيات: «قسمة باذل».
(٦) حُدّان ـ بالضم ـ: إحدى محالّ البصرة القديمة. وفي ف: «حيداه».
(٧) أثبتته: جعلته ثابتاً في مكانه لا يفارقه.

يا عينُ جُودِي بالدُّموع السِّجامْ — على الأميرِ اليمنيِّ الهُمامْ
على فَتَى الدُّنيا وصِنديدِها — وفارسِ الدِّينِ وسَيفِ الإمامْ
لا تَدَّخري الدمعَ على هالكٍ — أيْتَمَ إذ أودى جَميعَ الأنامْ
طابَ ثَرَى حُلوانَ إذ ضُمِّنتْ — عِظامَه، سَقْياً لها من عِظامْ
أغلقتِ الخَيراتُ أبوابَها — وامتنَعتْ بعدَكَ يابنَ الكِرامْ
وأصبحَتْ خَيلُكَ بعد الوَجَا — والغَزْوِ تَشكُو منكَ طُولَ الجَمامْ
ارحَلْ بنا نَقرُبْ إلى مالِكٍ — كيما نُحَيِّي قبرَه بالسَّلامْ
كان لأهلِ الأرضِ في كَفِّه — غِنًى عن البحرِ وصَوْبِ الغَمامْ
وكان في الصُّبحِ كشمسِ الضُّحى — وكان في الليلِ كبَدْرِ الظَّلامْ[1]
وسائلٍ يعجَبُ من موتِه — وقد رآه وهو صَعْبُ المَرامْ
/ قُلتُ له عَهدِي به مُعلِماً — يضربُهم عند ارتفاعِ القَتامْ

[١١٥/١٩]

والحربُ مَنْ طاولَها[2] لم يَكَدْ — يُفلِتُ من وقْعِ صقيلٍ حُسامْ
لم ينظُرِ الدَّهرُ لنا إذ عدا — على ربيعِ النّاسِ في كلِّ عامْ
لن يَسْتَقِيلوا أبداً فقدَه — ما هَيَّجَ الشَّجوَ دُعاءُ الحَمامْ

قال: وقال أيضاً يرثيه:

أيُّ امرئٍ خَضَبَ الخوارجُ ثوبَه[3] — بدمٍ عَشِيَّةَ راحَ من حُلْوانِ
يا حُفْرةً ضَمَّتْ محاسِنَ مالِكٍ — ما فيكِ من كَرَمٍ ومن إحسانِ
لَهْفي على البَطَلِ المُعرِّضِ خَدَّه — وجبينَه لأسنَّةِ الفُرسانِ
خَرَقَ الكتيبةَ مُعلِماً مُتكبِّباً[9] — والمُرهفاتُ عليه كالنِّيرانِ
ذهبتْ بَشاشةُ كلِّ شيءٍ بعده — فالأرضُ مُوحِشةٌ بلا عُمرانِ
هدَمَ الشُّراةُ غَداةَ مَصْرعِ مالكٍ — شرفَ العُلا ومكارمَ البُنيانِ
قَتَلوا فتى العربِ الذي كانت به — تَقْوى على اللَّزَباتِ[4] في الأزمانِ
حرَموا مَعَدًّا ما لديه وأوقَعُوا — عصبيّةً في قَلْبِ كُلِّ يَمانِي
تَركُوه في رَهَجِ العَجاجِ كأنّه[5] — أسَدٌ يَصولُ بساعِدٍ وبَنانِ
هَوَتِ الجُدودُ عن السُّعود لفقدِه — وتمسَّكتْ بالنَّحْسِ والدَّبَرانِ
/ لا يَبْعَدَنَّ أخو خُزاعةَ إذ ثَوَى — مستَشْهِداً في طاعةِ الرَّحمنِ
/ عَزَّ الغُواةُ به وذَلَّتْ أُمّةٌ — مَخْبُوّةٌ بحقائقِ الإيمانِ

[١٥٩/١٧]
[١١٦/١٩]

(١) في المختار: «وكان بالليل كبدر التمام».
(٢) مي: «حاولها».
(٣) ف: «تربه».
(٤) ف، المختار: «الأزمات». واللزبات جمع: لَزْبة، وهي الشدة أو القحط.
(٥) المختار: «تركوه في رهج الغبار كأنه» والرهج: الغبار أو ما أثير منه. والعجاج: الغبار.

وبكـاه مُصحَفُـه وصـدْرُ قَناتِـه[1] والمُسلِمـون ودَوْلَـةُ السُّلطـانِ
وغـدت تُعقَّـر خَيلُـه وتُقسَّمَـت أدراعُـه وسَـوابِـغُ الأبـدانِ
أفتُحمَـد الـدُّنيـا وقـد ذَهَبـتْ بِمَنْ كـان المُجيرَ لنـا من الحَـدَثانِ!

تشوقه بغداد وهو بالجبل

أخبرني هاشِمُ بن محمد الخُزاعيّ، قال: أنشدَني أبو غَسّان دَماذ لبَكْر بن النّطّاح يتشوّق بغدادَ وهو بالجبل يومئذ:

نَسِيـمُ المُـدامِ وبَـرْد السَّحـرْ همـا هيَّجـا الشّـوقَ حتـى ظَهَـرْ
تقـول: اجتَنِـب دارَنـا بـالنّهـار وزُرْنـا إذا غـاب ضـوءُ القَمَـرْ
فـإنّ لنـا حَـرَسـاً إن رأَوْكَ نَـدِمْـتَ وأُعطُـوا عليـك الظَّفَـرْ
وكـم صَنَـع اللهُ مِـن مـرَّةٍ عليهـم وقـد أُمِـرُوا بـالحَـذرْ
سَقـى اللهُ بغـدادَ مِـن بلـدةٍ وسـاكِـنَ بَغْـداد صَـوْبَ المَطَـرْ
ونُبِّـئـتُ أنّ جَـوارِيَ القُصُـو رِ صَيَّـرن ذِكْـرِي حـديـثَ السَّمَـرْ
ألا رُبَّ سـائلـةٍ بـالعـرا قِ عنّـي وأخـرى تُطيـل الـذِّكَـرْ[2]
تقـول: عَهِـدْنـا أبـا وائـلٍ كظَبْـيِ الفَـلاة المَليـح الحَـوَرْ
ليـالِـيَ كنـتُ أزور القِيـانَ كـأنّ ثِيـابِـي بَهـارُ الشَّجَـرْ[3]

هوى جارية من القيان وقال فيها شعراً

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة، قال: حدَّثني ميمون بنُ هارون، قال:

كان بَكْر بنُ النّطّاح يَهوَى جارية من جَوارِي القيان وتَهْواه، وكانت لبعض الهاشِميّين، يقال لها دُرّة، وهو يذكُرها في شعره كثيراً، وكان يَجْتمع معها في منزل / رجُل من الجُند من أصحاب أبي دُلَف يقال له: الفرْز، فسَعى به إلى مولاها، وأعلمه أنه قد أفسدَها وواطَأها على أن تَهرُب معه إلى الجبل، فمنعه من لقائها وحَجَبه عنها، إلى أن خرج إلى الكَرَج مع أبي دُلَف، فقال بكر بن النّطّاح في ذلك: [١١٧/١٩]

أهـلُ دَارٍ بيـن الـرُّصـافـة والـجِسْـرِ أطـالـوا غَـيْـظي بـطُـول الـصُّـدودِ
عـذَّبـونـي بـبُـعْـدهـم وابـتَـلَـوا قَـلْـبي بـحُـزنَـيـن[4]: طـارِفٍ وتَـلِـيـدِ
مـا تَـهُـبّ الـشَّـمـال إلا تَـنَـفَّـسـت وقـال الـفـؤادُ لـلـعَـيْـن: جُـودي
قـلَّ عنهـم صَبْـري ولـم يـرحَمُـونـي فتحيَّـرت كـالطَّـريـد الشّـريـدِ
وكـلـتْـنـي الأيـامُ فـيـكِ إلـى نـفْـسـي فـأعـيَـيْـتُ وانـتـهى مَـجْـهـودِي

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوريّ:

(١) مد، ب: «وصدر حسامه».

(٢) ف، مي: «الفكر».

(٣) البهار: نبت طيب الرائحة.

(٤) ب: «بحيين».

العَيْنُ تُبْدِي الحُبَّ والبُغضا وتُظهِر الإبرامَ والنَّقْضا
دُرَّةُ ما أنصفتِني في الهوى ولا رَحِمتِ الجَسَدَ المُنْضَى [1]
مرَّت بنا في قُرطُق [2] أخضرٍ يعشق منها بَعضُها بَعْضاً
غَضْبَى ولا والله يا أهلَها لا أشرَبُ البارِدَ أو تَرْضَى
/ كيف أطاعَتكم بهَجْرِي وقد جَعلْتُ خَدّيَّ لها أرْضا!

١٦٠/١٧

وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوري:

صدَّرت فأمسى لِقاؤُها حُلماً [3] واستبدل الطرفُ بالدُّموع دَمَا
وسلَّطت حُبَّها على كَبِدي فأبدَلْتني بصِحَّةٍ سَقَما
/ وصِرْتُ فرداً أبكِي لفُرقتها وأقرعُ السِّنَّ بعدها نَدَما
شَقَّ عليها قولُ الوُشاة لها: أصبحتِ في أمر ذا الفَتى عَلَما
لولا شَقائي وما بُليتُ به من هَجْرِها ما استتَرْت ما اكتُما [4]
كم حاجةٍ في الكتاب بحتُ بها أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَما

[١١٨/١٩]

وقال فيها أيضاً، وفيه رمل لأبي الحَسَن أحمد بن جعفر جَحْظة:

بَعُدتِ عني فتغيَّرتِ لي وليس عندي لكِ تَغْيِيرُ
فَجدِّدي ما رَثَّ من وَصْلنا وكلُّ ذَنْبٍ لكِ مَغْفورُ
أُطَيِّب النَّفسَ بكتمان ما سارت به من غدْرِك العِيرُ
وَعدُكِ يا سَيِّدتي غرَّني منكِ ومَن يَغشَقُ مَغْرورُ
يَحزُنُني عِلمِي بنفسي إذا قال خَليلي أنتَ مَهْجورُ
يا ليتَ من زَيَّنَ هذا لها جارت لنا فيه المَقاديرُ
ساقِي النَّدامَى سَقِّها صاحِبي [5] فإنني وَيْحك مَعْذور
أأشرَبُ الخَمر على هَجْرِها إني إذاً بالهَجْر مسرور!

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلَف إلى أصبهان:

يا ظبيةَ السَّيب التي أحببتُها ومَنحتُها لُطفي ولِينَ جَناحي
عَينايَ باكِيتانِ بعدَكِ للّذي أوْدَعتِ قلبي من نُدوبِ جِراحِ
سَقْياً لأحمدَ من أخٍ ولِقاسمٍ فَقَدا غُدوِّي لاهِياً ورَوَاحي

---

(١) المنضى: المهزول.
(٢) القرطق: قباء ذو طاق واحد «معرب».
(٣) مي: «حرما»، وفي ب: «حمما».
(٤) ب:
«لولا سقامي ما بيت به من هجرها لاستترت فاكتتما»
(٥) ب: «ساقي المدام أسقها صاحبي».

[١١٩/١٩] / وتَــرَدُّدِي مــن بَيــت فــرْزٍ آمِنــاً ... مــن قُــربِ كُــلِّ مُخــالِــفٍ ومُــلاحِــي
أيــامَ تَغبِطُنــي المُلــوكُ ولا أرى ... أحــداً لــه كتــدلُّلــي ومَــراحِــي
تَصِــفُ القِيــانُ إذا خلــونَ مجــانَتِــي ... ويَصِفْــنَ للشَّــربِ الكــرام سمــاحِــي

ومما يُغنَّى فيه من شعر بَكْرِ بن النَّطّاح في هذه الجارية قوله:

صوت

هــل يُبْتَلــى أحــدٌ بمِثْــلِ بليَّتــي ... أم ليس لــي فــي العَــالَمِيــن ضَــرِيــبُ؟
قــالــت عَنــانُ وأبصــرتْنِــي شــاحِبــاً: ... يــا بَكْــرُ مــالــكَ قــد عَــلاك شُحــوبُ؟
فــأجبتُهــا: يــا أختُ لــم يلــقَ الــذي ... لاقيــتُ إلا المُبْتَلــى أيُّــوبُ
قــد كنــتُ أسمــع بــالهــوى فــأظنُّــه ... شيئــاً يَلَــذُّ لأهلــه ويَطِيــبُ
حتــى ابتُلِيــتُ بحُلْــوِه وبمُــرِّه ... فــالحلــو منــه للقُلــوب مُــذِيــبُ
والمُــرّ يَعجِــز مَنطِقــي عــن وَصْفِــه ... للمُــرِّ وصــفٌ يــا عَنــان عَجِيــبُ
[١٦١/١٧] / فــأنــا الشَّقِــيّ بحُلْــوِه وبمُــرِّه ... وأنــا المُعَنَّــى الهــائِــمُ المَكــروبُ
يــا دُرَّ حــالَفَــكِ الجَمــالُ فمَــا لَــه ... فــي وَجْــه إنســانٍ ســواكِ نَصِيــبُ
كــلُّ الــوجــوه تَشــابَهــت وبَهَــرْتِهــا ... حُسنــاً فــوَجهُــك فــي الــوُجــوه غــريــبُ
والشمــس يغــرُب فــي الحِجــاب ضيــاؤُهــا ... عنّــا ويُشْــرِق وَجْهــك المَحْجــوبُ

ومما يُغنَّى فيه من شعره فيها أيضاً:

غَضِــب الحبيــبُ علــيَّ فــي حُبِّــي لــه ... نَفْســي الفِــداءُ لمُــذْنِــبٍ غَضْبــانِ
مــا لِــي بمــا ذكــر الــرَّســولُ يــدانِ بــل ... إن تَــمَّ رأيُــكَ ذَا خَلعْــت عِنــانــي
[١٢٠/١٩] / يــا مَــنْ يَتُــوقُ إلــى حَبِيــب مُــذنِــبٍ ... طــاوعْتــه فَجــزاكَ بــالعِصْيــانِ
هــلاّ انتحــرتَ فكنــتَ أولَ هــالــكٍ ... إن لــم يَكُــن لــك بــالصُّــدود يَــدانِ
كنّــا وكُنْتُــم كــالبَنــان وَكَفِّهــا ... فــالكــفُّ مفــردَةٌ بغَيْــر بَنــانِ
خُلِــق السُّــرورُ لمَعْشــر خُلِقــوا لــه ... وخُلِقْــتُ للعَبَــرات والأحــزانِ

[١٢١/١٩] ## / صوت

ليــتَ شِعْــرِي أأَوَّلُ الهَــرْج هــذا ... أم زَمــانٌ مــن فِتْنَــةٍ غيــر هَــرْجِ (١)
إن يَعِــش مُصعَــبٌ فنحــن بخَيْــر ... قــد أتــانــا مــن عَيْشِنــا مــا نُــرَجِّــي (٢)
مَلِــكٌ يُطْعِــم الطَّعــام ويَسْقِــي ... لبَــنَ البُخْــت فــي عِســاس الخَلَنْــجِ (٣)

(١) الهرج: الفتنة والاختلاط.

(٢) في الديوان ـ ١٨٠ ط. بيروت: «... فإنا بخير... قد أتانا من عيشه...».

(٣) في الديوان ـ ١٨٠:

جَلَبَ الخَيْلَ مِن تِهامةَ حتّى بلَغَت خيلُه[1] قصورَ زَرَنْجِ
حيث لم تأتِ قبلَه خيلُ ذِي الأكتافِ يُوجِفْنَ[2] بين قُفٍّ ومَرْجِ

عروضه من الخفيف. الشعر لعُبيد الله بن قيس الرُّقيّات، والغناء ليُونُس الكاتب ماخوري بالبنصر، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مَجْرى البنصر عن إسحاق.



= «ملك يبرم الأمور ولا يشرك في رأيه الضعيف المزَجّي»
والبخت: الإبل الخراسانية، وعساس جمع عس، وهو القدح الكبير، والخلنج: شجر تصنع من خشبه القصاع.

(١) في الديوان ـ ١٨٠ : «وردت خيله» وزرنج: مدينة بسجستان.

(٢) في الديوان ـ ١٨٠ : «يرجمن». وذو الأكتاف: سابور بن هرمز قاتل العرب ونزع أكتاف من قتلهم.

[١٢٢/١٩] # / مقتل مصعب بن الزبير

خرج لمحاربة عبد الملك بن مروان

وهذا الشعر يقوله عُبَيْد الله بن قَيْس لمُصعَب بن الزّبير لما حَشَدَ للخروج عن الكُوفة لمُحاربة عبد الملك بن مَرْوان.

استشارة عبد الملك بن مروان في المسير إلى العراق

وكان السبب في ذلك، فيما أجاز لنا الحَرَمِيّ بن أبي العلاء روايته عنه، عن الزُّبير بن بكّار، عن المدائني، قال:

لما كانت سنة اثنتين وسبعين، استشار عبدُ الملك بن مروان عبدَ الرحمن بنَ الحكم في المسير إلى العراق ومُناجزة مُصْعَب، فقال: يا أمير المؤمنين، قد واليتَ بين عامين تغزو فيهما وقد خَسِرت خيلُك ورجالُك، وعامُك هذا عامٌ حاردٌ فأرح نفسك ورَجِلَك[1] ثم ترى رأيك. فقال: إنّي أبادر ثلاثة أشياء، وهي أنّ الشام أرضٌ بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي، وأشرافُ أهلِ العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم، وثلاثةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قد كبروا ونفِدت أعمارُهم، وأنا أُبادِر بهم الموتَ أُحبّ أن يحضُروا معي.

ثم دعا يَحيَى بن الحكم ـ وكان يقول: مَن أراد أمراً فليُشاور يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه. فقال: ما ترى في المسير إلى العراق؟ قال: أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مُصعباً / بالعراق، فلعن الله العراق! فضحك عبدُ الملك. [١٦٢/١٧]

ودعا عبدَ الله بن خالد بن أسيد فشاوره، فقال: يا أمير المؤمنين قد غزوتَ مرة فنصرك اللهُ، ثم غزوتَ ثانية فزادك الله بها عِزًّا، فأقام عامَك هذا.

فقال لمحمد بن مروان: ما ترى؟ قال: أرجو أن ينصُرَك الله أقمتَ أم غزوتَ، فشمّر فإن الله ناصرك. فأمر الناسَ فاستعدوا للمسير، فلما أجمع عليه قالت عاتكةُ بنتُ يزيد بن مُعاوية زوجته: يا أمير المؤمنين، وجّه الجُنودَ وأقم، فليس الرأيُ أن يُباشر / الخليفةُ الحرب بنفسه، فقال: لو وجّهتُ أهلَ الشام كُلّهم فعلِم مُصعَب أنّي لَستُ معهم لهلك الجيشُ كله، ثم تمثل: [١٢٣/١٩]

ومُسْتَخبِرٍ عنّا يُريد بنا الرَّدَى ... ومُستَخبراتٍ والعُيونُ سواكِبُ

ثم قدّم محمدَ بن مَرْوان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبِشْرَ بن مروان، ونادى مُناديه: إن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد بن مروان. وبلغ مُصعبَ بن الزبير مسيرُ عبد الملك، فأراد الخُروجَ فأبى عليه أهلُ

(١) ف: «فأرح نفسك وجسدك».

البصرة وقالوا: عدوُّنا مُطِلٌّ علينا ـ يعنون الخوارج ـ فأرسل إليهم بالمهلّب وهو بالموْصل، وكان عاملَه عليها، فولاّه قتالَ الخوارج، وخرج مُصعب فقال بعض الشعراءِ:

أكُـلَّ عـام لـك بـاجُـمَـيْـرا تـغـزُو بـنـا ولا تُـفِـيـد خَـيْـرا[1]

القتال بينه وبين عبد الملك

قال: وكان مُصعب كثيراً ما يخرُج إلى باجُميرا يريد الشام ثم يرجع، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونيّة[2] ونزل مُصعب بمَسْكِن إلى جنب أوانا[3] وخَنْدَق خَنْدقاً ثم تحوّل ونزل ديرَ الجَاثَلِيق وهو بمسكن، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ـ ويقال فرسخان ـ فقدّم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه وكلُّ واحدٍ منهما على جيش والأميرُ محمد، وقدّم مُصعبٌ إبراهيمَ بنَ الأشتر، ثم كتب عبد الملك إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة، يدعُوهم إلى نفسه ويمنيهم، فأجابوه وشرطُوا عليه شروطاً، وسألوه ولاياتٍ، وسأله ولايةَ أصبهان أربعون رجلاً منهم، فقال عبد الملك لمن حضره: ويْحكم! ما أصبهان هذه! تعجُّباً ممن يطلبها[4]، وكتب إلى إبراهيمَ بن الأشتر: لك ولايةُ ما سقى الفراتُ إن تبعتني، فجاء إبراهيمُ بالكتاب إلى مصعب فقال: هذا كتاب عبد الملك، ولم يَخُصَّني بهذا دون غيري من نظرائي، ثم قال: فأطعني فيهم، قال: أصنع ماذا؟ قال: تدعوهم / فتضرب أعناقَهم. قال: أَقتُلهم على ظن ظننته! [١٩/١٢٤] قال: فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أرض المدائن[5] حتى تَنقضيَ الحرب، قال: إذاً تفسد قلوبُ عشائرهم، ويقول الناس: عبث مصعب بأصحابه. قال: فإن لم تفعل فلا تمدَّني بهم فإنهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً، وهم يريدون كل يوم أميراً.

أرسل عبد الملك إلى مُصعَب رجلاً يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة، فأبى مُصعَب، فقدّم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال: اللهم انصر محمداً ـ ثلاثاً ـ ثم قال: اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة. قال: وقدّم مُصعَب إبراهيمَ بن الأشتر، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مُصعَب وعسكر ابن الأشتر فرسخ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد، فتناوشوا، فقُتل رجل على مقدمة محمد / يقال له فراس، وقُتِل صاحب لواء بشر وكان [١٦٣/١٧] يقال له أُسَيد، فأرسل محمد إلى عبد الملك أنَّ بشراً قد ضيَّع لواءه. فصرف[6] عبدُ الملك الأمر كله إلى محمد، وكفَّ الناسُ وتواقفوا، وجعل أصحابُ ابن الأشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه، فأرسل عبدُ الملك إلى محمد: ناجِزْهم، فأبى، فأوفد[7] إليه رسولاً آخر وشتمه، فأمر محمد رجلاً فقال له: قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تَدَعَنَّ أحداً يأتيني من قِبَل عبد الملك، وكان قد دبّر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه، فكره أن يُفسِد عبد الملك تدبيره عليه، فوجّه إليه عبدُ الملك عبدَ الله بن خالد بن أسيد، فلما رَأَوْه أرسلوه إلى محمد بن مَرْوان: هذا عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: رُدُّوه بأشد ممّا رددتم مَنْ جاء قبله، فلما قرب المساء أمر

(١) باجميرا: موضع في أرض الموصل. ذكره ياقوت في ١: ٤٥٤، وأورد البيت وعزاه لأبي جهم الكناني.

(٢) في معجم البلدان: الأخنونية: موضع من أعمال بغداد.

(٣) في معجم البلدان: أوانا: بليدة كثيرة البساتين والشجر نزهة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ.

(٤) ف: «تعجبا من كثرة من يطلبها».

(٥) الطبري ٧: ١٨٥: ط الحسينية: «أبيض كسرى». وفي ف: «أبيض المدائن».

(٦) ف: «فصيّر عبد الملك الأمر كله إلى محمد».

(٧) ف: «فرد عليه رسولاً آخر».

محمدُ بنُ مَرْوانُ أصحابه بالحرب، وقال: حرِّكوهم قليلاً، فتهايج الناس، ووجه مُصعَب عتّابَ[1] بنَ ورقاء الرِّياحيّ يُعَجِّز إبراهيم، فقال له: قد قلت له: لا تُمِدَّنِي بأحد من أهل العراق فلم يقبل، واقْتَتلوا، وأرسل / إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه ـ بحضرة الرسول ليرى خلافَ أهل العراق عليه في رأيه ـ ألا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهلُ الشام عنكم، فقالوا: ولم لا ننصرف؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً. وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قُتل، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال: انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهمْ بعد قتل ابن الأشتر، قال: لا أعرف موضع عسكرهم، فقال له إبراهيم بن عديّ الكنانيّ: انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك، فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب، ثم رجع إلى محمد فقال: رأيتهم منكسرين. وأصبح مصعب فدنا منه، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان، فدنا إلى مصعب ثم ناداه: فداك أبي وأمي، إن القوم خاذِلوك ولك الأمان، فأبى قبولَ ذلك، فدعا محمد بن مروان ابنَه عيسى بن مصعب، فقال له أبوه: انظر ما يريد محمد، فدنا منه فقال له: إني لكم ناصح؛ إن القوم خاذِلوكم ولك ولأبيك الأمان، وناشدَه. فرجع إلى أبيه فأخبره، فقال: إني أظن القوم سيَفون، فإن أحببت أن تأتيَهم فأْتِهم، فقال: والله لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك، قال: فتقدم حتى أحتسبك، فتقدم وتقدم ناس معه فقُتل وقُتلوا، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة. وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى، فشد عليه مصعب فقتله، ثم شد على الناس فانفرَجوا، ثم رجع فقعد على مِرفقة ديباج، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيَفرِجون عنه، ثم يرجع فيقعد على المرفقة، حتى فعل ذلك مراراً، وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان فدعاه إلى المبارزة، فقال له: اعزُب يا كلب، وشد عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه، فرجع عبيد الله فعصّب رأسه، وجاء ابن أبي فَرْوة كاتبُ مصعب فقال له: جُعلت فداك، قد تركك القوم وعندي خيل مضمَّرة فاركبها وانج بنفسك، فدفع في صدره وقال: ليس أخوك بالعبد.

مقتل مصعب

ورجع ابن ظَبْيان إلى مصعب، فحمل عليه، وزرق[2] / زائدة بن قدامة مصعباً ونادى: / يا لثارات المختار! فصرعه، وقال عبيد الله لغلام له[3]: احتزَّ رأسه، فنزل فاحتز رأسه، فحمله إلى عبد الملك، فيقال: إنه لما وضعه بين يديه سجد. قال ابن ظَبيان: فهممت والله أن أقتله فأكون أفتكَ العرب، فتلتُ ملكين من قريش في يوم واحد، ثم وجدت نفس تنازعني إلى الحياة فأمسكت.

قال: وقال يزيد بن الرُّقاع العامِليّ أخو عديّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام:

نحن قتلنا ابنَ الحواريّ مُصعَباً ... أخا أسد والمَذْحِجيَّ اليمانيا

يعني ابنَ الأشتر، قال:

ومرَّت عُقاب الموت منا بمُسلم ... فأهوَت له ظُفراً[4] فأصبح ثاويا

---

(١) ف: «ووجه مصعب إبراهيم بن عتاب بن ورقة».

(٢) زرقه: رماه بالمزراق. وفي ف: «وزرق ابن زائدة بن قدامة مصعباً».

(٣) مم: «لغلام له ديلمي».

(٤) ب، مد: «فأهوت له طير». وفي الطبري ٧: ١٨٧ ط الحسينية: «فأهوت له نابا».

قال الزبير: ويروى هذا الشعر للبَعِيث اليَشْكُرِيّ، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهلي.

مقتل مسلم بن عمرو الباهلي

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، عن عَوانةَ، قال:

كان مسلم بن عمرو الباهليّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر، فطُعن وسقط فارتُثَّ[1]، فلما قُتل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمانَ من عبد الملك، فأرسل إليه: ما تصنع بالأمان وأنت بالموت؟ قال: ليسلَم لي مالي ويأمن ولدي. قال: فحمل على سرير فأُدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك لأهل الشام: هذا أكفر الناس لمعروف، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيد بن معاوية عندك؟ فقال له خالد: تؤمِّنه يا أمير المؤمنين، فأمَّنه، ثم حُمل فلم يبرح الصَّحْنَ حتى مات، فقال الشاعر:

نحـنُ قَتَلْنـا ابـنَ الحَـوارِيِّ مُصعبـاً أخـا أسَـدٍ والمـذحِجـيَّ اليمـانيـا

/ حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ، قال: [١٢٧/١٩]

قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظَبْيان: بماذا تحتجّ عند الله عز وجل من قتلك لمصعب؟ قال: إن تُرِكتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطب من صَعْصَعَة بن صُوحان.

مصعب وسكينة بنت الحسين

وقال مصعب الزبيريّ في خبره: قال الماجشون:

فلما كان يوم قُتِل مصعب دخل إلى سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه، ولبس غِلالة[2] وتوشح بثوب، وأخذ سيفه، فعلمت سُكينة أنه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه: واحُزناه[3] عليك يا مصعب، فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها منه، أوَكلّ هذا لي في قلبك! فقالت: إي والله، وما كنت أُخفي أكثر، فقال: لو كنت أعلم أنّ هذا كله لي عندك لكانت لي ولك حال، ثم خرج ولم يرجع.

قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان: أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سُكينة أعطى أخاها عليَّ بن الحسين عليهم السلام ـ وهو كان حملها إليه ـ أربعين ألف دينار.

قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهليّ قال:

قالت سُكينة: دخلتُ على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة. قال: وكانت قد ولدت منه بنتاً، فقال لها: سميها زَبْراء، فقالت: بل أُسميها باسم بعض أُمهاتي، فسمتها الرَّباب.

قال: فحدثني محمد بن سلام، عن شعيب بن صخر، عن أمه سُعْدة بنت عبد الله بن سالم، قالت:

لقيتُ سُكينةَ بنت الحسين بين مكة ومِنًى فقالت: قفي يا بنتَ عبدِ الله، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلَتْها

(١) أرتث: حمل من المعركة جريحاً وفيه رمق.
(٢) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً.
(٣) ف: «واحرباه عليك يا مصعب».

[١٢٨/١٩] باللؤلؤ. فقالت: والله ما ألبستها / إياه إلا لتفضحه، قال: فلما / قُتل مصعب وَلِيَ أمرَ ماله عروةُ بن الزبير، فزوّج[١] ابنَه عثمانَ بن عروة ابنةَ أخيه من سكينة وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار. [١٦٥/١٧]

قال: ولما دخلت سُكَينةُ الكوفةَ بعد قتل مصعب خطبها عبدُ الملك فقالت: والله لا يتزوجني بعده قاتِله أبداً. وتزوجت عبدَ الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام، ودخلتْ بينها وبينه رَمْلَةُ بنت الزبير أُخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك، فولدت منه ابناً فسمته عثمان ـ وهو الذي يُلقَّب بقرين ـ ورُبَيحة ابني عبد الله بن عثمان، فتزوج رُبَيْحَةَ العباسُ بن الوليد بن عبد الملك.

عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً:

صوت

إن الـرَّزِيَّـة يـوم مَـسْـكِـنَ[٢] والمُصِيبَـةَ والفَجِيعَـهْ
يـابـنَ الحـواريِّ الـذي لـم يَعـدُه يـومُ الـوقيعَـهْ
غَـدَرَتْ بـه مُضَـرُ العِـرا ق وأمكَنَـتْ منـه رَبيعَـهْ[٣]
تَـالله[٤] لـو كـانـت لـه بـالـدَّيْـر يـومَ الـدير شِيعَـهْ
لـوَجَـدْتُمـوه حيـن يُـد لَـج لا يُعَـرِّس[٥] بـالمَضِيعَـهْ

[١٢٩/١٩] غنّاه يونس الكاتب من كتابه، ولَحْنه خفيف رمل بالوُسْطى، وفيه لمُوسى / شَهواتٍ خفيف رمل بالبِنْصر عن حَبَش، وقيل: بل هو هذا اللحن، وغلِطَ من نسبه إلى موسى.

وقال عديّ بن الرِّقاع العامليّ يذكُر مقتلَه:

لعَمْـرِي لقـد أصحَـرَتْ[٦] خيلُنـا بـأكنـافِ دِجْلَـةَ للمُصْعَـبِ
يَهُـزّون كُـلَّ طُـوَيـلِ القنـا ة معتـدلَ النَّصـلِ والثَّعلَـبِ[٧]
فِـداؤُكَ أُمِّـي وأبنـاؤُهـا وإن شئـتَ زِدتُ عليهـم[٨] أبـي

---

(١) ب: «فزوج ابنه عثمان بن عروة منها بعشرة آلاف دينار».
(٢) مسكن «بكسر الكاف»: موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق به قبر مصعب. «معجم البلدان».
(٣) في معجم البلدان بعد هذا البيت:
وأصبـت وتـتـركـ يـا ربيـع وكنـت سـامعـاً مطيعـ
(٤) في معجم البلدان: يا لهف لو كانت لها... وجاء بعده:
أو لـم يخـونـوا عهـده أهـل العـراق بنـو اللكيعـة
(٥) عرّس المسافر: نزل آخر الليل للراحة.
(٦) أصحرت: برزت في الصحراء.
(٧) الثعلب هنا: طرف الرمح في أسفل السنان.
(٨) ف: «زدت عليها».

وما قلتُها رَهبَةً إنما يَحُلّ العِقابُ على المذنب
إذا شِئتُ دافعتُ مُستَقْتِلاً[1] أُزاحِمُ كالْجَمَلِ الأجربِ
فمن يَكُ مِنّا يَبِتْ آمِناً ومن يَكُ من غَيرِنا يَهرُبِ

غنّاه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

ابن قيس يرثي مصعباً

وقال ابن قيس يرثي مُصعَباً:

لقد أورَثَ المِصْرَيْنِ خِزْياً وذِلّةً قتيلٌ بدَيْرِ الجاثَليقِ مُقيمُ
فما قاتَلَتْ في اللهِ بكرُ بنُ وائلٍ ولا صَبَرتْ عند اللّقاء تميمُ
ولكنّه رامَ القِيامَ ولم يكُن لها مُضَريٌّ يوم ذاك كَريمُ

مصعب يسأل عن قتل الحسين

قال الزبير: وكان مصعب لمّا قدم الكوفةَ يسأل عن الحسين بن عليّ عليهما السلام وعن قتله، فجعل عروةُ بنُ المغيرة يحدّثه عن ذلك، فقال متمثّلاً بقول سُليمان بن قَتّة:

فإنَّ الأُلى بالطَّفِّ من آل هاشمٍ تَأسَّوْا فسَنُّوا للكِرام التَّأسِّيا

/ قال عروة: فعَلِمت أن مُصْعباً لا يفرّ أبداً. [١٩/ ١٣٠] ١٦٦/ ١٧

الحجاج يتأسى بموقف مصعب

قال الزبير: وقال أبو الحكم بن خلاد بن قُرَّة السَّدُوسيّ: حدثني أبي، قال:

لما كان يوم السَّبَخة حين عَسْكر الحجاج بإزاء شبيبٍ الشاريّ قال له الناس: لو تنحّيت أيها الأمير عن هذه السَّبخة؟ فقال لهم: ما تنحُّوني ـ واللهِ ـ إليه أنتنُ، وهل ترك مصعبٌ لكريم مَفَرّاً؟ ثم تمثّل قولَ الكَلْحَبَة:

إذا المَرءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أوشَكت حِبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَقطَّعا

خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب

قال الزبير: وحدَّثني المَدائنيّ، عن عَوانةَ والشّرقيُّ بن القطاميّ، عن أبي جَنابٍ، قال: حدّثني شيخٌ من أهل مكة، قال:

لما أتى عبدَ الله بن الزبير قتلُ مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدثت به إماءُ مكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليًّا لا يتكلم، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه، وجبينُه يرشَحُ عرقاً، فقلت لآخر إلى جنبي: ما له لا يتكلم؟ أتُراه يَهاب المنطق؟ فوالله إنه لخطيب، فما تُراه يهاب؟ قال: أراه يريد أن يذكر قتلَ مصعب سَيّدِ العرب فهو يفْظَعُ لذكره، وغيرُ ملوم[2] فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة، يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ

---

(١) ف، المختار: «نازلت مستقبلاً».
(٢) ب: «وهو يفظيع ما تذكره غير ملوم».

من يشاء، ألا إنه لم يَذِلّ والله من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفاً، ولم يَعِزّ من كان الباطل معه، وإن كان في العُدّة والعَدد والكثرة، ثم قال: إنه قد أتانا خَبرٌ من العراق بلدِ الغدر والشقاق فساءَنا وسرّنا، أتانا أن مصعباً قُتِل رحمة الله عليه ومغفرته، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمُه عند المصيبة، ثم يرعَوِي من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر. وأما الذي سرّنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعلٌ لنا وله ذلك خِيرةً إن شاء الله تعالى. إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسَرِه، [١٣١/١٩] أسلموه إسلامَ / النَّعَم المُخطَّم[1] فقُتِل، ولئن قتل لقد قتل أبوه وعمُّه وأخوه وكانوا الخيارَ الصالحين، إنا والله ما نموت حَتْفَ أُنوفنا، ما نموت إلا قَتْلاً، قَعْصاً بين قِصَد[2] الرِّماح وتحت ظلال السّيوف وليس كما يموت بنو مروان، والله ما قُتل رجلٌ منهم في جاهلية ولا إسلام قط، وإنما الدنيا عاريةٌ من المَلِك القهار، الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد ملكه، فإن تُقبِل الدنيا عليّ لا آخذْها أخذ الأشِر البطِر، وإن تُدبِر عني لا أبْكِ عليها بكاء الخرِف المُهْتَر. ثم نزل.

رجل من بني أسد يرثي مصعباً

وقال رجلٌ من بني أسد بن عبد العُزّى يرثي مُصعباً:

لعمـرُك إنّ المـوتَ منـا لمُـولَـعٌ	بكُـلّ فتـى رَحْـبِ الـذّراع أريـبِ
فـإن يَـكُ أمسَـى مُصعـبٌ نـال حَتفَـه	لقـد كـان صُلْـبَ العُـودِ غيـرَ هَيُـوب[3]
جميـلَ المُحَيّـا يُـوهِـن القِـرنَ غَـرْبُـه	وإن عضَّـه دَهْـرٌ فغيـر رَهُـوب
أتـاه حِمـامُ المَـوْت وَسْـطَ جُنـودِه	فطـاروا شِـلالاً[4] واشتَفـى بـذُنُـوب
ولـو صَبـروا نـالـوا حُبـاً[5] وكـرامـةً	ولكنّهـم وَلّـوْا بغيـر قُلـوب

كان مصعب أشجع الناس

قال: وقال عبد الملك يوماً لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأكثروا في هذا المعنى، فقال: أشجعُ الناس مُصعبُ بنُ الزبير، جمع بين عائشة بنتِ طلحة وسُكَينَة بنت الحسين وأمَةِ[6] الحَميد بنت عبد الله بن عاصم، ووَلِيَ العراقين، ثم زحف إلى الحرب، فبذلتُ له الأمانَ / والحِباء والولايةَ والعفو عمّا خلص في يده، فأبى قبول ذلك، [١٦٧/١٧] واطَّرح كل / ما كان مشغوفاً[7] به من ماله وأهله وراء ظهره، وأقبل بسيفه قَرِماً[8] يقاتل وما بقي معه إلا سبعةُ نفر [١٣٢/١٩] حتى قُتِل كريماً.

---

(١) المخطم: الذي جعل الخطام على أنفه ليعتاد به.

(٢) قصد الرماح جمع قصدة؛ وهي القطعة منه بعد كسرها.

(٣) ف:

جميـل المحيـا يـوهـن القـرن عـزمـه	وإن عـزه دهـر فغيـر هيـوب
وإن يـك أمسـى مصعـب نـال حتفـه	لقـد كـان صلـب العـود غيـر رهـوب

(٤) فطاروا شلالاً: فروا متفرقين.

(٥) الحبا: جمع حبوة، وهي العطية.

(٦) ف: «وأمة الحميد...».

(٧) ف: «ما كان مشغولاً به من ماله».

(٨) ف، مد: «وأقبل بسيفه قدماً».. وقرم: شديد الرغبة، من قرم اللحم وإليه: اشتدت شهوته إليه فهو قرم.

ابن قيس الرقيات يمدح مصعباً

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال:

لمّا وَلِي مُصعبُ بنُ الزبير العراقَ أقرّ عبدَ العزيز بنَ عبد الله بن عامر على سِجِسْتان وأمدّه بخيل، فقال ابنُ قيس الرُّقَيّات:

لَيتَ شِعْري أأوّلُ الهَرْجِ هذا ... أم زَمانٌ من فتنةٍ غيرِ هَرْجِ؟
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحن بخيرٍ ... قد أتانا من عَيْشنا ما نُرَجّي
أُعطِيَ النصرَ والمهابةَ في الأعداء حتى أتَوْه من كل فجِّ
حيثُ لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأكتاف يُوجِفْن بين قُفٍّ ومَرْجِ
ملكٌ يُطعِم الطّعامَ ويَسْقي ... لبنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ

قال الزبير: حدّثني عمّي مصعب: أن عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك، فأقبل غِلمانٌ له معهم عِساس خَلَنْج فيها لبن البخت، فقال عبد الملك: يابن قيس، أين هذا من عِساس مصعب التي تقول فيها:

ملكٌ يطعم الطعام ويسقي ... لبنَ البُخت في عِساس الخَلَنج؟

فقال: لا أين يا أمير المؤمنين، لو طرحتَ عِساسَك هذه في عُسٍّ من عساس مصعب لوَسِعها وتَغلغلت في جوفه، فضحك عبد الملك ثم قال: قاتلك الله يابنَ قيس، فإنك تأبى إلا كرماً ووفاءً.

/ قصة يونس الكاتب والوليد بن يزيد [١٣٣/١٩]

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن الطيب، قال: قال لي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود:

خرج يونس الكاتب من المدينة يُريد الشام بتجارة، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه فأتته رُسُله وهو في الخان، وذلك في خلافة هشام، والوليدُ يومئذ أميرٌ، فقالوا له: أجِب الأميرَ، قال: فذهبتُ معهم، فأدخلوني عليه ولا أدري من هو إلا أنه حسنُ الوجهِ نبيل، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس فجلست، ودعا بالشراب والجواري، فكنّا يومَنا وليلتنا في أمر عجيب، وغنيتُه فأعجبه غنائي، وكان ممّا أعجبه:

لَيتَ شِعْرِي أأوّل الهَرْج هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنةٍ غير هَرْج؟

فلم يزل يستعيده إلى الصبح، ثم اصطبح عليه ثلاثة أيام، فقلت: أيها الأمير، أنا رجل تاجر قدمتُ هذا البلدَ في تجارة لي، وقد ضاعت، فقال: تخرج غداً غُدْوةً وقد رَبِحت أكثرَ من تجارتك. وتَمّم شُربه، فلما أردتُ الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها ومضيت، فلما أفضت الخلافة إليه أتيتُه، فلم أزل مقيماً عنده حتى قُتِل.

قال أحمد بن الطيب ـ وذكر مُصْعب الزُّبَيْريّ ـ أنّ يونس قال:

كنتُ أشربُ مع أصحاب لي فأردت أن أبُول، فقمت وجلست أبُولُ على كثيب رمل، فخطر ببالي قولُ ابنِ قَيْس:

* ليت شعري أأوّل الهَرْج هذا *

فغنيت فيه لحناً استحسنتُه وجاء عجباً من العجب، فألقيتُه على جاريتي عاتكةَ، وردّدته حتى أخذته، وشاع لي في الناس[١]، فكان أولَ صوت شاع لي وارتفع به قَدْري وقُرِنتُ بالفُحول من المغنّين، وعاشرت الخلفاءَ من أجله، وأكسبني مالاً جليلاً.

[١٩/١٣٤]

صوت

ألا نـــادِ جِيـــرانَنـــا[٢] يَقصِـــدُوا   فنَقْضـــى اللُّبـــانـــةَ أو نَعْهـــدُ
كـــأنَّ علـــى كَبِـــدِي جَمْـــرةً[٣]   جِـــذاراً مـــن البَيْـــن مـــا تَبْـــرُدُ

٨٣/١٧ الشعر لكُثَيِّر، والغناء لأشْعَب المعروف بالطمع[٤]، ثاني ثقيل بالوُسْطى، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن حَبَش.



(١) ف: «وشاع في الدنيا».
(٢) ب: «أنادي لجيراننا».
(٣) ب: «كأن على كبدي قرحة».
(٤) ف: «لأشعب الطامع».

/ ذكر أشعب وأخباره

[١٩/١٣٥]

نسبه

هو أشعَب بنُ جُبَير، واسمه شُعَيب، وكُنيَتُه أبو العلاء، كان يقال لأمه: أم الخَلَنْدَج، وقيل: بل أم جميل، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حُمَيدة[١]. وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبَيْدة[٢]، وأسره مُصْعب فضرب عنقه صَبْراً، وقال: تخرج عليّ وأنت مولاي؟ ونشأ أشعَب بالمدينة في دور[٣] آل أبي طالب، وتَوَلَّتْ تربيتَه وكَفَلَتْه عائشةُ بنت عثمان بن عفان.

وحُكِي عنه أنه حكى عن أمه أنها كانت تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ، وأنها زَنَت فَحُلِقت وطِيف بها، وكانت تنادي على نفسها: من رآني فلا يَزْنين[٤]، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه، أوَ نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل!

أمه كانت مستظرفة من زوجات النبي

وذكر رَضْوان بن أحمد الصَّيْدلانِيّ فيما أجاز لي روايته عنه، عن يوسف بن الداية، عن إبراهيم بن المهدي:

أن عُبَيْدة بن أشْعَب أخبره ـ وقد سأله عن أوّلهم وأصلهم ـ أن أباه وجدّه كانا مَوْلَيَيْ عثمان، وأن أمه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب، وأن ميمونةَ أم المؤمنين أخذتها معها لمّا تزوجها النبي ﷺ، فكانت تدخل إلى أزواج النبي ﷺ فيستَظرفْنها، ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديثَ بعضهن إلى بعض وتغري بينهن، فدعا النبيُّ ﷺ عليها فماتت.

/ وذكروا أنه كان مع عثمان ـ رضي الله عنه ـ في الدار، فلما حُصِر جرّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا، فقال لهم عثمان: من أغمد سيفه فهو حُرٌّ، قال أشعَبُ: فلما وقعتْ والله في أذني كنتُ أولَ من أغمد سيفه، فأُعتِقتُ. [١٩/١٣٦]

سنّ أشعب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شَبّة، قال: حدثني إسحاق الموصليّ، قال: حدثني الفضل بن الرَّبيع، قال:

---

(١) ف، والتجريد: «أم الجلندح، وقيل: بل أم حميد». وفي تاريخ بغداد ٧: ٣٧: أم حميدة بضم الحاء وبفتحها، وقيل: إن أمه جعدة مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق.

(٢) ف، مي: «عبيد».

(٣) ب: «في ديوان آل أبي طالب».

(٤) ف: «فلا يزني».

كان أشعبُ عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيُه. وهو أشعَبُ بن جُبَير، وكان أبوه مولى لآل الزُّبَيْر، فخرج مع المختار، فقتله مُصْعَب صبراً مع من قتل.

أخبرني الجوهريّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل اليزيديّ، قال: حدثني التّوَزيّ، عن الأصمعيّ، قال:

قال أشعب: نشأت أنا وأبو الزّناد في حِجْر عائشة بنت عثمان، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدثنا عبيد الله[1] بن الحسن والي المأمون على المدينة، قال:

حدثني محمد بن عثمان بن عفان قال: قلت لأشعب: لي إليك حاجة، فحلف بالطلاق لابنة وَرْدان[2]: لا سألتُه حاجة إلا قضاها، فقلت له: أخبرني عن سنّك، فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيُطَلّق، فقلت له: على رِسْلك، وحلفتُ له إني لا أذكر سنّه ما دام حيًّا، فقال لي: أمّا إذ فعلت فقد هوّنت عليّ، أنا والله حيث حُصِر جدّك عثمان بن عفان، أسعى في الدار ألتقط السهام. قال الزبير / : وأدركه أبي. [٨٤/١٧]

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبيّ، عن الهيثم بن عديّ، قال:

[١٣٧/١٩] / قال أشعب: كنت ألتقط السهامَ من دار عثمان يوم حوصِر، وكنت في شبيبتي ألحق الحُمُرَ الوحشية عدْواً.

أمه يطاف بها بعد أن بغت

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل، قالا: أخبرنا المدائنيّ، قال:

كان أشعب الطامع[3] ـ واسمه شُعيب ـ مولى لآل الزبير من قِبل أبيه، وكانت أمه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفان؛ وكانت بغت[4] فضُربت وحُلِقت وطيف بها وهي تنادي: من رآني فلا يزنين، فأشرفت عليها امرأة فقالت: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عن الزنا فعصيناه، ولسنا ندعه لقولك وأنت محلوقة مضروبة يطاف بك.

أخبرني أحمد، قال: حدثنا أحمد بن مَهْرُويَه، قال: كتب إليّ ابنُ أبي خَيْثَمَة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره، قال:

اسم أشعب شُعيب، ويكنى أبا العلاء، ولكنّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه، وهو شعيب بن جُبير مولى آل الزبير، وهم يزعمون اليوم أنهم من العرب، فزعم أشعب أن أمه كانت تُغري بين أزواج النبي ﷺ ورَحِمِهم، وامرأة أشعب بنت وردان، ووردان الذي بنى قبر النبي ﷺ حين بنى عُمر بن العزيز المسجد.

---

(١) ف: «عبد الله بن الحسن».

(٢) ف: «فحلف بطلاق بنت وردان».

(٣) ب: «الطمع». وفي مد: «كثير الطمع».

(٤) ف: «وكانت تعيث فحلقت وضربت وحملت على جمل وطيف بها».

كان أشعب حسن الصوت بالقرآن

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: وكتب إليّ ابنُ أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره، قال:

كان أشعبُ من القرّاء للقرآن، وكان قد نَسَك وغزا، وكان حسنَ الصوت بالقرآن، وربما صلّى بهم القيام.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمدُ بن القاسم، قال: حدثني أحمدُ بن يحيى، قال: أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم، قال:

/ كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزّبيريّ: [١٣٨/١٩]

صوت

إذا تمـــزّزتُ صُــراحِيَّـــةً[١] كمثـل ريـح المسـك أو أَطْيَبُ
ثـم تغنَّـى لـي بـأهْـزاجِـه زَيـدٌ أخـو الأنصـارِ أو أشْعـبُ
حسِبْـتُ أنّـي ملـك جـالِـسٌ حَفَّـت بـه الأمـلاكُ والمَـوْكِـبُ
ومـا أُبـالـي وإلـهِ الـوَرَى أشـرَّق العـالَـمُ أم غَـرَّبُـوا

غنّى في هذه الأبيات زيد الأنصاريّ خفيف رمل بالبنصر.

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة:

أخبرني عمي، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد أن الربيع بن ثعلب حدثهم، قال: حدثني أبو البحتري:

حدثني أشعب، عن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو دعيتُ إلى ذراع لأجبتُ، ولو أُهدِي إليّ كُراعٌ لقبلتُ».

أشعب وسالم بن عبد الله

قال ابنُ أبي سعد، ورُوِي عن محمد بن عباد بن موسى، عن عتّاب بن إبراهيم[٢]، عن أشعب الطامع ـ قال عتاب: وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه ـ قال: دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له[٣] فأشرف عليّ وقال: يا أشعب، ويلك لا تسأل، فإني سمعتُ أبي يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليأتينّ أقوامٌ يومَ القيامة ما في وجوههم / مُزْعةُ لحم[٤]، قد أخلقوها بالمسألة». ٨٥/١٧

ويروى عن يزيد بن موهب الرمليّ[٥]، عن عثمان بن محمد، عن أشعب، عن / عبد الله بن جعفر: أن النبي ﷺ تختّم في يمينه. [١٣٩/١٩]

---

(١) تمزز الشراب: تمصصه. والصراحية: آنية الخمر والمراد الخمر.

(٢) ف: «عباد بن إبراهيم».

(٣) ف: «بيتاً له».

(٤) المزعة: القطعة من اللحم وغيرها.

(٥) ب: «يزيد بن وهب المؤملي».

أخبرني أحمد، قال: حدَّثني عمرُ بن شبّة، قال: حدّثني الأصمعيّ، عن أشعب، قال: استنشَدني ابنٌ لسالم بن عبد الله بن عمر غناءَ الرُّكبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته، ورأسُ أبيه سالم في بتٍّ[1] فلم ينكر ذلك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثني أبو مسلم، عن عبد الرحمن بن الحكم[2]، عن المدائني، قال: دفعت عائشةُ بنت عثمان أشعبَ في البزّازين فقالت له بعد حول: أتوجّهتَ لشيء؟ قال: نعم، تعلمتُ نصفَ العمل وبقي نصفُه، قالت: وما تعلمتَ؟ قال: تعلمتُ النشرَ وبقي الطيّ.

أشعب يدعو الله أن يذهب عنه الحرص ثم يستقيل ربه

قال المدائنيُّ: وقال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيِّين وغيرهم فلم يعطني أحدٌ شيئاً، فجئت إلى أُمي فقالت: ما لكَ قد جئتَ خائباً؟ فأخبرتُها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتَسْتقيل ربّك، فرجعتُ فقلت: يا رب أقِلْني، ثم رجعت، فلم أمُرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووُهِب لي غلامٌ، فجئت إلى أمي بحمار مُوقَر من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام؟ فخِفتُ أن أخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء؟ قلت: غَين، قالت: أيّ شيء غَيْن؟ قلت: لام، قالت: وأيّ شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأيّ شيء ألف؟ قلت: ميم، قال: وأيّ شيء ميم؟ قلت: غلام. فغشي عليها. ولو لم أقطّع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً.

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدثني العباس بن ميمون، قال: سمعت الأصمعيّ، يقول:

سمعتُ أشعبَ يقول: سمعتُ الناسَ يموجون في أمر عثمان. قال الأصمعيّ: ثم أدرك المهديّ.

صفتـه / [١٩/١٤٠]

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سَعيد الرّبيعيّ[3]، قال: حدّثني هند بن حَمدان[4] الأرقميّ المخزوميّ، قال: أخبرني أبي، قال: كان أشعبُ أزرقَ أحولَ أكشفَ أقرعَ[5].

قال: وسمعت الأرقميَّ يقول: كان أشعب يقول: كنت أسقي الماء في فتنة عثمان بن عفان. والله أعلم.

أشعب والدينار

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمَعِيُّ، قال:

أصاب أشعب ديناراً بالمدينة، فاشترى به قطيفة، ثم خرج إلى قُباء يعرِّفها، ثم أقبل عليَّ فيما أحسب ـ شك أبو يحيى ـ فقال: أتُراها تُعرّف.

---

(١) البت: الطيلسان من خز ونحوه.

(٢) ف، مم: «أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم».

(٣) ب: «عبد الخالق بن سعيد الزينبي».

(٤) ف: «هند بن حمران الأرقمي».

(٥) ف: «أفدع» والأكشف: الذي انحسر مقدم شعر رأسه.

قال أحمد: وحدثناه أبو محمد بن سعد، قال: حدثني أحمد بن معاوية بن بكر، قال: حدثني الواقِدِيّ، قال: كنت مع أشعب نريد المُصَلَّى، فوجد ديناراً، فقال لي: يابنَ واقد، قلت: ما تشاء؟ قال: وجدت ديناراً فما أصنع به؟ قال: قلت: عرِّفه، قال: أم العلاء إذاً طالق، قال: قلت: فما تصنع به إذاً؟ قال: أشتري به قطيفة أُعرِّفها.

قال: وحدثني محمد بن القاسم، قال: وحدّثنيه محمد بن عثمان[1] الكُريزيّ، عن الأصمعيّ: أن أشعب وجد ديناراً فتخرّج من أخذه دون أن يُعرِّفه، فاشترى به قطيفة، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال: من يتعرف الوَبِدَة[2]؟.

أخبرني أحمد الجوهريّ، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: سألت العَنَزِيّ، فقال: الوَبدُ / من كل شيء: الخَلَق؛ وبِدَ الثوبُ ووَمِد إذا أخْلَق. ٨٦/١٧

/ أشعب يطرب الناس بغنائه [١٩/١٤١]

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال: رأيت أشعب يغنّي وكأن صوتَه صوتُ بلبل.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف مَحْمَل، وكان ثَمّ قاصٌّ يَقُصّ عليهم، فجئتُ فأخذتُ في أغنية من الرقيق، فتركوه وأقبلوا إليّ، فجاء يشكوني إلى سالم فقال: إن هذا صرف وجوه الناس عني، قال: وأتيت سالماً ـ وأحسبه قال ـ والقاسمَ، فسألتهما بوجه الله العظيم، فأعطياني، وكانا يبغضانني أو أحدهما يبغضني في الله، قال: قلنا: لا تجعل هذا في الحديث، قال: بلى.

حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: وحدّثناه قَعْنَب بن محرز الباهليّ، قال: أخبرنا الأصمعيُّ، عن أشعب، قال:

قدم علينا قاصٌّ كوفيٌّ يُقصّ في رُفقته، وفيها ألف بعير، فخرجْنا وأحرمْنا من الشّجرة بالتّلبية، فأقبل الناس إليّ وتركُوه. قال: ابنُ أمّ حُميد، فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال: إنّ مولاك هذا قد ضَيَّق عليّ معيشتي.

أشعب وزياد بن عبد الله الحارثي

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهْم، عن المَدائنيّ، قال:

تغدّى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ، فجاءوا بمَضِيرة[3]، فقال أشعب لخبّاز: ضعها بين يديّ، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يُصلّي بأهْل السّجن؟ قال: ليس لهم إمام، قال: أدخلوا أشعب يصلّي بهم، قال أشعب: أوَ غَيْرَ ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألّا آكُلَ مضيرةً أبداً.

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني قعنب بن المحرز، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال:

---

(١) ف: «محمد بن عمران الكريزي».

(٢) ف: «من يتعرف الومدة».

(٣) المضيرة عند العرب: طبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم وتختر المضيرة.

[١٤٢/١٩] / ولّى المنصورُ زيادَ بن عبد الله الحارثيّ مكة والمدينة، قال أشعب: فلقيتُه بالجُحْفة[1] فسلّمتُ عليه، قال: فحضر الغداء، وأُهدِي إليه جَدْي فطبخه مَضيرة، وحُشِيت القِبَة[2] قال: فأكلتُ أكلاً أتملّح به، وأنا أعرف صاحبي، ثم أُتِي بالقِبَة، فشققْتُها، فصاح الطبّاخ: إنا لله! شقّ القِبَة، قال: فانقطعت، فلما فرغْت قال: يا أشعب! هذا رمضان قد حضر، ولا بدّ أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أُقِيم به صلاتي، قال: لا بدَّ منه، قال: قلت: أو لا آكل جَدْياً مضيرة؟ قال: وما أُصنع به وهو في بطنك؟ قال: قلت: الطّريق بعيد أُرِيد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام، هات ريشة ذَنَب ديك ـ قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك ـ قال: فأدخلت في حلقي فتقيّأتُ ما أكلتُ، ثم قال لي: ما رأيك؟ قال: قلت: لا أُقيم ببَلْدة يصاح فيها: شقَّ القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك، فقل ولا تُشطِط قال: قلت: نصف دِرهم كِراء حمار يُبْلغني المدينة، قال: أنصفت وأعطانيه.

من طرائف أشعب

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرني أبو مسلم، عن المدائنيّ، قال:

أُتِيَ أشعبُ بفالُوذجة عند بعض الولادة، فأكل منها، فقيل له: كيف تراها يا أشعب؟ قال: امرأته طالق إن لم تكُن عُمِلت قبل أن يوحيَ الله عز وجل إلى النحل.

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: حدّثنا عبد الله بن شعيب الزُّبيريّ[3]، عن عمّه. قال أبو بكر: وحدثني ابن أبي سعْد، قال: حدّثني عبد الله بن شعيب[3] وهو أتمُّ من هذا وأكثر كلاماً، قال:

[١٤٣/١٩] / جاء / أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير، فشكا إليه، فأمر له بصاع من تمر، وكانت حال أشعب رثّة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب! أنت في سِنّك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتُعطَى مثل هذا؟ اذهب فادخُل الحمام فاخضِب لحيتك، قال أشعب: ففعلتُ، ثم جئتُه فألبسني ثيابَ صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب، قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسِراً، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد، وطفِق كلما جلس في حلقة يقول: أبو بكر بن يحيى، جزاه الله عني خيراً، أعرف الناس بمسألة، فعل بي وفعل، فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدوَّ نفسه! فضحتني في الناس، أفكان هذا جزائي!.

أخبرنا أحمد، قال: قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد، قال:

حدثني شيخٌ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفَرْع[4] يبكي وقد خضب بالحناء، فقالوا: يا شَيْخ ما يبكيك؟ قال: لغربة هذا الجناح، وكان على دار واحدة ليس بالفُرع غيره.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: أخبرني محمد بن الحسين، قال: حدثني أبي، قال:

(١) الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل. وفي ب: «بالمحفة» تحريف.

(٢) القبة: هنة ذات أطباق متصلة بالكرش.

(٣) ف: «عبد الله بن مصعب الزبيري».

(٤) الفرع: قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة.

نظرتُ إلى أشعب يُسَلِّم على رسول الله ﷺ قال: وهو يدعو ويَتَضرَّع، قال: فأدمْتُ نظري إليه، فكلما أدمْتُ النظر إليه كلَّح وبثَّ أصابعه في يده بحذائي حتى هَرَبت فسألت عنه فقالوا: هذا أشعب.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفِهْريّ، قال:

/ إن أشعب مرّ برشٍّ قد رُشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة فقال: كأن هذا الرش كِساءٌ بَرْنكانيٌّ[1] فلما [١٩/١٤٤] توسطه قال: أظنني والله قد صدقت، وجلس يلمس الأرض.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا بعض المدنيين، قال:

كان لأشعب خرقٌ في بابه، فينام ويُخرج يدَه من الخرق ويطمع أن يجيءَ إنسانٌ فيطرح في يده شيئاً؛ من الطمع.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ، قال:

صلّى أشعب يوماً إلى جانب مَرْوان بن أبان بن عثمان، وكان مروانُ عظيمَ الخَلق والعَجيزة، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوَهِم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الدِّية، فقال: دِيَةُ ماذا؟ فقال: دية الضرطة التي تحمّلتها عنك، والله وإلا شهّرتك، فلم يدعْه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني إبراهيم بن الجنيد، قال: حدثني سوّار بن عبد الله[2]، قال: حدثني مهديّ[3] بن سليمان المِنقريّ مولى لهم، عن أشعب، قال:

دخلت على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأحبّه فيه، فقال: ما أدخلك عليّ؟ اخرج عني، فقلت: أسألك بالله لما جَدَدْتَ[4] عِذْقاً، قال: يا غلام، جُدّ له عِذقاً، فإنه سأل بمسألة لا يفلح من رَدَّها أبداً.

/ أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا الرّياشيّ، قال: حدثني أبو سلمة أيوب بن [١٩/١٤٥] عمر، عن المحرزيّ، وهو أيوب بن عباية أبو سليمان، قال:

كان / لأشعب عليّ في كل سنة دينار، قال: فأتاني يوماً ببُطحان[5] فقال: عجِّل لي ذلك الدينار، ثم قال: لقد رأيْتني ٨٨/١٧ أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما آخذ من هذا وهذا وهذا.

---

(١) البرنكانيّ: كساء من صوف.

(٢) ب: «سوار بن عبد».

(٣) ب: «معدي بن سليمان».

(٤) جددت: قطعت.

(٥) بطحان: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة.

بين أشعب وابنه

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني عليّ بن محمد النوفليّ، قال: سمعتُ أبي يحكي عن بعض المدنيين، قال:

كَبِر أشعبُ فملّه الناس وبَرِّد عندهم، ونشأ ابنُه فتغنّى وبكى وأندَر[١]، فاشتهى الناس ذلك، فأخصب وأجدب أبوه، فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه، وجاء ابنُه وامرأتُه فقال له: بلغني أنك قد تغنّيت وأندرتَ وحَظِيتَ[٢]، وأن الناس قد مالوا إليك فهلم حتى أُخايِرَك[٣]، قال: نعم، فتغنّى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعَد، وتغنّى ابنُه فإذا هو حسنُ الصوت مطرب، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك، ثم خطبا فكان الأمرُ كذلك، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه، ثم قال: نعم، فمن أين لك مثل خُلُقِي؟ مَنْ لك بمثل حديثي؟ قال: وانكسر الفتى، فنَعَرت[٤] العجوز ومن معها عليه.

حديثه عن وفاة بنت الحسين بن علي

أخبرني أحمد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني عليّ بن الحسين[٥] بن هارون، قال: حدثني محمد بن عباد بن موسى، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارَنا هنا، قال: حدثني محمد بن حرب الهلاليّ - وكان على شُرطة محمد بن سليمان - قال:

دخلتُ على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدّثه قال:

[١٤٦/١٩] / كانت بنتُ حسين بن عليّ عند عائشة بنت عثمان تربّيها حتى صارت امرأة، وحج الخليفة فلم يبق في المدينة خَلْق من قريش إلا وافى الخليفة إلا مَن لا يصلُح لشيء، فماتت بنت حسين بن عليّ، فأرسلت عائشةُ إلى محمد بن عمرو بن حَزم وهو والي المدينة، وكان عفيفاً حديداً[٦] عظيمَ اللّحية، له جارية مُوكّلة بلحيته إذا ائتزر لا يأتزر عليها، وكان إذا جلس للناس جَمَعَها ثم أدخلها تحت فخذه. فأرسلت عائشة: يا أخي قد ترى ما دخل عليّ من المصيبة بابنتي، وغَيبةِ[٧] أهلي وأهلِها، وأنت الوالي، فأمّا ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني، وأما ما يكفي الرجالَ من الرجال فاكفِنيه، مُرْ بالأسواق أن ترفع، وأمر بتجويد عمل نعشها، ولا يحملها إلا الفقهاء الألِبّاء من قريش بالوقار والسكينة، وقم على قبرها ولا يدخله إلا قرابتُها من ذوي الحِجا والفضل، فأتى ابنَ حزم رسولُها حين تغدّى ودخل ليَقِيل، فدخل عليه فأبلغه رسالتها، فقال ابنُ حزم لرسولها: أقرىء ابنة المظلوم السلام وأخبرها أني قد سمعت الواعيةَ[٨] وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أُبرِد، ثم أُصلّي، ثم أُنفِّذ كلّ ما أمرت به. وأمر حاجبَه وصاحبَ شُرطته برفع الأسواق، ودعا الحرسَ وقال: خذوا السّياط حتى تحولوا بين

---

(١) أندر: أتى بنادر من قول أو فعل.
(٢) ب: «وخطبت».
(٣) خايره في كذا: غالبه فغلبه وكان خيراً منه.
(٤) نعرت العجوز: صاحت وصخبت.
(٥) ب: «علي بن الحسن».
(٦) رجل حديد: فيه بأس وشدّة.
(٧) ف: «ونجيبة أهلي وأهلها».
(٨) الواعية: الصراخ على الميت.

الناس وبين النعش إلا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار، ثم نام واتبه وأُسرج له، واجتمع كلُّ من كان بالمدينة، وأتى بابَ عائشة حين أُخرِج النعشُ، فلما رأى الناس النعش التقفوه، فلم يملك ابنُ حزم ولا الحرسُ منه شيئاً، وجعل ابنُ حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء: اربَعوا أي ارفقوا فلم يسمعوا، حتى بُلِغ بالنعش القبرُ، فصلى عليها، ثم وقف على القبر فنادى: مَنْ ها هنا من قريش؟ فلم يحضره إلا مروانُ بنُ أبان بن عثمان، / وكان رجلاً عظيم البطن بادناً[١] لا يستطيع أن ينثني من بطنه، سخيفَ[٢] العقل، فطلع وعليه سبعةُ قمصٍ، / كأنها [١٤٧/١٩] [٨٩/١٧] دَرَج، بعضُها أقصرُ من بعض ورداءٌ عدنيّ يثمن ألفي درهم، فسلّم وقال له ابن حزم: أنت لَعمري قريبُها، ولكنّ القبرَ ضيّق لا يسعك، فقال: أصلح الله الأمير إنما تضيق الأخلاق. قال ابن حزم: إنا لله، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى، فأمر أربعة فأخذوا بضَبْعِه[٣] حتى أدخلوه في القبر، ثم أتى خراءُ الزّنج، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، ثم قال: واسيدتاه وابنت أُختاه! فقال ابن حزم: تالله لقد كان يبلغني عن هذا أنه مخنّث، فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله، دَلّوه فإنه عورة هو والله أحق بالدفن منها، فلما أُدخلا قال مروان لخِراء الزنج: تنحّ إليك شيئاً فقال له خراء الزنج: الحمد لله رب العالمين، جاء الكلب الإنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ، فقال لهما ابن حزم: اسكُتا قبّحكما الله وعليكما لعنته، أيكما الإنسيّ من الوحشيّ، والله لئن لم تسكتا لآمرنّ بكما تدفنان، ثم جاء خالٌ للجارية من الحاطبيّين وهو ناقةٌ من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال: [٤]أنا خالها وأمي سودة وأُمها حفصة، ثم رمى بنفسه في القبر، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح: أوه[٤] ألح الله الأمير دقّ والله عرقوبي، فقال ابن حزم: دق اللهُ عرقوبَك، وترقوتَك اسكُتْ ويلك، ثم أَقبل على أصحابه فقال: ويحكم إني خُبّرت أن الجارية بادن، ومروانُ لا يقدر أن ينثني من بطنه، وخراء الزنج مخنّث لا يعقِل سُنّة ولا دفناً، وهذا الحاطبيّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه، فمن يدفن هذه الجارية؟ والله ما أمرتْني بهذا بنتُ المظلوم، فقال له جلساؤه: لا والله ما بالمدينة خَلْق من قريش، ولو كان في هؤلاء خير لما بَقُوا، فقال: من ها هنا من مواليهم؟ فإذا أبو هانيء الأعمى وهو ظئر[٥] لها، فقال ابنُ حزم: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا أبو هانيء ظئر عبد الله بن عمرو بن عثمان وأنا أدفِن أحياءهم وأمواتهم، فقال: أنا في طلبك، ادخُل رحمك الله، فادفن / هؤلاء الأحياء، [١٤٨/١٩] حتى يُدلّى عليك[٦] الموتى [٧]ثم أقبل على أصحابه فقال: إنا لله ـ وهذا أيضاً أعمى لا يبصر، فنادوا: من ها هنا من مواليهم[٧] فإذا برجل يزيديّ يقال له أبو موسى قد جاء، فقال له ابنُ حزم: من أنت أيضاً؟ قال: أنا أبو موسى صالمين، وأنا ابن السميط سميطين[٨] والسعيد سعيدين، والحمد لله رب العالمين، فقال ابن حزم: والله العظيم لتكونن لهم خامساً، رَحِمكِ الله يا بنت رسول الله، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، [٩]وأظنه سقط رجل آخر[٩].

---

(١) ف: «عظيم البطن فأفاء».

(٢) رجل سخيف العقل: ناقصه.

(٣) الضبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها وهما ضبعان.

(٤ ـ ٤) تكملة من ف.

(٥) الظئر: الناقة تعطف على ولد غيرها، ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها: ظئر وللرجل الحاضن: ظئر أيضاً.

(٦) ف: «حتى يدلي إليك الموتى».

(٧ ـ ٧) التكملة من ف

(٨) ف: «وأنا ابن أبي السميط سميطين».

(٩ ـ ٩) التكملة من ف.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني اليعقوبيّ محمد بن عبد الله، قال: حدثني أبو بكر الزلال الزبيريّ، قال: (١حدثني من رأى أشعب وقد علّق رأسَ كلبه وهو يضربه ويقول له: تنبح الهديةَ وتُبصبِص للضيف.

أرضع أشعب جدياً لبن زوجته

أخبرنا أحمد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزّبيري أبو الطّاهر، قال:١) حدثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال:

غَذَا أشعَبُ جَدْياً بلبن زوجته وغيرِها حتى بلغ الغايةَ قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وَرْدان، إني أحِب أن تُرضِعيه بلبنك. قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني، قد رضع بلبن زوجتي وقد حَبَوْتُك به، ولم أرَ أحداً يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيلُ إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبِح وسُمِط، فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشْهَق / حتى التقت أضلاعُه، ثم قال: أَخلِني، قال: ما معنا أحد يسمع ولا عينَ عليك، قال: وثب ابنُك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع / جَعْفر وصاح: وَيْلك! وفيم؟ وتريد ماذا؟ قال: أمّا ما أُريد فوالله ما لي في إسماعيل حِيلَة ولا يسمَع هذا سامعٌ أبداً بعدك. فجزاه خيراً وأدخله منزلَه، وأخرج إليه مائتَي دِينار وقال له: خذ هذه ولك عندنا ما تُحِبّ، قال: وخرج إلى إسماعيل لا يُبصِر ما يطأ عليه، فإذا به مُتَرسِّل في مَجْلِسه، فلما رأى وجهَ أبيه نكِره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فَعَلْتَها بأشعب؟ قتلتَ ولدَه، قال: فاستضْحك وقال: جاءني بِجَدْي من صفَتِه كذا، وخَبَّره الخَبَر، فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه. قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رَعَبْتَنِي رَعبك الله[٢] فيقول: رَوْعةُ ابنِك والله إيّاي في الجَدْي أكبر من رَوْعتك أنت في المائتي الدِّينار.

90/17 [١٤٩/١٩]

حزن أشعب لوفاة خالد بن عبد الله

أخبرنا أحمدُ، قال: حَدَّثنا عبد الله بن عَمْرو بن أبي سَعْد، قال: حدثني محمدُ بنُ إسحاق المُسَيِّبِيّ[٣]، قال: حدَّثني عُمَير بنُ عبدِ الله بن أبي بَكْر بن سُليمان بن أبي خَيْثمة ـ قال: وعمَيْر لقبٌ واسمُه عبد الرحمن ـ عنْ أشعب، قال:

أتيتُ خالدَ بن عبد الله بن عَمْرو بن عُثْمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أُعطِي على مِثْلها، قلت: بلى جُعِلْتُ فِداءَك، فقال: قم فإن قُدِر شيء فسيكون، قال: فقمت، فإني لَفي بعض سِكك المدينة، إذ لَقِيني رجل فقال: يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً فما أنتَ صانع؟ قلت: أشكر الله وأشكر مَنْ فعله، قال: كم عيالُك؟ فأخبرتُه قال: قد أُمِرْتُ أن أُجرِيَ عليك وعلى عِيالِك ما كنتَ[٤] حيًّا، قال: مَن أمرك؟ قال:

(١ ـ ١) تكملة من ف.

(٢) ف: «رعتني راعك الله».

(٣) ب: «السيبي»، وفي مد، مم: «السبيبي».

(٤) ف: «ما دمت حياً».

لا أُخْبِرك ما كانت هذه فوق هذه، يُريد السماء، وأشار إليها قال: قلت: إن هذا معروف يُشْكَر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك، وهو يتمنى[١] الاّ يَصل مِثْلَك. قال: فمكثتُ آخُذ ذلك إلى أن تُوُفِّي خالدُ بنُ عبد الله بن عمرو بن عُثمان، قال: فشهِدَتْه قُرَيشٌ وحَفَل له الناس قال: فشَهِدتُه فلَقِيني ذلك الرجلُ فقال: يا أشعب / انتِفْ رأسَك [١٩/١٥٠] ولحيتَك، هذا والله صاحِبُك الذي كان يُجري عليك ما كنتُ أُعطِيك، وكان والله يَتمنَّى مباعدة مثْلك، قال: فحمله والله الكرمُ إذْ سَألتَه أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعبُ: فعَمِلت بنفسي والله حينئذ ما حلّ وحَرُم.

أشعب في المسجد

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال:

كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبَض وجْهَه فصيّره كالصُّبرة[٢] المجموعة، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه[٣] وناداه: يا أشعب، إذا تناجى ربك فناجه بوجه طلق، قال: فأرخى لِحيه[٤] حتى وقع على زَوره، قال: فأعرض عنه عامر وقال: ولا كلّ هذا.

جز أشعب لحيته

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني الزُّبَير، قال: حدثني مُصْعَب، قال:

جزّ أشعبُ لِحْيَتَه فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْر: ألم أقل لك إن البطّال[٥] أملح ما يكون إذا طالت لِحْيَتُه فلا تَجْزُزْ لِحْيَتَك.

طرائف من طمعه وبخله

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا أبو الحسن المَدائنيّ، قال:

وقف أشعَبُ على امرأة تعمل طبقَ خُوصٍ فقال: لِتَكبِّرِيه فقالت: لم؟ أتريد أن تَشتريَه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهدِيَ إليّ فيه / ، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً. ٩١/١٧

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى / قال: أخبرنا [١٩/١٥١] المدائنيّ، قال: قالت صديقةُ أشعب لأشعبَ: هَبْ لي خاتمَك أذكرك به، قال: اذكريني أنّي منعتُك إياه؛ فهو أحبّ إليّ.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: أخبرنا أبو مُسْلِم، قال: أخبرنا المَدائِنيّ، قال:

---

(١) ف: «وهو يتمرى».

(٢) الصبرة: الكومة من الطعام. وفي ف: «كالسفرة».

(٣) ب: «فحبسه».

(٤) اللحى: عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان. وفي ف: «إنما تناجى ربك فناجه...».

(٥) البطال: المتعطل.

قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بنُ عثمان يقسّم مالاً، فمضوا، فلما أبطؤوا عنه اتّبعهم؛ يحسب أنّ الأمر قد صار حقًّا كما قال.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

دعا زيادُ بنُ عبد الله أشعبَ فتغدّى معه، فضرب بيده إلى جَدْي بين يديه، وكان زياد أحد[1] البخلاء بالطعام، فغاظه ذلك، فقال لخدمه: أخبروني عن أهل السجن ألهم إمام يصلّي بهم؟ وكان أشعبُ من القرّاء لكتاب الله تعالى، قالوا: لا، قال: فأدخلوا أشعب فصيِّروه إماماً لهم، قال أشعبُ: أوَ غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف لك ـ أصلحك الله ـ ألاّ أذُوقَ جَدْياً أبداً، فخلاّه.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

رأيتُ أشعبَ بالمدينة يُقَلّب مالاً كثيراً فقلتُ له: ويحك ما هذا الحرص! ولعلك أن تكونَ أيسرَ ممّن تطلب منه[2]، قال: إني قد مَهرتُ في هذه[3] المسألة، فأنا أكره أن أدعَها فتنفَلِت منّي.

[١٩/١٥٢] / أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

قيل لأشعب: ما بَلَغ من طمعك؟ قال: ما رأيتُ اثنين يتسارّان قَطّ إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

قال أشعبُ لأمه: رأيتُكِ في النوم مطْليّةً بعسل وأنا مطليٌّ بعَذِرة، فقالت: يا فاسقُ هذا عَمَلُك الخبيثُ كساكه[4] الله عز وجل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتُني ألطَعُك وأنت تَلْطَعِيني[5]، قالت: لعَنك الله يا فاسق.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

كان أشعبُ يتحدّثُ إلى امرأة بالمدينة حتى عُرِف ذلك، فقالت لها جاراتها يوماً: لو سألتِه شيئاً فإنه مُوسِر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليَقُلْنَ لي: ما يصلُك بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يَقربْها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماءً، فقالت: اشرب هذا من الفزع، فقال: اشربيه أنت من الطمع.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يَحيى ـ واللّفظ لأحمد ـ قال: أخبرنا المدائنيّ عن جَهْم بن خلف، قال:

حدثني رجلٌ قال: قلتُ لأشعب: لو تحدّثت عندي العَشيّة؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل، قال: قلت: ليس غَيرُك وغَيري، قال: فإذا صلّيتُ الظهرَ فأنا عندك، / فصلّى وجاء، فلما وضَعَت الجاريةُ الطعامَ إذا بصديق لي يَدُقّ [١٩/١٥٣] الباب، فقال: ألا ترى قد صرتُ إلى ما أكره؟ قال: قلت: إن عندي فيه عَشْرَ خصال، قال: فما هي؟ قال: أولُها أنه

---

(١) ب: «أخا البخلاء».

(٢) ب: «. . . ولعلك أن تكون أسيراً ممن تطلب منه».

(٣) ب: «إني قد مهدت المسألة».

(٤) ف: «ألبسكه الله».

(٥) لطع الشيء: لحسه.

لا يأكل ولا يشرب، قال: التّسْعُ الخصال لك، أدخله. قال أبو مسلم / : إن كرهْتَ واحدةً منها لم أُدخِله. ٩٢/١٧

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

دخل أشعبُ يوماً على الحسين بن عليّ وعنده أعرابيٌّ قبيح المنظر مختلف الخِلقة، فسبَّح أشعبُ حين رآه، وقال للحُسَيْن عليه السلام: بأبي أنت وأمي، أتأذن لي أن أسْلح عليه؟ فقال الأعرابيُّ: ما شئتَ، ومع الأعرابيّ قوسٌ وكِنانة، ففوَّق له سهماً وقال: والله لَئِن فعلْت لتكونَنّ آخرَ سَلحة سلَحْتها، قال أشعبُ للحسين: جُعِلتُ فداءَك، قد أخذنِي القُولَنج[١].

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ، قال:

ذَكر أشعبُ بالمدينة رجُلاً قبيح الاسم، فقيل له: يا أبا العلاء، أتعرِف فُلاناً؟ قال: ليس هذا من الأسماء التي عُرِضت على آدم.

وجَدْتُ في بعض الكتب، عن أحمد بن الحارث الخراز[٢]، عن المدائنيّ، قال:

توضّأ أشعبُ فغسل رِجلَه اليسرى وترك اليمنى فقيل له: لِمَ تركتَ غَسْل اليمنى؟ قال: لأنّ النبيّ ﷺ قال: «أُمّتي غُرٌّ مُحَجّلُون من آثار الوضوء، وأنا أُحِبُّ أن أكون أغرّ مُحَجّلاً مُطلقَ اليمنى»[٣].

/ وأخبرت بهذا الإسناد قال: [١٩/١٥٤]

سَمع أشعبُ حُبّي المَدينيّة تقول: اللهم لا تُمِتْني حتى تغفرَ لي ذُنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألتِه عمرَ الأبد، يُرِيدُ أنه لا يغفِر لها أبداً.

أخبرنا أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا المدائنيّ، عن فُلَيْح بن سُليمان، قال:

ساوم أشعبُ رجُلاً بقَوْس عربيّة فقال الرجلُ: لا أنقُصُها عن دينار، قال أشعبُ: أعتق ما أملك لو أنها إذا رُمِيَ بها طائر في جَوّ السماء وقع مشويًا بين رغِيفين ما أخذتها بدِينار.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

أهدى رجلٌ من بني عامر بن لُؤيّ إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة، وأشعب حاضر، قال: كُلْ يا أشعب، فلما أكل منها قال: كيف تجدُها يا أشعب؟ قال: أنا بَرِيء من الله ورسوله إن لم تكن عُمِلت قبل أن يُوحِي الله عزّ وجلّ إلى النَّحل، أي ليس فيها من الحلاوة شيء.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيُّ، قال:

سأل سالم بن عبد الله أشعبَ عن طَمَعِه، قال: قلتُ لصِبْياني مرّة: هذا سالِم قد فَتَح بابَ صدقة عمر[٤]،

---

(١) القولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح.

(٢) ب: «الحزاز».

(٣) ب: «أغر محجل ثلاث مطلق اليمين».

(٤) مد: «صدقاته».

فانطلِقوا يُعطِكم تمراً، فمضَوا، فلما أبطؤوا ظنَنْتُ أنّ الأمرَ كما قلتُ فاتّبَعتُهم.

أخبرني أحمد بنُ عبد العزيز، قال: حدثني محمد بنُ القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرني المدائنيّ، قال:

[١٩/١٥٥] / بينا أشعبُ يوماً يتغدّى إذ دخلت جارة[1] له، ومع أشعب امرأته تأكل، فدعاها لِتتغدّى، فجاءت الجارة[1] فأخذت العُرقُوبَ بما عليه - قال: وأهلُ المدينة يسمونه عُرقوبَ ربّ البيت - قال: فقام أشعَب فخرج ثم عاد فدقّ الباب، فقالت له امرأته: يا سخِين العَيْن ما لك! قال: أدخل؟ قالت: أتَسْتأْذِنُ أنت، وأنت ربُّ البيت؟ قال: لو كنتُ ربَّ البيت ما كانت العُرْقوبُ بين يدي هذه.

أشعب يبكي نفسه

أخبرني بعضُ أصحابنا، قال: حدثنا أحمد بنُ سعيد الدّمشقيّ، قال: حدثنا الزبير، قال: حدّثني مصعب، قال: قال لي ابن كُلَيْب:

٩٣/١٧ حدّثتُ مَرّة أشعب بمُلحة فبكَى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة / الموز إذا نشأتْ ابنتَها قُطِعت، وقد نشأتَ أنتَ في مواليّ وأنا الآن أموت، فإنما أبكي على نفسي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار، قال:

كان أشعبُ الطّمع يُغنّي وله أصواتٌ قد حُكِيت عنه، وكان ابنُه عُبيدة يغنّيها، فمِنْ أصواته هذه:

أروني مَن يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمرُ جلّ عن الخِطابِ
إلى مَن تَفزعون إذا حَثَوْتُم ... بأيديكم عليّ من الترابِ

أشعب وسكينة بنت الحسين

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفّاف، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدّمشقيّ، قال: حدثنا الزبير بن بكّار، قال: حدثنا شُعَيب بن عُبيدة بن أشعب، عن أبيه، عن جدّه، قال:

[١٩/١٥٦] كانت سُكَينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان / قال: وقد كانت أحلَفَتْه ألّا يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً فقالت: اخرج بنا إلى حُمران[2] من ناحية عُسْفان، فخرج بها فأقامت، ثم قالت له: اذهب بنا نعتمر، فدخل بها مكة، فأتاني آتٍ، فقال: تقول لك ديباجةُ الحرَم - وهي امرأة من ولد عتّاب بن أسيد -: لك عشرون ديناراً إن جئتَني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح، [3]قال أشعب: وأنا أعرف سُكَينة وأعلم ما هي، ثم غلب عليّ طباع السوء والشره، فقلت لزيد فيما بيني وبينه: إن ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت وكيت، فقال: عِدْها الليلة بالأبطح[3]، فأرسلت إليها فواعدتُها الأبطح وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحت النمارق، ووضعت حشايا وعليها أنماط، فجلستْ عليها، فلما طلع زيد قامت إليه، فتلقّته وسلّمت

(١) ب: «جارية».

(٢) حمران: ماء في ديار الرباب (معجم البلدان). وفي ب، مد: «حمدان»، تحريف.

(٣ - ٣) التكملة من ف.

عليه، ثم رجعت إلى مجلسها، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سكينة، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها، واختبأتُ ناحية، فقامت الديباجة إلى سكينة فتلقَّتها وقبّلت بين عينيها، وأجلستها على الفراش، وجلست هي على بعض النمارق، فقالت سكينة: أشعبُ والله صاحبُ هذا الأمر، ولستُ لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرة [(١)]لن يقوم لي بشيء أبداً، فطلعتُ على أربع أصيح صِياح الهرة[(١)]، ثم دعت جاريةً معه مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت، وصبّت في حجر الديباجة، [(٢)]وحفنت لمن معها فصبّته في حجورهن[(٢)] وركِبتُ وركب زيد وأنا معهم، فلما صارت إلى منزلها قالت لي: يا أشعب أفعلتَها؟ قلت: جعلت فداءك، إنما جَعلتُ لي عشرين ديناراً، وقد عرفتِ طمعي وشرهي، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبويّ لقتلتهما، قال: فأمرت بالرحيل إلى الطائف، فأقامت بالطائف وحوّطت[(٣)] من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها. قال: ثم قالت لي يوماً: قد أثمنا في زيد وفعلنا[(٤)] ما لا يحل لنا، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة، وأذنت لزيد فجاءها.

/ قال الزّبير: وحدّثني عبدُ الله بن محمد بن أبي سَلَمَة قال: [١٩/١٥٧]

جاء أشعبُ إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه، فمرّت جارية لأحدهم بحُزمة عَراجين من صدقة عمر، فقال له أشعبُ: فديتُك، أنا محتاج إلى حطب فَمُرْ لي بهذه الحزمة، قال: لا، ولكن أُعطيك نصفَها على أن تحدّثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أشعبُ ثوبَه عن استه واستوفز وجعل يخنس[(٥)] ويقول: إن لهذا زماناً[(٦)]، وجعلت خصيتاه تخطّان الأرض، ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عدّ أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين! ثم قام فانصرف.

وفي ديباجة الحرم يقول عمرُ بنُ أبي ربيعة:

٩٤/١٧

/ صوت

ذَهبتَ ولم تُلمم بديباجة الحرمْ ... وقد كنتَ منها في عَناءٍ وفي سَقَمْ
جُننْتَ بها لمّا سمعتَ بذكرها ... وقد كنتَ مجنوناً بجاراتها القُدُمْ
إذا أنتَ لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى ... فكن حجراً بالحزْن من حَرّةٍ أصمّ[(٧)]

غناه مالك بن أبي السّمح من رواية يونس عن حبيش[(٨)].

قال الزبير: وحدثني شعيب بن عبيدة، عن أبيه، قال:

دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب مُتَفَحِّج[(٩)] جالس تحت

(١ ـ ١) التكملة من ف.
(٢ ـ ٢) التكملة من ف.
(٣) ف: «وأحاطت».
(٤) ف: «وعملنا ما لا يحل لنا».
(٥) استوفز في قعدته: قعد منتصباً غير مطمئن. وخنس: تأخر.
(٦) ف: «أف لهذا زمناً، أف لهذا زمناً»، بدل: «إن لهذا زماناً».
(٧) ف: «من صخرة أصم».
(٨) ب، مد، مم: «غير مجنس» بدل: «عن حبيش».
(٩) المتفحج: المفرج بين رجليه.

السرير، فلما رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه وأعجب، فقالت: ما لك تنظر إلى هذا؟ قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث، قد أفسد علينا أمورنا بغباوته، فحضنتُه بَيْضَ دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى [١٩/١٥٨] ينفُق[١]. / وهذا الخبر عندنا غير مشروح، ولكن هذا ما سمعناه، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهديّ التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم، وقد ذكر في أخبار سكينة.

وروى عن أحمد بن الحسن البزّاز: وجدتُ بخط ابن الوشّاء، عن أبي الوشاء، عن الكديمي، عن أبي عاصم قال: قيل لأشعب الطامع: أرأيت أحداً قط أطمعَ منك، قال: نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العِلك[٢].

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، وعمي عبد العزيز بن أحمد[٣]، وحبيب بن نصر المهّلبيّ، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني مصعب، عن عثمان بن المنذر، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة، قال:

سمعتُ جلبةً شديدة مقبلة من البلاط، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً، وإذا أشعب بين أيديهم بكفّه دُفٌّ وهو يغنّي به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول:

ألا حـــيِّ التـــي خـــرجـــت ... قُبيـــلَ الصّبـــح فـــاختمـــرتْ
يقـــال بعينهـــا رَمَـــدٌ ... ولا واللهِ مـــا رمِـــدتْ

فإذا تجاوز في الرقص الجماعةَ رجع إليهم حتى يُخالطَهم ويستقبل المرأة فيغنّي في وجهها وهي تَبَسّم وتقول: حسبك الآن، فسألت عنها، فقالوا: هذه جارية صُرَيم المغنية استلحقها صريم عند موته، واعترف بأنها بنته، فحاكمت ورثَته[٤] إلى السلطان، فقامت لها البينةُ فألحقها به وأعطاها الميراثَ منه، وكانت أحسنَ خلقِ الله غناءً، كان يُضرَب بها المثل في الحجاز فيقال: أحسن من غناء الصُّرَيْمِيّة.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الدمشقيّ، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال: وحدثني أبي، قال:

[١٩/١٥٩] / اجتازت جنازة الصُّرَيْمِيّة بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال: ذهب اليوم الغناءُ كله، وعلى أنها الزانية كانت ـ لا رحمها الله ـ شرَّ خلق الله، فقيل: يا أشْعب ليس بين بكائك عليها ولعْنك إيّاها فصلٌ في كلامك، قال: نعم، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش، فيُطبخ لنا في دارها ثم لا تعشّينا ـ يشهد الله ـ إلا بسِلْق.

أشعب والغاضري

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب:

بلغ أشعب أن الغاضريّ[٥] قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس/ من مجالس قريش يحادثهم ويُضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوتَ نحوي وشَغَلت عنّي ٩٥/١٧ مَنْ كان يألفني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غَضّن[٦] وجهَه وعرّضه وشنّجه حتى صار عرضُه أكثرَ من طوله،

---

(١) ف: «ينقب».
(٢) العلك: اللبان.
(٣) كذا في جميع النسخ ونرجح أن يكون أحمد بن عبد العزيز.
(٤) ف: «فخاصمت ورثته».
(٥) ب: «الناضري».
(٦) غضن وجهه: ثناه. وفي ب: «غض».

وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهَه وقال له: افعل هكذا وطوّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدرَه، وصار كأنه وجهُ الناظر في سيفِه، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبةٌ كسنام البعير، وصار طولُه مقدارَ شبر أو أكثر، ثم نزع سراويلَه وجعل يمد جلد خُصيبه حتى حكّ بهما الأرض، ثم خلّاهما من يده ومشى وجعل يخنِس[1] وهما يخُطّان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى حتى صار أطولَ ما يكون من الرجال، فضحك والله القوم حتى أُغمِي عليهم وقطع الغاضريّ فما تكلم بنادرة، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أُعاود ما تكره، إنما أنا تلميذُك وخرِّيجُك، ثم انصرف أشعب وتركه.

من أخلاق أمه

أخبرني رضوانُ بن أحمد الصَّيدلانيّ، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهديّ، عن عبيدة بن أشعب، عن أبيه: أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة، وأن أباه كان من مماليك عثمان، وأنّ أُمّه كانت تنقل كلام أزواج النبي ﷺ بعضهن إلى بعض، فتُلقِي بينهن الشّرّ، فتأذّى رسول الله ﷺ بذلك، / فدعا اللهَ عز وجل عليها[١٩/١٦٠] فأماتها، وعُمِّر ابنُها أشعب حتى هلك في أيام المهديّ.

كان من المعتزلة

وكان في أشعب خِلالٌ، منها أنه كان أطيبَ أهل زمانه عِشرة وأكثرَهم نادرة، ومنها: أنه كان أحسنَ الناس أداءً لغناءٍ سمعه، ومنها: أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امرأً منهم.

أشعب وعبد الله بن عمر

قال إبراهيم بن المهديّ فحدثني عُبَيْدَةُ بن أشعب، عن أبيه، قال: بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له[٢] يتصدق بثمرته، فركبتُ ناضحاً[٣] ووافيتُه في ماله، فقلتُ: يابن أمير المؤمنين ويابن الفاروق أوقِرْ لي بعيري هذا تَمْراً، فقال لي: أمِنَ المهاجرين أنتَ؟ قلتُ: اللهمّ لا، قال: فمن الأنصار أنت؟ فقلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال: إلى أن يُحَقَّق رجاؤك، قال: أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعَلامَ أوقِر لك بَعِيرَك تَمْراً؟ قلت: لأني سائل، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن أتاك سائل على فرس فلا تردَّه»، فقال: لو شئنا أن نقول لك: إنه قال: لو أتاك على فرس، ولم يقل أتاك على ناضِح بعير[٤] لقلنا، ولكنّي أُمسِك عن ذلك لاستغنائي عنه؛ لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب: إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته؟ فقال: إني سألت رسول الله ﷺ عما سألتني عنه، فقال لي: نعم إذا لم تصب راجِلاً ونحن أيها الرَّجل نُصِيب رجّالة فعلام أعطيك وأنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق، وبحق الله عز وجل، وبحق رسول الله ﷺ لما أوقرته لي تَمْراً، فقال لي عبد الله: أنا مُوقِرُه لك تَمْراً، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررتُ لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق أبي عليّ في تمرة أعطيكها لما أنفدت قسمك، لأني سمعت أبي يقول: إن

---

(١) خنس: تخلف وتوارى.

(٢) ف: «بلغني مكان عبد الله بن عمر في مال له».

(٣) ف: «أتاك على بعير».

(٤) الناضح: البعير يتسقى عليه.

[١٩/١٦١] رسول الله ﷺ قال: لا تُشدُّ الرِّحالُ إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي / بيَثْرِبَ،/ ولا يُبِرُّ امرؤٌ قَسَم مُستَحْلِفه إلا أن يستَحْلِفَه بحق الله وحق رسوله، ثم قال للسودان في تلك الحال[١]: أوقِرُوا له بعيرَه تمراً، [٩٦/١٧] قال: ولما أخذ السودان في حشو الغرائر قلتُ: إن السودان أهلُ طرب، وإن أطْرَبتُهم أجادوا حَشْوَ غرائري، فقلت: يابنَ الفاروق، أتأذن لي في الغناء فأُغَنِّيَك؟ فقال لي: أنت وذلك[٢]، فاندفعت في النَّصْب[٣]، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه. ثم غنيته صوتاً آخر لطُوَيْس المغنِّي وهو:

خَلِيلَيَّ ما أُخفِي من الحب ناطِقٌ ودمْعي بما قلتُ الغَداةَ شهيدُ[٤]

فقال لي عبد الله: يا هناهُ، لقد حدَث في هذا المعنى ما لم تكن نعرفه، قال: ثم غَنَّيْتُه لابن سُرَيْج:

يا عينُ جودي بالدموع السُّفاحْ وابكي على قَتْلَى قُريشِ البِطاحْ

فقال: يا أشْعَب، ويحك، هذا يَحْيِقُ الفؤاد ـ أراد: يحرق الفؤاد، لأنه كان ألثَغ لا يُبِين بالراء ولا باللام. قال أشعَب: وكان بعد ذلك لا يرائي إلا استعادني هذا الصوت.

من نوادره

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار، قال: حدثني عمي، قال:

لقِي أشعبَ صديقٌ لأبيه فقال له: ويحك يا أشعب، كان أبوك ألحَى وأنت أنَطُّ[٥] فإلى مَنْ خرجت؟ قال: إلى أمّي.

من حيله

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: أخبرنا أحمد بن أبي خَيْثَمة، قال: حدثنا مُصعبُ بن عبد الله، عن مُصْعب بن عثمان، قال:

لقِي أشعبُ سالمَ بنَ عبد الله بن عمر فقال: يا أشعب، هل لك في هَرِيس قد أُعِدَّ لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. قال: فصِر إليّ، فمضى إلى منزله، فقالت له امرأتُه: قد / وَجَّه إليكَ عبدُ الله بن عمرو بن عثمان يدعوك. [١٩/١٦٢] قال: ويحكِ، إن لسالِم بن عبد الله هريسةً قد دعاني إليها، وعبدُ الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دَعْوَتُهُ للناس فَلْتة، وليس لي بُدٌّ من المُضِيّ إليه. قالت: إذاً يغضَب عبدُ الله، قال: آكل عنده، ثم أصير إلى عبد الله. فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكْلَ مُتَعالِل فقال له: كُلْ يا أشعب وابعث ما فَضَل عنك إلى منزلك، قال: ذاك أردت بأبي أنتَ وأمّي، فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له: ثكِلتْكَ أمُّك، قد حَلَف عبدُ الله أن لا يُكَلِّمك شهراً، قال: دَعِيني وإياه، هاتي شيئاً من زَعْفران، فأعطته ودخل الحمّام يمسح على وجهه ويديه[٦] وجلس في الحمام حتى صَفَّرَه، ثم خرج متكئاً على عصا يُرعِد، حتى أتى دارَ عبدِ الله بن عمرو،

(١) ب: «ثم قال للسودان في ذلك المال».

(٢) ف: «أنت ورأيك».

(٣) النصب: نوع من الغناء.

(٤) ب: «باطل» بدل «ناطق». و «شهير» بدل «شهيد».

(٥) الأنط: الخفيف شعر اللحية أو الحاجبين.

(٦) ف: «وبدنه».

فلما رآه حاجبُه قال: ويحكَ، بلغتْ بك العلّةُ ما أرى؟ ودخل وأعلم صاحبَه فأذِن له، فلما دخل عليه إذا سالمُ بنُ عبد الله عنده، فجعل يزيدُ في الرِّعدةِ ويُقاربُ الخَطْوَ، فجلس وما يَقدر أن يستقِلّ، فقال عبد الله: ظَلَمْنَاك يا أشعب في غَضَبِنا عليك، فقال له سالم: ما لك ويلك! ألم تكن عندي آنفاً وأكلتَ هَرِيسة؟ فقال له: وأيّ أكلٍ ترى بي؟ قال: ويلك! ألم أقل لك كَيْتَ وكَيْت وتَقُل لي كَيْتَ وكَيْتَ؟ قال له: شُبِّه لك، قال: لا حَوْل ولا قوة إلا بالله، والله إني لأظُنّ الشيطانَ يتشبّه بك. ويلك! أجادٌّ أنت؟ قال: عليّ وعليّ إن كنتُ خرجتُ منذ شهر[1]. فقال له عبدُ الله: اعزُب ويْحَك أتَبْهَتُه، لا أمَّ لك! قال: ما قلتُ إلا حقًّا، قال: بحياتي اصدُقْني وأنت آمِنٌ من غضبي، قال: لا وحياتك لقد صدَق. ثم حدّثه بالقصة فضحك حتى استَلْقَى على قفاه.

ابنه يذكر بعض طرائف أبيه

[2]أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهديّ:

أنّ الرشيدَ لمّا ولّاه دمشقَ بعث إليه عبدَ الله بنَ أشعب، وكان يَقْدُم عليه من الحجاز إذا أراد أن يَطرَب.

/ قال إبراهيم: وكان يحدِّثني من حديث أبيه بالطرائف: [١٦٣/١٩]

عادَلَتُه[3] يوماً وأنا خارج من دمشق في قبّة على بغل لألهوَ بحديثه، فأصابنا في الطريق بردٌ شديد فدعوتُ بِدُوّاج سَمُّور[4] لألبسه، فأُتيت به فلما لبستُه أقبلتُ على ابن أشعب فقلت: حدِّثني بشيء من طمع أبيك. فقال لي: ما لك ولأبي، ها أنا إذا دعوتَ بالدُّوّاج فما شككتُ والله في أنك إنما جئتَ به لي، فضحكتُ من قوله، ودعوتُ بغيره فلبستُه وأعطيتُه إياه، ثم قلت له:

ألِأبيكَ ولدٌ غيرك؟ فقال: كثير، فقلت: عشرة؟ قال: أكثر، قلت: فخمسون؟ قال: أكثر كثير، قلت: مائة؟ قال: دع المئين وخذ الألوف، فقلت: ويلك! أيّ شيء تقوله؟ أشعبُ أبوك ليس بينك وبينه أب، فكيف يكون له ألوف من الولد؟ فضحك ثم قال: لي في هذا خبر ظريف، فقلت له: حدثني به، فقال:

كان أبي منقطعاً إلى سُكَينة بنتِ الحسين، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبّة له، فكان لا يستقر معها، تقول له: أريد الحج فيخرج معها، فإذا أفْضَوا إلى مكة تقول: أريد الرجوعَ إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة، قالت: أريد العمرةَ، فهو معها في سفر لا ينقضي. قال عبد الله: فحدثني أبي قال:

كانت قد حلَّفته بما لا كفّارةَ له ألا يتزوجَ عليها ولا يتسرّى ولا يُلِمّ بنسائه وجواريه إلا بإذنها، وحجَّ الخليفةُ في سنة من السنين فقال لها: قد حج الخليفةُ ولا بدَّ لي من لقائه، قالت: فاحلِفْ بأنك لا تدخلُ الطائفَ، ولا تُلمّ بجواريك على وجه ولا سبب، فحلف لها بما رَضِيتْ به من الأيْمان على ذلك، ثم قالت له: احلِفْ بالطلاق، فقال: لا أفعل، ولكن ابعثي معي بثقتك، فدعتْني وأعطتني ثلاثين ديناراً وقالت لي: اخرُج معه، وحلّفتني / بطلاق [١٦٤/١٩] بنت وردان زوجتي ألا أُطلِقَ له الخروجَ إلى الطائف بوجه ولا سبب، فحلفتُ لها بما أثلج صدرها، فأذِنَتْ له فخرج وخَرَجْتُ معه. فلما حاذَيْنا الطائفَ قال لي: يا أشعب، أنت تعرِفُني وتعرف صنائعي عندك، وهذه ثلاثمائة دينار،

(١) ف: «إن كنت رأيتك منذ شهر».

(٢) سقط هذا الخبر من ب، وأثبتناه من ف، ما، مد.

(٣) عادلـه: ركب معه.

(٤) الدواج: اللحاف الذي يلبس. والسمور: حيوان بري يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها وخفتها وإدفائها.

خُذْها بارَكَ الله لك فيها وأْذَنْ لي أَلُمّ بجواريّ، فلما سمعتُها ذهب عقلي ثم قلت: يا سيدي، هي سُكَيْنة، فاللهَ اللهَ فيّ. فقال: أوَ تعلم سكينةُ الغيبَ! فلم يزل بي حتى أخذتُها وأذِنتُ له، فمضى وبات عند جواريه. فلما أصبحنا رأيتُ أبياتَ قوم من العرب قريبةً منا، فلبستُ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت لزيد قيمتُها ألفُ دينار، وركبتُ فرسَه وجئتُ إلى النساء فسلّمتُ فرددن، ونسبنني فانتسبتُ نسبَ زيد، فحادثَنني وأنِسن بي. وأقبل رجال الحيّ، وكلما جاء رجل سأل عن نسبي فخُبِّرَ به هابني وسلّم عليّ وعَظّمني وانصرف، إلى أن أقبل شيخٌ كبير منكر مبطون، فلما خُبِّر بي وبنسبي شال حاجِبَيه عن عينه، ثم نظر إليّ وقال: وأبي ما هذه خلقةُ قُرَشيّ ولا شمائلُه، وما هو إلا عبدٌ لهم نادّ، وعلمتُ أنه يريد شرّاً، فركبتُ الفرسَ ثم مضيتُ، ولحقني فرماني بسهم فما أخطأ قَرَبُوسَ السرج، وما شككتُ أنه يلحقني بآخر يقتلني فسلحتُ ـ يعلم الله ـ في ثيابي فلوّثها ونفذ إلى الحُلَّة فصيّرها شُهْرة[(١)]، وأتيتُ رحْلَ زيد بن عمرو فجلست أغسل الحُلَّة وأجففها، وأقبل زيد بن عمرو، فرأى ما لحِق الحُلَّة والسرج، فقال لي: ما القصة؟ ويلك! فقلت: يا سيدي الصدقُ أنجى، وحدثته الحديثَ فاغتاظ ثم قال لي: ألم يكفِك أن تلبس حلتي وتصنع بها ما صنعت، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني، وجعلتني عند العرب وَلّاجاً جَمّاشاً[(٢)]، وجرى عليك ذُلٌّ تُسِب إليّ، أنا نَفِيٌّ من أبي ومنسوبٌ إلى أبيك إن لم أَسُؤْك وأَبْلُغْ في ذلك.

[١٩/١٦٥] ثم لقِي الخليفةَ وعاد ودخلنا إلى سُكينة، فسألَتْه عن خبره كله فخبرها حتى انتهى إلى ذكر / جواريه، فقالت: إيه وما كان من خبرك في طريقك؟ هل مَضيْتَ إلى جواريك بالطائف؟ فقال لها: لا أدري، سلي ثِقَتك. فدعتني فسألتني، وبدأتُ فحلفتُ لها بكل يمين محرجة أنه ما مرّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقني، فقال لها: اليمينُ التي حلَف بها لازمة لي إن لم أكن دخلتُ الطائفَ وبتُّ عند جواريّ وغسّلْتُهن[(٣)] جميعاً، وأخذ مني ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وحدّثها الحديثَ كله وأراها الحُلّة والسرج، فقالت لي: أفعلتَها يا أشعب! أنا نَفِيّة من أبي إن أنفقتَها إلا فيما يسوءك، ثم أمرت بكَبْس[(٤)] منزلي وإحضارها الدنانيرَ فأحضِرت، فاشترتْ بها خشباً وبيضاً وسِرْجيناً، وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلفت ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيضَ كلّه إلى أن يَنْقَب، فمكثت أربعين يوماً أحضن لها البيض حتى نَقِبَ، وخرج منه فراريج كثيرة فربّتْهن وتناسَلْنَ فكنّ بالمدينة يسمَّين بنات أشعب ونسلَ أشعب، فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نَسْلٌ يزيد على الألوف، كلهن أهلي وأقاربي.

قال إبراهيم: فضحكتُ والله من قوله ضحكاً ما أذكر أنّي ضحكتُ مثلَه قط ووصلته، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنه مات هناك[(٥)].

يتسور البستان طلباً للطعام

أخبرني أحمدُ، قال: حدّثنا مُصْعب بن عبد الله بن عثمان، قال:

٩٧/١٧ قال رجل / لأشعب: إنّ سالم بنَ عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير، فبادَر حتى لحِقه فأغلق

(١) الشهرة: ظهور الشيء في شنعة.
(٢) الولاج: الكثير الدخول. والجماش: المتعرض للنساء.
(٣) غسلتهن: جامعتهن.
(٤) كبس دار فلان: هجم عليها فجأة وأحاط بها.
(٥) انتهى الخبر المشار إلى أوله في الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢.

الغلامُ البابَ دونَه، فتسوّر عليه، فصاح به سالم: بناتي ويلك بناتي، فناداه أشعب: ﴿لقد علِمتَ ما لنا في بناتِك من حقٍّ وإنّك لتعلم ما نريد﴾(١)، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه.

يقوقيء مثل الدجاجة

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثنا أحمدُ بن سعيد، قال: حدثنا الزُّبَير بن بكّار، قال: حدثني عمّي، قال:

/ بعثتْ سُكَينة إلى أبي الزّناد فجاءها تستفتيه في شيء، فاطّلع أشعبُ عليه من بيت وجعل يُقَوْقِيء مثلَ ما [١٩/١٦٦] تُقَوْقِيء الدجاجة، قال: فسبّح أبو الزّناد وقال: ما هذا؟ فضحكتْ وقالت: إن هذا الخبيث أفسد علينا بعضَ أمرنا، فحلفتُ أن يحضُن بيضاً في هذا البيت ولا يفارقه حتى يَنْقُب، فجعل أبو الزّناد يعجب من فعلها.

وقد أخبرني محمدُ بن جعفر النحويّ بخبر سُكَينة الطويل على غير هذه الرواية، وهو قريب منها، وقد ذكرتُه في أخبار سكينة بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

عبد يسلح في يده

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمدُ بن أبي خَيْثَمة، قال: حدثنا مُصْعب، قال: حدثني بعض المدنيين، قال:

كان لأشعب حرْق في بابه، فكان ينام ثم يُخرِج يدَه من الخَرْق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدة الطمع، فبعث إليه بعضُ من كان يعبث به من مُجّان آل الزُبَيْر بعبدٍ له فسلح في يده، فلم يعد بعدها إلى أن يُخرج يده.

وأخبرني به الجوهريّ، عن ابن مَهْرُويَه، عن محمد بن الحسن، عن مُصْعب، عن بعض المدنيين فذكر نحوَه ولم يذكر ما فعل به الماجِن.

أشعب وسالم بن عبد الله بن عمر

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهَرِيّ، قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمدُ الزُّبَيْريّ أبو طاهر، قال: حدثنا يَحْيَى بنُ محمد بن أبي قتيلة، قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أنّ أشعبَ حدّثه، قال:

جاءني فِتْيَة من قُرَيْش فقالوا: إنا نحب أن تُسمع سالم بنَ عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتُعلِمنا ما يقول لك، وجعلوا لي على ذلك جُعْلاً فَتَنني(٢)، فدخلتُ على سالم فقلت: / يا أبا عمر، إنّ لي مُجالَسةً وحُرَمة ومودة [١٩/١٦٧] وسِنّاً، وأنا مُولَع بالتّرنم، قال: وما التّرنُّم؟ قلت: الغناء، قال: في أي وقت؟ قلت: في الخَلْوة ومع الإخوان في المُنْزه، فأحب أن أُسمِعَك، فإن كَرِهْتَه أمسكتُ عنه، وغنّيْتُه فقال: ما أرى بأساً، فخرجتُ فأعلمتُهم، قالوا: وأي شيء غنيته؟ قلت: غنيتُه:

قَــرِّبــا مَــربَــطَ النّعــامَــةِ مِنّــي ... لَقِحَــتْ حــربُ وائــلٍ عــن حِيــالــي(٣)

---

(١) سورة هود: ٧٩.

(٢) ف: «جعلا قيدني». والجعل: الأجر الذي يأخذه الإنسان على فعل شيء.

(٣) البيت للحارث بن عباد، وانظر الأمالي ٢: ١٣١ ط دار الكتب.

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيتُ دَفْعَهم إياي وخفتُ ذهابَ ما جعلوه لي رجعتُ فقلت: يا أبا عمر، آخر، فقال: ما لي ولك؟ فلم أملّكه كلامَه حتى غنيتُ، فقال: ما أرى بأساً، فخرجتُ إليهم فأعلمتهُم فقالوا: وأي شيء غنيته؟ فقلت: غنّيتُه قوله:

لـم يُطيقـوا أن يَنْـزِلـوا ونَـزلْنـا وأخـو الحـرب مَـنْ أطـاق النّـزالا

فقالوا: ليس هذا بشيء، فرجعتُ إليه فقال: مَهْ، قلت: وآخر، فلم أملّكه أمرَه حتى غنيتُ:

غَيّضْـن مـن عَبَـراتهِـنّ وقُلْـنَ لـي: مـاذا لَقِيـتَ مـن الهـوى ولَقِينـا[1]

٩٨/١٧ / فقال: نَهَلاً نَهَلاً[2]، فقلت: لا والله إلا بذاك السّداك، وفيه تمر عَجْوة من صَدَقة عمر فقال: هو لك، فخرجتُ به عليهم وأنا أَخْطِر فقالوا: مَهْ، فقلت: غنّيتُ الشيخ:

غَيّضْـنَ مـن عَبَـراتِهِـنّ وقُلْـنَ لـي ....

فطرب وفرض لي فأعطاني هذا، وكذّبتهُم، والله ما أعطانِيه إلا استكفافاً حتى صَمتُّ.

[١٩/١٦٨] / قال ابن أبي سعد: السُّداك: الزّبيلُ الكبير. وفرض لي أي نقّطني، يعني ما يَهبُه الناس للمغَنّين ويُسمُّونه النُّقَط.

كانت له ألحان مطربة وشهد له معبد

حدثني الجوهريّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني قَعْنَبُ بنُ المحرز، عن الأصمعيّ، قال: حدثني جعفر بن سليمان، قال:

قدِم أشعبُ أيامَ أبي جعفر، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يُغَنّيَهُم فغنّى فإذا ألحانُه مُطرِبة[3] وحلقُه على حاله، فقال له جعفر بن المنصور: لمن هذا الشعر والغناء:

لِمَـن طَلَـلٌ بـذاتِ الـجَـيْـش أمسـى دارسـاً خَلَقـا؟

فقال له: أخذتُ الغناء عن مَعْبد، وهو للدّلال، ولقد كنتُ آخذُ اللحن عن مَعْبد فإذا سُئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسَنُ تأديةً له مني.

أشعب يلازم جريراً ويغنيه في شعره

أخبرني محمد بن مَزْيد، قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن عبد الله بن مصعب، قال:

قدِم جَريرٌ المدينةَ، فاجتمع إليه الناسُ يستنشدونه ويسألونه عن شعره، فيُنشِدهم ويأخذون عنه وينصرفون، ولزمه أشعبُ من بينهم فلم يفارقْه، فقال له جرير: أراك أطولَهم جلوساً وأكثرَهم سؤالاً، وإني لأظنُّك ألأمَهم حَسَباً، فقال له: يا أبا حَزْرة، أنا والله أنفعُهم لك، قال: وكيف ذلك؟ قال: أنا آخذ شِعْرَك فأحسِّنُه وأجوِّدُه، قال:

---

(١) البيت لجرير في شرح ديوان جرير ٥٧٨ ط الصاوي، وقبله:

إن الـذيـن غـدوا بلبـك غـادروا وشـلا بعينـك مـا يـزال معينـا

(٢) ف، مد: «مهلاً مهلاً». والنهل: ما أكل من الطعام.

(٣) ف: «ألحانه طربة».

كيف تُحسِنه وتُجوِّده؟ قال: فاندفع فغناه في شعره والغناءُ لابن سُرَيْج:

صوت

يـا أخـتَ نـاجيَـة السـلامُ عليكـم قبـلَ الـرحيـلِ وقبـلَ لَـوْمِ العُـذَّلِ[1]

لـو كنـتُ أعلـمُ أن آخـرَ عَهْـدكـم يـوم الـرّحيـلِ فعلْـتُ مـا لـم أفعـلِ

/ قال: فطرِب جَرِير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبتُه بركبته وقال: أشهد أنك تُحَسِّنه وتُجوِّده، [١٩/١٦٩] فأعطاه من شعره ما أراد، ووصله بدنانير وكسوة.

حدثني أحمدُ بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم، قال: حدثني أبي، قال: قال الهَيْثَم بن عَدِيّ:

لقيتُ أشعب فقلت له: كيف ترى أهلَ زمانِك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديثِ الملوكِ ويُعطون إعطاءَ العبيد.

أشعب وأم عمر بنت مروان

حدثني أحمدُ، قال: حدثني محمدُ بن القاسم، قال: حدثنا أحمدُ بنُ يَحْيى، قال: أخبرنا مُصعَب، قال:

حجّت أم عمر بنت مَرْوان فاستَحْجَبت[2] أشعب وقالت له: أنت أعرفُ الناس بأهل المدينة، فأْذن لهم على مراتبهم، وجلستْ لهم مَلِيًّا، ثم قامت فدخلت القائلة، فجاء طُوَيْس فقال لأشعب: استأذِن لي على أم عمر، فقال: ما زالت جالسة وقد دَخَلت، فقال له: يا أشعب ملكتَ يومين فلم تَفُتْ بَعْرَتين ولم تَقْطع شَعْرَتين، فدقَّ أشعبُ البابَ ودخل إليها، فقال لها: أنشُدكِ الله يابْنةَ مَرْوان، هذا طُوَيْس بالباب فلا تتعرَّضي للسانِه ولا تُعَرِّضيني، فأذِنَت له، فلما دخل إليها قال لها: والله لئن كان بابك غُلُقاً لقد كان بابُ / أبيك فُلُقاً[3]، ثم أخرج دُفَّه ونقر به وغنَّى: ٩٩/١٧

مـا تمنعـي يَقَظـي فقـد تُـؤْتَيْنَـه فـي النـوم غيـر مُصَـرَّد محسـوبِ

كـان المُنَـى بلقـائهـا فلَقِيتُهـا فلهـوتُ مـن لهـو امـرىءٍ مكـذوبِ

قالت: أيهما أَحَبُّ إليك العاجِلُ أم الآجِل؟ فقال: عاجِـلٌ وآجِل، فأمرتْ له بكُسْوة.

/ أخبرني الجوهريّ، قال: حدثني ابن مَهْرُويه، عن أبي مُسْلم، عن المدائنيّ، قال: [١٩/١٧٠]

حدَّث رجل من أهلِ المدينة أشعبَ بحديث أعجبه فقال له: في حديثك هذا شيء، قال: وما هو؟ قال: تَقْلِيبُه على الرأس.

أشعب والوليد بن يزيد

أخبرني الجوهَرِيُّ، قال: حدثني ابن مَهْرُويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: حدثنا المدائنيّ، قال:

بعث الوليدُ بنُ يزيد إلى أشعب بعدما طَلّق امرأتَه سُعْدَة فقال له: يا أشعبُ، لك عندي عشرةُ آلافِ درهم على أن تبلّغ رسالتي سُعْدة، فقال له: أحضِر المالَ حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بِدرَةً فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هات رسالَتك يا أميرَ المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

(١) ف: «قبل الفراق وقبل عذل العذل».

(٢) استحجبت أشعب: ولته الحجابة.

(٣) باب غلق: مغلق، فعل بمعنى مفعول. وفلق: مفتوح. وفي مد: «دلقا».

أَسُعْـدَةُ هـل إليـكِ لنـا سبيـلٌ ... وهـل حتـى القيامَـة مـن تلاقـي؟!
بلـى، ولعـلَّ دهـراً أن يُـوَاتِـي ... بمـوتٍ مـن حليلـكِ أو طـلاقِ
فـأُصبِـحَ شـامتـاً وتقـرَّ عَيْنـي ... ويُجمَـعَ شملُنـا بعـد افتـراقِ

قال: فأتى أشعبُ الباب، فأُخبِرت بمكانه، فأمرتْ ففُرِشَت لها فُرُش وجلستْ فأذِنتْ له، فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف دِرْهم، قالت: والله لأقتلنَّك أو تبلِّغه كما بلغتني، قال: وما تَهَبين لي؟ قالت: بِساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقالت فطواه ثم قال: هاتي رسالَتك جُعِلتُ فِداءك، قالت: قل له:

أتبكـي علـى لُبْنَـى وأنـتَ تـركتَهـا ... فقـد ذهبـتْ لُبْنَـى فمـا أنـت صـانعُ؟!

فأقبل أشعبُ فدخل على الوليد فأنشده البيتَ، فقال: أوَّه! قتلتني والله، ما تُراني صانعاً بك يابنَ الزانية؟ اختر [١٧١/١٩] إمّا أن أدلّيَكَ منكّساً في بئر، أو أرميَ بك من فوق القصر / مُنكَّساً، أو أضربَ رأسَك بعمودي هذا ضربة، فقال: ما كنتَ فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: ولم؟ قال: لأنَّك لم تكُن لِتُعَذِّب رأساً فيه عَيْنان قد نَظَرتا إلى سُعْدَة فقال: صدَقْتَ يابنَ الزّانِيَة، اخرُج عَنِّي.

وقد أخبَرني بهذا الخَبَر محمدُ بن مَزْيد، عن حَمّاد، عن أبيه، عن الهَيْثَم بنِ عدِيّ، أنَّ سُعدَةَ لَمَّا أنشدَها أشعَبُ قوله:

أسُعْـدَة هـل إليـكِ لنـا سَبيـلٌ ... وهـل حَتَّـى القيـامـة مـن تـلاقِـي؟!

قالت: لا والله لا يكونُ ذلك أبداً، فلما أنْشَدها:

بَلَـى ولعَـلَّ دهـراً أن يُـواتِـي ... بمَـوْتٍ مـن حَلِيلِـك أو طـلاقِ

قالت: كلاَّ إن شاء الله، بل يَفْعل اللهُ ذلك به، فلَمَّا أنشدَها:

فـأُصبِـحَ شـامِتـاً وتَقَـرَّ عَيْنـي ... ويُجمَـعَ شملُنـا بعـد افتِـراق

قالت: بل تكون الشَّماتَة به، وذكر باقي الخَبَر مثل حديث الجوهريّ، عن ابن مَهْرُويه.

$\frac{١٠٠}{١٧}$ / أخبرني عَمّي، قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانيُّ، قال: حدَّثنا العُمَريّ، عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، قال:

كتبَ الوليدُ بنُ يَزيد في إشْخاصِ أشعَبَ من الحِجاز إليه وحَمله على البَرِيد، فحُمِل إليه، فلما دَخَل أمر بأن يَلبِس تُبّاناً[١] ويُجعَل فيه ذَنَبُ قِرْد، ويُشدَّ في رِجْلَيه أجراس، وفي عُنُقه جَلاجل، ففُعِل به ذلك، فدَخَل وهو عَجَبٌ من العَجَب، فلما رآه ضَحِك منه وكَشَف عن أَيْره، قال أشعب: فنظرت إليه كأنه نايٌ مَدْهون، فقال لي: / اسجُد [١٧٢/١٩] للأصمّ وَيْلَك، يعني أيرَه، فسجَدتُ، ثم رفعتُ رأسِي وسجَدتُ أُخرى، فقال: ما هذا؟ فقلتُ: الأولى للأَصَمّ، والثانية لخُصَيَتَيْك، فضَحِك وأمر بنَزْع ما كان أَلْبَسَنِيه ووَصَلني، ولم أزل من نُدَمائه حتى قُتِل.

أخبرني محمدُ بن مَزْيد، قال: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ، عن أبيه، قال:

قال رجل لأشعَب إنه أُهدِي إلى زياد بنِ عبدِ اللهِ الحارثيّ قُبَّة أَدَم قيمَتُها عَشْرة آلاف دِرْهَم فقال: امرأتُه الطَّلاق

(١) التبان: سراويل قصيرة إلى الركبة أو ما فوقها تستر العورة. وفي مد: «ثيابا».

لو أنّها قُبَّةُ الإسلام ما ساوَتْ ألْف دِرْهم. فقيلَ له: إن معها جُبّةَ وَشْيٍ حَشوُها قَزٌّ قِيمَتُها عشرون ألف دِينارٍ، فقال: أُمُّه زانِية لو أنَّ حَشوَها زَغَـبُ أجنِحَة الملائِكة ما ساوت عِشرين دِيناراً.

أشعب ورجل من ولد عامر بن لؤي

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أبو أيوب المَدائنيّ، قال: حدثني مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْري، عن أبيه، قال: حدّثني أشعب، قال:

وَلِيَ المَدِينةَ رجلٌ من ولَد عامِر بن لُؤَيّ، وكان أبخَلَ النّاس وانكدَهُم[1]، وأغراه اللهُ بي يَطْلُبُني في لَيْلِه ونَهارِه، فإن هَرَبتُ منه هَجَم على مَنْزِلي بالشُّرَط، وإن كنتُ في موضع بعثَ إلى مَن أكونُ معه أو عنده يطلبُني منه، فيُطالبُني بأن أُحدِّثه وأُضحِكه، ثم لا أَسْكُت ولا ينام[2]، ولا يُطعِمُني ولا يُعطيني شيئاً، فلقيتُ منه جهْداً عظيماً وبَلاءً شدِيداً. وحَضَر الحَجُّ، فقال لي: يا أشعب، كن معي، فقلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل، وليست لي نية في الحج. فقال: عَلَيه وعَلَيه، وقال: إن الكَعْبَة بيتُ النّارِ، لَئِن لم تَخرُجْ معي لأُودِعَنَّك الحَبْس حتى أقدُم، فخرجتُ معه مُكرَهاً، فلما نزلنا المَنْزِل أظهَر أنَّه صائم ونام حتى تَشاغَلْتُ، ثم أكل ما في سُفْرته، وأمر غُلامَه أن يُطعِمَني رغِيفَيْن بمِلْح، فجئتُ وعندي أنَّه صائم، ولم أزل أنتَظر المَغْرِب / أتوقَّع إفطارَه، فلما صَلّيتُ المغربَ قلتُ لِغُلامه: [١٩/١٧٣] ما يَنتَظِر بالأكْل؟ قال: قد أكل منذُ زمان، قلت: أو لم يَكُنْ صائماً؟ قال: لا، قلت: أفأَطْوِي أنا؟ قال: قد أعدّ لك ما تأكُلُه فكُلْ، وأخرجَ إليّ الرَّغِيفَيْنِ والمِلْحَ فأكلتُهما وبِتُّ مَيْتاً جوعاً، وأصبحتُ فسِرْنا حتى نزلنا المنزِل، فقال لغلامه: ابتَعْ لنا لَحماً بدِرْهم، فابتاعه، فقال: كَبِّب لي قِطَعاً، ففعل، فأكله ونَصَب القِدْر، فلما اغبرَّت قال: اغرُف لي منها قِطعاً، ففعل، فأكلها، ثم قال: اطرح فيها دُقَّة وأطعِمْني منها، ففعل، ثم قال: ألقِ توابِلَها وأطعِمْني منها، ففعل؛ وأنا جالس أنظُر إليه لا يدعوني، فلما استوفى اللّحمَ كلَّه قال: يا غلام، أطعِم أشعبَ، ورمى إليّ برغِيفَيْن، فجئتُ إلى القِدْر وإذا ليس فيها إلا مَرَق وعِظام، فأكلت الرَّغِيفَين، وأخرج له جراباً فيه فاكهةٌ يابسةٌ، فأخذ منها حفنة فأكلها، وبقي في كَفِّه كَفٌّ لوزٍ بِقِشْرِه، ولم يَكُنْ له فيه حيلة، فرمى به إليَّ وقال: كُلْ هذا يا أشعب، فذهَبْتُ أكسِر واحدة منها فإذا بِضِرْسي قد انكَسَرت منه قِطعَة فسَقَطتْ / بين يديَّ، وتباعدتُ أطلبُ حَجَراً أكسِرُه به، فوجدتُه، [١٠١/١٧] فضربت له لوزة فطفرَتْ ـ يعلمُ الله ـ مقدارَ رَمْية حَجَر، وعدوتُ في طَلَبها، فبينما أنا في ذلك إذ أقبَل بَنُو مُصْعَب ـ يعْنِي ابنَ ثابت وإخوته ـ يُلبُّون بتلك الحُلوق الجَهْوَرِيَّة، فصِحْتُ بهم: الغَوثَ الغَوثَ العِياذُ بالله وبكم يا آل الزُّبير، الْحقُوني أدرِكوني، فرَكَضُوا إليَّ، فلما رأَوْني قالوا: أشعب، ما لك ويلك! قلت: خُذوني معكم تُخَلِّصوني من المَوْت، فحمَلوني معهم، فجعَلت أرفرِفُ بِيَدي كما يفعل الفَرْخ إذا طَلَب الزَّقَّ من أبوَيْه، فقالوا: ما لَكَ ويلك! قلت: ليس هذا وقتَ الحديث، زُقُّوني مما معكم، فقد مُتُّ ضُرًّا وجُوعاً منذ ثلاث، قال: فأطعَموني حتى تراجَعَت نفسي، وحملوني معهم في مَحْمَل، ثم قالوا: أخبرنا بقِصَّتك، فحدَّثتُهم وأريتهم ضِرْسي المكسورة، فجعلوا يَضْحَكون / ويُصفِّقون وقالوا: ويلك! مِنْ أينَ وقعتَ على هذا؟ هذا من أبخَلِ خَلْقِ الله وأدنَئِهم نَفْساً، فحَلفتُ [١٩/١٧٤] بالطَّلاق أني لا أدخُل المدينةَ ما دَامَ له بها سُلطان، فلم أدخُلها حتى عُزِل.

---

(١) مد: «وانكرهم».

(٢) ف: «ولا أنام».

أشعب يسقط الغاضري

أخبرني رضوانُ بنُ أحمد الصَّيْدلانيُّ، قال: حدَّثنا يوسُفُ بنُ إبراهيم، قال: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المهديّ، قال: حدَّثني عُبَيْدةُ بنُ أشعب، قال:

كان الغاضِريُّ مُندِرَ[1] أهلِ المدينة ومُضحِكَهم قَبْل أبي، فأسقَطَه أبي واطُّرِح، وكان الغاضِريُّ حَسنَ الوَجْه مادّ القامة عَبْلاً فَخْماً، وكان أبي قصيراً دَميماً قليلَ اللَّحم؛ إلاّ أنَّه كان يتضرَّم ويتوقَّد ذَكاءً وحِدّة وخفَّة رُوح، وكان الغاضريّ يحسده إلا أنهما متساويان، وكان الغاضريُّ لقيطاً منبوذاً لا يُعرَف له أبٌ، فمرّ يوماً - ومعه فِتْيَة من قُرَيش - بأبي في المسجد وقد تأذّى بثيابه فنَزَعها، وتجرَّد وجَلَس عُرْياناً، فقال لهم الغاضريّ: أنشَدْتُكم اللهَ هل رأيتُم أعجبَ من هذه الخِلْقة! يريد خِلْقَةَ أبي، فقال له أبي: إنّ خِلقَتي لعَجيبَة، وأعجَب منها أنه زَقَّني[2] اثْنان فصِرْتُ نِضْواً[3]، وزَقَّك واحدٌ فصِرْتَ بُخْتيًا[4]، قال: وأهلُ المَدينة يُسمون المَهْلُوس[5] من الفِراخ النِّضْو والمُسَرْوَل[6] البُخْتِيّ، فغضب الغاضريُّ عند ذلك وشتَمَه، فسقط واستُبرِد، وترك النوادِرَ بعد ذلك، وغَلَب أبي على أهْل المَدينة واستَطابُوه، وكان هذا سَبَبَه.

أشعب وزياد بن عبد الله الحارثي

أخبرني جَعْفَرُ بنُ قُدَامَة، قال: حدَّثَنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ، عن أبيه، قال:

[١٩/١٧٥] / كان زِيادُ بنُ عبدِ الله الحارثيّ أبخلَ خَلْقِ الله، فأوْلَم وَليمَةً لطُهْر بعض أولادِه، وكان النّاس يَحضُرون ويُقدَّم الطَّعامُ فلا يأكُلون منه إلا تَعَلُّلاً وتَشَعُّثاً[7] لِعِلْمِهم به، فقُدِّم فيما قُدِّم جَدْيٌ مشوِيٌّ فلم يَعرِض له أحدٌ، وجعل يُرَدِّدُه على المائدة ثَلاثَة أيّام والناس يَجتَنِبُونَه إلى أن انقضت الوليمَةُ، فأصغى أشعبُ إلى بعض مَنْ كان هناك فقال: امرأتُه الطّلاق إن لم يَكُن هذا الجديُ بعد أن ذُبح وشُوِيَ أطْوَلَ عُمْراً وأمَدَّ حَياةً منه قبل أن يُذبَح، فضَحِك الرّجلُ، وسَمِعها زِيادٌ فتغافَل.

غضبت سكينة عليه فأمرت بحلق لحيته

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثنا عبدُ اللهِ بن أبي سَعد، قال: حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن مالك، عن إسحاق، قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ المَهْدِيّ، عن عُبَيدة بن أشعب، قال:

غَضِبتْ سُكَيْنَةُ على أبي في شَيءٍ خالفَها فيه فَحلَفت لتَحْلِقَنَّ لِحيَته، ودعت بالحَجّام فقالت له: احْلِق لِحْيَته، فقال له الحجّام: انفُخ شِدْقَيْك حتى أتمكّن منك، فقال له: يا بْنَ البَظْراء، أمَرتْك أن تَحْلِق لِحيَتي أو تُعَلِّمَني الزَّمْر! خبِّرني عن امرأتك إذا أردتَ أن تَحلِق / حِرَها تَنفُخ أشداقَه! فغضِب الحجّام وحلف ألاّ يَحْلِق لِحيَته وانصرف، وبلغَ [١٠٢/١٧] سُكَيْنة الخَبَرُ وما جرى بينهما فضَحِكت وعَفَت عنه.

---

(١) أندر: أتى بالنوادر من قول أو فعل فهو مندر.

(٢) زق الطائر فرخه: أطعمه بفيه.

(٣) النضو: المهزول.

(٤) البختي: الواحد من الإبل الخراسانية.

(٥) هلسه المرض: هزله فهو مهلوس.

(٦) حمامة مسرولة: في رجليها ريش كأنه سراويل.

(٧) تشعث من الطعام: أكل منه قليلا.

بين زياد بن عبد الله الحارثي وكاتبه

أخبرني محمد بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان، قال: حدَّثني أبو العَيْناء، عن الأصمعيّ، قال:

أهدى كاتِبٌ لزِياد بنِ عبد الله الحارثيّ إليه طعاماً، فأُتِي به وقد تَغدَّى فغَضب وقال: ما أصنَعُ به وقد أكلْتُ؟ ادعُوا أهلَ الصُّفَّة[1] يأكلُونه، فبَعَث إليهم وسأل / كاتِبَه: فيمَ دعا أهلَ الصُّفَّة؟ فعرّف، فقال الكاتب: عرِّفوه أنّ في [١٩/١٧٦] السِّلال أخبِصَة[2] وحَلْوَاءَ ودَجاجاً وفِراخاً، فأُخبِر بذلك، فأمر بكَشْفِها، فلما رَآها أمر برَفْعها فرُفِعَت، وجاء أهلُ الصُّفَّة فأُعلِم، فقال: اضربُوهم عِشرين عِشرين دِرَّة، واحْبِسوهم فإنهم يَفْسُون في مَسْجد رسول الله ﷺ ويؤذُون المُصَلِّين، فكُلِّم فيهم، فقال: حَلِّفُوهم ألّا يُعاوِدُوا وأطلِقُوهم.

أشعب وأبان بن عثمان والأعرابي

أخبرني محمدُ بنُ مزْيد، قال: حدثنا عُمرُ بنُ شبَّة، قال: حدثنا ابنُ زبالة، قال: حدثنا ابن زَبَنَّج راويةُ ابنِ هَرْمة، عن أبيه، قال:

كان أبانُ بنُ عُثمان من أهزَلِ النَّاس وأعبَثِهم[3]، وبلغ من عَبَثه أنه كان يَجِيءُ باللَّيْل إلى منزِل رَجُل في أعلى المَدِينة له لقب يَغضَب منه فيقولُ له: أنا فُلانُ بنُ فُلان، ثم يَهْتِف بلَقبه، فيَشْتُمُه أقبَح شَتْم وأبانُ يَضْحكُ. فبينما نحنُ ذاتَ يوم عنده وعنده أشْعَبُ إذ أقبَل أعرابيٌّ ومعه جَمَل له، والأعرابيُّ أشقَرُ أزرقُ أزعَرُ[4] غَضوبٌ يتلَظَّى كأنه أفعَى، ويَتَبَيَّنُ الشَّرُّ في وَجْهه ما يدنو منه أحدٌ إلا شَتَمه ونَهَره، فقال أشعبُ لأبان: هذا واللهِ من البادية[5] ادعوه، فدُعِيَ وقيل له: إن الأميرَ أبانَ بنَ عُثمان يَدْعُوك، فأتاه فسلَّمَ عليه، فسأله أبانُ عن نسبه فانتسب له، فقال: حيَّاك الله يا خالي، حبيبٌ ازدادَ حُبًّا، فجلس، فقال له: إنّي في طَلَب جَمَل مِثْل جملِك هذا مُنْذ زمان فلم أجِدْه كما أشتهي بهذِه الصِّفَة، وهذه القامة، واللون، والصدر، والورك، والأخفاف، / فالحمد لله الذي جَعَل ظَفَري به من عند من [١٩/١٧٧] أُحِبّه، أتَبيعُه؟ فقال: نعم أيها الأمير، فقال: فإني قد بذلتُ لك به مائةَ دينار ـ وكان الجملُ يُساوي عَشْرة دنانير ـ فطَمِع الأعرابيُّ وسُرَّ وانْتَفَخَ، وبان السُّرورُ والطَّمع في وَجْهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: وَيْلك يا أشْعَب! إنَّ خالي هذا من أهْلِك وأقاربك ـ يعني في الطمع ـ فأوسع له ممّا عندك. فقال له: نعم بأبي أنت وزيادة، فقال له أبان: يا خالي، إنما زِدْتُك في الثمَن على بَصِيرة وإنما الجمَل يُساوي سِتّين ديناراً، ولكن بذلتُ لك مائة لقِلَّة النَّقْد عندنا، وإني أعطيك به عُروضاً[6] تُساوي مِائة، فزاد طَمَعُ الأعرابيّ وقال: قد قَبِلْتُ ذلك أيُّها الأمير، فأَسَرَّ إلى أشعب، فأخرجَ شيئاً مُغطًّى فقال له: أخرِجْ ما جِئْتَ به، فأخرجَ جَرْدَ عِمامة خَزٍّ خَلَقٍ تُساوي أربعةَ دراهم، فقال له: قوِّمها يا أشعب، فقال له: عِمامَةُ الأمير تُعرَف به، ويَشْهَدُ فيها الأعيادَ والجُمَع ويَلْقَى فيها الخُلَفاء؛ خمسُون ديناراً.

---

(١) أهل الصفة: فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه.

(٢) الأخبصة جمع خبيص؛ وهي الحلواء المخلوطة من التمر والسمن.

(٣) مد، ونهاية الأرب ٤ : ٣٤: «وأولعهم».

(٤) الأزعر: السيء الخلق.

(٥) ف: «الهابة»، أي الصنف. يقال: هذا بابته: من الصنف الذي يصلح للسخرية. وفي معجم البلدان ١ : ٤٥٢: بابه: من قرى بخارى.

(٦) العروض جمع عرض، وهو كل شيء سوى الدراهم والدنانير.

فقال: ضَعْها بيْن يَدَيْه. وقال لابنِ زَبْنَج، أثبت قيمتَها. فكتَب ذلك، ووُضِعَت العمامةُ بين يَدَي الأعرابيّ، فكاد يدخُل بعضُه في بَعْض غَيْظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هاتِ قَلَنسُوَتي، فأخرج قَلَنْسُوة طَويلة خَلَقة قد عَلاها الوَسَخ والدُّهْن وتَخرَّقَت، تساوي نِصْفَ دِرْهم، فقال: قوِّم، فقال: قلنسُوَةَ الأمر تعلُو هامَتَه / ويُصَلِّي فيها الصَّلوات الخمس، ويجلسُ للحُكم؛ ثلاثُون ديناراً. قال: أثبِت، فأثبَتَ ذلك، ووُضِعَت القَلَنسُوةُ بين يَدَي الأعرابيّ، فتربّدَ وجهُه وجَحَظَتْ عَيْناه وهَمَّ بالوُثُوب، ثم تماسَك وهو مُتَقَلْقِل.

[١٠٣/١٧]

ثم قال لأشعَب: هات ما عِنْدَك، فأخرج خُفَّين خَلَقَين قد نُقِبا[١] وتَقَشَّرا وتَفَتَّقا، فقال له: قوِّم، فقال: خُفَّا الأمير يَطأُ بهما الرَّوضَة، ويعلُو بهما مِنبر النبيّ ﷺ؛ / أربعُون ديناراً. فقال: ضَعْهُما بيْن يَدَيه فوضَعَهما. ثم قال للأعرابيّ: اضْمُم إليك متاعَك، وقال لبَعْضِ الأعوان: اذهَبْ فخُذ الجملَ، وقال لآخر: امْضِ مع الأعرابيّ فاقبِض منه ما بَقِيَ لنا عليه من ثَمَن المتاع وهو عِشْرُون ديناراً، فوَثَب الأعرابيُّ فأخَذَ القُماش فضَرَب به وُجوه القَوْم لا يَألُو في شِدَّة الرَّمي به، ثم قال له: أتدري أصلَحَك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أُدرك أَباكَ عُثمان فأشتَرِكَ والله في دمه إذ وَلَـد مِثْلَك، ثم نَهَض مثلَ المجنون حتى أخَذَ برَأْس بَعيره، وضَحِك أَبان حتى سَقَط وضَحِك كلُّ من كان معه. وكان الأعرابيُّ بعد ذلك إذا لَقِي أَشْعب يقول له: هَلُمَّ إليّ يابْنَ الخبيثة حتى أكافِئَك على تَقْويمك المتاع يوم قُوِّم، فيهرب أشعبُ منه.

[١٧٨/١٩]

يخشى أن تحسده العجوز على خفة موته

أخبرني جَعْفرُ بنُ قُدامة، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارِث، عن المدائنيّ، قال: حدثني شيخ من أهل المدينة، قال:

كانت بالمَدينة عجوزٌ شديدَةُ العَيْن، لا تنظُر إلى شيء تَستَحْسِنه إلا عانَتْه[٢]، فدخلت على أشعب وهو في المَوْت، وهو يقول لبِنْته: يا بُنَيّة، إذا مُتُّ فلا تَندُبيني والناس يَسْمَعُونَك، فتقولين: وا أبتاه أندُبك للصَّوم والصَّلوات، وا أبتاه أندُبُك للفِقْه والقِراءَة، فيُكذِّبُك النَّاسُ ويلْعَنُوني. والتفَتَ أشعبُ فرأى المرأة، فغَطّى وجهه بكُمِّه وقال لها: يا فلانة بالله إن كُنتِ استَحْسَنْتِ شيئاً ممّا أنا فيه فصَلِّي على النبي ﷺ لا تُهْلِكيني. فغضِبت المرأةُ وقالت: سَخِنت عَيْنُك[٣]، في أيّ شيء أنت مما يُستحسَن! أنتَ في آخر رَمَق! قال: قد علمت ولكن قُلت لئلا تكوني / قد استَحْسَنْتِ خِفَّة الموت عليَّ وسُهولة النَّزع، فيَشْتَدُّ ما أنا فيه. وخرجَت من عِنده وهي تشتُمه، وضَحِك كلُّ مَنْ كان حوله من كلامه، ثم مات.

[١٧٩/١٩]

أمثلة من طرائفه وطمعه

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ، قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: حدَّثنا أبو أيوب المدينيّ، عن مصعب، قال:

لاعب أشْعَبُ رَجلاً بالنَّرْد، فأشرَف على أنْ يَقمُرَه إلا بضرب دُويكَين، ووقع الفصّان في يد ملاعبه، فأصابه

---

(١) نقبا: تخرقا.

(٢) عانته: حسدته.

(٣) سَخنت عَيْنُك، نقيض قَرَّت.

زَمَع[١] وجزع، فضَرَب يكين وضَرَط مع الضَّرْبة فقال له أشعَب: امرأتُه طالِق إن لم أحسب لك الضَّرْطة بنُقْطة حتى يَصِير لك اليكّان دُوويكٌ وتَقْمُر[٢]. وسلم له القَمْر بسبب الضَّرْطة.

أخبرني الحَسَن، قال: حدَّثنا أحمدُ، قال: حدَّثَنِي أبو أيُّوب، عن حَمَّاد، عن ابن إسحاق، عن أبيه، قال:

قال رجل لأشعَب: كان أبوكَ ألْحَى وأنت أثطُّ[٣] فإلى مَنْ خَرجت؟ قال: إلى أُمِّي، فمرّ الرجلُ وهو يَعْجَب من جَوابِه، وكان رجُلاً صالحاً.

أخبرني هاشِمُ بنُ محمد الخُزاعِيّ، قال: حدَّثني الرِّياشِيُّ، قال:

سَمِعْتُ أبا عاصم النَّبِيل يقول: رأيتُ أشعبَ وسألَه رجُلٌ: ما بَلَغ من طَمَعِك؟ قال: ما زُفَّت عروسٌ بالمدينة إلى زوجها قَطّ إلا فَتحتُ بابي، رَجاءَ أن تُهدَى إليّ.

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبي، قال: حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار، عن عمّه، قال:

تظلَّمت / امرأةُ أشعَب منه إلى أبي بَكْر محمد[٤] بن عَمْرو بن حَزْم وقالت: / لا يدَعُني أهدأُ من كَثْرة الجِماع، [١٩/ ١٨٠] فقال له أشعَبُ: أتُراني أعلِفُ ولا أركَبُ، لِتكُفَّ ضِرْسَها لأكُفَّ أيْرِي. [١٠٤/ ١٧]

قال: وشكا خالٌ لأشعَب إليه امرأتَه وأنها تَخونُه في ماله، فقال له: فدَيْتُك لا تأمَنَن قحبة، ولو أنَّها أُمُّك، فانصرف عنه وهو يَشتُمه.

أخبرني عمِّي، قال: حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني قَعْنَبُ بنُ المُحرِز، عن الأصمعيّ، عن جَعْفَر بنِ سُلَيمان، قال:

قَدِم علينا أشعَب أيّامَ أبي جَعْفَر، فأطاف به فِتْيانُ بني هاشم، وسألوه أن يُغَنِّيَ فغنّاهم فإذا ألحانُه مطرِبة[٥] وحَلْقُه على حاله، فسألوه: لمَنْ هذا اللَّحن:

لمَــــنْ طَلَـــــلٌ بــذاتِ الـــجَــيْـــــشِ أمـــسى دارِســـاً خَلَقـــا؟

فقال: للدلال، وأخذْتُه عن مَعْبَد، ولقد كنتُ آخذ عنه الصوت، فإذا سُئِل عنه قال: عَلَيكُم بأشعَب فإنه أحسَنُ أداءً له مني.

الحسن بن الحسن بن علي يعبث به

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ القاسِم بن مَهْرُويه، قال: ذكر الزُّبَير بن بكّار، عن شُعَيْب بن عبيدة بن أشعب، عن أبيه، قال:

كان الحَسَنُ بنُ الحسَنِ بنِ عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يَعْبَث بأبي أشدَّ عَبَث، وربما أراه في عَبَثه أنه قد ثَمِل وأنه يُعَربِد عليه، ثم يخرُج إليه بسَيْف مَسْلول ويُريه أنه يُريد قتلَه، فيَجري بينهما في ذلك كلّ مُستَمع، فهَجَره أبي مدَّة طويلة، ثم لَقِيه يوماً، فقال له: يا أشعَب، هَجَرْتَني وقَطَعْتَني ونَسِيت عَهْدي، فقال له: بأبي أنتَ وأُمِّي، لو كنتَ تعربد بغير السَّيْفِ ما هَجَرتُك، ولكن ليس مع السَّيف لَعِبٌ، فقال له: فأنا أُعفيك من هذا فلا تَراه منّي أبداً،

---

(١) الزمع: الدهش والخوف. (٢) قمره قمراً: غلبه في لعب القمار. (٣) الأثط: الذي لا لحية له.

(٤) ب، س: «إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم». (٥) ف: «فإذا ألحانه طريّة».

[١٩/١٨١] وهذه عَشَرة دنانير، ولك حِماري الذي / تَحْتِي أحمِلُك عليه، وصِرْ إليَّ ولك الشرط ألّا ترى في دارِي سَيْفاً، قال: لا والله أو تُخرِج كلَّ سيف في دارك قبل أن نأكُل قال: ذلك لك، قال: فجاءه أبي، ووفّى له بما قال من الهِبَة وإخراج السُّيوف، وخلَّف عنده سَيْفاً في الدار، فلما توسَّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيفَ مَشْهوراً، ثم قال: يا أشعب إنما أخرجتُ هذا السيفَ لخَيْر أُريدُه بك، قال: بأبي أنت وأمِّي، وأيُّ خَيرٍ يكون مع السَّيف؟ ألست تَذْكُر الشرطَ بيننا؟ قال له: فاسْمَع ما أقول لك، لست أضرِبُك به، ولا يلحَقُك منه شَيْء تكرَهُه، وإنما أريد أن أُضْجعَك وأجلِس على صَدْرك، ثم آخذ جِلدَة حَلْقِك بإصْبَعي من غير أن أقبض على عَصَب ولا وَدَج ولا مَقْتَل، فأحزَّها بالسيف، ثم أقومُ عن صَدْرك وأعطيك عِشرين ديناراً، فقال: نشَدْتُك اللهَ يابنَ رسولِ الله ألّا تَفْعَل بي هذا! وجعل يَصْرُخ ويَبكي ويَسْتَغِيث، والحسَن لا يَزِيدُه على الحَلْفِ له أنه لا يقتُله، ولا يَتَجاوز به أن يَحُزَّ جلدَه فقط، ويتوَعّده مع ذلك بأنَّه إن لم يفعله طائِعاً فعله كارِهاً، حتى إذا طال الخَطْب بينهما، واكتفَى الحَسَن من المَزْح معه، أراه أنَّه يتغافل عنه، وقال له: أنت لا تفعل هذا طائعاً، ولكن أجيءُ بحَبْل فأَكْتِفُك به، ومضى كأنه يجيء بحبل، فهَرَب أشعَبُ وتَسوَّر حائطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسَقَط إلى داره، فانفكَّت رِجلُه وأغمِي عليه، فخرج عبد الله فَزِعاً، فسأله عن قصته، فأخبره، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً، وأقام في منزله /يعالجه ويَعولُه إلى أن صَلَحت حالُه. قال: وما رآه الحَسَنُ بنُ الحسَن بعدها. [١٠٥/١٧]

وأخبرني الحَرَمِيّ بنُ أبي العَلاء، قال: حدَّثنا الزُّبَيْرُ بنُ بكّار، قال: حدَّثني عَمِّي، قال:

دعا حَسَنُ بنُ حَسَنِ بن عليّ عليهم السلام أشعَبَ، فأقام عنده، فقال لأشعَبَ يوماً: أنا أشتهي كَبِدَ هذه الشّاة [١٩/١٨٢] ـ لشاةٍ عنده عَزِيزَة عليه فارِهة ـ فقال له أشعَب: / بأبي أنتَ وأُمِّي أعطِنيها وأنا أذبَحُ لك أسمَنَ شاةٍ بالمدينة، فقال: أُخبِرك أني أشتَهِي كَبِدَ هذه وتَقُولُ لي: أسْمَنَ شاة بالمَدينة، اذبَحْ يا غُلام، فذَبَحها وشوى له من كَبِدِها وأطايِبِها، فأكَل. ثم قال لأشعبَ من الغد: يا أشعب أنا أشتَهِي من كَبِد نَجِيبي هذا ـ لِنَجيب كان عنده ثمنه أُلوفُ دراهم ـ فقال له أشعب: يا سيدي في ثمن هذا والله غناي، فأعطِنيه وأنا والله أُطعِمُك من كَبِد كلِّ جَزور بالمَدينة، فقال: أُخبرك أنّي أشتَهِي من كَبِد هذا وتُطعِمُني من غيره! يا غلام انحَر، فنَحر النَّجيبُ وشَوَى كَبِدَه فأكلا، فلما كان اليَومُ الثالثُ قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كَبِدك، فقال له: سُبْحان الله أتأكُلُ من أكبادِ النّاس! قال: قد أخبرتك، فوثب أشعَب فرَمَى بنَفسه من درجة عالِيَة فانكَسَرت رِجلُه، فقيل له: ويْلَك أظنَنْتَ أنَّه يَذْبَحُك؟ فقال: والله لو أنَّ كَبِدي وجَميعَ أكبادِ العالَمين جَميعاً اشتهَاها لأكَلَها. وإنّما فَعَل حسن بالشّاةِ والنَّجيب ما فَعَل تَوْطِئة للعَبَث بأشعب.

تمت أخباره.

[١٩/١٨٣]

/ صوت

أَلَمّـتْ خُنــاسُ وإلمــامُهــا	أحــادِيــثُ نَفْــس وأحــلامُهــا
يَمــانِيــةٌ مــن بنــي مــالِــكٍ	تَطــاوَل فــي المَجْــد أعمــامُهــا

الشعر لعُوَيف القَوافي الفَزارِيّ والغناء للهُذَليّ رمل بالوسطى، عن عمرو، وذكر حَمّاد[1] بن إسحاق، عن أبيه أن فيه لَحْناً لجَميلة ولم يذكُر طَرِيقَتَه، وفيه لأبي العُبَيْس بنِ حَمْدون خَفيف ثَقِيل مُطْلَق في مَجْرى الوُسْطى.

(١) مد: «أحمد بن إسحاق».

[١٩/١٨٤]

/ أخبار عُوَيْف ونسبه

نسبه

هو عُوَيْف بنُ مُعاوِية بنِ عُقْبة بنِ حِصْن، وقيل: ابنُ عُقْبة بن عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفة بنِ بَدْر بنِ عَمْرو بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن ثَعْلبة بن عَدِيّ بن فَزارَة بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار.

وعُوَيْف القوافِي شاعِرٌ مُقِلٌّ من شُعَراء الدَّوْلة الأُمويَّة من ساكِني الكُوفة، وبَيْتُه أحدُ البُيوتِ المُقدَّمة الفاخِرة في العَرَب.

بيوتات العرب المشهورة بالشرف ثلاثة

قال أبو عبيدة: حدَّثَنِي أبو عَمْرو بنُ العَلاء أنَّ العَرب كانت تَعُدُّ البُيوتاتِ المَشْهورة بالكِبَر والشَّرف من القَبائِل بعد بيت هاشِم بنِ عبد مَناف في قُرَيْش ثلاثةَ بيوت، ومنهم من يَقولُ أربعة، أولُها بَيْت آل حُذَيْفة بنِ بَدْر الفَزارِيّ بيتُ قيس، وبيْتُ آل زُرارة بنِ عُدَس الدَّارِمِيِّين بيتُ تميم، وبيتُ آلِ ذي الجَدَّين بن عبد الله بنِ همّام بَيْتُ شَيْبان، وبَيْتُ بني الدَّيان من بني الحارث بن كَعْب بيْتُ اليَمن.

وأما كِنْدة فلا يُعدُّون / من أهل البُيوتات، إنما كانوا مُلوكاً. ١٠٦/١٧

كسرى يسأل النعمان عن شرف القبيلة

وقال ابنُ الكَلْبِيّ: قال كِسْرى للنُّعْمان: هل في العرب قَبِيلة تَشْرُف على قَبِيلة؟ قال: نعم. قال: بأيِّ شيء؟ قال: مَنْ كانَتْ له ثَلاثَةُ آباء متوالية رُؤَساء، ثم اتّصَل ذلك بكمال الرَّابع، والبَيْتُ من قَبِيلَتِه فيه، قال: فاطلُبْ لي ذلك، فطَلَبه فلم يُصِبه إلا في آل حُذَيفة بنِ بَدْر بيتِ قيس بن عَيْلان، وآلِ حاجب بن زُرارة بيتِ تَمِيم، وآلِ ذِي الجَدَّين بيت شيبان، وآلِ الأشعثِ بنِ قيس بيتِ كِنْدة. قال: فَجمع هَؤُلاء / الرَّهط ومَنْ تَبِعَهم من عشائرهم، فأقْعَد [١٩/١٨٥] لهم الحُكَّامَ العُدولَ، فأَقْبَل من كُلِّ قوم منهم شاعِرُهم، وقال لهم: لِيَتَكَلَّم كُلُّ رجل منكم بمآثِر قومِه وفعالهم، ولِيَقُل شاعِرُهم فيصدِّق، فقام حُذَيْفَة بنُ بَدْر ـ وكان أسنَّ القوم وأجرأهم مُقْدَماً ـ فقال: لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنّ منا الشَّرفَ الأقدَم، والعِزَّ الأعظَم، ومأثُرةَ الصَّنِيع الأكرم، فقال مَنْ حوله: ولِمَ ذاك يا أخا فَزارة؟ فقال: ألسْنا الدَّعائِمَ التي لا تُرام، والعِزَّ الذي لا يُضَام! قيل له: صدقت، ثم قام شاعرهم فقال:

فَـزارةُ بيـتُ العِـزّ والعِـزُّ فيهـمُ ... فَـزارةُ قَيْـس حَسْـبُ قَيْـسٍ نِضالُهـا

لهـا العِـزَّةُ القَعْسَـاءُ والحَسَـبُ الـذي ... بَنـاه لِقَيْـسٍ فـي القـديـم رِجـالُهـا

فمَـنْ ذا إذا مُـدَّ الأكـفُّ إلـى العُـلا ... يَمُـدُّ بـأُخـرى مِثْلَهـا فينـالُهـا

فهَيْهـاتَ قـد أعْيـا القُـرونَ التـي مَضَـت ... مـآثِـرُ قَيْـس مَجـدُهـا وفَعـالُهـا

وهـل أحـدٌ إن مَـدَّ يـومـاً بكَفِّـه ... إلى الشمس في مَجْرَى النُّجوم ينالُها!
وإن يَصْلُحـوا يَصْلُـحْ لـذاك جَميعُنـا ... وإن يَفْسُدوا يَفْسُدْ على النّاس حالُها[1]

ثم قام الأشعثُ بنُ قَيْس ـ وإنَّما أُذِن له أن يقوم قبْل رَبيعَة وتَميم لِقَرابته بالنُّعمان ـ فقال: لقد عَلِمت العربُ أنّا نُقاتِل عديدَها الأكثرَ، وقديمَ زحفِها الأكبر، وأنا غِياثُ اللّزَبات[2]. فقالوا: لم يا أخَا كِندة؟ قال: لأنّا وَرِثْنا مُلكَ كِندة فاستَظْلَلْنا بأفيائه، وتقلّدنا مَنْكِبَه الأعْظَم، وتوسّطنا بُحبوحَة الأكرم، ثم قام شاعِرُهم فقال:

[١٩/١٨٦] / إذا قِسْتَ أبياتَ الرِّجالِ بِبَيْتِنا ... وجدتَ له فَضْلاً على مَن يُفاخِرُ
فَمَنْ قال: كَلّا أو أتانا بِخُطّةٍ ... يُنافِرُنا يوماً فنحن نُخاطِرُ
تَعالَوا فعُدُّوا يعلم النّاس أيُّنا ... له الفَضْلُ فيما أورثَتْه الأكابِرُ

ثم قام بَسْطام بنُ قَيْس فقال: لقد عَلِمت ربيعةُ أنّا بُناةُ بَيْتِها الذي لا يَزُول، ومغرِسُ عِزّها الذي لا يُنْقَل، قالوا: ولِمَ يا أخَا شَيْبان؟ قال: لأنّا أدركُهم للثّأر، وأقتلُهم للملك الجَبّار، وأقولُهم للحَق، والَدُّهم للخَصْم، ثم قام شاعِرُهم فقال:

لعَمْري لِبَسْطامٌ أحقُّ بفضلها ... وأولَى بِبَيْت العزِّ عِزِّ القبائِل
فسائِلْ ـ أبيتَ اللّعْن ـ عن عِزِّ قومِنا ... إذا جَدَّ يوم الفَخْر كُلُّ مناضِل
ألسْنا أعزَّ الناس قوماً وأُسْرةً ... وأضْرَبَهم للكَبْشِ[3] بين القبائِل
فَيُخْبِرَك الأقوامُ عنها فإنها[4] ... وقائعُ لَيسَت نُهزةً للقَبائِل

[١٠٧/١٧] / وقائعُ عِزٍّ كلّها رَبَعِيَّةٌ ... تَذِلُّ لهم فيها رِقابُ المَحافِل
إذا ذُكِرت لم يُنْكِرِ النّاسُ فضلَها ... وعاذَ بها من شَرّها كُلُّ قائِل
وإنّا مُلوكُ النّاسِ في كل بَلْدةٍ ... إذا نَزَلت بالنّاس إحْدى الزَّلازِل

ثم قام حاجِبُ بنُ زُرارَة فقال: لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنّا فَرْعُ دِعامتها، وقادَةُ زَحْفِها، فقالوا له: بِمَ ذاك يا أخا بني تَميم؟ قال: لأنّا أكثرُ الناس إذا نُسِبْنا عَدَداً[5]، وأنجبُهم وَلَداً، وأنّا أعْطاهم للجَزِيل، وأحملُهم للثَّقِيل، ثم قام شاعِرُهم فقال:

لقد عَلِمتْ أبناءُ[6] خِنْدِفَ أنّنا ... لنا العِزُّ قِدْماً في الخُطوبِ الأوائِلِ
وأنّا هِجانٌ[7] أهلُ مجدٍ وثَرْوَةٍ ... وعِزٌّ قديمٌ ليس بالمُتضائِلِ

[١٩/١٨٧] / فكَمْ فيهمُ من سَيّدٍ وابنِ سَيّدٍ ... أغرَّ نجيبٍ ذي فَعالٍ ونائِلِ

---

(١) ف، المختار:

فإن تصالحوا تصلح كذاك جميعنا ... وإن تفسدوا يفسد على الناس حلها

(٢) اللزبات جمع لزبة، وهي الشدة أو القحط.
(٣) الكبش هنا: سيد القوم وقائدهم، وقيل: المنظور إليهم فيهم.
(٤) ف: «فيخبرك الأقوام عنا بأنها».
(٥) مي، مد: «إذا شئتنا عديداً».
(٦) مد: «آباء».
(٧) الهجان: أخيار والخالص من كل شيء، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.

فسـائـلْ ـ أبيـتَ اللّعـن ـ عنّـا فـإنّنـا … دعـائـمُ هـذا النّـاس عنـد الجَـلائـلِ

ثم قام قَيْس بنُ عاصم فقال: لقد عَلِم هَؤُلاء أنّا أرفعَهُم في المَكرُمات دعائم، وأثبتَهُم في النّائبات مقاوم، قالوا: ولم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأنّا أمنعُهم للجار، وأدركُهُم للثأر، وأنّا لا نَنْكُل[1] إذا حَمَلنا، ولا نُرامُ إذا حَلَلْنا، ثم قام شاعرُهم فقال:

لقـد عَلِمـت قَيْـسٌ وخِنـدِفُ كُلّهـا … وجُـلُّ تَمِيـم والجُمـوع التـي تَـرَى[2]
بـأنّـا عِمـادٌ فـي الأمـور وأنّنـا … لنـا الشّـرف الضّخـم المُـركّـب فـي النّـدَى
وأنّـا لُيـوثُ النّـاس فـي كـل مـأزِقٍ … إذا اجتُـزَّ بـالبيـضِ الجمـاجِـمُ والطُّلَـى[3]
وأنّـا إذا داعٍ دَعَـانـا لنَجْـدةٍ … أجبْنـا سِـراعـاً فـي العـلا ثَـمَّ مَـنْ دَعَـا
فمَـنْ ذا لِيـوْمِ الفَخْـر يَعْـدِل عـاصِمـاً … وقيسـاً إذا مُـدّ الأكُـفُّ إلـى العُـلاَ
فَهَيْهـاتَ قـد أعْيَـا الجمِيـعَ فَعـالُهـم … وفـاتُـوا بيـوْم الفَخْـر مَسْعـاةَ مَـنْ سَعـى

فلما سَمع كِسْرى ذلك منهم قال[4]: ليْس منهم إلا سَيِّد يَصلُح لموضعه، فأَثْنَى حِباءَهم.

سبب تسميته عويف القوافي

وإنّما قيل لعُوَيْف: عُوَيْف القَوافِي لِبَيْت قاله، نَسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحَسَن بن دُرَيد ولم أسمَعْه منه. قال: أخبرنا السَّكَن بنُ سَعيد، عن محمد بن عَبّاد، عن ابن الكَلْبيّ، قال:

أَقْبَل عُوَيْف القَوافِي ـ وهو عُوَيْف بنُ مُعاوية بنِ عُقْبة بن حِصْن بن حُذَيْفة / الفَزارِيّ، وإنّما قِيل له عُوَيْف القَوافِي، كما حدّثني عَمّارُ بنُ أبان بنِ سَعِيد بن عُيَيْنة، ببيت قاله: [١٨٨/١٩]

سـأكْـذِبُ مَـن قـد كـان يَـزعـمُ أنّنـي … إذا قُلْـتُ قـولاً لا أُجِيـدُ القَـوافِيَـا

قال: فَوقَف على جَرير بنِ عبدِ الله البَجَليّ وهو في مَجْلسه[5] فقال:

أصُـبَّ علـى بَجيلـة مـن شقـاهـا … هِجـائِـي حيـن أدركنـي المَشِيـبُ

فقال له جرير: ألا أشتري منك أعراضَ بَجِيلَة؟ قال: بَلَى، قال: بكَمْ؟ قال: بألف دِرْهم وبِرْذَوْن، فأمر له بما طلَب فقال:

لـولا جَـريـرٌ هلَكـتْ بَجيلَـهْ … نِعْـم الفَتَـى وبِئْسَـتِ القَبِيلَـهْ

فقال جرير: ما أراهم نَجَوْا منك بعد.

نَسختُ من كتاب أبي سعيد السكريّ في كِتاب / «مَنْ قال بَيْتاً فلُقِّب به» قال: أخبرَني محمد بنُ حَبيب قال: [١٠٨/١٧] وإنّما قِيلَ لعُوَيْف: عُويفُ القَوافِي لقَوْله، وقد كان بَعْض الشعراء عَيّره بأنّه لا يُجيد الشِّعْر، فقال أبياتاً منها:

---

(١) ف: «ننكل».

(٢) ف، مي، مد: «والجموع الذي ترى».

(٣) الطُّلَى: الرقاب. وفي ف: «إذا اختل بالبيض الجماجم والطلى».

(٤) في مد: «قال لقيس: ما منهم إلا سيد. . . الخ».

(٥) ب: «في مسجده».

سأكذِب مَنْ قد كان يَزعُم أنّني ... إذا قُلتُ شعراً[1] لا أُجيدُ القَوافِيا

فسُمّي عُوَيْف القوافي.

قصته مع عبد الملك بن مروان

أخبرنا محمد بنُ خَلَف وكيع، قال: حدّثني أحمدُ[2] بنُ إسحاق، عن أبيه، قال: حدّثني عزيزُ بنُ طَلْحة بنِ عبد الله بنِ عثمان بن الأرقم المَخزُوميّ، قال: حدّثني غيرُ واحد من مشيَخَة قريش، قالوا:

[١٩/١٨٩] لم يَكُنْ رَجلٌ من وُلاةِ أولادِ عبد الملك بن مرْوان كان أنْفَسَ على قَوْمه، ولا أحْسَدَ / لهم من الوليد بنِ عبد الملك. فأذِنَ يوماً للنّاس فدَخَلوا عليه؛ وأذِن للشُّعراء، فكان أوّلَ مَنْ بَدَر بين يديه عُوَيْف القوافي الفَزارِيّ، فاستأذَنَه في الإنْشاد فقال: ما بَقَّيتَ لي بعدما قلتَ لأخي بَني زُهْرة! قال: وما قُلتُ له مع ما قلتُ لأمِير المُؤمنين؟ قال: ألستَ الذي تقول:

يا طَلْحَ أنت أخو النَّدَى وحَليفُه ... إنَّ النَّدَى من بعد طَلْحَة ماتَا
إنَّ الفَعالَ إليك أطلَقَ رَحْلَه ... فبِحَيْث بِتَّ من المَنازِل بَاتَا

أو لَسْتَ الَّذي تقول:

إذا ما جاءَ يومُك يابنَ عَوفٍ ... فلا مَطَرتْ على الأرض السَّماءُ
ولا سارَ البَشيرُ[3] بغُنْمِ جَيْشٍ ... ولا حَمَلَتْ على الطُّهْرِ النِّساءُ
تَساقَى الناسُ بعدَك يابْنَ عَوْفٍ ... ذَرِيعَ المَوْتِ ليس له شِفاءُ

ألم تَقُم علينا السَّاعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمَعُ منك شيئاً، ولا أنفعُك بنافِعةٍ أبداً، أخرِجُوه عنّي.

قصته مع طلحة أخي بني زهرة

فلما أُخرج قال له القُرشِيُّون والشاميُّون: وما الّذي أعطاك طلحَةُ حين استَخرَج هذا منك؟ قال: أما واللهِ لقد أعطاني غيرُه أكثرَ من عَطيّته، ولكن لا والله ما أعْطانِي أحدٌ قَطّ أحْلى في قَلْبي ولا أبْقى شُكْراً ولا أجْدَر ألّا أنساها ما عَرفتُ الصّلاتِ من عَطِيّته، قالوا: وما أعطاك؟ قال: قَدِمْتُ المَدِينَة ومعي بُضَيْعة[4] لي لا تَبلُغ عَشْرة دَنانير، أريدُ أن أبتاع قَعوداً من قِعدان الصَّدَقة، فإذا برجل في صَحْن السُّوقِ على طِنفِسة[5] قد طُرِحت له، وإذا النَّاس حوله، [١٩/١٩٠] وإذا بين يدَيْه إبلٌ معلوفة[6] له، فظننت / أنه عامِلُ السّوق، فسلَّمت عليه، فأثْبَتني وجهلتُه، فقلت: أي رَحِمك الله، هل أنت مُعِيني بِبَصرِك على قَعُود من هذه القِعْدان تَبْتاعه لي؟ فقال: نعم، أوَ مَعَك ثَمنهُ؟ فقلت: نعم، فأهوى بيَده إليَّ فأعطيتُه بُضَيْعَتي، فرفَع طِنفِسَته وألقاها تحتها، ومَكَث طويلاً، ثم قُمتُ إليه فقلت: أي رَحِمَك الله، انظر في حاجتي فقال: ما مَنَعني منك إلا النِّسيان، أمَعَك حبل؟ قلتُ: نعم، قال: هكذا أفرِجوا، فأفرَجُوا عنه حتى اسْتَقْبَل

(١) ف: «إذا قلت قولاً».
(٢) ف: «حماد بن إسحاق».
(٣) ف، التجريد، مد: «العزيز».
(٤) بضيعة: تصغير بضاعة، وهي مقدار من المال، يعد للتجارة.
(٥) الطنفسة: البساط.
(٦) مي، المختار: «معقولة».

الإبلَ التي بين يديه، فقال: اقرن[1] هذه وهذه وهذه، فما بَرِحتُ حتى أمرَ لي بثلاثين بَكْرة أدنى بَكْرة منها ـ ولا دَنِيَّة فيها ـ خيرٌ من بضاعتي. ثم رفع طِنْفِسَته فقال: وشأنَك ببضاعتك فاستَعِن بها على مَنْ ترجع إليه، فقلت: أي رَحِمك الله، أتدري ما تقول! فما بَقِي عنده إلا مَنْ نَهَرني وشَتَمني، ثم بَعَث معي نفراً فأطرَدُوها حتى أطلَعُوها من رأس / الثَنِيَّة، فوالله لا أنساه ما دُمت حَيًّا أبداً.

١٠٩/١٧

وهذا الصَوتُ المذكورُ تمثَّل به إبراهيمُ بنُ عبدِ الله بنِ حَسَن بن حَسَن بن عليٍّ يوم مَقْتَلِه.

حدَّثني ابنُ عُبَيْد الله[2] بن عَمَّار، قال: حدَّثني مَيسَرَةُ بنُ سَيَّار[3] أبو محمد، قال: حدَّثني إبراهيمُ بنُ علي الرَّافِقِيّ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ، وحدَّثنا يَحْيَى بنُ عليّ بنِ يَحْيَى المنجِّم، وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهرِيّ قالا: حدثنا عُمَرُ بن شَبَّة، قال: حدثني عبد المَلِك بنُ سُلَيْمان، عن عليّ بنِ الحَسَن، عن المُفَضَّل الضَّبِّيّ؛ وروايةُ ابن عَمَّار أتمُّ من هذه الرِّواية[4].

/ ونَسختُ هذا الخَبَرَ أيضاً من بَعْض الكُتُب عن أبي حاتم السِّجِسْتانِيّ، عن أبي عثمان اليَقْطُرِيّ[5]، عن أبيه، [١٩١/١٩] عن المُفضَّل، وهو أتم الرِّوايات، وأكثرُ اللفظ له قال:

قال المُفضَّل: خرجتُ مع إبراهيم بنِ عبد الله بنِ حَسَن بن حسن، فلمَّا صار بالمِرْبد، وقف على رَأْس سُليمانَ بنِ عليّ فأُخرِجَ إليه صِبْيانٌ من ولده، فضَمَّهم[6] إليه وقال: هؤلاء واللهِ منَّا ونحن منهم، إلا أنّ آباءهم فَعَلوا بنا وصَنَعُوا، وذكر كَلاماً يعتَدُّ عليهم فيه بالإساءَة، ثم توجَّه لوَجْهه وتمثَّل:

مَهْـلاً بَنِـي عَمِّنـا ظُـلامَتنـا ... إنَّ بنـا سَـوْرَةً مـن القَلَـقِ
لِمثلِكـم نَحمِـل السيـوفَ ولا ... تُغمَـز أحسابُنـا مـن الـدَّقَـقِ[7]
إنِّـي لأنمِـي إذا انتمَيـت إلـى ... عِـزٍّ عـزيـزٍ ومَعْشَـرٍ صُـدُقِ
بِيـضٍ سِبـاطٍ كـأنّ أعينَهـم ... تكحَـل يـوم الهِيـاجِ بـالعُلُـقِ[8]

فقلت: ما أفحلَ هذه الأبياتِ، فلِمَنْ هي؟ قال: لِضرارِ بنِ الخطّاب الفِهْرِيّ، قالها يوم الخَنْدَق، وتمثّل بها عليُّ بنُ أبي طالب عليه السّلام يوم صِفِّين، والحُسَين بنُ عليّ يوم قُتِل، وزَيدُ بنُ عليّ عليهم السلام، ولحِق القومَ، ثم مضى إلى باخَمْرى[9]، فلما قَرُب منها أتاه نَعِيُ أخِيه محمد، فتَمثَّل:

نُبِّئْـتُ أنّ بنـي رَبيعـة أجمعـوا ... أمـراً خـلالهُـمُ لتقتُـلَ خـالِـدَا
إن يَقتُلـونـي لا تُصِـب أرمـاحُهـم ... ثـأرِي ويَسْعَـى القَـومُ سَعْيـاً جـاهِـدَا

---

(١) ف: «اقترن».

(٢) ف: «أحمد بن عبيد الله بن عمار».

(٣) ف، مي: «ميسرة بن حسان».

(٤) مي: «أتم الروايات».

(٥) ف: «القطيني».

(٦) ف: «صِبيان من ولده فضمهما إليه».

(٧) الدُّقق: جمع داق وهم المظهرون عيوب الناس. وفي ب: «من الرفق».

(٨) العُلُق جمع علوق، وهي المنية. وفي ف، مي، مد: «بالزرق».

(٩) باخمري: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب؛ «معجم البلدان».

أرمِـي الطـريـقَ وإن صُـدِدتُ بضيقِـه وأُنـازِلُ البطـلَ الكَمِـيَّ الجـاحِـدَا

[١٩/١٩٢] / فقلت: لِمَنْ هذه الأبيات؟ فقال: للأحوَصِ بنِ جعفر بنِ كِلاب، تمثّل بها يوم شِعْب جَبَلة، وهو اليوم الذي لَقِيت فيه قَيْسٌ تَميماً، قال: وأقبلت عَساكِر أبي جَعْفر، فقُتِل من أصحابه وقُتِل من القوم، وكاد أن يكون الظَفَر له[١].

قال ابنُ عَمّار في حديثِه: قال المُفضَّل: فقال لي: حَرِّكْني بشَيْء، فأنشدتُه هذه الأبيات:

ألا أيُّهـا النّـاهـي فَـزارةَ بعـدمـا أجـدَّتْ بسَيْـرٍ إنمـا أنـتَ حـالِـمُ

أبـى كُـلُّ حُـرٍّ أن يَبِيـتَ بـوِتْـره ويُمنـعَ منـه النـومُ إذا أنـت نـائـمُ

أقـولُ لفِتيـان العَشِـيِّ: تَـروّحـوا على الجُـرْدِ فـي أفـواهِهِـنّ الشّكـائـمُ

قِفُـوا وَقْفَـةَ مَـنْ يَحْـيَ لا يَخْـزَ بعـدهـا ومَـن يُخْتَـرم لا تَتْبَعـه اللّـوائِـمُ

وهـل أنـتَ إن بـاعَـدْتَ نفسَـك منهـمُ لتَسْلـم فيمـا بعـد ذلـك سـالِـمُ

فقال لي: أعِدْ، فتنبّهت، ونَدِمت، فقلت: أَوَ غَيْرَ ذلك؟ فقال: لا، أعِدْها، فأعدتُها، فتمَطّى في رِكابَيْه حتى خِلتُه قد قطَعَهما، ثم حَمَل فكان آخرَ العَهْد به.

[١١٠/١٧] هذه رِوايةُ ابنِ عمّار، وفي الرواية الأخرى / : فحَمَل فطعَن رَجُلاً، وطعنه آخر، فقلت: أتباشِرُ الحَرْبَ بنَفْسِك والعسكرُ مَنُوطٌ بك؟ فقال: إليك يا أخا بني ضَبّة، كأنَّ عُوَيفاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيثُ يقول:

ألَمّـت خُنـاسُ وإلمـامُهـا أحـاديـثُ نفـسٍ وأحـلامُهـا[٢]

يَمـانِيَـةٌ مـن بنـي مـالـكٍ تَطـاوَلَ فـي المجـد أعمـامُهـا

[١٩/١٩٣] / وإنّ لنـا أصـلَ جُـرْثُـومـةٍ تَـرُدُّ الحـوادثَ أيّـامُهـا

تَـرُدُّ الكَتِيبَـةَ مَغْلـولَـةً بهـا أفْنُهـا وبهـا آمُهـا[٣]

قال: وجاءه السَّهْمُ العائر[٤] فشَغَله عني.

اعترض عمر بن عبد العزيز وأسمعه شعراً

أخبرني محمد بنُ عِمْران الصَّيْرفِيّ، قال: حدّثنا الحَسَن بنُ عُلَيْل العَنَزِيّ، قال: حدّثني محمد بنُ مُعاوية الأَسَدِيّ، قال: حدّثني أصحابنا الأسديُّون، عن أبي بُرْدَة بن أبي موسَى الأشْعَرِيّ، قال:

حضرتُ مع عُمَرَ بنِ عبد العزيز جِنازَة، فلما انصرف انصرفتُ معه، وعليه عمامةٌ قد سَدَلها من خَلْفه، فما عَلِمْتُ به حتى اعترضه رجل على بَعِير فصاح به:

أجِبْنـي أبـا حَفْـص لقيـتَ محمـداً علـى حَـوْضِـه مُسْتَبْشِـراً ورآكـا[٥]

---

(١) مي: «الغزو له».

(٢) ب: «وأسقامها».

(٣) ب: «وبها ذامها». والأفن: ضعف الرأي، والآم: العيب والنقص.

(٤) العائر من السهام: ما لا يدري راميه. وفي ف: «العابر».

(٥) ف: «على حوضه يحظيك منه دراكا». وفي المختار: «على حوضه يسقى به ويراكا». وفي الخزانة ٣: ٨٨: «على حوضه مستبشراً وأراكا».

فقال له عُمَر: لبَّيْك، ووقف ووقف النّاسُ معه، ثم قال له: فمَه، فقال:

فـأنـتَ امـرؤٌ كِلْتـا يـديـك مُفِيـدَةٌ ... شِمـالُـك خيـرٌ مـن يمـين سِـواكـا

قال: ثم مه، فقال:

بلغـتَ مَـدَى المُجرِيـن قبلَـك إذْ جَـرَوْا ... ولـم يَبلُـغ المُجْـرون بَعـدُ مَـداكَـا[1]

فجَـدَّاك لا جـدَّيْـنِ أكـرمُ منهمـا ... هُنـاك تَنـاهَـى المَجـدُ ثـم هُنـاكَـا

فقال له عمر: ألَا أراك شاعراً! ما لك عندي من حَقّ، قال: لا، ولكني سائِل / وابنُ سَبيل وذو سُهْمَةٍ[2]. [١٩/ ١٩٤] فالتفت عُمرَ إلى قَهْرمانه فقال: أعطِه فَضْل نفقتي، قال: وإذا هو عُوَيْف القوافي الفَزاريّ.

هجا بني مرة

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعِيّ، قال: حدّثنا أبو غَسّان دَماذ، عن أبي عُبَيْدة، قال:

لما كان يَوْم ابنِ جُرْح، وافتَتَلَت[3] بنو مُرَّة وبنو حُنّ بن عُذْرة، قال عُوَيْف القوافي لبَني مُرَّة يهجوهم ويُوبِّخُهم بتَرْكهم نصرَهم:

كُنَّـا لكـم يـا مُـرّ أُمًّـا حَفِيَّـةً ... وكنتُـم لنـا يـا مـرّ بَـوًّا[4] مُجَلَّـدَا

وكنتـم لنـا سَيْفـاً وكُنَّـا وِعـاءَه ... إذا نحـن خِفْنـا أن يكِـلَّ فيُغْمَـدا

عقيل بن علفة يجيبه بقصيدة

فأجابه عُقَيْل بن عُلَّفَة بقصِيدته التي أوّلُها:

أمـاوِيَّ إنّ الـركـبَ مُـرتحِـلٌ غـداً ... وحَـقّ ثَـوِيٍّ نـازلٍ أن يُـزَوَّدَا

يقول فيها يُخاطِب عُويفاً:

إذا قُلتُ: قـد سامحت سَهْماً ومازِناً[5] ... أبَـى النَّسَـبُ الـدّانـي وكُفـرُهُـم البَـدَا

وقـد أسلَمُـوا أستـاهُهـم لقَبِيلـةٍ ... قُضـاعِيَّـةٍ يـدعـون حُنًّـا[6] وأصْيـدَا

فمـا كنـتَ أمًّـا بـل جعلتُـك لـي أخـاً ... وقـد كنـتَ فـي النّـاس الطَّـرِيـدَ المُشَـرَّدَا

عُـوَيـف اسْتِهـا قـد رُمـتَ وَيْلَـكَ مَجـدَنـا ... قـديمـاً فلـم تَعـدُ الحِمـارَ المُقَيَّـدا

/ ولو أنّنـي يـومَ ابـنِ جُـرْحٍ لَقِيتُهـم ... لجـرَّدْتُ فـي الأعـداء عَـضْبـاً مُهَنَّـدَا [١١١/ ١٧]

وأبيات عُوَيف هذه يَقولُها يوم مَرْج راهِط؛ وهي الحَرْب التي كانت بين قَيْس وكَلْب.

(١) ف، المختار: «ولن يدرك المجرون بعد مداكا».
(٢) السّهمة: القرابة، والنصيب، والقسمة، وفي المختار: «وذو نهمة».
(٣) ف: «وأقيلت بنو مرة».
(٤) البو: جلد ولد الناقة يحشى تبناً بعد موته ويقرب من أمه لتدرّ عليه.
(٥) ف: «أيا قلب قد سامحت شمخاً ومازناً».
(٦) حن: أبو حي من عذرة.

[١٩/١٩٥] / **يوم مرج راهط**

أخبرني بالسَّبَب فيه أحمدُ بنُ عبد العَزيز الجوهريّ، قال: أخبرني سُلَيْمان بنُ أيُّوب بن أعين أبو أيُّوب المدينيّ[1]، قال: حدَّثنا المدائنيّ، قال:

كان بدءُ حَرْب قَيْس وكَلْب في فِتْنة ابنِ الزُّبَيْر ما كان من وقعة مَرْج راهِط، وكان من قِصَّة المَرْج أنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكَم بن أبي العاص قَدِم بعد هَلاكِ يَزيد بنِ مُعاوية والنَّاسُ يَموجُون، وكان سعِيدُ بنُ بَحْدل الكلبيُّ على قِنَّسْرِين، فوثب عليه زُفَر بنُ الحارث فأخرجه منها وبايَع لابنِ الزُّبَيْر، فلما قعد زُفَرُ على المِنْبر قال: الحمدُ لله الذي أقعدَني مَقْعد الغادر الفاجر، وحَصِر، فضَحِك الناس من قَوْله، وكان النُّعمانُ بنُ بَشير على حِمْص، فبايَع لابْنِ الزُّبير. وكان حَسَّان[2] بنُ بَحْدل على فِلَسْطين والأُردُنّ، فاستَعْمل على فِلَسْطين رَوْحَ بنَ زِنْباع الجُذامِيّ، ونزل هو الأردُنّ فوثب نابِلُ بنُ قيس الجُذامِيّ على رَوْح بنِ زِنْباع، فأخرجه من فِلَسْطين وبايع لابْنِ الزُّبير.

موقف الضحاك بن قيس الفهري

وكان الضَّحَّاكُ بن قيس الفِهْرِيّ عامِلاً ليزيدَ بنِ مُعاوِية على دِمَشْق حتى هلك، فجَعَل يُقدِّم رِجْلاً ويُؤخِّر أُخرى، إذا جاءَتْه اليمانِية وشِيعَةُ بَنِي أُميَّة أخبرهم أنه أُمويّ، وإذا جاءته القَيْسِيَّة أخبرهم أنه يَدْعو إلى ابْنِ الزُّبير، فلما قَدِم مَرْوانُ قال له الضَّحَّاك: هل لك أن تَقدَم على ابنِ الزُّبَيْر ببيعة أهل الشام؟ قال: نعم، وخرج من عنده، فلقيه عَمْرُو بنُ سَعِيد بن العاص، ومالِكُ بنُ هُبَيْرة، وحُصَيْن بنُ نُمير الكِنْديّان، وعُبَيْد اللهِ بنُ زياد، فسألوه عَمَّا أخبره به الضَّحَّاكُ، فأخبرهم، فقالوا له: أنت شَيْخ بَنِي أُميَّة، وأنتَ عمُّ الخليفة، هلمّ نُبايِعْك. فلما فَشَا ذلك أرسل [١٩/١٩٦] الضَّحَّاكُ إلى بني أُميَّةَ / يَعتذِر إليهم، ويذكر حُسْنَ بلائهم عنده، وأنَّه لم يُرِد شَيْئاً يكرهونه، فاجْتَمع مَرْوان بنُ الحَكَم، وعَمْرُو بنُ سَعِيد بنِ العاصِ، وخالِدُ وعبدُ الله ابْنا يَزِيد بنِ معاوِية وقال لهم: اكتبوا إلى حَسَّان بنِ بَحْدَل فَلْيَسِرْ من الأردنّ حتى يَنْزِل الجابِيَة، ونَسِير من ها هنا حتى نلقاه، فيستَخْلِف رجلاً ترضونه، فكَتَبوا إلى حَسَّان، فأقبل في أهل الأرْدُنّ، وسار الضَّحَّاك بنُ قَيْس وبَنُو أُميَّة في أهل دمشق، فلما استقلَّت الرَّايَاتُ من جهة دمشق، قالت القَيْسِيَّة للضَّحَّاك: دَعوْتَنا لبَيْعة ابنِ الزُّبَيْر، وهو رَجُلُ هذه الأمّة، فلما تابعناك خرجتَ تابِعاً لهذا الأعرابِيّ من كَلْب تُبايع لابنِ أُخْتِه تابعاً له، قال: فتقولُون ماذا؟ قالوا: نقول: أن تَنْصَرِف وتُظْهِر بيعةَ ابنِ الزُّبَيْر ونُظْهِرَها معك، فأجابَهم إلى ذلك، وسار حتى نزل مَرْج راهط، وأقبل حسَّان حتى لَقِي مَرْوان بنَ الحَكَم، فسار حتى دخل دِمَشْقَ، فأتته اليمانية تَشكُر بَلاءَ بني أُميَّة، فساروا مع مروان حتى نزلوا المَرْج على الضَّحَّاك، وهم نَحْو سبعة آلاف، والضَّحَّاك في نَحْو من ثلاثين ألْفاً، فلَقُوا الضَّحَّاك، فقُتِل الضحَّاك، وقُتِل معه أشرافٌ من قَيْس، فأقبل زُفَر هارِباً من وَجْهِه ذاك حتى دخل قَرْقِيسيا، وأقام عُمَيْر بنُ الحُباب شيئاً على طاعة بَنِي مَرْوان، ثم أقبلَ حتى دَخَل قَرْقِيسيا على ١١٢/١٧ زُفَر فأقام معه، وذلك بعد يوم خازِر[3] حين قُتِل عُبَيْدُ الله / بنُ زِياد.

---

(١) ب: «المدائنيّ».

(٢) ف: «جساس».

(٣) خازر: نهر بين إربل والموصل، يصب في دجلة عن (معجم البلدان).

ما قيل في يوم المرج

وأقبلَ زُفَر يبكي قتْلى المَرْج ويقول:

لعَمْري لقد أبقَت وَقِيعةُ راهطٍ ... لِمروان صَدْعاً بيننا مُتنائيا
أتذهَبُ كَلْبٌ لم تَنَلْها رِماحُنا ... ويُترك قتْلى راهطٍ هِيَ ماهيَا!
/ فقد يَنْبُت المَرْعى على دِمَنِ الثَّرى ... وتبقى حَزازَاتُ النُّفوس كما هِيَا [١٩٧/١٩]
أبعدَ ابنِ صَفْرٍ وابنِ عَمرو تتابعا ... ومَصْرَعِ هَمَّام أُمَنَّى الأمانِيَا(١)!

فقال ابنُ المِخْلاة الكلبيّ يُجِيبُه:

لعَمْري لقد أبقَت وَقيعَةُ راهطٍ ... على زُفَرٍ داءً من الدَّاءِ باقِيَا
تُبَكِّي على قتْلى سُلَيم وعامرٍ ... وذُبيانَ مغروراً(٢) وتُبكي البَواكِيَا

وقال ابنُ المِخْلاة في يوم المَرْج:

ويومٍ ترى الرّاياتِ فيه كأنّها ... حوائمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ ووَاقعُ
مضَى أربعٌ بعد اللِّقاءِ وأربعٌ ... وبالمرج باقٍ من دم القَوم(٣) ناقِعُ
طعَنَّا زِياداً في اسْتِه وهو مُدْبِرٌ ... وثَورٌ أصابَتْه السُّيوفُ القواطِعُ
ونَجّى حُبَيْشاً ملهِبٌ(٤) ذُو عُلالةٍ ... وقد جُذَّ من يُمنَى يدَيْه الأصابِعُ
وقد شَهِد الصَّفَّيْن عمرُو بنُ مُحرِزٍ ... فضاق عليه المَرجُ والمرجُ واسعُ

وقال رجل من بني عُذْرة:

سائِل بَني مَرْوان أهلَ العَجِّ(٥) ... رَهْطَ النَّبيّ ووُلاة الحَجّ
عنّا وعن قَيْسٍ غَداة المرْجِ ... إذ يُثْقِفُون ثقفاً بِنَجِّ(٦)
تَسْدِيسَ أطْرافِ القَنا المُعْوَجِّ ... إذ أخلَفَ الضَّحّاكَ ما يُرَجِّي
مُذ تَركوا من بَعْد طول هَرْجِ(٧) ... لَحمَ ابنِ قيسٍ للضِّباع العُرْجِ

/ وقال جَوّاس بنُ القَعْطَل(٨) الكلابيُّ في يَوْم المَرْج: [١٩٨/١٩]

هُمُ قَتَلُوا براهِطَ جدَّ قَيْسٍ(٩) ... سُلَيْما والقبائلَ من كلابِ

---

(١) في معجم ياقوت ٢: ٧٤٤ ط ليبزج:

أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ... ومقتل همام أمنّى الأمانيا

(٢) مي: «معروفاً».

(٣) ف: «من دم الجوف».

(٤) الملهب: الفرس الشديد الجري المثير للغبار. وجُذّ: قطع.

(٥) مي، ف: «أهل الفج». وعج بالتلبية في الحج: رفع صوته.

(٦) مي، ف: «إذ يثقفون ثقفاً خرفج». وثقفة بالرمح: طعنه. والنج: سيل الجرح بما فيه.

(٧) مي: «فتركوا من بين ضرب هرج». وفي ف: «فتركوا من بعد...».

(٨) ب: «جواس بن قعطل». وفي مد، ف: «جواس بن يعطل».

(٩) ف: «جُلّ قيس».

وهـم قَتلُوا بَنِي بَـدْر وعَبْسـاً | وأُلصِـق حُـرُّ وَجْهِـك[١] بـالتُّـرابِ
تَـذكّـرتَ الـذُّحـول[٢] فلـن تُقَضَّـى | ذحـولُـك[٢] أو تُساقَ إلـى الحِسـابِ
إذا سـارت قبـائـلُ مـن جَنـابٍ | وعـوفٍ أشْحنـوا[٣] شُـمَّ الهضـابِ
وقـد حـاربْتَنـا فـوجَـدْتَ حَـرْبـاً | تُغِصُّـك حيـن تشـرَب بـالشَّـرابِ

فأقبل عُمَيْر يخطُر، فخرج من قَرْقِيسيا يتطرَّف[٤] بوادي كلب، فيُغِير عليها وعلى مَنْ أصاب من قضاعة وأهلِ اليَمن، ويخُصّ كَلْباً ومَعْشَرَ تَغْلب[٥]، قبل أن تَقَع الحَرْب بين قَيْس وتَغْلِب، فجعل أهلُ البادِيَة يَنْتَصِفُون من أهل القَرَار[٦] كلّهم. فلما رأتْ كلبٌ ما لَقِي أصحابُهم، وأنهم لا يمتَنِعُون من خَيْل الحاضِرَة، اجتمعوا إلى حُمَيْد بن حُرَيث بن بَحْدل، فسار بهم حتى نزل تَدْمر، وبه بنو نُمَير، وقد كان بين النُّمَيْريِّين خاصة وبين الكَلْبِيِّين الذين بتَدْمُر عقدٌ مع ابن بَحْدل بن بعّاج الكلبيّ، فأرسلت بنو نُمَيْر رُسُلاً إلى حُمَيد يناشِدُونه الحُرمة،فوثب عليهم / ابنُ بعّاج الكلبيّ فذَبَحَهم، وأرسلوا إليهم: إنّا قد قَطَعنا الذي بيننا وبينكم، فالْحقُوا بما يَسَعُكم من / الأرض، فالتقوا فقُتِل ابنُ بَعّاج وظَفِر بالنُّمَيْريّين فقَتَلوا قَتْلاً ذرِيعاً وأَسِرُوا[٧]، فقال راعي الإبل في قتل ابن بَعّاج ولم يذكُر غيرَه من الكَلْبِيِّين:

[١١٣/١٧] [١٩/١٩٩]

تَجِـيءُ[٨] ابنَ بَعّـاج نُسـورٌ كأنّهـا | مجـالِـسُ تَبغـي بيْعـةً عنـد تاجـرِ
تُطِيـف بكَلْبِـيٍّ عليـه جَـدِيَّـةٌ[٩] | طويـل القَرَا[١٠] يقْـذِفْنَـه فـي الحَنـاجرِ
يقـولُ لـه مَـنْ كـان يَعْلـم عِلْمَـه | كـذاكَ انْتِقـام اللهِ مـن كُـلّ فـاجـرِ

وقد كان زُفرُ بنُ الحارث لمّا أغار عُمَيْر بنُ الحباب على الكلبِيِّين قال يُعيِّرهم بقوله:

يـا كلـبُ قـد كَلِب الـزّمـان عليكُـمُ | وأصـابكـم منّـي عَـذابٌ مُـرسَـلُ
إن السَّمـاوةَ لا سمـاوةَ فـالْحقـي | بمنـابِـت الـزَّيتُـون وابنَـيْ بَحْـدَلِ[١١]
وبـأرض عَـكٍّ والسَّـواحـلِ إنّهـا | أرضٌ تُـذَوَّب بـاللّقـاحِ وتُهـزَلُ[١٢]

(١) ف: «وألصق خد قيس».
(٢) الذّحول: الثارات. وفي ب، مي، مد: «الدخول... دخولك».
(٣) أشحنوا: ملأوا. وفي مي: «أبحروا».
(٤) مي: «يتطوف».
(٥) ب، مي: «ويحض كلباً ومعه تغلب».
(٦) القرار: الحضر. وفي ب، مد، مي: «القرى».
(٧) ف: «فقتلوا قتلاً شديداً وسُيِّروا».
(٨) مد، مي: «تجر».
(٩) الجدية: الدم.
(١٠) القرا: الظهر.
(١١) في البيت إقواء. والسماوة: ماءة لكلب بين الكوفة والشام.
(١٢) مي: «تذوب بها اللقاح».

حميد بن بحدل يغير على بوادي قيس

فجمع لهم حُمَيْد بنُ الحُرَيث بن بَحْدل، ثم خرج يُريد الغارة على بَوادي قَيْس، فانْتَهى إلى ماءٍ لبَني تَغْلب، فإذا النِّساء والصِّبيان يكون، فقالت لهم النساء ـ وهن يحسبنهم قيساً ـ: وَيْحَكم، ما رَدَّكُم إلينا، فقد فَعَلْتُم بنا بالأمس ما فَعَلْتم! فقالت لهم كلب: وما لكم؟ قالوا: أغار علينا بالأمس عُمَيْرُ بنُ الحباب، فقتل رِجالَنا، واستاق أموالَنا، ولم يَشكُكْن أنّ الخيلَ خَيلَ قَيْس وأنّ عُمَيْراً عاد إليهن، فقال بعضُ كلب لحُمَيْد: ما تُريد من نِسْوة قد أُغِير عليهن وحُرِبن، وصِبْية يَتامى، وتَدَعُ عُميراً. فاتَّبِعوه، فبينا هم يسيرون إذ أخذوا رَجُلاً ربيئةً للقوم. فسألوه فقال لهم: هذا الجَيْش / ها هنا والأموال، وقد خرج عُمَيْر في فوارسَ يُريد الغارةَ على أهْل بيت من بني زُهَيْر بن جَناب، [١٩/٢٠٠] أخبرَ عنهم مُخبِر، فأقام حُمَيْد حتى جَنَّ عليه اللَّيلُ، ثم بيَّت القومُ بَياتاً. وقال حُمَيْد لأصحابه: شِعارُكم: نحن عباد الله حقّاً. فأصابوا عامة ذلك العَسْكر، ونجا فيمَن نَجا رجلٌ عُرْيان قذف ثوبه وجلس على فرس عُرْي، فلما انْتَهى إلى عُمَير، قال عُمَير: قد كنتُ أسمعُ بالنذير العُرْيان[1] فلم أرَه، فهو هذا، ويلك ما لَكَ! قال: لا أدرِي غَيْر أنه لقينا قَومٌ فَقَتلوا من قَتَلوا وأخذوا العَسْكر، فقال: أفتعْرِفُهم؟ قال: لا، فقصد عُمَيْر القومَ وقال لأصحابه: إن كانت الأعاريبَ فَسَيُسارِعُون إلَيْنَا إذا رأَوْنا، وإن كانت خُيولُ أهلِ الشامُ فستَقِف. وأقبل عُمَير، فقال حُمَيْد لأصحابه: لا يَتَحَرَّكَنَّ منكم أحدٌ، وانصُبُوا القَنَا، فحَمَل عُمَيْر حملة لم تحرّكهم، ثم حَمَل فلم يتحرّكوا، فنادى مِراراً: ويْحكم مَنْ أنتم؟! فلم يتكلّموا، فنادى عُمَير أصحابَه: ويْلَكُم خيلُ بني بَحْدل والأمانة، وانصرف على حامِيَته، فحَمَل عليه فوارسُ من كَلْب يَطلُبونه، ولَحِقه مولًى لكَلْب يقال له شقرون، فاطَّعنَا، فجُرِح عُمَيْرٌ وهَرَب حتى دخل قَرقِيسِيا إلى زُفَر، ورجع حُمَيْد إلى مَنْ ظَفر به من الأسْرى والقَتْلى، فقطع سِبالَهم[2] وأنُفَهم، فجعَلها في خَيْط، ثم ذهب بها إلى الشَّام، وقال قائل: بل بَعَثَ بها إلى عُمَير وقال: كيف تَرَى؟ أوَفْيِي أم وَفْعُك؟ فقال في ذلك سِنانُ بن جابِرٍ الجُهَنيّ:

لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بَحْدلٍ … حُمَيْداً شَفَى كَلْباً فقرَّت عُيُونُها

/ وعرَّف قَيْساً بالهوان[3] ولم تكن … لتَنْزِع إلاّ عند أمرٍ يُهِينُها ١١٤/١٧

/ فقلتُ له: قَيْسُ بنُ عَيْلان إنَّه … سريعٌ ـ إذا ما عضَّت الحربُ ـ لِينُها [١٩/٢٠١]

سما بالعِتاق الجُرْد من مَرْج راهطٍ … وتَدْمُرَ يَنْوِي بَذْلَها لا يَصونُها[4]

فكان لها عَرضُ السَّماوةِ لَيْلةً … سَواءٌ عليها سَهْلُها وحُزونُها

فمَن يَحْتَمِلْ في شأنِ كَلْبٍ ضَغِينَةً … علينا إذا ما حانَ في الحَرْبِ حِينُها

فإنَّا وكَلْباً كاليدين متى تَضَعْ … شِمالك في شيءٍ[5] تُعِنْها يَمِينُها

لقد تُركتْ قَتْلَى حُمَيدِ بنِ بَحْدل … كثيراً ضَواحِيها قليلاً دَفِينُها

وقَيْسِيَّةٍ قد طَلَّقتْها رِماحُنا … تلَفَّتُ كالصَّيْداءِ[6] أودَى جَنِينُها

(١) ب: «كنت أسمع بالمدينة بلاء نذيره العريان».
(٢) السبال جمع سبلة؛ وهي الدائرة في وسط الشفة العليا، وقيل: ما على الشارب من الشعر. وفي مي: «بنانهم».
(٣) ب: «بالقوافي».
(٤) ب: «وتدمر تنزى بزلها لا يصونها».
(٥) مي: «في أمر».
(٦) الصيداء: المائلة العنق.

وقال سِنانٌ أيضاً في هذا الأمرِ بعدما أوقَع بِبني فَزارَة:

يـا أُخـتَ قَيْـسٍ سَلِـي عنّـا عـلانِيَـةً ... كـي تُخبَري مـن بَيـان العِلْـم[1] تِبيانَـا
إنّـا ذَوُو حَسَـبٍ مـالٍ ومَكْـرُمَـةٍ ... يـومَ الفَخـارِ وخَيـرُ النّـاس فُـرْسـانـا
منّـا ابـنُ مُـرّةَ عَمْـرٌو قـد سَمِعْـتِ بـه ... غَيْـثُ الأرامـلِ لا يُـردَيـنَ[2] مـا كـانـا
والبَحْـدَلِـيُّ الـذي أردت فـوارِسُـه ... قيساً غَـداةَ اللّـوى مـن رمـل عَـدْنـانـا
فغـادرت حَلْبَسـاً منهـا بمُعْتَـرَكٍ ... والجعـدَ مُنعَفِـراً لـم يُكْـسَ أكفـانَـا
كـائِـن تَـرَكْنـا غـداةَ العـاهِ[3] مـن جَـزَرٍ ... للطيـر منهـم ومـن ثَكْلـى وثُكْـلانَـا
ومـن غـوانٍ تُبكّـي لا حَمِيـمَ لهـا ... بـالعـاهِ[3] تـدعـو بنـي عَـمٍّ وإخـوانـا

[١٩/٢٠٢] فلما انتهى الخَبَرُ إلى عبد المَلِك بن مَرْوان، وعبدُ الله ومُصعَبٌ يومئذ حَيّان، / وعند عبد الملك حَسَّانُ بنُ مالِك بن بَحْدل وعبدُ الله بنُ مَسْعَدَة بن حَكَم الفزاريّ، وجِيءَ بالطَّعام، فقال عبدُ المَلِك لابْنِ مَسْعَدة: ادْنُ، فقال ابنُ مَسْعَدة: لا والله، لقد أوقع حُمَيْد بسُلَيْم وعامِر وَقْعة لا يَنْفَعُني بعدها طَعامٌ حتى يكون لها غِيَرٌ، فقال له حَسَّان: أجزِعْت أن كان بَيْني وبينَكم في الحاضِرَة على الطّاعة والمَعْصِية، فأصَبْنا منكم يوم المرج، وأغار أهلُ قَرْقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب؟ فلما رأى حُمَيد ذلك طلب بثأر قومه، فأصاب بعضَ ما أصابهم، فجَزِعت من ذلك، وبلغَ حُمَيْداً قولُ ابنِ مَسْعدة فقال: والله لأشغَلَنّه بمَنْ هو أقرب إليه من سُلَيم وعامر.

ذكر في شعره إيقاع حميد ببني فزارة

فخرَجَ حُمَيْد في نحوٍ من مائتي فارِس، ومعه رَجلان من كَلْب دليلان، حتى انتهى إلى بَني فزارَة أهلِ العَمُودِ لخَمس عَشْرة مَضَت من شَهْر رَمَضان، فقال: بعثني عبد الملك بنُ مَرْوان مُصدِّقاً: فابعَثُوا إلى كل مَنْ يُطِيق أن يَلْقانا، ففعلوا، فقتَلهم أو مَنِ اسْتَطاع منهم، وأخذَ أموالَهم، فبلَغ قَتْلاهم نحواً من مائةٍ ونَيِّف، فقال عُوَيْفُ القوافِي:

مَنَـا الله[4] أن ألقـى حُمَيْـد بـنَ بَحْـدل ... بمنـزلـة فيهـا إلـى النّصـف مُعْلَمـا
لكيمـا نُعـاطِيـه ونَبلـوَ بيننـا ... سُـرَيْجِيّـةً[5] يُعجِمـن فـي الهـام مُعجمـا
ألا ليـت أنّـي صـادفَتْنـي مَنِيّتـي ... ولـم أرَ قَتْلـى العـامِ يـا أُمَّ أسْلَمـا
ولـم أرَ قتلـى لـم تَـدَعْ لـي بعـدَهـا[6] ... يَـدَيْـن فمـا أرجـو مـن العيش أجـذَمـا
/ وأُقسِم مـا لَيْـثٌ بخَفّـان[7] خـادِرٌ ... بـأشجـعَ مـن جعْـدٍ جَنـانـا ومُقـدَمـا

١١٥/١٧

(١) مي: «الأمر».
(٢) ف: «لا يؤذين ما كانا».
(٣) العاه: جبل بأرض فزارة (معجم البلدان). وفي ب: «الفاه»، تصحيف.
(٤) منا الله كذا: قدره.
(٥) السريجية: السيوف المنسوبة إلى سريج، وهو قين كان يعملها.
(٦) مي: «ولم أر قتلى لم يدع لي قتلها».
(٧) خفان: موضع قرب الكوفة (معجم البلدان).

/ يعني الجَعْدَ بنَ عِمرانَ بنِ عُيَيْنة وقُتِل يومئذ. [١٩/٢٠٣]

أسماء بن خارجة يشكو حميداً إلى عبد الملك

فلما رجع عبدُ الملك من الكُوفَة وقُتِل مُصعَب، لحقه أسماءُ بنُ خارجة بالنُّخَيلة، فكلّمه فيما أتى حُمَيْد به إلى أهل العَمود من فَزارة، وقال: حدّثنا أنه مصدِّقك وعامِلُك، فأجبناك وبكَ عُذْنا، فعليك وفي ذمتك ما على الحُرِّ في ذِمَّتِه، فأَقِدْنا من قُضاعِيٍّ سِكِّير، فأبى عبد المِلك وقال: انظُر في ذلك وأستَشِيرُ[١] وحُمَيْد يَجْحد وليست لهم بيِّنة، فودَاهم ألفَ وألْف ومائتي ألف، وقال: إني حاسِبُها في أعطيات قُضاعة، فقال في ذلك عَمْرُو بنُ مِخْلاة الكلْبيّ.

صوت

خُــذوهــا يــا بَنـي ذُبْيـان عَقْـلاً | علـى الأجيـادِ واعتَقِـدوا الخِـدامـا[٢]
دَراهِــمَ مــن بنــي مَــرْوان بيضـا | يُنَجِّمهـا لكـم عـامـاً فعـامـا
وأيقَـــن أنَّـــه يـــومٌ طـــويـــل | علـى قَيْـس يُـذيقُهُـم السِّمـامـا[٣]
ومُخْتَـبٌ أمـام القـوم يَسْعَـى | كِسِرحـانِ التَّنُـوفَـةِ حيـن سـامـا[٤]
رأى شَخصـاً علـى بلـد بَعيـد | فكبَّـر حيـن أبصَـره وقـامـا
وأقبـلَ يسـألُ البُشـرى إلينـا[٥] | فقـال: رأيـتُ إنسـاً أو نعـامـا
وقـال لخَيْلـه سيـري حُمَيـد | فـإنّ لكُـل ذي أجـل حِمـامـا
/ فمـا لاقيـتُ مـن سجـح[٦] وبـدر | ومُـرَّة فـاتـركـي حَطبـاً حُطـامـا [١٩/٢٠٤]
بكـل مُقلَّـص عَبْـلٍ شَـواه | يَـدُقُّ بِـوقـع نـابيّـه اللُّجـامـا[٧]
وكـل طِمِـرَّةٍ مَـرْطـى سَبـوحٍ | إذا مـا شَـدَّ فـارِسُهـا الحِـزامـا[٨]
وقـائِلـةٍ علـى دَهَـشٍ وحُـزْنٍ | وقـد بلَّـت مـدامِعُهـا اللُّثـامـا
كـأنَّ بَنـي فَـزارةَ لـم يكـونـوا | ولـم يَـرْعَـوْا بـأرْضهـم الثُّمـامـا[٩]
ولـم أرَ حـاضـراً منهـم بِشـاءٍ | ولا مَـنْ يملِـك النَّعَـم الـرُّكـامـا[١٠]

(١) ب: «انظر في ذلك واستشر».
(٢) في أنساب الأشراف: «على الأحياء واعتقدوا الخزاما». واعتقد الشيء: نقيض حله، والخدام: جمع خدمة، وهي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير.
(٣) السمام جمع سم، وهو القاتل من الأدوية ونحوها.
(٤) المختب: المسرع. والسرحان: الذئب. والتنوفة: الأرض الواسعة أو الصحراء. وسام: ذهب في ابتغاء الشيء.
(٥) ف: «فأقبل يسأل اليسرى إلينا».
(٦) ف، مي: «شمخ».
(٧) ف: «يدق بهمز نابيه اللجاما».
(٨) الطمرة: الفرس الجواد الشديد العدو. المرطى: الخفيف شعر الجسد. والسبوح: الفرس يمد يديه في الجري.
(٩) الثمام: عشب من الفصيلة النخيلية.
(١٠) النعم الركام: النعم الضخم.

فزارة تنتقم من قيس

قال: فلما أخذوا الدِّيَةَ انطلقت فَزارةُ فاشترت خَيْلاً وسِلاحاً، ثم استتْبَعت سائرَ قبائل قيس، ثم أغارت على ماءٍ يدعى بَناتِ قَيْن، يجمع بُطوناً من بُطون كَلب كثيرة وأكثرُ مَنْ عليه بَنُو عَبْدِ وُدٍّ وبَنُو عُلَيم بن جناب، وعلى قَيْس يومئذ سَعِيدُ بنُ عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر، وحَلْحَلَة[١] بن قَيْس بن الأشْيَم بن يَسار أحدُ بني العُشَراء[٢]، فلما أغاروا نادَوا بني عُلَيم: إنا لا نَطْلُبكم بشيء، وإنما نطلُب بني عَبْد وُدّ بما صَنَع الدَّليلان اللَّذان حَمَلا حُمَيْداً، وهما المأمورُ ورجلٌ آخر اسمُه أبو أيُّوب، فقُتِل من العَبْدِيّين تِسْعَةَ عَشَر[٣] رَجُلاً، ثم مالوا على العُلَيْمِيِّين فقتلوا منهم خَمْسين رَجُلاً، وساقوا أموالاً.

موقف عبد الملك بن مروان وعرضه الدية

فبلغ الخبرُ عبدَ الملك، فأمهَل حتى إذا وَلِيَ الحَجَّاجُ العِراقَ كتَب إليه يَبْعث إليه سَعِيدَ بنَ عُيَيْنة وحَلْحَلَة بن [٢٠٥/١٩] قيس ومعهما نَفَر من الحَرَس، فلما قَدِم بهما عليه قَذَفَهما في / السِّجن وقال لِكَلْب: والله لئن قَتَلتم رجلاً لأُهَرِيقَنَّ دماءكم، فقَدِم عليه من بني عَبْدِ وُدّ عياضٌ ومُعاويةُ ابنا ورد، ونُعمان بنُ سويد، وكان سُوَيْد أبوه ابن مالك يومئذ $\frac{١١٦}{١٧}$ أشرفَ من قُتِل يوم بنات قَيْن، وكان شيخَ بني عَبْدِ وُدّ، فقال / له النُّعْمان: دماءنا يا أميرَ المؤمنين، فقال له عبدُ الملك: إنما قُتِل منكم الصَّبيُّ الصَّغيرُ والشيخُ الفاني، فقال النُّعمان: قُتِل منا والله مَنْ لو كان أخاً لأبيك لاختِير عَلَيْك في الخِلافة، فغَضِب عبدُ الملك غَضَباً شديداً، فقال له مُعاويةُ وعياض: يا أمير المؤمنين، شَيْخ كَبير مَوْتور.

فأعرضَ عنه عبدُ الملك وعَرضَ الدِّية، وجعل خالدُ بنُ يزيد بن معاوية ومن وَلَدَتْه كلب يقولون: القَتْل، ومن كانت أمُّه قَيْسيّة من بني أميّة يقولون: لا، بل الدِّيَة كما فُعِل بالقوم، حتى ارتفَع الكلام بينهم بالمَقْصُورَة، فأخرجَهم عبد الملك ودَفَع حَلْحَلَة إلى بعض بَني عَبْدِ وُدّ، ودَفَع سَعِيدَ بنَ عُيَيْنة إلى بعض بني عُلَيم، وأقبل عليهما عبدُ الملك فقال: ألم تأتياني تَسْتَعدِياني فأعدَيْتُكما وأعطَيْتُكما الدِّيَةَ، ثم انطَلَقْتُما فأخفرْتما ذِمَّتي وصَنَعْتُما ما صَنَعتُما، فكَلَّمه سَعيد بكلام يستَعْطِفه به ويُرقِّقُه، فضرب حَلْحَلة صَدْرَه وقال: أترى خُضوعَك لابنِ الزَّرْقاءِ نافعَك عنده، فغَضِب عبدُ الملك وقال: اصبر حَلْحَلَة، فقال له: أصبرُ من عَوْدٍ بجَنْبَيْه جُلَب[٤] فقُتِلا وشَقَّ ذلك على قَيْس، وأعظَمه أهلُ البادِيَة منهم والحاضِرَة، فقال في ذلك عليُّ بنُ الغدير الغَنَوِيّ:

لِحَلْحَلَــةَ القَتِيــلِ ولابْــنِ بــدْر ... وأهــلِ دِمَشْــقَ أنْجِبــةٌ تَبِيــنُ
فبَعْــدَ اليَــوْمِ أيَــامٌ طِــوالٌ ... وبعــد خمــودِ فتْنَتِكــم فُتــونُ
وكــلُّ صَنِيعَــةٍ رصــدٌ ليــومٍ ... تحُــلّ بــه لصاحِبهــا الــزَّبــون[٥]
[٢٠٦/١٩] / خليفَــةُ أُمّــةٍ قُسِــرت عليــه ... تخمَّــط[٦] واستخــفَّ بمَــنْ يــدينُ

---

(١) ب: «طلحة بن قيس».
(٢) بنو العشراء: قوم من فزارة، وفي ب: «بنو العسراء»، تصحيف.
(٣) ف: «فقتل من العبديين سبعة عشر رجلاً».
(٤) جُلب الرحل وجلبه (بالضم والكسر) عيدانه.
(٥) ف: «تحل به لصاحبه الديون».
(٦) تخمط: تكبر.

فقد أتيا حُمَيْد ابن المَنايَا (١) ... وكُلُّ فَتىً ستَشْعَبُه المَنُونُ

وقال رجل من بني عبد وُدّ:

نحن قَتَلْنا سَيِّدَيْهم بشَيْخِنا ... سُوَيدٍ فما كانا وفاءً به دَمَا

وقال حَلْحَلةُ وهو في السّجن:

لعَمْري لئن شَيْخا فَزارَة أُسلِما ... لقد خَزِيت قَيْسٌ وما ظَفِرت كَلْبُ

وقال أرطاةُ بنُ سُهَيَّة يُحرِّض قَيْساً:

أيُقتَلُ شَيخُنا ويُرى حُمَيْدٌ ... رَخيَّ البالِ مُنْتَشِياً (٢) خُمورَا

فإن دمْنا بذاكَ وطال عُمرٌ ... بنا وبكُم ولم نَسْمع نكيرَا

فنَاكَتْ أُمَّها قيسٌ جِهاراً ... وعَضَّت بعدَها مُضَرُ الأيُورَا

وقال عميرة بِنْت حَسَّان الكَلْبيَّة تفخر بفِعل حُمَيد في قيس:

سَمَت كلبٌ إلى قَيْس بجَمْعٍ ... يَهُدّ مناكِبَ الأكَمِ الصِّعابِ

بذِي لَجَبٍ يدُقُّ الأرضَ حتى ... تُضايِق مَن دعا بِهَلا وهَابِ (٣)

نَفَين إلى الجزيرة فَلَّ قيسٍ ... إلى بَقٍّ بها وإلى ذُبابِ (٤)

وألفَينا هَجِينَ بني سُلَيْم ... يُفَدِّي المُهرَ من حُبِّ الإيابِ

فلولا عَدْوة المُهْر المُفَدّى ... لأُبْتَ وأنتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ

/ ونَجّاه حَثِيثُ الرَّكْض منا ... أُصَيْلاناً ولَونُ الوَجْه كابي

[٢٠٧/١٩
١١٧
١٧]

وآض كأنه يُطْلَى بوَرْسٍ ... ودُقّ هُوِيَّ كاسِرةٍ عُقابِ

حَمِدت اللهَ إذ لَقَّى سُلَيْماً ... على دُهْمانَ صَقْرِ بَني جَنابِ

تركن الرُّوقَ (٥) من فَتَيات قَيْس ... أيامَى قد يَئِسن من الخِضابِ

فهُنَّ إذا ذَكَرن حُمَيْد كَلْبٍ ... تَعفّن برَنَّةٍ بعد انْتِحابِ

متى تَذْكُر فتى كَلْب حُمَيْداً ... تَرَ القَيْسيَّ يشرَقُ بالشَّرابِ

مدح عيينة بن أسماء رغم تطليقه أخته

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، عن عمه، قال:

أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي - وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاريّ - وكانت أخته عند عُيَيْنَة بن أسماء بن خارجة فطَلَّقها، فكان عويف مُراغِماً لعيينة وقال: الحرة لا تُطلَّق بغير ما بأس،

---

(١) ف: «فقد لقيا حميد ابن المنايا».

(٢) انتشى فلان: بدأ سكره.

(٣) هلا: زجر للخيل، وهاب: زجر للإبل عند السوق.

(٤) بق: مدينة على شاطئ الفرات، وذباب: جبل بالمدينة.

(٥) الروق: الجميلات.

فلما حَبَس الحَجّاج عُيَيْنة وقيَّده قال عُوَيف:

مَنَعَ الرُّقادَ - فما يُحسُّ رُقادُ - خبرٌ أتاك ونامت العُوّادُ[1]
خبرٌ أتاني عن عُيَيْنة مُوجِعٌ ولمثله تتصدّع الأكبادُ
بلغ النفوسَ بلاؤُها[2] فكأننا موتى وفينا الرُّوحُ والأجسادُ
ساءَ الأقاربَ يومَ ذاك فأصبحوا بهجينَ قد سُرُّوا به الحُسّادُ[3]
[٢٠٨/١٩] / يرجون عثْرة جَدِّنا ولو أنّهم لا يدفعون بنا المكارهَ بادوا
لمّا أتاني عن عُيَيْنة أنّه عانٍ تظاهرُ فوقه الأقيادُ[4]
نَخَلَت[5] له نفسي النَّصيحةَ إنّه عند الشدائد تذهب الأحقادُ
وذكرتُ أيُّ فتى يَسُدُّ مكانه بالرِّفد حين تقاصرُ الأرفادُ
أم مَنْ يُهينُ لنا كرائمَ ماله ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ
لو كان من حَضَنٍ تضاءَل رُكنُه أو من نَضادَ بكت عليه نَضادُ[6]

مدح عبد الرحمن ابن مروان وهو صغير السن

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ، قال: حدَّثنا عُمرُ بنُ شَبَّة، قال: قال العُتْبيّ:

سأل عُوَيْفُ القوافي في حَمالةٍ، فمرَّ به عبدُ الرَّحمن بنُ محمد بنِ مَرْوان وهو حديث السِّنّ، فقال له: لا تسأل أحداً وصِرْ إليَّ أكْفِك، فأتاه فاحتَمَلَها جَمْعاء له، فقال عُوَيف يَمْدحه:

غلامٌ رماه اللهُ بالخير يافعاً له سِيمياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ
كأنّ الثُّريّا عُلِّقت في جَبينه وفي خَدِّه الشِّعْرى وفي جيده القَمَرْ
ولمّا رأى المجدَ استُعيرت ثيابُه تَرَدّى رِداءً واسعَ الذَّيل واتّزرْ
إذا قيلت العَوراءُ أغضى[7] كأنّه ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصرْ
رآني فآساني ولو صَدَّ لم أُلُمْ على حينَ لا بادٍ يُرجّى ولا حَضَرْ

[٢٠٩/١٩] / قال أبو زَيْد: هذه الأبياتُ لابن عَنْقاء الفَزاريّ، يقولها في ابن أخ له، كان قوم من العرب أغاروا على نَعَم ابن عنقاء، فاستاقُوها، حتى لم يَبْقَ له منها شيءٌ، فأتى ابنَ أخيه فقال له: يابْنَ أخي، إنه قد نَزَل بعَمِّك ما ترى،

---

(١) في سمط اللآلي ٨١٣: «مما شجاك وحفت العواد». وفي شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ١: ٢٥٣ ط حجازي: «مما شجاك ونامت العواد».

(٢) مي، مد: «بلاؤنا». وفي شرح ديوان الحماسة ١: ٢٥٣ والمختار: «بلاؤه».

(٣) هجين: موضع. «وقد سروا به الحساد» كذا في جميع النسخ بلغة أكلوني البراغيث ولعلها «قد سرت به الحساد».

(٤) في شرح ديوان الحماسة ١: ٢٥٤ ط حجازي: «أمسى عليه تظاهر الأقياد».

(٥) نخلت له نفسي النصيحة: أخلصتها.

(٦) حضن: جبل بأعلى نجد، وهو أول حدود نجد. ونضاد: جبل بالعالية، ويبنى عند أهل الحجاز على الكسر وعند تميم ينزلونه منزلة ما لا ينصرف. وروى البيت في معجم البلدان ٤: ٧٩٠: «لو كان من حضن قضاك منية»، والأبيات في الخزانة ٣: ٨٨ فيما عدا الأخير، وفي شرح الحماسة ١: ٢٥٣ فيما عدا الرابع والأخير.

(٧) ب: «ولى».

فهل من حَلُوبة؟ قال: نعم يا عَمّ، يرُوحُ المالُ وأبلُغ مُرادَك، / فلما راح مالُه قاسَمَه إيَّاه وأعطاه شطره، فقال ١١٨/١٧ ابنُ عنقاء:

رآنــي علــى مــا بِــي عميلــة فــاشتكى إلــى مــالــه حــالــي أســرَّ كمــا جَهَــرْ

وذكر بعد هذا البَيْت باقِي الأبْيات. قال أبُو زَيْد: وَإنَّما تَمَثَّلها[1] عُوَيْف.

رثى سليمان بن عبد الملك ومدح عمر بن عبد العزيز

أخبرني محمد بنُ خَلَف وَكِيع، والحَسَن بنُ عليّ قالا: حدّثنا الغلابيّ، قالا: حدثنا محمد بن عُبَيْد الله، عن عَطاء بن مُصْعَب، عن عاصم بن الحَدَثان، قال:

لما مات سُلَيمانُ بنُ عبد الملك ووَلِي عمرُ بنُ عبد العزيز الخِلافةَ، وفَد إليه عُوَيْفُ القَوافِي وقال شِعْراً رَثَى به سُلَيمان ومَدح عُمَر فيه، فلما دخل إليه أنشدَه:

لاح سحــابٌ فــرأينــا بــرقَــهُ ثــم تــدانَــى فَسَمِعْنــا صَعْقَــهُ
وراحــت الــرِّيــحُ تُــزَجِّــي بُلْقَــهْ ودُهْمَــهُ ثــم تُــزَجِّــي وُرْقَــهُ
ذاك سَقَــى قَبْــراً فَــروَّى وَدْقَــهُ قبــرَ امــرىءٍ عَظَّــم ربِّــي حَقَّــهُ
قبــرَ سليمــانَ الــذي مــن عَقَّــهُ وجَحَــدَ الخيــر الــذي قــد بَقَّــهُ[2]
فــي المسلميــن جِلّــه ودِقَّــهُ فــارق فــي الجحــود مِنــه صِــدْقَــهُ[3]
قــد ابتلــى اللهُ بخيــرٍ خلقَــهُ ألقــى إلــى خيــر قــريــش وَسْقَــهُ
/ يــا عُمــرَ الخَيْــرِ المُلَقَّــى وَفْقَــهُ سُمِّيــت بــالفــاروق فــافــرُقْ فَــرْقَــهْ [٢١٠/١٩]
وارزُق عِيــالَ المُسْلِمِيــن رِزْقَــهُ واقْصِــدْ إلــى الجُــودِ ولا تَــوَقَّــهُ
بَحــرُك عَــذْبُ المــاء مــا أعقَّــهُ رَبُّــك فــالمَحْــروم مَــنْ لــم يُسْقَــهُ

فقال له عمر: لَسْنا من الشِّعر في شيء، ومالَكَ في بَيت المال حَقٌّ، فألحَّ عُوَيْف يسألُه فقال: يا مُزاحم، انظُر فيما بَقِي من أرزاقنا فشاطِرْه إيَّاه، ولْنَصْبِر على الضِّيق إلى وقْتِ العطاء، فقال له عبدُ الرَّحمن بنُ سُلَيْمانَ بن عبد الملك: بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليّ رِضَا الرَّجُل، فقال: ما أولاَك بذلك، فأخذ بيده وانْصَرَف به إلى منزله، وأعْطاهُ حتى رَضي.

/ صوت [٢١١/١٩]

صَفــراءُ يَطْــوِيهــا الضَّجِيــعُ لصُلْبِهَــا طَــيَّ الحِمــالَــةِ لَيِّــنٌ مَتْنــاهــا
نِعْــم الضَّجِيــعُ إذا النُّجــوم تَغَــوَّرت بــالغَــوْر أُولاهــا علــى أُخْــراهــا

---

(١) ف: «تمثل بها عويف».
(٢) بقه: وسعه.
(٣) مي: «فارق منه في الجحود صدقه».

عَــذْبٌ مُقَبَّلُهــا وَثِيــرٌ رِدْفُهــا عَبْــلٌ شَــواهـا طَيِّـبٌ مَجْنـاهـا
يـا دارَ صَهْبـاء[1] التـي لا أَنْتَهِـي عـن حُبِّهـا أبـداً ولا أُنْسـاهـا

الشعر لعبدِ اللهِ بن جَحْش الصعاليك، والغِناءُ فيه لِعليّ بن هِشام ثقيل أول بالوسطى من كتاب أحمد بن المكيّ.



(١) ف: «يا دار صفراء».

/ أخبار عبد الله بن جحش

[٢١٢/١٩]

طلاق صهباء من ابن عمها

أخبرني هاشِمُ بنُ محمد الخُزاعِيّ، قال: حدَّثنا عُمر بن شَبّة، قال: حدَّثني محمدُ بن يحيى أبو غَسّان، عن غَسّان بن عبد الحميد قال:

كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها: صَهْباء من أحسن الناس وَجْهاً، وكانت من هُذَيل، فتزوّجها ابنُ عَمٍّ لها، فمكَث حيناً معها لا يَقدِر عليها من / شِدّة ارْتِتاقها، فأبغضَتْه وطالبته بالطّلاق، فطلّقها. ثم أصابَ الناسَ مَطَرٌ شديدٌ في الخَرِيف، فسال العَقِيقُ سَيْلاً عظِيماً، وخرج أهلُ المَدِينة، وخرجَتْ صهْباءُ معهم، فصادفت عبدَ الله بن جَحْش وأصحابَه في نُزْهة، فرآها وافترَقا. $\frac{119}{17}$

يهيم بصهباء ويتقدم لخطبتها

ثم مضت إلى أقصى الوادِي فاستنْقَعت في الماء وقد تفرّق النّاسُ وخَفُّوا، فاجتاز بها ابنُ جَحْش فرآها فتهالك عليها وهام بها، وكان بالمَدِينةِ امرأةٌ تَدُلّ على النِّساء يقال لها: قُطْنة، كانت تُداخِل القُرَشِيّات وغَيْرَهن، فلَقِيَها ابنُ جَحْش فقال لها: اخطُبِي عَلَيّ صَهْباء، فقالت: قد خَطَبها عيسَى بنُ طَلحةَ بن عُبَيْد الله وأجابوه، ولا أراهم يَختارونك عليه، فشتَمها ابنُ جَحْش وقال لها: كُلُّ مَمْلوك له فهو حرٌّ، لئن لم تَحتالِي فيها حتى أتزَوّجَها لأضرِبَنّك ضَرْبَةً بالسيف ـ وكان مِقْداماً جَسُوراً ـ ففَرِقت منه فدخلت على صَهْباء وأهلِها، فتحَدّثت معهم، ثم ذَكَرت ابنَ عَمِّها، فقالت لعَمّةِ صَهْباء: ما بالُه فارقها، فأخبرتْها خَبرَها، وقالت: لم يَقْدِر عليها وعَجَز عنها. فقالت لها: وأسمعَتْ صَهْباء ـ: إنّ هذا ليَعْتَري كثيراً من الرجال فلا يَنْبغي أن تَتقدَّمُوا في أمرِها إلا على مَنْ تختَبرونه، وأما والله لو كان ابنُ جحش لصَهْباء / لثقبها ثَقْبَ اللُّؤْلُؤِ ولو رُتِقت بحَجَر، ثم خَرجَت من عندهم.

[٢١٣/١٩]

زواجه بصهباء

فأرسَلَت إليها صَهْباء: مُرِي ابنَ جَحْش فَلْيَخطُبني، فلقِيَتْه قُطْنة فأخبرتْه الخَبرَ، فمضى فخطبها، فأنْعَمت له[1] وأبَى أهلُها إلا عيسَى بنَ طلحة، وأبت هي إلا ابنَ جَحْش، فتزوَّجته ودخلَ بها وافتَضّها، وأحبَّ كُلّ واحد منهما صاحِبَه فقال فيها:

نِعْـمَ الضَّجِيـعُ إذا النُّجـوم تَغـوَّرت ... بـالغَـوْر أُولاهـا علـى أُخـراهـا

عَـذْبٌ مُقبَّلُهـا وثيـرٌ رِدْفُهـا ... عَبْـلٌ شَـواهـا طَيِّـب مَجْنـاهـا

صَفـراءُ يَطْـوِيهـا الضجِيـعُ لِجَنْبِهـا ... طَـيَّ الحِمـالـة لَيِّـن مَتْنـاهـا[2]

---

(١) أنعمت له: قالت: نعم.

(٢) ب: «الحينها» بدل «لجنبها». وفي التجريد: «الحسنها». وفي ف: «مثناها» بدل «متناها». (وانظر ص ٢١١).

لــــو يَسْتَطِيــــع ضجيعُهـــا لأجنَّهـــا ... فــي الجَـوْف حبَّ نسيمهـا ونشاهـا[1]

يـــا دارَ صَهبـــاء التـــي لا أنتهـــي ... عــن ذكــرهــا أبــداً ولا أنْســاهــا

كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعره

أخبرني حَبِيبُ[2] بنُ نَصْر المُهَلبي، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعد، قال: حدثني عبدُ الرَّحيم[3] بنُ أحمد بنِ زَيد بن الفرج، قال: حدَّثني محمد بنُ عبد الله، قال:

كان عبد الملك بنُ مَرْوان مُعجَباً بشِعْر عبد الله بنِ جَحْش، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه، فورَد كِتابُه وقد تُوفِّي، فقال إخوانُه لابنه:

ذهب ابنه إلى عبد الملك فطرده لتضييعه أدب أبيه

لو شَخَصتَ إلى أميرِ المُؤمنين عن إذنه لأبيك لعَلَّه كان ينفعُك، ففعل، فبَيْنَا هو في طرِيقه إذ ضاع منه كِتابُ الإذنِ، فهَمَّ بالرّجوع، ثم مَضَى لوجهه، / فلما قَدِم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبرَه بوفاتِه، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له: أنشِدني قول أبيك: [١٩/٢١٤]

صوت

هـــل يُبلِغَنْهـــا الســـلامَ أربعـــةٌ ... مِنّـي وإن يَفْعلـوا فقـد نَفَعُـوا

علـــى مِصَكّيْـــن مـــن جِمـــالهمُ ... وعَنْتَــرِيسَيْــن فيهمــا سَطَــع[4]

قَـــرَّب جِيـــرانُنــا جِمـــالَهُــمُ ... صُبحـاً فـأضحَـوا بهـا قـد انْتَجَعُـوا

مـــا كنـــتُ أدْري بـــوَشْـــك بَيْنِهـــمُ ... حتـى رأيـتُ الحُـداةَ قـد طَلَعُـوا

/ قد كـادَ[5] قَلْبـي - والعيـن تُبْصـرهـم ... لمـا تَـولَّـى بـالقـوم - يَنْصَـدِعُ

ســـاروا وخُلِّفـــتُ بعـــدهـــم دَنِفـــاً ... ألَيْـسَ بـالله بِئْـسَ مـا صَنَعـوا!

[١٢٠/١٧]

قال: لا واللهِ يا أميرَ المُؤمنين ما أروِيه، قال: لا عَلَيْك، فأنشدني قولَ أبيك:

صوت

أجِـــدَّ اليـــوم جيـــرتُـــك الغِيـــارا ... رَواحـــــاً أم أرادوه ابتِكـــــارا

بعينِـــك كـــان ذاك وإن يَبِينُـــوا ... يَـــزِدْك البَيـــنُ صَـــدْعــاً مُسْتَطـــارا[6]

بَلَـى أبقَـتْ مـــن الجِيـــران عنـــدي ... أُنـــاســـاً مـــا أُوافِقُهـــم كِثـــارا

(١) مد: «في القلب» بدل «في الجوف». وفي التجريد: «حب نسيمها وجناها». وفي المختار: «شهوة ريحها وجناها». والنشا: نسيم الريح الطيبة (وانظر ص ٢١٥).

(٢) ف: «جعفر بن نصر المهلبي».

(٣) ف: «عبد الرحمن بن أحمد».

(٤) المصك: القوي. والعنتريس: الناقة القوية الغليظة. والسطع: طول العنق.

(٥) ف: «قد كان».

(٦) ف: «شعباً مستطاراً».

وماذا كثرةُ الجيرانِ تُغني ... إذا ما بانَ مَنْ أهوَى فَسارا

/ قال: لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين، قال: ولا عليك، فأنشدني قولَ أبيك: [٢١٥/١٩]

دارٌ لصَهْباءَ التي لا يَنْثَني ... عن ذكرِها قلبي ولا أنْساها

صفراءُ يطويها الضَّجيعُ لصُلْبِها ... طَيَّ الحمالةِ ليِّنٌ مَتْناها

لو يَستطيعُ ضَجيعُها لأجنَّها ... في القلبِ شَهْوةَ ريحِها ونَشَاها

قال: لا والله يا أميرَ المُؤمنين، ما أرويه، وإنّ صهباء هذه لأُمّي، قال: ولا عليك، قد يُبغِض الرجلُ أن يُشبَّب بأمّه، ولكن إذا نَسَب بها غيرُ أبيه، فأفٌّ لك! ورَحِم اللهُ أباك، فقد ضَيَّعتَ أدبَه وعقَقْته؛ إذ لم تَرْوِ شعرَه. اخرُجْ فلا شيء لك عندنا.

/ صوت [٢١٦/١٩]

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأدنَت على الخَدَّين بُرْداً مُهَلْهَلا

مِنَ اللاءِ لم يَحجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبةً ... ولكن يُقَتِّلْنَ[1] البريءَ المُغفَّلا

رأتْني خَضيبَ الرّأسِ شمَّرتُ مِئْزري ... وقد عَهِدتْني أسودَ الرّأسِ مُسْبَلا

خَطُوّاً[2] إلى اللّذاتِ أجرَرْتُ مِئْزَري ... كإجرارِكَ الحَبْلَ الجوادَ المُحَجَّلا

صَريعَ الهَوَى لا يبرَحُ الحبُّ قائِدي ... بِشَرٍّ[3] فلم أعدِلْ عن الشَّرِّ مَعْدلا

لَدَى الجَمْرةِ القُصْوى فريعَت وهَلَّلت ... ومَنْ رِيعَ في حَجٍّ من الناسِ هَلَّلا

الشعر للعَرْجيّ، والغِناء لعبد اللهِ بنِ العَبّاس الرَّبيعيّ ثقيل أول في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات، وهو من جيِّد الغِناء وفاخر الصنعة، ويقال: إنَّه أول شِعْر[4] صنعه، ولعزار[5] المكّيّ في الثّالث وما بعده ثاني ثقيل، عن يَحْيى المكّيّ وغيره، وفيه خفيف ثقيل يُنسَب إلى معبد وإلى ابن سُرَيْج وإلى الغَرِيض، وفيه لإبراهيم لَحْن من كتابه غير مجنّس، وأنا ذاكر ها هنا أخباراً لهذا الشِّعر من أخبار العَرْجيّ؛ إذ كان أكثرُ أخبارِه قد مضى سوى هذه.

---

(١) ف: «ليقتلن».

(٢) ف: «خطوطاً».

(٣) ف: «الشرّ».

(٤) ف: «إنه أول غناء صنعه».

(٥) ف: «ولغرار المكي».

/ بعض أخبار للعرجي

[٢١٧/١٩]

امرأة تتمثل بشعره

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع، قال: حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع، عن المدائنيّ، عن عبد الله بن سليم، قال: قال عبيد الله بن عمر العمريّ:

خرجت حاجًا فرأيتُ امرأةً جميلة تتكلم بكلامٍ رَفَثَت[1] فيه، فأدنيْتُ ناقتي منها، ثم قلت لها: يا أُمَةَ الله، ألستِ حاجّةً! أما تخافين الله! فسفَرت عن وَجْه يَبْهَر الشَّمسَ حُسناً، ثم قالت: تأمّلْ يا عَمّي، / فإني مِمّن عَنَى العَرْجيّ بقوله:

$\frac{١٢١}{١٧}$

مِـن الـلاءِ لـم يَحْجُجْـن يَبْغِيـن حِسْبَـةً ... ولكـن لِيَقْتُلْـنَ البـريءَ المُغَفَّـلا

قال: فقلتُ لها: فإني أسألُ اللهَ ألاّ يعذّب هذا الوجْهَ بالنّار. قال: وبلغ ذلك سَعِيدَ بنَ المُسَيّب فقال: أما واللهِ لو كان من بَعْض بُغَضاء أهلِ العِراق لقال لها: اعزُبِي قَبّحكِ الله، ولكنّه ظَرْف[2] عُبّاد الحِجاز.

وقد رُويت هذه الحكاية عن أبي حازِمِ بنِ دينار.

أخبرني به وَكِيعٌ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ زُهَير، قال: حدّثنا مُصعَبُ الزُّبيريّ، قال: حدّثني عبدُ الرّحمن بنُ أبي الحسن[3] وقد رَوَى عنه ابنُ أبي ذِئْب، قال:

بينَا أبو حازِم يَرمي الجمارَ إذ هو بامرأةٍ مُتَشَعْبِذة ـ يَعْني حاسِرَة ـ فقال لها: أيّتها المرأةُ استَتِري، فقالت: إنّي والله من اللّواتي قال فيهن الشّاعِرُ قولَه:

مِـن الـلاءِ لـم يَحْجُجْـنَ يَبْغِيـنَ حِسْبَـةً ... ولكـن لِيَقْتُلْـنَ البَـرِيءَ المُغَفَّـلا

وتـرمـي بَعيْنَيْهـا القُلـوبَ ولا تَـرَى ... لهـا رَميـةً لـم تُصـمِ منهـن مَقْتَـلا

[٢١٨/١٩] / فقال أبو حازِم لأصحابه: ادْعُوا اللهَ لهذه الصُّورة الحَسَنة ألاّ يعذّبها بالنار.

وأبو حازِم هذا هو أبو حازِم بن دِينار من وُجوه التّابعين، قد رَوَى عن سَهْل بن سَعْد وأبي هُرَيْرة، وروى عنه مالِكٌ وابنُ أبي ذئب ونُظَراؤُهما.

حدّثني عمّي، قال: حدثني الكُرانيّ، قال: حدثني العُمريّ، عن العُتْبيّ، عن الحَكم بنِ صَخْر، قال:

---

(١) رفث في كلامه: أفحش.
(٢) ف، مي، مد: «ولكنه أظرف عباد الحجاز».
(٣) ف: «عبد الله بن أبي الحنبش».

انصرفتُ من مِنًى فسَمِعت زَفْناً[1] من بعْض المَحامِل، ثم ترنَّمَت جارِية فتَغَنَّتْ:

مـن الّـلاءِ لـم يَحْجُجْـن يَبْغِيـن حِسْبـةً ولكـن لِيَقْتُلـنَ البـرِيءَ المُغَفَّـلا

فقلتُ لها: أهذا مكان هذا يَرحَمُك الله! فقالتْ: نعم وإيّاك أن تكونَه.



(١) زَفَن زفناً: رقص، وأصله الدفع الشديد والضرب بالرجل كما يفعل الراقص.

[٢١٩/١٩]

/ أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

نسبه

عبدُ الله بنُ العَبّاس بنِ الفَضْل بنِ الرَّبيع، والرّبيع ـ على ما يدّعيه أهلُه ـ ابنُ يونُس بن أبي فَرْوة، وقيل: إنه ليس ابنَه، وآلُ أبي فَرْوة يَدْفعون ذلك ويَزْعمون أنه لقيط، وُجِد منبوذاً، فكفله يونُس بن أبي فَرْوة وربّاه، فلما خَدَم المَنْصورَ ادّعى إليه[1]، وأخبارُه مذكورة مع أخبارِ ابنِه الفَضْل في شعر يُغَنّى به من شِعْر الفضل وهو:

* كنتُ صَبًّا وقَلْبيَ اليوم سالي *

ويُكنى عبدُ الله بنُ العَبّاس أبا العبّاس.

كان شاعراً مطبوعاً ومغنياً جيد الصنعة

وكان شاعِراً مَطْبوعاً، ومُغَنِّياً مُحسِناً جَيِّدَ الصَّنْعَةِ نادِرَها، حَسَن الرّواية، حُلْو الشعر ظَرِيفَه، ليس من الشِّعر الجَيِّد الجَزْل ولا من المَرْذُول، ولكنه شِعْر مَطْبوع ظَرِيف مليح المَذْهب، من أشْعار المُتْرفين وأولاد النِّعم.

حدّثني أبو القاسم الشّيربابكيّ[2] ـ وكان نَدِيماً لجَدّي يَحْيى بنِ محمد ـ عن يَحْيى بنِ حازم، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ العَبّاس الربيعيّ، قال:

دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثِق وأنا بَيْن يدَيْه أُغَنّيه، وقد استَعادَنِي[3] صوتاً فاستَحْسَنه، فقال له محمدُ بنُ عبد الملك: هذا واللهِ يا أمير المُؤمنين أولَى الناس بإقبالك عليه واستِحْسانك له واصْطناعك إيّاه، فقال: أجل، هذا مَوْلاي وابنُ مَوْلاي وابن مواليّ لا يعرفون غير ذلك، فقال له: ليس كلُّ مَوْلًى ـ يا أمير المؤمنين ـ / بوليٍّ [٢٢٠/١٩] / لمَواليه، ولا كلُّ مولًى مُتَجَمِّل بولائِه، يَجْمَع ما جمع عبدُ الله من ظَرْف وأَدَب وصِحّة عَقْل وجَوْدة شِعْر، فقال الحَسَن له: صَدقْتَ يا محمد. فلما كان من الغَدِ جِئتُ محمدَ بنَ عبد الملك شاكراً لمَحْضَرِه[4]، فقلت له في أضْعاف كلامي: وأفرَطَ الوزير ـ أعزه الله ـ في وَصْفِي وتَقْرِيظي بكُلّ شيء حتى وَصَفَني بجَوْدة الشِّعْر وليس ذلك عندي، وإنما أعبَثُ بالبَيْتَيْن والثّلاثة، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصَغُر عن أن يَصِفه الوزير، ومحَلُّه في هذا البابِ المَحلُّ الرفيعُ المَشهورُ، فقال: واللهِ يا أخي، لو عرفْتَ مِقدارَ شِعْرِك وقولك:

يا شادِناً رام إذ مَرّ في الشّعانين قَتْلي

(١٢٢/١٧)

---

(١) ادعى إليه: انتسب.

(٢) مي، مد: «السير بابكي». وفي ب: «السشير بابكي».

(٣) ب: «وقد استغنائي».

(٤) ف، مي: «شاكراً لحسن محضره».

يقـــول لـــــي: كَيْـــــفَ أَصْـبَـحـــتَ كيــفَ يُصبِـــحُ مِثْلـــي!

لَما قلتَ هذا القول، والله لو لم يَكُن لك شِعر في عُمْرك كله إلا قولك: «كيف يُصبِح مِثْلِي» لكنتَ شاعراً مُجيداً.

حدَّثني جَحْظَة، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ الطَّيِّب، قال: حدَّثني حَمَّادُ بنُ إسحاق، قال:

سمِعتُ عبدَ الله بنَ العَبَّاس الرَّبيعيّ يقول: أنا أوَّلُ مَنْ غَنَّى بالكَنْكلَة[1] في الإسلام ووضَعْتُ هذا الصوتَ عليها:

أتــانــي يُــؤامِــرُنــي فــي الصَّبُــو ح ليـــلاً فقلـــتُ لـــه: غـــادِهـــا

/ سبب تعلمه الغناء [١٩/٢٢١]

حدثني جعفرُ بنُ قُدامة، قال: حدَّثنا عليُّ بنُ يَحْيَى المنجّم، قال: حدَّثني عبد الله بنُ العبّاس الربِيعيُّ، قال:

كان سَببَ دخولي في الغِناء وتَعلُّمِي إياه أنّي كنتُ أهوَى جاريةً لعمَّتِي رُقيّة بنتِ الفَضْلِ بنِ الرّبِيع، فكنتُ لا أقدِر على ملازمتها والجُلوسِ معها خوفاً من أن يَظْهر ما لها عندي فيكونُ ذلك سببَ مَنعِي منها، فأظهرتُ لعمَّتي أنني أَشْتَهِي أن أتعلَّم الغِناءَ ويكون ذلك في سِتْر عن جَدِّي، وكان جَدّي وعَمَّتي في حال من الرِّقة عليَّ والمَحبّة لي لا نهايةَ وراءَها، لأنّ أبي تُوفِّي في حياة جَدِّي الفَضْل، فقالت: يا بُنيَّ، وما دعاك إلى ذلك؟ فقلت: شَهْوة غَلَبت على قَلْبي إن مُنِعتُ منها مُتُّ غَمًّا، وكان لي في الغناء طَبْعٌ قَوِيّ، فقالت لي: أنت أعلمُ وما تَختاره، والله ما أُحِبّ منعَك من شيء، وإني لكارهة أن تَحْذِق ذلك وتُشهر به فتَسْقُط ويَفتَضِح أبوك وجَدُّك، فقلت: لا تخافي ذلك، فإنما آخُذ منه مِقْدارَ ما أَلْهو به، ولازَمْتُ الجارية لمحبّتي إيَّاها بِعلَّة الغِناء، فكنتُ آخُذ عنها وعن صواحباتها حتى تقدَّمْتُ الجَماعة حِذْقاً، وأقرِرْنَ لي بذلك، وبلغتُ ما كنتُ أُريد من أمر الجارية، وصِرتُ أُلازِم مَجْلسَ جَدّي فكان يُسَرُّ بذلك ويَظُنُّه تَقرُّباً مني إليه، وإنما كان وَكْدي فيه أَخْذَ الغِناء، فلم يكن يمرُّ لإسحاق ولا لابْنِ جامع ولا للزُّبَيْر بن دُحْمان ولا لغيرهم صَوتٌ إلا أخذتُه، فكنت سريعَ الأخذِ، وإنما كنتُ أَسمَعُه مرّتين أو ثلاثاً، وقد صَحّ لي وأحسَسْت من نفسِي قُوّةً في الصِّناعة، فصنَعْتُ أولَ صَوْت صنَعْتُه في شِعْر العَرْجِيّ:

أمــاطَــتْ كِســاءَ الخَــزِّ عــن حُــرِّ وَجْهِهــا وأدنــت علــى الخَــدَّيــن بُــرْداً مُهَلْهَــلا

ثم صنعت في:

أَقْفَــــر مــــن بَعْــــد خُلَّـــــةٍ سَــــرِفُ فــالمُنحنَــى فــالعَقِيــقُ فــالجُــرُفُ[2]

/ وعَرَضْتُهما على الجارية التي كنت أهواها وسألْتُها عمّا عندها فيهما، فقالت: لا يَجُوزُ / أن يكونَ في الصَّنْعة شيءٌ فوق هذا، وكان جَوارِي الحارثِ بنِ بُسْخُنَّر[3] وجواري ابنِه محمد يَدْخُلْن إلى دارنا فيَطْرَحْن على جَواري [١٩/٢٢٢] [١٢٣/١٧]

---

(١) مي، مد: «بالكبكلة». وفي المختار: «بالكلكلة». وجاء في مقال للأستاذ بهجت الأثري عضو المجمع اللغوي عنوانه «الألفاظ الحضارية ودلالتها التاريخية»: الكنكلة: آلة طرب هندية ذات وتر واحد يمر على قرعة فيقوم مقام أوتار العود «عن كتاب فخر السودان على البيضان للجاحظ»، أو لعلها نغمة من نغمات الموسيقى أو آلة من آلات الطرب عرفها العباسيون واستعملوها في أواخر القرن الثاني. وانظر «نهاية الأرب» للنويري ٥: ٢٢.

(٢) سرف والمنحنى والعقيق والجرف: مواضع. وفي ب: «من بعد حلة».

(٣) ب: «بشخير».

عَمَّتي وجَوارِي جَدِّي ويأخُذْنَ أيضاً مِني ما ليس عندهن من غِناء دارِنا، فسَمِعْنَني أُلقِي هذين الصَّوْتين على الجارية، فأخذْنَهما مِنِّي وسألن الجارِيَةَ عنهما، فأخبرتهن أنهما من صَنْعتي، فسألْنها أن تُصَحِّحَهما لَهنّ، ففعلَتْ فأخذْنهما عنها، ثم اشتهر حتى غُنِّيَ الرَّشيدُ بهما يوماً، فاستَظْرَفهما وسأل إسحاقَ: هل تَعْرفهما؟ فقال: لا، وإنّهما لمن حسن الصَّنعة وجَيِّدها ومُتقنَها، ثم سأل الجاريةَ عنهما فتوقَّفَتْ خوفاً من عَمَّتي وحذَراً أن يبلُغ جَدّي أنها ذكرتْنِي، فانتهرَها الرشيد، فأخبرته بالقصة.

جدّه ينفي معرفته بأنه يغني

فوجَّه من وقته فدعا بجَدِّي، فلما أحضره قال له: يا فضل، يكونُ لك ابنٌ يُغَنِّي ثم يبلغ في الغِناء المَبْلغ الذي يُمكِنه معه أن يَصْنع صوتَيْن يستَحْسِنهما إسحاقُ وسائر المُغَنِّين ويتداوَلُهما جَوارِي القِيان ولا تُعلِّمني بذلك؟ كأنك رفعت قَدْرَه عن خِدمَتي في هذا الشأن! فقال له جَدِّي: وحَقِّ ولائك يا أميرَ المؤمنين ونِعْمتِك، وإلاّ فأنا نَفِيٌّ منهما بريء من بَيْعَتك[1] وعليّ العَهْد والميثاق والعتْق والطَّلاق، إن كنتُ عَلِمْتُ بشيء من هذا قَطّ إلا منك السَّاعَة، فمَنْ هذا مِنْ ولدي؟ قال: عبدُ الله بنُ العَبّاس هو، فأحضِرْنيه السَّاعة. فجاء جَدّي وهو يكاد أن يَنْشَقّ غَيْظاً، فدعاني، فلمَّا خرجتُ إليه شتَمَني وقال: يا كَلْب، بلَغ من أمْرك ومِقدارِك أن تَجْسُر على أن تَتَعَلَّم الغِناء بغَيْر إذْني، ثم زاد ذلك حتى صَنَعتَ، ولم تَقنَع بهذا حتى ألقَيْتَ صَنْعتك على الجوارِي في داري، ثم تجاوَزْتَهن إلى جَوارِي الحارث بن بُسْخُنّر، فاشتهرْتَ وبلغ أمرُك أميرَ المؤمنين، فتَنكَّر لي ولا مني وفضحْتَ آباءَك / في قُبورِهم، وسقَطْتَ الأبدَ إلا من المُغَنِّين وطبقة الخُنْياكرين[2]. فبكَيْتُ غَمًّا بما جرى، وعَلِمتُ أنه قد صَدَق، فرحِمني وضَمَّني إليه وقال: قد صارَت الآن مُصيبَتي في أبيك مصيبَتَيْن: إحداهُما به وقد مضى وفات، والأخرى بك وهي موصولة بحياتي، ومصيبة باقيةُ العارِ عليَّ وعلى أهْلِي بعدِي، وبكى وقال: عزَّ عليَّ يا بنيّ أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أُحِبّ، وليست لي في هذا الأمرِ حِيلَة، لأنّه أمرٌ قد خرج عن يدي، ثم قال: جِئْني بعُودٍ حتى أسمَعك وأنظُر كيف أنت، فإن كنت تصلُح للخِدْمة في هذه الفَضيحة، وإلا جِئتُه بك منفرداً وعرَّفتُه خبرَك واستَعْفَيْته لك، فأتيتُه بعُودٍ وغَنَّيْتُه غناءً قديماً، فقال: لا، بل غَنِّني صوتَيْك اللذين صنعتَهما، فغنَّيْتُه إيَّاهما فاستَحْسَنَهما وبكى، ثم قال: بَطَلتَ والله يا بُنيّ وخاب أملي فيك، فواحَزَنِي عليك وعلى أبيك! فقلت له: يا سيِّدي، ليتني مِتّ من قبل ما أنكرته أو خَرِسْتُ، وما لي حِيلَة ولكِنّي وحَياتك يا سَيِّدي، وإلا فعَلَيَّ عهدُ الله وميثاقه والعِتْق والطَّلاقُ وكلّ يمين يَحْلِف بها حالِف لازِمةٌ لي، لا غَنَّيْتُ أبداً إلا لخَلِيفة أوولِيّ عَهْد، فقال: قد أحسنْتَ فيما نَبَهت[3] عليه من هذا.

غنى أمام الرشيد فطرب وكافأه وكساه

ثم رَكِب وأمرني، فأحضِرت فوقَفت بين يَدَي الرَّشيد وأنا أُرعَد فاستَدْناني حتى صرت أقربَ الجماعة إليه ومازَحَني وأَقْبل عليَّ وسَكَّن مِنّي، وأمر جَدِّي بالانصراف وأمر الجَماعة فحدَّثُوني[4]، وسُقِيتُ أقداحاً وغَنى المُغنُّون جميعاً، فأومأ إليَّ إسحاقُ الموصِلِيُّ بعَيْنه / أن ابدأ فغَنِّ إذا بلَغت النَّوبةُ إليك قبل أن تُؤْمَر بذلك، ليَكُون ذلك أصلحَ

---

(١) ف: «بريء من تبعتك».

(٢) خنياكر: كلمة فارسية بمعنى المطرب والمُوسيقيّ.

(٣) ف: «تنبهت عليه من هذا».

(٤) ف، المختار: «وأومأ إلى الجماعة فخدموني».

وأجودَ بك، فلما جاءت النَّوبةُ إليَّ أخذتُ عُوداً مِمَّن كان إلى جنبي وقمت قائماً واستأذَنتُ في الغِناء، فضَحِك الرشيد وقال: غَنِّ جالِساً، فجلَسْت وغَنَّيت لحني الأوّل / فطرب واستعاده ثلاثَ مرّات، وشرب عليه ثلاثةَ أنْصاف، [٢٢٤/١٩] ثم غَنَّيتُ الثاني، فكانت هذه حاله، وسَكِر، فدعا بمَسْرُور فقال له: احمِل السّاعةَ مع عبد الله عَشَرَةَ آلافِ دينار وثلاثين ثَوباً من فاخر ثيابي، وعَيْبةً مملوءة طِيباً، فحُمِل ذلك أجمَع معي.

المعتصم يأمره بالتكفير عن يمينه والغناء لأصحابه جميعاً

قال عبدُ الله: ولم أزَل كُلَّما أراد وليُّ عَهْد أن يَعْلَم مَن الخليفة بَعْد الخليفة الوالي أهُو أم غيره دعاني فأمرني بأن أُغنِّي، فأعرّفه بيميني، فيَسْتَأذِن الخليفةَ في ذلك، فإن أذن لي في الغِناء عنده عرف أنه وَلِيُّ عَهْد، وإلاّ عرَف أنه غيرُه حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أيّام المُعتَصِم وسأله أن يأذَن لي في الغِناء، فأذِن لي، ثم دعاني من الغَدِ فقال: ما كان غِناؤُك إلا سَبباً لظُهور سِرّي وسِرّ الخلفاء قَبْلي، ولقد هَمَمْتُ أن آمرَ بضَرْب رَقَبتك. لا يبلُغني أنّك امتنَعْتَ من الغِناء عند أحد، فوالله لئن بَلَغني لأقتُلَنّك، فأعتِقْ مَنْ كنت تَملِكه يوم حَلفْت، وطَلق مَنْ كان يوجد عندك من الحرائر، واستبدِل بهنّ وعليَّ العِوَض من ذلك، وأرِحْنا من يمينك هذه المشؤومة، فقمتُ وأنا لا أعقِل خوفاً منه، فأعتقْتُ جميعَ مَنْ كان بَقِي عندي من مماليكي، الذين حَلفْتُ يومئذ وهم في مِلْكي، وتصدَّقت بجُملة، واستفتَيْت في يميني أبا يوسُف القاضي حتى خَرجْت منها، وغنّيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمْرِي، وبلغ المُعْتَصم خَبَري، فتخلَّصت منه، ثم غَضِب عليَّ الواثقُ لشيء أنكَره، ووَلِيَ الخلافةَ وهو ساخِطٌ عليَّ فكتبتُ إليه:

اذكُـرْ أميـرَ المـؤمنيـن وسـائلـي[١] أيـامَ أرهَـبُ سَطْـوةَ السَّيْـفِ
ادعُـو إلهـي أن أراكَ خليفَـةً بيـنَ المقـامِ ومسجـدِ الخَيْـفِ

فدعاني ورَضِي عَنّي.

/حدّثني سُليمانُ بن أبي شَيخ قال: [٢٢٥/١٩]

دخلتُ على العَبّاس بنِ الفَضل بن الربيع ذات يوم وهو مُختَلِط مُغْتاظ وابنُه عبدُ الله عنده، فقلت له: ما لك أمتَع اللهُ بك؟ قال: لا يُفلِح والله ابني عبدُ الله أبداً. فظنَنْتُه قد جَنى جِنايَةً، وجَعَلت أعتَذِر إليه له، فقال: ذنبُه أعظَم من ذلِك وأشنَع، فقلت: وما ذَنْبه؟ قال: جاءَني بعضُ غلماني فحدَّثني أنه رآه بقُطْرُبُّل يشرب نَبيذَ الدّاذِيّ[٢] بغير غناء، فهل هذا فِعْل من يُفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سهَّلتَ عليَّ القِصَّة، قال: لا تَقُل ذاك فإنَّ هذا من ضَعَة النَّفس وسُقُوط الهِمَّة، فكنتُ إذا رأيتُ عبدَ الله بعد ذلك في جُمْلة المُغَنِّين، وشاهَدْتُ تَبذُّلَه في هذه الحال وانْخفاضَه عن مراتب أهلِه تذكّرتُ قَولَ أبيه فيه.

صنع غناء في شعر لأبي العتاهية وغناه

قال: وسمِعْتُه يوماً يغني بصَنْعته في شِعْر أبي العتاهِية:

(١) المختار: «رسائلي».

(٢) الداذي: شراب الفساق. وفي ف: «يشرب الداذيّ».

صوت

أنا عبدٌ لها مُقِرٌّ وما يَملِكُ غيرُها من النّاس رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أر زق منها والحمدُ للهِ عِتْقا
ليتني مُتُّ فاسترحتُ فإنّي أبداً ما حَيِيتُ منها مُلقّى

[١٢٥/١٧] / لَحْن عبدِالله بنِ العَبّاس في هذا الشّعر رمل.

إسحاق الموصلي يصنع له لحناً من شعره

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة، قال: حدّثني عليُّ بنُ يحيى وأحمدُ بن حَمْدون، عن أبيه. وأخبرني جَحْظةُ، عن [١٩/٢٢٦] أبي عبد الله الهاشميّ، أنَّ إسحاقَ المَوْصليّ دخل يوماً إلى الفضل / بن الرّبيع وابن ابنه عبدُ الله بنُ العَبّاس في حِجره قد أخرج إليه وله نحو السّنتَين، وأبوه العَبّاس واقف بين يدَيه، فقال إسحاقُ للوقت:

مَدّ لك اللهُ الحياةَ مَدّاً حتى يكونَ ابنُكَ هذا جَدّا
مُؤَزَّراً بمَجْده مُرَدّى ثم يُفدّى مثلَ ما تُفدّى
أشْبَه منك سُنّةً[1] وخَدّاً وشِيَماً محموداً ومَجْدَا

* كأنّه أنتَ إذا تبَدّى *

قال: فاستَحسن الفَضلُ الأبيات وصنع فيها إسحاقُ لحنَه المشهور، وقال جَحْظة في خبره عن الهاشميّ، وهو رمل ظريف من حسَن الأرمال ومُختارها، فأمر له الفَضلُ بثلاثين ألف دِرْهم.

أصبح العباس بن الفضل مهموماً فنشطه الشعر والشراب

أخبرني جعفرُ بن قُدامةَ، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ عمر، قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ مالك، قال:

حدّثني بعضُ نُدَماء الفضل بن الربيع قال: كنا عند الفضل بن الربيع في يوم دَجْن، والسماءُ ترُشّ[2] وهو أحسَنُ يوم وأطيبُهُ، وكان العَبّاس يومئذ قد أصبح مَهموماً، فجَهِدنا أن ينشَط، فلم تكُن لنا في ذلك حِيلَة، فبيْنا نحن كذلك إذ دَخل عليه بعضُ الشعراء، إمّا الرَّقاشِيّ وإمّا غيرُه من طَبَقته، فسَلّم وأخذ بِعِضادتي الباب ثم قال:

ألا أنْعِم صَباحاً يا أبا الفَضْل[3] واربَعِ على مربع القُطربُليّ المُشَعْشَعِ
وعلّل نَداماك العِطاشَ بقَهْوةٍ لها مصرعٌ في القَوْم غيرُ مروَّعِ
فإنك لاقٍ كُلّما شِئتَ لَيْلَةً ويوماً يُغصّان الجفونَ بأدْمُعِ

[١٩/٢٢٧] / قال: فَبكى العبّاس وقال: صدَقتَ والله، إن الإنسان ليَلْقَى ذلك متى يَشاء، ثم دَعَا بالطّعام فأكَل، ثم دعا بالشّراب فشَرِب ونَشِط، ومرَّ لنا يَومٌ حسَنٌ طَيّب.

---

(١) السنة: الوجه أو الجبهة.

(٢) ف: «تطش». وفي مد: «تبخش». وفي مي: «تبخر».

(٣) ت: «أيها الفضل».

وسط أحمد بن المرزبان المنتصر

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ المرزبان، قال:

جاءَني عبدُ الله بنُ العبّاس في خِلافةِ المُنْتَصر وقد سألني عَرْضَ رُقعَة عليه، فأُعلِم أنّي نائمٌ، وقد كنتُ شَرِبت باللّيل شُرْباً كثيراً، فصَلّيْت الغَداة ونمت، فلما انتبهتُ إذا رُقعَة عند رَأْسي وفيها مكتوب:

أنا بالبابِ واقفٌ مُنْذُ أصبَحْتُ على السّرج مُمْسِكٌ بعِنانِي
وبعينِ البوّابِ كُلُّ الذي بي ويَراني كأنّه لا يَراني

فأمرتُ بإدْخاله، فدَخَل، فعرّفتُه خبري واعتذَرتُ إليه وعرضتُ رقعتَه على المُنْتَصِر وكلّمتُه حتى قضَى حاجَتَه.

غناؤه مع إسحاق

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزْهر، قال: حدثنا حمّادُ بنُ إسحاق، قال:

دعا عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعيُّ يوماً أبي، وسأله أن يُبْكِر إليه[1] ففعَل، فلما دَخل بادر إليه عبدُ الله بنُ العبّاس مُلْتَقِياً وفي يَدِه العُود وغنّاه:

قُمْ نَصْطَبِح يَفْدِيك كُلُّ مُبَخّلٍ عابَ[2] الصّبوحَ لحُبّه لِلمالِ
من قَهْوةٍ صفراءَ صِرْفٍ[3] مُزّةٍ قد عُتّقت في الدَّنِّ مُذْ أحوالِ

/ قال: وقُدّم الطّعامُ فأكَلْنا واصطَبَحْنا، واقترح أبي هذا الصّوتَ عليه بقيّة يومه.

١٢٦/١٧
[٢٢٨/١٩]

/ يناشد الشعر مع إسحاق بعد أن غني

قال: وأتيتُه في داره بالمَطِيرة[4] عائداً، فوجدتُه في عافية، فجلسنا نتحدّثُ فأنشدْتُه لذِي الرُّمّة:

إذا ما امرؤٌ حاولْنَ أن يَقْتَتِلْنَه بلا إِحْنَةٍ بين النّفوس ولا ذَحْلِ
تبسّمْنَ عن نَوْر الأقاحِيّ في الثّرَى وفتّرن عن أبصار مَكْحُولةٍ نُجْلِ
وكَشّفْن عن أجياد غِزْلانِ رَمْلَةٍ هِجانٍ فكان القَتْلُ أو شُبْهَة[5] القَتْلِ
وإنّا لنَرضَى حين نَشْكُو بخَلْوةٍ إليهن حاجاتِ النُّفوس بلا بَذْلِ
وما الفَقْرُ أزرَى عندهنّ بوصْلِنا ولكن جَرَت أخلاقُهنّ على البُخْلِ

قال: فأنشدَني هو:

أنّى اهْتَدَتْ لمُناخِنا[6] جُمْلُ ومن الكرى لعُيُوننا كُحْلُ

---

(١) ب: «يبكر عليه».
(٢) ب: «دأب الصبوح».
(٣) ب: «صفر مرة».
(٤) المطيرة: قرية من نواحي سامراء، كانت من متنزهات بغداد وسامراء.
(٥) ف: «أو شبه». وفي مي، مد: «مشبه القتل».
(٦) المناخ: محل الإقامة.

طَرَقَتْ أَخَا سَفَرٍ وناجِيَةً ... خرقاء عرَّقني بها الرَّحلُ[1]
في مَهْمَهٍ هَجَع الدليلُ به ... وتَعَلَّلَتْ بصريفها البُزْلُ[2]
فكأنَّ أحدثَ مَن أَلمَّ به ... درجَت على آثاره النَّملُ

قال إسحاق: فقال لي عبد الله بنُ العبّاس: كلُّ ما يَملك في سبيل اللهِ إن فارقتُك ولم تَصْطَبِح على هذين الشِّعْرَين، وأُنشِدُك وتُنشِدُني، ففعَلْنا ذلك وما غَنَّينا ولا غُنِّينا.

اصطبح مع خادم صالح بن عجيف على زنا بنت الخس

أخبرني محمدُ بن مَزْيد، قال: حدّثنا حمّادُ بن إسحاق، عن أبيه، قال:

[١٩/٢٢٩] / لقيتُ عبدَ الله بنَ العباس يوماً في الطّريق فقلتُ له: ما كان خَبَرُك أمس؟ فقال: اصْطحبتُ، فقلت: على ماذا ومع مَنْ؟ فقال: مع خادم صالح بنِ عُجَيْف، وأنت به عارف، وبخَبري معه ومحَبَّتي له عالم، فاصطَبَحْنا على زِنا بِنْت الخُسِّ[3] لمّا حَمَلتْ من زِناً، وقد سُئِلت: ممَّن حَمَلت؟ فقالت:

أَشَمُّ كغُصْن البان جَعدٌ مرجَّلٌ ... شُغِفْتُ به لو كان شيئاً مُدانيا
ثكِلتُ أبي إن كُنتُ ذُقتُ كَرِيقِه ... سُلافاً ولا عَذْباً من الماء صافِيا[4]
وأُقسِم لو خُيِّرتُ بين فِراقه ... وبين أبي لاخترتُ أن لا أبالِيا
فإن لم أُوسَّد ساعِدي بَعْد هَجْعةٍ[5] ... غُلاماً هِلاليّاً فشُلَّت بَنانِيا[6]

فقلتُ له: أقمتَ على لِواطٍ وشربتَ على زِنا، واللهِ ما سَبَقَك إلى هذا أحد.

طلب من فائز غلام محمد بن راشد الغناء وهم يشربون

أخبرني محمدُ بنُ العَبّاس اليزيديّ، قال: أخبرني مَيْمُون بنُ هارون، قال:

كان محمدُ بنُ راشد الخَنّاق عند عبد اللهِ بنِ العَبّاس بن الفَضْل بنِ الرّبيع على القاطُول في أيام المُعْتَصِم، وكان لمحمد بن راشِد غُلامٌ يقال له: فائز، يُغنّي غِناءً حسَناً، فأظلَّتْهم سَحابةٌ وهم يشربون، فقال عبدُ الله بنُ العَبّاس:

محمدُ قد جادتْ علينا بمائِها ... سحابةُ مُزنٍ بَرقُها يتهلَّلُ
ونحن من القاطُولِ في مُتَربَّعٍ ... ومنزلُنا فيه المَنابِتُ مُبقِلُ[7]
فمُر فائزاً يشدُو إذا ما سَقَيْتني ... أعن ظُعُن الحَيّ الأُلَى كُنتَ تَسألُ
ولا تَسقِني إلا حلالاً فإنّني ... أعافُ من الأشياءِ ما لا يُحَلَّلُ

(١) ف، مد: «عرّق نيّها الرحل». وفي مي: «عرق قتبها». والناجية: الناقة السريعة.

(٢) المهمه: المفازة البعيدة، والصريف: صرير ناب البعير، والبزل جمع بازل، وهو البعير الذي انشق نابه بدخوله في السنة التاسعة.

(٣) ب: «الحسن». وفي مي، مد: «الخنس».

(٤) ف: «سلافا ولا ماء من المزن صافياً».

(٥) ف: «بعد رقدة».

(٦) المختار: «فشلت يميناً».

(٧) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وكان في موضع سامراء قبل أن تعمر وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر. (معجم البلدان). وفي ب: «ومنزلنا جم المذانب مبقل».

/ قال: فأمر محمدُ بنُ راشدٍ غلامَه فائزاً، فغنّاه بهذا الصوت، وشَرِب عليه حتى سَكِر. [١٩/ ٢٣٠]

١٢٧/١٧

قال: وكان أبو أحمَد بن الرّشيدِ قد عَشِق فائزاً، فاشْترَاه من محمد بن راشِد بثلاثمائة ألْف دِرْهم، فبلغ ذلك المأمونَ، فأمَر بأنْ يُضْرب محمدُ بن راشد ألْف سَوْطٍ، ثم سُئِل فيه فكَفَّ عنه، وارتجَع منه نِصْفَ المال، وطالبَه بأكثَرَ فوجدَه قد أنفَقَه وقَضى دَيْنَه، ثم حَجَر على أبي أحمد بن الرَّشيد، فلم يَزَل مَحجُوراً عليه طَوال أيام المأمون؛ وكان أمرُ مالِه مَرْدُوداً إلى مَخْلَد بن أبان.

شرب الخمر في ليلة من رمضان إلى الفجر

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ، قال: حدَّثَنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه، قال: أخبرَني ابنُ الجُرْجَانيّ [١]، قال:

اتفَق يوم النيروز في شَهْر رمضان، فشَربَ عبدُ الله بن العَبّاس بن الفَضْل في تلك اللَّيلة إلى أن بَدَا الفَجْر أن يَطْلُع، وقال في ذلك وغَنّى فيه قوله:

اسقِنــي صفـــراءَ صـــافيــةً ... ليلـــةَ النَّيْـــروزِ والأحـــدِ

حـــرَّم الصَّـــوْمُ اصطبـــاحَكُمـــا ... فتـــزوَّد شُـــرْبَهـــا لغَـــدِ

صنع لحناً للواثق وغناه في يوم نيروز فلم يستعد غيره

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثَنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدّثني إبراهيم بن المُدبِّر، قال:

قال لي محمدُ بنُ الفَضل الجرجانيّ: أنشدتُ عبدَ الله بنَ العَبّاس الرّبِيعيّ للمُعَلّى الطائيّ:

بـــاكِـــرْ صَبـــوحَـــك صَبْحَـــة النَّيْــروزِ ... واشـــرَبْ بكَـــأسٍ مُتْـــرَعٍ وبكـــوزِ

ضَحِـــك الـــربيـــعُ إليـــك عـــن نُـــوّارِه ... آسٍ ونَسْـــرِيـــنٍ ومَـــرْزَمـــاحُـــوزِ

فاستعادَنِيهما فأعدتُهما عليه، وسألني أن أُمليَهما، وصنَع فيهما لَحْناً غَنّى به الواثِقَ في يوم نَيْروز، فلم يستَعِد غيرَه يومئذ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

/ تأثر من شعر لجميل إلى أن بكى [١٩/ ٢٣١]

أخبرني جَعْفَر بنُ قُدامَة، قال: حدَّثني عليُّ بن يحيى، قال:

أنشدني عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضل بن الرَّبيع لجميل، وأنشَدَنيه وهو يَبْكي ودموعُه تَنْحَدِر على لحيتِه.

صوت

فمـــا لـــكِ لمـــا خَبَّـــر النـــاسُ أنَّنـــي ... غَـــدَرتُ بظَهـــر الغيـــب لـــم تَسَلِينـــي [٢]

فـــأحلِـــفَ بَتّـــاً أو أجـــيءَ بشـــاهِـــدٍ ... مـــن النـــاس عَـــدْلٍ إنَّهـــم ظَلَمُـــونـــي

قال: وله فيه صَنْعَة من خفيف الثَّقيل وخفيف الرمل.

---

(١) ف: «ابن الجرجراني».

(٢) ب: «لم تسأليني»، وهو بذلك يختل وزنه.

كان مصطبحاً دهره ويقول الشعر في الصبوح

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثَني عبيد الله بنُ محمد بنِ عبد المَلك الزّيات، قال: حدّثنا نافِذٌ مولانا، قال:

كان عبدُ الله بنُ العَبّاس صديقاً لأبيك، وكان يُماشِره كثيراً، وكان عبدُ الله بن العباس مُصْطبِحاً دهرَه لا يفوتُه ذلك إلّا في يوم جُمُعة أو صَوْم شَهْر رمضان، وكان يُكثِر المدْحَ للصَّبوح ويقول الشِّعر فيه، ويغَنّي فيما يقوله، قال عبيد الله: فأنشدَني نافِذٌ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك، منهُم حَمّاد بن إسحاق:

صوت

ومُسْتَطِيلٍ على الصَّهْبَاءِ باكرها ... في فِتْيَةٍ باصْطِباح الرَّاح حُذّاقِ

فكُلُّ شيءٍ رآه خالَه[1] قَدَحاً ... وكُلُّ شَخْص رآه خَالَه[1] الساقِي

قال: ولَحْنه فيه خفِيف رمل ثقيل. قال حَمّاد: وكان أبي يَسْتَجِيد هذا الصَّوْت من صنعَتِه/، ويستَحْسِن شِعرَه ويَعجَب من قَوْله: ([١٢٨/١٧])

/ فكُلُّ شَيْءٍ رآه خالَهُ قَدَحاً ... وكُلّ شَخْصٍ رآه خَالَه السّاقِي ([٢٣٢/١٩])

ويعجب من قوله:

* ومُسْتَطِيل على الصَّهْباءِ باكَرَها *

ويقول: وأيُّ شَيْءٍ تَحْتَه من المعاني الظريفة!.

قال: وسَمِعه أبي يغَنّيه فقال له: كأنَّك واللهِ يا عبدَ الله خَطِيبٌ يخطب على المِنبر، قال عبد الله بنُ محمد: فأنشَدنِي حَمّادٌ له في الصَّبوح:

لا تعذِلَنْ في صَبُوحِي ... فالعَيْش شُرْبُ الصَّبُوحِ

ما عابَ مُصْطَبِحاً قَـ ... ـطّ غَيْرُ وَغْدٍ شَحِيحِ

قال عَمّي: قال عُبَيد الله: دخل يوماً عبدُ الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيُّ على أبي مُسْلِماً، فلما استقرَّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له: أنشِدني شَيْئاً من شعرك، فقال: إنما أعبث ولستُ مِمَّن يقدُم عليك بإنشاد شِعْره، فقال: أتقولُ هذا وأنت القائل:

يا شادِناً رامَ إذ مرَّ في الشَّعانين قَتْلي

تَقول لي: كَيْف أصبَحْت؟ كَيْفَ يُصْبِح مِثْلي!

أنتَ واللهِ أعزّك اللهُ أغزلُ الناس وأرقُّهم شِعراً، ولو لم تَقُل غيرَ هذا البيت الواحد لكفاك ولكُنتَ شاعراً.

كتب شعراً في ليلة مقمرة وصنع فيه لحناً

أخبرني عمّي والحُسَيْن بن القاسم الكوكَبيّ، قالا: حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: حدَّثَني أحمدُ بن الحُسَين الهِشاميّ[2] أبو عبد الله، قال:

---

(١) التجريد: «ظنه».

(٢) ف: «الهاشمي».

حدَّثني عبدُ الله بنُ العَبَّاس بنِ الفَضْل بنِ الرَّبيع قال:

/ كنتُ جالِساً على دِجْلةَ في لَيْلة من اللّيالي، وأخذتُ دَواةً وقِرطاساً وكتبتُ شِعراً حَضَرني وقُلْتُه في ذلك [١٩/٢٣٣] الوَقت:

صوت

أخلفَك الدهرُ ما تَنظُرُه ... فاصبِر فذا جُلّ أمْرِ ذا القَدَرِ[1]

لَعلّنا أن نُديل من زَمَنٍ[2] ... فرَّقنا والزَّمانُ ذُو غِيَرِ

قال: ثم أُرتِجَ عليَّ فلم أدْرِ ما أقول حتى يَئِسْت من أن يَجِيئَني شَيْء، فالتفتُّ فرأيتُ القمر وكانت ليلة تَتِمّتِه فقلت:

فانْظُر إلى البَدْر فهو يُشبِهُه ... إن كان قد ضَنَّ عنك بالنَّظَر

ثم صنعت فيه لَحْناً من الثَّقيل الثاني. قال أبو عبد الله الهشاميّ: وهو والله صوت حَسَن.

وصف البرق وصنع فيه لحناً غناه للواثق

أخبرني جَحْظَةُ عن ابنِ حَمْدون، وأخبرني به الكَوكَبيّ، عن عليّ بنِ محمد بنِ نَصْر، عن خالدِ بن حَمْدون، قال:

كنَّا عند الوَاثِق في يوم دَجْن، فلاح بَرْق واستَطار، فقال: لو في هذا شَيء[3]، فبدَرَهم عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع، فقال هَذَيْن البَيْتين:

أعنّي على لامعٍ بارِقٍ ... خفيٍّ كلمْحِك بالحاجِبِ

كأنّ تألُّقَه في السَّماء ... يَدا كاتِبٍ أو يَدا حاسِبِ

/ وصنع فيه لَحْناً شَرِب فيه الواثقُ بقِيَّةَ يومه، واستَحْسَن شعرَه ومعناه وصَنْعَته، ووصل عبد الله بصِلةٍ سَنِيَّة. [١٩/٢٣٤]

صنع لحناً في شعر الحسين بن الضحاك وغناه

حدَّثني عمّي، قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدَّثني محمدُ / بن محمد بن مروان، قال: حدَّثني ١٢٩/١٧ الحُسَين بنُ الضَّحَّاك، قال:

كنتُ عند عبد الله بن العَبَّاس بنِ الفضل بن الرَّبيع، وهو مُصْطَبِح، وخادمٌ له قائمٌ يَسْقِيه فقال لي: يا أبا عليّ، قد استَحْسنتُ سَقْيَ هذا الخادم، فإن حَضَرك شيءٌ في قِصَّتِنا هذه فقل، فقلت:

أحيَتْ صَبوحِي فُكاهةُ اللاّهي ... وطاب يومي بقُرْب أشْباهي

فاستَثِر اللهوَ من مَكامِنه ... من قبل يومٍ مُنغّصٍ ناهي

بابنة كَرْمٍ من كَفِّ مُنتَطِقٍ ... مُؤتَزِرٍ بالمُجون تَيّاهِ

---

(١) ف: «فاصبر فهذي جرائر القدر».

(٢) أدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه. وفي ف: لعلنا أن نُدال».

(٣) ف: «قولوا في هذا شيئاً». وفي مي، مد: «لو أن في هذا شيئاً».

يَسقِيك مـن طَـرْفِـه ومـن يَـدِه[1] سَقْـيَ لطيـفٍ مُجـرّبٍ داهِـي
طـاسـاً وكـاسـاً[2] كـأنَّ شـاربَهـا حَيـرانُ بيـن الـذُّكُـورِ والسَّـاهِـي

فاستَحْسَنه عبدُ الله، وغنَّى فيه لَحْناً مليحاً، وشَرِبْنا عليه بَقِيَّة يومنا.

قصته مع جارية نصرانية أحبها

أخبرني عَمّي، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمدُ بنُ المَرْزُبان بن الفَيْرزان[3]، قال: حدَّثني شَيْبَةُ بنُ هشام، قال:

كان عبدُ الله بنُ العَبّاس بنِ الفَضْل بن الرَّبِيع قد عَلِق جارِيةً نَصْرانيّةً قد رآها في بعض أعيادِ النّصارى، فكان لا يُفارِق البِيَع في أعيادِهم شَغَفاً بها، فخرج في عِيد ما سَرْجِيس فظَفِر بها في بُسْتان إلى جانب البِيعَة، وقد كان قبل ذلك يُراسِلها ويعرّفها حُبَّه لها، فلا تَقْدِر على مُواصَلَتِه ولا على لقائه إلا على الطَّرِيق، فلما ظَفِر بها التَوَتْ عليه وأبتْ بَعضَ الإباء، ثم ظَهَرتْ له وجلَستْ معه، وأكلُوا وشَرِبوا، وأقام معها ومع نِسْوة كُنّ معها أُسبوعاً، ثم انصرفَتْ في يوم خَمِيس، فقال عبدُ اللهِ بنُ العَبّاس في ذلك وغنّى فيه: [١٩/٢٣٥]

رُبَّ صَهْبـاءَ مِـن شَـرابِ المَجُـوسِ قهـوةٍ بـابِلِيَّـةٍ خَنْـدَرِيـسِ
قـد تَجَلَّيْتُهـا بنـايٍ وعُـودٍ قبـلَ ضـربِ الشَّمّـاس بـالنّـاقـوسِ
وغَـزالٍ مُكَحَّـلٍ ذِي دلالٍ سـاحـرِ الطـرْفِ سـامِـرِيٍّ عَـرُوسِ
قـد خَلَـوْنـا بطِيبِـه نَجْتَلِيـه يـوم سَبْـتٍ إلـى صَبـاحِ الخميـسِ
بيـن وَرْدٍ وبيـن آسٍ جَنِـيٍّ وسـطَ بُسْتـان دَيْـر مـاسَـرْجيـسِ
يَتَثَنّـى بحُسْـنِ جِيـدِ غَـزالٍ وصَلِيـبٍ مُفَضَّـضٍ آبَنُـوسِـي
كـم لثمـتُ الصَّلِيـبَ فـي الجِيـد منهـا كهِـلالٍ مُكَلَّـلٍ بشُمُـوسِ

تطير من الغراب واستبشر بالهدهد

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، عن شَيْبَةَ بنِ هِشام، قال:

كان عبدُ الله بنُ العَبّاس يوماً جالِساً ينتَظِر هذه النَّصرانيَّةَ التي كان يَهواها، وقد وعدَتْه بالزِّيارة، فهو جالس يَنْتظرها ويتفقَّدَها إذ سَقَط غُراب على بَرّادة[4] داره فنَعَب مَرّةً واحدة ثم طار، فتطيَّر عبدُ الله من ذلك ولم يَزَل ينتظرها يومه فلم يرها، فأرسل رسولَه عِشاءً[5] يسأل عنها، فعُرِّف أنها قد انحدَرَت مع أبيها[6] إلى بَغْداد، فتنغّص عليه يَومُه، وتفرّق مَنْ كان عنده، ومكث مُدَّة لا يعرف لها خَبَرا. فبَيْنا هو جالس ذاتَ يوم مع أصحابِه، إذ سَقَط هُدْهُد على برّادَتِه، فصاح ثلاثة أصواتٍ وطار، فقال عبدُ الله بنُ العَبّاس: وأيّ شيء أبقَى الغُرابُ للهُدْهد عَلَيْنا؟

(١) ف: «يسقيك من عينه ومن يده».
(٢) ف: «كأساً وكأساً».
(٣) ف: «المرزبان بن الفيروزان».
(٤) البرادة: شيء يتخذ فوق الدار. توضع عليه أواني الماء لتبرد.
(٥) ف: «فوجه برسوله عشياً».
(٦) ف: «مع أخيها».

وهل تَرَكَ لنا أحداً يُؤذِينا بفراقه؟ وتطيَّر من ذلك، فما فَرَغ من كلامه حتى دَخَل رَسولُها يُعلِمه/أنها / قد قدِمتْ منذ [١٩/٢٣٦] ثلاثة أيام، وأنها قد جاءته زائرَةً على إثر رَسُولِها، فقال في ذلك من وَقْتِه: [١٣٠/١٧]

سقـاكَ اللهُ يـا هُـدهـدُ وَسْمِيّـاً مـن القَطْـرِ
كمـا بَشَّـرتَ بـالـوَصْـلِ ومـا أنْـذرت بـالهَجْـرِ
فكـم ذَالـكَ مـن بُشْـرَى أتتنـي منـك فـي سِتْـرِ
كمـا جـاءت سُليمـانَ فـأوفـت منـه بـالنّـذْرِ
ولا زال غُـرابُ البَيْـنِ فـي قُـفّـاعَـة[1] الأسْـرِ
كمـا صَـرّح بـالبَيْـنِ ومـا كُنـتُ بـه أدْرِي

ولَحْنُه في هذا الشّعر هزج.

غنى للمتوكل لحناً لم يعجبه فذكره بألحان له سابقة

حدَّثني عمّي، قال: حدّثني مَيْمونُ بنُ هارون، قال: قال إسحاق بنُ إبراهيم بن مُصعَب:

قال لي عبدُ الله بن العباس الربيعيّ: لَمّا صنَعْتُ لَحْني في شعري:

ألا أصبَحـانـي يـوم السّعـانيـنِ مـن قَهْـوةٍ عُتّقَـت بكـركيـنِ[2]
عنـد أُنـاسٍ قَلْبـي بهـم كلِـفٌ وإن تَـولّـوا دِينـاً سِـوَى دِينـي
قـد زَيّـن المُلْـكَ جَعفـرٌ وحكـى جُـودَ أبيـه وبـأسَ هـارونِ
وأمّـن[3] الخـائِـفَ البـريءَ كمـا أخـافَ أهـلَ الإلحـاد فـي الـدِّيـنِ

دعاني المُتَوكّل، فلما جلست في مَجْلس المُنادَمَة غنّيتُ هذا الصَّوت فقال لي: يا عبدَ الله، أيْن غِناؤُك في هذا الشعر في أيّامي هذه من غنائك في:

/ أمـاطَـت كِسـاءَ الخَـزِّ عَـنْ حُـرِّ وَجْهِهـا وأدْنَـتْ علـى الخَـدَّيْـن بُـرْداً مُهَلْهَـلا [١٩/٢٣٧]

ومن غنائِك في:

أَقفَـر مـن بعـد خُلّـةٍ سَـرِفُ فـالمُنْحَنـى فـالعَقِيـقُ فـالجُـرُف

ومن سائر صَنْعَتِك المُتقدِّمة التي استفرَغْتَ محاسنَك فيها، فقلتُ له: يا أمير المؤمنين، إنّي كُنتُ أتغنّى في هذه الأصواتِ ولِي شَبابٌ وطَرَب وعِشْق، ولو رُدَّ عليّ لغَنّيتُ مثل ذلك الغِناء، فأمر لي بجائزة واستَحْسَن قَوْلي.

غنى للمنتصر بشعر لم يطلبه منه فلم يصله بشيء

حدَّثني عمّي، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: حدثني أبي، قال:

ذَكَر المُنْتَصِرُ يوماً عبدَ الله بن العَبّاس وهو في قَراح[4] النّرجس مُصْطَبِح، فأحضره وقال له: يا عبدَ الله، اصنَع

(١) القفاعة: شيء يتخذ من جريد النخل، ثم يرسل به على الصيد فيصاد.

(٢) كركين: من قرى بغداد (معجم ياقوت). وفي ب: «بكرين» وهو تحريف.

(٣) ف: «وآس الخائف».

(٤) القراح من كل شيء: الخالص.

لَحناً في شِعْري الفُلانيّ، وغَنّني به، وكان عبد الله حَلَف لا يُغَنّي في شِعْره، فأطرَقَ مَلِيًّا، ثم غَنّى في شعر قاله للوَقْت وهو:

يـا طِيـبَ يَـوْمـي فـي قـراحِ الـنَّـرجِـس ... فـي مَجْلِـس مـا مِثْلُـهُ مِـنْ مَجْلِـسِ!
تُسْقَـى مُشَعْشَعَـةً كـأنَّ شُعـاعَهـا ... نـارٌ تُشَـبُّ لِبـائِـسٍ مُسْتَقْبِـسِ

قال: فجَهِد أبي بالمُنْتَصِر يوماً واحْتال عليه بكُلِّ حِيلة أن يَصِلَه بشيء فلم يَفعَل.

غنى للمتوكل فأطربه وأمر له بجائزة

حدَّثَني عَمّي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: حدّثني أبي، قال:

غضِبَت قَبيحَةُ على المُتوكّل وهاجَرَتْه، فجلَس ودخل الجُلَساء والمُغَنُّون، وكان فيهم عبدُ الله بنُ العَبّاس الربيعيّ، وكان قد عَرَف الخَبر، فقال هذا الشِّعرَ وغنّى فيه:

لسـتَ مِنّـي ولسـتُ منـك فـدَعْنـي ... وامـضِ عنّـي مُصـاحَبـاً بسَـلام[1]
/ لـم تَـجِـد عِـلَّـةً تَجَـنَّـى بـهـا الـذَّنـبَ فـصـارَتْ تـعـتـلُّ بـالأحـلام
/ فإذا مـا شَكَـوْتُ مـا بِـيَ قـالـتْ: ... قـد رأيـنـا خِـلافَ ذَا فـي المَنـامِ

[٢٣٨/١٩] ١٣١/١٧

قال: فطَرِب المُتوكّل وأمر له بعِشْرين ألفِ دِرْهَم وقال له: إنّ في حَياتِك يا عبد الله لأُنساً وجَمالاً وبَقاءً للمُروءَةِ والظَّرْف.

غنى بشعر للسليك

أخبرني عَمّي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبد الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيّ، قال:

كنتُ في بعض العساكر فأصابَتْنا السّماء حتى تأذَّيْنا، فَضُربت لي قُبّة تُركيّة، وطُرِح لي فيها سَريرانِ، فخَطَرَ بقَلْبي قَولُ السُّلَيْك:

صـوت

قَـرِّب النَّحّـام[2] واعجَـل يـا غُـلامْ ... واطْـرَح السَّـرْجَ عليـه واللِّجـامْ
أبلِـغ[3] الفِتْيـانَ أنّـي خـائِـضٌ ... غَمْـرَةَ الضَّـرْب فمَـنْ شـاءَ أقـامْ

فغَنّيْتُ فيه لَحْني المعروف، وغَدَوْنا فدخَلْتُ مدينةً، فإذا أنا برَجُل يُغنّي به ووالله ما سَبَقَني إليه أحد ولا سَمِعَه مِنّي أحد، فما أدْري مَنِ الرّجُل، ولا مِن أيْن كان له، وما أرَى إلا أنّ الجِنَّ أوقعتْه في لسانه!.

(١) ف: «يا حبيبي مصاحباً بسلام».
(٢) النحام: اسم فرس.
(٣) ف: «أبلغ».

غنى لمحمد بن الجهم فاحتمل خراجه في سنة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيّ، قال:

كنتُ عند محمد بنِ الجَهْم البَرمَكِيّ بالأهواز، وكانت ضَيْعَتي في يده، فغَنّيتُه في يوم مهرجان وقد دعانا للشُّرب:

/ صـوت

[٢٣٩/١٩]

المِهْـرَجـانُ ويـومُ الاثْنَيْـنِ ... يـومُ سُـرورٍ قـد حُـفَّ بـالـزَّيْـنِ[1]

ينقـل مـن وغـرة المَصِيـف إلـى[2] ... بَـرْدِ شِتـاء مـا بَيْـنَ فَصْلَيْـنِ

محمـدُ يـابْـنَ الجَهْـم ومَـن بَنـى ... للمَجْـد بَيْتـاً مـن خيـر بَيْتَيْـنِ[3]

عِـشْ ألـفَ نَيـروز ومَهْـرجٍ فَـرِحـاً ... فـي طِيـبِ عَيْـش وقُـرَّة العَيْـنِ[4]

قال: فسُرَّ بذلك واحتمل خَراجي في تلك السَّنة، وكان مبلَغُه ثلاثين ألف دِرْهم.

عشق جارية عند أبي عيسى بن الرشيد فوجه بها معه إلى منزله

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدّثني ابنُ أبي سَعْد، قال: حدّثني أبو تَوْبة القَطِرانيّ، عن محمد بن حُسَين[5]، قال:

كنّا عند أبي عيسى بن الرَّشيد في زَمَن الرَّبيع ومعنا مُخارِق، وعَلُّوية، وعبدُ الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيّ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر[6]، ونحن مُصْطبِحُون في طارِمة[7] مَضْروبة على بُسْتانه، وقد تفتّح فيه وَردٌ وياسَمِين وشَقائق، والسماء مُتَغيِّمة غيماً مُطبِقاً، وقد بدأت تَرُشُّ رَشّاً ساكِباً[8]، فنحن في أكمَل نَشاطٍ وأحسَنِ يَوْم إذ خرجَت قَيِّمةُ دارِ أبي عيسى فقالت: يا سَيِّدي، قد جاءت عَساليجُ، فقال: لتَخرُجْ إلينا، فليس بحَضْرتنا مَنْ تحتشِمه، فخرجت إلينا جارية شَكِلة[9] حُلْوَة، حَسَنَة العَقْل والهَيْئة / والأدب، في يَدِها عُود. فسَلَّمتْ، فأمرها أبو عيسى [١٩/٢٤٠] بالجُلوس فَجَلست، وغَنّى القومُ حتى انتهى الدَّور إليها، وظنَنّا أنها لا تصنَع شيئاً وخِفْنا أن تَهابنا فتَحْصَر، فغنّت غِناءً حَسَناً مُطرِباً مُتقَناً، ولم تَدَعْ أحداً مِمّن حَضَر إلا غَنَّت صوتاً من صَنْعَته وأدّته على غاية الإحكام، فَطَرِبنا

---

(١) ف: «يوم سرور طيب زين».

(٢) ف: «ينقل من حر مصيف إلى».

(٣) ف:

«محمـد بـن الجهـم يـا مـن بنـا ... ء المجـد مـن أكـرم بيتيـن»

(٤) ف، مي، مد:

«عـش ألـف نيـروز ومهـرج بنـا ... مغتبطـاً فـي قـرة العيـن»

(٥) ف: «محمد بن جبر».

(٦) ب، مي، مد: «ابن بشخير».

(٧) الطارمة: بيت من خشب كالقبة (معرب).

(٨) ف: «رشاً ساكناً».

(٩) شكلت المرأة شكلاً: كانت ذات دلال وغزل، فهي شكلة.

واستَحْسَنَّا غِناءَها وخاطبناها بالاستِحْسان، وألحَّ عبدُ الله بنُ العبّاس من بيننا بالاقتراح عليها والمِزاح معها والنَّظَر إليها، فقال له أبو عيسى: عَشِقْتَها وحياتي يا عبدَ الله، قال: لا والله / يا سَيِّدي وحَياتِك ما عَشِقْتُها، ولكني استَحْسنتُ[١] كُلَّ ما شاهدتُ منها من مَنْظر وشكل وعقل وعشرة وغناء، فقال له أبو عيسى: فهذا واللهِ هو العِشْق وسَببُه، ورُبَّ جِدٍّ جرَّه اللَّعِب. وشَرِبنا، فلما غَلَبَ النَّبيذُ على عبد الله غَنَّى أهزاجاً قديمة وحَديثة، وغنّى فيما غَنّى بينهما هَزَجاً في شِعْر قاله فيها لوَقْتِه، فما فَطِنَ له إلا أبو عيسى وهو:

١٣٢/١٧

صوت

نَطَــقَ السُّكْــرُ بِســرِّي فَبَــدَا ... كـم يُـرَى المَكْتُـومُ يَخفَـى لا يَضِـحْ

سِحْــرُ عَيْنَيــكِ إذا مــا رَنَتــا ... لــم يَــدَعْ ذا صَبْــوة أو يَفْتَضِــحْ

مَلَكَــتْ قلبــاً[٢] فــأمســى غَلِقــاً ... عنــدهــا صَبًّــا بهــا لــم يَبْتَــرِحْ

بِجَمـــالٍ وغِنـــاءٍ حســـنٍ ... جَــلَّ عــن أن يَنْتَقِيــه المُقْتَــرِحْ

أورثَ القَلــبَ هُمـومــاً ولقــد ... كنــتُ مســروراً بمــرآه فَــرِحْ

ولَكُــم مُغْتَبِــقٍ هَمَّــا وقــد ... بَكَــر[٣] اللَّهْــوِ بكُــورَ المُصْطَبِــحْ

ـ الغِناء لعبد الله بن العبّاس هزج ـ فقال له أبو عيسى: فعلتَها والله يا عبدَ الله، وطار / طرباً[٤]، وشَرِب على الصَّوت وقال له: صحَّ والله قَولِي لك في عَساليج، وأنت تُكابِرُني حتّى فَضحَك السُّكرُ. فَجَحَد، وقال: هذا غناء كنت أرويه، فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غَنّاه إلا في يومِه، وقال له: احلِفْ بحَياتي أنّ الأمرَ ليس هو كذلك، فلم يفعل، فقال له أبو عيسى: والله لو كانت لي لوهَبْتُها لك، ولكنها لآلِ يَحْيى بنِ معاذ، والله لئِن باعُوها لأملِّكَنَّك إيّاها ولو بكُلِّ ما أملك، ووحياتي لَتَنْصَرِفَنَّ قبلك إلى مَنْزِلك، ثم دعا بحافِظَتِها وخادِمٍ[٥] من خَدَمه، فوجَّه بها معهما إلى مَنْزِله. والتَوَى عبدُ اللهِ قليلاً وتجَلَّد، وجاحَدَنا أمرَه ثم انصرف.

[١٩/٢٤١]

اشترت عمته عساليج ثم وهبتها له

واتّصل الأمرُ بينهما بعد ذلك، فاشتَرَتْها عَمّتُه رُقَيَّةُ بنتُ الفَضل بن الرَّبيع من آلِ يَحْيى بنِ مُعاذ، وكانت عندهم حتى ماتت.

فحدَّثني جعفرُ بنُ قُدامَة بن زِياد عن بعض شُيوخه ـ سقَط عني اسمُه ـ قال: قالت بَذْل الكبيرة لعبدِ الله بنِ العبّاس: قد بلَغني أنك عَشِقْتَ جارية يقال لها عساليج فاعرِضْها عليّ، فإمّا أن عَذرتُك وإمّا أن عَذَلْتُك، فوجَّه إليها فحَضَرت، وقال لبَذْل: هذه هي ياستي فانظري واسمعي، ثم مُريني بما شئتِ أُطِعْك، فأقبلت عليه عساليجُ وقالت: يا عبدَ اللهِ أتُشاوِرُ فيّ؟ فوالله ما شاوَرْتُ لَمَّا صاحبتُك، فنَعَرت[٦] بَذْل وصاحت: إيه، أحسَنْتِ والله يا صَبِيَّة، ولو لم

(١) ف: «استملحت».
(٢) مي، مد، التجريد: «قلبي». وفي ف: «ملكت كفي».
(٣) ف: «ولكم مقترح هما وقد باكر. . .».
(٤) ف: «ونقر طرباً».
(٥) ف: «ثم دعا حافظتها وخادماً».
(٦) نعرت: صاحت وصوتت بخيشومها.

تُحسني شيئاً ولا كانت فيك خَصْلة تُحمَد لوجب أن تُعشَقي لهذه الكلمة، أحسنتِ واللهِ، ثم قالت لعبدِ الله: ما ضَيَّعْتَ[1]، احتَفِظ بصاحبتك.

غنى الواثق في يوم نيروز فأمر له بجائزة

حدثني عمّي، قال: حدّثني محمدُ[2] بنُ المَرْزُبان، عن أبيه، عن عبدِ الله بنِ العَبّاس، قال:

/ دعانا الواثِقُ في يوم نَوْرُوز، فلما دَخَلتُ عليه غَنَّيْتُه في شعر قلتُه وصَنَعْت فيه لحناً وهو: [١٩/٢٤٢]

هـــيّ للنَّيـــروزِ جــامَـــا ... ومُـــدامـــاً ونَـــدامَـــى

يَحْمــــدون الله والــــــوا ... ثِـــقَ هـــارونَ الإمـــامـــا

مـــا رَأى كِسْـــرى أنـــوشِـــرْ ... وانَ مِثْـــلَ العـــامِ عـــامَـــا

نَـــرْجِســـاً غَضّـــا ووَرْداً ... وبَهـــاراً وخُـــزامَـــى

/ قال: فطَرِب واستَحْسَن الغِناء، وشرِب عليه حتى سكر، وأمر لي بثلاثين ألْف دِرْهم. ١٣٣/١٧

حدثني عمّي، قال: حدثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: حدثني شَبِيبة بنُ هِشام قال:

ألقَت مُتيَّم على جوارينا هذا اللحن وزعمت أنَّها أخذتْه من عبد الله بن العبّاس والصَّنعةُ له:

صـوت

اتّخـــــذتْ عـــــدُوَّةً ... فسَقَـــى الإلـــهُ عـــدُوَّتـــي

وفـــديْتُهـــا بـــأقـــاربـــي ... وبـــأُسْـــرَتـــي وبجيـــرتـــي

جُـــدِلـــتْ كجَـــدل الخيـــزُرا ... ن وثُنِّيـــتْ فتَثَنَّـــتِ

واستيقَنـــــتْ أنّ الفـــــؤا ... د يُحبُّهـــا فـــأدَلَّـــتِ

عشق مصابيح وقال فيها شعراً

قال: ثم حدّثَتْنا مُتيَّم أنَّ عبدَ الله بنَ العَبّاس كان يتعشّق مصابيحَ جاريةَ الأَحْدَب المُقَيِّن[3]، وأنّه قال هذا الشعر فيها، وغَنَّى فيه هذا اللَّحْن بحضرتها، فأخَذَتْه عنه. / هكذا ذكَر شَبِيبةُ بنُ هِشام من أَمْر مَصابيح، وهي مَشْهورة من [١٩/٢٤٣] جَواري آل يَحْيى بنِ معاذ، ولعلها كانت لهذا المقيّن قبل أن يملكها آلُ يَحْيى، وقبل أن تَصِل[4] إلى رُقَيَّة بنتِ الفضلِ بنِ الرَّبيع.

وحدَّثنا أيضاً عَمّي، قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان، عن شَبِيبة ابن هِشام، قال:

كان عبدُ اللهِ بن العبّاس يتعَشَّق جاريةَ الأحدبِ المُقَيِّنِ ـ ولم يُسمِّها في هذا الخبر ـ فغاضبها في شيء بلَغه عنها، ثم رام بعد ذلك أن يَترضّاها فأبت، وكتب إليها رُقعة يَحلِف لها على بطلان ما أنْكرته، ويدعو اللهَ على مَنْ

(١) ب: ما صنعت «تصحيف».
(٢) ف: «أحمد بن المرزبان».
(٣) ب: «القين».
(٤) ف: «تصير».

ظلم، فلم تُجبْه عن شيء ممّا كتب به، ووقّعت تحت دُعائِه: آمين، ولم تُجب عن شيء مما تَضمَّنَتْه الرُّقعةُ بغير ذلك، فكتب إليها:

أمّـا سُـروريَ بـالكِتـا ... ب فليـس يَفْنـى مـا بَقِينـا
وأتـى الكتـابُ وفيـه لِـي[1] ... آميـن ربِّ العـالمينـا

قال: وزارَتْه في لَيْلة من ليالي شهر رَمَضان وأقامت عنده ساعة، ثم انصرفت وأبَتْ أن تَبيت وتقيم ليلتَها عنده، فقال هذا الشِّعْر وغَنَّى فيه هَزَجاً وهو مَشْهور من أغانيه وهو:

صوت

يـا مَـنْ لِهَـمٍّ أمسـى يُـؤرِّقُنـي ... حتـى مضـى شَطـرُ لَيْلَـةِ الجُهَنـي[2]
عَنّـي ولـم أدرِ أنَّهـا حضـرت ... كـذاك مَـنْ كـان حُـزْنـه حُـزنـي[3]
[١٩/٢٤٤] / إنّـي سَقيـمٌ[4] مُـوَلَّـه دَنِـفٌ ... أسقَمنـي حُسْـنُ وَجْهِـكِ الحَسَـنِ
جُـودي لـه بـالشفـاء مُنْيَتَـه ... لا تَهجُـري هـائمـاً عليـكِ ضَنِـي

قال: وليلَةُ الجُهَنِيّ ليلة تسعَ عَشْرةَ من شَهْر رمضان، قال رجل من جُهَيْنة: إنّه رأى فيها ليلةَ القَدْر فيما يَرَى النّائم فسُمِّيت ليلة الجُهَنيّ.

غنى في دار محمد بن حماد

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثنا أحمدُ بن المَرْزُبان، قال: حدَّثني شَيْبَةُ بنُ هِشام، قال:

دعانا محمد بنُ حمّاد بن دنقش[5] وكان له سِتارَة في نهاية الوَصْف، وحضر معنا عبدُ الله بنُ العباس، فقال عبدُ الله وغَنَّى فيه:

دَعْ عنـك لَـوْمـي فـإنّـي غيـرُ مُنقـادِ ... إلـى المَـلام وإن أحببـتَ إرْشـادِي
[١٣٤/١٧] / فلستُ أعـرِفُ لـي يـومـاً سُـرِرْتُ بـه ... كمِثْـل يَـوْمِـيَ فـي دارِ ابـنِ حَمّـادِ

غنى الواثق بشعر ذكرت فيه أعياد النصارى فخشي أن يتنصر

أخبرني يَحْيَى بنُ عليّ بنِ يَحْيَى، قال: حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ، قال: حدَّثني ابنُ المكّيّ، عن عبدِ الله بنِ العبّاس، قال: لمّا صنعتُ لَحْني في شعري:

(١) ف: «وافى وقد وقَعَتْ لي».
(٢) ف: «حتى مضى الشطر ليلة الجُهَني».
(٣) ف: «كذاك من كان حزنها حزني».
(٤) مد، مي: «إني شقيّ».
(٥) غير واضحة في ف.

صوت

يـا لَيلـةً لـيس لهـا صُبْـحُ ومـوعِـداً لـيس لـه نُجْـحُ
مـن شـادنٍ مـرّ علـى وعـده الميـ ـلادُ والسُّلاَّقُ والـذّبـحُ

ـ هذه أعيادُ النَّصارى ـ غَنَّيْتُه الواثِقَ فقال: ويْلَكم، أدركوا هذا لا يَتَنَصَّر، وتَمامُ هذا الشِّعر:

وفـي السَّعَـانيـن لو أنّي بـهِ وكـان أَقْصَـى المَـوعِـد الفِصْـحُ
فـاللهَ أستَعْـدِي علـى ظـالـمٍ لـم يُغْـنِ عنـه الجُـودُ والشُّـحُّ

/ نسختُ من كِتاب أبي سَعِيد السُّكَّرِيّ: قال أبو العَتاهِية: وفيه لعبد الله بنِ العبّاس غِناء حَسَن: [٢٤٥/١٩]

أنـا عَبـدٌ لهـا مُقِـرٌّ ومـا يَـمْـلِـكُ لـي غيـرُهـا مـن النـاس رِقّـا
نـاصـحٌ مُشفِـقٌ وإن كنـت مـا أُر زَق منهـا والحمـدُ لله عِتْقـا
ومـن الحَيْـن والشّقـاءِ تـعلَّقْـتُ مليكـاً مُستَكبِـراً حيـن يُلْقَـى
إن شكـوتُ الـذي لَقِيـتُ إليـه صَـدَّ عَنّـي وقـال: بُعْـداً وسُحْقـا

حكى حاله في غناء بحضرة حمدون بن إسماعيل

أخبرني عَمّي، قال: حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر، عن جَدّه حَمْدون بنِ إسْماعيل، قال:

دخلتُ يوماً إلى عبدِ الله بنِ العَبّاس الربيعيّ، وخادِمٌ له يَسْقِيه، وبيده عُودُه، وهو يُغَنّي هذا الصوت:

إذا اصطَبَحْـتُ ثَـلاثـاً وكـان عُـودِي نَـدِيمِـي
والكـأسُ تُغْـرِب[1] ضَحكـاً مـن كـفّ ظَبْـيٍ رَخِيـمِ
فمـا علـيَّ طـريـقٌ لطـارقـاتِ الهُمـومِ

قال: فما رأيتُ أحسنَ ممّا حكى حاله في غِنائِه، ولا سَمِعْتُ أحسنَ مِمّا غنّى.

عشق غلام حزام خادم المعتصم

أخبرني الحسين[2] بنُ القاسِم الكوكَبِيّ، قال: حَدَّثَنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني دوسر[3] الخراسانيّ قال:

اشترى حزام[4] خادم المعتَصِم خادماً نظيفاً، كان عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل / بنِ الربيع يتعَشَّقه، فسأله [٢٤٦/١٩] هِبتَه له أو بيعَه منه فأبى، فقال عبدُ الله أبياتاً وصنع فيها غناء، وهي قوله:

يـومُ سَبْـتٍ فصَـرِّفـا لِـي المُـدامـا واسقِيـانـي لعلّنـي أن أنـامـا
شـرَّد النـومَ حُـبُّ ظَبْـيٍ غـريـرٍ مـا أراه يـرَى الحَـرامَ حَـرامـا

---

(١) ف: «فضحك ضحكاً».
(٢) ب: «الحسن بن القاسم».
(٣) ب: «دوس الخراساني».
(٤) ب: «حزم».

اشتـــــراه يـــــومـــاً بعُلْفـــةِ يـــــوم أصبحَـــت عنـــده[1] الـــدوابُ صِيـــامَـــا

فاتصلت الأبياتُ وخبرُها بحزام، فخَشي أن تَشتَهر ويسمعها المُعتصم فيأتي عليه؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله، وسأله أن يُمسِك عن الأبيات، ففعل.

إبراهيم الموصلي يغني أمام الرشيد لحناً من صنعته فيرسل إليه ويلازمه

حدّثني الصُّوليّ، قال: حدّثني الحُسَيْن بن يحيى، قال: قلت لعبد الله بنِ العَبّاس: إنه بَلَغني لك خبرٌ مع الرَّشيد أول ما شُهرتَ بالغِناء،/ فحدِّثني به، قال: نعم أول صوت صنَعْتُه: ١٣٥/١٧

أتـــانـــي يـــؤامِـــرُنـــي فـــي الصَّبُـــو ح ليـــلاً فقلـــتُ لـــه: غـــادِهـــا

فلما تأتّى[2] لي وضربت عليه بالكنكلة؛ عرضتُه على جارية لنا يقال لها رَاحَة، فَاستَحْسَنَتْه وأخذَتْه عنّي، وكانت تَختَلف إلى إبراهيمَ الموصِليّ، فَسمِعها يوماً تُغَنِّيه وتناغي[3] به جارية من جواريه، فاستعادَها إيّاه وأعادته عليه، فقال لها: لمَنْ هذا؟ فقالت: صَوْت قديم، فقال لها: كَذَبتِ، لو كان قدِيماً لعَرفْتُه، وما زال يُدَارِيها ويَتَغاضَب عليها حتى اعترفت له بأنّه من صَنْعَتي، فعَجِب من ذلك، ثم غنّاه يوماً بحضرة الرشيد، فقال له: لمَنْ هذا اللَّحن يا إبراهيم؟ فأمسك عن الجواب وخشي أن يكذِبَه فيَنْمي الخبرُ إليه من غيره، وخاف من جدّي أن يصدقه، فقال له: ما لك / لا تجيبني؟ فقال: لا يمكِنُني يا أميرَ المؤمنين، فاستَراب بالقِصّة، ثم قال: والله، وتُربة المَهْدِيّ لئن لم تَصدقْني لأعاقبنَّك عُقوبةً مُوجعة، وتوهّم أنه لعُلَيّة أو لبعض حُرَمه فاستُطير غضباً، فلما رأى إبراهيمُ الجِدَّ منه صدَقَه فيما بينه وبينه سِرًّا، فدعا لوقته الفضلَ بنَ الرَّبِيع ثم قال له: أيصنَع ولدُك غناء ويرويه الناس ولا تعرّفني؟ فجَزِع وحَلَف بحياته وبَيْعته أنه ما عرف ذلك قطُّ، ولا سَمع به إلا في وَقته ذلك، فقال له: ابنُ[4] ابنك عبدُ الله بنُ العَبّاس أحضِرْنيه السّاعة، فقال: أنا أمضي وأمتَحِنه، فإن كان يصلُح للخدمة أحضَرته، وإلاّ كان أميرُ المؤمنين أولَى مَنْ ستر عورتنا، فقال: لا بُدّ من إحضاره. فجاء جدّي فأحضرني وتَغَيَّظ عليّ، فاعتذرت وحَلفْتُ له أن هذا شيء ما تعمّدتُه، وإنما غَنَّيتُ لنفسي، وما أدرِي من أيْن خَرَج، فأمر بإحضار عُود فأُحضِر، وأمرني فغَنَّيْتُه الصوتَ، فقال: قد عَظُمت مُصِيبَتي فيك يا بنيّ، فحلفتُ له بالطلاق والعتاق ألّا أقبلَ على الغناء رِفداً أبداً، ولا أُغَنّي إلا خليفةَ أو وليَّ عهد، ومَنْ لعلّه أن يكون حاضراً مجالسهم، فطابت نفسُه. فأحضرني[5]، فغنَّيتُ الرشيدَ الصوتَ فطرِب وشرب عليه أقداحاً، وأمرني بالمُلازمة مع الجُلَساء، وجعل لي نَوْبة، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جَدّي، وأمره أن يَبْتاع ضَيْعة لي بها، فابتاع لي ضَيْعتي بالأهواز، ولم أزل مُلازماً للرّشيد حتى خرج إلى خُراسان، وتأخرتُ عنه وفرّق الموتُ بيننا.

[١٩/٢٤٧]

(١) ف: «أصبحت غبّه».

(٢) ف: «فلما دار لي».

(٣) ف: «وتعايي».

(٤) ف: «أين ابنك عبد الله بن العباس».

(٥) ف: «فأحضرت».

اقترض الواثق مالاً ليعطيه له

قال ابنُ المرزُبان: فكان عبدُ الله بنُ العبّاس سَبباً لمعرفة أولياء العهود برأي الخلفاء فيهم، فكان منهم الواثق، فإنه أحبّ أن يَعرِف: هل يُولّيه المعتصمُ العهدَ بعدَه أم لا، فقال له عبدُ الله: أنا أدُلُّك على وَجْه تعرف به ذلك، فقال: وما هو؟ فقال: تسألُ أميرَ المؤمنين أن يأذن للجُلساء والمُغَنّين أن يَصيروا إليك، فإذا فعل ذلك فاخْلَعْ عليهم / وعليَّ معهم، فإني لا أقبَل خِلعَتك لليَمين التي عليّ؛ ألاّ أقبَل رفداً إلا من خليفة أو وليّ عَهْد. فقَعَد الواثقُ ذات[١٩/٢٤٨] يوم وبعثَ إلى المعتَصم وسَأله الإذنَ إلى الجلساء[1]، فأذِن لهم، فقال له عبدُ الله بنُ العباس: قد عَلِم أميرُ المؤمنين يَميْني، فقال له: امضِ إليه فإنك لا تحنَث، فمضى إليه وأخبره الخَبرَ فلم يُصدِّقه، وظنّ أنه يُطَيِّب نفسَه، فخَلَع عليه وعلى الجماعة، فلم يَقبَل عبدُ الله خِلعَته، وكتَب إلى المعْتَصم يشكوه، فبَعَث إليه: اقبَل الخِلْعَة،/ فإنه وَلِيُّ عَهْدِي، ١٣٦/١٧ ونَمَى إليه الخبرُ أنَّ هذا كان حِيلَة من عبد الله، فنَذَر دَمَه، ثم عفا عنه.

وسُرَّ الواثِقُ بما جرى، وأمرَ إبراهيمَ بنَ رِياح، فاقْترض له ثلثمائة ألفِ درهم، ففرّقها على الجلساء، ثم عَرَف غَضَب المعتصم على عبدِ الله بن العباس واطّراحَه إيّاه، فاطّرحَه هو أيضاً. فلمّا وَلِي الخلافة استمرّ على جَفائه، فقال عبدُ الله:

مَـا لـي جُفِيـتُ وكنـتُ لا أُجفَـى ... أيـام أرهَـبُ سطـوةَ السَّيْـفِ
أدعُـو إلهـي أن أراكَ خليفـةً ... بيـن المقـام ومَسجـد الخَيْـفِ

ودَسَّ مَنْ غَنّاه الواثِق، فلما سمعه سأل عنه، فعَرَف قائلَه، فتذَمَّم[2] ودعا عبد الله فبَسَطه ونادمه إلى أن مات.

وذكر العَتّابيّ عن ابن الكلْبيّ أنّ الواثِقَ كان يَشْتهي على عبد الله بن العباس:

أيُّهـا العـاذِلُ جَهْـلاً تلـومُ ... قبـل أن يَنْجـاب عنـه الصَّـرِيـمُ[3]

وأنه غَنّاه يوماً فأمَر بأن يَخلَع عليه خلْعَة، فلم يَقْبلها لِيَمينِه، فشكاه إلى المعتصم، فكاتَبه في الوقت، فكَتب إليه مع مسرور سُمَّانة: اقبَلْ خِلَع[4] هارون فإنك لا تَحْنَث، فقَبِلها وعَرَف الواثقُ أنّه وَلِيُّ عَهْد.

/ خرج يوم الشعانين ليرى محبوبته النصرانية [١٩/٢٤٩]

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ المرزُبان، قال: حدّثني شَيْبَةُ بنُ هِشام، قال:

كان عبدُ الله بنُ العَبّاس يَهْوى جاريةً نَصْرانيَّةً لم يَكُن يصل إليها ولا يَراها إلا إذا خرجت إلى البِيعة، فخرجنا يوماً معه إلى السَّعانين، فوقف حتى إذاجاءت فرآها، ثم أنشدنا لنَفْسِه، وغَنّى فيه بعد ذلك:

---

(١) ف: «وسأله الإذن للجلساء».

(٢) تذمم: استنكف واستحيا.

(٣) الصريم: القطعة من الليل.

(٤) ف: «خلعة».

صوت

إن كنتَ ذا طِبٍّ فداوِيني[1] ولا تَلُم فاللَّوم يُغرِيني
يا نظرةً أبقتْ جَوًى قاتِلاً من شادِنٍ يومَ السَّعانينِ
ونظرةً من رَبْرَبٍ[2] عِينِ خرجْنَ في أحسَنِ تَزْيِينِ
خرجن يَمْشين إلى نُزهةٍ عَواتِقاً[3] بين البَساتِينِ
مُزَنَّراتٌ بهَمايينِها[4] والعَيشُ ما تَحتَ الهَمايينِ

لحن عبدِ اللهِ بنِ العبَّاس في هذا الشعر هزج.

شرب ليلة الشك في رمضان في يوم نيروز

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ، قال: حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرويه، قال: حدَّثنا محمدُ بن عمر الجُرْجانيّ، ومحمد بن حَمَّاد كاتِب راشد، قالا:

كتَبَ عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ في يوم نَيْروز - واتَّفق في يوم الشَّكّ بين شَهْري رَمَضان وشَعْبان - إلى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يقول:

اسْقِني صفراءَ صافِيَةً ليلةَ النَّيروزِ والأحَدِ
/ حَرَّمَ الصَّومُ[5] اصطِباحَكما فتزَوَّدْ شُربَها لغَدِ [١٩/٢٥٠]
وأْتِنا أو فادْعُنا عَجِلاً نَشْتَرِك في عِيشَةٍ رَغَدِ

قال: فجاءه محمد بنُ الحارث بن بُسْخُنَّر فشربا ليلتهما.

صنع لحناً من شعره للواثق فأمر له بجائزة

أخبرني يَحيَى بنُ عليّ بن يحيى، قال: حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ المكّيّ، قال: حدّثنا عبد الله بنُ العَبّاس الربيعيّ، / قال: [١٣٧/١٧]

جمع الواثِقُ يوماً المُغَنِّين لِيصْطَبِح، فقال: بحَياتي إلاَّ صنعتَ لي هَزَجاً حتى أدخل وأخرُج إليكم السّاعة، ودخل إلى جَوارِيه، فقلتُ هذه الأبيات وغَنّيتُ فيها هَزَجاً قبل أن يَخرُج، وهي:

صوت

بأبي زَورٌ أتاني بالغَلَسْ قُمتُ إجلالاً له حتى جَلَسْ
فتعانَقْنا جميعاً ساعةً كادَتِ الأرواحُ فيها تُختَلَسْ

---

(١) إثبات الياء هنا ضرورة شعرية.
(٢) الربرب: القطيع من الظباء، ومن البقر الوحشيّ والإنسيّ، لا واحد له.
(٣) عواتق جمع عاتقة، وهي الشابة أول ما أدركت فخدرت في بيت أهلها ولم تبن إلى زوج.
(٤) مزنّرات: لابسات الزنار؛ وهو حزام يشده النصراني على وسطه، والهمايين جمع هميان، وهو كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط.
(٥) ب: «النوم».

قلتُ: يا سُؤلي ويا بدرَ الدُّجى ... في ظَلامِ اللَّيلِ ما خِفتَ العَسَسْ!
قال: قد خِفتُ ولكنّ الهَوى ... آخذٌ بالرُّوح منّي والنَّفَسْ
زارني يَخْطِر في مِشيَتِه ... حولَه من نُورِ خَدّيْه قَبَسْ

قال: فلمّا خرج من دار الحُرَم قال لي: يا عبدَ الله، ما صنَعْت؟ فاندفعتُ فغنَّيته، فشَرِب حتى سَكِر، وأمر لي بخَمْسة آلافِ دِرْهم، وأمرني بطرْحه على الجواري، فطرحْتُه عليهن.

صنع لحناً جميلاً من شعر يوسف بن الصقيل

أخبرني يَحْيى بنُ عَليّ بنِ يَحْيى، قال: حدّثنا أبو أَيّوب المَدِينيّ، عن حمّاد، قال:

من مَلِيح صَنْعَةِ عبدِ اللهِ بنِ العبّاس الربيعيّ، والشِّعْر ليُوسُف بنِ الصّيقل، ولحنه هزج:

صوت

[٢٥١/١٩]

أبعدَ المواثيق لي ... وبعد السؤال الحَفِي
وبَعْد اليَمِين التي ... حلَفْتِ على المُصحَفِ
تركتِ الهوَى بيننَا ... كضوء سراجٍ طَفِي
فليتكِ إذ لم تَفِي ... بوعدك لم تُخْلِفي

غنى للواثق لحناً من شعر الأحوص فأعطاه ألف دينار

حدّثني الصّوليّ، قال: حدّثني يزيدُ بنُ محمدٍ المُهَلّبيّ، قال:

كان الواثِقُ قد غضِب على فَرِيدَة لكلام أخفَتْه إيّاه فأغضَبْته، وعرَفْنا ذلك وجلس في تلك الأيام للصَّبُوح، فغنّاه عبدُ الله بنُ العباس:

صوت

لا تأمني الصَّرمَ مِنّي أن تَرَيْ كَلَفي ... وإن مَضَى لصفاء الوُدِّ أعصارُ
ما سُمّيَ القَلْبُ إلا من تَقلُّبه ... والرأيُ يُصرَفُ والأهواءُ أطوارُ
كم مِنْ ذَوِي مِقَةٍ[1] قَبْلي وقَبْلَكُم ... خانوا فأضْحَوا إلى الهِجْران قد صارُوا

فاستعادَه الواثِقُ مِراراً، وشرِب عليه وأُعجِب به، وأمَر لعبد الله بألف دِينار وخَلَع عليه.

الشِّعر للأحْوَص، والغِناء لعبدِ اللهِ بنِ العبّاس هَزَج بالوسطى عن عمرو.

فضَّله المتوكل على سائر المغنين

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامة، قال: حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق، قال: حدّثني عبدُ الله بن العَبّاس بن الفضل بن الربيع، قال:

---

(١) المقة: الحب، وفي ف: «سمة».

[١٩/٢٥٢] / غنّيتُ المُتوكّل ذاتَ يوم:

أحـبّ إلينـا منـك دَلاًّ ومـا يَـرى ... لـه عنـد فِعْلـي مـن ثَـوابٍ ولا أجْـرِ

فطَرِب وقال: أحسنتَ واللهِ يا عبدَ الله، أَما واللهِ لو رآكَ النَّاسُ كُلُّهم كما أَراكَ لَمَا ذَكَروا مُغنّياً سِواك أبداً.

أشار بذكره ابن الزيات عند المعتصم

نسختُ من كتابِ لأبي العَبّاس بنِ ثَوابة بخَطّه: حدّثني أحمدُ بنُ إسماعيل بن حاتِم، قال: قال لي عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعيّ:

[١٧/١٣٨] دخلتُ على المُعْتصِم أُودِّعه / وأنا أُريد الحجَّ، فقبّلْتُ يدَه وودَّعْتُه، فقال: يا عبدَ الله إنَّ فيك لخِصالاً تُعجِبُني كثّر اللهُ في مواليَّ مِثْلَك، فقبّلْتُ رجلَه والأرضَ بين يَدَيْه، وأَحْسَنَ محمدُ بنُ عبد الملِك الزّيّات محضري وقال له: إنّ له يا أميرَ المؤمنين، أدباً حَسَناً وشِعْراً جَيّداً، فلما خرجتُ قلتُ له: أيُّها الوَزير، ما شِعْرِي أنا في الشعر تَسْتَحْسِنه وتُشيد بذكـره بين يَدَي الخَليفة! فقال: دعنا منك، تنتفي من الشِّعر وأنتَ الذي تقول:

يـا شـادِنـاً مَـرَّ إذ را ... مَ فـي السَّعـانِيـن قَتْلـي

يَقـولُ لـي: كيـف أصبحْـ ... ـتَ، كيـف يُصبِـح مِثْلـي!

أحسنتَ واللهِ في هذا، ولو لم تَقُل غيرَ هذا لكنتَ شاعِراً.

طلب منه سوار بن عبد الله القاضي أن يصنع له لحناً في شعر قاله

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: قال أبي: قال عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعيّ:

لَقِيَني سَوّارُ بنُ عبدِ الله القاضِي ـ وهو سوّار الأصغر ـ فأصغَى إليّ وقال: إنَّ لي إليك حاجَةً فأْتِني في خَفْي، [١٩/٢٥٣] فجئتُه، فقال: لي إليك حاجَة قد أَنِستُ بك فيها، لأنك لي / كالوَلَد، فإن شرطتَ لي كِتمانَها أفضَيْتُ بها إليك، فقلتُ: ذلك للقاضِي عليَّ شَرْطٌ واجِبٌ، فقال: إني قلتُ أبياتاً في جارية لي أَمِيلُ إليها وقد قَلَتْني وهجرتْني: وأحبَبْتُ أن تصنَع فيها لَحْناً وتُسْمِعنِيه، وإن أظهَرتَه وغَنَّيْتَه بعد ألاّ يعلَم أحدٌ أنه شعْرِي، فلستُ أُبالِي، أتفعَل ذلك؟ قلتُ: نعم حُبّاً وكرامة، فأنشدَني:

صوت

سَلَبْـتِ عِظـامـي لحمَهـا فتـركْتِهـا ... عَـواريَ فـي أجْـلادِهـا[1] تتكَسَّـرُ

وأخلَيْـتِ منهـا مُخَّهـا فكـأنّهـا ... أنـابيـبُ فـي أجـوافِهـا الـرِّيـح تصفِـرُ

إذا سَمِعـتْ بـاسْـم الفِـراق تـرعَّـدَت ... مفـاصِلُهـا مـن هَـوْل مـا تتحـذَّرُ

خُـذِي بيَـدِي ثـم اكْشِفـي الثـوبَ فـانظُري ... بِلَـى جَسَـدِي لكِنّنِـي أتَسَتّـرُ

وليـس الـذي يَجْـري مـن العيـن مـاؤُهـا ... ولكنّهـا رُوحٌ تَـذُوب فتَقْطُـرُ

ـ اللحن الذي صَنَعه عبدُ الله بنُ العَبّاس في هذا الشّعر ثقيل أول ـ قال عبدُ الله: فصَنَعتُ فيه لَحْناً، ثم عرّفتُه

(١) أجلاد الإنسان: تجاليده، وهي جماعة جسمه وبدنه.

خبرَه في رُقْعة كَتبتُها إليه، وسألتُه وَعْداً يَعِدني به للمَصير إليه، فكتب إليَّ: نظرتُ في القِصَّة فوجدتُ هذا لا يصلُح ولا ينكَتم عليَّ حُضورُك وسَماعِي إيّاك، وأسألُ الله أن يَسُرَّك ويُبْقيك. فغَنَّيت الصوتَ وظَهر حتى تَغنَّى به الناسُ، فلَقِيَني سَوّار يوماً فقال لي: يابْنَ أخي، قد شاع أمرُك في ذلك الباب حتى سَمِعْناه من بُعْد كأنَّا لم نعرف القِصَّة فيه، وجعلْنا جميعاً نضحك.

صنع لحناً جيداً في شفاء بشر خادم بن عجيف

كان بِشْرٌ خادِمُ صالح بن عُجَيف عليلاً ثم بَرِىءَ، فدخل إلى عبدِ اللهِ بن / العَبّاس، فلما رآه قام فتلَقّاه وأجلسه [١٩/٢٥٤] إلى جانبه، وشَرِب سُروراً بعافِيَته، وصنع لحناً من الثقيل الأول وهو من جَيِّد صَنْعته:

صوت

مَـوْلاَي لـيـس لِعَيْشٍ لسـتَ حـاضـرَه قَـدْرٌ ولا قِيمَـةٌ عنـدي ولا ثَمَـنُ
ولا فَقَـدتُ مـن الـدُّنيـا ولـذَّتِهـا شَيئـاً إذا كـان عنـدي وَجْهُـك الحَسَـنُ

غنى الواثق بعد شفائه لحناً في شعر قاله فأجازه

/ حدّثني محمدُ بن مَزْيد بنِ أبي الأزهر، قال: حدَّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ العبّاس [١٣٩/١٧] الربيعيّ، قال:

جَمَعنا الواثِقُ يوماً بعقِبِ عِلّة غليظة كان فيها، فعُوفِي وصَحّ جِسمُه، فدخلتُ إليه مع المُغنِّين وعُودي في يَدِي، فلما وقَعَتْ عَيْني عليه من بَعِيد، وصِرْتُ بحيث يَسْمَع صَوْتي، ضربتُ وغَنّيتُ في شِعرٍ قلتُه في طريقي إليه، وصنَعتُ فيه لحناً وهو:

صوت

اسلَـم وعَمْـرُكَ الإلـهُ لأُمّـةٍ بـك أصْبَحَـت قَهَـرَتْ ذَوِي الإلحـادِ
لـو تَسْتَطِيـعُ وَقَتْـك كُـلّ أذِيّـةٍ بـالنَّفْـسِ والأمْـوَالِ والأولادِ

فضَحِك وسُرّ وقال: أحسَنْتَ يا عبد الله وسَرَرْتَني، وتيمنتُ بابْتِدائك، ادْنُ مِني، فدَنَوْتُ منه حتى كنتُ أقربَ المُغَنِّين إليه، ثم استعادَني الصوتَ، فأعدتُه ثلاثَ مرّات، وشَرِب عليه ثلاثةَ أقداح، وأمر لي بعشرة آلاف دِرْهم وخلعة من ثيابه.

فاجأته محبوبته النصرانية بالوداع فقال شعراً وغناه

/ حدَّثني الصُّوليّ، قال: حدَّثني عَوْنُ بنُ محمد الكِنْدِيّ، قال: [١٩/٢٥٥]

كان عبدُ الله بنُ العَبّاس بنِ الفَضْل بن الرَّبيع يَهْوَى جارِيةً نَصرانِيّة، فجاءته يوماً تُودِّعُه، فأعلمَتْه أن أباهَا يُرِيدُ الانحدار إلى بَغْداد والمُضِيّ بها معه، فقال في ذلك وغنّى فيه:

صوت

أفـديِ التـي قُلـتُ لهـا والبَيـنُ منّـا قـد دَنَـا:
فَقـدُكِ قـد أنحـلَ جِسْمِـي وأذابَ البَـدَنـا
قـالـت: فمـاذا حِيلَتـي كـذاكَ قـد ذُبـتُ أنـا!
بـاليَـأسِ بعـدِي فـاقتنـعِ قلـت: إذاً قَـلّ الغَنَـا

طلب من علي بن عيسى الهاشمي تأجيل الصوم ومباشرة الشرب فأجابه

حدثني الصُّوليّ، قال: حدّثني عَوْنُ بنُ محمد، قال: حدّثني عليُّ بنُ عيسى بن جَعْفَر الهاشِميّ، قال: دخَل عليَّ عبدُ الله بنُ العَبّاس في يوم النِّصْف من شَعبان، وهو يَوْم سَبْت، وقد عزَمْت على الصَّوْم، فأخذ بِعِضادَتي باب مجلسي، ثم قال: يا أمِيري:

تُصْبِحُ فـي السَّبـتِ غَيْـرَ نشـوانِ وقـد مَضـى عنـكَ نِصـفُ شعبـانِ!

فقلت: قد عزَمتُ على الصوم، فقال: أفعلَيْكَ وزرٌ إن أفطرتَ اليوم ـ لمكاني وسررتني بمساعدتك لي ـ وصُمتَ غداً، وتصدّقتَ مكانَ إفطارِك؟ فقلت: أفعل، فدَعوتُ بالطَّعام فأكلتُ، وبالنبيذ فشَرِبْنا، وأصبح من غد عندي، فاصْطَبَح وساعدتُه، فلما كان اليوم الثالث انتبهتُ سَحَراً وقد قال هذا الشعرَ وغنّى فيه:

[٢٥٦/١٩] / شعبـانُ لـم يبـقَ منـه إلا ثَـلاثٌ وعَشْـرُ
فبـاكِـرِ الـرّاحَ صِـرْفـاً لا يَسْبِقَنْـكَ فَجْـرُ
فـإن يَفُتْـكَ اصْطِبـاحٌ فـلا يفـوتَنْـك سُكْـرُ
ولا تُنـادِمِ فَتًـى وقـتُ شُـربـه الـدَّهْـرَ عَصـرُ

١٤٠/١٧ قال: فأطربَني واصطَبَحت معه في اليوم الثَّالث، فلمّا كان من آخر النَّهار سَكِر وانصرف، / وما شَرِبنا يومَنا كُلَّه إلا على هذا الصَّوْت.

دخل على المتوكل في آخر شعبان وطلب منه الشراب فأجابه

حدَّثَنِي عَمّي، قال: حدّثني ابن دِهْقانة النّديم، قال:

دخَل عبدُ الله بن العباس إلى المُتَوكِّل في آخرِ شعبان فأنشدَه:

عَلِّـلانِـي نَعِمْتُمـا بمُـدَامِ واسْقِيـانـي مـن قَبْـل شَهْـرِ الصِّيـامِ
حـرَّمَ اللهُ فـي الصِّيـامِ التَّصـابِـي فتـركنـاه طـاعـةً لـلإمـامِ
أظهـرَ العَـدْلَ فـاسْتَنـارَ بـه الـدِّيـنُ وأحـيـا شـرائِـعَ الإسـلامِ

فأمر المتوكِّل بالطَّعام فأُحضِر، وبالنّدِيم وبالجُلساء فأُتي بذلك، فاصطَبَح وغَنّاه عبدُ الله في هذه الأبيات، فأمَر له بعشرة آلافِ دِرْهم.

حرم المرابين من مائة ألف دينار

أخبرني الحَسَن بن عليّ، قال: حدَّثنا يَزِيدُ بنُ محمد المُهَلَّبِيّ، قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس قال:

كُنتُ مُقيماً بسُرَّ مَنْ رَأى وقد رَكِبَني دَيْن ثقيل أكثرُه عِينةٌ[1] ورِباً، فقلتُ في المُتوكِّل:

أسقِيانـي سَحَـراً بـالكُبَـرهْ[2] ... مـا قَضـى اللهُ فَفِيـه الخِيَـرَهْ

أكـرمَ اللهُ الإمـامَ المـرتَضَـى ... وأطـال اللهُ فينـا عُمُـرَهْ

/ إن أكُـن أُقْعِـدْتُ عنـه هكـذا ... قَـدَّرَ اللهُ رَضِينـا قَـدَرَهْ

سَـرَّه اللهُ وأبقـاه لنـا ... ألـفَ عـام وكَفَـانـا الفَجَـرَهْ

[٢٥٧/١٩]

وبعثتُ بالأبيات إليه، وكنت مُسْتَتِراً من الغُرَماء، فقال لعُبَيْد الله بن يَحْيَى: وَقِّع إليه: مَنْ هَـؤُلاء الفَجَرة الذين استكفيتَ الله شرَّهم؟ فقلتُ: المُعَيِّنون الذين قد رَكِبني لهم أكثر مما أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا، فأمر عُبَيْد الله أن يَقضِي دَيْني، وأن يَحْتَسِب لهم رُؤوسَ أموالهم، ويُسقِط الفَضْل، ويُنادِي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يَقْضي أحدٌ أحداً إلاّ رأسَ ماله، وسَقَط عنّي وعن النّاس من الأرباح زُهاءَ مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببَها.

عتب على إخوانه لأنهم لم يعودوه في مرضه فجاءوه معتذرين

حدّثني الصُّوليّ، قال: حدّثني عَونُ بنُ محمد الكِنْديّ، قال: حدّثني أبي، قال:

مرِض عبدُ الله بن العباس بسُرَّ مَنْ رأى في قَدْمةٍ قَدِمها إليها، فتأخَّر عنه مَنْ كان يَثِق به، فكتب إليهم:

ألا قُـلْ لمـن بـالجـانِبَيْـن بـأنَّنـي ... مـريضٌ عَـداني[3] عـن زِيارَتِهم مـا بِـي

فلَـو بهِـمُ بعـضُ الـذي لـي لـزُرْتُهـم ... وحـاشَ لهـم مـن طُـولِ سُقْمِـي وأوصـابِـي

وإن أقشَعـتْ عنـي سَحـابَـةُ عِلّتـي ... تَطـاوَلَ عَتْبِـي إن تـأخَّـر إعتـابِـي[4]

قال: فما بَقِيَ أحدٌ من إخوانه إلا جاءه عائداً مُعتَذِراً.

غنى عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدّثني محمد بنُ محمد بن موسى، قال:

سمِعتُ عبدَ الله بنَ العَبّاس يُغنّي ونحن مجتَمِعُون عند علُّوية بشِعْر في النَّصرانيّة التي كان يَهْواها والصَّنْعَة له:

[٢٥٨/١٩]

/ صوت

إنَّ فـي القَلْـب مـن الظَّبْـي كُلـومْ ... فـدَعِ اللَّـومَ فـإن اللَّـوْمَ لُـومْ[5]

حبَّـذا يـومُ الشَّعـانيـن ومـا ... نِلْـتُ فيـه مـن نَعيـمٍ لـو يَـدُومْ

إن يَكُـن أعظمـتَ أنْ هِمْـتُ بـه ... فـالـذي تَـرْكَـب مـن عَـذْلـي عَظِيـمْ

/ لـم أكُـن أوّلَ مَـنْ سَـنَّ الهَـوَى ... فـدَعِ اللَّـومَ فـذا داءٌ قـدِيـمْ

١٤١/١٧

الغناء لعبدِ الله هزج بالوسطى.

---

(١) العينة: أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل، ثم يشتريه في المجلس بثمن حال ليسلم به من الربا.

(٢) الكبرة: مبالغة في الكبير.

(٣) عداني: صرفني ومنعني.

(٤) أعتبني: أزال الشكوى والعتاب، الهمزة للسلب.

(٥) القافية مرفوعة في «ف».

علم وصيفته هيلانة الغناء

حدّثني أبو بَكْر الرَّبيعيّ، قال: حدّثَتْني عمتي ـ وكانت رُبِّيت في دار عمّها عبد الله بن العباس ـ قالت: كان عبدُ الله لا يفارق الصَّبوحَ أبداً إلا في يَوْم جُمُعة، أو شَهْر رَمَضان، وإذا حَجّ. وكانت له وَصِيفَة يقال لها: هَيْلانة قد رَبَّاها وعَلّمها الغِناء، فأذْكرُه يوماً وقد اصْطَبَح، وأنا في حجره جالِسَة والقدح في يدِه اليُمْنى، وهو يُلقِي على الصَّبيَّة صوتاً أوّلُه:

صـــدعَ البيـــنُ الفُـــؤادَا   إذ بـــه الصـــائـحُ نَـــادَى

فهو يردّدُه، ويومِىءُ بجميع أعضائه إليها يُفهِمها نَغَمه، ويوقِّع بيَده على كَتفي مرّة وعلى فَخِذي أُخرى، وهو لا يَدْري حتى أوجعَني، فبكَيت وقلتُ: قد أوجعَتْني مِمّا تضربُني وهَيلانة لا تأخُذُ الصَّوْت وتضربني أنا، فضَحِك حتى استَلْقى واسْتَمْلح قوْلي، فوهب لي ثوبَ قَصَب أصفَر، وثلاثةَ دنَانير جُدُداً، فما أنسى فَرَحي بذلك وقِيامي به إلى أُمّي، وأنا أعدو إليها وأضْحَك فَرحاً به.

[١٩/٢٥٩] / نسبة هذا الصوت

صوت

صـــدَع البَيـــنُ الفُـــؤادَا   إذ بـــه الصـــائِـــحُ نـــادَى
بينمـــا الأحبـــابُ مَجْمـــو   عـــون إذ صَـــاروا فُـــرادَى
فـــأتـــى بعـــضٌ بِـــلاداً   وأتـــى بعـــضٌ بِـــلادَا
كُلَّمـــا قُلْـــتُ: تَنـــاهَـــى   حَـــدَثـــانُ الـــدَّهـــر عـــادَا

الشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو.

[١٩/٢٦٠] / صـوت

حضـر الـرحيـل وشُـدَّت الأحـداجُ(١)   وغـدا بهـنّ مُشمِّـرٌ مِـزعـاجُ
للشـوق نيـرانٌ قَـدَحْـنَ بقلبِـه   حتـى استمـرّ بـه الهـوَى المِلجـاجُ
أزعـجْ هـواكَ إلـى الّـذيـن تحبُّهـمْ   إن المحـبَّ يسـوقُـه الإزعـاجُ
لـن يُـدنِيَنْـك للحبيـب ووصلِـه   إلاّ السُّـرَى والبـازلُ الهَجْهَـاجُ(٢)

الشعر لِسَلْم الخاسر، والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى.

(١) أحداج: جمع حدج؛ وهو مركب من مراكب النساء مثل الهودج.
(٢) البازل: الجمل حين يدخل في التاسعة؛ والهجهاج: الشديد الهدير.

/ أخبار سلم الخاسر ونسبه (١)

[١٩/٢٦١]

نسبه، ومقدرته الشعرية

سَلْمُ بنُ عمرٍو مولى بني تَيْمِ بنِ مرّة، ثم مولى أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، بصريّ، شاعر مطبوع متصرّف في فنون الشّعر، من شعراء الدولة العباسية. وهو راوية بشارِ بنِ بُرْد وتلميذُه، وعنه أخذ، ومن بحره اغترف، وعلى مذهبه ونَمَطه قال الشعر.

سبب تلقيبه سلم الخاسر

ولُقِّب سلمٌ بالخاسرِ (٢) ـ فيما يقال ـ لأنه ورث من أبيه مُصْحَفاً، فباعه واشترى بثمنه طُنْبوراً. وقيل: بل خَلّف له أبوه مالاً، فأنفقه على الأدب والشعر، فقال له بعض أهله: إنك لخاسرُ الصفقة، فلقِّب بذلك.

صداقته للموصلي وأبي العتاهية وانقطاعه للبرامكة

وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ، ولأبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنين، ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية. وكان سلمٌ منقطعاً إلى البرامكة، وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم. وفيه يقول أبو العتاهية:

إنمـــا الفضـــل لِسَلْـــمٍ وحـــدَهْ ... ليـس فيـه لسـوى سَلْـمٍ دَرَكْ (٣)

من قول أبي العتاهية له

وكان هذا أحدَ الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية. ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عُتبة (٤):

[١٩/٢٦٢]

/ واللهِ واللهِ مـــا أُبـــالـــي متـــى ... مـــا مـــتُّ يـــا سَلْـمُ بعْـدَ ذا السفَـرِ

أليـس قـد طُفـتُ حيـث طـافـت ... وقَبّلـــتُ الـــذي قبلَـــتْ مـــن الحجـــر (٥)

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبس إبراهيمُ الموصليُّ:

سَلْـمُ يـا سلـم ليـس دونـك سِـرُّ ... حُبِـس المـوصلـيُّ فـالعيـش مُـرُّ

مـا استطـاب اللـذاتِ مـذ سَكَـن الـمُـطْبَـق (٦) رأسُ اللـذات واللهِ، حُـرّ

---

(١) هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، وموضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) في ما، ف: و «لقب الخاسر». وكان القياس سلما الخاسر على أن الخاسر صفة، ولكن لشيوعها نزلت منزلة اللقب فصار يضاف إليها الاسم.

(٣) الدرك: الإدراك واللحاق.

(٤) كذا في ف، ما، وفي باقي النسخ: «حج معه عتبة».

(٥) كذا في ف، وفي غيرها: «طفت» مكان «طافت». وهو تحريف.

(٦) المطبق، كمشفق: السجن تحت الأرض. وفي ما، ف: المطبق «بفتح الباء».

تَـركَ الـمـوصـلـيُّ مَـن خَـلَـق اللّـ ـهُ جميعـاً وعيشهـم مُقْشِعِـرّ

يرد مصحفاً من ميراث أبيه ويأخذ مكانه دفاتر شعر

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني عليُّ بن الحسن الواسطيُّ، قال: حدثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر، قال:

لما مات عمرٌو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثَه، فوقع في قِسْط سَلْم مصحفٌ، فردّه وأخذ مكانه دفاترَ شعر كانت عند أبيه، فلُقِّب الخاسرَ بذلك.

أجازه المهدي أو الرشيد بمائة ألف درهم ليكذب تلقيبه بالخاسر

أخبرني الحسن، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني، قال: ورث سلمُ الخاسرِ أباه مائةَ[1] ألف درهم، فأنفقها على الأدب، وبقي لا شيءَ عنده، فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق مالَه على ما لا ينفعه. ثم مدح المهديّ، أو الرشيد ـ وقد كان بلغه اللقبُ الذي لُقّب به ـ فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كذِّب بهذا المال جيرانَك، فجاءَهم بها، وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب، فأنا سَلْم الرَّابح، لا سَلْم الخاسر.

[١٩/٢٦٣] / ورث مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً فلقب الخاسر

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ عمار، قال: حدثني عليّ بن محمد النوفليّ، عن أبيه، قال:

إنما لُقّب الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه، واشترى بثمنه طُنبُوراً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عمرُ[2] الفضل، قال:

قال لي الجَمّاز: سلم الخاسر خالي لَحّاً[3]، فسألته: لم لقب الخاسر؟ فضحك، ثم قال: إنه قد كان نَسَك مدة يسيرة، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه، وباع مصحفاً له وَرِثه عن أبيه ـ وكان لجدّه قبله ـ واشترى بثمنه طُنْبوراً. فشاع خبره وافتَضَح، فكان يقال له: ويلك! هل فعل أحد ما فعلتَ؟ فقال: لَمْ أجد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا.

أخبرني عمّي، قال: أنبأنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن صالح المؤدب، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، قال: حدثني أبي، عن أحمد بن صالح، قال: قال بشارُ بن برد:

صوت

لا خَيْـرَ فـي العيشِ إن دُمنـا كـذا أبـداً لا نلتقـي وسبيـلُ المُلْتَقـى نَهِـجُ[4]

---

(١) كذا في س، والفعل (ورث) ينصب مفعولاً واحداً فيما رجعنا إليه من معاجم، فكأن «مائة ألف» بدل اشتمال حذف معه ضمير المبدل منه.

(٢) ف، ما: «عمي بدل عمر».

(٣) لحا: لاصق النسب.

(٤) نهج، بسكون الهاء: واضح، وحركها للوزن.

قـالـوا حَـرامٌ تـلاقِينـا فقلـتُ لهـمْ ... مـا فـي التَّـلاقـي ولا فـي غيـرِه حـرَجُ
مَـنْ راقَـبَ النـاسَ لـم يظفَـرْ بحـاجتِـه ... وفـاز بـالطيِّبـاتِ الفـاتـكُ اللهِـجُ[1]

قال: فقال سلم الخاسر أبياتاً، ثم أخذ معنى هذا البيت، فسلخه، وجعله في قوله:

مَـن راقـب النـاسَ مـات غَمّـاً ... وفـاز بـاللـذة الجَسـورُ

[١٩/٢٦٤] / سبب غضب بشار عليه ثم رضاه عنه

فبلغ بيتُه بشاراً، فغضب واستشاط، وحلف ألا يَدْخلَ إليه، ولا يفيدَه ولا ينفعَه ما دام حياً. فاستشفَع إليه بكلّ صديق له، وكلُّ من يَثْقُل عليه ردُّه، فكلّموه فيه، فقال: أدخلوه إليّ، فأدخلوه إليه فاستدناه، ثم قال: إيه يا سلم، مَن الذي يقول:

مَـن راقـب النـاسَ لـم يظفَـرْ بحـاجتِـه ... وفـاز بـالطيِّبـاتِ الفـاتـكُ اللهِـجُ

قال: أنت يا أبا معاذ، قد جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

مَـن راقـب النـاس مـات غمّـاً ... وفـاز بـاللـذة الجسـورُ؟

قال: تلميذك، وخِرِّيجك، وعبدك يا أبا معاذ، فاجتذبه إليه، وقَنَّعه[2] بمِخْصَرة[3] كانت في يده ثلاثاً، وهو يقول: لا أعود يا أبا مُعاذ إلى ما تُنكره، ولا آتي شيئاً تُذمّه، إنما أنا عبدك، وتلميذك، وصَنيعَتك، وهو يقول له: يا فاسق! أتجيء إلى معنًى قد سهِرَتْ له عيني، وتعِب فيه فكري وسَبقتُ الناسَ إليه، فتسرِقَه، ثم تختصرَه لفظاً تقرّبه به، لِتَزْري عليّ، وتذهب بيتي؟ وهو يحلف له ألا يعود، والجماعة يسألونه. فبَعدلأْي وجهدما[4] شَفَّعهم فيه، وكفَّ عن ضربه، ثم رجع له، ورضي عنه.

(٤)

أخبرني أحمدُ بنُ عبيدُ الله بن عمار[5]، قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور، قال: حدثني عبدُ الوهاب بنُ مرّار، قال: حدثني أبو معاذ النُّمَيريّ راوية بشار، قال:

قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت:

مـن راقـب النـاسَ لـم يظفَـرْ بحـاجتِـه ... وفـاز بـالطيِّبـاتِ الفـاتـكُ اللهـجُ

[١٩/٢٦٥] / قال: فقلت له يا أبا مُعاذ! قد قال سلم الخاسر بيتاً، هو أحسنُ وأخفّ على الألسن من بيتك هذا، قال: وما هو؟ فقلت:

مَـن راقـب النـاسَ مـات غَمّـاً ... وفـاز بـاللـذة الجسـورُ

فقال بشار: ذهب والله بيتنا، أما والله لَوَدِدت أنه ينتمي في غيرِ ولاء أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأني مُغرَم[6]

---

(١) اللهج بالشيء: المولع به.
(٢) قنعه بالعصا ونحوها: غشاه بها.
(٣) المخصرة: أداة كالسوط.
(٤) ما شفعهم: «ما» زائدة.
(٥) ف: «محمد بن عبد الله بن عمار».
(٦) مغرم: ملزم.

ألف دينار محبة مني لِهَتْك عرضِه وأعراض مواليه! قال: فقلت له: ما أخرج هذا القولَ منك إلا غَمّ. قال: أجل، فوالله لا طَعِمت اليوم طعاماً، ولا صُمْت.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه، قال: حدثني محمد بن إسحاق بنِ محمد النَّخَعيّ[١]، قال: قال أبو معاذ النميريّ: قال بشار قصيدة، وقال فيها:

مَن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه ... وفاز بالطيِّباتِ الفاتكُ اللهِجُ

فعرّفته أن سلماً قد قال:

مَن راقب الناسَ مات غَمّاً ... وفاز باللذة الجسورُ

فلما سمع بشار هذا البيت قال: سار والله بيتُ سلم، وخَمَل بيتنا! قال: وكان كذلك، لَهِج الناسُ بِبَيت سلم، ولم يُنشِد بيتَ بشارٍ أحدٌ.

شعره في قصر صالح بن المنصور

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ، قال: حدثني الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ، قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ، قال:

لما بَنى صالح بن المنصور قصرَه بدِجْلة قال فيه سَلْم الخاسر:

[٢٦٦/١٩] / يا صالحَ الجودِ الذي مَجدُه ... أفسدَ مجدَ الناسِ بالجودِ

بَنَيتَ قصراً مشرِفاً عالياً ... بطائرَيْ سعدٍ ومسعودِ

كأنما يَرفعُ بنيانَه ... جِنُّ سليمانَ بنِ داودِ

لا زلتَ مسروراً به سالماً ... على اختلاف البيضِ والسودِ

- يعني الأيام والليالي -، فأمر له صالح بألف درهم.

ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشار فيه، ثم ينشده لنفسه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني بعض آل ولد[٢] حمدونَ بن إسماعيل - وكان ينادم المتوكل - عن أبيه، قال:

كان سلم الخاسر من غِلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عُمر بن العلاء - وهي التي يقول فيها:

إذا نَبّهتْك صعابُ الأمورِ[٣] ... فنبّه لها عُمَراً ثم نَمْ

فَتًى لا يبيت على دِمْنَةٍ[٤] ... ولا يَشرب الماءَ إلا بِدَمْ

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء، فوافاه فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم. فقال له

(١) ف: «إسحاق بن محمد النخعي».
(٢) مم، ف: بعض ولد «حمدون».
(٣) مم: «الخطوب».
(٤) الدمنة: الحقد القديم الثابت.

سلم: إنَّ خادمك ـ يعني نفسه ـ قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإنك لَهُناك[1]؟ قال: تسمع، ثم تَحْكُم، ثم قال: هات، فأنشدَه:

صوت

قد عزّني الداءُ فما لِي دَواءْ ... مِمّا أُلاقي من حِسانِ النساءْ
قَلْبٌ صحيحٌ كنتُ أسطو به ... أصبح مِن سَلْمى بِداء عَياءْ[2]
/ أنفاسها مِسك وفي طَرْفِها ... سِحر ومالي غيرها من دواءْ [٢٦٧/١٩]
وَعَذَلتِني وَغَداً فأُوفي به ... هل تَصْلُح الخمرة إلا بماءْ؟

ويقول فيها:

كم كُرْبَةٍ قد مسّني ضُرُّها ... نادَيْتُ فيها عُمَر بن العلاءْ

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أولَ عطية سنية وصلت إليه.

صداقته لعاصم بن عتبة ومدحه إياه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مَهْرُويه، قال: وجَدْت في كتاب بخط الفضل بن مروان:

وكان عاصم بن عتبة الغساني جَدُّ أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر، كثيرَ البِرّ به، والملاطفة له، وفيه يقول سَلْم:

الجُود في قحطانِ ... ما بَقِيتْ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبالي[3] ... ما فَعَل الإخوانُ
ما ضَرّ مُرْتجيه ... ما فعل الزمانُ
مَن غاله مَخُوفٌ ... فعاصمٌ أمانُ

وكانت سبعين بيتاً، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مَبْلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خَمْسَمائةِ ألفِ درهم، فلما حضرَتْه الوفاة دعا عاصماً فقال له: إني ميِّت، / ولا ورثةَ لي، وإن مالي مأخوذ، فأنت أحَقّ به، فدفع [٢٦٨/١٩] إليه خمسَمائةِ ألفِ درهم، ولم يكن لسلم وارث. قال: وكان عاصم هذا جواداً.

يزيد بن مزيد يحسد عاصم بن عتبة على شعره فيه

أخبرني محمد بن خلف وَكيع، قال: حدثنا عبد الله بنُ أبي سعد، قال: حدثني محمد بن طَهمان، قال: أخبرني القاسمُ بنُ موسى بنِ مَزْيد.

أن يزيدَ بنَ مزيد قال: ما حَسدْتُ أحداً قطُّ على شعر مُدح به إلا عاصم بن عُتْبة الغسّانيّ، فإني حسدته على قول سلم الخاسر فيه:

---

(١) فإنك لهناك؟: أفأنت تطيق ذلك؟.
(٢) مم: «لله قلب كنت أسطو به».
(٣) في المختار: أسلم لا أبالي.

لِعـــاصِـــم سَمـــاءٌ عـــارِضُهـــا تَهتـــانُ
أمطـــارُهـــا اللجيـــنُ والـــدر[1] والعِقيـــانُ[2]
ونـــارُه تنـــادِي إذْ خَبَـــتِ النِّيـــرانُ
الجـــودُ فـــي قحطـــان مـــا بقيَـــتْ غســـان
اسلَـــمْ ولا أُبـــالِـــي مـــا فَعَـــلَ الإخـــوان
صَلْـــتٌ لـــه المعـــالِـــي والسيـــف والسنـــان

كان يقدم أبا العتاهية على بشار ثم فسد ما بينهما

أخبرني أحمد بن عُبيد الله[3] بن عمار، قال: حدثنا يعقوبُ بن نُعَيْم، عن[4] محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، وأخبرني به الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن الغَريبي، عن محمد بن عمر الجرجاني، قال:

كان سلم تلميذَ بشار، إلا أنه كان تباعدَ ما بينهما، فكان سلم يُقدِّم أبا العتاهية، ويقول: هو أشعرُ الجن والإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً:

[١٩/٢٦٩] / تعـــالَـــى اللهُ يـــا سلـــمَ بـــنَ عمـــرو أذلَّ الحـــرصُ أعنـــاقَ الـــرجـــالِ
هَـــبِ الـــدّنيـــا تصيـــرُ إليـــك عَفْـــواً أليـــس مصيـــرُ ذاك إلـــى زوال!

قال: وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه، وقال: لعمري إن الحرص لمَفْسَدة لأمر الدين والدنيا، وما فتَّشت عن حريص قطّ مُغَيَّبِه[5] إلا انكشف لي عمَّا أَذُمّه. وبلغ ذلك سلماً، فغضب على أبي العتاهية، وقال: وَيْلي على الجَرّار ابنِ الفاعلة الزِّنْديق! زعم أني حريص، وقد كَنَز البُدور[6] وهو يطلب وأنا في ثوبَيّ هذين، لا أملك غيرهما. وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك.

يرد على أبي العتاهية حين اتهمه بالحرص في شعر له

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: أخبرني محمد بن إسماعيل السَّدُوسي، قال: حدثني جعفر العاصمي، وأخبرني عمي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن القاسم بن الحسن، عن زكريا بن يحيى المدائني، عن علي بن المبارك القُضَاعيّ، عن سلم الخاسر.

أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه:

مـــا أقبـــحَ التـــزهيـــدَ مِـــنْ واعـــظٍ يُـــزَهِّـــدُ النـــاسَ ولا يَـــزْهَـــدُ
لـــو كـــان فـــي تـــزهيـــدِه صـــادقـــاً أضحـــى وأمســـى بيتَـــه المسجـــدُ
ورفَـــضَ الـــدنيـــا ولـــم يَلْقَهـــا ولـــم يكـــن يسعـــى ويستَـــرْفِـــدُ

(١) في المختار: الإبريز مكان (الدر)، والإبريز من الذهب: خالصه.
(٢) العقيان: الذهب الخالص.
(٣) ف: «أخبرني عبيد الله بن عمار».
(٤) مم: «ومحمد بن القاسم».
(٥) كذا في ف، ومغيبه بدل من حريص، وفي س: «معيبه»، وهو تحريف. وفي المختار: ما فتشت عن حريص قط إلا انكشف.
(٦) البدور، جمع البدرة، بفتح فسكون، وهي: قدر كبير من المال.

يخـــاف[1] أن تنفـــذَ أرزاقُـــه والـــرزقُ عنـــد الله لا ينفَـــدُ
الـــرِّزقُ مقســـوم علـــى مَـــنْ تَـــرَى ينـــالُـــه الأبيـــض والأســـودُ
كُـــلٌّ يُـــوفَّـــى رزقَـــه كـــامـــلاً مَـــنْ كـــفَّ عـــن جهـــد ومَـــن يَجْهَـــدُ

/ ابن أخته ينتصر له من أبي العتاهية [١٩/ ٢٧٠]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو العسكر المِسْمعيّ، وهو محمد بن سليمان، قال: حدثني العَبّاس بنُ عبد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مسمع، قال:

كنا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد، فقال لي: قُثَمُ: يا عباس! اطلب لي الجَمَّاز الساعة حيث كان فجئني به، ولك سَبَق[2]، فطلبته؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكْن دار جعفر بن سليمان، فقلت: له أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثمَ فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده، ثم قام إليه الجمَّاز فواجهه، وأنشد قولَ سلم الخاسر فيه:

مـــا أقبـــح التـــزهيـــدَ[3] مـــن واعـــظٍ يُـــزَهِّـــدُ النـــاسَ ولا يَـــزْهَـــدُ
لـــو كـــان فـــي تـــزهيـــدِه صـــادقـــاً أضحـــى وأمســـى بيتَـــه المسجـــدُ

وذكر الأبيات كلها، فقال أبو العتاهية: مَن هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجماز، وهو ابن أخت سلم الخاسر، انتصر لخاله منك حيث قلت له:

تعـــالَـــى اللهُ يـــا سلـــمَ بـــنَ عمـــرو أذلَّ الحـــرصُ أعنـــاق الـــرجـــالِ

قال: فقال أبو العتاهية للجماز: يابن أخي، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذَهب خالُك؛ ولا أردتُ أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذَهَبْتَ من الحرص على الرزق، واللهُ يغفر لكما! ثم قام فانصرف.

مبلغ ما وصل إليه من الرشيد والبرامكة

أخبرني عمّي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هَفّان، قال:

وصَل إلى سلم الخاسر مِنْ آل بَرْمكَ خاصة سِوى ما وصل إليه من غيرهم عِشرون ألف دينار، ووصل إليه من الرشيد مثلُها.

/ يطلب إلى أبي محمد اليزيدي أن يهجوه فيفعل فيندم [١٩/ ٢٧١]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عَمّاي عبيدُ اللهِ والفضلُ؛ عن أبيهما، عن أبي محمد اليزيديّ:

أنه حضر مجلس عيسى بنَ عمر، وحضر سلم الخاسر، فقال له: يا أبا محمد، اهْجُني عَلَى رَوِيّ قصيدة امرىء القيس:

(١) كذا في المختار، وفي س: «فخاف»، وهو تحريف.

(٢) والسبق، بالتحريك: ما يتراهن عليه المتسابقون.

(٣) في س: «الزهيد»، وهو تحريف.

رُبَّ رامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُخْرِجٌ كفيه في سُتَرِهْ[1]

قال: فقلت له: ما دعاك إلى هذا؟ قال: كذا أريد. فقلت له: يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر فَلْتَسَعْكَ العافية، فقال: إنك لتَحْتَجز مِنّي نهاية الاحتجاز، وأراد أن يوهم عيسى أني مُفْحَمٌ عَيِيٌّ لا أقدر عَلَى ذلك، فقال لي عيسى: أسألك يا أبا محمد بِحَقِّي عليك إلا فَعَلْتَ. فقلت:

رُبَّ مغموم بِعَاقِبَةٍ غَمَطَ النعمةَ من أَشَرِهْ
وامرئٍ طالت سلامتُه فرماه الدهرُ من غِيَرِهْ
بِسِهامٍ غير مُشْوِيَةٍ نَقَضَتْ منه قُوى مِرَرِهْ[2]
وكذاك الدهر منقلِبٌ بالفتى حالين من عُصُرِهْ
يَخْلِطُ العُسْرَ بِمَيْسَرةٍ ويَسارُ المرء في عُسُرِهْ
عَقَّ سلمٌ أُمَّه صِغَراً وأبا سَلْمٍ عَلَى كِبَرِهْ
/ كلَّ يومٍ خلفَه رجُلٌ رامحٌ يسعى عَلَى أَثَرِهْ
يُولِجُ الغُرْمُولَ[3] سَبَّتَه[4] كَوُلوجِ الضَّبِّ في جُحُرِهْ

[٢٧٢/١٩]

قال: فاغتم سلم وندم، وقال: هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر، فضحك عيسى، وقال له: قد جَهَد الرجل أن تَدَعه، وصيانَته ودِينَه فأبيتَ إلا أن يُدْخِلك في حِرِ أمك.

ترفهه وتخشن مروان بن أبي حفصة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عليّ بن محمد النَّوْفَلِيّ، قال: سمعت أبي يقول:

كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسرَ عطية واحدة، فكان سلم يأتي باب المهدي على البِرْذَوْن الفارِه، قيمته عشرة آلاف درهم، بِسَرْجٍ ولجام مفضَّضين، ولباسُه الخَزّ والوَشْي، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحةُ المِسكِ والطِّيب والغاليةِ تفوح منه، ويجيء مروانُ بن أبي حفصة عليه فَرْوٌ[5] كَبَلٌ وقميص كرابيس[6] وعمامة كرابيس وخفا كَبَل[7] وكساء غليظ، وهو منتن الرائحة. وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَمَ إليه بُخْلاً، فإذا قَرِمَ أرسل غلامه، فاشترى له رأساً فأكلَه. فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس! قال: نعم، أعرِف سعرَه، فآمن خيانةَ

(١) روى: «متلج» مكان «مخرج»، و«قتره» مكان «ستره». ومتلج: أصله مولج، قلبت الواو تاء شذوذاً. والستر: جمع سترة، وهو الموضع الذي يستتر الصائد فيه، وقيل: هو الكم. والقتر: جمع قترة، بضم فسكون. وهي حفيرة يكمن فيه الصائد. وثعل: أبو قبيلة من طي كانت أرمى العرب.
وأراد بالرامي هنا: عمرو بن المسح بن كعب بن طريف. ديوان الشاعر: ١٦٤، وشرح شواهد الشافية: ٤٦٧.
(٢) أشوى السهم: لم يصب مقتلاً. المرر، جمع مرة، بالكسر ومن معانيها طاقة الحبل. وفي س: «غير مبرية».
(٣) الغرمول: الذكر.
(٤) السبة: الاست.
(٥) فرو كبل، بالتحريك: قصير.
(٦) قميص كرابيس: الكرابيس، جمع كرباس. وهو ثوب من القطن الأبيض، وصف بجمعه.
(٧) الكبل: جلد شفة الدلو، والكثير الصوف من الفراء.

الغلام، ولا اشترى لحماً فيَطبخَه فيأكلَ منه. والرأس آكُلُ منه ألواناً: آكُلُ منه عينيه لوناً، ومن غَلْصَمَتِه[1] لوناً، ومن دماغه لوناً.

/ ابتلاؤه بالكيمياء ثم انصرافه عنها [١٩/٢٧٣]

أخبرني الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرُويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ، قال: أخبرني أبي، قال:

كان سلم الخاسرِ قد بُلِي بالكيمياء فكان يذهب بِكُلِّ شيء له باطلاً، فلما أراد الله ـ عز وجل ـ أن يَصنع[2] له عُرِّفَ أنّ بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً، فسأل عنه فدلوه عليه.

قال: فدخلت إليه إلى موضع مُعْوِر[3]، فدققت الباب فخرج إليّ، فقال: مَن أنت عافاك الله؟ فقلت: رجل معجَب بهذا العلم. قال: فلا تَشْهَرني، فإني رجل مستور، إنما أعمل للقوت. قال: قلت: لأني لا أشهَرك، إنما أقتبس منك، قال: فاكتم ذلك. قال: وبين يديه كوزُ شَبَهٍ[4] صغيرٌ. فقال لي: اقْلَعْ عُروتَه، فقلعتها. فقال: اسبُكها في البُوطَقة، فسبكتها، فأخرجَ شيئاً من تحت مُصلاّه، فقال: ذُرّه عليه، ففعلت. فقال: أفرغه، فأفرغتُه. فقال: دعه معك، فإذا أصبحتَ فاخرُج، فبعْه وعُدْ إليّ، فأخرجته إلى باب الشام، فبعتُ المثقال بأحد وعشرين درهماً، ورجعت إليه فأخبرته. فقال: اطلب الآن ما شئت. قلت: تفيدني. قال: بخَمْسمائةِ درهم على أن لا تعلِّمه أحداً، فأعطيته، وكتب لي صفة، فامتحنتها، فإذا هي باطلة. فعُدْت إليه، فقيل لي: قد تحوّل، وإذا عُروة الكوز المشَبّه[5] من ذهب مركبة عليه، والكوز شَبَه. ولذلك كان يُدْخل إليه من يَطلبه ليلاً، ليخفى عليه، فانصرفت، وعلمت أن الله ـ عز وجل ـ أراد بي خيراً، وأن هذا كله باطل.

يرثي البانوكة بنت المهدي [١٩/٢٧٤]

أخبرني محمد بنُ عِمران الصيرفيّ، قال: حدثنا العَنزيّ، قال: حدثني أبو مالك اليماني، قال: حدثني أبو كعب، قال:

لما ماتت البانوكة بنت المهدي رثاها سلم الخاسر بقوله:

أودَى ببانوكةَ ريبُ الزمانْ ... مُؤْنسةِ المهديِّ والخيزُرانْ
لم تَنْطُو الأرض على مثلِها ... مولودةً حَنّ لها الوالدانْ
بانوكُ يا بنتَ إمامِ الهُدَى ... أصبحْتِ من زينةِ أهلِ الجِنَانْ
بَكتْ لكِ الأرضُ وسُكّانُها ... في كلِّ أُفْقٍ بين إنسٍ وجانْ

---

(١) الغلصمة: اللحم بين العنق والرأس، وتطلق على غير ذلك.

(٢) يصنع له: يريد الخير له.

(٣) معور: لا يؤمن الشر فيه، من أعور الفارس: إذا بدا فيه موضع خلل للضرب.

(٤) الشبه: النحاس الأصفر.

(٥) المشبه: الملبس الذي لا تعرف حقيقته.

كان يهاجي والبة بن الحباب

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ، قال: حدثني أبو المستهِلّ الأسديّ، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة، قال:

كان سلم الخاسر يهاجي والِبَة بن الحباب، فأرسلني إليه وقال: قل له:

يا والبَ بنَ الحُبابِ يا حَلَقي[1] لَسْتَ من أهل الزناء فانطلقِ
دُخْلُ فيه الغُرمولَ تولجه مثلَ وُلوج المِفتاح في الغَلَقِ

قال: فأتيت والبة فقلت له ذلك، فقال لي: قل له: يابن الزانية، سَلْ عنك ريعان التميمي - يعني أنه ناكه - قال: وكان رَيْعَانُ لُوطياً آفةً من الآفات، وكان علاّمةً ظريفاً.

قال: فحدثني جعفر بن قدامة عن محمد العِجْلي، عن أحمد بن معاوية الباهليّ، قال: سمعت رَيعانَ يقول: نِكتُ الهيثم بنَ عديّ، فمَن ترونه يُفلت مني بعده؟.

يعتذر إلى المهدي من مدحه لبعض العلويين

[١٩/٢٧٥] وأخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثنا العَنزيّ، قال: حدثني أبو مالك / محمد بن موسى اليمانيّ، قال:

كان سلم الخاسر مَدَح بعض العلويين، فبلغ ذلك المهديّ، فتوعّده وهمّ به، فقال سلم فيه:

إني أتتني على المهديّ مَعْتَبةٌ تكاد من خوفها الأحشاء تضطربُ
اسمعْ فداكَ بَنُو حواء كلُّهمُ وقد يجور برأس الكاذب الكذبُ
فقد حلفتُ يميناً غيرَ كاذبة يوم المَغِيبة لم يُقطَعْ لها سببُ
ألاّ يحالِفَ مدحي غيرَكم أبداً ولو تلاقَى عليّ الغَرْضُ[2] والحَقَبُ[3]
ولو ملكتُ عِنان الريح أصْرِفها في كلّ ناحيةٍ ما فاتها الطلب
مولاكَ مولاك لا تُشمِت أعاديَه فما وراءك لي ذِكْرٌ ولا نسبُ

فعفا عنه.

كان لا يحسن المدح ويحسن الرثاء

وأخبرني أحمد بن العباس[4]، وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا العَنَزِيّ، قال: حدثني العباسُ بنُ عبدِ الواحد بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ، قال: حدثني موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهاب المِسْمَعيّ، قال:

سمعت أبا عبيدة مَعْمَر بنَ المثنى يقول: كان سَلْم الخاسر لا يحسن أن يَمْدَح، ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل.

---

(١) الحلقي، من قولهم: أتان حلقية؛ بالتحريك: إذا تداولها الحمر حتى أصابها داء في رحمها.
(٢) الغرض؛ هو للرحل كالحزام للسرج.
(٣) الحقب؛ محركة: الحزام يلي حقو البعير، والحقو بفتح فسكون: الكشح. ابن منظور لسان العرب؛ / ١٨٩ مادة (حقا).
(٤) ف: «أحمد بن عبد العزيز».

يعد الرثاء في حياة من يعنيه رثاؤهم

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثني عليُّ بنُ الحسنِ الشّيبانيّ، قال: حدثني أبو المُسْتَهِلّ، قال:

/ دخلت يوماً على سلم الخاسر، وإذا بين يديه قراطِيسُ فيها أشعار يَرثي ببعضها أمَّ جعفر، وببعضها جارية [١٩/٢٧٦] غير مُسمّاة، وببعضها أقواماً لم يموتوا، وأمُّ جعفر يومئذ باقية. فقلت له: ويحَك! ما هذا؟ فقال: تحدُث الحوادث فيطالبوننا[١] بأن نقول فيها، ويستعجلوننا[١]، ولا يَجْمل بنا أن نقول غير الجَيّد، فنُعِدّ لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً، على أنه قيل في الوقت.

إعجاب المأمون ببيت: تعالى الله يا سلم

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد وعيسى بنُ الحسين، قالا: حدثنا الزبير بنُ بكّار، قال: قال عبد الله بنُ الحسن الكاتب:

أنشد المأمون قول أبي العتاهية:

تعالَى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرٍو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون: صدق لَعَمْرُ الله، إنّ الحِرْص لمَفسَدَة للدِّين والمروءة، والله ما رأيت من رجل قط حِرْصاً ولا شَرهاً، فرأيت فيه مُصْطَنعاً. فبلغ ذلك سلماً الخاسر، فقال: ويلي على ابن الفاعلة بياعِ الخَزَف، كنَز البُدور بمِثْل ذلك الشعرِ المفكّكِ الغثّ، ثم تَزهّد بعد أن استغنى، وهو دائباً يهتف بي، وينسبني إلى الحرص، وأنا لا أملك إلا ثَوْبيّ هذين.

يسكت أبا الشمقمق عن هجائه بخمسة دنانير

أخبرني عمّي والحسنُ بنُ عليّ، قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثنا زكريا بنُ مهران، قال:

طالب أبو الشمَقْمَق سلماً الخاسر بأن يهب له شيئاً، وقد خرجَتْ لسلم جائزة، فلم يفعل، فقال أبو الشمقمق يهجوه:

يا أمَّ سَلْم هداكِ اللهُ زُورينَا ... كيما نَنيكَكِ فَرْداً أو تَنيكِينا

/ ما إن ذَكَرْتُكِ إلّا هاجَ[٢] لي شَبَقٌ ... ومثلُ ذِكْراكِ أمَّ السلمِ يُشْجِينا [١٩/٢٧٧]

قال: فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحبّ أن تُعْفِيَني من استزارتكِ أُمّي وتأخذ هذه الدنانير فتُنْفِقها.

من شعره حين ولي يعقوب بن داود بعد أبي عبيد الله

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثني يحيى بنُ الحسن بنِ عبد الخالق، قال: حدثني محمدُ بنُ القاسم بنِ الربيع عن أبيه، قال:

---

(١) كذا في المختار، وفي س: «يطالبونا ويستعجلونا»، وما أثبتناه أكثر استعمالاً.
(٢) في المختار: «هجت لي شبقاً».

دخل الرّبيعُ على المَهْدِيّ وأبو عبيد الله جالس يَعْرِض كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مُرْ هذا أن يتنحّى - يعني الربيع - فقال له المهدي: تَنَحّ، فقال: لا أفعل. فقال: كأنك تَراني بالعَينِ الأولى! فقال: لا، بل أراك بالعَينِ التي أنت بها. قال: فَلِمَ لا تتنحّى إذ أمرتك؟ فقال له: أنت رُكنُ الإسلام، وقد قَتَلْتَ ابنَ هذا، فلا آمَن أن يكون معه حَدِيدةٌ يَغتالُك بها، فقام المهديّ مذعوراً، وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جَوْرَبِه وخُفِّه سِكّيناً، فرُدّت الأمور كلُّها إلى الربيع، وعُزِل أبو عبيد الله، ووُلّيَ يعقوبُ بنُ داود، فقال سلم الخاسر فيه:

يَعقُـوبُ يَنظُـر فـي الأمـو ... رِ وأنـت تَنظـر نـاحِيـة
أدخـلـتَـه فـعـلا عـلـيـك كـذاك شـؤم الـناصيـة

قال: وكان بلغ المهديَّ من جهة الربيع أن ابن أبي عُبيد الله زِنْدِيقٌ، فقال له المهديّ: هذا حَسَدٌ منك. فقال: افحص عن هذا، فإنْ كنتُ مُبْطِلاً بلَغْت مِنّي الذي يَلزم مَن كذَبك. فأتى بابنِ عبيد الله، فقرّره تقريراً خفيّاً، فأقرّ بذلك، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسي بذلك. فقَتله وصَلبه عَلَى بابِ أبي عبيد الله.

[٢٧٨/١٩] / قال: وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمقِ الناس: وهَب له المهديُّ وَصيفةً، ثم سأله بعد ذلك عنها، فقال: مَا وَضَعتُ بيني وبين الأرضِ حَشيّةً قَطُّ أوْطأَ منها حاشا سامع[١]، فقال المهديّ لأبيه: أتُراه يعنيني، أو يعنيك؟ قال: بَل يَعْني أُمَّه الزانية، لا يكنى.

شعره في الفضل بن الربيع حين أخذ البيعة للمهدي

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُوَيْه، قال: حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كنت أنا والربيع نَسِير قريباً مِن مَحْمِل المنصور حين[٢] قال للربيع: رأيت كأن الكعبة تصدَّعَتْ، وكأن رجلاً جاء بِحَبل أسود فشدَّدها، فقال له الربيعُ: مَن الرجل؟ فلم يُجبه، حتى إذا اعتلّ قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيتُه في نومي شدّد الكعبة! فأيّ شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع:

يـابـن[٣] الـذي جَبَـر الإسـلامَ يـومَ وهـي ... واستَنقَـذَ النـاسَ مِـن عَمْيـاءَ صَيْخـودِ[٤]
قـالـت قـريـشٌ غَـداةَ أنهـاضَ مُلْكُهُـمُ: ... أيـن[٥] الـربيـع وأعطَـوْا بـالمَقـالـيـدِ
فقـام بـالأمـر منـاسٌ بـوَحْـدَتِـه ... مَـاضِـي العـزيمـةِ ضـرّابُ القَمـاحيـد[٦]
إن الأمـورَ إذا ضـاقَـتْ مَسـالِكُهـا ... حَلَّـتْ يـدُ الفضـلِ مِنهـا كـلَّ مَعقـودِ

---

(١) كذا في الأصول: وقد تكون: سامع هذا.
(٢) في س: «حتى»، هو تحريف.
(٣) كذا في المختار، وفي س: «وابن»، وما أثبتناه هو ما يقتضيه بدء الكلام.
(٤) الصيخود، هي في الأصل: الصخرة الشديدة، ويوم صيخود: شديد الحر. وصف بها الفتنة الشديدة العمياء التي كان يمكن أن يتعرض لها الناس لولا صنيع الفضل.
(٥) كذا في س، ف. وفي مم: «يابن الربيع».
(٦) القماحيد، جمع القمحدوة، كالقلنسوة. وهي: الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال. والقذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس. وجمع القمحدوة قماحد، فأشبع كسرة الحاء.

/ إنَّ الربيعَ وإنّ الفضلَ قد بَنَيا رواقَ مجدٍ على العبَّاس ممدودِ [١٩/٢٧٩]

قال: فوهب له الفضلُ خمسة آلاف دينار.

شعره حين عقدت البيعة للأمين

أخبرني عمّي، قال: حدثنا أبو هِفَّان، قال: حدثني سعيد أبو هُرَيم[1] وأبو دعامَة، قالا: لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عَقد البَيعةَ لابنه محمد الأمين:

قد بايَع الثَّقلانِ في مَهْد الهُدَى لمحمدِ بنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفرِ
ولَّيتَه عَهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ فدمَغْتَ بالمعروفِ رأسَ المنكَرِ

أعطته زُبَيْدَة مائة ألفِ درهم.

المهدي يأمر له بخمسمائة ألف درهم لقصيدته فيه

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، قال: حدثني أحمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الخراسانيّ[2]، عن يحيى بنِ الحسنِ بنِ عبد الخالق، عن أبيه، قال:

قال سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها:

له شِيمَةٌ عند بَذْلِ العَطا ءِ لا يَعْرِفُ الناسُ مقدارَها
ومَهْديُّ أُمّتِنا والذي حَماها وأدرَكَ أوتارَها

فأمر له المهديّ بخَمسِمائةِ ألف درهم.

طلب إلى الرشيد أن يفضله في الجائزة على مروان بن أبي حفصة فأجابه

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا منصور بنُ أبي مزاحم، قال:

شَهِدْتُ المهديَّ وقد أمر لمروانَ بنِ أبي حفصةَ بأربعين ألفَ درهم، وفرضَ له على أهل بيتِه وجلسائه ثلاثين ألفَ درهم. وأمر الرشيدُ بعدَ ذلك لمَّا ولي الخلافةَ لسلم الخاسر ـ/ وقد مدحه ـ بسبعين ألفَ درهم، فقال له: [١٩/٢٨٠] يا أمير المؤمنين، إنّ أكثر ما أعطى المهديُّ مروانَ سبعون ألفَ درهم، فزِدْني وفضِّلني عليه، ففعل ذلك، وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم، فقال سلم

فخره على مروان بجائزته ورد مروان عليه

ألا قُلْ لمَروانٍ أتتْكَ رسالةٌ لها نَبَأٌ لا يَنْثني عن لِقائكا
حَباني أميرُ المؤمنين بنَفْحَةٍ مُشَهَّرَةٍ قد طأطأتْ من حِبائكا
ثمانين ألفاً حُزْتُ من صُلْبِ ماله ولم يكُ قَسْماً من أُولَى وأولائكا

فأجابه مروان فقال:

---

(١) ف: «ابن مريم».

(٢) أحمد بن محمد بن عيسى».

أَسلْـمَ بـنَ عمرو قـد تَعـاطَيْـتَ غـايـةً تُقَصِّـرُ عنهـا بعـدَ طُـول عنـائكـا
فـأُقسِـم لـولا ابـنُ الـربيـع ورِفْـدُه لمـا ابْتَلَّـت الـدّلـوُ التـي فـي رِشـائكـا
ومـا نِلْـتَ مُـذْ صُـوِّرتَ إلا عطيّـةً تَقُـوم بهـا مَصـرورةً فـي ردائكـا

مات عن غير وارث فوهب الرشيد تركته

حدثني وَسْواسة بن الموصليّ، وهو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إسماعيل بنِ إبراهيم، قال: حدثني حماد، عن أبيه. قال:

استَوهبَ أبي من الرشيدِ تَركةَ سلم الخاسر، وكان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قَبلَ أن يتسلَّمها صاحبُ المواريث، فحصَّل منها خمسين ألف دينار.

أخبرني عمي، قال: حدثني أبو هِفَّان، عن سعيدِ بن هُرَيم وأبي دعامة أنه رُفع إلى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفي، وخلَّف ممَّا أخذه منه خاصة ومن زُبَيْدَةَ أَلْفَ أَلْفٍ وخمسَمائةِ ألفِ درهم سوى ما خلّفه من عَقَار وغيره مما اعتقده[1] قديماً، فقبضه الرشيد. وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، فقال: هذا / خادِمي ونَدِيمي، والذي خلّفه من مالي، فأنا أحقُّ به، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكِه. [١٩/ ٢٨١]

رثاؤه معن بن زائدة ومالكاً وشهاباً ابني عبد الملك بن مسمع

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا عيسى بنُ إسماعيلَ، عن القَحْذميّ، قال: كان مالِكٌ وشهابٌ ابنا عبدِ الملك بنِ مِسْمع ومعنُ بنُ زائدة مُتواخين، لا يكادون يفترقون. وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم، ويُفْضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم، فتُوُفِّي مالكٌ ثم أخوه ثم معن في مدة متقاربة، فقال سلم يرثيهم:

عَيْـنُ جُـودِي بِعَبْـرَةٍ تَهْتَـانِ[2] وانْـدُبِـي مَـن أصـابَ ريْـبُ الـزمـانِ
وإذا مـا بَكَيْـتِ قـومـاً كِـرامـاً فَعَلـى مـالـكٍ أبـي غَسّـانِ
أيـنَ مـعـنٌ أبـو الـوليـدِ ومن كـا[3] ن غِيـاثـاً لِلْهـالِـك الحيـرانِ
طَـرَقَتْـك المنـونُ لا واهِـيَ الحبـلِ ولا عـاقِـداً بِحِلْـف يمـانِ
وشهـابٌ وأيـن مثـلُ شهـابٍ عنـد بَـذلِ النّـدَى وحَـرِّ الطِّعـانِ
رُبَّ خِـرْقٍ[4] رُزِئْتُـه مِـنْ بَنـي قيـسٍ وخِـرْقٍ رُزِئْـتُ مِـن شيبـانِ
دَرَّ[5] دَرُّ الأيـام مـاذا أجَنَّـتْ[6] منهُـمُ فـي لفـائـف الكتـانِ[7]!
ذاك معـنٌ ثَـوى ببسـت[8] رهينـاً وشهـابٌ ثَـوى بـأرضِ عُمـانِ

---

(١) اعتقده: جمعه.
(٢) عبرة تهتان: منصبة، وصف بالمصدر.
(٣) ف: «وقد كان».
(٤) الخرق: السخي، أو الظريف في سخاوة.
(٥) در: كثر، والدر: اللبن. ودردره: دعاء له بكثرة الخير؛ والمراد هنا التعجب.
(٦) أجنت: وارت.
(٧) مم: «الأكفان».
(٨) س: «بنست»، تحريف.

/ وهُمــا مــا هُمــا لِبَــذْلِ العطــايــا ... ولِلَــفّ الأقــران بــالأقــرانِ [١٩/٢٨٢]

يَسْبقــان المنــونَ طعْنــاً وضــربــاً ... ويَفُكّــانِ كُــلّ كَبْــل[١] وَعــانِ[٢]

أمر له الرشيد بمائة ألف درهم في قصيدة أنشده إياها

أخبرني وكيع، قال: حدثني يزيدُ بنُ محمدِ المُهلّبيّ، قال: حدثني عبد الصمد بنُ المُعذَّل، قال:

لما أنشد سلمُ الخاسرِ الرشيدَ قصيدته فيه:

* حَضَر الرَّحِيلُ وشُدَّت الأحْداجُ *

أمر له بمائةِ ألفِ درهم.

من شعره في الفضل بن يحيى وجائزته عليه

حدثني جَحْظةُ قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون قال:

دخل سلْم الخاسر على الفضل بنِ يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يدَيه، فأنشده:

أمِــنْ رَبْــعٍ تســائلــهُ ... وقَــدْ أقْــوَتْ منــازِلُــهُ

بِقَلْبــي مِــنْ هَــوَى الأطــلا ... لِ حُــبٌّ مــا يُــزايِلُــهُ

رُوَيــدَكُــمُ عــن المَشْغــو ... فِ إنَّ الحُــبَّ قــاتِلُــه

بَــلابِــلُ صَــدرِه تَسْــري ... وقــد نــامــت عــواذِلُــهُ

أحــقُّ النــاسِ بــالتــفضيــلِ مَــنْ تُــرجَــى فَــوَاضِــلُــهُ

رأيــت مكــارمَ الأخــلا ... قِ مــا ضَمَّــتْ حَمــائلُــهُ

فلســت أرَى فتًــى فــي النــا ... س إلا الفَضْــلُ فــاضِلُــهُ

يَقــولُ لســانُــه خَيــراً ... فتَفْعلُــه أنــامِلُــهُ

/ ومهمــا يُــرْجَ[٣] مِــنْ خيــرٍ ... فــإن الفضــل فــاعلُــهُ [١٩/٢٨٣]

وكان إبراهيم الموصليّ وابنُه إسحاق حاضرَيْن، فقال لإبراهيم: كيف[٤] ترى وتسمع؟ قال: أحسن مَرْئيّ ومسموع، وفضْلُ الأميرِ أكثرُ منه. فقال: خُذوا جميع ما أُهْدِي إليّ اليوم فاقتسموه بينكم أثْلاثاً[٥] إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أُهديَه اليومَ إلى دنانيرَ، ثم قال: لا، والله، ما هكذا تفعل الأحرار، يُقَوَّم وندفع إليهم ثمنه، ثم نُهديه. فقُوِّم بألفَي دينار، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم.

---

(١) الكبل: القيد؛ أو أعظم ما يكون من القيود.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) في التجريد: «ترج».

(٤) في التجريد: «كيف ما ترى». وسقط فيه: كلمة «تسمع».

(٥) كذا في المختار وفي س: «ثلاثاً»، وهو تحريف.

شعر له يعده معن بن زائدة أحسن ما مدح به

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ، قال: حدثني عيسى بنُ إسماعيلَ تِينةُ، قال: حدثني القَحْذميّ، قال: قيل لِمَعْنِ بن زائدة: ما أَحْسَنُ ما مُدِحْتَ به من الشعرِ عندك؟ قال: قولُ سَلْمٍ الخاسر:

أَبْلِغِ الفِتْيانَ مَأْلُكةً[1] ... أنَّ خيرَ الوُدِّ ما نَفَعا
أنَّ قَرْماً[2] من بَني مَطَرٍ ... أتلَفَتْ كفّاه ما جَمعا
كُلّما عُذْنا لنائِلِه ... عاد في معروفِه جَذَعا[3]

شعر له في الفضل بن يحيى وقد أشار برأي أخذ به

أخبرني عمي، قال: حدثني عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، قال: حدثني أبو توبةَ، وأخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُويه، عن أبي توبة، قال:

[١٩/ ٢٨٤] حَدَث في أيام الرشيد أمرٌ فاحتاج فيه[4] إلى الرأي، فأشْكَل، وكان الفضلُ بن / يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصة، فأشار بالرأي في وقته، وأُنفِذَ الأمر على مشورتِه، فحُمِد ما جَرى فيه، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده:

بَديهَتُه وَفِكْرتُه سَواءٌ ... إذا ما نابَهُ الخَطْبُ الكبيرُ
وَأحزَمُ ما يكونُ الدَّهرَ رأياً ... إذا عَيِيَ[5] المُشَاوِرُ والمُشير[6]

فأمر له بعشَرةِ آلاف درهم.

اشترى سكوت أبي الشمقمق عن هجائه

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ، قال: حدثني أبو العيناء، قال: حدثني الجمّازُ أنّ أبا الشمَقْمَقِ جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه، فقال له: اسمع إذاً ما قلتُه، وأنشده:

حَدَّثوني أنّ سَلماً ... يَشتكي جارةَ أيرِهْ
فَهْوَ لا يَحْشُدُ شيئاً ... غيرَ أيرٍ في آستِ غيرِهْ
وإذا سرَّكَ يوماً ... يا خليلي نَيْلَ خَيرِهْ
قُمْ فَمُرْ راهِبَكَ الأصلَعَ يقرع بابَ ديرِهْ

فضحِك سلم، وأعطاه خمسة دنانير، وقال له: أحب ـ جعلت فداءك ـ أن تَصرفَ راهبَك الأصلعَ عن بابِ دَيْرِنا.

---

(١) المألكة: الرسالة.
(٢) القرم: السيد.
(٣) الجذع: الشاب الحدث، والمراد: عاد أكثر ارتياحاً للندى.
(٤) كذا في المختار، وفي س: «إليه»، وهو تحريف. وفي التجريد، ف، مم: «فاحتيج».
(٥) في التجريد: «أعيا».
(٦) زاد في المختار بعد هذا البيت:
وصدرٍ فيه للهمّ اتّساعٌ ... إذا ضاقت عن الهمّ الصدور

أنشد الرشيد فتطير وأمر بإخراجه

أخبرنا الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُوَيه، قال: حدثني أحمد بنُ أبي كامل، قال: حدثني أبو دِعامة، قال:

دخَل سلم الخاسر على الرشيد، فأنشده:

[١٩/٢٨٥] / * حَيِّ الأحِبَّةَ بالسلام *

فقال الرشيد:

* حياهُم اللهُ بالسلامِ *

فقال:

* عَلَى وَداع أم مُقام *

فقال الرشيد: حيّاهم الله على أيّ ذلك كان، فأنشده:

لَـــمْ يَبْـــقَ منـــكَ ومِنْهُـــم غيـــرُ الجلـــودِ علـــى العظـــام

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطيّر منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقيَ الشعر ولا أثابه بشيء.

شعره في الهادي حين بويع له

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد، قال: حدثنا حمّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، قال:

أتت وفاةُ المهديّ إلى موسى الهادي، وهو بجُرْجان، فبويع له هناك، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنئين، فهنأه بخلافة الله، ثم أنشده:

لَمَّـا أتـتْ خيـر بَنـي هـاشـمِ خــلافــةُ الله بجُــرْجــانِ
شَمَّــر لِلْحــزم[١] سَــرابيلَــهُ بِــرَأْيٍ لا غَمْــرٍ ولا وانِ
لـم يُـدخِـل الشُّـورَى علـى رأيـه والحــزْمُ لا يُمْضيــه رأيــانِ

يقر بأستاذية بشار له

أخبرني الحسن بنُ عليّ وعمي، قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثني صالح بنُ عبد الرحمن، عن أبيه، قال:

دخل سلم الخاسر على الرشيد، وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى، فأنشده قوله فيه:

[١٩/٢٨٦] / * حضَرَ الرّحيلُ وشُدّت الأحْداجُ[٢] *

(١) في التجريد: «للحرب».

(٢) عجزه كما في التجريد:

* وغدا بهن مشمر مزعاج *

والأحداج، جمع الحدج، بكسر فسكون، وهو مركب للنساء.

فلما انتهى إلى قوله:

إن المنايا في السيوفِ كَوامِنٌ ... حتى يُهَيِّجها فتًى هَيّاجُ

فقال الرشيد: كان ذلك معن بن زائدة، فقال: صدق أمير المؤمنين، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله:

ومُدَجَّجٍ يَغْشَى المَضِيقَ بسَيْفه ... حتى يكونَ بسيفِه الإفراجُ

فقال الرشيد: ذلك يزيد بن مزيد، فقال: صدق أمير المؤمنين، فاغتاظ جعفرُ بن يحيى، وكان يزيد بنُ مزيد عدوًّا للبرامكة، مصافياً للفضل بن الربيع، فلما انتهى إلى قوله:

نَزَلَتْ نُجومُ الليلِ فَوقَ رؤوسِهِمْ ... ولِكلِّ قومٍ كوكبٌ وهّاجُ

قال له جعفرُ بنُ يحيى: من قِلّة الشعر حتى[1] تمدحَ أميرَ المؤمنين بشعرٍ قيل في غيره! هذا لِبشّار في فلان التميميّ، فقال الرشيد: ما تقول يا سلم؟ قال: صدَق يا سيدي، وهل أنا إلا جُزءٌ من محاسنِ بشار، وهل أنطلق إلا بفضل منطقه! وحياتِك يا سيدي إني لأروي له تسعة آلافِ بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً، فضحك الرشيد، وقال: ما أحسن الصدق! امضِ في شعرك، وأمر له بمائة ألفِ درهم، ثم قال للفضل بنِ الربيع: هل قال أحدغيرُ سلم في طَيِّنا المنازلَ شيئاً؟ ـ وكان الرشيد قد انصرف من الحج، / وطوى المنازل. [١٩/٢٨٧]

وصفه هو والنمري على الرشيد للمنازل

فوصف ذلك سلم ـ فقال الفضل: نعم يا أميرَ المؤمنين، النَّمَريّ، فأمر سلماً أن يَثبتَ قائماً حتى يفرغ النَّمَريّ من إنشاده، فأنشده النُّميريّ قوله:

تَخَرّق سِرْبالُ الشبابِ مع البُرْدِ ... وحالَتْ لنا أُمُّ الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد: أيُّهما أشعر عندك يا عم؟ قال: كلاهما شاعر، ولو كان كلام يُستفحَل[2] لِجَودتِه حتى يؤخَذَ منه نَسْل لاستفحلتُ كلامَ النَّمَريّ، فأمر له بمائة ألف درهم أخرى.

رثاه أشجع السلمي

أخبرني عمي، قال: أنشدني أحمدُ بن أبي طاهر لأشجع السُّلَميّ يَرْثي سلما الخاسر ومات سلم قبله:

يا سَلْمُ إن أصبَحْتَ في حُفرةٍ ... مُوسَّداً تُرْباً وأحجارا
فرُبَّ بيتٍ حسنٍ قُلْتَه ... خَلّفْتَه في الناس تيّارا
قلّدتَه ربّا وسَيّرتَه ... فكان فخراً منك أو عارا
لو نطق الشعر بكى بعده ... عليه إعلاناً وإسرارا!

[١٩/٢٨٨]

/ صوت

يا وَيحَ من لعب الهوى بحياته ... فأماته من قبلِ حين مماته
مَنْ ذا كذا كان الشقي بشادن ... هاروت بين لسانه ولَهاتِه

(١) في التجريد: «من قلة شعر يمدح».
(٢) في التجريد: «ولو كان الشعر يستفحل».

وحياةِ من أهوَى فإنّي لم أكن ... يوماً لأحلف كاذباً بحياته

لأخالِفَنَّ عَواذِلي في لذَّتي ... ولأُسْعِدَنَّ أخي عَلَى لذّاته

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه، والغناء لأبي صدقة رمل بالبنصر[١].



(١) كذا في ف، مم، ما، مج. وجاء في ب، س مكان هذه الأبيات بعد كلمة صوت:

أجدك ما تعفو كلوم مصيبة ... على صاحب إلا فجعت بصاحب

تقطع أحشائي إذا ما ذكرتكم ... وتنهل عيني بالدموع السواكب

عروضه من الطويل. الشعر لسلمة بن عياش، والغناء لحكم، وله فيه لحنان بالبنصر وهزج بالوسطى. وما أثبتناه أنسب للترجمة التالية.

[١٩/٢٨٩]

/ أخبار أبي صدقة (*)

اسمه وولاؤه

اسمه مسكينُ بنُ صدقَة من أهل المدينة، مولًى لقريش. وكان مليحَ الغناء، طيِّب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة؛ من أكثرِ الناس نادرة، وأخفِّهم رُوحاً، وأشدِّهم طمعاً، وألحُهم في مسألة. وكان له ابنٌ يقال له: صدقة يُغَنّي، وليس من المعدودين، وابنُ ابنِه أحمدُ بنُ صدقة الطُّنبوريّ ـ أحدُ المحسنين من الطُّنبُوريين، وله صنعة جيدة، وكان أشبَه الناسِ بجَدِّه في المَزْح والنوادر. وأخباره تُذْكر بعد أخبار جدِّه. وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمَهم هارون الرشيد مِن الحجاز في أيامه.

يذكر أسباب كثرة سؤاله

أخبرني عليُّ بنُ عبد العزيز، عن عبيد الله بن عبد الله، قال:

قيل لأبي صَدقة ما أكثَر سؤالَك، وأشدَّ إلحاحَك! فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين، وكُنْيتي أبو صدقة، وامرأتي فاقة، وابني صدقة!.

يتغنى مع مغني الرشيد فيشتد طرب الرشيد لغنائه

أخبرني رضوانُ بنُ أحمد الصيدلانيّ، قال: حدثنا يوسفُ بنُ إبراهيم، قال:

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بنِ بُسْخُنَّر: قد اشتهيْتُ أن أرى نُدَمائي ومَن يحضُر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد، يأكلون ويشربون، ويتبذَّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم، وهذا لا يَتمّ إلّا بأن أكونَ بحيثُ لا يَرَونني، عن غير علم منهم برُؤيتي إياهم. فأعِدّ لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمّي سليمان وإخوتي: إبراهيم بن المهديّ، / وعيسى بن جعفر[١]، وجعفر بن يحيى. فإنا مُغَلِّسون[٢] عليك غدَاةَ غد، واستَزِرْ أنت محمدَ بن خالد بنِ بَرْمكَ، وخالدا أخا مَهْرُويَه، والخِضْرَ بنَ جبريل، وجميع المغنين، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا، وأبْسُطْ الجميع، وأظهِرْ بِرَّهم، واخلع عليهم، ولا تدَعْ من الإكرام شيئاً إلا فعلتَه بهم. ففعل ذلك الحارث، وقدّم إليهم الطعام فأكلوا، والرشيد ينظر إليهم، ثم دعا لهم بالنبيذ. فشربوا، وأُحضرت الخِلع، وكان ذلك اليوم يوماً شديد البرد، فخَلع عَلَى ابن جامع جُبّة خَزٍّ طارُونيٍّ[٣] مبطنةً بِسَمُّور صينيّ، وخلع عَلَى إبراهيم المَوْصلي جُبّةَ وَشْيٍ كوفي مرتفع مبطنةً بِفَنَكٍ[٤]، وخلع

[١٩/٢٩٠]

(*) هذه الترجمة مما سقط من طبعة بولاق.

(١) ف: «إسماعيل بن جعفر».

(٢) مغلسون: قادمون بغلس، وهو ظلمة آخر الليل.

(٣) الطاروني: نوع من الخز.

(٤) الفنك، بالتحريك: دابة فروتها أطيب الفراء، والمراد بجلد فنك.

عَلَى أبي صدقَة دُرّاعة[١] مُلْحِم[٢] خراسانيٌ مَحْشُوَّةً بِقَز، ثم تغنى ابن جامع، وتغنى بهذه إبراهيم، وتلاهما أبو صدقة فغنّى لابن سُرَيج:

ومِـنْ أجْـلِ ذات الخـال أعملْـتُ نـاقتـي أكلّفهـا سَيْـرَ الكَـلالِ مـع الظَّلْـعِ[٣]

فأجاده، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده. فقال له الحارث: أحسنتَ والله يا أبا صدقة! قال له: هذا غنائي وقد قَرَصني البرْد، فكيف تراه[٤] ـ فدَيتك ـ كان يكون[٤] لو كان تحت دُرّاعتي هذه شُعَيرات؟ يعني الوبر، والرشيد يسمع ذلك / فضحك، فأمر بأن يُخلَع عليه دراعةٌ مُلْحِم مبطنةٌ بفنك، ففعلوا، ثم تغنى الجماعة، وغنى أبو صدقة [١٩/٢٩١] لمعبَد:

بـأن الخليـط علـى بُـزْلٍ[٥] مخيّسـةٍ[٦] هُـدْلِ المشـافـر أدنـى سيـرِهـا الـرّمَـلُ

ثم تغنى بعده لمعبَد أيضاً:

بـانَ الخليـطُ ولـو طُـووِعـت مـا بـانـا وقطّعـوا مـن حِبـال الـوصـلِ أقـرانـا[٧]

فأقام فيهما جميعاً القيامة، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة ـ فديتك ـ وأجملت، فقال أبو صدقة: فكيف ترى ـ فديتك ـ الحال تكون لو كانت عَلَى هذه الدراعة نُقَيْطات؟ يعني الوشي، فضحك الرشيد حتى ظهر ضحكه، وعلِموا بموضعه، وعرف علمَهم بذلك، فأمر بإدخالهم إليه، وأمر بأن يُخلع عَلَى أبي صدقة دراعةٌ أخرى مبطنةٌ، فخُلِعت عليه.

صادره الحسن بن سليمان على جعل يأخذه ويكف عن السؤال فلم يف له

أخبرني محمدُ بنُ مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، قال:

سأل الحسن[٨] بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيليّ[٩] الفضل وجعفرا ابنَيْ يحيى أن يُقيما عنده يوماً، فأجاباه[١٠]، فواعد عِدة من المغنين، فيهم أبو صدقة المَدَني، فقال لأبي صدقة: إنك تُبرِم بكَثْرة السؤال: فصادِرْني[١١] على شيء أدفعه إليك / ولا تسألْ شيئاً غيره، فصادره على شيء أعطاه إياه. فلما جلسوا وغنّوا أُعجبوا [١٩/٢٩٢] بغناء أبي صدقة، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سُرَيج ومعبَد وابن محرز وغيرهم، فغنّاهم، ثم غنى ـ والصنعة له رمل:

---

(١) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.
(٢) الملحم: نوع من الثياب.
(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة، في ديوانه ـ ٣٣٠، والظلع: مصدر ظلع، كمنع: إذا غمز في مشيه.
(٤) في س: «فتكون»، وهو تحريف.
(٥) البزل: جمع البازل، وهو الجمل أو الناقة بزل نابها: أي انشق، ويكون ذلك في تاسع سنيه.
(٦) مخيسة: مروضة مذللة.
(٧) الأقران: جمع قرن، كسهل، وهو الحبل المفتول من لحاء الشجر، والخصلة المفتولة من الصوف.
(٨) ف: «الحسين بن سليمان».
(٩) ف: «اللطفي».
(١٠) في س: «فأجابه»، وهو تحريف.
(١١) صادرني على شيء: طالبني به.

يا ويحَ مَن لعب الهوى بحياته فأماته مِنْ قَبْلِ حينِ مماتِه
مَنْ ذا كذا كان الشقيّ بِشهادِنٍ[1] هاروتُ بين لسانِه ولَهاتِه[2]

وذكر الأبيات الأربعة المتقدِّمَ ذكرُها، قال: فأجاد وأحسنَ ما شاء، وطرب جعفر، فقال له: أحسنت وحياتي، وكان عليه دُوّاج[3] خزٌّ مبطن بسمّور جيد، فلما قال له ذلك شَرِهتْ نفسُه وعاد إلى طبعه، فقال: لو أحسنتُ ما كان هذا الدُّوّاجُ عليك، ولتَخلعنّه عليّ، فألقاه عليه، ثم غنّى أصواتاً من القديم والحديث، وغنّى بعدها من صناعته في الرمل:

لَمْ يَطُلِ العهدُ فتنساني ولَمْ أَغِبْ عنك فتنعاني
بَدّلتَ بي غيري وباهتّني[4] ولم تكن صاحبَ بُهتانِ
لا وَثِقتْ نفسي بإنسانِ بَعدك في سرٍّ وإعلانِ
أعطيتني ما شئتُ من مَوْثِقٍ منك ومن عهدٍ وأيمانِ

فقال له الفضل: أحسنت وحياتي! فقال: لو أحسنت لخلعت عليّ جُبّة تكون شكلاً لهذا الدُّوّاج، فنزع جبته وخلعها عليه، وسكروا وانصرفوا. فوثب الحسن بن سليمان، فقال له: قد وافقتُك على ما أرضاك، ودفعتُه إليك على ألا تسأل أحداً شيئاً، فلم تَفِ، / وقد أخذتَ مالك! والله لا تركتُ عليك شيئاً مما أخذتَه، ثم انتزعه منه كرهاً [١٩/٢٩٣] وصرفه، فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر، فضحكا منه، وأخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلي[5] منه من خِلَعِهما.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء

صوت

بانَ الخليطُ على بُزْلٍ مُخَيَّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرملُ
مِنْ كل أعيَس[6] نضّاح القفا قَطِمٍ[7] ينفي الزمام إذا ما حنّت الإبلُ

الغناء لابن عائشة، خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو الهشامي، وقال الهشامي خاصة: فيه لابن محرز هزج، ولإسحاق ثقيل أول، ووافقه ابن المكّيّ. وما وجدْتُ لمعبَد فيه صنعةً في شيء من الروايات، إلا في المذكور.

وأما:

* بان الخليط ولو طووعت ما بانا *

فقد مضى في المائة المختارة، ونُسب هناك وذُكرتْ أخباره.

---

(١) الشادن: ولد الظبية.
(٢) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق.
(٣) الدواج: اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه.
(٤) باهتني: حيرتني وأدهشتني بما تفتري عليّ من الكذب.
(٥) ف: «اللطفي».
(٦) الأعيس: البعير الأبيض يخالط بياضه شقره.
(٧) القطم: الفحل يشتهي الضراب، والفعل قطم، كفرح.

يذكر للرشيد أسباب إلحاحه في المسألة

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ، قال:

كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحّهم، فقال له الرشيد: ويلك ما أكثر سؤالك! / فقال: وما يمنعني من [١٩/٢٩٤] ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، واسم ابني صدقة، وكانت أمي تلقَّب فاقة، واسم أبي صدقة، فمن أحق مني بهذا؟.

كثرة عبث الرشيد به

وكان الرشيد يعبَث به عَبَثاً شديداً، فقال ذات يوم لمسرور: قُلْ لابنِ جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزُلزُل وبرْصُوما وابنِ أبي مريم المديني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسألني كل واحد منهم حاجة، مقدارُها مقدارُ صلته. وذكر لكل واحد منهم مقدار[١] ذلك، وأمَرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما أمره به، ثم أذِن لأبي صدقة قبل إذْنه لهم، فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، قد أضجرْتَني بكثرة مسألتك، وأنا في هذا اليوم ضَجِرٌ، وقد أحببتُ أن أتفرّج وأفرح، ولست آمن أن تنغِّص عليّ مجلسي بمسألتك، فإمّا أنْ أعفيتَني من أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرِف. فقال له: يا سيدي لستُ أسألك في هذا اليوم، ولا إلى شهرٍ حاجةً، فقال له الرشيد: أما إذا شَرطتَ لي هذا على نفسك، فقد اشتريت منك حوائجَك بخَمسِمائة دينار، وها هي ذه فخذها هنيئة مُعَجّلة، فإن سألتَني شيئاً بَعدها في هذا اليوم، فلا لَوْم عَلَيّ إن لَم أصِلْك سنَةً بشيء. فقال له: نَعم، وسنتين. فقال له الرشيد: زِدْني في الوثيقة، فقال: قد جعلتُ أمْرَ أمِّ صدقة في يدَك، فطلِّقها متى شئت، إن شئتَ واحدةً، وإن شئتَ ألفاً إن سألتُك في يومي هذا حاجة. وأشهدَ[٢] اللهَ ومن حضر عَلَى ذلك، فدفع إليه المال، ثم أذِن للجلساء والمغنين فحضروا، وشرب القوم.

فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع: يا أميرَ المؤمنين، قد نِلْتُ منك ما لم تبلُغْه أمنيّتي، وكثُر إحسانك إليَّ حتى كَبَتُّ أعدائي وقتلْتهم. وليستْ لي بمكة دار تُشْبِه / حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به [١٩/٢٩٥] داراً، وأفرشُها بباقيه لِأفقأ عيون أعدائي وأُزهِقَ نفوسهم ـ فعل، فقال: وكم قَدّرتَ لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها. ثم قام إبراهيم الموصليّ فقال له: قد ظهرت نِعمتُك عَلَيّ وَعَلَى أكابر ولَدي، وفي أصاغرِهم مَن قد بلَغ، وأريد تزويجه، ومِن أصاغرهم مَن أحتاج إلى أن أُطهره، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحْسِنَ معونتي عَلَى ذلك فعل، فأمر له بمثل ما أمَرَ لابن جامع، وجعل كلّ[٣] واحد منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره، ويسأل حاجة على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تُفَرّق يميناً وشِمالاً، فوثب علَى رِجليه قائماً، وقال للرشيد: يا سيدي، أقِلْني، أقال الله عثْرتك! فقال له الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب[٤] ويلحّ، والرشيد يضحك ويقول: ما إلى ذلك سبيل، الشرط أمْلَك.

---

(١) في التجريد: «مبلغ».

(٢) ف: «وأشهدتُ الله».

(٣) كذا في التجريد، وفي س: «لكل»، وهو تحريف.

(٤) كذا في التجريد، وفي س: «يضرب»، وهو تحريف.

فلما عِيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، وقال له: هاكها قد رددتُها عليك وزدتُك فرجَ أُمّ صدقة فطلّقها إن شئتَ واحدة، وإن شئت ألفاً. وإن لم تُلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزّال[1]، وكانت صلتُه ألف دينار. فضحك الرشيد حتى استلقى، ثم رَدّ عليه الخمسمائة الدينار، وأمر له بألف دينار معها. وكان ذلك أكثرَ ما أخذه منه مذ يومِ خَدَمه إلى أن مات، فانصرف يومئذ بألفٍ وخمسمائة دينار.

عبث جعفر بن يحيى والرشيد به

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثني يوسف بنُ إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق، قال:

[٢٩٦/١٩] / مُطِرْنا ونحن مع الرشيد بالرّقة مطراً مع الفجر، واتصل إلى غد ذلك اليوم، وعَرَفنا خبر الرشيد، وأنه مقيم عند أمّ ولده المسماة بِسحَر، فتشاغلنا في منازلنا. فلما كان مِن غَدٍ جاءنا رسول الرشيد، فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي: ما صنع فيه فيخبره، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره، فقال: كان عندي أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة، فكان أبو زكار كلما غنّى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده، وحكى أبا زكار فيه وفي شمائله وحركاته، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظاً، ويشتم أبا صدقة كلّ شَتمٍ حتى يَضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشراب وسئمنا من العبث به، فقلت له: دع هذا وغنِّ غِناءك، فغنَّى رمَلاً ذكر أنه من صنعته، طربت له ـ والله يا أمير المؤمنين ـ طرباً ما أذكر أني طربتُ مثله منذ حين، وهو:

صوت

فَتَنَتْنِي بفاحمِ اللونِ جَعْدٍ ... وبِثغرٍ كأنه نظم دُرِّ
وبِوجهٍ كأنه طلعة البدرِ ... وعَينٍ في طَرفها نَفْثُ سِحْرِ

فقلت له: أحسنتَ والله يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: إني قد بنيتُ داراً حتى أنفقت[2] عليها حَرِيبَتي[3]، وما أعددت لها فرشاً، فافرشها لي، نجّد[4] الله لك في الجنة ألف قصر. فتغافلتُ عنه، وعاود الغناء، فتعمدت أنْ قلتُ له: أحسنت، لِيعاود مسألتي وأتغافل عنه، فسألني وتغافلت، فقال لي: يا سيدي [٢٩٧/١٩] هذا التغافل متى حدث لك؟ / سألتك بالله، وبحق أبيك عليك إلا أجبتَني عن كلامي ولو بشَتْم! فأقبلتُ عليه وقلت له: أنت والله بَغيض، اسكتْ يا بغيض، واكفف عن هذه المسألة المُلحّة، فوثب من بين يدَيّ، وظننت أنه خرج لحاجة، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفاً من أن تَبْتلّ، ووقف تحت السماء، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه، ورفع رأسه وقال: يا ربِّ أنت تعلم أني مُلْهٍ، ولست نائحاً، وعبدُك هذا الذي رفعتَه وأحوجتني إلى خِدْمته يقول لي: أحسنت، لا يقول لي: أسأت، وأنا منذ جلستُ أقول له: بَنيتُ، لم أقل: هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أني بَغيض، فاحْكُمْ بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين.

---

(١) ف: «عمرو بن الغزال».
(٢) ف: «داراً أنفقت».
(٣) حريبة الرجل: ماله الذي سلبه.
(٤) نجّد: زين.

فغلبني الضحك، وأمرتُ به فتنحّى، وجَهدت به أن يغني، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أني أفرش له داره، وخدعتُه فلم أُسَمِّ له ما أفرشها به، فقال الرشيد: طيّبٌ والله! الآن تَمّ لنا به اللهو، وهو ذا أدعو به، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش، لأنك حلفت له بحياتي، فهو يتنجّز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبواري[1]، وحاكمْه إليّ. ثم دعا به فأُحضر، فما استقرّ في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى: الفرش الذي حلفتَ لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري، تقدَّمْ فيه، فقال له جعفر: اختر، إن شئتَ فرشتها لك بالبواري، وإن شئتَ بالبَرْدِيّ من الحصر، فضج واضطرب.

فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فأخبره، فقال له: أخطأتَ يا أبا صدقة، إذ لم تُسَمِّ النوع ولا حدّدتَ القيمة، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبَرْدِيّ أو بما دون ذلك فقد وفى يمينه، وإنما خدَعك، ولم تفطن له أنت، ولا توثقت، وضيَّعت حقك. فسكت، / وقال: نوفِّر البرديّ والبواريّ عليه أيضاً، أعزه الله. وغنى المغنون حتى [١٩/٢٩٨] انتهى إليه الدور، فأخذ يغني غناء الملاّحين والبنائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء، فقال له الرشيد: أَيْشٍ هذا الغناء ويلك! قال: مَن فُرِشت دارُه بالبواري والبردى فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لِمَنْ هذه صلته، فضحك الرشيد والله وطرب وصفَّق، ثم أمر له بألف دينار من ماله وقال له: افرش دارك من هذه، فقال: وحياتك لا آخذها يا سيدي أو تحكم لي على جعفر بما وعدَني، وإلاّ متُّ والله أسفاً لِفَوات ما حصل في طمعي ووُعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبِلها جعفر، وأمر له بها.

قصة وصوله إلى السلطان

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، قال: كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أنَّ أبي لما حج مَرَّ بالمدينة، فاحتاج إلى قَطْع ثياب، فالتمس خياطاً حاذقاً، فدُلَّ على أبي صدقة، ووُصف به بالحِذق في الخياطة والحذق في الغناء وخفة الروح، فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه، وسمع غناءه فأعجبه؛ وسأله عن حاله، فشكا إليه الفقر، فخلَّف لعياله نفقة سابغة لِسَنة، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان.

قال[2] حماد: فقال أبو صدقة يوماً لأبي: قد اقتصرت بي[3] على صنعة أبي إسحاق أبيك، رحمه الله عندي، وأنت لا، رُبّ[4] ذلك بشيء، فقال له: هذه الصينيّةُ الفضةُ التي بين يديّ لك إذا انصرفْت، فشكره وسُرّ بذلك، ولم يزل يغنيه بقية يومه، فلما أخذ النبيذ فيه قام قَوْمة ليبول، فدعا أبي بصينية رصاص فحول قِنِّيْنَته وقَدَحه فيها، ورفع الصِّينية الفضة، فلما أراد أبو صدقة الانصراف شد أبي الصينية في منديل، ودفعها إلى غلامه، وقال له: بِتِ الليلة عندي واصطبح غداً، واردُد دابتك. فقال: إني إذاً / لأحمق، أدفع إلى غلامي صينية فضة، فيأخذها ويطمع فيها أو [١٩/٢٩٩] يبيعها، ويركب الدابة ويهرب، ولكني أبيت عندك، فإذا انصرفْتُ غداً أخذتها معي، وبات وأصبح عندنا مصطبحاً، فلما كان وقت انصرافه أخذها ومضى، فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معه، فإذا هو قد وجَّه بها لِتُباع، فعرّفوه أنها رصاص، فلما رآه أبي من بعيد ضحك، وعرف القصة، وتماسك، فقال له أبو صدقة: نِعْم الخلافةُ خلفتَ

---

(١) البواري: جمع البارية، وهي الحصير المنسوج.

(٢) الفقرة التي أولها: قال حماد إلى آخر الترجمة زيادة في س على ما في ف.

(٣) في س: «به»، وهو تحريف.

(٤) رب ذلك: زدت.

أباك، وما أحسن ما فعلت بي! قال: وأيَّ شيء فعلت بك؟ قال: أعطيتني صينيةَ رصاص، فقال له أبي: سخُنتْ عينك! سحِرَت امرأتُك بك، وأنا مِن أين لي صينية رصاص؟ فتشكك ساعة، ثم قال: أظن والله أن ذلك كذلك، فقام. فقال له أبي: إلى أين؟ قال: أضع واللهِ عليها السوط فأضربُها به حتى تَرُدُّ الصينية، فلما رأى أبي الجِدَّ منه قال له: اجلس يا أبا صدقة، فإنما مزحْتُ معك، وأمر له بوزنها دراهم.

[٣٠٠/١٩]

/ صوت

إنّ مَــنْ يملِــكُ رِقّــي ... مــالــكٌ دقّ الــرِّقــابِ
لــم يكــن يــا أحســن العــا ... لــم هــذا فــي حســابــي

الشعر لفضل الشاعرة، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل بالوسطى، عن ابن المعتز(١).



(١) كذا في ف، ما: حم، حج، وجاء في س مكان هذين البيتين بعد كلمة «صوت»:

لقــد علمــت ومــا الإســراف مــن خلقــي ... أن الــذي هــو رزقــي ســوف يــأتينــي
أسعــى لــه فيعنينــي تطلبــه ... ولــو جلســت أتــانــي لا يعنينــي

الشعر لعروة بن أذينة، والغناء لمخارق، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو. وما أثبتناه أنسب للترجمة التالية.

/ أخبار فضل الشاعرة(١) [١٩/٣٠١]

نشأتها وصفاتها

كانت فَضْل جاريةً مولّدة من مولّدات البصرة، وكانت أُمها من مولّدات اليمامة. بها وُلدَت، ونشأت في دارِ رجل من عبد القيس، وباعها بعد أن أدّبها وخرّجها، فاشتُريت وأُهدِيت إلى المتوكل. وكانت هي تزعم أن الذي باعها أخوها، وأن أباها وطيء أمها فولدتها منه، فأدّبها وخرّجها معترفاً بها، وأنّ بنيه من غير أُمها تواطئوا على بيعِها وجَحْدها، ولم تكن تُعْرف بعد أن أُعتقت إلا بفضل العبدية. وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام، أديبة فصيحة سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر. ولم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها.

كانت تجلس للرجال ويجيبها الشعراء

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بن المَرْزبان، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة لرجل من النخّاسين بالكَرْخ يُقال له: حُسْنَوَيْه، فاشتراها محمد بن الفَرَج أخو عمر بن الفرج الرُّخَّجِيّ، وأهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس للرجال، ويأتيها الشعراء، فألقى عليها أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى:

قـالـوا عشِقْـتَ صغيـرةً فـأجبتهُـمْ ... أشهى المَطِـيِّ إلـيّ مـا لـم يُـرْكَـبِ
كـم بَيْـنَ حبّـةِ لـؤلـؤٍ مثقـوبـةٍ ... نُظِمـتْ وحبـةِ لـؤلـؤٍ لـم تُثْقَـبِ

فقالت فضل مجيبة له:

إن المطيـة لا يَلَـذُّ رُكـوبُهـا ... مـا لـم تُـذَلَّـلْ بـالـزِّمـام وتُـركَـبِ
والـدُّرُّ ليـس بنـافـعٍ أصحـابَـه ... حتـى يُـؤلَّـف للنِّظـام بمِثْقَـبِ(٢)

/ شعرها في المتوكل حين دخلت عليه [١٩/٣٠٢]

حدثني عمّي ومحمدُ بنُ خلف، قالا: حدثنا أبو العيناء، قال: لما دخلَتْ فضل الشاعرة على المتوكل يوم أُهدِيتْ إليه قال لها: أشاعرةٌ أنت؟ قالت: كذا زَعم مَن باعني واشتراني، فضحك وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك فأنشدَتْه:

استقبـل الملـكَ إمـامُ الهـدى ... عـامَ ثـلاثٍ وثـلاثينـا

ـ تَعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سِنِي الهجرة ـ:

---

(١) وهذه الترجمة أيضاً مما سقط من طبعة بولاق.

(٢) في المختار:
والحبّ ليس بنافع أربابه ما لم يؤلف في النظام ويثقب.

خِلافةٌ أفضَت إلى جعفرٍ ... وهو ابنُ سبعٍ بعْدَ عِشرينا
إنّا لنرجو يا إمامَ الهدى ... أن تَمْلِكَ الناس[1] ثمانينا
لا قدَّسَ اللهُ امرأً لم يَقُلْ ... عندَ دُعائي لكَ: آمينا

فاستحسن الأبيات، وأمر لها بخمسة آلاف درهم، وأمر عَرِيبَ[2] فغنّت فيها.

شعرها على لسان المعتمد في جارية

حدثني عمّي، قال: حدثني أبو عبد الله أحمدُ بنَ حمدون، قال: عُرِضَتْ على المعتمد جاريةٌ تباع في خلافة المتوكل، وهو يومئذ حديث السنّ، فاشتطّ مولاها في السَّوْم، فلم يشترها، وخرج بها إلى ابن الأغلب، فبيعت هناك. فلما وليَ المعتمد الخلافة سأل عن خبرها، وقد ذكرها فأُعْلم أنها بيعت وأوْلَدها مولاهَا، فقال لفضل الشاعرة: قولي فيها شيئاً، فقالت:

عَلَمَ الجمَالِ تركْتني ... في الحُبّ أشهرَ مِن عَلَمْ
ونَصَبْتِني يا مُنْيَتي ... غَرَضَ المَظَنّةِ والتُّهَمْ
فارقتِني بعدَ الدّنوّ فصِرْتِ عندي كالحُلُمْ
فلَوَ انّ نَفْسي[3] فارَقَتْ ... جسمي لِفَقْدِكِ لم تُلَمْ
[٣٠٣/١٩] / ما كان ضرّكِ لو وَصَلْتِ فخفّ عن قَلبي الألَمْ
برسالةٍ تُهْدينها ... أو زَوْرةٍ تحتَ الظُّلَمْ
أوْ لا فَطيفي[4] في المنا ... مِ فلا أقلَّ من اللَّمَمْ
صِلَةُ المحبِّ حَبيبَه ... اللهُ يَعْلَمُه كَرَمْ

شعر لها تجيب به عن شعر في الشوق إليها

حدثني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ، قال: كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة:

أصبحْتُ فَرْداً[5] هائمَ العَقْلِ ... إلى غزالٍ حَسَنِ الشكلِ
أَضْنَى فؤادي طولُ عهدي بهِ ... وبُعْدُه منّي ومِن وَصْلي
مُنْيةُ نفسي في هَوَى فَضْلٍ ... أنْ يجمعَ اللهُ بها شَمْلي
أهْواكِ يا فضلُ هوى خالصاً ... فما لِقَلْبي عنكِ من شُغْلِ

قال: فأجابته:

(١) ف: «الأرض»، وفي ما: «الأمر».
(٢) في المختار، ف: «ما عربها»، وهو تحريف.
(٣) ف، ما: «روحي».
(٤) طيفي: أمر من طاف الخيال يطيف: إذا جاء في النوم، وفي ف، مم: «أولاً نطيفٌ».
(٥) ف، ما: «صبا».

صوت

الصبرُ ينقص والسَّقامُ[١] يَزيدُ ... والدارُ دانيةٌ وأنتَ بَعيدُ
أشكُوكَ أمْ أشكو إليكَ فإنه ... لا يَستطيعُ سواهما المجهودُ
إني أعُوذ بحُرْمتي بكَ في الهوى ... مِنْ أن يطاعَ لديكَ فيّ حَسودُ[٢]

في هذه الأبيات رمَل طُنْبُوري. وأظنه لجَحْظة.

شعر آخر تبادل فيه شوقاً بشوق

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرْزُبان، قال: حدثني الحسنُ بنُ عيسى الكوفيّ، قال: حدثنا أبو دهمان، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المَرْوَزيّ، قالا:

/ كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً وأرقِّهم شعراً، فكتب إليها بعضُ مَن كان يجمعه [١٩/٣٠٤] وإياها مجلسُ الخليفة، ولا تطلعه على حبها[٣] له:

ألا ليتَ شِعري فيكِ[٤] هل تَذْكرينَني ... فذِكراكِ في الدنيا إليّ حَبيبُ
وهل لي نصيبٌ في فؤادكِ ثابتٌ ... كما لكِ عندي في الفؤادِ نَصيبُ
ولستُ بمَوْصولٍ فأحيا بِزَوْرَةٍ ... ولا النفسُ عند اليأس عنكِ تَطيبُ

قال: فكتبت إليه:

نَعَم[٥] وإلٰهي إنني بكَ صَبّةٌ ... فهل أنتَ يا مَن لا عَدِمتُ مُثيب؟[٦]
لِمَنْ أنتَ منه في الفؤادِ مصوَّرٌ ... وفي العَينِ نُصْبَ العينِ حين تَغيب
فَثِقْ بِوِدَادٍ أنت مُظهِرُ مثلِه ... عَلَى أنّ بي سُقْماً وأنتَ طبيب

تجيز بيتاً أنشده المتوكل

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة، قال: حدثني يحيى بنُ عليّ بن يحيى المنجِّم، قال: حدثني الفضلُ بنُ العباس الهاشميّ، قال: حدثتني بَنانُ الشاعرة، قالت[٧]:

اتكأ المتوكل على يَدِي ويدِ فضل الشاعرة، وجعل يمشي بيننا، ثم قال: أجيزا لي قول الشاعر:

تعلمتُ أسباب الرضا خوفَ عَتْبها[٨] ... وعَلّمها حُبّي لها كيف تَغضَب

---

(١) في المختار: «الغرام».
(٢) في ما: «يا منيتي من أن يطاع حسود».
(٣) في المختار: «يطلعها على حبه لها».
(٤) في المختار: «فضل»، وهي أوضح وأشبه.
(٥) في المختار: «لعمر إلٰهي».
(٦) في المختار: «نصيب».
(٧) في س: «قال»، وهو تحريف.
(٨) في المختار: «سخطها».

فقال له فضل:

تَصُدُّ وأدْنو بالمودةِ جاهداً وتَبْعُد عني بالوصال وأقرُب

[١٩/٣٠٥] / فقلت أنا:

وعندِي لها العُتبي على كلّ حالة فما مِنه لي بدّ ولا عنه مذهب

تجيب ببيت عن بيت ألقي عليها

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة:

ومستفتِحٍ بابَ البلاءِ بنَظْرةٍ تَزوَّدَ منها قلبُه حسْرةَ الدهْرِ

فقالت:

فواللهِ ما يَدرِي أتَدْري بما جَنَت علَى قلبِه أو أهلكَتْه وما تَدْري؟

ارتجالها شعراً تجيز به بيتاً

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ[1]، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال:

ألْقَيْت أنا على فضل الشاعرة:

عَلَمَ الجمالِ تركْتِني بهواكِ[2] أشهرَ مِن عَلَمْ

فقالت على البديهة:

وأبحتَني يا سيِّدي سَقماً يجلّ عن السقَمْ
وتَركْتني غَرَضاً ـ فَدَيْتُكَ ـ للعَواذلِ والتُّهَمْ
صلَةُ المحبِّ حبيبَه اللهُ يَعلَمُه كَرَمْ

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ، قال: حدثني محمدُ بنُ الوليد، قال:

سمعت عليّ بنَ الجَهْم يقول: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فلحظتها لَحْظة استرابت بها، فقالت:

يا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرُّضُهْ يرمي ولا يُشعِر أني غرضُهْ

[١٩/٣٠٦] / فقلت:

أيُّ فتى لَحْظُكِ ليس يُمْرِضُهْ وأيُّ عَقدٍ محكَمٍ لا يَنْقُضُهْ!

فضحكت، وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

تشوق إلى حبيب

حدثني عمِّي، قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه، قال: حدثني إبراهيم بن المدبّر، قال:

---

(١) ف: «أخبرني علي بن صالح».
(٢) ف، ما: في «الحب».

كتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد أيامَ كانت بينهما محبة وتَواصل:

وعيشِك لَو صرّحتُ باسمِك في الهوى ... لأقصَرْتُ عن أشياءَ في الهزْل والجِدِّ
ولكنني أُبدِي لهذا مَودّتي ... وذاكَ، وأخلو فيكَ بالبَثِّ والوَجْدِ
مخافةَ أن يُغْرِي بنا قولُ كاشحٍ ... عدُوّاً[1] فيسعَى بالوِصالِ إلى الصدِّ

فكتب إليها سعيد:

تنامِين عن لَيْلي وأسهَرُه وحدي ... وأنهَى جفوني أن تبُثَّك ما عِندي
فإنْ كنتِ لا تَدْرِينَ ما قد فعلْتِه ... بنا فانظُري ماذا على قاتِلِ العمدِ؟

قال عمي: هكذا ذكر ابن مهرويه.

وحدثني به عليُّ بنُ الحسين بنِ عبد الأعلى، فذكر أن بيتي سعيد كانا الابتداء، وأن أبيات فضل كانت الجواب. وذَكر لهما خبراً في عِتاب عاتبها به، ولم أَحْفظه، وإنما سمعتُه يذكره، ثم أخرج إليّ كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن عليِّ بنِ الحسين، فوجدت هذا الخبر فيه، فقرأته عليه.

قال عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عبد الأعلى:

/ حضَر سعيدُ بنُ حُمَيد مجلساً حضرَته فضل الشاعرة وبُنان، وكان سعيد يهواها، وتُظْهِر له هَوًى، وبينهما مع ذلك ببنانٍ، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بُنانٍ، فغضب وانصرف، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأُوَل، وأجابها بالبيتين الآخرين، فاتفقت رواية ابنِ مَهْرُويه وعليِّ بنِ الحسين في هذا الخبر. [٣٠٧/١٩]

تعتذر من حجب زائرين عنها دون علمها

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني أبو يوسف بنُ الدقاق الضرير، قال:

صِرْتُ أنا وأبو منصور الباخَرْزِيّ إلى منزل فضل الشاعرة فحُجِبنا عنها وانصرفنا، وما علمتْ بنا، ثم بَلَغها مجيئنا وانصرافنا فكرِهَت ذلك وغمّها، فكتبت إلينا تعتذر:

وما كنتُ أخشى أن تَروْا ليَ زَلّةً ... ولكنّ أمْرَ اللهِ ما عَنه مَذْهبُ
أعُوذ بحُسنِ الصفحِ منكمْ وقَبْلَنا ... بِصفْحٍ وعفوٍ ما تعوّذ مُذنب

فكتب إليها أبو منصور الباخرزيّ:

لَئن أهدَيْت عُتباكِ لي ولإخوتي ... فمِثلُك يا فضلَ الفضائلِ[2] يُعتبُ
إذا اعتذر الجاني محا العذرُ ذنبَه ... وكلُّ امرىء لا يَقبل العُذْرَ مذنِبُ

شعرها للمتوكل وقد يئست من إيقاظه لموعد بينهما

حدثني عليُّ بنُ هارونَ بن عليِّ بنِ يحيى المنجّم، قال: حدثني عمِّي عن جدِّي، قال:

قال لي المتوكل يوماً ـ وفضل واقفة بين يديه: يا عليّ، كانَ بَيني وبين فضل موعد، فشرِبْت شُرْباً فيه فَضْل،

---

(١) في س: «عدو»، بالرفع.
(٢) في مم: «الفواضل».

فسكِرْت ونمت، وجاءتني للموعد، فحركَتْني بكل ما ينتبه به النائم من قَرْص وتحريك وغَمْز وكلام، فلم أنتبه. فلما علمَتْ أنه لا حيلة لها فيّ كتبَتْ رُقعة ووضعَتْها على مَخدّتي، فانتبهت فقرأتها، فإذا فيها:

[٣٠٨/١٩] / قـد بَـدا شِبهـك يـا مـو لايَ يَحْـدُو بـالظـلامِ
قُـمْ بِنـا نَقْـضِ لُبـانـا تِ التـزامِ والتـثـامِ
قَبْـلَ أنْ تَفْضحنـا عـو دةُ أرواحِ النِّيـامِ

تهاجي جارية هشام المكفوف

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني أحمدُ بن أبي طاهر، قال:

كانت فضل الشاعرة تُهاجِي خنساء جاريةَ هشام المكفوف، وكانت شاعرةً، وكان أبو شِبْل عاصمُ[1] بنُ وهبٍ يعاون فضلاً عليها، ويهجوها مع فضل. وكان القصيديّ والحفصي[2] يُعينان خنساء على فضل وأبي شبل، فقال أبو شبل على لسان فضل:

خنسـاءُ طِيـري بِجَنـاحَيْـنِ أصبَحْـتِ مَعْشـوقـةَ نَـذْلَيْـنِ
مَـن كـان يهـوَى عـاشقـاً واحـداً فـأنـت تهْـوَيْـنَ عَشِيقَيْـن
هـذا القصيـديّ وهـذا الفتـى الـحـفـصـيّ قـد زاراكِ فَـرْدَيْـنِ
نَعِمْـتِ مـن هـذا وهـذا كمـا يَنْعـم خِنـزيـر بحُشَّيْـنِ[3]

فقالت خنساءُ تجيبها:

مـاذا مَقـالٌ لـكِ يـا فضـلُ بَـلْ مقـالُ خِنـزيـريـن فَـرْدَيـنِ
يُكْنَـى أبـا الشبـلِ ولـو أبصَـرَتْ عينـاهُ شِبـلاً راثَ[4] كُـرَّيْـن[5]

وقالت فضل في خنساء:

[٣٠٩/١٩] / إنَّ خنسـاء لا جُعِلْـتُ فِـداهـا اشتـراهـا الكَسَّـارُ مـن مـولاهـا
ولهـا نَكْهَـةٌ يقـول محـاذيـهـا أهـذا حَـديثها أم فُسـاهـا!

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل:

تَقُـول لـه فضـلٌ إذا مـا تخـوَّفـتْ ركـوبَ قبيح الـذُّلّ فـي طلـبِ الـوصـلِ
حِـرُ أمّ فتًـى لـم يَلْـق فـي الحـب ذِلـةً فقلـت لهـا لا بَـلْ حِـرُ أمّ أبـي الشبـلِ

وقالت خنساء تهجو أبا شبل:

مـا يَنْقَضِـي فِكْـرِي وطـولُ تعجُّبـي مِـن نعجـةٍ تُكْنَـى أبَـا الشبـلِ

(١) ف، مم: «عصم بن وهب».
(٢) ف، ما: «الصلحي».
(٣) الحشان: مثنى حشن، وهو البستان، ثم نقل إلى موضع قضاء الحاجة؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.
(٤) يقال: راث الفرس، كما يقال: تغوط الإنسان.
(٥) الكران: مثنى كر، بالضم. وهو مكيال، قيل: إنه أربعون إردباً.

لَعِبَ الفحولُ بسُفْلها وعِجانها[(١)] فتمرّدَتْ كتمرّدِ الفحلِ
لما اكتنَيْتَ بما اكتنيتَ به وتَسَمَّتَ[(٢)] النقصانُ بالفضلِ
كادَتْ بِنا الدنيا تَمِيدُ ضحى ونَرَى السماء تَذُوب كالمُهْلِ[(٣)]

قال: فغضب أبو شبل لذلك، ولم يجبها، وقال يهجو مولاها هشاماً:

نِعْمَ مَأْوَى العُزَّاب بَيْتُ هشام حين يرمي اللِّئَامَ باغي اللئامِ
مَن أراد السرور عند حبيبٍ لِينالَ السرورَ تحت الظلامِ
فهشامٌ نَهارُه ودُجى الليل سواءٌ نَفْسي فِداءُ هشامِ
ذاك حرّ دواتُه ليس تخلو أبداً من تَخَرُّقِ الأقلامِ

زارت سعيد بن حميد فأعجلها طلب الخليفة

حدثني عمي، قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون، قال:

زارت فضل الشاعرة سعيدَ بنُ حمَيد ليلةً على موعد سَبَقَ بينهما، فلما حصلت عنده / جاءتها جاريتُها مبادرة [١٩/٣١٠] تُعْلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها، فقامت مبادرةً فمضت، فلما كان من غد كتب إليها سعيد:

ضَنَّ الزمانُ بها فلما نِلْتُها وَرَدَ الفِراقُ فكان أقبحَ وَارِدِ
والدَّمعُ ينطق للضمير مصدِّقاً قولَ المُقرّ مكذِّباً للجاحدِ

ترثي المنتصر وتبكيه

حدثني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابنُ أبي الدنيا، قال: حدثني ميسرةُ بنُ محمد، قال: حدثني عُبيد بن محمد، قال:

قلت لفضل الشاعرة: ماذا نزل بكم البارحة؟ ـ قال: وذلك في صبيحة قَتْل المنتصِر المتوكل[(٤)] ـ فقالت وهي تبكي:

إنّ الزمانَ بذَحْلٍ[(٥)] كان يطلبنا ما كان أغفلَنا عنه وأسهانا!
مالي ولِلدهرِ قد أصبحتْ هِمّتَه مالي ولِلدَّهرِ ما لِلدَّهرِ لا كانا!

شعرها في حضرة المتوكل يوم نيروز

أخبرني محمدَ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني محمدُ بنُ الفضل، قال: حدثني أبو هفّان، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي فَنَن، قال:

---

(١) العجان: الاست.
(٢) تسمت، كأنه من السمت، وهو هيئة أهل الخير، والمراد تشبه أو تزين.
(٣) المهل، من معانيه: القطران الرقيق، والغائب من الصفر والحديد.
(٤) كذا في ف، وفي ما: «في صبيحة قتل المنتصر المعتز»، وفي س: «قتل المنتصر أو المعتز».
(٥) الذحل: الثأر.

خرجت قبيحةُ[١] إلى المتوكل يوم نَيْروزٍ وبيدها كأسُ بَلُّورٍ بشراب صاف، فقال لها: ما هذا فديتُك؟ قالت: هَدِيّتي لك في هذا اليوم، عرّفك الله بركته! فأخذه من يدها، وإذا على خدِّها: جَعْفَرٌ، مكتوباً[٢] بالمسك، فشرب الكأسَ وقبّل خدها، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت:

[٣١١/١٩]

/ صوت

وكـاتـبـةٍ بـالمسـك فـي الخَـدِّ جعفـراً بنَفْسـي سـواد المسـكِ مـن حيـثُ أثَّـرا
لئـن أثّـرتْ بـالمسـك سطـراً[٣] بِخَـدِّهـا لقـد أودعَـتْ قلبـي مـن الحـزْن[٤] أسطُـرا
فيـا مَـن مُنـاهـا فـي السـريـرة جعفـرٌ سقـى الله مـن سُقيـا ثنـايـاكِ جعفـرا

الغناء لِعَريبَ، خفيفُ رملٍ. قال: وأمر عريب فغنّت فيه. وقالت فضل في ذلك أيضاً:

سُـلافـةٌ كـالقمَـر البـاهـرِ فـي قَـدَح كـالكـوكـب الـزاهـر
يُـديـرهـا خَشْـفٌ[٥] كبَـدْرِ الـدجَـى فـوق قضيـبٍ أهيـفٍ نـاضـرِ
علـى فتًـى أروعَ مـن هـاشـم مثـلِ الحسـامِ المُـرهَـف البـاتِـرِ

وقد رُويت الأبيات الأُول لمحبوبة شاعرةِ المتوكل، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرتُ بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب.

تتشوق إلى سعيد بن حميد

أخبرني محمدُ بنُ خلف، قال: أخبرني أبو الفضل[٦] المَرْوَرُوذِيّ، قال: كتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُميد:

بَثَثْـتُ هـواك فـي بَـدَنـي ورُوحـي فـألّـف فيهمـا طمعـاً بِيَـاسِ

فأجابها سعيد في رقعتها:

كفـانـا اللهُ شـرَّ اليـأس إنـي لِبُغْـض اليـأس أبغـض كـل آسـى

[٣١٢/١٩] / تميل إلى بنان ويفتر ما بينها وبين سعيد بن حميد

حدثني عمّي، قال: حدثني ابنُ أبي المدور الوراق، قال:

كنت عند سعيدِ بنِ حُميد، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشَعَّب، وقد بلغه ميلُها إلى بُنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك، فأقبل على صديق له فقال: أصبحْتُ واللهِ من أمر فضل في غُرور، أخادع نفسي بتكذيب

---

(١) قبيحة: اسم جارية.
(٢) ف: «وكان على خدها مكتوب جعفراً بنفسك».
(٣) كذا في المختار، وفي س: «سكراً»، وهو تحريف.
(٤) ف، ما: «من الحب».
(٥) الخشف، مثلثة: ولد الظبي أول ما يولد، أو أول ما يمشي.
(٦) ف، ما: «الفضل».

العِيانِ، وأمنِّيها ما قد حِيل دونه. والله إنَّ إرسالي إليها بعدما قد لاح من تغيرها لَذُلّ، وإنَّ عدولي عنها وفي أمرها شبهه لَعجْز، وإنَّ تصبري عنها لَمِنْ دواعي التلَف، ولله دَرُّ محمدِ بنِ أمية[1] حيث يقول:

يا ليت شِعْري ما يكون جوابي ... أمَّا الرسولُ فقد مضى بكتابي

وتعجّلتْ نفسي الظنونُ وأشعِرَتْ ... طمعَ الحريصِ وخِيفةَ المُرْتاب

وترُوعني حركاتُ كلِّ محرِّكٍ ... والبابُ يقرعه وليس ببابي

كَمْ نحوَ بابِ الدار لِي مِن وَثْبةٍ ... أرجو الرسولَ بمَطْمع كذّاب

والويلُ لي مِن بعدِ هذا كلِّه ... إن كان ما أخشاه ردَّ جوابي

تعتذر إلى بنان وقد غضب عليها فلا يقبل عذرها

حدثني جحظة، قال: حدثني عليُّ بنُ يحيى المنجّم، قال:

غضب بُنَانٌ على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها، فاعتذرت إليه، فلم يقبل معذرتها، فأنشدتني لنفسها في ذلك:

يا فضلُ صبراً إنها مِيتَةٌ ... يَجْرَعُها الكاذبُ والصادقُ

ظَنَّ بُنانٌ أنني خُنتُه ... رُوحي إذاً مِن بَدَني طالقُ

تجيز بيتاً لعلي بن الجهم طلب إليها إجازته

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني أبو العباس المَرْوَزِيّ، قال:

قال المتوكل لعليّ بن الجَهْم: قُلْ بيتاً، وطالِبْ فضلَ الشاعرةَ بأن تُجيزه، فقال عليّ: أجيزي يا فضل:

[٣١٣/١٩] / لاذَ بها يشتكي إليها ... فلم يجد عندها ملاذا

قال: فأطرقت هُنيهة ثم قالت:

فلم يزل ضارعاً إليها ... تَهْطِل أجفانُه رَذَاذا

فعاتَبوه فزاد عِشقاً ... فمات وجداً فكان ماذا؟

فطرب المتوكل، وقال: أحسنتِ وحياتِي يا فضل، وأمر لها بمائتي دينار، وأمر عريب فغنَّت في الأبيات.

قال مؤلف هذا الكتاب[2]: أعرف في هذه الأبيات هزَجاً لا أدري أهو هذا اللحن، أم غيره؟ ولم أره في أغاني عَرِيب، ولعله شَذَّ عنها.

[٣١٤/١٩] / صوت

أُمامةُ لا أراكِ اللّـ ... ـه ذل معيشة أبدا

ألا تستصلحين فتى ... وقاكِ السوءَ قد فسدا

غلام كان أهلُكِ مرّ ... ةً يدعونه ولَدا

(١) ف: «محمد بن أبي أمية».
(٢) ف: «قال الأصفهاني».

الشعر لعبد الله بنِ محمدِ بن سالمٍ الخياط، والغناء للرّطّاب الجدي ، ثاني ثقيلٍ، بالوُسطى عن عمرو، وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالخِنْصر في مجرى البِنصر عن إسحاق وأحمدَ بنِ المكي.

وذكر عبد الله بنُ موسى بنِ محمد بنِ إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية أنها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطّاب عن تينة، وسألته عن صانعه فأخبرها أنه له.

تم الجزء التاسع عشر من كتاب الأغاني
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء العشرون
وأوّله: نسب ابن الخياط وأخباره



فهرس موضوعات الجزء التاسع عشر




كتاب الأغاني

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

الجزء العشرون

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



[٢٠/١] / بسم الله الرحمن الرحيم

نسب ابن الخياط وأخباره

نسبه وولاؤه:

هو عبدالله بنُ محمدِ بنِ سالمِ بنِ يونُس بن سالم. ذكر الزبيرُ بنُ بكار أنه مولًى لقريش، وذكر غيره أنه مولى لهُذَيل.

أوصافه:

وهو شاعر ظريف، ماجن خليع، هجّاء خبيث، مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية. وكان منقطعاً إلى آل الزبير بنِ العوام مدّاحاً لهم، وقدم على المهديّ مع عبدالله بن مصعَب فأوصله إليه، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته.

يمدح المهدي فيجيزه، ثم يمدحه فيضعف جائزته:

أخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العلاء قال: حدثنا الزبيرُ بن بكّار قال: حدثني يونُس بنُ عبدالله بنِ سالم الخياطُ قال: دخل أبي على المهدي فمدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم، فقال يمدحه:

أخذتُ بكفّي كفَّه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي

فلا أنا[1] منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدتُ وأعداني فأتلفت ما عندي

/ قال: فبلغ المهديَّ خبرُه، فأضعف جائزته، وأمر بحملها إليه إلى منزله. [٩٥/١٨]

قال الزبير بن بكّار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هَرْمة.

كان من الهجائين:

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخَفّاف قال: حدثنا أحمدُ بن أبي خَيثمة، قال: حدثني مصعَب بنُ عبدالله قال: سمعتُ أبي يقول:

لم يبرح هذه الثنِيّة قطُّ أحد يَقذف أعراض الناس ويهجوهم، قلت: مثلُ مَن؟ قال: / الحزينُ الكنانيّ،[٢٠/٢] والحَكمُ بنُ عِكرمة الدّؤليّ، وعبدُالله بن يونُس الخياطُ، وابنه يونس، وأبو الشدائد.

عقوق ابنه يونس له:

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد قال: حدثنا الزبير بنُ بكّار قال:

كان يُونس بن الخياط عاقًّا لأبيه، فقال أبوه فيه:

---

(١) كذا في جميع النسخ، ونرجح أنها «فما أنا منه» بدل «فلا أنا» لأن «لا» في مثل هذا الموطن يجب أن تتكرر.

يـــونُـــس قلبـــي عليـــك يلتهـــفُ والعيـــن عبـــري دمـــوعهـــا تكِـــفُ
تُلحِفنـــي كســـوة العقـــوق فـــلا بَـــرِحـــتَ منهـــا مـــا عشـــتَ تلتحـــف
أُمـــرتَ بـــالخفـــضِ للجنـــاح وبـــالـــر فـــق فـــأمسَـــى يعُـــوقـــك الأنَـــف
وتلـــك والله مـــــن زبـــانيـــة إن سُلِّطـــوا فـــي عـــذابهـــم عَنُفـــوا

فأجابه ابنهُ يونس، فقال:

أصبـــح شيخـــي يُـــزرِي بـــه الخَـــرَفُ مـــا إن لـــه حـــرمـــة ولا نَصَـــفُ
صِفـــاتنـــا فـــي العقـــوق واحـــدة مـــا خلتُنـــا فـــي العقـــوق نختلـــف
لَحَفتَـــه ســـالفـــاً[١] أبـــاك فقـــد أصبحـــتَ منـــي كـــذاك تلتحـــف

يهجو رجلاً شيد داراً وكان يعرفه بالضعة:

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ وَكيعٌ قال: حدثني طلحةُ بنُ عبدالله قال: حدثني أحمدُ بن إبراهيم بنِ إسماعيل بنِ داود قال:

مرّ ابن الخياط بدارِ رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضّعة وخساسة الحال، وقد شيّد بابها وطَرْمح[٢] بناءها، فقال:

أَطِلـــه فمـــا طـــول البنـــاء بنـــافـــع إذا كـــانَ فـــرع الـــوالـــدَيـــن قصيـــرا

يهجو موسى بن طلحة فلا يكترث لهجائه فيناشده أن يكتم عليه:

أخبرني وَكيعٌ قال: أخبرني إبراهيم بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيم بنِ صالح قال: أخبرني العامريّ قال:

[٣/٢٠] / هجا ابن الخياط موسى بنَ طلحةَ بنِ بلال التيميّ، فقال:

عجـــب النـــاس لِلعجيـــب المُحـــالِ حـــاض مـــوســـى بـــنُ طلحـــةَ بـــنِ بـــلالِ
زعمـــوه يحيـــض فـــي كـــلّ شهـــر ويَـــرَى صُفـــرة لكـــل هـــلال

قال: فلقيه موسى، فقال: يا هذا، وأيّ شيء عليك؟ نَعم حضتُ، وحملتُ، وولدتُ وأرضعتُ. فقال له ابن الخياط: أنْشدك اللهَ ألا يسمعَ هذا منك أحد فيجترىء على شعري الناس، فلا يكون شيئاً، ولن يبلغَك عني ما تكره بعد هذا، فتكافَّا.

شعره وقد رأى أبو عمران القاضي رأياً قوبل بالاستحسان:

أخبرني الحَرميّ قال: حدثني الزبير قال: حدثني مصعب بن عثمان قال:

ما رأيت بريق صَلَع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القُتَيلة[٣] جاريةِ إبراهيم بنِ أبي قُتَيلة، وكان يعشقها، وبيعت في دَين عليه، فبلغت خمسمائة دينار فقال المغيرة بنُ عبدالله لابن أبي قُتَيلة: ويحك! اعتقها فتقَوَّمَ

(١) ف: «سالماً».
(٢) طرمح: طول.
(٣) ف: «يوم أخرجت القتيلية».

عليك، فتتزوّجها، ففعل. فرُفع ذلك إلى أبي عمران ـ وهو القاضي يومئذٍ ـ فقال: أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة. أما نحن في الحكومة فقد عرفنا أنْ قد بلغت خمسمائة دينار، / فاذهبوا فقوّموها، فإن بلغت القيمةُ أكثر من هذا ألزمناه، وإلاّ فخذوا منه خمسمائةِ دينار، فاستُحسِن هذا الرأي، ولَبّس عليه الناس قَبْلنا، فقال ابنُ الخياط يذكر ذلك من أمر ابن قُتَيلة وما كان من أمر جاريته: [٩٦/١٨]

يـا معشـر العشّـاقَ مَـن لـم يكـن ... مثـل القُتَيلـيّ فـلا يعشَـقِ

لمـا رأى السُّـوّام قـد أحـدقـوا ... وصيـح فـي المغـرب والمَشـرقِ

واجتمـع النـاس علـى دُرَّة ... نظيـرهـا فـي الخَلْـق لـم يُخلَـقِ

وأبـدت الأمـوال أعناقهـا ... وطـاحـت العسـرةُ للمِلـق

/ قلّـب فيـه الـرأي فـي نفسـه ... يـديـر مـا يـأتـي ومـا يتّقـي [٢٠/٤]

أعتقهـا والنفـس فـي شِـدقهـا ... للمعتَـق المَـنّ علـى المُعْتِـق

وقـال للحـاكـم فـي أمـرهـا ... إن افتـرقْنـا فمتـى نلتقـي؟

وأخبرني بهذا الخبر وكيعٌ قال: قال الزبَير بن بكّار، وذكر مثلَ ما ذكره الحرميُّ، وزاد فيه:

فكان فيهم ـ يعني فيمن حضر ـ لابتياعها موسى بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ زيدِ بنِ عليّ، والقاسمُ بنُ إسحاق بنِ عبدالله بن جعفرٍ، وغيرُهم. قال: فرأيتهم قياماً في الشمس يتزايدون فيها. وقال في خبره: ابن أبي قُتَيلة بالتاء.

يسأل سائل عنه ابنه يونس فيمضي به إليه فيستنشده شعره في العصبية:

أخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العلاء قال: حدثنا الزبَيرُ بنُ بكّار قال: حدثني يونُس بنُ عبدالله بنِ سالم الخياطُ قال:

كنت ذات عشية في مسجد رسول الله ﷺ وقت العصر في[1] أيام الحاج، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطَّعاتُ خزّ، وإذا معه جماعة. فوقف إلى جنبي فصلّى ركعتين، ثم أقبل عليّ ـ وكان ذلك من أسباب الرزق ـ فقال: يا فتى، أتعرف عبدَالله ابنَ سالمٍ الخياطَ؟ فقلت: نعم. فلما صلينا قال: امض بنا إليه، فمضيت به[2]، فاستخرجت له أبي من منزله، فقال[3] الرجلُ: بلغني أنّك قلت شعراً في أمر العَصَبية، فقال له أبي: ومن أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا خزيم بن أبي الهَيْذام، فقال له أبي: نعم قد قلته، وأنشده:

اسقيـانـي مـن صِـرف هـذي المـدام[4] ... ودعـانـي وأقصـرا عـن[5] مـلامـي

واشـربـا حيـث شئتمـا إن قيسـا ... قـد عـلا عـزُّهـا فـروعَ الأنـام

/ ليـس والله بـالشـآم يمـانٍ ... فيـه رُوح ولا بغيـر الشـآم [٢٠/٥]

يَطعَـم النـوم حيـن تكتحـل الأعيـن بـالنـوم عنـد وقـت المنـام

(١) كذا في ب، جـ. وفي س: «الي»، تحريف.

(٢) كذا في ب، س. وفي جـ: «معه».

(٣) كذا في ب، س. وفي جـ: «فقال له».

(٤) في س: «المداما»، تحريف.

(٥) في جـ: «عن».

حَـذرا مـن سيـوف ضِـرغـامـةٍ عـا ... دٍ علـى الهَـول بـاسـلٍ مقـدام
مـن بَنـي مُـرةَ الأطـايـبِ يكنـي ... عنـد دَسـر[1] الـرمـاح[2] بـالهَيـذام

ابنه يونس ينافسه ليحرمه جائزة:

قال: فأَشرع الفتى يده إليه بشيء وجزّاه خيراً. قال يونس: فبادرتُ فأخذت بيد المُرّي وقلت له: لا تَعجَل فإني قد قلت شعراً أجود من شعره. قال أبي: ويلك يا يونُس يا عاضّ بَظْر أُمه! تحرمني؟ فقلت: دع هذا عنك، فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك، فقلت ليونس: ومَن كانت امرأةَ أبيك يومئذٍ؟ فقال: أُمي، وجمعت والله عقوقهما[3]. فقال لي المُرّي / أنشد فأنشدته: ٩٧/١٨

اِسقيـانـي يـا صـاحبـيّ اسقيـانـي ... ودعـانـي مـن المـلام دعـانـي
اسقيـانـي هُـديتمـا مـن كُميـتٍ ... بنـتِ عَشْـرٍ مشمـولـةٍ أسقيـانـي
فُـضّ عنهـا خِتـامُهـا إذ سبـاهـا ... واضِـحُ الخَـد مـن بنـي عـدنـان
نَتَحـايـا[4] بـالكـأس أربعـة فـي الـدّ ... ور هــذان نـاعمـان وذان
ذا لهـذا رَيحـانـة مثـل هـذا ... ك لهـذا مـن طَيِّـب الـريحـان
فنهضنـا لمـوعـد كـان منـا ... إذ سمعنـا تجـاوب البُكْمـان
فنعِمنـا حـوليَـن بَهْـرا وعشنـا ... بيـن دُفّ ومُسمِـع ودِنـان
ثـم هِجنـا للحـرب إذ شبّـت الحـر ... بُ ففـزنـا فيهـا بسبـق الـرِّهـان
[٦/٢٠] / إنّ قيسـاً فـي كـلّ شـرق وغـرب ... خـارجَ سَهمُهـا علـى السُّهمـان
منـع الله ضيمَنـا بـأبـي الهيـ ... ذام حِلْـفِ السمـاح والإحسـان
واليمـانـون يفخـرون أمـا يـد ... رون أن النبـيّ غيـرُ يمـان

قال: فقال الفتى لأبي: قد وجب علينا من حقه مثلُ ما وجب علينا مِن حقك يا شيخ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي، وقسم الدنانير بيننا، وكانت خمسين ديناراً.

ابنه يعصر حلقه فيعترف لمنقذه بأن عق أباه من قبله:

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ موسى بنِ حماد قال: حدثني الزبَير قال:

مرَّ رجل بيونُس بنِ عبدالله بن الخياطِ ـ وهو يعصِر حَلْق أبيه وكان عاقًّا به ـ فقال له: ويلك أتفعل هذا بأبيك؟ وخلّصه من يده، ثم أقبل على الأب يُعزّيه ويسكّن منه، فقال له الأب: يا أخي لا تَلُمه، واعلم أنه ابني حقّاً. والله لقد خنقتُ أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه. فانصرف عنه الرجل وهو يضحك.

---

(١) دسر: طعن.
(٢) كذا في جـ: وفي ب، س: «الرياح»، تحريف.
(٣) كذا في ب، س. وفي جـ: «عقوقهما معاً».
(٤) في س، ب: «انتخايا»، تحريف.

يشكو حاله إلى محمد بن سعيد فيأمر له بمعونة فيمدحه:

أخبرني أحمدُ بن عُبيدالله بنِ عمار قال: حدثني عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمان النَّوفليّ عن عمه عيسى قال:

شكا عبدالله بن يونس الخياطُ إلى محمدِ بنِ سعيدِ بن المغيرة بن نَوْفَلِ بنِ الحارثِ بنِ عبدالمطلب حاله وضيقاً قد ناله، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر، فقال يمدحه:

يـا بـن سعيـد يـا عَقيـدَ النـدى ... يـا بـارع الفضـل علـى المُفضِـلِ
حللـتَ فـي الـذُّروة مـن هـاشـم ... وفـي يَفـاعٍ مـن بنـي نَـوْفَـل
فطـاب فـي الفـرعيـن هـذا وذا ... مـا اعتـمّ مـن منصبِـك الأطـول
قـد قلـتُ للـدهـر وقـد نـالنـي ... بـالنـاب والمِخلـب والكَلكـل
/ قـد عُـذتُ مـن ضُـرّك مستعصِمـا ... بهـا شمِـيٌّ مـاجـدٍ نـوفلـي [٧/٢٠]
فقـال لـي أهـلاً وسهـلاً معـاً ... فُـزْتَ ولـم يمنـع ولـم يبَخـل
الـدهـر شِقّـان فشِـقٌ لـه ... ليـن وشـقٌّ خَشـنِ المنـزل
وأخشـنَ الشقَّيـن عنّـي نفَـي ... وشقُّـه الأليـن مـا عـاش لـي
فقـل لهـذا الـدهـر مـا عـاش لا ... تُبْـقِ ولا تَـرْعَ ولا تـأتلـي

يأخذه والي الحجاز بالصلاة فيحاول أن يعفيه منها:

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد قال: حدثنا الزبَير بن بكّار قال:

أخذ أبي - لما ولي الحجاز / عبدالله بن يونس الخَيَّاط - بأن يصلي الصلوات الخمسَ مع الجماعة في مسجد رسول الله ﷺ، فجاءني هو ومحمدُ بنُ الضحاك وجعفرُ بن الحسَين اللّهبيّ، فوقف بين يديّ، ثم أنشدني: ٩٨/١٨

قـل لـلأميـر يـا كـريـم الجِنـس ... يـا خيـر مـن بـالغَـور أو بـالجَلْـس[1]
وعُـدّتـي لـولـدي ونفسـي ... شغَلْتنـي بـالصلـوات الخمـس

فقلت له: ويلك! أتريد أن أستعفيَه لك من الصلاة؟ والله ما يعفيك، وإن ذلك ليبعثه على اللَّجاج في أمرك، ثم يضرك عنده. فمضى وقال: نَصبر إذن حتى يُفرج الله تعالى.

شعره في صديق كان يدعوه ليشرب معه:

أخبرني محمدٌ قال حدثنا الزبَير بنُ بكّار قال حدثنا يونُسُ بن الخياط قال:

كان لأبي صديق، وكان يدعوه ليشرب معه، فإذا سكِر خلع عليه قميصه، فإذا[2] صحا من غد بعث إليه فأخذه منه فقال أبي فيه:

(١) الجلس: بلاد نجد، أو الغليظ من الأرض.
(٢) في جـ: «وإذا».

[٢٠/٨] / كـانـي قميصاً مـرتيـن إذا انتشى[١] وينـزعُـه منـى إذا كـان صـاحيـا

فَلِـي فَـرحـة فـي سُكـره بقميصـه وروعاتـه[٢] في الصحو حَصَّت[٣] شَواتيا[٤]

فيـاليـت حظـي مـن سـروري وروعتـي تكـون كَفـافـاً لا علـيَّ ولا ليّـا

ابنه يعقه، وابن ابنه يعق أباه:

أخبرنا وكيعٌ قال حدثنا محمدُ بن الحسنِ بنِ مسعودِ الزُّرَقِيُّ قال:

قال يُونُس بنُ عبدِالله الخَيَّاطُ لأبيه، وكان عاقاً به:

مـا زال بـي مـا زال بـي طعـنُ أبـي فـي النسـبِ

حتـى تَـريّبـت وحتـى سـاء ظنـي بـأَبـي

قال: ونشأ ليونُسَ ابنٌ يقال له: دحيم، فكان أعق الناس به، فقال يونس فيه:

جـلا دحيـم عَمـايـة الـرِّيَـب والشـكُّ منـي والطعـن فـي النسـب[٥]

مـا زال بـي الظّـنّ والتشكُّـك حتـى عقَّنـي مثـلَ مـا عققـتُ أبـي

ابنه ينشد سعيد ابن عمرو نسيباً فيقر بعجزه عن مثله:

أخبرني الحرَمي بنُ أبي العلاء قال: حدثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حدثني يونُسُ بنُ الخَيَّاط قال:

أنشدتُ سعيدَ بن عمرو الزبيريّ:

لـو فـاح ريـح حبيبـةٍ مـن جِبِّهـا فـاحـت ريـاح حبيبتـي مـن ريحـي

[٢٠/٩] قال: فقال لي سعيد بن عمرو: والله إني لأقول النسيب، فلا أقدر على مثل هذا / فقلت له: ومن أين تقدر عَلَى مثل هذا يا أبا عثمان؟ لا تقدر[٦] والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك.

يؤثر ابنه بالفريضة:

أخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزُّبَير قال حدثني يُونُس بنُ الخَيَّاط قال:

لما أَعطى المهديّ المغيرةَ بنَ حبيب ألف فَريضة يضعها حيث شاء جَاءه أَبي عبدالله ابنُ سالم، وقَال له:

أَلـف تـدور علـى يـدِ لِمُمَـدَّحٍ مـا سُـوقُ مـادِحـه لـديـه بكـاسـد[٧]

الظـنُّ منـي لـو فـرضـتَ لـواحـد فـي الأعجميـن خصصتنـي بـالـواحـد[٨]

(١) في س: «انتسى»، تحريف.
(٢) كذا في أ، ب، س. وفي جـ: «روعته».
(٣) الحص: حلق الشعر.
(٤) الشواة: جلدة الرأس.
(٥) ب، س: «نسبي».
(٦) كذا في ب، س. وفي جـ: «ولا والله ما تقدر».
(٧) ف: «بكاسده».
(٨) ف: «بواحده».

قَال: فقال له المغيرة: أيهما أَحب إليك: أأفرض لك أم لابنك يونس؟ فَقَال له: أنَا شيخ كبير، هَامةُ اليوم أو غدٍ، افرِض لابني يونُسَ، ففرض لي في خمسين دينَاراً، فلما خرجَت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدَي بَكار بن عبدالله قَال لي خليفتُه وخَليفة أيوبَ بن أبي سمير ـ وهما يعرضَان أهل ديوان العطَاء ـ: أنت من هُذَيلٍ ونراك قد صِرْتَ من آل الزبير / فنَرُدُّكَ إلى فرائض هُذيلٍ خمسةَ دينَاراً. فقَال لهما بَكار: إنما جُعلتما لتتَّبعَا ولا تبتدعا، أَمضيَاه، فأَعطيَاني مائة وخمسين ديناراً. [99/18]

ابنه يهجو هشامَ بن عبدالله حين ولي القضاء ليغض منه:

أخبرني محمدُ بنُ خَلفٍ وكيعٌ قَال: حدثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود الزُّرَقيّ قَال: حدَثنا ابنُ أبي قَبَاحة الزهريّ قَالَ:

لما عُزل ابنُ عِمران ـ وهو عبدالله بنُ محمدِ بنِ عِمرانَ التيميُّ ـ عن القضاء، واستُعمل هشامُ بنُ عبدالله بنِ عكرمة المخزوميُّ، جزع ابنُ عِمران من ذلك، فقال بعض أصحابه ليونُسَ بنِ عبدالله الخَياطِ: اهج هشاماً بما يغضّ منه، فقال:

/ كـم تَغَنَّـى لـي هشـام	ذلـك الجِلـف الطـويـلُ [10/20]
بعـد وهْـن وهـو فـي المجـ	ـلـس سكـرانُ يميـلُ
هَـل إلـى نـار بسَلْـعٍ[1]	آخِـرَ الـدهـر[2] سَبيـلُ
قلـت للنـدمـان لمـا	دارت الـراحُ الشَمـولُ
بـأَبـي مـالَ هِشـامٌ	فكمـا مـال فمِيلُـوا

قال: وشَهرَها في الناسِ، وبلغ ذلك هشاماً: لعنه الله؛ إنْ كان لكاذباً فقال ابن أبي قَباحة: فقلتُ لابن الخَياط: كذبت، أما والله إنه لأمرُّ من ذلك.

ابنه يطعن في نسبه بحضرة أبيه وأصحاب له:

أخبرنا وَكيعٌ قال: حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود قال: قال يونُسُ بنُ عبدالله بن الخَياطُ:

جئت يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده أصحَاب له؛ فوقفت عليهم لأغيظَه، وقلت: ألا أُنشِدكم شعراً قلته بالأمس؟ قالوا: بلى، فأنشدتهم:

يـا سـائلـي مَـن أنَـا أو مـن يناسبنـي[3]	أنـا الـذي مـالَـه أصـل ولا نسـبُ
الكلـب يختـال فخـراً حيـن يُبصـرنـي	والكلـب أكـرمُ منـي حيـن يَنتسـب
لـو قـال لـي النـاس طُـرّا أنـت الأمنـا	مـا وَهِـم النـاس فـي ذاكـمْ ولا كـذبـوا

قال: فوثب إليّ[4] ليضربني، وعدَوت من بين يديه، فجعل يشتِمُني وأصحابه يضحكون.

(١) سلع: اسم جبل بالمدينة، وآخر بهذيل.
(٢) س. وفي جـ: «الليل».
(٣) في جـ: «أناسبه».
(٤) في جـ: «أبي».

[٢٠/١١] / **شعر ابنه وقد جلد في الشراب:**

أخبرني وكيعٌ قال: حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود:

أن مالكَ بنَ أنَس جَلد يونُسَ بنَ عبدالله بنِ سالم الخَيَّاطِ حدّاً في الشراب. قال: وولي ابن سعيد القضاء بالمدينة، فقال يونُس فيه:

بكَتْنِـــيَ النَّـــاسُ لأنْ جُلِــدتُ وسْــطَ الــرحَبَــهْ
وأننـــي أزنـــي وقـــدْ غَنَيــتُ فـــي المجتَبــــهْ
أعــــزِف فيهـــمِ بعصـــا[1] مـــالـــكِ المقتضَبـــهْ
فقلـــت لمـــا أكثـــروا علـــيَّ فيـــم الجلبـــه؟
ذا ابـــن سعيـــد قـــد قضـــى وحـــالنـــا مقتـــربـــه
لا بـــل لـــه التفضيـــل فيمـــا لـــم أنـــل والغلبـــه
بحُســن صـــوت مُطـــرب وزوجـــة مَغْتَصَبَـــه

ابن الخياط يستزير الزبير ابن بكار في مرض موته ليجدد له عهدا:

أخبرني الحرميُّ ابنُ أبي العلاء ووَكيعٌ، قال الحرميُّ قال الزبير، وقال وكيعٌ قال الزبَير بنُ بكار:

أرسل إليّ ابنُ الخَيَّاط يقول: إني عليل[2] منذ كذا وكذا، ومنزلي على طريقك إذا / صدرتَ إلى الثَّنية[3]، وأنا أحب أن أُجدِّد بك عهداً، قال: فجعلته على طريقي، فوجدته على فُرُش مُضَرَّبة[4]، وحوله وسائد، وهو مسَجًّى، فكشف ابنه الثوب عن وجهه، وقال له: فدَيتُك، هذا أبو عبدالله. فقال له: أجلسني، فأجلَسه وأسنده إلى صدره، فجعل يقول بنفَس منقطع: بأبي أنت وأمي! أموت منذ بضعَ عشرةَ ليلة ما دخل / علي قُرَشيٌّ غيرك وغير الزبير بنِ هِشَام وإبراهِيمَ بنِ المنذر ومحمدِ بن عبدالله البكريّ، ولا والله ما أعلم أحداً أحبّ قريشاً كحبيّ. قال زبير: وذكر رجلاً كان بيني وبينه خلافٌ فقال: لو كنت شَابّاً لفعلت بأُمّه كذا وكذا، لا يكنى. ثم قَال:

[١٠٢/١٨] [٢٠/١٢]

والله لـــو عـــادَت بنـــي مُصعَـــب حِليلتـــي قلـــت لهَـــا: بينـــي
أو ولـــدي عـــن حبِّهـــم قصّـــروا ضَغطتهـــمْ بـــالـــرَّغـــم والهُـــون
أو نظـــرَتْ عينـــي خـــلافـــاً لهـــمْ فقـــأتهـــا عَمـــداً بسكيـــن

ثم أقبل على ابنه، فقَال: يا بنيّ أقول لك في أبي عبدالله مَا قَال ابن هَرْمة لابنه في الحسن بن زيد:

الله جـــارُ عُتَـــيٌّ دعـــوةً شفقـــا مـــن الـــزمَـــان وشـــرُّ الأقـــرب الـــوالـــي
مـــن كـــل أحيـــدَ عنـــه لا يُقـــرِّبـــه وسْط النجيّ[5] ولا فـــي المجلس الخـــالـــي

(١) في ب، س: «بعصا ابن مالك»، وفي ف: «أعرف»، بالراء.
(٢) في جـ: «إني أموت من كذا وكذا».
(٣) في جـ: «البنية»، وهي الكعبة.
(٤) مضربة: ذات طاقين بينهما قطن.
(٥) النجي: المتناجون.

يموت في غد اليوم الذي زاره فيه الزبير:

قَال الزبير: حدثني محمدُ بنُ عبدالله البكريّ:

أنه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه، قال: فقال لي: يا أبا عبدالله، أنا أجود بنفْسي منذ كذا وكذا ولا تخرج، ما هكذا كانت نفْس عَبِيد ولا لَبِيد ولا الحطيئة، ما هي إلاّ نفس كلب؛ قال: فخرجتُ فما أبعدت حتى سمعت الواعية[1] عليه.

[٢٠/١٣]

/ صوت

بـــأبـــي مـــسـاءَلـــكَ عنّـــي	مـــائـــلَ الطـــرف كليـــلا!
وأرى بِـــســـرّك نَـــــزْرا	وتَحفّيــــــــك قليــــــلا
وتُسمِّينــــــي عـــــدوا	وأسميـــــك خليـــــلا
أتعلّمـــــــتَ سلُـــــوّاً	أم تبـــدلْـــت بـــديـــلا؟
أحمَـــــــد الله فمـــــا أغـ	ـنـى الـــرّجـــا فيـــك فَتيـــلا

الشعر لعلّي بن جَبَلة، والغناء لزُرزُور غلام المارقي، خفيفُ رملٍ بالبنصر من روايتي الهشامي وعبدِالله بن موسى. وفيه لعَريبَ هزَج، وفيه ثقيلٌ أولُ من جَيِّد الغناء. ينسب إليها وإلى عَلُّويه، وهو بغنائها أشبه منه بغناء عَلّويه.

(١) الواعية: الصراخ والصوت. وفي ب، س: الناعية.

[١٤/٢٠]

/ أخبار عليّ بن جبلة

نسبه ولقبه:

هو عليُّ بنُ جَبَلة بنِ عبدالله الأبناويّ[١]، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعَكَوَّك، من أبناء الشيعة الخُراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحَرْبيّة[٢] من الجانب الغربيّ. وكان ضريراً، فذكر عطاءُ الملطِ أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريراً، وزعم أهله أنه عمِي بعد أن نشأ.

استنفد شعره في مدح أبي دلف وحميد الطوسي:

وهو شاعر مطبوع، عذْب اللفظ جزله، لطيف المعاني، مدّاح حسن التصرف. واستنفدَ شعرَه في مدح أبي دُلَف القاسمِ بنِ عيسى العِجْلي، وأبي غانم حُمَيدِ بن عبدالحميد الطُّوسيّ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلَف خاصة حتى فُضّل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز / الحد في ذلك. فيقال: إن المأمون طلبه حتى ظفر به، فسَلَّ لسانه من قفاه، ويقال: بل هرب، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه؛ وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ.

١٠١/١٨

نشأته وتربيته:

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفيُّ قال: حدثني الحسين بنُ عبدالله بنِ جَبَلَة بنِ عليّ بنِ جَبَلة قال:

كان لجدّي أولاد، وكان عليّ أصغرهم، وكان الشيخ يرِقّ عليه، فجُدِر، فذهبتْ إحدى عينه في الجُدَريّ، ثم نشأ فأُسلِم في الكتّاب، فحذَق بعض ما يَحذِقه الصبيان، فحُمل على دابّة ونُثِر عليه اللَّوزْ، فوقعت على عينيه الصحيحة لَوزة فذهبت، فقال الشيخ لولده: أنتم لَكم أرزاق من السلطان، فإن أعنتموني على هَذا الصبيّ، / وإلاّ صرفْتُ بعض أرزاقكم إليه. فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب

[١٥/٢٠]

يقصد أبا دلف: ويمدحه فيتهم بانتحال القصيدة فيطلب أن يمتحن:

قال: فكنا نأتي به مجالسَ العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحَول حتى برع، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لمَن حوله: أوسعوا للبغوي[٣] وكان ذكياً مطبوعاً، فقال الشعر، وبلغه أن الناس يقصدون أبا دُلَف لجُوده وما كان يُعطِي الشعراء، فقصده - وكان يسمّى العَكَوّك - فامتدحه بقصيدته التي أولها:

ذاد وِرْدَ الغـــيِّ عـــن صـــدرَه وارعـــوى واللهـــوُ مـــن وَطَـــره

يقول فيها في مدحه:

يـــا دواءَ الأرض أن فســـدَت ومُـــديـــلَ اليُســـر مـــن عُسُـــره

(١) كذا في ف، وفي ب، س: «الأنباري».
(٢) الحربية: محلة كبيرة ببغداد، تنسب إلى حرب بن عبدالله البلخي، أحد قواد المنصور.
(٣) لعلّ المراد به المنسوب إلى بغشور: بفتح فسكون فضم، بلدة بين هراة ومرو الروز، والنسبة إليها بغوي. ويقال لها أيضاً: بغ.

كلّ مَن في الأرض من عَرَب ... بين باديه إلى حَضَره
مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يومَ مُفتَخَره
إنما الدنيا أبو دُلَف ... بين مَبْداه ومحتضَرَه
فإذا ولّى أبو دُلَفٍ ... ولّت الدنيا على أثَره

فلما وصل إلى أبي دُلَف ـ وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه ـ استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قد اتهموك، وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيها الأمير، إنّ المحنة تزيل هذا، قال: صدقْتَ فامتحنوه.

/ القصيدة التي امتحن بها في وصف فرس أبي دلف: [١٦/٢٠]

فقالوا له: صِف فرس الأمير، وقد أجّلناك ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول، فجعلوا معه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي:

ريعت لمنشور على مَفرِقِه ... ذمّ لها عهد الصِّبا حين انتسبْ
أهدابُ[١] شَيبٍ جُددٌ في رأسه ... مكروهةُ الجِدّة أنضاء العُقَب[٢]
أشرقن في أسوَدَ أزرين به ... كأنّ دُجاه لهوى البِيض سبب
واعتقن أيامَ الغواني والصِّبا ... عن ميّت مطلبُه حيٍّ[٣] الأدبْ
لم يزدجِر مُرْعَويا حين ارعوى ... لكن يدٌ لم تتصل بمطّلب
لم أرَ كالشيب وقاراً يُجتَوَى ... وكالشَّباب الغضّ ظِلّاً يُسْتَلَب
فنازلٌ لم يُبتَهج بقُربه ... وذاهب أبقى جوًى حين ذهب
كان الشباب لِمّة أُزهَى بها ... وصاحبا حرّاً عزيز المَطْحَب
/ إذ أنا أَجري سادراً في غيه ... لا أُعتب الدهر إذا الدهر عتب
أُبعِدُ شأوَ اللهو في إجرائه ... وأقصد الخَودَ وراءَ المحتجَب
وأذعَرُ الرَّبرَبَ عن أطفاله ... بِأعوجيٍّ[٤] دُلَفيِّ المنتسَب
تحسبه من مَرَح العِزِّ به ... مستنفَراً بروعة أو ملتهب
مُرتَهِج[٥] يرتجُّ من أقطاره ... كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
تحسبه أقعد في استقباله ... حتى إذا استدبرته قلتَ أكبّ

(١) كذا في أ. وفي ب، جـ، س، مد: «أهدام»، جمع هدم بكسر فسكون، وهو الثوب البالي، أو المرقع.
(٢) العقب: جمع عقبة، وهي النوبة.
(٣) ب، س: «حب»، تحريف.
(٤) أعوجي: منسوب إلى أعوج، فرس لبني هلال.
(٥) مرتهج: يثير الغبار.

[١٧/٢٠] / وهو على إرهاقه وطيّه ... يقصر[1] عنه المِحزَمان[2] واللَّببُ[3]

تقول فيه خَنَبٌ[4] إذا انثنى ... وهو كمتن القِدح ما فيه خَنَب

يخطو على عُوج تناهبن[5] الثرى ... لم يتواكل عن شظًى[6] ولا عصب

تَحسِبها ناتئة إذا خطت ... كأنها واطئة على الرُّكَب

شتّا وقاظ بُرزهَتَيهِ عندنا ... لم يؤتَ من بِرٍّ[7] به ولا حدَب

يصان عصرَيَ حرِّه وقُرِّه ... وتُقصَر الخُور[8] عليه بالحَلَب[9]

حتى إذا تمّت له أعضاؤه ... لم تنحبس واحدة على عتَب[10]

رُمنا به الصيد فرادَينا[11] بِه ... أوابد الوحش فأجدى واكتسب

مُجَذِّم[12] الجري يباري ظلَّه ... ويُعرِق الأحقبَ[13] في شوط الخبب[14]

إذا تظنّينا[15] به صدّقنا ... وإن تظنّى فوتَه العَيرُ كذب

[١٨/٢٠] / لا يَبلُغ الجهدَ به راكبُه ... ويَبلُغ الريحَ به حيث طَلب

ثم انقضى ذاك كأن لم يَغنِه ... وكلّ بقيا فإلى يومِ عطَب

وخلّف الدهرُ على أبنائه ... بالقَدح[16] فيهم وارتجاع ما وهب

فحمّل الدهر ابن عيسى قاسماً ... ينهضُ بسه أبلجُ فرّاجُ الكُرَب

كرونق السيف انبلاجاً بالندى ... وكِفِرارَيه على أهل الرِّيَب

ما وسِنت عين رأت طلعتَهُ ... فاستيقظت بنَوبة من النُّوَب

لولا ابنُ عيسى القَرْمُ كنّا هَمَلا ... لم يؤتَّل مجد ولم يُرعَ حسب

(١) كذا في ب، س. وفي أ، جـ: «يقصر».
(٢) المحزم: الحزام.
(٣) اللبب: ما يشد في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل.
(٤) كذا في أ، جـ، مد. والخنب: أخد يداب في صلب الفرس. وفي ب، س: «خبب»، تحريف.
(٥) في معظم النسخ: «تناهين»، تحريف.
(٦) الشظى: انشقاق العصب.
(٧) كذا بالأصول، ولعلها تحريف: تر، بفتح فتشديد، بمعنى سرعة الركض، أو امتلاء الجسم، أو اعتدال الأعضاء.
(٨) الخور: جمع خيرة، وهي الخيرة من الإبل.
(٩) الحلب: اللبن.
(١٠) العتب: الظلع، والمشي على ثلاث قوائم من العقر.
(١١) رادينا: طلبنا مسابقين، وأصل الرديان أن يرجم الفرس الأرض بحوافره.
(١٢) كذا في ب، س. ومعناه مسرع. وفي مد: «مجتدم».
(١٣) الأحقب: الحمار الوحش الذي في بطنه أو خصره بياض.
(١٤) الخبب: نوع من العدو، والسرعة.
(١٥) تظنينا: أعملنا الظن.
(١٦) بالقدح: بالإصابة ملجم. وأصل القدح: الصدع في العود، والأكال في الشجر والأسنان.

ولـم يقـم فـي يـوم بـأس ونـدًى ... ولا تـلاقـى سبـب إلـى سبـب
تكـاد تبـدى الأرض مـا تضمـره ... إذا تـداعَـت خيلـه هَـلاَ وهَـب[1]
ويستهِـلُّ أمـلا وخيفـة ... جـانبُهـا إذا استهـلَّ أو قطَـب
وهْـو وإن كـان ابـن فـرعَـيْ وائـل ... فبِمسـاعيـه يـوافـى[2] فـي الحسـب
ويعُـلاه وعُـلا آبـائـه ... تُحـوى غـداة السبـق أخطـارُ القصـب
يـا زهـرة الـدنيـا ويـا بـاب النـدى ... ويـا مجيـر الـرُّعـب مـن يـوم الـرَّهَـب
لـولاك مـا كـان سـدًى[3] ولا نـدى ... ولا قـريـش عُـرفَـت ولا العـرب
خـذهـا إليـك مـن ملـيء بـالثنـا ... لكنـه غيـر ملـيء بـالنَّشَـب
/ فـاثْـوِ فـي الأرض أو استفـزز بهـا ... أنـت عليهـا الـرأس والنـاس الـذنـب ١٠٣/١٨

شهادة الشعراء بأنه صاحب مدح أبي دلف:

قال: فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسنها مَن حضر، وقالوا: نشهد أن قائل / هذه قائل تلك، [٢٠/١٩] فأعطاه ثلاثين ألف درهم. وقد قيل: إن أبا دُلَف أعطاه مائة ألف درهم، ولكن أراها في دفعات؛ لأنه قصده مراراً كثيرة، ومدحه بعدة قصائد.

المأمون يستنشد بعض جلسائه قصيدته في أبي دلف:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفَّاف قال: حدثني محمدُ بنُ موسى بنُ حماد قال: حدثني أحمدُ بن أبي فَنَن قال: قال عبدالله بن مالك:

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أُقسم على مَن حضر ممن يحفظ قصيدة عليّ بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلاّ أنشدَنيها، فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين، ولا بد من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي. قال: قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي:

ذاد ورْد الغـيّ عـن صـدَرِهْ ... وارعـوى واللّهـو مِـن وَطَـرِهْ
وأبَـت إلاّ البكـاءَ لـه ... ضحكـات الشيـب فـي شعَـره
نَـدمِـي[4] أن الشبـاب مضـى ... لـم أُبلّغـه مـدى أشَـره
وانقضـت أيـامـه سَلَمـا ... لـم أجِـد حَـوْلا علـى غِيَـرَه
حَسَـرت عنـي بشـاشتُـه ... وذَوَي المحمـود مـن ثمـره
ودَمٍ أهـدرْتُ مـن رشَـإ ... لـم يُـرِد عَقـلا علـى هـدَره

(١) هلا وهب: اسمان لزجر الخيل.
(٢) كذا في جـ. وفي ب، س: «تراقي»، تحريف.
(٣) س: «سرى».
(٤) في جـ: «ندماء».

فأتت[1] دون الصبّا هنةٌ ... فليت فُوقي[2] على وتره

جارتا ليس الشباب لمن ... راح محنيًّا على كبره

[٢٠/٢٠] / ذهبَت أشياء كنت لها ... صارَها[3] حِلمي إلى صَوره[4]

دع جَدا قحطان أو مُضرٍ ... في يمانيه وفي مضره

وامتدح من وائل رجلا ... عَصَرُ[5] الآفاق في عَصَره

المنايا في مناقبه ... والعطايا في ذَرا حُجَره

مِلك تَندَى أنامله ... كانبلاج النَّوء من مطره

مستهِلّ عن مواهبه ... كابتسام الروض عن زَهَره

جبَلٌ عزّت مناكبه ... أمِنتْ عدنان في ثَغَره

إنما الدنيا أبو دُلَف ... بين مَبداه[6] ومحتضَره

فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّت الدنيا عَلى أثره

لست أدري ما أقول له ... غير أن الأرض في خَفَره

يا دواءَ الأرض إن فسدَت ... ومُديل اليُسر من عسُره

كلّ من في الأرض من عربٍ ... بين باديه إلى حضره

مستعير منك مكرمةً ... يكتسيها يوم مفتخَره

يقول فيها:

وزَحوف في صواهله ... كصياح[7] الحشر في أثره

١٠٤/١٨ / قُدتَه والموت مكتمِنٌ ... في مذاكيه ومشتجَره[8]

[٢١/٢٠] / فرمَت جيلويه[9] منه يد ... طوت المنشور من نظره

زرتَه والخيل عابسة ... تحمل البؤس عَلى عُقَره[10]

خارجات تحت رايتها ... كخروج الطير من وُكَره

---

(١) في أ: «فأتى». وفي ب، س، م: «فأنت»، تحريف.

(٢) الفوق: موضع الوتر من السهم.

(٣) صار الشيء صورا: أماله.

(٤) الصور: الميل، وفعله كفرح.

(٥) العصر: المنجاة.

(٦) كذا في ب، س، جـ. في أ، م: «باديه».

(٧) في أ، م: «كضياء الفجر في أمره»، الأمر هنا: السطوع والانتشار، من أمر، بكسر الميم: أي كثر ونما.

(٨) في س، ب، جـ: «مستجره كأنه بمعنى مشتعله».

(٩) جيلويه، رجل من ذوي الشوكة كان بينه وبين آل أبي دلف وقائع.

(١٠) العقر: جمع عقرة: كهمزة، وهو الراكب يعقر ركوبته من كثرة إتعابه لها.

وعَلَى النعمان عُجتَ به ... عَوجةً ذادته عن صَدره

غمَط النعمان صفوتها ... فَرددتَ الصفو في كَدره

ولقُرقورٍ أدرتَ رحاً ... لم تكن[1] ترتسد في فِكَره

قد تأنيتَ البقاءَ له ... فأبَى المحتومُ من قدَره

وطغى حتى رَفَعْتَ له ... خطة شنعاء من ذُكَره

قال: فغضب المأمون واغتاظ، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.

أنشد أبا دلف مدحته بعد أن قتل قرقوراً:

قال ابن أبي فَنَن: وهذه القصيدة قالها عليّ بن جَبَلة وقصد بها أَبَا دُلَف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم. فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى، وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه. فبينا أبو دلف خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه، فأيقن أبو دلف بالهلاك، وخاف أن يُوَلِّيَ عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يا فتيان! يَمنةً يمنة - يوهمه أن معه خيلا قد كمنها له - فخافه قرقور وعطف عَلَى يساره هارباً، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره، ونزل فاحتزّ رأسه، وحمله عَلَى رمحه حتى أدخله الكرَج.

/ قال: فحدثني من رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر. فلما أنشده عليّ بن جبله هذه [٢٠/٢٢] القصيدة استحسنها وسُرَّ بها وأمر له بمائة ألف درهم.

اتساع شهرة قصيدته فيه:

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ الأزديّ قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ خلف قال:

بينا أبو دُلَف يسير مع أخيه معقل - وهما إذا ذاك بالعراق - إذ مرّا بامرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دُلَف، قالت: ومَن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بين باديه ومحتضَره

فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّت الدنيا عَلَى أثره

قال: فاستعبر أبو دُلَف حتى جرى دمعُه. قال له معقل: مالك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقض حقَّ عليِّ بن جَبَلة. قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي عَلَى أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقه.

شدة إعجاب أبي تمام ببيت من بائيته:

حدثني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويَه قال: حدثني عبدُالله ابنُ محمدِ بنِ جريرٍ قال:

أنشدت أبا تمام قصيدة عليِّ بنِ جَبَلة البائية، فلما بلغتُ إلى قوله:

(١) كذا في ب، س. في جـ: «تكد».

ورَدَّ البِيضَ والبِيضَ إلى الأغمادِ والحُجُبِ[١]

[٢٠/٢٣ ١٠٥/١٨] اهتز أبو تمام من فَرْقه[٢] إلى قدمه، ثم قال: أحسن، والله لودِدتُ أن لي هذا / البيت بثلاث / قصائد من شعري يتخيرها[٣] وينتخبها[٤] مكانه.

طلب أن ينشد المأمون مدحاً فيه ثم يختار الإقالة فراراً من شروط للمأمون:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو نِزارٍ الضبيُّ الشاعر قال:

قال لي عليُّ بنُ جَبَلة قلت لحُمَيد بنِ عبدالحميد الطُّوسي: يا أبا غانم، إني قد مدحْتُ أمير المؤمنين بمَدْحٍ لا يحسن مثلَه أحد من أهل الأرض، فاذكرْني له. قال: فأَنشِدني، فأنشدتُه. قال: أشهَد أنك صادق، ما يحسن أحد أن يقول هكذا. وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: يا حُمَيد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفَونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا لمديحه، وإن شاء جمعْنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره، وأطلنا حبسه، وإن كان الذي قاله أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم، وإن شاء أقلناه فقلت له: يا سيدي ومَن أنا ومَن أبو دُلف حتى يمدَحنا بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلامُ من الجواب في شيء، فاعرِض ما قلت لك على الرجل. فقال: أفعل. قال عليُّ بنُ جَبَلة: فقال لي حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحبَ إلي، فأخبرَ المأمون بذلك. فقال: هو أعلم، ثم قال لي حُمَيد: يا أبا الحسن أيَّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلفَ؟ فقلت: قولي فيك:

لولا حُمَيدٌ لم يكن حَسَبٌ يُعَدُّ ولا نسبْ

يا واحدَ العَرَب الذي عَزَّت بعزَّته العرب

وقولي في أبي دُلف:

[٢٠/٢٤] / إنما الدنيا أبو دُلَفَ بين باديه ومحتضَره

فإذا ولّى أبو دلف ولّت الدنيا على أثره

قال: فأطرق حُمَيد ثم قال: لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم. وبلغ ذلك أبا دُلَف فأضعف لي العَطية، وكان ذلك في سَتر منهما، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزار.

يمسك عن زيارة أبي دلف حياء لكثرة بره به:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: حدثني محمدُ بنُ يزيدَ، قال: حدثني عليُّ بن القاسم قال: قال لي عليّ بن جبلة:

---

(١) يكني عن انتصاره الحاسم برد السيوف إلى أغمادها، والسبايا إلى حجبها.

(٢) في أ، جـ، م: «قرنه».

(٣) في س: «يتخيلها»، تحريف.

(٤) في أ، جـ: «ينتحلها».

زرتُ أبا دُلَفَ، فكنت لا أدخل إليه إلّا تلقاني ببرّه وأفرط، فلما أكثر قعدت عنه حياء منه، فبعث إليّ بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك الأمير: لم هجرتنا؟ لعلك استبطأتَ بعض ما كان منّي، فإن كان الأمر كذلك فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى، فدعوت مَن كتب لي، وأمللت عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إلى معقل، وسألته أن يوصلها، وهي:

هجَرْتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يُرتجَى نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في بري عجزت عن الشكر

فها أنا لا آتيك إلا مسلّماً ... أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر

فإن زدتني براً تزايدت[1] جَفوة ... ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

قال: فلما سمعها معقل استحسنها جداً، وقال: جوّدت والله، أما أن الأمير ليُعجب / بمثل هذه الأبيات، [٢٠/٢٥] فلما أوصلها إلى أبي دُلَف قال: للّهِ دَرّه! ما أشعره، وما[2] أرقّ معانيه! ثم دعا بدواة، فكتب إليّ:

/ ألا ربّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه ... وآنستُه قبل الضيافة بالبِشر [١٠٦ / ١٨]

أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القِرى من نائلي عنده سِتري

وجَدتُ له فضلا عليّ بقصده ... إليّ وبِرّاً يستحق به شكري

فلم أعدُ أن أدنيتُه وابتدأتُه ... ببشر وإكرام وبرٌّ على برّ

وزوّدتُه مالا قليل[3] بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر

ثم وجّه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار، فذلك حيث قلت له:

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بين باديه ومحتضَره

يقصد عبدالله بن طاهر ليمدحه، فيرده لغلوه في مدح أبي دلف:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسِم قال: حدثني نادر مولانا:

أن عليَّ بن جَبَلَة خرج إلى عبدِالله بنِ طاهر وإلى خراسان، وقد امتدحه، فلما وصل إليه قال له: ألست القائل:

إنمَا الدنيَا أبو دُلَف ... بين باديه ومحتضَره

فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّت الدنيَا على أثره

قَال: بلى، قَال: فَما الذي جَاء بك إلينا، وعدل بك عن الدنيا التي زعمت؟/ ارجع من حيث جئت، فارتحَل، ومرّ بأبي [٢٠/٢٦] دُلَف وأعلمه الخَبر، فأعطَاه حتى أرضاه. قَال نَادر: فرأيته عند مولاي القَاسم بن يوسف، وقد سأله عن خبره فقَال:

أبو دلف إن تلقه تلقَ مَاجداً ... جواداً كريماً راجح الحلم سيدا

(١) كذا في س. في أ، ب، جـ: «تزيدت».

(٢) في ب، س ب: «ما أشعره وأرق». وفي أ، جـ: «ما أشعره وأدق».

(٣) ف، مم، مو: «قليلاً» بالنصب، وكلاهما صحيح.

أبو دُلَف الخَيراتِ أنداهمُ يدا ... وأبسط معروفاً وأكرم محتِدا

تراثُ أَبيه عن أبيه وجدِّه ... وكلّ امرىءٍ يجري على ما تعودا

ولست بِشاكٍ غيرَه لنقيصة ... ولكنما الممدوح من كان أمجدا

يصف قصر حميد الطوسي ويمدحه:

قال مؤلف هذا الكتاب[1]: والأبيات التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن عليّ بن جبلة من قصيدة له مدح بها حُميداً الطوسيَّ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء:

ليس لي ذنب سوى أنْـ ... ـني أسميك خليلا[2]

وأُناديك عزيزاً ... وتناديني ذليلا

أنا أهواك وحاليـ ... ـك صَروماً ووَصولا

ثِق بوُدٍّ ليس يفنى ... وبعهدٍ لن يحولا

جعل الله حُمَيدا ... لبني الدنيا كفيلا

مِلك لم يجعل الله ... له فيهم عديلا

فأقاموا في ذراه ... مطمئنين حُلولا

لا ترى فيهم مُقِلّاً ... يسأل المُثرى فُضولا

جاد بالأموال حتى ... علّم الجود البخيلا

/ وبنى الفخر على الفخـ ... ـر بناء مستطيلا

صار للخائف أمناً ... وعلى الجُود دليلا

[٢٧/٢٠]
١٠٧/١٨

يرثي حميداً الطوسي:

ولما مات حُميد الطوسيّ رثاه بقصيدته العينية المشهورة، وهي من نادر الشعر وبديعه، وفي أولها غناء من الثقيل الأول، يقال: إنه لأبي العُبَيْس، ويقال: إنه للقاسم ابنِ زُرْزُور:

أَلِلدهر تبكي أم على الدهر تجزع؟ ... وما صاحب الأيام إلا مفجَّعُ

ولو سَهَّلَت عنك الأسا كان في الأسا ... عزاءٌ مُعَزٍّ للبيب ومقنَعُ

تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنها ... سهام المنايا حائمات ووُقَّع

أُصبنا بيوم في حُمَيدٍ لو أنه ... أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع

وأدَّبَنا ما أدب الناسَ قبلنا ... ولكنه لم يَبْقَ للصبر موضع

(١) ف: «قال الأصبهاني».

(٢) كذا في ب، حـ، س. في أ، م، ف: «جليلا».

ألـم تـر لـلأيـام كيـف تصـرَّمـت[(١)] بـه وبـه كـانـت تُـذَادُ وتُـدْفـع
وكيـف التقـى مثـوًى مـن الأرض ضيـق علـى جبـل كـانـت بـه الأرضُ تُمنـع
ولمـا انقضَـت أيـامـه انقضـت العـلا وأضحـى بـه أنـف النـدَى وهـو أجـدع
وراح عــدوّ الـدِّيــن جَـذلان ينتحـي أمـانـيّ كـانـت فـي حَشـاه تقطـع[(٢)]
وكـان حُمَيـد معقِـلا ركَعـت بـه قـواعـدُ مـا كـانـت علـى الضيـم تَـركـع
/ وكنـتُ أراه كـالـرزايـا رُزِئتُهـا ولـم أدرِ أن الخلـق يبكيـه أجمـع [٢٠/٢٨]
حِمـام رمـاه مـن مـواضـع أمنـه حِمـامٌ كـذاك الخطـب بـالخطـب يُقـدع[(٣)]
وليـس بِغَـزْوٍ أن تصيـب منيـة حِمـى أختهـا أو أن يـذِلّ المُمنَّـع
لقـد أدركـت فينـا المنـايـا بثـارهـا وحلّـت بخطـب وَهْيُـه ليـس يُـرقَـع
نَعـاءِ[(٤)] حُمَيـد للسـرايـا إذا غـدت تـذاد بـأطـراف الـرمـاح وتـوزع
وللمُـرهَـق المكـروبِ ضـاقـت بـأمـره فلـم يَـدر فـي حَـومـاتهـا كيـف يصنـع؟
وللبِيـض خلَّتهـا البُعـول ولـم يَـدع لهـا غيـرَه داعـي الصبـاح المفـزَّع
كـأن حُمَيـدا لـم يقُـدْ جيـش عسكـر إلـى عسكـر أشيـاعـه لا تُـروَّع
ولـم يبعـث الخيـل المغيـرة بـالضحـا مِـراحـاً ولـم يـرجـع بهـا وهـي ظُلَّـع
رواجـع يحملـن النِّهَـاب ولـم تكـن كتـائبـه إلا علـى النهـب تـرجـع
هـوَى جبـلُ الـدنيـا المنيـعُ وغيثهـا المَـريـع وحـاميهـا الكمـيّ المشيـع[(٥)]
وسيـفُ أميـر المـؤمنيـن ورمحـه ومفتـاح بـاب الخطـب والخطـب أفظـع
فـأقنعـه مـن مُلكـه وربـاعـه ونـائلـه قفـر مـن الأرض بلقـع
علـى أيّ شجـو تشتكـي النفـس بعـده إلـى شجـوه أو يَـذخـرَ الـدمـعَ مَـدمـع
ألـم تـر أن الشمـس[(٦)] حـال ضيـاؤهـا عليـه وأضحـى لـونهـا وهـو أسفـع
وأوحشـت الـدنيـا وأودى بهـاؤهـا وأجـدب مـرعـاهـا الـذي كـان يَمـرَع
وقـد كـانـت الـدنيـا بـه مطمئنـة فقـد جعلـت أوتـادهـا تتقلـع
/ بكـى فقـدَه رَوح الحيـاة كمـا بكـى نَـداه النـدَى وابـنُ السبيـل المـدفَـع [١٠٨/١٨]

(١) ف، مو: «تصرفت».
(٢) ينتهي هنا ما روت نسخة أ من هذه القصيدة. وفيها بعد هذا البيت: وهي قصيدة طويلة. قد اعتمد عليها الطائيان في مراثيهما، فسلخاها. ولولا كراهة الإطالة لذكرت ذلك.
(٣) يقدع: يدفع.
(٤) نعاء حميدا: انعه، وأظهر خبر وفاته.
(٥) المشيع: الشجاع، كأنه يشيعه، أي يشجعه غيره، أو يشيعه قلبه
(٦) كذا في ب، جـ، مد. وفي س: «النفس»، تحريف.

[٢٩/٢٠] / وفارقت البيضُ الخدور وأبرزت — عواطل حسرَى بعده لا تَقنّع

وأيقظ أجفاناً وكان لها الكرى — ونامت عيون لم تكن قبلُ تَهجع

ولكنه مقدار يوم ثوى به — لكل امرىء منه نِهال ومَشرَع

وقد رأب الله المَلا[١] بمحمد — وبالأصل يَنمِي فرعُه المتفرع

أغرّ على أسيافه ورماحه — تُقسَّم أنفال الخميس وتُجمع

حوى عن أبيه بذلَ راحته الندى — وطعن الكُلى والزاعبية[٢] شرّع

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها، وقد أخذ البحتريّ أكثر معانيها فسلخه، وجعله في قصيدته اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغري:

* انظر إلى العلياء كيف تضام[٣] *

و: * بأي أسى تثنى الدموع الهوامل[٤] *

وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة. وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه.

بلغ في مدح حميد الطوسي ما لم يبلغه في مدح غيره:

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة قال: قال رجل لعليّ بن جبلة: ما بَلغتَ في مديح أحد مَا بَلغتَه في مديحك حُميداً الطوسيّ. فَقال: وكيف لا أفعل وأدنَى مَا وصل إليّ منه أني أهديت له قصيدة في يوم نَيروزٍ فسُرَّ بهَا، وأمر أن يحمل إليّ كلّ مَا أهدى له، فحمل إليَّ مَا قيمته مائتا ألف [٣٠/٢٠] درهم، وأهديتُ له / قصيدة في يوم عيد فبعث إليّ بمثل ذلك.

يصف جيشاً ركب فيه حميد الطوسي ويمدحه:

قال أبو وائلة. وقد كان حُمَيد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم يُرَ مثله، فقَال عليّ بن جَبَلة يصف ذلك:

غَدا بأمير المؤمنين ويُمْنِه — أبو غانم غَدْوَ الندَى[٥] والسحَائِب

وضَاقت فِجَاجُ الأرض عن كل موكب — أحَاط به مستعلياً للمواكب

كأَن سُموّ النَّقع والبَيضُ[٦] فوقهم — سماوة ليل فُرّنَت[٧] بالكواكب

(١) مم، مو: «الثأي»، ورأب الثاي: أصلح الفساد، وأصله من ثأي الخرز: إذا انخرم.

(٢) الزاعبية: هي الرماح التي إذا هزت كانت كأن كعوبها يجري بعضها في بعض، أو المنسوبة إلى زاعب: بلد، أو رجل.

(٣) ديوان البحتري ٢٥٧، وعجزه

* ومآتم الأحساب كيف تقام *

(٤) ديوانه ١٩٤، وعجزه

* وترجى زيال من جوًى لا يزايل *

(٥) كذا في ب، س وفي أ، جـ: «الردى».

(٦) في ف: «والبيض» بالنصب، وكلاهما صحيح.

(٧) مو: «حليت بالكواكب».

فكـــانَ لأهـــل العِيـــد عيـــد بنُسكهـــم ... وكـــان حُمَيـــد عيـدَهـــم بـالمـــواهـــب
ولـــولا حُمَيـــد لـــم تَبَلَّـــج عـــن النـــدى ... يميـــنٌ ولـــم يُـدرِك غنًـى كسـبُ كـاسـب
ولـــو ملَـــك الـــدنيـا لمـــا كـــان ســـائـل ... ولا اعتـام[1] فيهـا صـاحـبٌ فضلَ صـاحـب
لـــه ضِحكـــة تستغـــرق المـــال بـالنـــدى ... علـى عبسـةٍ تُشجـى[2] القنَـا بـالتـرائـب
ذهبـــتَ بـــأيّـــام العـــلا فَـــارداً بهَـــا ... وصـرَّمـتَ عـن مسعَـاك شـأو المطَـالِـب
وَعـــدَّلـــت مَيـــل الأرض حتـــى تعـدلـــت ... فلـم يَنـأ منهَـا جَـانـب فـوق جـانِـب
بَلغـــت بـــأدنـــى الحـــزم أبعـــد قُطـــرهَـــا ... كـأنـك منهَـا شَـاهـد كـلَّ غـائِـب

قصيدة أهداها إليه يوم نيروز:

قال: والتي أهداهَا له يوم النيروز قصيدته التي فيهَا:

حُمَيـــدُ يـــا قـــاسِـــمَ الـــدنيَـــا بِنَـــائلـــه ... وَسيفِـــه بيـــن أهـــل النكـــث وَالـــدِّيـــنِ
أنـــت الـــزمَـــان الـــذي يجـــري تصـــرّفـــه ... علـــى الأنـــام بتشـــديـــد وَتَليـــيـــن [٢٠/٣١]
/ لـــو لـــم تكـــن كـــانـــت الأيّـــام قـــد فَنِيـــت ... والمكـــرمَـــاتُ وَمَـــاتَ المجـــد مُـــذحيـــن
/ صـــوَّرك الله مـــن مجـــد وَمـــن كـــرم ... وصـــوَّر النَّـــاس مـــن مَـــاء وَمـــن طيـــن ١٠٩/١٨

نُسخَت من كتاب بخط محمد بن العباس اليزيديّ:

يدخل على أبي دلف فيستنشده:

قال أحمد بن إسماعيل الخصيب الكاتب: دخل عليُّ بن جَبَلة يوماً إلى أبي دُلف فقال له: هات يا عليُّ ما معك. فقال: إنه قليل. فقال هاته، فكم من قليل أجودُ من كثير فأنشده:

الله أجـــرى مـــن الأرزاق أكثـــرَهـــا ... علـــى يـــديـــك فشكـــراً يـــا أبـــا دُلـــفِ
أعطـــى أبـــو دُلَـــف والـــريـــح عـــاصفـــة ... حتـــى إذا وقَفَـــت أعطـــى ولـــم يقـــف

يستنشده أبو دلف فيتطير مما أنشده:

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إليه، فقال له: هات ما معك فأنشده:

مِـــن مَلَـــك المـــوت إلـــى قـــاسِـــم ... رِســـالـــةٌ فـــي بطـــن قـــرِطـــاس
يـــا فـــارس الفُـــرســـان يـــوم الـــوغـــى ... مُـــرْنـــي بمـــن شئـــتَ مـــن النـــاس

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطير من ابتدائه في هذا الشعر، فقال: ليست هذه من عطاياك أيها الأمير، فقال: بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعنا من تحمّلك رسالةَ ملك الموت إلينا.

يهجو الهيثم بن عدي إجابة لطلب الخزيمي:

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفي قال: حدثنا الحسنُ عُلَيل العَنَزيُّ قال: حدثني محمدُ بنُ عبدالله قال:

---

(١) اعتام: أخذ العيمة بالكسر. وهي في الأصل: خيار المال. (٢) أشجاه: أغصه.

حدثني عليُّ بن جَبَلة العكوّك المروزيّ قال:

جاءني أبو يعقوب الخُزَيميّ فقال لي: إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: تهجو لي الهَيْثم بنَ عديّ. [٢٠/٣٢] فقلت: ومالك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد / فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليّ منه إساءة، ولا له إليّ جرمٍ يُحْفِظني؟ فقال: تُقرضني، فإني مليّ بالقضاء، قلت: نعم، فأمهلْني اليوم فمضى، وغدوت عليه فأنشدته:

لِلهَيْثم بنِ عديٍّ نِسبة جمعت	آباءه فأراحتنا من العدد
أعدُد عديّاً فلو مدّ البقاء له	ما عُمِّر الناسُ لم ينقص ولم يزد
نفسي نداء بني عبد المدان وقد	تَلُّوه(١) للوجه واستعلَوْه بالعمد
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم	وعرّفوه بذُلٍّ أين أصل عدي؟
يا بنَ الخبيثة من أهجو فأفضحَه	إذا هجوتُ وما تنمَى إلى أحد؟

هجاؤه الهيثم بن عدي مزق بينه وبين زوجه:

قال: وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب، فركب محمد بن زياد بنِ عُبيدالله بنِ عبد المَدان الحارثيُّ، أخو يحيى بنِ زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيّين إلى الرشيد، فسألوه أن يفرّق بينهما. فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نسبتَ عديا في بني ثُعَلٍ	فقدّم الدال قبل العين في النسب

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شَيبان يقال له: ذُهل بن ثعلبة فأمر الرشيدُ داودَ بنَ يزيدَ أن يفرّق بينهما، فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعِصيّ حتى طلقها.

يشخص إلى عبدالله بن طاهر ويمدحه:

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيُّ قال: حدثنا عبدُالله بن أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال:

[٢٠/٣٣] شخَص عليُّ بنُ جَبَلة إلى عبدالله بن طاهر والي خراسان ـ وقد مدحه فأجزل / صلته ـ واستأذنه في الرجوع، ١١٠/١٨ / فسأله أن يقيم عنده، وكان برّه يتصل عنده، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله، فدخل إليه فأنشده:

ينشد عبدالله بن طاهر شعراً يطلب به أن يأذن له في الرحيل:

راعه الشيبُ إذ نزلْ	وكفاه من العذَلْ
وانقضت مدة الصبا	فانقضى اللهو والغزل
قد لعمري دَمَلْتُه	بخضاب فما اندمل

(١) تله للوجه: كبه له.

فــايــك للمشيب إذ بــدا لا علــى الــرَّبــع والطلــل
وصَــلَ الله لــلأمـيــر عُــرا الملــك فــاتصــل
ملــك عــزمُــه الــزمــا ن وأفعــالــه الــدولْ
كِســرويّ بمجــده يَضــرب الضــاربُ المثــل
وإلــى ظِــلّ عــزّه[1] يلجــأ الخــائــف الــوجِــل
كــلُّ خَلــق ســوى الإمــا م لإنعــامــه خَــول
ليتــه حيــن جــاد لــي بــالغنــى جــاد بــالقَفَــل

قال: فضحك وقال: أبيت إلاّ أن توحشنا. وأجزل صلته، وأذن له.

ينشد حميداً الطوسي شعراً في أول رمضان:

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة السدوسيُّ قال: دخل عليُّ بنُ جَبَلة العكوّكُ على حُمَيد الطوسيِّ في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

[٢٠/٣٤] / جعــل الله مَــدخــل الصــومِ فــوزا لحُميــد ومتعــه فــي البقــاءِ
فهــوَ شهــرُ الــربيــع للقُــرّاء وفــراقُ النّــدمــان والصهبــاءِ
وأنــا الضــامــنُ المليُّ[2] لمَــن عــا فــرهــا مفطــرا بطــول الظَّمــاءِ
وكــأنــي أرى النَّــدامــى علــى الخســف يُــرجّــون صبحهــم بــالمســاء
قــد طَــوى بعضُهــم زيــارة بعــض واستعــاضــوا مصــاحفــاً بــالغنــاء

يقول فيها:

بِحُميــد وأيــن مثــلُ حميــد فخــرَت طــيّءٌ علــى الأحيــاء
جــوده أظهــر السمــاحــة فــي الأر ضِ وأغنــى المُقــوي عــن الإقــواء[3]
مِلــك يــأمُــل العبــاد نــداه مثــلَ مــا يــأمُلــون قَطْــر السمــاء
صــاغــه الله مطعِــمَ النــاس فــي الأر ض وصــاغ السحــاب لــلإسقــاء

ينشد حميدا الطوسي شعراً ثاني شوال:

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثانيَ شوال، فأنشده:

علّــلانــي بصفــو مــا فــي الــدّنــن واتــركــا مــا بقــولــه العــاذلان
واسبقــا فــاجــع المنيّــه بــالعيــش فكــلٌّ علــى الجَــديــديــن فــانــي

(١) ف: «إلى عز ظله».
(٢) مو، مم: «الكفيل».
(٣) المقوي: الفقير.

علّلاني بشَربةٍ تُذهب الهَمّ وتنفي طوارق الأحزان

وانفُثا[1] في مسامع سدّها الصو م رُقَى الموصليّ أو دَحمان

قد أتانا شوال فاقتبل العيش وأعدَى[2] قسرا على رمضان

نِعم عون الفتى على نوَب الدهر سماعُ القيان والعِيدان

[٢٠/٣٥] / وكئوسٌ تجري بماء كُروم ومطيُّ الكئوس أيدي القيان

١١١/١٨

من عُقار تُميت كلّ احتشامٍ وتَسُرّ النُّدمان بالنُّدمان

وكأنّ المِزاج يقدح منها شرراً في سبائك العِقيانْ

فاشرب ألسراح واعصِ مَنْ لام فيها إنها نعم عُدة الفِتيان

واصحب الدهر بارتحال وحَلّ لا تخف ما يجُرّه الحادثان

حسْب مستظهِر على الدهر ركناً بِحُميد رِدءا من الحِدثان

ملِك يقتني المكارم كنزا وتراه من أكرم الفتيان

خُلقت راحتاه للجود وألبا س وأمواله لشكر اللسان

مَلّكتْه على العباد معدٌّ وأقرّت له بنو قحطان

أريحيُّ الندى جميل المحيّا يده والسماح[3] معتقدان[4]

وجْهه مشرق إلى معتفيه ويداه بالغيث تنفجران

جَعل الدهر بين يوميه قسمين بِعُرف جزل وحَرّ طعان

فإذا سار بالخميس لحرب كَلّ عن نصّ جَريه الخافقان

وإذا ما هززتَه لنوال ضاق عن رحب صدر الأُفقان

غَيث جدب إذا أقام ربيع يتغشى بالسَّيب كلّ مكان

يا أبا غانم بقيتَ على الدهر وخُلّدت ما جرى العصران

ما نُبالِي إذا عدَت المنايا مَن أصابت بكَلْكَل وجِران

قد جعلنا إليك بعث المطايا هرَبا من زماننا الخوّان

[٢٠/٣٦] / وحملنا الحاجات فوق عتاق ضامناتٍ حوائج الرُّكبان

ليس جُودٌ وراء جودك يُنتا ب ولا يَعتَفِي لغيرك عاني

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخَفّفت وخففنا، وهذه للفطر، فقد زدتنا وزدناك.

---

(١) كذا في أ، جـ. وفي ب، س: «ألفيا»، تحريف.

(٢) أعدي: نصر وأعان.

(٣) كذا في أ، جـ، مد. وفي س: «السماء».

(٤) معتقدان: معقودان.

«أحب» جارية وأحبته على قبح وجهه:

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمدُ بنُ الطيب السَّرَخسيّ قال: حدثنا ابنُ أخي عليّ بنِ جبلة العكوّك ـ قال أحمد: وكان عليّ جارنا بالربَض[1] هو وأهله، وكان أعمى وبه وضَح. وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبّه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح، حدثني بذلك عمرو بن بحرٍ الجاحظ.

قال عمرو: وحدثني العَكَوّك أن هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها. قال، وذلك عنَيت في قولي:

ودمٍ أهــــدرت مـــــن رشـــــإٍ لـــم يُـــرِد عقـــلا علـــى هَـــدَره

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دلف، يعني بالدم: دم البُضع[2].

يستأذن على حميد الطوسي فيمتنع، ثم يأذن له فيمدحه:

قال: ثم قصدتُ حُمَيداً بقصيدتي التي مدحته بها، فلما استؤذن لي عليه أبَى أن يأذن لي، وقال: قولوا له: أيّ شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دلف:

إنمـــا الـــدنيـــا أبـــو دُلَـــف بيـــن مَبْـــداه ومحتضـــره

/ فـــإذا ولّـــى أبـــو دُلَـــف ولّـــت الـــدنيـــا علـــى أثـــره

١١٢/١٨

فقلت للحاجب: قل لله: الذي قلت فيك أحسن من هذا، فإن وصَلتَني سمعته، فأمر بإيصالي، فأنشدت قولي فيه:

/ إنمـــا الـــدنيـــا حُمَيـــد وأيـــاديـــه الجســـامُ

فـــإذا ولّـــى حُمَيـــد فعلـــى الـــدنيـــا الســـلام

[٢٠/٣٧]

فأمر بمائتي دينار، فنثرتها في حجر عشيقتي، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها:

دجلـــة تسقـــي وأبـــو غـــانـــم يُطعـــم مَـــن تسقـــي مـــن النـــاسِ

فأمر لي بمائتي دينار.

شعره حين غضبت عليه الجارية التي أحبها:

حدثني عمي قال: حدثني أحمدُ بن الطيب قال: حدثني ابن أخي عليٍّ بنِ جَبَلة أيضاً: أن عمه علياً كان يهوى جارية، وهي هذه القينة، وكانت له مساعدةً، ثم غضبت عليه، وأعرضت عنه، فقال فيها:

تُســـيء ولا تستنكـــر الســـوء إنهـــا تُـــدلّ بمـــا تتلـــوه عنـــدي وتَعـــرف

فمِـــن أيـــن مـــا استعطفتهـــا لـــم تـــرقَّ لـــي ومـــن أيـــن مـــا جـــربـــتُ صبـــريَ يضعـــف

ينشد لنفسه أقبح ما قيل في ترك الضيافة:

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمرُ بن شَبة قال:

تذاكرْنا يوماً أقبح ما هُجي به الناس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف، فأنشدنا عليُّ بن جبلة لنفسه:

---

(١) هو ربض حرب. ويعرف بالحربية، محلة ببغداد.

(٢) البضع: الفرج.

أقــامــوا الــدّيــدَبــان علــى يَفــاعٍ وقــالــوا لا تنَــم للــدّيــدَبــان
فــإن آنســت شخصــاً مــن بعيــد فصفّــق بــالبنــان علــى البنــان
تــراهــم خشيــة الأضيــاف خُـرسـاً ويــأتــون الصــلاة بــلا أذان

يمدح حميداً الطوسي فيعطيه ألف دينار كان أمر بالتصدّق بها:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثني محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال: حدثني أبي قال: حدثني وهب بن سعيد المَرْوزيُّ، كاتبُ حُمَيد الطوسيّ، قال:

[٢٠/٣٨] جئت حُمَيداً في أول يوم من شهر رمضان، فدفع إليّ كيساً فيه ألف دينار، / وقال: تصدّقوا بهذه. وجاءه ابنه أصرمُ فسلّم عليه ودعا له، ثم قال له: خادمك عليُّ بن جبلة بالباب، فقال: وما أصنع به؟ جئتني به يا بُني تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر. فقال: إنه يجيد فيك القول. قال: فأنشدني بيتاً مما تستجيد له: فأنشده قوله:

حِيــدي حَيــادِ[1] فــإنّ غــزوة جيشــه ضمنَــت لجــائلــة السبــاع عِيــالهــا

فقال: أحسن. ائذنوا له، فدخل فسلّم، ثم أنشده قوله:

إن أبــا غــانــم حُميــدا غيــث علــى المعتفيــن هــامــي
صــوّره الله سيــف حَتــف وبــاب رزق علــى الأنــام
يــا مــانــع الأرض بــالعــوالــي والنِّعــم الجمــة العظــام
ليــس مــن السّــوء فــي مَعَــاذ مــن لــم يكــن منــك فــي ذِمــام
ومــا تعمّــدتُ فيــك وصفــاً إلا تقــدَّمْتــه أمــامــي
فقــد تنــاهــت بِــك المعــالــي وانقطعــت مــدة الكــلام
أَجِــدَّ شهــراً وأَبْــلِ شهــراً واسلــم علــى الــدهــر ألــف عــام

[١١٣/١٨] / قال: فالتفت إليّ حُميد، وقال: أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره.

يستشفع بحميد الطوسي إلى أبي دلف وكان غضب عليه:

حدثني عمي قال: حدثني يعقوبُ بن إسرائيل قال: حدثني أبو سُهيل عن سالم مولى حُميد الطُّوسيُّ قال:

جاء عليُّ بنُ جَبلة إلى حميد الطوسيّ مستشفعاً به إلى أبي دَلف ـ وقد كان غضب عليه وجفاه ـ فركب معه إلى [٢٠/٣٩] أبي دلف شافعاً، وسأله في أمره، فأجابه واتصل الحديث / بينهما وعليُّ بن جبلة محجوب، فأَقبَل على رجل إلى جانبه وقال: اكتب ما أقول لك، فكتب:

لا تتــركُــي ببــاب الــدار مطّــرَحــاً فــالحُــر ليــس عــن الأحــرار يَحتجــب
هبنــا بــلا شــافــع جئنــا ولا سبــب ألســتَ أنــت إلــى معــروفــك السبــب؟

(١) حيدي حياد: أمر بالحيدودة والروغان، يقولونه في الحرب خطاباً للخيل المغيرة، ألا تلزم جانباً واحداً، حتى لا يجد هارب مهرباً، ولا متحصن ملجأ. ونظيره: فيحي فياح، أي انتشري وتفرّقي هنا وهناك.

قال: فأمر بإيصاله إليه، ورضي عنه ووصله.

يخشاه المخزومي أن ينشد شعراً في حضرته:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُوَيْهِ قال: حدثني أحمد بنُ مروان قال: حدثني أبو سعيد المخزوميُّ قال:

دخلت على حُمَيد الطوسيّ، فأنشدته قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير، فجعل لا يمرّ ببيت إلا قال: أحسن قاتله الله! أحسن ويحه! أحسن لله أبوه! أحسن أيها الأمير. فأمر لي حُمَيد بِبَدرة، فلما خرجتُ قام إليّ البوابون، فقلت: كم أنتم؟ عرّفوني أولا مَن هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: عليُّ بن جَبَلة العكوَّكُ فارفضضْتُ عرَقاً. ولو علمت أنه عليّ بن جَبَلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه.

لا يأذن له المأمون في مدحه إلاّ بشرط، فيختار الإقالة:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْهِ قال: حدثنا أحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال:

كلَّم حُمَيد الطوسيُّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جبلة، فيسمعَ منه مديحاً مدحه به، فقال: وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دلف:

إنمـــا الـــدنيـــا أبـــو دُلَـــفٍ بيـــن مَغـــزاه ومحتضـــره
فـــإذا ولّـــى أبـــو دُلَـــفٍ ولّـــت الـــدنيـــا علـــى أثـــره

/ وبعد قوله فيك: [٢٠/٤٠]

يـــا واحـــد العـــرَب الـــذي عـــزّت بعـــزتـــه العَـــرَبُ

أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثل ما قاله في أبي دُلف، فيجعلَني نظيراً له. هذا إن قدَر على ذلك ولم يقصر عَنْه، فخيِّروه بين أن أسمع منه، فإن كان مدحُه إياي أفضل من مدحِهِ أبَا دُلَف وصلته، وإلا ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أُقيله وأعفيه من هذا وذا. فخيَّروه بذلك، فاختار الإقالة.

يمدح حميد الطوسي بخير من مدحه أبا دلف:

ثم مدح حُمَيداً الطوسيّ، فقَال له:

وما عسَاك أن تقول فيَّ بعد مَا قلته في أبي دُلف، فقَال: قد قلتُ فيك خيراً من ذلك. قال: هات، فأنشده:

دجلـــة تَسقِـــي وأبـــو غـــانـــمٍ يُطعـــم مَـــن تسقـــي مـــن النَّـــاسِ
النَّـــاس جســـم وإمـــام الهـــدى رأس وأنـــت العيـــن فـــي الـــراس

فقال له حُمَيد: قد أجدتَ، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصلَه.

يرثي حميداً الطوسي:

قال أحمد بن عُبَيد، ثم مات حُميد الطوسي، فرثاه عليّ بن جَبَلة، فَلقيتُه، فقُلت له: أنشدني مرثيتك حُمَيداً، فأنشدني:

نَعـاءِ(١) حُمَيـداً للسـرايـا إذا غـدَتْ تُـذاد بـأطـراف الـرمـاح وتـوزع

حتى أتى على آخرها.

لا يبلغ شأو الخريمي في رثاه أبي الهيذام:

فقُلت له: ما ذهب على النحو الذي نحوتَه يا أبا الحسن، وقد قاربته وما بَلغته. فقَال: وما هو؟ فقُلت: أردتُ قول الخُرَيمي(٢) في مرثيته أبا الهَيْذام:

١١٤/١٨ / وأعـددتُـه ذخـراً لكـل مُلمـة وسهـم المَنـايـا بـالـذخـائـر مُـولـع

[٢٠/٤١] / فقال: صدقت والله، أما والله لقد نحوتُه وأنا لا أَطمع في اللَّحاق به، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة.

هربه من المأمون وقد طلبه لتفضيله أبا دلف عليه وعلى آله:

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني ابنُ أبي حرب الزعفرانيّ، قال:

لما بلغ المأمونَ قول عليّ بن جبلة لأبي دلف:

كـلُّ مَـن فـي الأرض مـن عـرَب بيـن بـاديـه إلـى حضـره

مستعيـر منـك مكـرمـةً يكتسيهـا يـوم مفتخَـره

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطُلب فلم يُقدَر عليه، وذلك أنه كان بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسط الشام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يابن اللَّخْناء(٣)، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كـلُّ مـن فـي الأرض مـن عـرَب بيـن بـاديـه إلـى حضـره

مستعيـر منـك مكـرمـةً يكتسيهـا يـوم مفتخَـره

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله جل وعزّ فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه. وإنما عنَيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانَه، فقال: والله ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ، سُلّوا لسانه من قفاه.

أمر المأمون أن يسل لسانه لكفره في شعره:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بن موسى قال: وحدثني أحمد بنُ أبي فَنَن: أن المأمون لما أُدخل عليه عليُّ بنُ جبلة قال له: إني لست أَستحلُّ دمك لتفضيلك / أبا دُلَف على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً ـ [٢٠/٤٢] وهم آل رسول الله ﷺ وعترتُه ـ ولكني أَستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه:

أنـت الـذي تنـزل الأيـامَ منـزلهـا وتَنقـل الـدهـرَ مـن حـال إلـى حـال

ومـا مـددْتَ مـدَى طَـرف إلـى أحـد إلا قضيـتَ بـأرزاق وآجـال

(١) نعاء حميداً: انعه: وأظهر خبر موته. (٢) في ب، س: «الخزيمي»، تحريف. (٣) اللخناء: التي لم تختن.

كذبتَ يا ماصّ بَظْرِ أُمه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله ـ عز وجل ـ الملك الواحد القهار. سُلّوا لسانه من قفاه.

[٤٣/٢٠]

صوت

لا بــد مــن سكــرة علــى طــرَبِ لعــل رَوْحــا يُــدال مــن كُــرَبِ

ـ ويُروى:

* لعل روحا يُديل من كرب *

ـ وهو أصوب:

فعــاطنيهــا صهبــاء صــافيــة تَضحــك مــن لــؤلــؤ علــى ذهــب

خليفــــةَ الله أنـــت منتخَـــب لِخيــر أمٍّ مــن هــاشــم وأَب

أكــرِمْ بــأَصليــن أنــت فــرعهمــا مــن الإمــام المنصــور فــي النســب

الشعر للتيميّ، والغناء لسُلَيم بنِ سلاّم، خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، وفيها لنظم العمياء خفيفُ رمَل بالبِنصر عن الهِشاميّ.

[٢٠/٤٤] ١١٥/١٨

/ أخبار التيمي ونسبه

اسمه وولاؤه وصفته:

هو عبدُالله بنُ أيوب، ويكنى أبا محمد مولى بني تميم ثم مولى بني سُلَيم. ذكر ذلك ابن النطاح، وكان له أخ يقال له أبو التَّيَّحان، وكلاهما كان شاعراً، وهما من أهل الكوفة، وهما من شعراء الدولة العباسية. أحدُ الخلعاء المُجّان الوصّافين للخمر، وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق، ونديماً لهما، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيدَ بن مَزْيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد.

أكثر شعره في وصف الخمر:

واستنفد شعره أو أكثره في وصفه الخمر، وهو الذي يقول:

شَربتُ من الخمر يوم الخميس ... بالكاس والطاس والقَنْقَلِ[(١)]
فما زالت الكأس تغتالنا ... وتَذهب بالأول الأول
إلى أن توافت صلاة العشا[(٢)] ... ونحن من السكر لم نعقل
فمن كان يعرف حق الخميس ... وحقَّ المدام فلا يجهل
وما إن جرت بيننا مَزحة ... تهيج مِراء على السلسل

وهو القائل:

ولن أنتهي عن طيِّب الراح أو يَرى ... بَوادي عظامي في ضريحيَ لاحدُ
أضعتُ شبابي في الشراب تلذُّذا ... وكنت امرأ غِرّ الشباب أكابدُ[(٣)]

رواية أخرى في ولائه:

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال: حدثني أبو العيناء عن محمد بن عمر، قال:

[٢٠/٤٥] / أبو محمد التيميُّ اسمه عبدُالله بنُ أيوب مولى بني تميم.

يرثي ابنا له يقال له: حيان:

أخبرني أحمد بن عُبَيدالله بنِ عمار عن محمد بن داود بنِ الجراح قال: قال دعبل:

كان للتيميّ أبي محمد ابنٌ يقال له حبّان، ومات هو حديث السن، فجزع عليه، وقال يرثيه:

---

(١) القنقل: المكيال الضخم.
(٢) ف، مو: «العشاء» بإثبات الهمزة، وكلاهما صحيح.
(٣) ف: «عند الشراب»، وفي أ، م: «عمري الشراب».

صوت

أودى بجَبّانَ ما لم يترك الناسا ... فامنح فؤادَك من أحبابك[١] الياسا

لما رَمته المنايا إذ قصدن له ... أصبن مني سواد القلب والراسا

وإذ يقول لي العُوّاد إذ حضروا ... لا تأس أبشر أبا حبان لا تاسَى[٢]

فبت أرعى نجوم الليل مكتئبا ... إخال سُنّته[٣] في الليل قرطاسا

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات حَكَم الوادي، ولحنُه رمَل مطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق. وأول هذه القصيدة:

يا دَير هند لقد أصبحت لي أنَسا ... وما عهدتك لي يا دير مِئْناسا

وهي مشهورة من شعره.

يجيز بيتا لإسحاق عجز عن إتمامه:

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبي قال: حدّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبدالملك الزياتُ قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قلت:

* وُصف الصدّ لمن أهوَى فَصَدّ *

/ ثم أجبلتُ[٤]، فمكثت عدة ليال لا يستوي لي تمامه. فدخل عليٌّ التيميّ فرآني مفكراً، فقال لي: ما [٢٠/٤٦] قصتُك؟ فأخبرتُه، فقال:

* وبدا يمزح بالهجر فَجدّ *

ثم أتممتها. فقلت:

ما له يعدل عني وجهه ... وهو لا يعدِله عندي أحدْ؟

وخرجت إلى مدح الفضل بن الربيع، فقلت:

/ قد أرادوا غِرّة الفضل وهل ... تُطلب الغِرّة في خِيس الأسدْ [١١٦/١٨]

ملِك ندفَع ما نخشى به ... وبه يَصلح منّا ما فسد

يفعل الناسُ إذا ما وعدوا ... وإذا ما فعل الفضل وعد

ـ لإسحاق في هذا الشعر صنْعَة، ونِسْبتُها:

صوت

وُصف الصدُّ لِمن نهوَى فصدّ ... وبدا يمزح بالهجر فجَدّ

(١) ف: في «أحبابك».
(٢) ف: «لا بأس أبشر أبا حيان لا باسا».
(٣) سنته: وجهه، أو جبهته.
(٤) كذا في جـ، أي صعب على القول. وفي ب، س: «أحلت».

مـــا لـــه يعـــدّل عنـــي وجهَـــه وهـــو لا يعـــد لـــه عنـــدي أحـــد؟

الشعر والغناء لإسحاق، خفيفُ رمل بالبِنصر، وله فيه أيضاً ثقيل أول، وفيه لزكريا بنِ يحيى بنِ معاذ هزَج بالبِنصر عن الهشامي وغيره. قال الهشاميّ: وقيل إن الهزَج لإسحاق، وخفيف الرمل لزكريا.

إشترك هو وإسحاق في البيتين السابقين:

أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجم عن إسحاق قال:

اشتركت أنا وأبو محمد التيميّ في هذا الشعر:

[٢٠/٤٧] / * وُصف الصد لمن نهوى فصد *

وذكر البيتين.

يطلب الرشيد إنشاء مرثيته في يزيد بن مزيد:

أخبرني عمي قال: حدثنا عبدُالله بنُ أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ عبدالله بنِ طَهمان قال: حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدَثين على الرشيد ـ قال:

قال لي الرشيد يوماً: أنشدني مرثية مروان بنِ أبي حفصة في معنِ بن زائدةَ التي يقول فيها:

كـــأن الشمـــس يـــوم أُصيـــب معـــنٌ مـــن الإظـــلام مُلْبَســـة جِـــلالا
هـــو الجبـــل الـــذي كـــانـــت معـــدٌ تَهُـــدّ مـــن العَـــدُوّ بـــه الجبـــالا
أقمنـــا بـــاليمـــامـــة بعـــد معـــنٍ مُقـــامـــاً لا نـــريـــد بـــه زِيـــالا
وقلنـــا أيـــن نـــذهـــب بعـــد معـــنٍ وقـــد ذهـــب النـــوال فـــلا نـــوالا

قال: فأنشدته إياها، ثم قال لي، أنشدني قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيدَ ابن مَزْيد، فهي والله أحب إليّ من هذه، فأنشدته:

أحـــقٌّ أنـــه أودَى يَـــزِيـــدُ تبيّـــن أيهـــا النـــاعـــي المُشيـــد
أتـــدري مَـــن نعيـــتَ وكيـــف فـــاهـــت بـــه شفتـــاك، كـــان بِـــك الصعيـــد
أحـــامـــي المجـــد والإســـلام أودى فمـــا لـــلأرض ويحـــكَ لا تميـــد!
تـــأمـــل هـــل تـــرى الإسلام مـــالـــت دعـــائمـــه وهـــل شـــاب الـــوليـــد!
وهـــل شِيمـــت سيـــوف بنـــي نـــزار وهـــل وُضعـــتْ عـــن الخيـــل اللُّبـــود!
وهـــل تسقِـــي البـــلادَ عِشـــار[1] مُـــزن بِـــدِرّتهـــا وهـــل يخضـــرّ عـــود!
[٢٠/٤٨] / أمـــا هُـــدت لِمصـــرَعـــه نِـــزارٌ بَلَـــى وتقـــوّض المجـــد المَشيـــد
وحـــلّ ضـــريحَـــه إذ حـــلّ فيـــه طـــريـــفُ المجـــد والحســـبُ التليـــد
أمَـــا والله مـــا تنفـــك عَينـــي عليـــك بـــدمعهـــا أبـــداً تجـــود

(١) العشار في الأصل: النوق الحديثات النتاج، جمع عشراء.

فـإن تجمُـد دمـوع لئيـم قـوم ... فليـس لـدمـع ذي حسـب جُمـود

أبَعـد يـزيـد تَختَـزن البـواكـي ... دمـوعـاً أو تصَـانُ لهـا خـدود؟

/ لِتبكـكِ قبـةُ الإسـلام لمـا ... وهـت أطنَـابهـا ووهَـي العمـود

١١٧/١٨

ويبكـك شـاعـرٌ لـم يُبـق دهـرٌ ... لـه نَشَبـا وقـد كسَـد القصيـد

فمَـنْ يـدعـو الإمـامُ لكـل خطـب ... ينـوب وكـلُّ معضِلـة تئـود؟

ومـن يحمـي الخميـسَ إذا تعـايـا ... بحيلـة نفسـه البطـلُ النجيـد؟

فـإن يهلـك يـزيـد فكـلّ حـيٍّ ... فَـريـسٌ للمنيـة أو طـريـد

ألـم تعجـب لـه أن المنـايـا ... فتكْـن بـه وهُـنَّ لـه جنـود؟

قصـدن لـه وهـنّ يحِـدن عنـه ... إذا مـا الحـرب شـبَّ لهـا وقـود

لقـد عـزَّى ربيعـةَ أن يـومـاً ... عليهـا مثـلَ يـومـك لا يعـود

قال: فبكى هارون الرشيد بكاء اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة[1] لملأها من دموعه.

يجيز شعراً للأمين:

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمدُ بن عمرَ قال:

خرج كوثرٌ خادمُ محمدِ الأمين ليرى الحرب، فأصابته رَجْمة في وجهه، فجلس يبكي، فوجَّه محمدٌ من جاءه به، وجعل يمسح الدم عن وجهه، وقال:

ضـربـوا قُـرة عينـي ... ومـن أجلِـي ضـربـوهُ

أخـذ الله لِقلبـي ... مـن أنـاس أحـرقـوه

/ قال: وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته، فقال للفضل بن الربيع: من ها هنا من الشعراء، فقال: [٢٠/٤٩] الساعةَ رأيت عبدالله بنَ أيوبَ التيميَّ، فقال: عليَّ به. فلما أُدخل أنشده محمد هذين البيتين، وقال: أجِزهما، فقال:

مـا لِمـن أهـوى شبيـهُ ... فِبـه الـدنيـا تتيـهُ

وصْلُـه حلـو ولكـن ... هجـره مُـرّ كـريـه

مَـن رأى النـاسُ لـه الفضـ ... ـلَ عليهـم حسـدوه

مثـلَ مـا قـد حسـد القـا ... ئـمَ بـالملـك أخـوه

فقال محمد: أَحسنت، هذا والله خير مما أردنا، بحياتي عليك يا عباسي[2] إلاّ نظرت، فإن جاء على الظَّهر ملأتَ أحمال ظهره دراهم، وإن كان جاء في زورق ملأته. فأوقرتُ له ثلاثة أبغل دراهم.

(١) السكرجة: الصحفة يوضع فيها الأكل.

(٢) ب، س: «يا عباس»، والمراد بالعباسيّ هنا الفضل بن الربيع

يلجأ إلى الفضل بن سهل ليوصله إلى المأمون، فيمدحه، ويعفو المأمون عنه:

قال محمد بن يحيى: فحدثني الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدثني محمد بن إدريس قال:

لما قُتل محمدُ الأمين خرج إلى أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه، فأوصله إلى المأمون. فلما سلَّم عليه قال له المأمون: إيه يا تيميّ.

مثلَ ما قد حسد القا ... ئمَ بالملك أخوه

فقال التيميّ: بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين:

نَصر المأمون عبدُ الله لما ظلموه

نقضوا العهد الذي كا ... نوا قديماً أكّدوه

لم يعامله أخوه ... بالذي أوصى أبوه

[٥٠/٢٠] / ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها:

١١٨/١٨ / / جزِعتَ ابنَ تيم أن أتاك مشيبُ ... وبان الشباب[1] والشباب حبيبُ

قال: فلما أنشده إياها وفرغ منها قال: قد وهبتك لله ـ عز وجل ـ ولأخي العباسيّ ـ يعني الفضل بن سهل ـ وأمرت لك بعشرة آلاف درهم.

ينشد الأمين أبياتاً فيأمر له بمائتي ألف درهم:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني عونُ بن محمد الكنديّ قال: حدثني عبّاد[2] ابنُ محمد الكاتب عن أبي محمد التيميّ الشاعر قال:

أنشدتُ الأمين محمدا أول ما ولي الخلافة قولي:

[٥١/٢٠] لا بدَّ من سَكرة على طرب ... لعل رَوحا يُديل من كُرَب

الأبيات المذكورة في الغناء. قال، فأمر لي بمائتي ألف درهم، صالحوني منها على مائة ألف درهم.

يدخل على الأمين فيتمنى أن يكون له مثل مدح أنشده إياه، فيمدحه بقصيدة:

وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثني محمد[3] بنُ يحيى المنجّم قال: وحدثني حسين ابن الضحاك قال: قال لي أبو محمد التَّيميّ:

دخلتُ على محمدِ الأمين أوّل ما ولي الخلافة، فقال: يا تيميّ، ودِدت أنه قيل فيّ مثل قول طُريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد:

طوبى لفرعَيك من هنا وهنا ... طوبى لأعراقك التي تَشجُ[4]

---

(١) ف، مو، مم: «وبان شباب».
(٢) ف مم، : «غسّان بن محمد».
(٣) ف، مو: «علي بن يحيى».
(٤) تشج: تمتد وتشتبك.

فإني والله أحق بذلك منه، فقلت: أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتي:

/ لا بـد مـن سَكـرة علـى طـربِ لعـل رَوحـا يُـديـل مـن كُـرَب

حتى أنتهيت إلى قولي:

أكـرِمْ بفـرعيـن يَجريـان بـه إلـى الإمـام المنصـور فـي النسـب

فتبسّم، ثم قال لي: يا تيمي قد أحسنت، ولكنه كما قيل: مرعى ولا كالسّعدان، ثم التفت إلى الفضل بنِ الربيع فقال: بحياتي أو قِرْ له زورقَه مالا. فقال: نعم يا سيدي. فلما خرجت طالبت الفضل بذلك، فقال: أنت مجنون؟ مِن أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم.

يمدح الفضل بن يحيى فيأمر له بخمسة آلاف درهم:

أخبرني وَكيع قال: حدثني ابنُ إسحاق قال: حدثني أبي قال:

كنت على باب الفضل بنِ يحيى، فأتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس، وسألني أن أوصلها إلى الفضل، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس، فغضب أبو محمد وقال لي: أما كفاك أن استَخفَفْت بحاجتي؟ منعتَني أن أدفعها إلى غيرك. فقلت له: أنا خير لك من القرطاس، ثم دخلت إلى الفضل، فلما تحدثنا قلت له: مَعي هدية وصاحبها بالباب؛ وأنشدته، فقال: كيف حفِظتها؟ قلت: الساعةَ دفعها إليّ على الباب، فحفِظتها. فقال: دع ذا الآن. فقلت له: فأدخله، فأُدخل، فسأله عن القصة فأخبره. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك ففعل، وجعلت أردد أبياته، وجعلت أشيّعها بالاستحسان، ثم خرج التيميّ فقلت: خذ في حاجة الرجل، فقال: أمّا إذ عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم. فقلت له: أمّا إذ أقللتَها فعجِّلها، فأمر بها فأُحضرت. فقلت له: أليس لإعناتك إياي ثمن؟ قال: نعم. قلت فهاته. قال: لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح. فقلت: فهات ما شئت، فأمر بثلاثة آلاف درهم، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف، / ووجّهتُ بها إليه. ١١٩/١٨

[٥٢/٢٠] / **يسكر هو وأخوه وابن عم له، وينظم في ذلك شعراً بعد انصرافهم:**

وذكر أحمدُ بنُ طاهر عن أبي هِفّان عن إسحاق قال: كان التيمي وأخوه أبو التَّيحان وابن عم له يقال له: قَبيصة يشرون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد، فقال التيميّ يذكر ذلك ويتشوق مثله:

صوت

هـل إلـى سَكـرة بنـاحيـة الحـيـرة شنعـاءَ يـا قَبيـص سبيـلُ

وأبـو التَّيحـان فـي كفّـه القـرعـة والـرأس فـوقـه إكليـل

وعَـرار كـأنـه بيـذق الشُّطـرنـج يفتـن فيـه قـالٌ وقيـلُ[1]

الشعر للتيمي والغناء لمحمد بن الأشعث، رَمل بالوسطى.

يشتري ضيعة بجائزة له من الأمين:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا أبو العيناء عن أبي العالية، قال:

(١) ستأتي هذه الأبيات مخالفة في روايتها هنا بعض الخلاف.

أمر محمدٌ الأمينُ لعبدالله بنِ أيوبَ بجائزةٍ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال بعد ابتياعهُ إياها:

إنـي اشتـريـتُ بمـا وهبـتَ لِيَـهْ أرضـاً أمـون بهـا قـرابَتِيَـهْ

فبحسـن وجهـك حيـن أسـأل قـل يـا بـن الـربيـع احمـل إليـه مِيَـهْ

فغُنِّيَ بها الأمين، فقال للفضل: بحياتي يا عباسي، احمل إليه مائة ألف، فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً، وقال له: الخمسون الأخر لك عليّ إذا اتسعت أيدينا.

يعشق جارية، ويسأل ثمنها فيعطيه المأمون إياه فيشتريها:

أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء، عن أبي العالية قال:

عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين، فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن التيميّ يجد بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إليّ بيتين يسألني فيهما ثمنها، فقال: وما هما؟ فقال:

[٢٠/٥٣] / يـا أبـا عيسـى إليـك المُشتكَـى وأخـو الصبـر إذا عيـل شكـا

ليـس لـي صبـر علـى فقـدانهـا وأعـاف المَشـربَ المشتـركـا

قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها[1].

يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد فيعطيه عشرة آلاف درهم:

أخبرني الحسن قال: حدثني أبو العيناء عن أبي العالية قال: دخل التيميّ إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده:

ألا إنمـا آلُ الـربيـع ربيـع وغيـثٌ حَيـاً للمـرمليـن مَـريـع

إذا مـا بـدا آل الـربيـع رأيتَهـم لهـم دَرَج فـوق العبـاد رفيـع

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

يمدح الفضل بن يحيى بثلاثة أبيات فيعطيه ثلاثة آلاف درهم:

أخبرني عيسى بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا الزبير بن بكار قال:

مدح أبو محمد التيميّ بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصليّ، فعرضها على الفضل بن يحيى، فأمر له بثلاثة آلاف درهم، والأبيات:

لعمـرك مـا الأشـراف فـي كـل بلـدة وإن عُظمـوا للفضـل إلّا صَنـائِـعُ

تَـرى عظمـاء النـاس للفضـل خُشَّعـا إذا مـا بـدا والفضـل لله خـاشـع

تـواضَـع لمّـا زاده الله رفعـة وكـلُّ جليـل عنـده متـواضـع

(١) هذا الخبر ساقط من ب، س وقد أثبتناه عن ف، مم، مو.

يسمع كتاباً للحجاج إلى قتيبة بن مسلم فينظم شعراً يضمنه معناه:

أخبرني جَحظةُ قال: حدثني عليُّ بن يحيى المنجم قال: حدثني إسحقُ الموصليُّ عن محمد بنِ سلامٍ قال:

كتب الحجاج إلى قُتَيبة بنِ مسلم: إني قد نظرت في سنّي، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة، وأنا وأنت لِدة عام. وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لَقريب أن يَرِده، والسلام.

[٢٠/٥٤] / فسمع هذا أبو محمد التيمي منّي فقال:

إذا ذهب القَرْن الذي أَنت فيهمُ ... وخُلِّفتَ في قَرن فأنت غريب

وإن إمرأً قد سار خمسين حِجة ... إلى منهل مِن ورده لقريب

يجيزه المأمون على مدح له في الأمين يذكر فيه الخمر:

حدثني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: حدثني أبو دِعامة عليُّ بنُ يزيدَ قال: حدثني التيميُّ أبو محمد قال:

دخلتُ عَلَى الحسنِ بنِ سهل، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه، وعنده طاهر بن الحسين، فقال له طاهر: هذا والله أيها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع:

لا بُدَّ من سَكرة عَلَى طَرَبِ ... لعل رَوحا يُديل[1] من كُرَب

/ خليفةُ الله خير منتخَب ... لِخير أم من هاشم وأب

خلافة الله قد تَوارثها ... آباؤه في سوالف الكُتُب

فهي له دونكم مورَّثة ... عن خاتم الأنبياء في الحِقب

يا بن الذُّرا من ذوائب الشرف الـ ... أقدم أنتم دعائم العرب

120/18

فقال الحسن: عرَّض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين، والله لأعلمنَّه. وقام إلى المأمون فأخبره، فقال المأمون: وما عليه في ذلك، رجل أمَّل رجلاً فمدحه، والله لقد أحسن بنا، وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه إلاّ بشرب الخمر، ثم دعاني فخلع عَلَيّ وحملني، وأمر لي بخمسة آلاف درهم.

ينشد أول شعر عرف به ووصل به إلى الخليفة:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثني محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْهِ قال: حدثني أبو الشِّبل البُرْجمي عن أبيه قال: قال لي أبو محمدٍ التيميُّ:

[٢٠/٥٥] / أولُ شعر عُرِفت به فشاع فيه ذكري ووصَلْت به إلى الخليفة قولي:

صوت

طاف طَيفٌ في المنام ... بِمحبٍّ مستهامِ

زَورة أبقت سَقاما ... وشفت بعض السَّقام

(١) ف، مم، مو: «يدال».

لـــم يكـــن مـــا كـــان فيهـــا مـــن حـــرام بِحـــرام

لـــم تكـــن إلا فُـــواقـــا وهْـــي فـــي ليـــل التِّمـــام

الغناء لإسحاق فقال: فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنى به الرشيد، فسأله عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف، يُعرف بالتيميّ، فطلبت وأُمرت بالحضور، فسألت عن السبب الذي دُعيتُ له فعرفته، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون. ودخلت إليه فأنشدته إياها، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وصرتُ في جملة من يدخل إليه بنَوبة وأمر أن يدوِّن شعري.

يجتاز بإسحاق الموصلي فيدعوه إلى طعام وشراب:

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيدِ بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بنُ إسحاق قال: حدثني عمي طَيّابِ بنُ إبراهيمَ الموصليُّ قال: حدثني أبو محمد التّيميّ الشاعر قال:

اجتزتُ يوماً بأخيك إسحاق فقال: ادخل حتى أطعِمَك طعاماً صِرْفاً، وأسقيَك شراباً صِرفاً وأغنيَك غِناء صِرفاً، فدخلتُ إليه، فأطعمني لحماً مكبّباً، وشواء حارّاً وبارداً مبزّراً، وأسقاني شراباً عتيقاً صِرفاً، وغنّاني وحده مرتجلاً:

ولـــو أن أنفـــاســـي أصـــابـــت بحـــرّهـــا حـــديـــداً إذاً كـــاد الحـــديـــد يـــذوبُ

ولـــو أن عينـــي أُطلِقَـــتْ مـــن وِكـــائهـــا[1] لمـــا كـــان فـــي عـــام الجُـــدوب جُـــدوب

[٢٠/٥٦] / ولـــو أن سلمـــى تطلـــع الشمـــس دونهـــا وأُمســـي وراء الشمـــس حيـــن تغيـــب

لحـــدثـــت نفســـي أن تَـــريـــع[2] بهـــا النـــوى وقلـــتُ لقلبـــي إنهـــا لقـــريـــب

فلم تزَل تلك حالي حتى حُمِلتُ من بيته سكران[3].

يستأذن عمرو بن مسعدة في الأنشاد فيجعل الإذن لإسحاق الموصلي فيأذن:

أخبرني جَحظةُ قال حدثنا حمادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً على عمرو بنِ مَسعدة، فإذا أبو محمدٍ التّيميُّ واقف بين يديه يستأذنه في الإنشاد، فقال: ذاك إلى أبي محمد ـ يعنيني ـ وكان عَلَى التّيمي عاتباً، فكَرِه أن يمنعه لعِلمِهِ بما بيننا من المودة، فقلت له: أَنشد إِذ جعل الأمر إليّ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إِليّ. / فتبسم عمرو، وأنشده التيميّ: ١٢١/١٨

يـــا أَبـــا الفضـــل كيـــف تغفـــلُ[4] عنـــي أم تَخلّـــى عنـــد الشـــدائـــد منّـــي؟

أنسيـــت الإخـــاء والعهـــد والـــودّ حـــديثـــاً مـــا كـــان ذلـــك ظنـــي

أنـــا مَـــن قـــد بلـــوتَ فـــي ســـالـــف الـــدهـــر مضَـــت شِـــرّتـــي ولـــم تفـــنَ سنـــي

(١) الوكاء في الأصل: رباط القربة وغيرها.
(٢) تريع: ترجع.
(٣) في أ، ب، جـ: «سكرا».
(٤) في ب، س: «تعقل»، تحريف.

فاصطنعني لما ينوب به الدهر فإنّي أجوز في كل فن

أنا ليث على عدوّك سِلْمٌ لك في الحرب فابتذلني وصِلْني[1]

أنا سيف يوم الوغى وسنان ومِجَنٌّ إن لم تَثِق بمجن

أنا طَبٌّ في الرأي في موضع الرأ ي معين على الخصيم المِعَنّ[2]

وأمينٌ على الودائع والسرّ إذا ما هويت أن تأتمني

/ قال: فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك، وقال: أتعلّم هذا الغناء منك أم كان يَعلمهُ[3] قديماً؟ فقلت له: لم [٢٠/٥٧] يكذب، أعزك الله. فقال: أفي هذا وحده أو في الجميع؟ فقلت: أما في هذا فأنا أُحَق كذبَة، والله أعلم بالباقي. ثم أنشده:

وإذا ما أردتَ حجّاً فرحّا لٌ دليلٌ إن نام كلّ ضِفَنّ[4]

فقال له: إذا عزمنا على الحج امتحناك في هذا، فإني أراك تصلح له، ثم أنشده:

ولبيبٌ على مقال أبي العبـ ـاس إني أرى به مسّ جِنّ

فقال: ما أراه أبعد، فقال:

وهو الناصح الشفيق ولكن خاف هَيْج الزمان[5] فازورّ عني

وظريف عند المزاح خفيف في الملاهي وفي الصبا متثن

كيف باعدتَ أو جفوتَ صديقا لا مليـ ولا، لا لا[6] ولا متجن

صرتُ بعد الإكرام والأنس أرضى منك بالترّهات ما لم تُهنّي

لم تُخنّي ولم أخنك ولا والـ ـله ربي لا خنت من لم يخني

إن أكن تُبتُ أو هجرت الملاهي وسُلافا يَجنّها بطن دَنّ

فحديثي كالدر فُصّل باليا قوت يجري في جيد ظبي أغَنّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم، فقال له: هذا شيء تطوعتَ به، فأين موضع حُكمي؟ فقال: مثلها، فانصرف بعشرة آلاف درهم.

يمر بخمار بالحيرة وقد أسن، فينشد شعراً في شربه عنده:

أخبرني عمي قال: حدثني محمدُ بنُ الحسن بن مسعود قال: حدثني عليُّ بنُ عمرو قال: / مرّ التيمي بالحِيرة [٢٠/٥٨] على خَمّار كان يألفه، وقد أسن التيمي وأُرعش، وترك النبيذ. فقال له الخمار: ويحك! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى؟

---

(١) كذا في ب، س، جـ. وفي أ، مم، ف، مم: «وصني».

(٢) في هامش ف تعليق على هذا البيت نصه «يرمز لرجل يتدخل فيما لا يعنيه ويعرض نفسه في كل شيء».

(٣) كذا في ب، س. وفي أ، جـ: «تعلمه».

(٤) الضفن: الأحمق في عظم خلق.

(٥) ف، مم، مو: «المرار».

(٦) ف: «كلا» بدل «لا لا».

فقال: نعم والله، لولا ذلك لأكثرتُ عندك. ثم أنشأ يقول:

صوت

هــل إلــى سكــرة بنــاحيــة الحيــرة يــومــاً قبــل الممــات سبيــل؟

وأبــو التَّيحــان فــي كفــه القــر عــة والــرأس فــوقــه الإكليــل

[٥٩/٢٠] / وعَــرارٌ كــأنــه يَــذق الشَّــط رنــج يفتِــنّ فيــه قــال وقيــل[١]

في هذه الأبيات لمحمدِ بنِ الأشعث رَمل بالوسطى عن الهشامي:

يهوى غلاماً ويشغل الغلام عنه بهوى جارية فينظم في هذا شعراً:

أخبرني هاشم بنُ محمدِ الخزاعي قال: حدثنا عيسى بنُ إسماعيل قال:

كان أبو محمد التيميّ يهوَى غلاماً، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان، فكان بها مَشغولاً عنه، وكانت القَينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه، فقال التيميّ:

ويلــي علــى أغيــدَ ممكــورٍ[٢] وســاحــرٍ ليــس بمسحــورِ

تــؤثــره الحُــور علينــا كمــا نــؤثــره نحــن علــى الحــور

عُلّــق مَــن علّــق فيــه هــوى[٣] منتظــم الألفــة مغمــور

وكــل مــن تهــواه فــي أمــره مقلَّــبٌ صفقــة مقمــور

يمدح الأمين فيأمر بملء زورقه دراهم:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ أبي سعد قال: حدثني أحمدُ بن محمدِ الفارسيُّ قال: حدثنا غَسان بنُ عبدِالله عن أبي محمدٍ التيميّ قال:

١٢٢/١٨ / لما أنشدت الأمين قولي فيه:

خليفــةُ الله خيــر منتخَــبِ لِخيــر أم مــن هــاشــم وأبِ

أكــرمُ بعِــرقيــن يجــريــان بــه إلــى الامــام المنصــور فــي النســب

طرب، ثم قال للفضل بن الربيع: بحياتي أوقرْ له زَورقه دراهم، فقال: نعم يا سيدي: فلما خرجنا طالبته بذلك، فقال: أمجنون أنت؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم، فقبضتها.

يقول شعراً ينهي فيه عن الخضوع لغير الله:

أخبرني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلبيُّ، قال: حدثني محمد بن عبدالله المدنيُّ قال: حدثني عبدُالله بنُ أحمد التيميُّ ابن أُخت[٤] أبي محمد التيميّ الشاعر، قال: أنشدني خالي[٤] لنفسه قوله:

---

(١) المثبت هنا رواية البيت كما وردت في الصفحة: ٥٢ من هذا الجزء. وكانت روايته هنا.

وعــذار كــأنــه بيــرق الشــط ــرنــج يفتــن فيــه قــال وقيــل

(٢) الممكور: الحسن امتلاء الساقين.

(٣) ف، مو، مم: «علق من علقه في هوى».

(٤) ف، مم: «ابن أخي بدل «ابن أخت». ، وعمي بدل «خالي».

لا تخضعنّ(١) لمخلوق على طمعٍ ... فإن ذاك مُضرٌّ منك بالدِّين

وارغب إلى الله مما في خزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنون

أما ترى كلّ مَن ترجو وتأملُه(٢) ... من الخلائق مسكين ابن مسكين(٣)

[٢٠/٦٠]

/ صوت

ألم ترَ أنني أفنيتُ عُمري ... بمَطلَبها ومطلبُها عسيرُ؟

فلما لم أجد سبباً إليها ... يُقرِّبني وأعيتني الأمور

حججت وقلت قد حجَّت جِنَان ... فيجمعُني وإياها المسير

الشعر لأبي نواس، والغناء للزُّبير بن دَحْمان، رمَلٌ بالوُسطى من روايةِ أحمدَ بنِ المكي وبَذْل، وغنّاني محمدُ بنُ إبراهيمَ قريضٌ الجَرحي ـ رحمه الله ـ فيه لحناً من خفيف الثقيل، فسألته عن صانعه فلم يَعرف.



(١) ف، مم، مو: «لا تضرعن».

(٢) ف: «تسأله».

(٣) ورد في ب، مو، بضع صفحات من أخبار رؤبة بن العجاج وهي مقحمة وتعتبر تكراراً لما ورد في الترجمة المستقلة لرؤبة.

[٢٠/٦١] ٢/١٨

/ أخبار أبي نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة

صفات جنان وصدق أبي نواس في حبها:

كانت جِنانُ هذه جاريةَ آل عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ المجيد الثَّقَفيِّ المحدِّث الذي كان ابنُ مُناذِرٍ يصحب ابنَه عبدَ المجيد، ورثاه بعد وفاته، وقد مضت أخبارهما.

وكانت حُلوةً جميلةَ المَنظر أديبة، ويقال: إن أبا نواسٍ لم يَصدُق في حبّه امرأةً غيرَها.

حجت جنان فحج معها أبو نواس:

أخبرني محمدُ بنُ خلَفِ بنِ المَرْزُبان قال: حدَّثني إسحاقُ بن محمدٍ عن أبي هِفّان عن أصحابِ أبي نُوَّاس قالوا:

كانت جنانُ جاريةً حسناءَ أديبةً عاقلةً ظريفةً، تعرف الأخبار، وتَرْوِي الأشعار قال اليؤيؤ: خاصة، وكانت لِبعض الثقفيّين بالبصرة، فرآها أبو نُواسٍ فاستحلاها، وقال فيها أشعاراً كثيرةً، فقلتُ له يوماً: إنَّ جِنَانَ قد عزَمتْ على الحج، فكان هذا سببَ حَجّة، وقال: أما والله - لا يفوتني المَسِير معها والحجُّ عامي هذا إن أقامت عَلَى عزيمتها، فظننتُه عابثاً مازحاً، فسبقها والله إلى الخروج بعد أن عَلِم أنها خارجة، وما كان نوى الحجّ، ولا أحدث عزمَه له إلّا خروجُها، وقال وقد حج وعاد:

ألــم تَــر أننــي أفنيــت عُمــري ... بمطلَبِهــا ومطلبُهــا عسيــرُ؟

فلمــا لــم أجـدْ سبيـاً إليهــا ... يقــرِّبنــي وأعيتنــي الأمــور

حجـجْـت وقلـت قـد حجَّـت جِنـان ... فيجمعُنــي وإيــاهــا المسيــر

قال اليؤيؤ: فحَدَّثَني من شهِده لما حجّ مع جنانَ وقد أحرم، فلما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحَدو ويُطرِّب، فغنّى به كل من سمِعه، وهو قوله:

[٢٠/٦٢] ٣/١٨

/ إلهنــا مــا أعــدلَــك! ... مليــك كــلِّ مــن ملــكْ

لبَّيــك قــد لبّيــتُ لــك ... لبّيــك إنَّ الحمــدَ لــك

والملــكَ لا شــريــك لــك ... والليــلَ لمــا أن حلــكْ

والســابحــاتِ فــي الفلــك ... علــى مجــاري المُنْسَلــكْ

مــا خــاب عَبــدٌ أمّلــك ... أنــت لــه حيــث سلــك

لــولاك يــا ربِّ هلــك ... كــلُّ نبــيٍّ وملَــك

وكــلُّ مــن أهــلّ لــك ... سبّــح أو لبّــى فلَــك

يـــا مخطئـــا مـــا أغفلـــك! عجِّـــل وبـــادرْ أجَلَـــكْ

واختـــمْ بخيـــرٍ عملـــك لبيـــك إن الملـــك لَـــكْ

والحمـــد والنعمـــة لـــك والعـــزّ لا شـــريـــك لـــك

«من شعرة فيها»

أخبرني أحمدُ بن عُبيدالله بنِ عمار وأحمدُ بنُ عبدالعزيزِ الجَوهريُّ قالا: حدّثنا عمرُ بن شَبّةَ قال:

كانت جنانُ التي يذكرها أبو نواس جاريةً لآل عبدِ الوهاب بن عبد المجيد الثقفيّ، وفيها يقول:

جَفـــنُ عينـــي قـــد كـــاد يَسْقُـــطُ مـــن طُـــول مـــا اختلَـــجْ

وفـــؤادي مـــن حَـــرِّ حُبـــك والهجـــرِ قـــد نَضِـــج

خبّـــرينـــي فـــدَتـــك نفـــســـي وأهلـــي: متـــى الفـــرج؟

كـــان ميعـــادُنـــا خـــرو جَ زيـــاد(1) فقـــد خـــرج

أنـــت مِـــن قتـــل عـــائـــذ بـــكِ فـــي أضيـــق الحـــرج

/ تشهد عرساً فيراها فيرتجل فيها شعراً: [٦٣/٢٠]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيداللهِ بن عَمار قال: حدثني إسحاقُ بنُ محمدِ النخعيُّ قال: حدثني الجَمّاز قال ابن عَمّارٍ: وحدثني به قُلَيب بنُ عيسى قال:

كانت جِنانُ قد شَهِدت عُرْساً في جِوَارِ أبي نُواسٍ، فانصرفتْ منه وهو جالس معنا، فرآها فأنشدنا بديها قولَه:

شَهِـــدتْ جَلْـــوةَ العَـــروس جِنـــانٌ فـــاستمـــالـــت بِحُسنِهـــا النظـــارةْ

حسِبـــوهـــا العَـــروسَ حيـــن رأوهـــا فـــإليهـــا دون العَـــروسِ الإشـــارةْ

قـــال أهـــلُ العـــروسِ حيـــنَ رأوهـــا مـــا دهـــانـــا بهـــا ســـواكِ عُمـــارةْ

قال: وعمارة زوجُ عبدالرحمن الثقفيّ، وهي مولاة جِنان.

تغضب من كلام له فيرسل معتذراً فلا تحسن الرد فينظم شعراً:

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ومحمدُ بنُ خلَف قالا: حدثنا يزيدُ بنُ محمد المُهَلبيُّ عن محمدِ بن عمر قال:

غضِبتْ جِنانُ من كلام كلمها به أبو نُواسٍ، فأرسل يعتذرُ إليها، فقالت للرسول: قل له: لا بَرِح الهِجْرانُ رَبْعَك، ولا بَلَغْتَ أملك مِن أحبّتِك، فرجع إليه، فسأله عن جوابِها، فلم يخبره فقال:

فـــدَيتُـــك فيـــم عَتبُـــك مِـــن كـــلامٍ نَطقـــت بـــه علـــى وجـــهٍ جميـــل؟

وقـــولُـــك للـــرســـول عليـــك غَيـــري فليـــس إلـــى التـــواصـــلِ مـــن سبيـــل

(1) هو زياد بن عبد الوهاب بن عبدالمجيد الثقفي (أخبار أبي نواس: ١٨٤).

فقدْ جاء الرسول له انكسارٌ   وحال ما عليها من قَبول
ولو رَدّت جِنانُ مَردّ خيرٍ   تبيّن ذاك في وجهِ الرسول

يعاتبها حتى يستميلها:

/ قال أبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ: وكان أبو نواسٍ صادقاً في محبّةِ جِنانَ مِن بين مَن كان يَنسُب به من النساء ويداعبه، ورأيت أصحابَنا جميعاً يُصحّحون ذاك عنه، وكان / لها مُحبّاً، ولم تكن تُحبّه، فمِما عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبِهِ لها فصارت تُحبه بعد نُبُوّها عنه قوله:

[٤٠/١٨] [٢٠/٦٤]

جِنانُ إنْ جُدتِ يا مناايَ بما   آمُلُ لم تَقطُرِ السماء دَما
وإن تَمادَيْ ـ ولا تَمادَيْت في   منعِك ـ أُصبِحْ بِقَفْرةٍ رِمَما[1]
عَلِقْتُ مَن لو أتى على أنفُس الماضين والغابرين ما نَدِما
لو نظرَتْ عينُه إلى حجَرٍ   وَلّد فيه فُتورُها سقَما

يسأل امرأة عنها فتخبره أنها رحمته فيقول في ذلك شعراً:

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرِّد قال: حدثني محمدُ بنُ القاسم عن أبي هِفّانَ عن الجَمّاز، وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال: حدثني عَوْن بن محمدٍ قال: حدثني الجَمّاز قال:

كنت عند أبي نُواسٍ جالساً إذ مرّت بنا امرأةٌ ممن يداخل الثقفيين، فسألها عن جنانَ وألحف[2] في المسألة واستقصى، فأخبرَتْه خبرَها وقالت[3]: قد سمعتُها تقول لصاحبة لها مِن غيرِ أن تَعلَم أني أسمعَ: وَيْحك! قد آذاني هذا الفتى، وأبرمَني، وأحرج صدري، وضيّق عليّ الطرقَ بِحدةِ نظرِهِ وتَهتُّكه؛ فقد لهج قلبي بذِكْره والفكرِ فيه من كثرة فِعله لذلك حتى رحمته، ثم إلتفتَت فأمسكَت عن الكلام؛ فسُرّ أبو نواس بذلك، فلما قامت المرأة أنشأ يقول:

يا ذا الذي عن جِنانٍ ظَلّ يُخبِرنا   بالله قُل وأعِدْ يا طيّبَ الخَبرِ
قال اشتكتك وقالت ما ابتُليت به   أراه مِن حَيثُما أقبلتُ في أثَري
/ ويُعمِل الطرفَ نحوي إن مررتُ به   حتى لَيُخجِلني من حِدّة النظرِ [٢٠/٦٥]
وإن وقفْتُ له كيما يكلّمُني   في الموضع الخِلْو لم يَنطقْ من الحَصَر
ما زال يفعل بي هذا ويُدْمِنه   حتى لقد صار من همّي ومن وَطري

يمر به القاضي وهو يكلم امرأة فينصحه فيقول في ذلك شعراً:

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيدالله بنِ عمّار قال: حدثني عليُّ بنُ محمدٍ النَوْفَليُّ وأحمدُ بنُ سليمانَ بنِ أبي شَيخ قالا: قال ابنُ عائشة: وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ وابن عَمّار عن الغَلابيّ عن ابنِ عائشةَ: قال ابنُ عَمّار: وحُدِّثت به عن الجَمّاز، وذكَره لي محمدُ بنُ داودَ الجرّاح عن إسحاق النخَعيِّ عن أحمدَ بنِ عُمَير:

(١) الرِمَم: جمع رمة، وهي العظام البالية.
(٢) كذا في مد. وفي س: «ألحقها»، تحريف
(٣) في بعض النسخ: «قال»، وهو تحريف.

أنَّ محمدَ بنَ حَفصِ بنِ عُمَر التميميّ ـ وهو أبو ابن عائشةَ ـ انصرفَ من المسجدِ وهو يتولّى القضاء، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يُكلِّمها. وقال أحمدُ بنُ عُمَير في خبره: وكانت المرأةُ قد جاءته برسالةَ جِنانَ جاريةِ عُمارةَ امرأةِ عبدِ الوهابِ بن عبدِ المجيدِ، فمرّ به عُمرُ بنُ عثمانَ التيميُّ وهو قاضي البصرة ـ هكذا ذكر أحمدُ بن عُمَير وحده ـ وذكر الباقون جميعاً أنه محمدُ بنُ حَفصٍ.

قال الجمّاز: وكانت عليه ثياب بَياض، وعَلَى رأسه قَلَنْسُوة مُضَرَّبة[1] فقال له: اتَّقِ الله، قال: إنها حرمتي، قال: فصُنْها عن هذا الموضع. وانصرف عنه، فكتب إليه أبو نُواس:

صوت

إنّ التـــــي أبصـــــرْتَهـــــا بِكْــــــراً[2] أكلّمهـــــا رســـــولُ

/ أدَّت إلـــــيَّ رســـــالـــــةً كـــــادت لهـــــا نَفْســـــي تسيـــــل

/ مِـــــن ســـــاحـــــرِ العينيـــــن يَجـــــذِبُ خَصـــــرَه رِدْفٌ ثقيـــــل

متقلِّـــــدٍ قَـــــوسَ[3] الصِّبـــــا يَـــــرْمِـــــي وليـــــس لـــــه رَسيـــــل[4]

فلـــــو أنْ أُذْنَـــــكَ بيننـــــا حتـــــى تَسمَّـــــع[5] مـــــا تقـــــول

لـــــرأيـــــت مـــــا استقبحـــــتَ مـــــن أمـــــري هـــــو الأمـــــرُ الجميـــــل

٥/١٨ [٢٠/٦٦]

في هذه الأبيات لجنان من الرمل وخفيفه، كلاهما لأبي العُبَيس بن حَمدونَ.

قال بنُ عُمَير: ثم وجّه بها فأُلقِيت في الرُّقاع بين يدي القاضي فلما رآها ضحك وقال إن كانت رسولاً فلا بأسَ.

قال ابنُ عائشةَ في خبره: فجاءني برُقعة فيها هذه الأبيات، وقال لي: ادفعها إلى أبيك، فأوصلتها إليه، ووضعتُها بين يديه، فلما قرأها ضحك، وقال: قُل له: إني لا أتعرّضُ للشعراء.

من شعره يسأل عنها وهي في حكمان:

حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال:

كان أبو عثمان أخَا مولى جِنَان، وكان مولاها أبو مَيّة زوج عُمارةَ وهي مولاتها، وكانت له بحَكَمَان[6] ضَيعةٌ كان ينزلها هو وابنُ عمٍّ له يقال له: أبو مَيّة، فقال أبو نواس فيه قوله:

(١) مضربة، من ضرب النجاد المضربة: أي خاطها.
(٢) بكراً، أي لأول مرة.
(٣) في م، أ: «سيف».
(٤) الرسيل: الموافق لك في النضال.
(٥) مد: «التسمع» تحريف.
(٦) حكمان: ضيعة بالبصرة لبني عبدالوهاب الثقفيين موالي جنان، سميت بالحكم بن العاص الثقفي. وهذا اصطلاح لأهل البصرة، إذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفاً ونوناً، حتى سموا عبد اللان في قرية سميت بعبدالله. وحكمان بالتحريك فيما يقول ياقوت، وكسلمان فيما يقول صاحب «القاموس».

أَســـأَلُ القَـــادِمِيـــنَ مِـــن حَكَمَـــانٍ كيـــف خلَّفتمـــا[1] أبـــا عثمـــان

[٢٠/٦٧] / وأبـــا مَيَّـــةَ المهـــذَّب والمـــا جِـدَ والمـرتَجـى لِـرَيـب الـزمـان؟

فيقـــولان لـــي: جِنـــانٌ كمـــا ســـرّكَ فـــي حـــالهـــا فَسَـــلْ عـــن جِنان

مـــا لَهُـــمْ لا يبـــاركُ اللهُ فيهـــمْ كيـف لـم يُغْـنِ عنـدهـمْ كِتمـانـي؟

لم يكن يعشق ولا كانت جنان موضع عشق ولكنه العبث:

فأخبرني ابنُ عَمار قال: حدّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني محمدُ بنُ عبدالملكِ بن مروان الكاتبُ قالا:

كنت جالساً بِسُرَّ مَنْ رأى في شارع أبي أحمد، فأنشدني قول أبي نواس:

أَســـأَلُ المقبِلَيـــن مـــن حَكَمـــانٍ كيـــف خَلَّفتمـــا أَبـــا عثمـــانٍ؟

وإلى جانبي شيخٌ جالسٌ فضحك، فقلت له: لقد ضحكتَ من أمر، فقال: أَجلْ، أَنا أَبو عثمان الذي قال أَبو نواس فيه هذا الشعر، وأبو مَيَّةَ ابنُ عمي، وجِنانُ جاريةُ أَخي، ولم تكن في موضع عِشْق، ولا كان مذهَبَ أبي نواسٍ النساءُ، ولكنه عبثٌ خرج منه.

سبقه النابغة الجعدي إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبته:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: قال لي أبو العباس محمدُ بنُ يزيدَ:

قال النابغة الجعديّ:

أُكْنِـــي بِغَيـــر اسمهـــا وقـــد عَلِـــم اللهُ خَفِيَـــاتِ كـــلِّ مُكْتَتَـــمِ

وهو سَبق الناسَ إلى هذا المعنى، وأخذوه جميعاً منه، وأحسنُ مَن أخذه أبو نُواس حيث يقول:

أســـألُ المُقبلَيـــن مـــن حكمَـــانٍ كيـــف خلَّفتُمـــا أبـــا عثمـــانٍ؟

فيقـــولان لِـــي جنـــانٌ كمـــا ســـرَّ كَ فـــي حـــالِهـــا فَسَـــلْ عـــن جنـــان

مـــا لَهُـــمْ لا يبـــاركُ الله فيهـــمْ كيـف لـم يُغْـنِ عنـدهـمْ كِتمـانـي[2]!

[٢٠/٦٨] / **شعره وقد حضرت مأتماً في البصرة:**

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيدالله بنِ عمّار، قال: أنشدني أحمدُ بنُ محمدِ بن صَدقَة الأنباريُّ لأبي نواسٍ يذكر مأتماً بالبصرة، وحضرتْه جنان:

٦/١٨ / يـــا مُنسِـــيَ المـــأتـــمِ أشجـــانَـــه لمَّـــا أتـــاهـــمْ فـــي المُعـــزِّيـنـــا

سَـــرَتْ[3] قِنـــاعَ الـــوشـــيِ عـــن صُـــورة ألبسهـــا الله التّحـــاسينـــا

(١) في ب، س: «خفتما»، تحريف.

(٢) في ب، س: «كتمان»، تحريف.

(٣) سرت: ألقت، من سرى المتاع: ألقاه على ظهر دابته.

فاستفتنتهنّ بتمثالها فهنّ للتكليف يبكينا
حَقٌّ لِذاك الوجهِ أن يزدهي عن حزنه مَنْ كان محزونا

شعره وقد أشرف عليها فرآها تلطم في مأتم:

أخبرني عمّي قال: حدّثني إسحاقُ بنُ محمدِ النخَعيُّ، قال: حدّثنا عبدُالملك بنُ عمرَ ابنِ أبانَ النخعيِّ، وكان صديقاً لأبي نواس:

أنّ أبا نُواسٍ أشرفَ مِن دارٍ على منزل عبدِالوهاب الثقفيِّ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم، وجِنانُ واقفة مع النساء تلَطِم وجهها وفي يدها خِضاب، فقال:

يا قَمَراً أبرَزه مأتَمٌ يَندُب شجواً بين أتراب
يَبكي فيُذري[1] الدُّرَّ من عينِه ويَلطِم الوردَ بِعُنّابِ
لا تبكِ ميْتاً حلَّ في حُفرةٍ وابْكِ قتيلاً لكَ بالبابِ
أبرَزه المأتمُ لي كارهاً بِرَغْمِ دايات وحجّاب
لا زال موتاً دَأبُ أحبابه ولا تزَل رؤيتَه دابي

استحسان ابن عيينة لشعره ذاك:

فحدّثني أحمدُ بنُ عُبيدالله بنِ عَمّار، قال: حدّثني محمد بنُ القاسم، حَدّثني محمد ابنُ عائشةَ قال:

قال لي سفيانُ بن عُيَيْنَةَ: لقد أحسن بَصْرِيُّكم هذا أبو نُواسٍ حيث يقول ـ وشدّد الواو وفتح النون:

/ يا قَمَرا أبصرتُ في مأتمٍ يَندُب شَجْواً بين أتراب [٢٠/٦٩]
يَبكي فيُذرِي الدُّرَّ من عينِه ويلْطِم الوردَ بعُنّاب

قال: وجعل يعجَب من قوله: ويلطِم الوردَ بِعُنّاب.

ابن أبي عيينة ينشد بيتاً من شعره ذاك ويكرر إعجابه ببراعته:

وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدّثنا عبدُاللهِ بنُ أبي سعدٍ قال: حدّثني محمدُ بنُ محمدٍ قال: حدّثني حسَينُ ابنُ الضّحّاك قال:

أنشد ابنُ عُيَيْنَةَ قولَ أبي نواس:

يَبكي فيُذْري الدُّرَّ من طَرْفِه ويلطِمُ الوَرْدَ بعُنَّاب

فعجبتُ منه، وقال: آمنت بالذي خلقَه.

روي أن شعره ذاك كان في غير جنان:

وقد قيل: إنّ أبا نواس قال هذا الشعر في غير جنان.

---

(١) فيذري: فينثر.

أخبرني بذلك الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنُ مَهْرُوَيه، قال: حدثني بعض الصيارف بالكَرْخ، وسماه، قال:

كان حارسُ دَرْبِ عَوْن[1] يقال له: المبارَك، وكان يلبس ثياباً نظيفةً سَرِيّةً، ويركَب حِماراً، فيطوف عليه السوق بالليل ويكريه بالنهار، فإذا رآه مَن لا يَعرفه ظنّ أنه من بعض التجار، وكان يصل إليه في كل شهر مِن السُّوق ما يسَعُه ويفضُل عنه، وكانت له بنت من أجمل النساء، فمات مبارَكٌ وحضره الناس، فلما أُخرجَت جَنازته خرجَتْ بنتُه هذه حاسرةً بين يديه، فقال أبو نواس فيها:

يــا قمــراً أبــرزَه مــأتــمٌ ... ينــدُب شَجْــوا بيــن أتــراب

وذكر الأبيات كلَّها.

طلبت قطع صلته بها أياماً ففعل:

[٢٠/٧٠] أخبرني محمدُ بنُ جعفر قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم عن أبي هَفّان عن الجَمّاز واليؤيؤ / وأصحابِ أبي نُواسٍ أنّ جِنانَ وجّهتْ إليه: قد شهّرتني، فاقطع زيارتك عَنّي أياماً لينقطعَ بعضُ القالةِ، ففعل، وكتب إليها:

٧/١٨

/ إنّــا اهتجــرنــا[2] للنــاسِ إذ فَطِنــوا ... وبينَنــا حيــن نلتقــي حَسَــنُ

نُــدافــع الأمــر وهْــو مُقتبِــل[3] ... فشــبّ حتــى عليــه قــد مَــرنــوا

فليــس يُقــذِي عينــاً مُعَــايَنَــةٌ ... لــه ومــا إنْ تمُجّــه أُذن

ويســحَ ثَقيــفِ مــاذا يَضــرّهــمُ ... أنْ كــان لــي فــي ديــارهــمْ سكَــنُ[4]

أرْيَــبُ مــا بيننــا الحــديــثُ فــإن ... زِدنــا فــزيــدوا ومــا لِــذا ثَمــن

يكتب إليها من بغداد شعراً:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثني ابنُ أبي سَعْدٍ قال: بلغني أنّ أبا نُواسٍ كتب إلى جِنان من بغداد:

كَفَــى حَــزنــاً ألاّ أرى وجــهَ حِيلــةٍ ... أزورُ بهــا الأحبــابَ فــي حَكَمــانِ

وأُقسِــمُ لــولا أن تَنــال مَعــاشــرٌ ... جِنــانــا بمــا لا أشتهــي لِجِنــانِ

لأصبحــتُ منهــا دانــيَ الــدارِ لاصقــاً ... ولكــنّ مــا أخشَــى ـ فُــدِيــتِ ـ عــدانــي

فــواحَــزنَــا حُــزنــاً يــؤدّي إلــى الــردى ... فــأصبــحَ مــأثــوراً بِكــلّ لِســان

أُرانــي انقضَــتْ أيــامُ وصلِــيَ منكــمُ ... وآذَن فيكــم بــالــوَداع زمــانــي

(١) ب، س: «عون».
(٢) اهتجرنا: تقاطعنا.
(٣) مقتبل: في مبتدئه.
(٤) السكن: كل ما يسكن إليه.

شعره وقد شتمته وتنقصته حين ذكر عشقه لها:

أخبرني الحسنُ قال: حَدّثنا ابنُ مَهْرُويةَ عن يحيى بنِ محمدٍ عن الخُرَيْميِّ قال:

بلغ أبا نُواسٍ أنَّ امرأةً ذَكَرت لِجنانَ عِشقَه لها، فشتمته جِنانُ وتنقصته وذكرَتْه أقبحَ الذُّكر، فقال:

/ وا بِــأَبــي مَــنْ إذا ذُكِــرتُ لــه ... وطــولُ وَجــدي بــه تَنقَّصنــي [٢٠/٧١]

لــوْ ســألــوه عــن وَجــهِ حُجّتِــه ... فــي سبِّــه لــي لقــال: يَعشقنــي

نَعــم إلــى الحشــرِ والتّنــادِ نَعَــمْ ... أعشقُــه أو أُلــفُّ فــي كفَنــي

أصيــحُ[1] جَهــراً لا أستَسِــرُّ بــه ... عَنِّفنــى فيــه مَــن يُعنفنــي:

يــا معشــرَ النــاسِ فــاسمعــوه وعُــوا: ... أنَّ جِنــانــا صــديقــةُ الحَسَــن

شعره إليها وقد رآها في المنام بعد أن هجرته:

فبلغها ذلك، فهجرته، وأطالت هجره، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالَحَته، فكتب إليها:

إذا التقــىٰ فــي النــوم طَيفــانــا ... عــاد لَنــا الــوصــلُ كمــا كــانــا

يــا قــرّة العيــنِ فمــا بــالنــا ... نَشقــىٰ ويلتــذُّ خيــالانــا

لــو شئــتِ إذ أحسنْــتِ لــي فــي الكــرىٰ ... أتمَمْــتِ إحســانــك يقظــانــا

يــا عــاشقَيــن اصطَلحــا فــي الكــرىٰ ... وأصبحَــا: غَضبــىٰ وغضبــانــا

كــــذلــــك الأحــــلامُ غَــدّارةٌ ... وربّمــا تَصْــدقُ أحيــانــا

الغناء في هذه الأبياتِ لابن جامعٍ، ثقيلٌ أول بالوُسطى عن عمرو.

يهجرها حين جبهته بما يكره، ويراها في المنام تصالحه، فينظم شعراً:

وقال الخُرَيمي: ورآها يوماً في ديار ثقيف فجَبَهَتْه بما كَرِه، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فرده، ولم يصالحها، ورآها في النوم تطلب صلحَه، فقال:

دَسّــتْ لــه طَيفهــا كيمــا تصــالِحُــه ... فــي النــوم حيــن تــأبّى الصلحَ يقظــانــا

فلــم يَجــدْ عنــد طَيفــي طَيفُهــا فَــرَجــاً ... ولا رثــىٰ لتشكّيــه ولا لانــا

حِسبــتِ أنّ خيــالــي لا يكــون لِمــا ... أكــون مــن أجلِــه غضبــانَ غضبــانــا

/ جِنــانُ لا تَســأليني الصلــحَ سُــرعــةَ ذا ... فلــم يكــن هيّنــاً منــك الــذي كــانــا $\frac{8}{18}$

من شعره فيها: [٢٠/٧٢]

وأنشدني عليّ بنُ سليمانَ الأخفشُ لأبي نواس في جنان:

أمــا يَفنــى حــديثُــك عــن جِنــانِ ... ولا تُبقِــي عَلَــى هــذا اللســانِ!

---

(١) في س: «أصبح»، تحريف.

أكُلَّ الدهرِ قلتُ لها وقالت ... فكَمْ هذا أما هذا بِفانِ!

جعلتَ الناسَ كلَّهُم سواءً ... إذا حدَّثتَ عنها في البيانِ

عدوُّك كالصديق وذا كهذا ... سواءٌ، والأباعدُ كالأداني

إذا حدَّثتَ عن شأنٍ توالت ... عجائبُه أتيتَهمُ بشانِ

فلو مَوَّهتَ عنها باسمِ أُخرى ... عَلِمنا إذ كنَيتَ مَن أنت عانِ؟

شعره وقد بيعت وسافر بها مولاها:

أخبرني الحسنُ بن عَلِيٍّ قال: حدثني يحيى بنُ محمدٍ السُّلَميُّ قال: حدثني أبو عِكرمةَ الضبيُّ:

أنّ رَجلاً قدِم البصرةَ فاشترى جِنانَ من مواليها، ورحل بها، فقال أبو نواس في ذلك:

أمَّا الديارُ فقلَّما لبثوا بها ... بين استياق[1] العِيسِ والرُّكبانِ

وضَعوا سِياطَ السَّوق[2] في أعناقها ... حتى اطّلعْن[3] بهم على الأوطان

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقُ قال: حدّثني محمدُ بنُ سعدٍ الكُرّانيُّ قال: حدثني أبو عثمان الأشنانداني قال: كتب أبو نواس إلى جنان:

أكثري[4] المَحْوَ في كتابك وامحيه إذا ما محوْته باللسان

[٧٣/٢٠] / وأمُرِّي[5] بالمحاه بين ثنايا ... كِ العِذابِ المُفلَّجات الحسان

إنني كلما مررتُ بِسَطرٍ ... فيه مَحوٌ لطعته[6] بلساني

تلك تقبيلةٌ لكمْ من بعيد ... أُهدِيتْ لي وما بَرِحتُ مكاني

[٧٤/٢٠] / صوت

تَجنَّي علينا آلُ مكتوبةَ الذَّنبا ... وكانوا لنا سلْما فأضحَوْا لنا حَرْبا

يقولون عزِّ القلبَ بعد ذَهابه ... فقلت ألا طُوباي لو أن لي قلبا

عروضه من الطويل. الشعر لابن أبي عُيَيْنَةَ، والغناء لسليمانَ أخي جَحْظَةَ، رمَل بالوُسطى عن عمرو بن بانة.

---

(١) في م، أ: «استباق».

(٢) في س، ب: «الشوق»، تحريف.

(٣) اطلعن: طلعن.

(٤) في س، ب: «أكثر»، تحريف.

(٥) وفي ب، س: «وامرري»، وهو خطأ صرفي.

(٦) لطعته: لحسته.

/ نسب ابن أبي عيينة وأخباره[1]

[٢٠/٧٥]

اسمه وكنيته ونسبه:

أبو عُيَيْنَة ـ فيما أخبرنا به عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ عن محمدِ بنِ يزيدَ ـ اسمهُ وكنيتُه أبو المِنهال، قال: وكل من يُدْعَى أبا عُيَيْنَة من آل المهلّب فأبو عُيَيْنَةَ اسمهُ وكنيتُه أبو المنهال، وكلُّ من يُدْعَى أبا رُهْمٍ من بني سَدُوس فكنيتُه أبو محمدٍ.

وابنُ أبي عُيَيْنَةَ[2] هو محمد بنُ أبي عُيَيْنَةَ بنِ المهلَّبِ بنِ أبي صُفرةَ. وقال أبو خالدٍ الأسلميُّ: هو أبو عُيَيْنَةَ المِنْجابِ بنِ أبي عُيَيْنَةَ، وهو الذي كان يهجو ابنَ عمه خالداً.

واسمُ[3] أبي صُفرةَ ظالمُ بنُ سَرَّاقٍ، وقيل: غالبُ بنُ إسراق بن صبح بن كِنديٍّ بنِ عمرو بنِ عديّ بنِ وائل بنِ الحارثِ بنِ العَتيك بنِ الأسدِ بنِ عِمرانَ بنِ الوضَّاح بنِ عمرو بنِ مُزَيْقياء بنِ حارثةَ الغَطْرِيفِ بنِ امرىءِ القَيس البِطْرِيقِ بنِ ثَعْلَبَة / البُهلول بنِ مازنِ الرَّاكب بن الأزْدَ.

٩/١٨

[4]هذا النسب الذي عليه آل المهلب، وذكَرَ غيرهم أن أصلهم من عجم عُمان وأنّهم تولوا الإزدَ، فلما سَار المهلَّب وشرُف وعلا ذِكْرُه استَلْحَقُوه. وممن ذكر ذلك الهَيْثَمُ بنُ عَدِيّ وأبو عُبَيْدة وابنُ مَزْرُوع وابنُ الكَلْبيّ وسائر من جمَع كتاباً في المثالب وهَجَتْهم به الشّعراءِ فأكثرت.

أبو صفرة ليس عربياً:

أخبرني محمد بن عِمْران الصَيْرَفيّ قال: أخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال: حدَّثني أبو عبدالله أحمدُ بنُ محمدِ بن حميدِ بنِ سُلَيمان العَدَويّ قال:

/ أخبرني الهَيْثَمُ بنُ عَدِيّ، عن عبدالله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال:

[٢٠/٧٦]

وفَد ابنُ الجَلَنْدي في الأزد، أزْدِ عُمان ومواليهم وأحلافِهم، فكان فِيمَن وَفَد منهم أبو صُفْرة، وكان يُلقّب بذلك، لأنه كان يُصفِّر لِحْيَتَه، فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيتُه مَخضوبةٌ مُصْفَرَّة، فقال عمر لابن الجلندي: أكُلُّ مَنْ معك عَرَبِيٌّ؟ قال: لا، فِينَا العَربيّ وفينا غَيرُ ذلك، فالتفت عُمرُ ـ رحمه الله ـ إلى أبي صُفْرة، فقال له: أعَرَبِيٌّ أنتَ؟ قال: لا، أنا ممَّن مَنّ الله عليه بالإسلام.

(١) مو: نسب ابن عيينة وأخباره.

(٢) مد، مو: وأبو عيينة.

(٣) كذا في م، أ. وفي س، ب: «أواسم»، تحريف.

(٤) هذه التكملة من نسخة مي؛ وآخرها في ص ٧٨.

أبو صفرة يختتن وهو شيخ أشمط:

قال: وقدِم الحكَم بنُ أبي العاصي الثَّقفيّ أخو عُثمان بأعلاج من شهرك[١] في خلافة عمر قد أَسْلمُوا، فأمر عُمَرُ عثمان بن أبي العاصي أن يَخْتِنهم، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال: ما لهؤلاء يُطَهَّرون ليُصلوا! قال: إنّهم يختتنون.

قال: إنا والله هكذا مِثلُهم، قال: فسَمع ذلك عثمانُ بن أبي العاصي، فأمر بأبي صُفْرة فأُجلس عَلَى جَفْنةٍ فخُتن وإنّه لشيخٌ أشمَطُ فكان بها مَنْ قال: لسنا نشُك في أنّ زوجتَه كذلك، فأُحضِرت وهي عجوز أدماء، فأمر بها القابلةَ فنظرت إليها وكشفتها، وإذا هي غير مختونة، وذلك منها قد أَحْشَفَ[٢]، فأمر بها فخُفضت.

وقال في ذلك زياد الأعجم، وقد غضب عَلَى المهلّب:

نحـــن قطعنـــا مـــن أبـــي صُفْـــرةٍ ... قُلْفَتَـــه كـــي يـــدخـــل البَصْـــرَهْ

[٧٧/٢٠] / لمـــا رأى عُثمـــانُ غُـــرمـــولـــةَ ... أتـــنَّ[٣]عَلَـــى قُلْفَتِـــه الشَّفْـــره

من عمل كتاب المثالب:

وليس هذا من الأقوال المعوّل[٤] عليها، لأن أَصلَ المثالب زِيادٌ لعنه الله، فإنه لَمَّا ادُّعِي إلى أبي سُفيان، وعَلم أن العرب لا تُقرّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره[٥] فيهم، عمل كتاب المَثالب، فألصقَ بالعَرب كلّها كلَّ عَيْب وعار، وحقٍّ وباطل، ثم بَنى عَلَى الهَيْثَمُ بنُ عَدِيّ ـ وكان دَعِيّاً ـ فأراد أن يَعُرّ[٦] أهلَ البيوتات تَشَفّياً منهم، وفعل ذلك أبو عُبَيْدة مَعْمَرُ بنُ المُثنّى، وكان أصلُه يهودياً، أسلم جدُّه عَلَى يَدَي بعضِ آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فانتمَى إلى ولاء بني تَيْم فجدَّد كِتابَ زِياد وزاد فيه، ثم نشأ غَيْلان الشُّعُوبيّ لَعَنه الله، وكان زِنْديقاً ثَنَوِيّاً لا يُشَكُّ فيه، عُرِف في حياته بعض مذهبه، وكان يورّي عنه في عوراته للإسلام بالتَّشَعُّب والعصبية، ثم انكشف أمرُه بعد وفاته، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين، وكان شديدَ التَّشَعُّب والعَصَبيّة، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم[٧] وأُمهاتِهم وصنَائعهم، وبدأ منهم بالطَّيِّب الطاهر، رسول الله ﷺ فَغَمَصه[٨] وذكره، ثم والى بين أهل بَيْته الأذكياء النجباء عليهم السلام، ثم ببطون قريش على الوِلاء، ثم بسائر العرب، فألصق بهم كلَّ كذب وزور، ووضع عليهم كل خبر باطل، وأعطاه على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني.

[٧٨/٢٠] / وإنما جرّ هذا القول، ذكرُ المهلب وما قيل فيه، وأنّي ذكرتُه فلم أجد بُدّاً من ذكر ما رُوي فيه؛ وفيما مرَّ عن أهل النسب، ثم قُلتُ ما عِندي.

(١) لعلها شهر كند التي أوردها ياقوت في «معجمه»، وهي مدينة في طرف تركستان قريبة من الجند بينها وبين مدينة خوارزم نحو عشرة أيام أو أقل.
(٢) أحشف: تقبض وصار كالشّنّ.
(٣) كذا في النسخ، ولا يستقيم معها الوزن، ولعلها تحريف أتي.
(٤) ف: «المعمول».
(٥) مي: «ومع سوء آثارها فيهم».
(٦) عَرَّ فلانا: ساءه.
(٧) مي: «وذكر مناكحتهم».
(٨) غمصه: تهاون بحقه.

يقرأ كتاب المثالب على عبد الملك، فيأمر بإحراقه:

أخبرني حبيبُ بن نَصْر قال: أخبرني عُمر بن شَبّة قال: حدّثني محمد بن يحيى أبو عُثمان عن أبيه قال:

دخل بعضُ النّاس عَلَى عبدِالملك بن مَرْوان فقال له: هل عِنْدَك كتابُ زِياد في المَثَالب؟ فتلكَّأ، فقال له: لا بأس عليك، وبحَقِّي إلاّ جئتَنِي به. فمضى فجاء به، فقال له: اقرأ عليّ، فقرأه وجَعَل عبدالملك يتغَيَّظ ويَعْجَبِ ممّا فيه من الأباطيل، ثم تَمَثَّل قولَ الشاعر:

وأجــرأُ مَــنْ رأيــتُ يظَهْــر غَيْــب ... عَلَــى عيْــب الــرّجــال أُولُــو العُيُــوبِ

ثم أَمَر بالكتاب فأُحْرِق[1].

* رجع الخبر إلى سياقه أخبار ابن أبي عُيَيْنَةَ *

أنفد أكثر شعره في هجاء ابن عمه «خالد»:

وهو شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ غزَل هَجّاءٌ. وأنفدَ أكثرَ أشعارِه في هجاء ابن عمّه خالد. وأخبارهما تُذكر على أثر هذا الكلام وما يَصْلُح[2] تصديرُ أخباره به. وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة.

حدثني عمّي والصوليُّ قالا: حدثنا أحمدُ بنُ يزيدَ المهلبيُّ قال: حدثني أبي قال: أبو عُيَيْنَةَ اسمه كنيتُه، وهو ابنُ محمدِ بنِ أبي عُيَيْنَةَ بن المهلّب بنِ أبي صفرة.

[٢٠/٧٩] / **كان أبوه يتولى الري للمنصور:**

وأخبرني محمدُ بنُ عِمرانَ الصّيرفيُّ قال: حدثني العَنَزي قال: حدّثني أبو خالد الأسلميُّ قال:

أبو عيينة الشاعرُ هو أبو عُيَيْنَةَ بنُ المِنجابِ بنِ أبي عُيَيْنَةَ بنِ المهلَّب، وكان محمدُ بنُ أبي عُيَينةَ أبو أبي عيينة الشاعر يتولى الرَّيّ لأبي جعفر المنصور، ثم قَبض عليه وحبسه وغرّمه.

حبس المنصور أباه:

وأخبرني محمدُ بنُ خَلِفِ بنِ المَرْزُبانِ قال: حدّثني يزيدُ بنُ محمدِ المهلّبيُّ قال:

قال وَهبُ بن جرير: رأَيتُ في منامي كأن قائلاً يقول لي:

مــــا يلقـــى[3]أبـــو حـــربِ ... تعـــالـــى الله مـــن كـــرب

فلم أَلبَث أن أخذ المنصورُ أما حرب محمَّد بن أبي عُيينةَ المهلبيّ فحبسه، وكان ولاه الرَّي فأقام بها سنين.

كان يحب امرأة نبيلة ويكنى عنها خوف أهلها:

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقُ ومحمدُ بنُ يحيى الصوليُّ وعمّي قالوا: حدثنا الحَزَنْبَلُ الأصبهانيّ قال: حدّثني الفَيضُ بنُ مخلَّد مولى أبي عيينة بنِ المهلّب قال:

(١) هنا تنهي التكملة التي بدأت في ص ٧٥.
(٢) في م، أ: «يصلح منه».
(٣) كذا في النسخ.

كان أبو عُيَيْنَةَ بنُ محمد بن أبي عيينة يهوَى فاطمة بنتَ عُمرَ بنِ حفصٍ الملقَّبِ هَزارَ مَرْدَ، وكانت امرأةً نبيلةً شريفةً، وكان يخاف أهلَها أن يَذكرَها تصريحاً، ويَرهبُ زوجَها عيسى بنَ سليمانَ، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها: دُنيا، وكانت قيّمةَ دارها، واليةَ أُمورها كلِّهَا. وأنشدنا لابنِ أبي عُيينةَ فيها، ويَكنى باسم دنيا هذه:

ما لِقلبِي أرقُّ من كلِّ قلبِ ... ولِحُبِّي أشدُّ من كلِّ حبِّ!

[٢٠/٨٠] / ولدنيا على جُنوني بدنيا ... أشتهي قُربَها وتكرهُ قُربي

نَزَلَتْ بي بليّةٌ مِن هواها ... والبلايا تكون من كلِّ ضَرب

قل لدنيا إن لم تُجِبك لِما بي ... رَطبةٌ مِن دموع عينَي كُتْبي

فعلامَ انتهرتِ باللهُ رسْلي ... وتهددتِهم بحبس وضرب[١]

أيُّ ذنب أذنبتُه ليت شِعري ... كان هذا جزاءه أيُّ ذنب؟

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ قال حدّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال:

كان أبو عُيَيْنَةَ[٢] من أطبع الناس وأقربهم مأخذا، من غير أدَب موصوفٍ ولا روايةٍ كثيرة، وكان يقرِّب البَعيد، ويحذِف الفضول، ويُقِلّ التكلف. وكان أصغرَ مِن أخيه عبدِالله ومات قبله.

وقيل لعبدالله: أنت أشعرُ أم أخوك؟ فقال: لو كان له علمي لكان أشعرَ منّي، وكان يتَعشق فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفصٍ هزارَ مَرْدَ التي تزوّجها عليُّ بن سليمان، ويُسِرُّ عشقها، ويلقّبها دُنيا كتماناً لأمرها[٣]. وكانت امرأةً جليله[٤] نبيلة سَريه من النساء، وكان أبوها من أشدِّ الفُرسان وشُجعانِهم، فذكر عيسى بنُ جعفرٍ أن عيسى بنَ موسى قال للمهلّب بنِ المغيرةِ بنِ المهلّب: أكان يزيدُ بن خالدٍ أشجعَ أم عُمرُ بنُ حفصٍ هَزارَ مَرْدَ؟ فقال المهلّب: لم أشهد من يَزيد / ما شهدته من عُمَر بن حفص، وذلك أني رأيته يركُض في طلب حمارٍ وحشيٍّ حتى إذا حازاه جمع جَراميزَه[٥] وقفز، / فصار على ظهره، فقمص الحمار، وجعل عُمر بنُ حفص يَحُزُّ[٦] مَعرفته إما بِسيفٍ وإما بسكين معه حتى قتله. [١٠/١٨] [٢٠/٨١]

كان جندياً، ولم يكن يهوى فاطمة بلْ جارية لها:

قال محمدُ بنُ يزيدَ: وحُدِّثتُ عن محمدِ بنِ المهلّب أنه أنكر أن يكون أبو عُيَيْنَةَ يهوَى فاطمة، وقال: إنما كان جنديّاً في عِداد الشُّطّار[٧]، وكانت فاطمة من أنبلِ النساء وأسراهنّ،، وإنما كان يتعشق جاريةً لها، وهذه الأبياتُ التي فيها الغناءُ من قصيدةٍ له جيدةٍ مشهورةٍ من شعره، يقولها في فاطمةَ هذه أو جاريتها، ويَكنى عنها بدُنيا، فمما إختير منها قوله:

(١) من م، مد، مو.
(٢) في م، أ، مو، مد: «ابن أبي عيينة».
(٣) في م، أ: «لأهلها».
(٤) في م، أ: «جميلة».
(٥) جراميزه: «أطرافه. وفي س. ب: «جراميزة» تحريف.
(٦) في م، أ: «يجز».
(٧) الشطار: جمع شاطر، وهو من أعيا أهله خبثا.

وقـالـوا تَجنَّبْنَـا فقلـت أَبَعْـدَ مـا ... غَلَبتُمْ على قلبي بسُلطانكم غصبا!
غِضابٌ وقد مَلّوا وقوفي ببابهم ... ولكنّ دنيا لا ملولا ولا غضبى
وقد أرسلَتْ في السرّ أنّي بريَّة ... ولم تَرَ لي فيما ترى منهمُ ذَنبا
وقالت لكَ العُتبى وعِندي لك الرضا ... وما إنْ لهمْ عندي رضاءٌ ولا عُتبى[1]
ونُبئتها تلهو إذا اشتد شوقُها ... بشعري كما تُلهِي[2] المغنّيةُ الشَّربا
فأجبتُها حُبّاً يقرّ بعينها ... وحُبّي إذا أحببتُ لا يشبه الحبا
فيا حسرتا نَغَصتُ قُربَ ديارها ... فلا زُلفةً منها أرجّي ولا قُربا
لقد شَمِت الأعداء أن حيل بينها ... وبيني ألاّ للشامتين بنا العُقْبَى[3]

ومما قاله فيها وغُنّي فيه:

[٨٢/٢٠]

/ صوت

ضيّعتِ عهدَ فتًى لِعهدكِ حافظٍ ... في حفظِه عَجَبٌ وفي تضييعكِ
ونأيت عنه فما له من حِيلة ... إلاّ الوقوفُ إلى أوانِ رجوعكِ
متخشّعاً يُذري عليكِ دموعَهُ ... أسفاً ويَعجَب من جُمود دموعكِ
إن تقتليه وتذهبي بفؤاده ... فبِحُسْن وجهك لا بحسن صنيعكِ

عروضه من الكامل، الغناء في هذه الأبيات من الثقيل الأول بالوُسطى. ذَكر عَمرو بنُ بانةَ أنه له، وذكر الهشاميُّ أنه لمحمدِ بن الحارث بن بسخنّر، وذكر عبدُالله بنُ موسى بنِ محمد بنِ إبراهيم الإمامُ أنه لإبراهيمَ المَوصليّ.

فذكر العتّابيُّ ومحمدُ بنُ الحسنِ جميعاً، أنّ محمدَ بنَ أحمدَ بن يحيى المكيَّ حدثهمَا قال: حدثني عمروُ بنُ بَانةَ قال:

ركبت يوماً إلى دار صالح بن الرشيد، فاجتزتُ بمحمدِ بنِ جعفرِ بنِ موسى الهادي ـ وكان مُعاقراً للصَّبوح ـ فألفيتُه في ذلك اليوم خالياً منه، فسألته عن السبب في تعطيله إياه، فقال: نيرانُ عليّ غضبي ـ يعني جارية لبعض النّخاسين ببغداد ـ وكانت إحدى المحسنَات، وكانت بـارعَة الجمال ظريفةَ اللسان، وكان قد أفرط في حُبّها حتى عُرف به، فقلت له: فما تحبّ؟ قال: تجعل طريقَك على مولاهَا فإنه يستخرجها إليك، فإذا فعل دفعتَ رقعتي هذه إليها ـ ودفع إليّ رقعة فيها:

ضيعتِ عهدَ فتًى لعهدِك حافظٍ ... في حفظِه عَجَب وفي تضييعكِ
/ إن سُمتِه أن تذهبي بِفؤاده ... فبِحُسن وجهِك لا بحسن صنيعك

١١
١٨

(١) ف: «عندي رضاً لا ولا عُتبي».
(٢) في س، ب: «تلهو». تحريف.
(٣) في س، ب: «العبى»، تحريف والعقبي: جزاء الأمر.

[٢٠/٨٣] فقلت له: نعم، أنا أتحمّل هذه الرسالةَ وكرامةً، على ما فيها، حفظاً لروحك عليك، / فإني لا آمن أن يتمادَى بك هذا الأمر. فأخذتُ الرقعة وجعلتُ طريقي على منزل النخاس، فبعثتُ إلى الجارية: اخرجي، فخرجت، فدفعت إليها الرقعةَ، وأخبرتها بخبري فضحكت، ورجعت إلى الموضع الذي أقبَلْتُ منه فجلستُ جِلسةً خفيفةً، ثم إذا بها قد وافتني ومعها رقعة، فيها:

صوت

وما زلتِ تَعصينني[1] وتُغري بيَ الردىٰ ... وتهجُرنني حتى مَرنتَ على الهجر

وتَقطع أسبابي وتنسى مودتي ... فكيف تَرى يا مالكي في الهوى صبري!

فأصبحتُ لا أدري أيأساً تصبُّري ... على الهجر أم جِدَّ البصيرة لا أدري

غنّى في هذه الأبياتِ عمرو بنُ بانةَ، ولحْنه ثقيل أولُ بالبِنصر، ولِمقّاسةَ بنِ ناصح فيها ثقيل آخر بالوُسطى. لحن عمرو في الأول والثالث بغير نشيد.

قال: فأخذْت الرّقعة منها وأوصلْتها إليه، وصرت إلى منزلي، فصنَعْت في بيَتي محمدِ بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً، ثم صرتُ إلى الأمير صالح بنِ الرشيد، فعرّفته ما كان من خبرَي، وغنَّيته الصوتين، فأمر بإسراج دوابه فأُسرجت، وركب فركبت معه إلى النخّاس مولى نيرانَ، فما بَرِحْنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار، وحملها إلى دار محمد بن جَعفر فوهبها له، فأقمنا يومنا عنده.

أخبرنا محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال: حدّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلبيُّ قال:

دخلت على الواثق يوماً وهو خليفةٌ ورَبابُ في حجرِه جالسة، وهي صبية، وهو يلقي عليها قوله:

[٢٠/٨٤] / ضيّعتِ عهدَ فتى لِعهدكِ حافظٍ ... في حفظه عجَب وفي تَضييعكِ

وهي تغنّيه ويردده عليها، فما سمعت غناء قطّ أحسن من غنائهما جميعاً، وما زال يردّده عليها حتى حفظته.

(١) في م، أ: «تقصيني».

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة

شعر لأخيه في فاطمة محبوبته:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال: قال عبدالله بنُ محمدِ بن أبي عُيَينةَ أخو أبي عُيَينةَ في فاطمة - التي كان يُشبّب بها أخوه - بنتِ عمرَ بنِ حفص لمّا تزوجها عيسى بنُ سليمانَ بنِ عليّ، وكان عيسى مبخّلا[1]، وكانت له محابسُ يَحبس فيها البِيَاح[2] ويبيعه، وكانت له ضيعة تُعرف بِدالية عيسى يبيع منها[3] البقولَ والرياحينَ، وكان أولَ من جمع السَّمادَ بالبصرة وباعه، فقال فيه أبو الشمقمق:

إذا رُزق العبــادُ فــإنّ عيســى ... لــه رِزقٌ مــن استـاه العِبــادِ

فلما تزوّج عيسى فاطمَة بنتَ عُمرَ بنِ حفص قال عبدالله بن محمد بن أبي عيينة في ذلك:

أفــاطــمَ قــد زُوِّجْـتِ عيسى فـأبشري ... لــديــه بِــذُلٍّ عــاجــلٍ غيــرِ آجــلِ

فــإنـكِ قــد زُوِّجْـتِ عــن غيـر خبـرة ... فتًى مِـن بنـي العبـاس ليـس بعـاقـل

فــإن قُلـتِ مِــن رَهـط النبـيّ فــإنّـه ... وإن كـان حــرَّ الأصـل عِبـدُ الشمـائـل

/ وقــد قــال فيــه جعفــرٌ ومحمــد ... أقـاويـلَ حتـى قـالهـا كـلُّ قـائـل ١٢/١٨

ومــا قلــتُ مــا قــالا لأنــك أختُنـا[4] ... وفــي البيــتِ منّــا والــذُرا والكــواهــل

/ لعَمــرِي لقــد أثبتُــه فــي نِصــابِــه ... بــأن صــرْتِ منــه فــي مَحـلِّ الحـلائـل [٢٠/٨٥]

إذا مــا بَنُــو العبــاسِ يــومــاً تنــازعــوا ... عُــرا المجــد واختــاروا كــرامَ الخصــائــل

رأيــتَ أبــا العبــاس يسمــو بِنفسِــه ... إلــى بَيْــع بَيّــاحــاتــه والمَبــاقــلِ

قال مؤلف هذا الكتاب: وكان عبْدالله، أخو أبي عُيَينة شاعراً، وكان يقدَّم على أخيه، فأخبرني جَحْظةُ قال:

حدّثني عليُّ بنُ يحيى المنجّمُ قال: قال إسحاق الموصليّ:

شعرُ عبدِالله بنِ أبي عُيَيْنَةَ أحبُّ إليَّ من شِعر أبيه وأخيه. قال: وكان عبدُاللهِ صديقاً لإسحاق.

يصرح أخوه بذكر فاطمة وأنه يعنيها:

قال محمدُ بنُ يزيدَ: ومما قاله في فاطمة وصرّح بذكر القرابة بينهما، وحقق على نفسه أنه يعنيها قوله:

دعَــوتُــكِ بــالقــرابــةِ والجِــوار ... دعــاءَ مصــرِّحٍ بــادى السِّــرار

---

(١) مبخّلا، أي يرمى بالبخل.

(٢) البياح، ككتاب، وكتان: ضرب من السمك.

(٣) في م، أ: «فيها».

(٤) في س: «أختنا»، تحريف.

لأنـي عنـكِ مشغـولٌ بِنفسـيَ ... ومحتـرِقٌ عليـك بغيـرِ نـار
وأنـت تَـوقَّـريـن وليـس عنـدي ... علـى نـارِ الصَّبـابـةِ مِـن وقـار
فـأَنـتِ لأن مـا بـكِ دونَ مـا بـي ... تُـداريـن العـدوَّ ولا أُدارِي
ولَـوْ واللهِ تشتـاقيـن شـوقـي ... جَمحْـتِ إلـى مُخـالعـة العِـذار
ألا يـا وهـبُ فيـمَ فضحْـتَ دُنيـا ... وبُحـتَ بسِـرِّهـا بيـن الجـواري
أمـا والـراقصـات بِكـلِّ واد ... غـوادٍ نحـوَ مكـةَ أو سَـواري
لقـد فضلْتـكِ[1] دنيـا فـي فـؤادي ... كفضـلِ يَـدِي اليميـن عَلَـى اليسـار
فقُـولـي مـا بـدا لـك أن تقـولـي ... فـإنـي لا ألـومـك أن تضـاري

[٢٠/٨٦] / من ظريف شعره فيها:

قال وقال فيها، وهو من ظريف أشعاره:

رَقَّ قلبـي لـكِ يـا نـورَ عَينـي ... وأبـىٰ قلبُـك لـي أن يَـرِقَّـا
فـأَراكِ اللهُ مـوتـي فـإنّـي ... لسـتُ أرضـى أن تمـوتـي وأبقـى
أنـا مِـن وجـدِ بـدنيـايَ منهـا ... ومِـنَ العُـذّال فيهـا مُلَقّـى

صوت

زعمـوا أنـي صـديـقٌ لـدُنيـا ... ليـت ذا البـاطـلَ قـد صـار حقّـاً

في هذا البيت ثُمّ الذي قبله، ثم الأول لإبراهيم لحنٌ ماخوري بالوُسطى عن الهِشاميّ.

قال: وقال فيها أيضاً في هذا الوزن، وفيه غناء محدَث رَمل طُنبوريّ:

عَيشُهـا حُلـو وعيشُـك مُـرُّ ... ليـس مسـرورٌ كمـن لا يُسَـرُّ
كمَـدٌ[2] فـي الحـبّ تَسخُـن فيـه ... عينُـه أكثـرَ ممـا تَقَـرُّ
قلـتُ[3] لـلاّئِـم فيهـا ألْـهُ عنهـا ... لا يقـعْ بينـي وبينـك شَـرُّ
أتُـرانـي مُقصِـراً عـن هـواهـا ... كـلُّ مملـوك إذاً لـيَ حـرُّ

وقال فيها أيضاً، وأنشدَناه الأخفشُ عن المبرِّد، وأنشدَناه محمدُ بنُ العباسِ اليزيديُّ قال:

١٣/١٨ / أنشدني عمي عُبَيدالله لأبي عيينة:

حيـن[4] قـالـت دنيـا عَـلامَ نهـارا ... زُرتَ؟ هـلا انتظرتَ وقـت المسـاءِ!

(١) وفي س، ب: «فضلت»، تحريف.
(٢) في س، ب: «كمديم الحب»، تحريف.
(٣) في س: «قلت لذا اللائم»، تحريف.
(٤) في ب، س: «جئت».

/ إن تكــن مُعْجَبــاً[١] بــرأيــك لا تَفْــرَق فــاستحْــي يــا قليــلَ الحيــاء [٢٠/٨٧]

ذاك إذ رُوحهــا ورُوحــي مِــزاجــا ن كــأصفــى خمــرٍ بــأعــذَب مــاء

معنى له يأخذه البحتري:

قال محمدُ بنُ يزيدَ: وقد أخذ هذا المعنى غيرُه منه ولم يسمّه، وهو البحتريّ، فقال:

صوت

جَعلــتُ حبَّــكِ مــن قلبــي بمنــزلــة هــي المصــافــاةُ بيــن المــاء والــراحِ

تهتــزّ مثــلَ اهتــزاز الغصــن حــرّكــه مــرورُ غيــثٍ مــن الــوَسْمــيّ سَحّــاح[٢]

الغناء في هذين البيتين لِزَرْياب ثقيل أولُ مطلَق في مجرى البِنصَر.

من شعره الذي يكنى فيه عن فاطمة:

ومما قاله أبو عيينة في فاطمة هذه، وكَنى فيه بدنيا قوله:

صوت

ألــمْ تَنْــهَ قلبَــك أن يعشَقــا ومــالَــك والعشــقَ لــولا الشّقَــا

أمِــن بَعــدِ شُــربِــك كــأسَ النُّهــى وشَمِّــك ريحــانَ أهــلِ التُّقــى

عشِقــتَ فــأصبحــتَ فــي العــالَميــن أشهــرَ مِــن فــرسٍ أبلقَــا

أدُنيــايَ مــن غَمــرِ بَحْــرِ الهــوى خــذي بِيــدِي قبــل أن أغــرقَــا

أنــا ابــنُ المهلَّــب مــا مثلــه لــو أنَّ إلــى الخلــد لــي مــرتقــى

/ غنى فيه أبو العُبَيس بنُ حمدونَ، ولحنُه ثاني ثقيلٍ مطلقٌ، وفيه لِعَريبَ ثقيل أول، رواه أبو العُبَيس عنها. [٢٠/٨٨]

قصيدة يذكر فيها دنيا ويفخر بمآثر المهلب:

وهذه قصيدة طويلة يَذكر فيها دنيا ويفخَر بعَقِبِ النسيب بأبيه، ويذكر مآثر المهلَّب بالعراق، ولكن مما قاله في دنيا منها قوله:

أدُنيــاي مــن غَمــر بحــرِ الهــوى خُــذي بيــدي قبــل أن أغــرَقَــا

أنــا لــكِ عبــدٌ فكــونــي كمَــن إذا ســرّه عبــدُه أعتقَــا

ألــم أخــدعِ النــاسَ عــن وصلِهــا وقــد يَخــدعُ العــاقــلُ الأحمقَــا

---

(١) في م، مد: «إن كنت معجباً»، وفي ب، س: «كنت ذا معجباً» وكلاهما تحريف، والمثبت من مو.

(٢) الوسمي: مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات، نسب إلى الوسم، والبيتان من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان، وروايتهما في «الديوان» ١: ١١٣:

تهتــز مثــل اهتــزاز الغصــن أتعبــه مــرور غيــث مــن الــوسمــي سحــاح

ويــرجــع الليــل مبيضــاً إذا ابتسمــت عــن أبيــض خصــر السمطيــن لمــاح

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة، البيت.

بلـى فسبقتُهـم إننـي ... أُحبّ إلى الخيرِ أن أَسبِقَا
ويومَ الجَنـازةِ إذ أرسلَتْ ... علـى رُقعـةٍ[1] أن جُزِ الخَنـدقَا
وعُـجْ ثَـمَّ فـانظـر لنـا مجلِسـا ... بِـرِفـق وإيـاكَ أن تَخـرَقـا
فجئنـا كغُصنَيـن مِـن بـانـةٍ ... قـرينَيـن خِـذنيـن قـد أورقَـا
فقـالـت لأخـتٍ لهـا استنشِـديـه مـن شعـرِه المحكَـم المتقَـى
فقلْـتُ أَمَـرتِ بكتمـانِـه ... وحـذَّرتِ إن شـاعَ أن يُسـرَقـا
فقـالـت بِعيشِـكِ قـولـي لـه ... تمنَّـع لعلـك أن تنفُقَـا

من شعره في دنيا وقد أفحش فيه:

ومن مشهور قوله في دنيا وهو مما تهتّك فيه وصرّح وأفحش وهي من جيد قوله قصيدتُه التي يقول فيها:

أنـا الفـارغُ المشغـولُ والشـوقُ آفتـي ... فـلا تسألـونـي عـن فَـارغـي وعـن شُغلـي
/ عجِبـتُ لتـرك الحُـبّ دنيـا خليـةً ... وإعـراضـه عنهـا وإقبـالـه قُبْلـي[2]
/ ومـا بـالُهـا لمـا كتبـتُ تهـاونـت ... بكُتْبِـي وقـد أرسلْـتُ فـانتهـرَتْ رُسلـي
وقـد جلفَـتْ ألاّ تَخـطّ بكفِّهـا ... إلـى قـابـلٍ خطـا إلـيّ ولا تُملـي
أبخـلا علينـا كـلُّ ذا وقطيعـةً ... قضيـتِ لـدَينـا بـالقطيعـة والبخـل
سلُـوا قلـبَ دنيـا كيـف أطلقَـه الهـوى ... فقـد كـان فـي غُـلٍّ وثيـقٍ وفـي كَبْـل[3]
فـإن جَحَـدَت فـاذكـر لهـا قصـرَ مَعبـدَ ... بمَنْصَـفِ[4] مـا بيـن الأُبُلَّـة[5] والحبـل[6]
ومَلعَبنـا فـي النهـرِ والمـاءُ زاخـر ... قَـرينَيـن كـالغصنَيـن فَـرْعيـن فـي أصـل
ومِـن حـولِنـا الـرّيحـانُ غَضّـا وفـوقَنـا ... ظِـلالٌ مـن الكَـرْمِ المعـرَّش والنخـل
إذا شئـتُ مـالـت بـي إليهـا كـأنّنـي ... إلـى غصـن بـانٍ دِعْصَيـن مـن رَمـل
ليـالـيَ ألقـانـي الهـوى فـاستضفتُهـا ... فكـانـت ثنـايـاهـا بِـلا حِشمـة نُـزْلـي
وكـم لـذّةٍ لـي فـي هـواهـا وشهـوةٍ ... ورَكْضـي إليهـا راكبـاً وعلـى رِجـل
وفـي مـأتـمِ المهـديّ زاحمـتُ رُكْنَهـا ... بـرُكنـي وقـد وطَّنـت نفسـي علـى القتـل
وبِتنـا عَلَـى خـوفٍ أُسكّـن قلبهـا ... بِيُسـراي واليمنـىٰ عَلَـى قـائـم النَّصـل

(١) في م، أ: «رقبه»، أي رقابة.
(٢) إقباله قبلي: قصده نحوي.
(٣) الكبل: القيد.
(٤) منصف: منتصف.
(٥) الأبلة: بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. وهي أيضاً نهر يضرب إلى البصرة حفره زياد.
(٦) الحبل: موضع بالبصرة على شاطىء نهر الفيض وضبطه في «معجم البلدان» كزفر، و«القاموس» كسهل.

فيـا طِيـبَ طعـمِ العيـش إذ هـي جـارةٌ ... وإذ نفسُهـا وإذ أهلُهـا أهلـي
وإذ هـي لا تعتـلّ عنـي بِـرِقبَـةٍ ... ولا خـوفِ عيـنٍ مـن وُشـاةٍ ولا بَعـل
فقـد عَفَـت الآثـارُ بينـي وبينهـا ... وقـد أوحشَـت منـي إلـى دارهـا سُبْلـي
ولمـا بلـوتُ الحـبَّ بعـد فِـراقهـا ... قضَيـت عَلَـى أم المحبيـن بـالثُّكـل
/ وأصبحـت معـزولاً وقـد كنـت واليـاً ... وشتـان مـا بيـن الـولايـة والعـزل [٢٠/٩٠]

من شعره فيها، وقد وصف فيه قصراً:

صوت

ومما قاله فيها وفيه غناء:

ألا فـي سبيـل الله مـا حـلّ بـي منـكِ ... وصبـرُكِ عنـي حيـن لا صبـرَ لـي عنـكِ
وتـركُـك جِسمـي بعـد أخـذكِ مهجتـي ... ضئيـلاً كَـان مـن قَبْـل ذا تـركـي
فهـل حـاكِـمٌ فـي الحـب يَحكـمُ بيننـا ... فيـأخـذَ لـي حقـي ويُنصِفَنـي منـك

لِسُلَيم في هذه الأبيات هزَج مطلَق في مجرى الوُسطى، وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه، وهي من عجيب شعره:

لقـد كنـتُ يـومَ القَصـر ممـا ظَننْـت بـي ... بـريئـاً[1] كمـا أنـي بـريءٌ مـن الشِّـرْكِ
يـذَكّـرنـي الفِـردَوسَ طـوراً فـأرعَـوي ... وَطـوراً يـواتيـني إلـى القَصـف والفتـك
بِغَـرسٍ كـأبكـار الجـواري وتُـربَـةٍ ... كـأن ثـراهـا مـاءُ وَردٍ علـى مسـك
وسِـرْبٍ مـن الغِـزلانِ يَـرتعْـن حـولَـه ... كمـا استُـلّ منظـومٌ مـن الـدُّر مـن سِلـك
وورقـاءَ تحكّـى المَـوصِلـيّ إذا غَـدت ... بتغـريـدهـا أحبِـبْ بهـا وبِمَـن تحكـي
فيـا طِيـبَ ذاك القصـرِ قصـراً ومنـزلاً ... بـأفيـحَ سهـلٍ غيـرِ وَعْـر ولا ضَنْـك
كـأن قصـورَ القـومِ ينظـرن حـولَـه ... إلـى مَلِـكٍ مُـوفٍ عَلَـى مِنبـر المُلـك
/ يُـدِلّ عليهـا مستطيـلاً[2] بِظِلّـه ... فيَضحـك منهـا وهْـي مُطـرِقـةٌ تبكـي

١٥ / ١٨

يعده الفضل بن الربيع أشعر زمانه:

أخبرني أحمد بنُ عُبيدِالله بنِ عَمار قال: حدثني عليّ بنُ عمرو الأنصاريّ، قال: سمعت الأصمعي يذكر أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه:

/ مَن أشعر أهل عصرِنا؟ فقالوا فأكثروا، فقال الفضل بن الربيع: أشعر أهلِ زماننا الذي يقول في قصرٍ [٢٠/٩١]

(١) في مد: «بريا».
(٢) كذا في م، أ. وفي س، ب: «مستظلاً بظلها».

عيسى بنِ جعفر بالخُرَيْبَة[١] ـ يعني أبا عُيَينَة:

زُرْ واديَ القَصرِ نِعم القَصرُ والوادي ... وحبّذا أهلُه من حاضرٍ بادي

تُرفا[٢] قَراقيرُه[٣] والعِيسُ واقفة ... والضبّ والنونُ[٤] والملاّح والحادي

يحذر سعيد بن عباد عاقبة زواج له:

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ مُجمع قال: تزوّج سَعيد بنُ عَبادِ بنِ حبيب بن المهلّب بنتَ سفيانَ بنِ معاويةَ بنِ المهلّب ـ وقد كان تزوجها قبله رجلان فدفنتهما، فكتب إليه أبو عُيَينة:

رأيتَ أثاثَها فرغبتَ فيه ... وكم نَصبتْ لغيرِك بالأثاث

إلى دار المنون فجهّزتْهم ... تَحُثُّهُم بأربعةٍ حِثاث

فَصَيِّرْ أمرَها بيدَيْ أبيها ... وعَيشِك من حِبالك بالثلاث

وإلاّ فالسلامُ عليك منّي ... سأبدأ من غدٍ لك بالمراثي

يعاتب إسحاق لتأخره عن دعوة إلى مجلس:

أخبرني محمد بنُ مَزْيَدَ الصوليُّ قال: حدثنا حَماد بنُ إسحاق عن أبيه، قال:

كان عليُّ بن هشام قد دعاني ودعا أبا عُيَينة وتأخرْتُ عنه حتى اصطبحنا شديدا، وتشاغلْتُ برجُل كان عندي من الأعراب، وكان فصيحاً لأكتبَ عنه، وكان عنده / بعضُ من يعاديني ـ قال حماد: كأنه يومىء بهذا القول إلى [٢٠/٩٢] إبراهيمَ بنِ المهديّ ـ فسأل أبا عُيينةَ أن يعاتبني بشعرٍ ينسُبني فيه إلى الخُلف فكتب إليّ:

يا مليئاً بالوعد والخُلف والمَطْ ... ـلِ بطيئاً عن دَعوة الأصحاب

لَهِجاً بِالأعراب إنّ لدينا ... بعضَ من تشتهي من الأعراب

قد عرفنا الذي شُغلتَ به عنّا ... وإن كان غير ما في الكِتاب

قال: فكتبْتُ إلى الذي حَمل أبا عُيَينةَ على هذا ـ يعني إبراهيم بن المهدي:

قد فهِمتُ الكتابَ أصلحك الله وعندي إليك ردُّ الجوابِ

ولَعَمري ما تُنصفون ولا كا ... ن الذي جاء منكمُ في حِسابي

لَسْتُ آتيك فاعْلَمنّ ولا لي ... فيك حظ مِن بَعدِ هذا الكتاب

(١) «الخريبة»: موضع بالبصرة، ويقال: إنه سمي بذلك لأن المرزبان كان ابتنى به مقرا وخرب بعد، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية، وسموها الخريبة. وفي س: «الحزينة»، وفي ب، الخريبة وفي م، أ: «الحزبية». وكله تحريف.

(٢) رفأ السفينة كمنع: أدناها من الشط.

(٣) القراقير، جمع قرقور كعصفور: السفينة أو الطويلة، أو العظيمة ورواية «معجم البلدان»:

يا وادي القصر نعم القصر والوادي ... من منزل حاضر إن شئت أو بادي

ترى قراقيره والعيس واقفة ... والضب والنون والملاح والحادي

(٤) النون: الحوت.

ينسب إليه شعر وجد منقوشاً على حجر:

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقي[1] قال حدّثني عبدُالله بنُ أبي سعدٍ قال: حدّثني إبراهيمُ بن إسحاق العُمَري قال: حدثنا أبو هاشم الإسكندراني، عن ابن أبي لَهِيعة قال:

حُفِرَ حَفرٌ في بعضِ أفنيةِ مكةَ، فوُجد فيه حَجرٌ عليه منقوش:

مـا لا يكـون فـلا يكـون بحيلـةٍ أبـداً ومـا هـو كـائـنٌ فيكـون

سيكـون هـو كـائـن فـي وقتِـه وأخـو الجهـالـةِ مُتعَـب محـزون

/ يَسعـى القـويُّ فـلا يَنـال بسعيـه حظّـا ويحظـى عـاجـزٌ ومهَيـن

١٦/١٨

قال ابنُ أبي سعدٍ: هكذا في الحديث، وقد أنشدني هذه الأبياتَ جماعةٌ لأبي عُيَينَةَ.

[٩٣/٢٠]

ا / **هو عند الفضل بن الربيع أشعر من أبي نواس:**

حدّثني عمّي قال، حدّثني عُمرُ بن محمدِ بنِ عبدالملك، قال: حدّثني عليّ بنُ عمروس الأنصاريُّ عن الأصمعيّ قال:

قال لي الفضلُ بنُ الرّبيع: يأصمعيّ، مَن أشعرُ أهل زمانك؟ فقلت: أبو نُواس قال: حيث يقول ماذا؟ قلت: حيث يقول:

أمـا تَـرَى الشمـسَ حَلّـت الحمَـلا وقـام وزنُ الـزمـان فـاعتـدلا

فقال: والله إنه لَذِهنٌ[2] فطِن، وأشعر عندي منه أبو عُيَينَةَ[3].

شعره في دنيا حين زوجت:

حدّثني عمي، قال: حدّثني فضلٌ اليزيديّ: عن إسحاق أنه أنشده لأبي عُيَينة في دُنيَا التي كان يُشبّب بها، وقد زوّجت وبلغه أنها تُهْدَى إلى زوجِهَا، وكَان إسْحاقُ يستحسن هذا الشعر ويستجيده:

أَرى عهـدَهـا كـالـوَرد ليـس بَـدائـمٍ ولا خيـرَ فيمـن لا يـدوم لـه عهـدُ

وعهـدي لهـا كـالآس حسنـا وبهجـةً لـه نَضْـرةٌ تبقـى إذا مـا انقضـى الـورد

فمـا وَجـد العُـذريُّ[4] إذ[5] طـال وَجـدُه بَعفْـراء[6] حتـى سَـلَّ مهجتَـه الـوجـد

كـوَجـدي غـداة البيـن عنـد التفـاتهـا وقـد شـفّ عنهـا دون أتـرابهـا البُـرد

فقلْـتُ لأصحـابـي هـي الشمـس ضـوءهـا قـريـب ولكـن فـي تنـاوُلهـا بُعـد

---

(١) م، مو: «الوراق».

(٢) كذا في أ، مد. وفي س، ب: «لدهن»، تحريف.

(٣) م، أ: «ابن أبي عيينة».

(٤) العذري: المنسوب إلى عذرة، حي من قضاعة، ينسب إليهم العشق. والمراد به عروة بن حزام، أحد العشاق المضروب بهم المثل في شدة الوجد.

(٥) كذا في مد، في س: «إذا»، تحريف.

(٦) هي عفراء بنت مهاصر بن مالك، عم عروة.

وإنّـي لِمَـن تُهـدَي إليـه لحَـاسـد جـرى طـائـري نَحسـا وطـائـره سعـد

[٢٠/٩٤] / **أخوه يهجو عيسى بن سليمان وقد تزوج فاطمة محبوبته:**

أخبرني عمي قال حدّثني أحمدُ بنُ يزيدَ المليُّ قال:

سألتُ أبي عن دُنيا التي ذَكَرها أبو عُيَيْنَةَ بنُ محمدِ بن أبي عُيينة في شعره، وقلت: إن قوماً يقولون: إنها كانت أمَة لبعض مُغَنّي البصرة، فقال: لا، يا بنيّ، هي فاطمةُ بنتُ عُمر بن حفصِ هَزارَ مرْدَ بن عثمانَ بنِ قَبيصةَ أخي المهلَّب، وكان عيسى بنُ سليمان بنِ عليٍّ أخو جعفرٍ ومحمدِ ابني سليمان تزوّجها، وهجاه عبدالله بنُ محمدِ بن أبي عُيينة، أخو أبي عُيَيْنة فقال:

أفـاطـم قـد زُوِّجـتِ عيسـى فـأبشـري لـديـه بِـذُلٍّ عـاجـلٍ غيـرِ آجـل

فـإنـكِ قـد زُوِّجـتِ عـن غيـرِ خِبـرة فتًـى مِـن بنـي العبـاسِ ليـس بعـاقـل

وذكر باقيَ الأبيات، وقد مضت متقدما.

يصرح بنسبه الجامع له ولفاطمة:

قال أحمد بن يزيد: ثم أنشدني أبي لأبي عُيَيْنة يُصرِّح بِنَسبِهِ الجامع له ولفاطمةَ من أبيات له:

ولأنـتِ إن مـسَّ المصـابـةُ بـي فتجنَّبـي قتلـي بـلا وِتـر

فلئـن هلَكـتُ لَتَلْطِمِـنَّ جـزَعـا خـدَيـك قـائمـةً علـى قبـري

من شعره الذي يكنى فيه بدنيا:

قال أحمد: وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك، وأنه كان يَكنى بدُنيا عن غيرها:

مـا لِـدُنيـا تجفـوكَ والـذنـبُ منهـا إنَّ هـذا منهـا لَخَـبٌّ ومَكـر

عـرفَـتْ ذنبُهـا إلـيّ فقـالـت ابْـدَءوا القـومَ بـالصيـاح يَقـرّوا

قـد أمـرْتُ الفـؤادَ بـالصبـر عنهـا غَيـر أنْ ليـس لـي مـع الحـبِّ أمـر

[١٧/١٨] / وكتمـتُ اسمَهـا حِـذاراً مـن النـا س ومِـن شـرُّهـم وَفـي النـاس شـرّ

[٢٠/٩٥] / ويقـولـون بُـحْ لنـا بـاسـم دُنيَـا واسـمُ دنيَـا سـرٌّ علـى النـاس ذخـر

ثـم قـالـوا لِيعلمـوا ذات نفسـي أعَـوانٌ دنيـاك أم[١] هـيَ بِكـر

فتنفسْـت ثـم قلـت أبكـر شَـبَّ يـا أخـوتـي عـن الطّـوق عمـرو[٢]

شعر له ينصح فيه بترك الإلحاح:

أخبرني جعفر بنُ قدامةَ قال: حدّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبدالملك الزيات قال: حدّثني أبو خالد الأسلميّ قال: كان ابنُ أبي عُيَينة المهلّبي صديقي، وهو أبو عُيَيْنَةَ بنُ المِنجاب بن أبي عُيَينة، فجاءه رجل من جيرانه كان

---

(١) كذا في م، مد. وفي س، ب: «أو».

(٢) هو عمرو بن عدي، وخاله جذيمة. وكبر عمرو عن الطوق: مثل يضرب لمن يلابس ما هو دون قدره.

يستثقله، فسأله حاجة فقضاها، ثم سأله أُخرى فوعده بها، ثم سأله ثالثة فقال:

خفِّف عَلَى إخوانك المُؤَنا ... إن شئت أن تَبْقَى لهم سكَناً

لا تُلحفنَّ إذا سألت ففي الـ ... إلحاف إجحاف بهم وعنَا

فقام الرجل وانصرف.

يطلب عزل أمير البصرة فلا يجاب ويمنح صلة عوضا:

أخبرني أبو دُلَفٍ هَاشمُ بنُ محمدٍ، قال: حدّثني المبرِّد قال:

وَفد ابن أبي عُيَينة إلى طاهرِ بنِ الحُسين يسأله أن يعزِلَ أمير البصرة، وكان من قِبَله فدافعه، وعرض عليه عِوَضاً خطيراً من حاجته، ووعده أن يستصلحَ له ذلك الأمير ويزيلَه عما كرهه، فأبى عزله وأجزل صلَته، فقال ابن أبي عيينة فيه:

يا ذا اليمينين[1] قد أوقرتَني مِنَنا ... تَترى هي الغاية القصوى من المنَنِ

ولستُ أستطيع مِن شكر أجيء به ... إلاّ استطاعةَ ذي رُوح وذي بدن

/ لو كنتُ أعرف فوقَ الشكر منزلة ... أوفى من الشكر عند الله في الثمنِ [٢٠/٩٦]

أخلصتُها لك من قلبي مهذّبةً ... حَذواً عَلَى مثل ما أوليتَ من حسن

أساء والي البصرة جواره فطلب عزله فأجيب إلى طلبه:

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي عن أبي عِكرمةَ عامرِ بنِ عِمران، وأخبرني به عمي عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيّ عن أبيه قال:

كان إسماعيلُ بنُ سليمانَ والياً عَلَى البصرة خَليفة لطاهرِ بنِ الحُسين، فأساء مجَاورةَ ابنِ أبي عُيَينة حتى تباعد بينهما وقبح، وأظهر إسماعيل تنقصّه وعيبَه، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل، ويسعى في عزله عن البصرة، فبَعُد ذلك عليه بعض البُعد، وسافر طاهرُ بن الحُسين إلى وجهٍ أمر بالخروج إليه، فصحِبه ابنُ أبي عُيينة في سفره، فتَدَمّم من ذلك، وأمر بإيصاله إليه، فلما دخل ابنُ أبي عُيينة إليه سأله عن حوائجه وأدناه، وأمره برفعها فأنشده:

مَن أوحشَتْه البلادُ لم يُقِم ... فيها ومَن آنستَه لم يَرِمِ

وَمَن يَبِتْ والهمومُ قادحة ... في صدرِه بالزِّنادِ لم ينم

وَمَن يرَ النقصَ مِن مَواطنه ... يُزل عن النقص مَوطِئ القدم

والقرب ممن ينأى بجانبه ... صدع عَلَى الشعب غير ملتئم[2]

ورُبّ أَمرٍ يعيا اللبيبُ به ... يظلّ منه في حيرة الظُّلَم

صَبرٌ عليه كَظْمٌ عَلَى مَضَض ... وَتَركه من مواقع الندم

(١) لقب بذلك لأنه ضرب شخصاً بيساره فقده نصفين، فلقبه به المأمون.

(٢) زيادة من م، مو، مد.

١٨/١٨

/ يــاذا اليمينيــن لــم أَرْزك وَلــم ... آتــك مــن خَلّــة ومــن عَــدَم

إنــي مــن الله فــي مَــراحِ غِنــى ... ومُغتــدَى(١) واســعٍ وفــي نِعــم

[٢٠/٩٧]

/ زارتــك بِــي هِمــةٌ مُنــازِعــة ... إلــى العــلا مِــن كــرائــم الهِمــم

وإننــي لِلجميــل محتمِــل ... فِــي القَــدْرِ مِــن مَنصِبــي ومِــن شيمــي

وقــد تعلّقــت منــك بــالــذمــم الكبــرى التــي لا تَخيــبُ فــي الــذمــم

فــإن أنــل بُغيتــي فــأنــت لهــا ... فــي الحــق حــقُّ الــرجــاء والــرَّحــم

وإن يَعُــقْ عــائــقٌ فلســتَ علــى ... جميــلِ رأيِ عنــدي بمتّهَــم

فــي قــدَر الله مــا أُحَمّلُــه ... تعــويــق أمــرىء فــي اللّــوح والقلــم

لــم يَضِــق الصبــرُ والفِجــاجُ علــى ... حُــرّ كــريــمٍ بــالصبــر معتصِــم

مــاضٍ كحــدِّ السنــان فــي طَــرفِ العــامِــل(٢) أو حَــدِّ مصلَــت خَــذِم(٣)

إذا ابتــلاه الــزمــانُ كشّفــه ... عــن ثــوب حُــرّيــةٍ وعــن كــرم

مــا ســاء ظنــي إلا بِــواحــدة ... فــي الصــدر محصــورةٍ عــن الكلِــم

ليَهْــنَ قــومٌ جُــزْتَ المــدى بهِــمُ ... ولــم تقصّــر فيهــم ولــم تُلــم(٤)

وليــس كــلُّ الــدّلاءِ راجعــةً ... بــالنّصــف مــن مَلئهــا(٥) إلــى الــوذَم(٦)

تَــرجــع بــالحَمــأة(٧) القليلــة أحيــانــاً ورَنْــق الصُّبــابــةِ(٨) الأَمــم(٩)

مــا تُنبــت الأرضُ كــلَّ زَهــرتهــا ... ولا تَعُــمّ السمــاءُ بــالــدِّيَــم

[٢٠/٩٨]

/ مــا فــيّ نَقــص عــن كــلّ منــزلــة ... شــريفــةٍ والأمــور بــالقِسَــم

فأجابه طاهر:

مَــن تستضفْــه الهمــومُ لــم يَنَــمِ ... إلاّ كَنــومِ المــريــض ذي السّقــم

ولا يــزَلْ قلبُــه يكــابِــد مــا ... تُــولِــد فيــه الهمــومُ مــن ألَــم

وقــد سمعْــتُ الــذي هتفْــتَ بــه ... ومــا بــأذنــي عنــك مــن صمــمِ

---

(١) كذا في م، أ. وفي س، ب: «منتدى»، تحريف.

(٢) العامل: طرف الرمح مما يلي السنان.

(٣) خذم: قاطع.

(٤) زيادة من م، مو، مد.

(٥) في س، ب: «مائها».

(٦) الوذم: السيور بين آذان الدلو إلى العراقي، جمع عرقوة كثر قوة، وهي من الدلو خشبتان تعرضان عليها كالصليب.

(٧) الحمأة: الطين الأسود.

(٨) الصبابة: البقية من الماء.

(٩) الأمم: اليسير.

وقــد عَلمنــا أَنْ لســتَ تَصحبنـا لِقَـاقَـةٍ فيـك لا ولا عَـدم
إلا لِحَـقٍّ وحُـرمـةٍ وعلـى مثلـك رَعـيُ الحقـوق والحُـرَم
أَنـتَ امـرُؤٌ لا تـزول عـن كـرمٍ إلا إلـى مثلـهِ مـن الكـرم
وأنـت مـن أُسـرةٍ جَحـاجِحـة فـازوا بحسـنِ الفعـالِ والشِّيـم
فمـا تَـرُمْ مِـن جسيـم منـزلـةٍ فـالحكـم فيـه إليـك فـاحتكـم
إن كنـت مُستقيـاً سَمـاحتنـا منّـا تَجُـدْكَ اليـدان بـالـدِّيـم
أَو تَـرِمْ فـي بَحـرنـا بـدَلـوك لا نُعـدمْـك مَلئـاً لهـا إلـى الـوَذم
إنـا أُنـاس لنـا صنـائعُنـا فـي العُـرْب معـروفـةٌ وفـي العجـم
مغتنِمـو كسـبِ كـلِّ مَحْمَـدةٍ والكسـبُ لِلحمـد غيـرُ مغتنَـم

فاحتكم عليه أبو عُيَينة في عزل إسماعيلَ بنِ جعفر عن البصرة، فعزله عنها وأمر له بمائة أَلفِ / درهم. ١٩/١٨

شعره في والي البصرة بعد عزله:

فقال أبو عُيَيْنة في عزْله[1] إسماعيل بنَ جعفر عن إمارة البصرة:

لا تَعـدَمِ العَـزْل يـا أَبـا الحسـنِ ولا هُـزالاً فـي دولـة السِّمَـن
ولا انتقـالا مِـن دارِ عـافيـةٍ إلـى ديـارِ البـلاء والمِحـن
/ أنـا الـذي إن كفـرْتَ نِعمتـه أذاب مـا فـي جنبَيـك مـن عُكَـن[2] [٩٩/٢٠]

يهجو نزاراً، فيرد عليه ابن زعبل:

حدثني عيسى بنُ الحسين قال: حدثني محمد بنُ عبدِالله الحَزَنْبَلُ الأصبهانيّ قال:

كان ابنُ أَبي عُيَيْنة قد هجا نِزاراً بقصيدة له مشهورةٍ، وفضّل عليها قحطان، فقال ابن زَعْبل يهجوه ويرد عليه، واسمه عمرُو بن زَعْبل:

بُنَـيّ أبـي عُيَيْنـة مـا نطقْـتَ بـه مـن اللَّغـط؟
علـى مـا أنـت ملتحِـف مـن الأوجـاع فـي الوسـط
لِمـا فـي الـدُّبْـر مـن نَغَـل ومـا فـي العِـرْضِ مـن سَقـط
أتتنـا الخَمـسُ والمـائتـا ن بـالنَّعمـاء والغِبَـط
أميـرٍ مـن هـلالٍ مسـ تطيـل البـاع منبَسـط
شـريـف ليـس بـالمدخـو ل فـي عِـرضٍ ولا رَهَـط
أظنـك مِـن يـديـه وا قعـاً لا شـك فـي وَرَطِ

---

(١) م، أ: «أبو عيينة يذكر عزله».

(٢) العكن: جمع عكنة، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

وو الـ ـى الخَـرجِ فيـاض الـ ـيَـدَيْـن بنـائـل سَبِـط[١]
لـه نِعَـم حبـاك بهـا فلـم تحفـظ ولـم تَحُـطِ
وقـاضٍ مـن أميـر المـؤ منيـن يقـوم بـالقِسَـط
يَسُـرُّكَ أن مـن آ ل قحطـانٍ علـى شحَـط
وأنـك إن ذُكـرتَ يقـا ل شيـخٌ فـاسـقُ الشمَـط[٢]
[٢٠/١٠٠] / أعبـدٌ مـن عَبيـد عُمـا ن عـاب منـاقـبَ السِّبِـط
وتهجـو الغـرّ مـن مُضـر كفـى هـذا مـن الشَّطَـط
تَيمَّـمْ فـي مُقَيَّـرة[٣] مَسيـراً غيـر مغتبـط[٤]
مجـوّفـةٍ مـزيَّنـة بـوَدْع[٥]لاح كـالـرَّقَـط
بنُـوك تَجـرهـا بـالقَلْـ ـسِ مـؤتـزريـن بـالفُـوَط
متـى غمسـوا[٦] مَـراديهـم[٧] لجِـدّ السيـر تَحتلـط[٨]
وأنـتَ بمـوضـع السُّكّـا ن يُمسكـه بـلا غلـط
عليـك عبـاءةٌ مشكـو كـةٌ بـالشّـوك لـم تُخَـطِ
فطيِّـبْ ريـحَ بلـدتنـا فِـرارُك خيفـةَ الشُّـرَطِ
وأنـك قـد عُـرفـتَ بكثـ ـرة التخليـط والغلـط
تـرى الخُسـران إن لـم تـز نِ فـي يـوم ولـم تَلُـط

طلبه المأمون لهجائه نزاراً ففر إلى عمان:

٢٠/١٨ قال: وكان ابنُ أبي عُيَينة لما هجا نِزاراً بلغ شعرُه المأمون، فنذر دمه، فهرب من البصرة / وركب البحر إلى عُمانٍ، فلم يزَل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون.

[٢٠/١٠١] / أخبرني أحمدُ بن عُبيدالله بنِ عَمّار قال: حدثني ابن مَهْرُويه عن أبيه بِقصة ابنِ أَبي عُيَينة مع ابن زَغْبلٍ، فذكر نحو الخبرِ المتقدم.

---

(١) سبط: ممتد.
(٢) الشمط: بياض الرأس يخالطه سواد.
(٣) مقيرة، المراد سفينة مطلية بالقار.
(٤) مغتبط: مغبوط.
(٥) الودع: خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر.
(٦) كذا في مد. س: «غمزوا»، تحريف.
(٧) كذا في م، أ. وفي س، ب: «مداريهم» تحريف. والمرادي جمع مرداة، وهي خشبة تدفع بها السفينة.
(٨) كذا في م، أ، أي تسرع. وفي س، ب: «تختلط».

يشبب بوهبة ثم يعدل إلى دنيا:

حدثني عمي قال: حدثني أحمدُ بن يزيدَ المهلبيُّ؛ قال: حدثني أبي قال:

كان ابنُ أبي عُيَينة يشبّبُ بوَهبةَ جاريةِ القَروي، وهي التي يقول فيها فروج[1] الزنى قوله:

يـا وهـب لـم يَبـقَ لـي شـيء أُسَـر بـه ... إلا الجلـوس فتسقينـي وأسقيـكِ

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا، وذكرهما جميعاً في شعره فقال:

أرسلَـتْ وَهبـةُ لمـا رأتنـي ... بَعـد سُقْـم مـن هـواهـا مُفيقـا:

أتغيّـرتَ كـأن لـم تكـن لـي ... قبـل أن تعـرفَ دُنيـا صـديقـا

قـد لَعَمـري كـان ذاك ولكـن ... قَطعَـتْ دُنيـا عليـك الطـريقـا

شعر له يدل على أنه كان يكنى بدنيا عن فاطمة:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال:

لما وُلي عُمَر بنُ حفص هَزارَ[2] مَرْدُ البصرة - قال ابن أبي عُيَينة في ذلك وفي دنيا يكنى بها عن فاطمة بنتِ عُمر بن حفص صاحبته:

هنيئـاً لِـدنيـا هنيئـاً لهـا ... قـدومُ أبيهـا علـى البَصْـرهْ

علـى أنهـا أظهـرَتْ نَخْـوةً ... وقـالـت لِـيَ المُلـكُ والقـدرهْ

فيـا نـورَ عَينـي كـذا عـاجـلا ... علـيّ تطـاولْـتِ بـالإمـرهْ

قال: وهذا دليل على أنه كان يَكنى عن فاطمةَ بدنيا، لا أنه كان يهوَى جاريتها دنيا.

/ قال أحمدُ بن يزيدَ: وفيها يقول أيضاً: [٢٠/١٠٢]

يـا حسنَهـا يـومَ قـالـت لـي مُـودِّعـة ... لا تنسَ مـا قلـت، مِـن فيهـا إلـى أُذنـي

كـأننـي لـم أصِـلْ دنيـا عـلانيـةً ... ولـم أزُر أهـل دنيـا زَورةَ الخَتَـن

جِسمـي معـي غيـر أن الـرُّوحَ عنـدكـمُ ... فـالـرُّوحُ فـي وطـنٍ والجسـمُ فـي وطـن

فلْيعجـب النـاسُ منـي أنّ لـي جسـداً ... لا رُوحَ فيـه ولـي[3] رُوحٌ بـلا بـدن

وفي هذه الأبيات هزَج طُنبوريّ مُحدَث.

يرثي أخاه داود وقد مات في طريقه إليه:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال:

---

(١) ذكر في «الأغاني» (١٣: ١٢٦) باسم فروخ الطالحي. وفي «معجم الشعراء»: ٥٠٤ باسم فروخ الطلحي المدني. قال: ويقال فرخ الزني.

(٢) هزار مرد: كلمة فارسية معناها ألف رجل.

(٣) كذا في ب، م، أ، مد. وفي س: «ولا روح» تحريف.

وَرد على ابنِ أبي عُيَينة كتابٌ من بعض أهله بأن أخاه داودَ خرج إليه ببريد[١]، فمات بهَمذان، فقال ابنُ أبي عُيينة عند ذلك يرثيه:

أنائحةَ الحَمامِ قِفي فنوحي ... على داودَ رَهناً في ضريح
لدى الأجيال[٢] من هَمذان راحت ... به الأيام للموت المُريح
ولَم يشهدْ جنازتَه البواكي ... فتبكيَه بمُنْهَلٍّ سَفوح
وكُوني مثلَه إذ كان حياً ... جواداً بالغَبوقِ وبالصَّبوح
أنائحةَ الحَمامِ فلا تشحّي ... عليه فليس بالرجل الشحيح
ولا بمُثمِّرٍ مالاً لِدُنيا ... ولا فيها بِمِغمارٍ طموح
يبيع كثير ما فيها بباق ... ثمينٍ من عواقبه ربيح
ومن آل المهلّب في لُباب ... لُبابِ الخالص المحْضِ الصريح
/ همو أبناءُ آخرة ودنيا ... وأهدافُ المراثي والمديح

[١٠٣/٢٠] [٢١/١٨]

يقدم إلى الكوفة فيحب قينة فيها:

أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بنُ يزيدَ عن أبيه قال:

قَدِم أبو عُيَينة إلى الكوفةِ في بعض حوائجه، فعاشره جماعة من وجوه أهلها، وأقام بها مدة، وأَلِف فيها قَينة كان يعاشرها وأحبها حبّاً شديداً، فقال فيها:

لَعَمري لقد أُعطيتُ بالكوفة المُنى ... وفوق المُنىٰ بالغانيات النَّواعم
ونادمتُ أختَ الشمس حسناً فوافقت ... هواي ومثلي مثلَها فليُنادمِ
وأنشدْتُها شعري بِدُنيا فعربَدَت ... وقالت: مَلولٌ عهدُه غيرُ دائم
فقلْتُ لها يا ظبيةَ الكوفة اغفِري ... فقد تبْتُ مما قلْتُ توبةَ نادم
فقالت قد استوجَبْتَ منا عقوبة ... ولكن سنَرعىٰ فيك رُوحَ ابنِ حاتمِ

شعره في بستان له وضيعة:

قال أحمدُ بن يزيد، قال لي أبي:

كان لابنِ أبي عُيَينة بُستانٌ وضَيعةٌ في بعض قطائع المهلّب بالبصرة، فأَوطنَها[٣] وصيّرها منزلَه، وأقام بها، وفيها يقول:

---

(١) كذا في س، ب. م، أ: «يريده».
(٢) كذا في م، أ. س، ب: «الأجباب»، جمع جب وهو البئر التي لم تطو، أو مما وجد لا مما حفره الناس.
(٣) أوطنها: اتخذها وطناً.

يا جنةً فاقت الجِنان فما ... تَبلغُها قيمةٌ ولا ثَمَنُ
ألِفتُها فاتخذتُها وطنا ... إنّ فؤادي لأهلِها وطن
زُوِّج حيتانُها الضِّبابَ بها ... فهذه كَنَّةٌ[1] وذا خَتَن[2]
فانظرْ وفكِّر فيما نطقتُ به ... إنّ الأريبَ المفكِّر الفطن
مِن سفنٍ كالنَّعامِ مُقبلة ... ومِن نَعامٍ كأنها سفن

[٢٠/١٠٤]

/ ينشد الموصلي من شعره:

أخبرني عيسى بن الحُسين قال: حدّثنا الزبير بن بكّار وقال: حدثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوصليُّ، أن أبا عيينة أنشده لنفسه:

صوت

لا يكُنْ منكِ ما بدا لي بعينيـ ... ـكِ من اللحظِ حِيلةٍ واختداعا
إن يكن في الفؤاد شيء وإلاّ ... فدَعِيني لا تقتليني ضَياعا
فلَعَلّي إذا قربتُ تباعدْ ... تِ وأظهرتِ جَفوة وامتناعا
حين نفسي لا تستطيع لِما قد ... وقَعت فيه مِن هواها ارتجاعا

في هذه الأبيات رَمل مطلَق محدَث.

كان أخوه عبدالله شاعراً وله شعر في عتاب خالد البرمكي:

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال: حدثني أَبي قال:

كان عبدُالله بن محمدِ بن أَبي عُيَينة أخو أَبي عُيينة شاعراً، وهو القائل يعاتب محمدَ بنَ يحيى بنِ خالدِ البرمكيَّ بأبيات رائية أولها:

اسلَمْ وإن كان فيك عنّي ... قَبْضٌ لِكفّيك وازورارُ
تَلحظني عابساً قطوبا ... كأنما بي إليك ثار
لو كان أمر عتبتَ فيه ... يجوز منه لِيَ[3] اعتذار
أو كنتُ سآلة حريصا ... لحانَ مِنّي لك الفِرار
أو كنتُ نَذلا عَديمَ عقل ... لا مَنصِبٌ لي ولا نِجار
أوْ لم أكن حاملاً بِنفسي ... ما تحمل الأنفس الكبار
/ وأنني من خِيار قومي ... وكلُّ أهلي فتى خيار

(١) الكنة: امرأة الابن.
(٢) الختن: زوج الابنة.
(٣) س: «يجوز لي منه»، تحريف.

[١٠٥/٢٠] / عــذرْتُ إن نــالنـي جفـاء ... منـك وإن نـالنـي ضِـرار
لكـنّ ذنبـي إليـك أنـي ... قحطـانُ لـي الجَـدّ لا نِـزار
عليـك منـي السلام، هـذا ... أوانُ يَنـأى بـيَ المـزار
مـا كنـت إلاّ كلَحـم مَيْـت ... دعـا إلـى أكلـه اضطـرار
راحَـت عَلَـى النـاسِ لابـنِ يحيـى ... محمـدٍ دِيمـةٌ غِـزار[١]
ولـم يكـن مـا أنلْـتُ[٢] منـه ... بقـدْر مـا يَنجلـي الغبـار
قـد أصبـح النـاسُ فـي زمـان ... أعـلامُـه السُّفْلـة الشِّـرار
يستـأخـر السـابـقُ المُـذَكّـى ... فيـه ويَستقـدِم الحِمـار
وليـس لِلمـرء مـا تمنـى ... يـومـاً ومـا إنْ لـه اختيـار
مـا قـدّر اللهُ فهْـو آت ... وفـي مقـاديـره الخيـار

يهجو قبيصة بن روح المهلبي، ويمدح داود بن عمه:

أخبرني عمي قال: حدثنا أبو هَفَّان، قال:

كان ابنُ أبي عُيَيْنَة قد قصد ربيعةَ بنَ قَبِيصة بنِ رَوح بن حاتمِ المعلّبيَّ واستماحه، فلم يجِد عنده ما قدّر فيه، فانصرف مُغاضِباً، فوجه إليه داودُ بنُ مَزْيَد بن حاتمِ بنِ قَبِيصة، فترضّاه، وبلغ ما أحبه ورضيه من بِرّه، ومعونته، فقال يمدحه ويهجو قَبِيصة:

أَقَبيـص لسـتَ وإن جهَـدتَ بمُـدرك ... سعـيَ ابـنِ عمـك ذي العـلا داود
شتـان بينَـك يـا قبيـص وبينـه ... إن المـذمَّـمَ ليـس كـالمحمـود
[١٠٦/٢٠] / اختـار داودُ بِنـاءَ محـامـد ... واختـرت أكـلَ شَبـارق[٣] وثَـريـد
قـد كـان مَجدُ أبيـك لـو أحببتـه ... رَوحِ أبـي[٤] خَلَـف كمَجـد يـزيـدِ
لكـن جـرَى داود جَـريَ مبـرِّز ... فحـوَى المَـدى وجـريـتَ جـريَ بليـد
داودُ محمـود وأنـت مـذمَّـم ... عجبـاً لـذاك وأنتمـا مـن عـود
ولـرُبَ عُـود قـد يُشـقّ لِمسجـد ... نِصفـاً وسـائـرُه لِحُـشّ[٥] يهـود
فـالحـشّ أنـت لـه وذاكَ لِمسجـد ... كـم بيـن مـوضـع مَسْلَـحٍ وسجـود
هـذا جـزاؤك يـا قبيـص لأنـه ... جـادت يـداه وأنـت قُفـل حـديـد

(١) كذا بالنسخ. كأنها على حد قولهم: أرض قفار، بكسر القاف، جمعوها على توهم أن كل موضع منها قفر.
(٢) كذا في م، أو في س، ب: «نلت»، تحريف.
(٣) الشبارق: جمع شبرق كزبرج، ومن معانيه: النبات المنتن يرمى به البحر وفي ف: «شرائح».
(٤) س، ب: «أبا» تحريف.
(٥) الحش: بيت الخلاء.

يدعوه حذيفة مولى جعفر بن سليمان إلى مجلس فيقول في ذلك شعراً:

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال: حدّثنا حَماد بنُ إسحاقَ قال: حدّثني أبي قال:

كانت لأبي حُذَيفة مولى جعفرِ بنِ سليمانَ جاريةٌ مُغنّيةٌ يقال لها: بُستانُ، فبلغه أن أبا عُيَيْنة بنَ محمدِ بنِ عيينة ذكر لبعض إخوانه محبتَه لها ولاستماعِ غنائها فدعاه، وسأله أن يطرح الحِشمة بينه وبينه، فأجابه إلى ذلك، وقال لما سكِر وانصرف من عنده في ذلك:

ألـم تَـرَنـي علـى كسَلِـي وفَتـري ... أجبـتُ أبـا حُـذيفـة إذ دعـانـي

وكنـتُ إذا دُعيـتُ إلـى سمـاع ... أجبْـتُ ولـم يكـن منّـي تـوانـي

كـأنّـا مـن بشـاشتِنـا ظَلِلنـا ... بِيـومٍ ليـس مـن هـذا الـزمـان

يهجو عيسى بن موسى لأنه لم يعطه سماداً لضيعته:

/ أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدثني محمدُ بنُ عثمان قال: ٢٣/١٨

/ كانت لِعيسى بن موسى ضَيعةٌ إلى جانب ضَيعةِ ابن أبي عُيَيْنة بالبصرة، وكان له إلى جانب ضَيعتِه سَماد كثير، [٢٠/١٠٧] فسأله أن يعطيَه بعضَه لِيَغْمُرَ ابنُ أبي عُيَيْنة به ضَيعته، فلم يفعل فقال فيه:

رأيـتُ النـاسَ هَمُّهـم المعـالـي ... وعيسـى همُّـه جمـعُ السَّمـاد

ورزق العـالميـن بِكَـفّ ربّـي ... وعيسـى رزقُـه فـي آسْـتِ العبـاد

هكذا ذكره ابنُ مَهْرُويه، وهذا بيت فاسد، وإنما هو:

إذا رُزق العبـادُ فـإنّ عيسـى ... لـه رِزقٌ مـن آستـاه العبـاد

أخباره مع ابن عمه خالد وسبب هجائه إياه:

ولابنِ أبي عُيَيْنة مع ابن عمه خالدٍ أخبارٌ جَمةٌ أذكرها هاهنا والسببَ الذي حَمله عَلَى هجائه:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ ببعضِها، عن محمدِ بنِ يزيدَ المبرِّدِ، وببعضها عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيِّ عن أبيه، وقد جمعتُ روايتهما[1] فيما اتفقا عليه، ونسبْت كلَّ ما انفرد به أحدُهما أو خالَف فيه إليه، وذكرْتُ في فُصولِ ذلك وخِلالِه ما لم يأتيا به مما كتبْتُه عن الرواة، قالا جميعاً:

وَلِيَ خالدُ بنُ زيدَ بنِ حاتمِ بنِ قَبيصة بنِ المهلَّبِ جُرْجَانَ، فسأل يزيدُ بنُ حاتمٍ أبا عُيَيْنة أن يَصحبَه ويخرج معه، ووعده الإحسانَ والولاية، وأوسع له المواعيد. وكان أبو عُيَيْنة جنديّاً، فجَرَد اسمه في جريدته، وأخرج رزقه معه، فلما حصل لِجُرجان أعطاه رِزقه لشهر واحد، واقتصر على ذلك، وتشاغل عنه وجفاه، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه، وبسط لسانه فيه، وذكره بكل قبيح عند أهل عملِه ووجوهِ رعيّته، / فلم يقدر على معاقبته، لموضع [٢٠/١٠٨] أبيه وسنّه ومحلِّه في أهله، فدعا به، وقال له: إنه قد بلغني أنك تريد أن تَهرُب فإما أن أَقمتَ لي كَفيلاً برِزقِك أو رددته، فأتاه بكفيل فأعنتَه، ولم يقبله، ولم يَزل يردِّده حتى ضجِر، فجاءه بما قبض من الرزق فأخذَه.

من هجائه لابن عمّه:

ولجّ أبو عُيَينة في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه، فقال في هذا عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيّ:

---

(١) كذا في ب: م. وفي أ: «روايتهما».

دنيا دعوتك مسرعاً فأجيبي ... وبما اصطفيتُك في الهوى فأثيبي
دومي أدُمْ لك بالصفاء على النوى ... إني بعهدكِ واثقٌ فثقي بي
ومن الدليل على اشتياقي عَبْرتي ... ومَشيبُ رأسي قبلَ حين مشيبي
أبكي إليك إذا الحمامةُ طَرَّبت ... يا حسنَ ذاك إليَّ من تطريب
تَبكي على فَنَنِ الغصونِ حزينةً ... حُزنَ الحبيبة من فِراق حبيب
وأنا الغريبُ فلا أُلامُ على البُكا ... إن البُكا حسَنٌ بِكلِّ غريب
أفلا يُنادَى لِلقُفول بِرحلة ... تَشفي جَوًى من أنفسٍ وقلوب
مالي اصطفَيت على التعسفِ خالداً ... والله ما أنا بعدَها بأريب
تبّاً لصحبة خالدٍ من صحبة ... ولخالدِ بنِ يزيدَ من مصحوب
يا خالد بنَ قَبيصةٍ هيّجت بي ... حَرْباً فدُونك فاصطبر لحروبي
لما رأيت ضميرَ غِشك قد بدا ... وأبيتَ غير تَجَهُّم[1] وقُطوب
/ وعرفت منك خلائقاً جرّبْتُها ... ظَهَرَتْ فضائحُها على التجريب
خلّيتُ عنك مُفارقاً لك عن قِلًى ... ووهبْتُ للشيطان منك نصيبي
فلئن نظرْتُ إلى الرُّصافة مرة ... نظراً يُفَرِّجُ كُربةَ المكروب
/ لأمزّقنك قائماً[2] أو قاعداً ... ولأروينّ عليك[3] كلّ عجيب

٢٤/١٨
[٢٠/١٠٩]

ولتأتينَّ أباك فيك قصائد ... حبَّرتها بِتَشكُّر مقلوب
وَلَيُنْشَدَنّ بها الإمامُ قصيدة ... ولتُنْشَمَنّ وأنت غير مهيب
ولأوذِيَنّك مثلما آذيتَني ... وَلأُشلِيَنّ[4] على نعاجك ذيبي

يهجو ابن عمه وقد كتب إليه أخوه بسلامته وسلامة أهل بيته:

قال أحمدُ بنُ يزيدَ في خبره: حدثني أبي قال:

أَعْرَس داودُ بنُ محمدِ بنِ أبي عُيَيْنة أخو أبي عُيَيْنةَ بالبصرة، وأخوه غائب يومئذٍ مع ابن عمه خالدٍ بِجُرجان، فكتب داودُ إلى أخيه يخبره بسلامتِه وسلامةِ أهل بيتِه، وبِخَبرٍ نقَله أهله إليه، فقال أبو عُيَيْنةَ[5] في ذلك:

ألا ما لِعَيْنِك معتلّة ... ومنّا لِدموعك منهلّة

(١) في ب: «تهجم»، تحريف.
(٢) في م، أ: «بك» تحريف.
(٣) يريد لأنشرن أعاجيب من عيوبك، فالعرب تستعمل على في مثل هذا المقام للشر. ومثله قول الفرزدق في عنبسة الفيل:
لقد كان في معدان والفيل زاجر ... لعنبسة الراوي عليّ القصائدا
(٤) المراد: لأغرين، من أشلى الدابة: أراها المخلاة لتأتيه والناقة، دعاها للحلب.
(٥) في م، أ: «لما عرف ذلك».

وكيف بِجُرجان صبرُ امرئٍ … وحيدٍ بها غيرِ ذي خُلّة

وأطولْ بِلَيْلِكَ أطْوِلْ به … إذا عسكر القوم بالأثلة[١]

وراعكَ مِن خيلِهِ حاشر … مِن القوم ليست له قِبلة

يسوقك نحوهمُ مكرهاً … وداودُ بالمِصرِ في غفلة

عَروسٌ ينعَّمُ مِن تحته … سَريرٌ ومِن فوقه كِلّة

وما مُدْنَفٌ بين عُوّادِه … ينادي وفي سمعه ثِقْلة

/ بأوجعَ منّي إذا قيل لي: … تأهب إلى الريّ بالرِّحْلة [٢٠/١١٠]

وما لي وللرّيِّ لولا الشقا … ءُ إن كنتُ عنها لفي عُزلة

أكلَّفُ أجبالها شاتيا … على فَرَس أو على بَغْلَة

وأهْوَنُ مِن ذاك لو سهّلوه … ركوبُ القَراقير[٢] في دجلة

تَروح إلينا بها طَرِبة[٣] … رواحَ الندامى إلى دلّة

أخالدُ خذ مِن يدي لَطمة … تَغيظ ومن قدَمي رَكْلة

جمعتَ خصال الردَى جملة … وبعتَ خصال الندى جملة

فما لك في الخير مِن خَلّة … وكم لك في الشر مِن خلة

ولما تَناضَل أهلُ العلا … نُضلتَ فأذعنتَ للنُّضلة

فما لك في المجد يا خالدٌ … مُقَرْطَسة[٤] لا ولا خصلة

وأسرعتَ في هدم ما قد بنى … أبوك وأشياخُه قبله

وكانت من النَّبْع عيدانُهم … نُضارا وعودُك من أثْلة

فيا عجبا نَبعةٌ أنبتت … خِلافا[٥] ورَيحانةٌ بقْلة

ثيابُك لِلعبد مطوية … وعِرضك للشتم والبِذلة

/ أجعْتَ بنيك وأعريْتَهم … ولم تُؤتَ في ذاك مِن قِلّة ٢٥/١٨

إذا ما دُعينا لِقبض العطاء … وهيأت كيسك للغلّة

/ وجُلّة[٦] تَمرٍ تُغادي بها … فتأتي على آخر الجُلّة [٢٠/١١١]

---

(١) الأثلة: قرية بالجانب الغربي لبغداد.

(٢) القراقير: جمع قرقور كعصفور، وهو السفينة.

(٣) لعلها مخفف طربة بمعنى فرحة أو مشتاقة.

(٤) كذا في م، أ. والمقرطسة: الرمية تصيب الغرض. س: «مقرطسة»، تحريف.

(٥) الخلاف: شجر كالصفصاف وليس به.

(٦) الجلة: القفة الكبيرة للتمر.

وتُقصِي بَنيك وهمُ بالعرا ... ءِ نُزلُهمُ الملحُ والمُلّة[١]

ولو كان خُبز وتَمر لديك ... لَما طمِعوا منك في فَضلة

وتُصبح تَقلِس[٢] عن تُخمة ... كأنّ جُشاءكَ عن فُجلة

إذا الحيّ راعَهمُ رائع ... فأوهَنُ[٣] من غادة طَفلة

وليثٌ يصول على قِرْنه ... إذا ما دُعيتَ إلى أكلة

فللّه دَرّك عند الخُوا ... نِ من فارس صادقِ الحملة

وإن جاءك الناسُ في حاجة ... تفكّرتَ يومين في العِلّة

وتلقاهُم أبداً كالحاً ... كأنْ قد عضَضْتَ على بَصْلة

فهذا نصيبيَ من خالد ... لكم هَنة بَتّةٌ بتلة[٤]

وإني لِصحبته مبغض ... ولا خير في صحبة السُّفْلة

ينشد مسلم بن الوليد من هجائه في ابن عمه:

حدثني أحمدُ بنُ عُبيدالله بنِ عَمار الثقفيُّ قال: حدثني أبو الحسن بن المنجِّم قال:

رأيتُ مسلمَ بنِ الوليد الأنصاريّ يوماً عند أبي، ثم خرج من عنده، فلقيه ابنُ أبي عُيَينة، فسلّم عليه وتحفّى به، ثم قال له: ما خبرُك مع خالد؟ قال: الخبر الذي تعرفه، ثم أنشده قوله فيه:

[٢٠/١١٢] / يا حفصُ عاطِ أخاك عاطِة ... كأساً تُهيّج من نشاطِة

قال: ومسلمٌ يتبسم من هجائه إياه حتى مر فيها كلّها، ثم ختمها بقوله:

وإذا تطاولَت الرؤ ... وسُ فغطّ رأسَك ثم طاطِة

فقال مسلم: مَه، إنا لله! هتكته والله وأخزيته، وإنما كنتُ أظن أنك تمزح وتهزِل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجِدّ القبيح، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه، ثم مضى وهو يقول: فضحتَه والله، هتكتَه والله!

يستنشده دعبل من هجائه لابن عمه فينشده:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال: حدثني أبي قال:

لَقي دِعبل أبا عُيينة فقال له:

أنشدني قولك في ابن عمك فأنشده:

يا حفصُ عاطِ أخاكَ عاطِة ... كأساً تُهيّج من نشاطِة

---

(١) الملة: الرماد الحار، ولعل المراد خبز الملة.

(٢) قلس، كضرب: خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه إذا كان ملء الفم أو دونه. وفي س، ب: «تفلس»، تحريف.

(٣) كذا في م، أ. مد. وفي س، ب: «فأهن»، تحريف.

(٤) بتلة: باتة مقتطعة.

صِـــرْفـــا يعـــود لِـــوقعِهـــا ... كـــالظبـــي أطلـــق مـــن رِبـــاطـــه
صَبّـــاً طـــوَتْ عنـــه الهمـــو ... مُ نَعيمـــه بعـــد انبســـاطـــه
فبكـــىٰ وحـــق لـــه البكـــا ... لشقـــائـــه بعـــد اغتبـــاطـــه
جَـــزِع المخنَّـــثُ خـــالـــد ... لمّـــا وقعـــتُ علـــى قِمـــاطـــه
فـــانظـــر إلـــى نـــزواتـــه ... مـــن مَنطِقـــي وإلـــى اختـــلاطـــه
دَعنـــي وإيّـــا خـــالـــدِ ... فـــلأقطعـــنْ عُـــرَى نِيـــاطـــه[1]
إنـــي وجـــدْتُ كـــلامَـــه ... فيـــه مَشـــابِـــهُ مـــن ضُـــراطـــه
/ رجُـــلٌ يَعـــدّ لـــك الـــوعيـ ... ـــد إذا وطِئـــتَ عَلَـــى بســـاطـــه
/ وإذا انتظـــرْتَ غـــداءه ... فخَـــفِ البـــوادر مـــن سيـــاطـــه
يـــا خـــالِ صَـــدّ المجـــدُ عنـ ... ـــك فلـــن تجـــوزَ عَلَـــى صـــراطـــه
وعَـــرِيـــتَ مـــن حُلـــل النـــدَى ... عُـــرْيَ اليتيـــم ومِـــن رِيـــاطـــه[2]
فـــإذا تطـــاولَـــت الـــرؤو ... س فغَـــطٌ رأســـك ثـــم طـــاطـــه

٢٦/١٨ [١١٣/٢٠]

فقال له دِعبلٌ: أغرقت والله في النَّزْع وأسرفت، وهتكتَ ابنَ عمّك وقتلتَه وغضضت منه، وإنما استنشدْتك وأنا أظن أنك قلتَ كما يقول الناسُ قولاً متوسطاً، ولو علمتُ أنك بلَغتَ به هذا كله لما استنشدْتك[3].

أخبرني بهذا الخبرِ الحسنُ بنُ عليٍّ وعمي قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدثني الحسين بنُ السريّ قال:

لقِي دِعبل أبا عُيَيْنَة فقال له: أنشدني بعضَ ما قلتَ في ابنِ عمك، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيدَ، وقال فيه: إنما ظننتُ أنك قلتَ فيه قولاً أبقيتَ معه عليه بعضَ الإبقاء، ولو علمتُ أنك بَلَغْتَ به هذا كلَّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما[4] استنشدتك، وجعل يعيد «فغطّ رأسَك ثم طاطه»، ويقول: قتله والله!

من مختار هجائه في خالد:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدَّثني محمدُ بن يزيدَ قال:

ومن مختار ما قاله في خالد قوله:

قُـــل لِـــدُنيـــا بـــالله لا تقطعينـــا ... واذكـــرينـــا فـــي بعـــضِ مـــا تـــذكـــرينـــا
لا تَخـــونـــي بـــالغيـــبِ عهـــدَ صـــديـــقٍ ... لـــم تخـــافيـــهِ ســـاعـــةً أن يخـــونـــا

(١) النياط: عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين، فإذا قطع مات صاحبه، والجمع أنوطة. وإضافة إيّا إلى خالد من الشذوذ في البيت.
(٢) في س: «رباطه»، تحريف.
(٣) في أ، م: «لم أستنشدك».
(٤) في س، ب: «لما».

[٢٠/١١٤] / واذكري عيشنا وإذ نَفَض[1] الريح علينا الخِيريّ[2] والياسمينا
إذ جعلنا الشاهِسْفَرام[3] فراشاً من أذى الأرض والظِّلالَ غصونا
حفِظ اللهُ إخوتي حيث كانوا من بِلادٍ سارين أم مُدْلجينا
فِتيةٌ نازحون عن كلّ عَيب وهمُ في المكارم الأولونا
وهم الأكثرون يَعلم ذاك الناسُ، والأطيبون للأطيبينا
أزعجتْني الأقدار عنهم وقد كنتُ بقُربي منهم شحيحاً ضنينا
وتَبدلْتُ خالداً لعنةُ اللّه عليه ولعنةُ اللاعنينا
رجلٌ يَقهر اليتيمَ ولا يؤ تي زكاةً ويَنهر المسكينا
ويصون الثيابَ والعِرضُ بالٍ ويرائي ويمنع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعطاه آمين عاجلاً آمينا
فلَعَمر المبادِرين إلى مكة وفداً غاديـن أو رائحينا
إن أضيافَ خالدٍ وبنيه لَيجوعون فوق ما يشبعونا
وتراهمْ من غير نُسْك يصومو ن ومن غير عِلّة يحتمونا
يا بني خالدٍ دعُوه وفرُّوا كم على الجوع ويْحَكم تصبرونا

من مشهور هجائه في خالد:

قال محمد بن يزيد: ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أولها:

٢٧/١٨ / ألا خبّروا إن كان عندكُم خَبرْ أتقفُل أن تَثْوِي على الهمّ والضَّجَرْ؟
نفى النومَ عن عيني تعرُّض رحلة بها الهمُّ واستولى بها بعده السهر
[٢٠/١١٥] / فإن أشكُ من ليلي بجُرْجان طولَه لقد[4] كنتُ أشكو فيه بالبصرة القِصر
فيا حبَّذا بطنُ الخَرير[5] وظَهرُه ويا حسنَ واديه إذا ماؤه زَخر
ويا حبذا نهرُ الأُبُلَّةِ مَنظراً إذا مَدَّ في إبانه النهرُ أو جَزَرْ
وفتيانُ صِدق همُّهم طلبُ العلا وسيماهُم التحجيل في المجد والغرَرَ[6]
لَعمري لقد فارقتُهم غيرَ طائع ولا طيِّبٍ نفساً بذاك ولا مُقرِ

(١) في أ، م: «تنفض».
(٢) الخيري: نبات ذو زهر أصفر ذكي الرائحة.
(٣) الشاهسفرام: الريحان.
(٤) كذا في النسخ ولعلها «فقد».
(٥) الخرير: المكان المطمئن بين الربوتين.
(٦) الغرر: البياض في الوجه.

وقــائلــةٍ مــاذا نــأى بــك عنهــمُ فقلــتُ لهــا لا عِلْــم لــي فَسَلــي القــدر
فيــا سَفــرا أُودي بِلَهــوى ولــذتــي ونغَصنــي عيشــي عَــدِمتــك مــن سفَــر
دعــونــي وإيّــا خــالــدٍ بعــد ســاعــة سيَحملــه شِعــري علــى الأبلــق الأغــرّ
كــأنــي بِصــدق القــول لمــا لقيتُــه وأعلمتــه مــا فيــه ألقمتُــه الحجــر
دنِــيء بــه عــن كــل خيــر بَــلادةٌ لِكــلّ قبيــحٍ عــن ذراعيــه قــد حَسَــر
لــه منظــر يُعمِــي العيــون سمــاجــة وإن يُختبَــر يــومــاً فيــا ســوء مُختبَــر
أبــوك لنــا غيــثٌ يعــاش بــوبْلــه وأنــت جَــراد ليــس يُبقِــي ولا يــذر
لــه أثــر فــي المكــرمــات يســرّنــا وأنــت تُعفّــي دائمــاً ذلــك الأثــر
لقــد قُنِّعَــتْ قَحطــان خــزيــاً بخــالــد فهــل لــكِ فيــه يخــزك الله يــا مضــر[1]

قول الرشيد وقد أنشد بيتاً في هجاء خالد:

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال: حدثني الزّبيرُ بنَ بكّار قال: حدثني عمي قال: أُنشد الرشيد قولَ ابن أبي عُيينة:

لقــد قُنعــتْ قحطــانُ خــزيــا بِخــالــد فهــل لــك فيــه يُخْــزك الله يــا مضــر

/ فقال الرشيد: بل يُوَقّرون ويُشكرون. [٢٠/١١٦]

يجمع هجاء رجل ومدح أبيه في بيت:

أخبرني محمدُ بن يحيى الصوليُّ قال: قال لنا أبو العباس محمدُ بن يزيد: لم يجتمع لأحد من المحدَثين في بيت واحد هجاءُ رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله:

أبــوك لنــا غيــثٌ نعيــش بِــوَبْلِــه وأنــت جــراد ليــس يبقــى ولا يــذر

من جيد هجائه في خالد أيضاً:

وقال محمدُ بن يزيد: ومن جيّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا:

علــى إخــوتــي منــي الســلامُ تحيــةً تحيّــةَ مُثْــنٍ بــالأخــوة حــامــدِ
وقــل لهــمْ بعــد التحيــة أنتــمُ بِنفســي ومــالــي مــن طَــريــف وتــالــد
وعَــزَّ عليهــمْ أن أقيــم بِبَلــدة أخــا سَقَــم فيهــا قليــلَ العــوائــد
لئــن ســاءهــم مــا كــان مِــن فِعل خــالــد لقــد ســرهــم مــا قــد فعلْــتُ بخــالــد
وقــد علمــوا أن ليــس منــي بِمُفلــت ولا يــومُــه المسكيــنِ مِنــي بــواحــد
أخــالــدُ لا زالــت مــن الله لعنــةٌ عليــك وإن كنــت ابــن عمــي وقــائــدي

---

(١) م، أ: «فهل لك فيه بعدها يا مضر».

أخالدُ كانت صحبَتِك ضلالةً عصيتُ بها ربي وخالفتُ والدي

٢٨/١٨ / وأرسل يَبغي الصلحَ لما تكثَّفت عوارضَ جنبَيه سياطُ القصائد

فأرسلتُ بعد الشرّ أني مسالم إلى غير ما لا تشتهي غيرُ عائد

هو أهجى المحدثين في عصره:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرَانيّ قال: زعم القَحْذَميّ أن الرشيد قال للفضل بن الربيع: مَن أهجى المحدَثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا؟ قال: الذي يقول في ابن عمه:

لو كان يَنقص يزدا د إذاً نال السماءَ

خالدٌ لولا أبوه كان والكلبَ سواءَ

[١١٧/٢٠] / أنا ما عشتُ عليه أسوأُ الناس ثناءَ

إنَّ مَن كان مسيئاً لحقيق أن يُساءَ

فقال الرشيد: هذا ابن أبي عُيَينة، ولعمري لقد صدقت.

يقرأ الهادي قصيدة أرسلها إليه فيرده من جيش خالد:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويه قال: حدثني أبي قال:

كان ابنُ أبي عُيينة مع ابنِ عمه خالد بجُرْجان، فأساء به وجفاه، وكان لابن أبي عُيينة صديقان من جُند خالدٍ من أهل البصرة، أحدهما مُهلَّبي والآخر مَولي لِلأزْد، وكلهم شاعر ظريف، فكانوا يمدحون السّراة من أهل جُرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم. وولّى موسى الهادي الخِلافةَ فكتب ابنُ عُيَينة إلى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة:

كيف صَبري ومنزلي جُرجانُ والعراق البلادُ والأوطانُ؟

نحن فيها ثلاثةٌ خُلَفاء ونَدامَى على الهَوى إخوانُ

نتساقى الهوَى ونَطرب لِلذّكر كما تُطرِب النشاوَي القِيانُ

وإذا ما بكَى الحمامُ بكَينا لِبُكاه كأننا صبيانُ

يا زماني الماضِي بِبغدادَ عُدْلي طالما قد سَررْتَني يا زمانُ

يا زماني المسيءَ أحسنْ فقِدْما كان عندي مِن فعلك الإحسانُ

ما يريد العُذّال مني أمَا يُترَك أيضاً بِغمه الإنسانُ؟[١]

ويقولون أملُك هواك واقصِر قلت مالِي على الهوَى سلطانُ

أيها الكاتمُ الحديثَ وقد طا ل به الأمرُ وانتهى الكتمانُ

[١١٨/٢٠] / قد لعَمري عرّضْتَ حينا فبيّنْ ليس بعد التعريض إلاّ البيانُ

واتخِذ خالداً عدواً مبيناً ما تعادَى الإنسان والشيطانُ

(١) في أ، م: «إنسان».

والــهُ عنــه فمــا يضــرّك منــه عَـضُّ كلــبٍ ليســت لــه أسنــانُ

ولعَمْــري لــولا أبــوه لنــالَتــه بســوء منــي يــدٌ ولســانُ

قــل لِفتيــانــنــا المقيميــن بــالبــا بِ ثقــوا النجــاح يــا فتيــانُ

لا تخـافـوا الـزمـانَ قـد قـام مـوسـى فلكُــمْ مــن ردَى الـزمــان أمــانُ

أوَلـم تـأتــه الخـلافـةُ طـوعـاً طــاعــةً ليـس بعـدهــا عصيــانُ؟

فهــيَ منقــادة لمــوســى وفيهــا عــن ســواه تَقــاعــسٌ وحِــرانُ

/ قـل لمـوسـى يـا مـالـكَ المُلك طـوعـاً بِقيــاد وفــي يــديــك العِنــانُ

29/18

أنــت بحــرَ لنــا ورأيــك فينــا خيــرُ رأيٍ لنــا سلطــانُ

فـاكفِنـا خـالـداً فقـد سـامنـا الخسـفَ رمــاه لحتفــه[1] الــرحمــن

كَـمْ إلـى كـمْ يغضـى علـى الـذّل منـه وإلــى كــم يكــون هــذا الهــوانُ؟

قال: فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة، وأعطاه ما فات من رزقه، وأقفله من جيش خالد إليه.

[١١٩/٢٠]

/ صوت

أيــن محَــلّ الحــيّ يــا وادي؟ خبــرْ سقــاك الــرائــح الغــادي

مُستصحِــب لِلحــرب خَيفــانــةً[2] مثــلَ عُقــاب السَّــرحــة[3] العــادي

بيــن خُــدور الظُّعْــن محجــوبــةٌ حَــدا بِقلبــي معهــا الحــادي

وأسْمَــرا[4] فــي رأســه أزرق[5] مِثــلُ لِســان الحيــة الصــادي

الشعر لِدعبلِ بنِ عليّ الخُزاعيّ، والغناء لأحمد بن يحيى المكّي، خفيف ثقيل مطلَق في مجرى الوُسطى عن أبي عبدالله الهِشامي.

(١) كذا في ب، س: . وفي أ، م: «بحتفه».
(٢) خيفانة: يريد فرساً أو ناقة خفيفة وثابة.
(٣) السرحة: الشجرة العظيمة.
(٤) كذا في م، ما. وفي س، ب: «وأسمر».
(٥) المراد نصل أزرق، أي شديد الصفاء.

[٢٠/١٢٠]

/ أخبار دعبل بن علي ونسبه

نسبه وكنيته:

هو دِعْبِلُ بنُ عليِّ بنِ رَزِين بنِ سليمان بنِ تميمِ بنِ نهشلِ بنِ خِداشِ بن خالد بنِ عبدِ بنِ دِعبلِ بنِ أَنَسِ بنِ خُزَيمَة بنِ سلامانَ بنِ أسلَم بنِ أَفصَى بنِ حارثةَ بنِ عمرو بنِ عامرِ بن مُزَيْقيا[١]، ويكنى أبا علي.

شاعريته:

شاعرٌ متقدِّم مطبوع هجاءٌ خبيثُ اللسان، لم يَسلم عليه أحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهةٍ، أحسنَ إليه أو لم يحسن، ولا أفلَت منه كبيرُ أحد.

يناقض «الكميت» في مذهبته فيناقضه المخزومي:

/

وكان شديد التعصب على النِّزارية لِلقحطانيّة، وقال قصيدة يردّ فيها على الكُميتِ بن زيد، ويناقضه في قصيدته المُذهَبة التي هجا بها قبائل اليمن.

* ألا حُيِّيتِ عنا يا مرينا[٢] *

فرأى النبي ﷺ في النوم، فنهاه عن ذكر الكُميتِ بسوء.

وناقَضه أبو سعد المخزوميُّ في قصيدته وهجاه، وتطاول الشرّ بينهما، فخافتْ بنو مخزوم لسانَ دِعبل وأن يعمَّهم بالهجاء، فنفَوا أبا سعد عن نسبهم، وأشهَدوا بذلك على أنفسهم.

تشيعه ومكافأة علي بن موسى الرضا له:

وكان دِعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه، وقصيدته.

* مدارس آيات خلَت من تلاوة *

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت، عليهم السلام، وقَصد بها أبا الحسن[٣] عليّ بن موسى الرِّضا، عليه السلام، بخُراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم / من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خِلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهلُ قُمّ[٤] ثلاثين ألفَ دِرهم، لم يَبِعها، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنها إنما تراد لله عزّ وجل، وهي محرَّمة عليكم، فدَفعوا إليه ثلاثين ألف دِرهم، فحلف ألاّ يبيعها أو يعطوه بعضَها ليكون في كفَنه، فأعطوه فَرْدكُمّ، فكان في أكفانه.

[٢٠/١٢١]

(١) في س، ب: «هو يكنى».
(٢) م، أ: «مدينا».
(٣) كذا في م، أ، مد. س، ب: «أبا علي».
(٤) قم: مدينة إسلامية مصرها طلحة بن الأحوص بينها وبين قاشان اثنا عشر فرسخا.

وكتب قصيدتَه: «مدارسُ آيات» فيما يقال على ثوب، وأحرَم فيه، وأمر بأن يكون في أكفانه. ولم يزَل مرهوبَ اللسان وخائفا من هجائه للخلفاء، فهو دهرَه كلَّه هارب مُتوارٍ.

حدثني إبراهيم بن أيوبَ قال: حدثنا عبدُالله بنُ / مسلم بن قُتيبة قال: [٣٠/١٨]

رأيت دِعبلَ بنَ عليّ وسمعتُه يقول: أنا أحمل خشبَتي على كتفِي منذ خمسين سنة، لست أجد أحداً يصلبني عليها.

إبراهيم بن المهدي يحرض المأمون عليه:

حدثني عمي قال: حدثنا ميمونُ بن هـٰرونَ قال: قال إبراهيمُ بن المهدي للمأمون قولا في دِعبل يحرضه عليه، فضحك المأمون، وقال: إنما تحرضني عليه لقوله فيك:

يـــا معشَـــر الأجنـــاد لا تقنَطــوا — وارضَــوْا بمـــا كـــان ولا تسخطـــوا
فســـوف تعطَـــون حُنَيْنِيَـــة[1] — يلتـــذهـــا الأمَـــرد والأشمـــط
والمَعْبَـــدِيّـــات[2] لِقُـــوّادِكـــم — لا تـــدخـــلُ الكِيـــس ولا تُـــربـــط
وهكـــذا يَـــرزق قُـــوّادَه — خليفـــةٌ مصحفُـــه البَـــرْبَـــط[3]

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين، فقال: دَعْ هذا عنك فقد / عَفوتُ عنه في هجائه إياي [١٢٢/٢٠] لقوله هذا، وضحك. ثم دخل أبو عبّاد، فلما رآه المأمون من بُعدٍ قال لإبراهيم: دِعبلٌ يجَسُر على أبي عبّادٍ بالهجاء ويُحجم عن أحد؟ فقال له: وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين؟ قال لا، ولكنه حَديد جاهل لا يؤمنُ، وأنا أحلُم وأصفَح. والله ما رأيت أبا عبّاد مقبلاً إلاّ أضحكني قول دعبل فيه:

أَوْلَـــى الأمـــور بضَيعـــة وفســـاد — أمـــرٌ يـــدبّـــره أبـــو عبّـــاد
وكـــأنـــه مـــن دَيـــر هِـــزْقَـــل مُفلِـــت[4] — حَـــرِدٌ[5] يجـــرّ ســـلاســـل الأقيـــاد

ما قاله أبوه من الشعر:

أخبرني الحسن بن علي الخَفّاف قال: حدثني محمد بن القاسم بنِ مَهْرويه قال: حدثني أبي قال: أخبرني دِعبلُ بن عليٍّ قال: قال لي أبي عليُّ بنُ رَزِين: ما قلت شيئاً من الشعر قَطّ إلاّ هذه الأبيات:

خليلَـــيّ مـــاذا أرتجـــي مِـــن غـــد امـــرىء — طـــوى الكشـــحَ عنّـــي اليـــومَ وهْـــو مكيـــن
وإن امـــرأ قـــد ضَـــنّ منـــه بمَنطِـــق — يُسَـــدّ بـــه فقـــرُ امـــرىء لضنيـــن

وبيتين آخرين وهما:

(١) حنينية: يريد أغاني منسوبة إلى حنين المغني.
(٢) المعبديات: يريد الأغاني المنسوبة إلى معبد.
(٣) البربط، كجعفر: العود.
(٤) دير هزقل: دير بداوردان، وهزقل هو حزقل كزبرج، أو حزقيل النبي، وفي س، ب: «هرقل»، تحريف وداوردان: قرية شرقي واسط بينهما فرسخ. وقع فيها الطاعون فخرج أهلها هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا. وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجباً مما رأى فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما.
(٥) حرد: غضبان.

أقــول لمَّــا رأيــتُ المــوتَ يطلبنــي يــا ليتنــي دِرهــم فــي كِيــس ميّــاح
فــبــالــه درهــاً طــالــت صيــانتــه لا هــالــك ضَيعــةً يــومــاً ولا ضــاح

[٢٠/١٢٣] / اسمه واشتقاق دعبل:

أخبرني عليُّ بنُ صالحِ بن الهَيثم الكاتبُ قال: حدثني أبو هَفّان قال: قال لي دِعبلٌ قال لي أبو زيد الأنصاريُّ: مِمّ اشتُق دِعبل؟ قلت: لا أدري، قال: الدِّعبل: الناقة التي معها ولدُها.

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَيرفيُّ قال: حدّثني العَنَزى قال: حدثني محمدُ بنُ أيوبَ قال: دِعبلٌ اسمه محمــد وكنيته أبو جعفر، ودعبل: لَقَب لُقّب به.

وحدَّثَني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشيبانيِّ قال: الدِّعبل: البعير المُسِنّ.

أحد اثنين ختم بهما الشعر:

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: سمعتُ حُذَيفة بنَ الطائيّ يقول: الدِّعِبل: الشيء القديم. قال ابن مَهْرُويه: سمعت أبي يقول: خُتم الشعر بِدعبل، قال: وقال أبي: كان أبو محلِّم يقول: خُتم الشعر بعُمارة بن عقيل.

رده على الكميت وضع قدره:

$\frac{٣١}{١٨}$ أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حَدَّثَنا ابن مَهْرُويه قال: سمعْتُ أبي يقول: / لم يَزَل دِعبل عند الناس جليل القدر حتى رَدّ على الكُميت بنِ زيد:

* ألا حُيِّيت عنا يا مرينا *

فكان ذلك مما وضعه. قال: وقال: فيه أبو سعد المخزوميّ:

وأعجــبُ مــا سمعنــا أو رأينــا هجــاءُ قــالَــه حــيّ لَميــتِ
وهــذا دِعبــل كَلِــفٌ مُعَنًّــى بتسطيــر الأهــاجــي فــي الكُمَيــت
ومــا يهجــو الكميــت وقــد طــواه الــر دى إلاّ ابــن زانيــة بــزيــت[1]

من ظن أن كلمة دعبل شتم:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثني محمدُ بن زَيد قال: حدّثني دِعبل قال:

[٢٠/١٢٤] / كنتُ جالساً مع بعض أصحابنا ذاتَ يوم، فلما قمت سأل رجل لَمْ يعرفني ـ أصحابَنا عنّي، فقالوا: هذا دعبل، فقال: قولوا في جلِيسكم خيراً، كأنه ظن اللقب شتمًا.

يصيح في أذن مصرع: دعبل، فيفيق:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ قال: حدّثني محمدُ بن يزيدَ قال: حدَّثني دعبل قال:

صُرِع مجنون مرة فصِحت في أذنه: دِعبلٌ، ثلاث مرات، فأفاق.

(١) زيادة من م، في، مد.

وأخبرني بهذين الخبرين الحسنُ بنُ علي عن ابن مَهْرُويَه عن محمد بنِ يزيدَ عن دِعبل ـ وزاد فيه: قال دعبل: وصُرع مرة مجنون بحضرتي فصِحْت به: دعبل، ثلاث مرات فأفاق من جنونه.

سبب خروجه من الكوفة:

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَّيرفيُّ أبو[1] أحمدُ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي قال: حدّثني عليُّ بن عمرو بن شيبان قال: حدّثني أبو خالد الخُزاعيُّ الأسلميُّ، قال العَنزيّ: وقد كتبْتُ عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر، قال:

كان سبب خروج دِعبل بن عليّ من الكوفة أنه كان يَتَشطّر ويصحب الشُّطار، فخرج هو ورجل من أشجعَ فيما بين العِشاء والعتَمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كلّ ليلة بِكِيسِه[2] إلى منزله، فلما طلع مقبلاً إليهما وثَبا إليه فجرَحاه، وأخذا ما في كُمِّه، فإذا هي ثلاث رُمانات في خِرقة، ولم يكن كيسُه ليلتئذٍ معه، ومات الرجل مكانَه، واستتر دعبل وصاحبُه، وجَدّ أولياء الرجل في طلبهما، وجَدّ السلطان في ذلك، فطال على دعبل الاستتار، فاضطُر إلى أن هرب من الكوفة. قال أبو خالد: فما دخلها حتى كتبْتُ إليه[3] أُعلمه أنه لم يَبق من أولياء الرجل أحد.

/ يشرح أسباب هجائه الناس: [١٢٥/٢٠]

أخبرني محمدُ بنِ عمرانَ قال: حدَّثَني أبو خالد الخُزَاعيُّ الأسلميُّ قال:

قلت لِدعبل: ويحَك! قد هجَوْت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترتَ الناس جميعاً، فأنت دهركَ كلَّه شَريد طريد هارب خائف، فلو كففْتَ عن هذا وصرفْتَ هذا الشرَّ عن نفسك! فقال: ويحك؟ إني تأمّلْتُ ما تقول، فوجدْتُ أكثرَ الناس لا يُنْتَفع بهم إلاّ على الرهبة، ولا يبالي بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَف شرُّه، ولمَنْ يتقيك على عرضه أكثرُ ممن يرغب إليك في تشريفه. وعيوبُ الناس أكثر من محاسنهم، وليس كلّ من شرَّفتَه شرُف، ولا كلُّ من وصفتَه بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفَع بقولك، فإذا رآك قد أوجعْتَ عرض غيره وفضحتَه ـ اتقاك على نفسه وخاف من مِثل ما جرى على الآخر. ويحك، يا أبا خالد إن الهجاءَ المقذع[4] آخذُ بِضَبع الشاعر من المديحِ المضْرِع. فضحكْتُ من قوله، وقلت: هذا والله مقالُ مَن لا يموت حَتْفَ أنفه.

البيت الذي عرف به: ٣٦/١٨

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه / قال: حدّثني الحمدويّ الشاعر قال: سمعت دِعبل بنَ عليّ يقول: أنا ابن قولي:

لا تعجبـي يـا سلـم مِـن رجـل ... ضحـك المَشيـبُ بـرأسـه فبكـى

وسمعت أبا تمام يقول: أنا ابن قولي:

---

(١) زيادة في س، ب، مد.
(٢) كذا في م، أ. س، ب: «يكسبه»، تحريف.
(٣) في م، أ: «كتبت إليه وكتب إليه أهله».
(٤) كذا في م، أ، س، ب: «المفرع»، تحريف.

نَقِّل فؤادكَ حيث شئتَ من الهوى ... ما الحبّ إلاّ للحبيب الأول

[١٢٦/٢٠] / قال الحمدوي: وأنا ابن قولي في الطيْلَسان:

طالَ تَردادُه إلى الرَّفْو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدّي

قال الحَمْدويّ: معنى قولنا: أنا ابنُ قولي، أي أني به عُرِفت.

يسرق بيتاً ويتفوق فيه على صاحبه:

أخبرني عليُّ بنُ صالحِ قال: حدّثني أبو هَفَّان قال: قال مسلم بن الوليد:

مستعبِرٌ يبكي على دِمنة ... ورأسه يضحك فيه المَشيب

فسرَقه دعبل، فقال:

لا تعجبي يا سلم من رَجل ... ضحك المَشيب برأسه فبكى

فجاء به أجود من قول مسلم، فصار أحقَّ به منه.

قال أبو هَفّان: فأنشدت يوماً بعض البصريين الحَمقى قول دِعبل.

* ضحك المَشيب برأسه فبكى *

فجاءني بعد أيام، فقال: قد قلتُ أحسن من البيت الذي قاله دعبل، فقلت له: وأيَّ شيء قلت؟ فتمنّع ساعة، ثم قال: قلت:

* قهقه في رأسك القَتير[١] *

أخبرني بهذه الحكاية الحسنُ بنُ علي عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبي هفَّان، قال: ذكر نحوه، وزاد فيه ابن مَهْرُوَيْهْ وحدَّثني الحَمْدَوِي قال: سمع رجل قول المأمون:

قَبَلْتُه من بَعيد ... فاعتلّ من شفتيه

فقال:

رَقَّ حتى توَرّمَتْ شفتاه ... إذ توهَمْتُ أن أقبّل فاه

[١٢٧/٢٠] / **يرتاح الشعر له غنت جارية به:**

أخبرني عليّ بن الحسن[٢] قال: حدّثني ابن مَهْرُوَيه قال: حدّثني أبو ناجية - وزعم أنه من وَلد زُهَير بن أبي سُلمىٰ - قال:

كنتُ مع دِعبل في شَهْرَزُورَ[٣]، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنة محسنة فغنَّت الجارية بشعر دعبل:

أين الشباب وأيةً سَلكا؟ ... لا، أين يُطلب؟ ضلّ، بل هلكا

قال: فارتاح دعبل لهذا الشعر قال: قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة.

(١) القتير: الشيب.
(٢) م، مي: «أخبرني الحسن بن علي».
(٣) شهرزور: كورة بين إربل وهمذان، أحدثها زور بن الضحاك. ومعنى شهر بالفارسية: المدينة.

نسبة هذا الصوت

صوت

أيـــن الشبـــابُ وأيـــةً سلكـــا؟ لا، أيـــن يطلـــب؟ ضـــل، بـــل هلَكـــا

لا تعجَبـــي يـــا سَلـــم مـــن رجـــل ضحِـــك المشيـــبُ بـــرأســـه فبكـــى

يـــاليـــت شِعْـــري كيـــف نَـــوْمُكمـــا يـــا صـــاحبـــي إذا دَمِـــي سُفِكـــا[1]

لا تـــأخـــذوا بِظُـــلامتـــي أحـــدا قلبـــي وطـــرْفـــي فـــي دَمـــي اشتـــركـــا

قال: والغناء لأحمدَ بنِ المكيِّ، ثقيل أولُ بالوُسطى مطلَق.

يسرق من شعر الحسين بن مطير:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال: حدّثني أبو المثنّى أحمدُ بنُ يعقوبَ بنِ أختِ أبي بكرٍ الأصمِّ قال:

/ كنا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدِعبِل قوله: ٣٣/١٨

لا تعجَبـــي يـــا سَلـــم مـــن رجـــل ضحِـــك المشيـــبُ بـــرأســـه فبكـــى

/ فاستحسناه، فقال الأصمعي: إنما سرقه من قول الحُسَين بنِ مُطَير الأسَديّ: [٢٠/١٢٨]

أيـــن أهـــلُ القِبـــاب بـــالـــدهنـــاءِ؟ أيـــن جيـــرانُنـــا علـــى الأحســـاءِ[2]

فـــارقـــونـــا والأرضُ مُلْبَســـةٌ نَـــوْ رَ الأقـــاحـــي تُجـــاد بـــالأنـــواء

كـــلَّ يـــوم بـــأُقحُـــوان جـــديـــدٍ تَضحـــك الأرضُ مـــن بكـــاء السمـــاء

يهجو جماعة أكلوا ديكاً له وقع لهم:

أخبرني أحمدُ بن العباسِ العسكريُّ قال: حدّثني الحسنُ بن عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثني أحمدُ بنُ خالدٍ قال:

كنا يوماً بِدار صالحِ بنِ عليٍّ مِن عبد القيس ببغدادَ، ومعنا جماعة من أصحابِنا، فسقط على كنينة[3] في سطحه ـ ديكٌ طار من دارِ دِعبل، فلما رأيناه قلنا هذا صَيدُنا، فأخذناه. فقال صالح: ما نصنع به؟ قلنا: نذبحه، فذبحناه، وشويناه. وخرج دِعبل فسأل عن الديك فَعرَف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا، فجحَدناه، وشربنا يومنا. فلما كان من الغد خرج دِعبل فصلّى الغداة، ثم جلس على المسجد، وكان ذلك المسجد مجمعَ الناس، يجتمع فيه جماعة من العلماء، وينتابهم الناس، فجلس دعبل على المسجد وقال:

(١) زيادة من م، مي، مد.
(٢) الأحساء: جمع حسي كظبي، وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وقيل غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر.
(٣) الكنينة: تصغير الكنة، بالضم. ومن معانيها: الظلة.

أسـرَ المـؤذِّنَ صـالـحٌ وضيـوفُـه ... أسْـرَ الكمـيِّ هفـا خـلال المـاقِـط[١]

بَعثـوا عليـه بَنيهُـمُ وبنـاتِهـم ... مـن بيـن نـاتفـةٍ وآخـرَ سـامـط

يتنـازعـون كـأنهـم قـد أوثقـوا ... خـاقـان[٢] أو هـزمـوا كتـائـب نـاعـط

نهشـوه فـانتُـزعَـت لـه أسنـانهـم ... وتهشمَـت أقفـاؤهـم بـالحـائـط

[١٢٩/٢٠] / قال: فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت: ويحكم، ضاقت عليكم المآكل، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دِعبل؟ ثم أنشَدنا الشعر، وقال لي: لا تدَع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلاّ اشتريته، وبعثتَ به إلى دعبل، وإلاّ وقعنا في لسانه، ففعلتُ ذلك. قال وناعط قبيلة من هَمْدان[٣] ومُجالد بنُ سعيد ناعطيٌّ قال: وأصله جَبَل نزلوا به، فنُسبوا إليه.

يهجو غير معين، ثم يذكر فيه اسم من يغضب عليه:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثني ابن مَهْرُوَيه قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال:

كان دعبل يُنشدني كثيراً هجاء قاله، فأقول له: فيمن هذا؟ فيقول ما استَحقه أحدٌ بعَينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وَجِد علىٰ رجل جعل ذلك الشعر فيه، وذكر اسمه في الشعر.

وقد أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ عن ابنِ مَهْرُوَيه عن أحمدَ بنِ أبي كامل بهذا الخبر بعَينه، وزاد فيه ـ فيما ذكر ابن أبي كامل ـ أنه كان عند صالح هذا في يوم أخذِه ديك دعبل، قال: وهو صالح بنُ بِشرِ بن صالحِ بنِ الجارود العَبْديُّ.

يهجو أبا نضير الطوسي لأنه لم يرضه في مدحه:

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدّثني العَنَزيّ قال حدّثني أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي أيوبَ قال:

مدح دِعبلٌ أبا نَضيرِ[٤] بنِ حُمَيدٍ الطُّوسيّ، فقصَّر في أمرِه ولم يُرضه من نفسه، فقال عند ذلك دِعبِل فيه يهجوه:

أبـا نَضِيـر تَحلحـلْ عـن مجـالِسِنـا ... فـإنّ فيـك لمـن جـاراك منتقَصـا

أنـت الحِمـار حُـرونـا إن وقفـتَ بـه ... وإن قصـدْتَ إلـى معـروفـه قَمَصـا

[١٣٠/٢٠] / إنّـي هـززْتُـك لا آلـوك مجتهِـدا ... لـو كنـتَ سيفـا ولكنـي هـززْت عصـا

٣٤/١٨

أبو تمام يهجوه ويتوعده:

قال: فشكاه أبو نَضير إلى أبي تمام الطائيّ، واستعان به عليه، فقال أبو تمام يجيب دِعبلاً عن قوله، ويهجوه ويتوعده:

---

(١) الماقط: المضيق في الحرب.

(٢) الخاقان: اسم لكل ملك خقنه الترك، أي ملكوه عليهم.

(٣) كذا في م، أ. وفي س، ب «همذان»، تحريف.

(٤) م، مي. «أبا نصر بن حميد» تحريف.

أدعِلُ إن تطاولَت الليالي / عليك فإن شِعري سمّ ساعَهْ

وما وَفد الشيب عليك إلاّ / بأخلاق الدناءة والضَّراعه[١]

ووجهُك إن رضيتَ به نَديما / فأنت نَسيج وحدِك في الرّقاعه

ولو بُسدّلتَه وجهاً بوجه / لما صلَّيتَ يوماً في جماعه

ولكن قد رُزِقْت به[٢] سِلاحاً / لو استعصَيتَ ما أعطيتَ[٣] طاعه

مَناسِب طيّءٍ قُسِمَت فدعها / فليسَتْ مثلَ نِسبتك المُشاعه

وروّح مَنكِبيك فقد أعيدا / حُطاماً من زِحامك في خُزاعه

قال العَنَزيّ: يقول إنك تزاحم خُزاعةَ، تدّعي أنك منهم ولا يقبلونك.

يهجو الخاركي لأنه هجاه:

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدّثني العَنَزيّ قال: حدّثني محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبَ قال: تعرَّض الخارَكيّ[٤] النصري - وهو رجل من الأزد - لدعبلِ بن عليٍّ فهجّاه، وسبّه، فقال فيه دعبل:

وشاعرٍ عرّض لي نفسَه / لخارك آباؤه تَنْمي

يَشتُم عرضي عند ذكرى وما / أمسى ولا أصبح من همي

فقلت لا بل حبذا أمُّه / خيِّرةٍ طاهرة عِلمي

أكذِبُ والله على أمه / ككِذبه كان[٥] على أمي

[١٣١/٢٠]

يعده ابن المدبر أجسر الناس لهجائه المأمون:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيه قال حدّثني إبراهيم بنُ المدبّر قال:

لقيتُ دِعبِلَ بنَ عليّ، فقلت له: أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول:

إني من القوم الذين سيوفُهم / قتلَتْ أخاك وشرّفتك بمقعد[٦]

رَفعوا محلك بَعد طولِ خُموله / واستنقذوك من الحَضيض الأوهد

فقال: يا أبا إسحاقَ، أنا أحمِل خشبتي منذ أربعين سنة، فلا أجد من يصلِبني عليها.

يرثي ابن عم له:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمدُ بن يزيدَ قال:

---

(١) وفي س، ب: «الرضاعة»، تحريف.

(٢) في س، ب: «له».

(٣) في «الديوان»: «ما أديت».

(٤) نسبة إلى خارك: جزيرة بالخليج الفارسي. ضبطها الباب بكسر الراء، و«القاموس» و«معجم البلدان» بفتحها.

(٥) في س، ب، مد: «أيضاً».

(٦) يشير إلى ما فعله طاهر بن الحسين من قتل الأمين، وعقد البيعة المأمون وتوطيد الخلافة له. وكان طاهر خزاعياً بالولاء.

قال دِعبِل بنُ عليٍّ يَرثي ابنَ عم له من خُزاعة نُعي إليه، قال محمدُ بنُ يزيدَ: ولقد أحسن فيها ما شاء:

كانت خُزاعة مِلءَ الأرض ما اتسعَت فقَصَّ مَرُّ الليالي من حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوي بِبَلْقعة تَسفِي الرياحُ عليه من سوافيها
هبّت وقد علمَتْ أن لا هُبوب به وقد تكون حَسيراً إذ يباريها
أضحى قِرًى للمنايا إذ نَزَلْن به وكان في سالف الأيام يَقريها

[٢٠/١٣٢] حدّثني الحسن بنُ مَهْرُوَيه عن أبيه، فذكر أن المَنعيّ إلى دِعبلٍ أبو القاسم / المطَّلِبُ بنُ عبدِالله بنِ مالك، وأنه نُعِي إلى دِعبل، وكان هو بالجَبل، فرثاه بهذه الأبيات.

يتوعده إسماعيل بن جعفر، فيعيره بالهرب من زيد بن موسى:

أخبرني الأخفش قال: حدّثنا محمدُ بنُ يزيدَ، قال:

٣٥/١٨ بلغ إسماعيلَ بنَ جعفرِ بنِ سليمانَ أن / دِعبلاً هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز، فهرب من زيدِ بنِ موسى بنِ جعفر بنِ محمد لما ظهر وبيّض في أيام أبي السرايا، فقال دعبل بن علي يعيّر إسماعيل بذلك:

لقد خلّف الأهوازَ من خلف ظَهره يريد[1] وراء الزاب[2] من أرض كَسْكَر[3]
يهوّل إسماعيلُ بالبِيض والقنا وقد فرّ مِن زيد بن موسى بن جعفر
وعاينته في يومَ خلّى حَريمَه فيا قبحَها منه ويا حسنَ منظر

كان يتشطر بالكوفة وهرب منها بعد ما قتل صيرفياً:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيه قال حدّثني ابنُ الأعرابيّ عن أبي خالدٍ الأسلميّ قال:

كان دِعبِل بنُ عليٍّ الخُزاعيُّ بالكوفة يتشطر وهو شابّ، وكانت له شَعْرة[4] جَعْدة، وكان يَدْهُنها ويُرجّلها حتى تكاد تَقطر دهناً، وكان يُصلت[5] على الناس بالليل، فقَتل رجلاً صَيرفياً، وظن أن كيسَه معه، فوجد في كُمه رمّاناً، فهرب من الكوفة، وكنتُ إذا رأيت دِعبلاً يَمشي رأيت الشطارة في مِشيتِه وتبختُره.

[٢٠/١٣٣] / **يتطير من عمير الكاتب فيهجوه:**

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: حدّثني الحسنُ بنُ أبي السَّريّ قال:

كان عُميرٌ الكاتب أقبحَ الناس وجهاً، فلقي دِعبلا يوماً بُكْرةً وقد خرج لحاجة له، فلما رآه دعبل تَطيَّر من لقائه، فقال فيه:

خَرجْتُ مبكرا من سُرَّ مَن را أُبادر حاجة فإذا عُمَيرُ

(١) س، ب: «يزيد»، تحريف.
(٢) الزاب: اسم لعدة أنهر، منها نهر بين سوراء وواسط، وآخر بقربه.
(٣) كسكر: كورة تشمل البصرة ونواحيها.
(٤) الشعرة: واحدة الشعر، وقد يكنى بها عنه.
(٥) أصلت السيف: جرّده.

فلـم أثْـنِ العِنـان وقلـت أمضـي ... فـوجهـك[1] يـا عُمير خِـزاً وخَيـر

يهدد عبد الرحمن بن خاقان لأنه بعث إليه برذونا يظلع:

أخبرني الحسنُ قال حدثنا ابنُ مَهْرَوَيه قال: حدثني الحسنُ بن أبي السّرميّ قال حدثني دعبل قال:

مدحت عبدالرحمن بنَ خاقان، وطَلَبت منه بِرْذَونا، فبعث إلى[2] بِبِرْذَونٍ غامزٍ، فكتبت إليه:

حملـتَ علـى قـارحٍ[3] غـامـزٍ[4] ... فـلا لِلـركـوب ولا للثمـنْ

حملـتَ علـى زَمَـنٍ ظـالـعٍ ... فسـوف تُكـافـا بشُكـرٍ[5] زَمِـن

فبعث إليّ ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه، وألفَي درهم.

قال ابن مَهْرُوَيَه وحدثني إسحاقُ بنُ إبراهيم العُكْبَرِيّ عن دِعبلٍ أنه مدح يحيى بنَ خاقان، فَبعث إليه بهذا البِرْذَون.

يهجو خريجه الفضل بن العباس لأنه عابه:

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُوَيَه قال: قال الحُسَيْن بنُ دِعبلٍ: كان أبي يختلف إلى الفضل بن العباسِ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعث، وهو خرّجه وفهمّه وأدّبه، فظهر له منه جفاء، وبلغه أنه يَعيبه ويذكره، وينال منه، فقال يهجوه:

[٢٠/١٣٤]

/ يا بـؤسَ للفضـل لـو لـم يـأت مـا عـابـه ... يستفـرغ[6] السـم مـن صمـاء[7] قرضـابـه[8]

مـا إن يـزال وفيـه العيـب يجمعـه ... جهـلا لأعـراض أهـل المجـد[9] عيّـابـه

إن عـابنـي لـم يَعـب إلاّ مـؤدّبَـه ... ونفسَـه عـاب لمـا عـاب أدّابـه

فكـان كـالكلـب ضَـرّاه مكلّبُـه ... لِصيـده فعـدا فـاصطـاد كـلاّبـه

يهجو ابن أبي دواد لأنه كان يطعن عليه:

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدثني أبو جعفرٍ العجليُّ قال:

كان أحمدُ بنُ دُوادٍ يَطعن على دِعبل بَحضرة المأمون والمعتصم، ويسبه تقرباً إليهما لهِجاء دِعبل إياهما، وتزوج أبي ابنُ دُواد امرأتين من بنَي عِجل في سنة واحدة، فلما بَلغ ذلك دعبلا قال / يهجوه:

٣٦/١٨

(١) ب، م، أ: «لأنك يا عمير».
(٢) م، أ: «فحمله إلى غامزا». س، ب: «غامرا»، تحريف.
(٣) القارح: الذي شق نابه وطلع من ذي الحافر.
(٤) غامز: يغمز في مشيه. م، أ: «شاعرا».
(٥) في م، أ: «بشعر».
(٦) في م، أ: «يستغزر»، يعطي شيئاً ليرد عليه أكثر مما أعطى.
(٧) الصماء: الداهية.
(٨) القرضابه: الذي لا يدع شيئاً إلاّ أكله.
(٩) في م، أ: «الأرض».

غَصبْتَ عِجلا على فَرجَين في سنة أفسدْتَهمْ ثم ما أصلحْتَ من نَسبكْ
ولو خَطبْتَ إلى طَوق وأسرتِه فزوجوك لما زادوك في حسَبك
نِلكَ من هويت ونَلْ ما شئت من نَشَب[1] أنت ابنُ زِرياب[2] منسوباً إلى نَشبك
إن كان قوم أراد الله خِزيهمُ فزوجوك ارتغاباً منك في ذهبك
فذاك يوجب أن النبْعَ[3] تجمعه إلى خلافك[4] في العيدان أو غَرَبك[5]
[٢٠/١٣٥] / ولو سكتّ ولم تخطب إلى عرب لما نبشْتَ[6] الذي تطويه من سببك
عُدّ البيوتَ التي ترضى بِخطبتها تجد فَزارةَ العكليَّ من عرَبك

قال: فلقيه فَزارة العُكليّ، فقال له: يا أبا عليّ، ما حملك على ذكرى حتى فضحتني، وأنا صديقك؟ قال: يا أخي والله ما اعتمدتُك بمكروه، ولكن كذا جاءني الشعر لِبلاءٍ صبه الله عزّ وجل عليك لم أعتمدك به.

يهجو جارية عبثت به في مجلس:

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبدالملك الزياتِ قال: حدثني أبو خالد الأسلميُّ الكوفيّ قال:

اجتمعتُ مع دِعبل في منزل بعض أصحابنا، وكانت عنده جارية مغنِّية صفراء مليحة حسنة الغناء، فوقع لها العبَث بِدعبل والعنَت والأذى له، ونهيناها عنه، فما انتهت، فأقبل علينا فقال: اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة، فقلنا: هات، فقد نهَيناها عنك، فلم تنته، فقال:

تَخضِب كفّا قُطعت من زَندها فتخضِب الحِنّاء من مُسودّها
كأنها والكحل في مِرْودها تكحَل عينيها ببعض جلدها

* أشبهُ شيء أستُها بخدّها *

قال: فجلست الجارية تبكي، وصارت فضيحة، واشتهرت بالأبيات، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك.

يحبسه العلاء بن منظور ويضربه في جناية بالكوفة فيخرج منها:

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثني هارون قال: حدثني أبي وخالدٌ قالا:

كان دِعبل قد جنَى جنايةً بالكوفة وهو غلام، فأخذه العَلاءُ بنُ منظورٍ الأسديُّ، وكان على شُرْطة الكوفة من [٢٠/١٣٦] قِبَل موسى بن عيسى، فحبسه، فكلمه في عمِّه سليمان بن / رَزين، فقال: أَضربه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطعَ يده، فلعله أن يتأدب بضربي إياه، ثم ضربه ثلثَمائةِ سوط، فخرج من الكوفة، فلم يدخلها بعد ذلك إلاّ عزيزاً.

(١) كذا في م، أ. س، ب: «نسب، نسبك»، وكل تحريف.
(٢) لعله علي بن نافع المغني مولى المهدي. وكان أسود اللون فصيح اللسان.
(٣) النبع: شجر للقسي والسهام، ينبت في قلة الجبل.
(٤) الخلاف: شجر يشبه الصفصاف.
(٥) الغرب: نوع من الشجر.
(٦) س، ب: «نشبت»، تحريف.

كان يضرب في الأرض فلا يؤذيه الشراة ولا الصعاليك:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُوَيه قال: حدثني أحمدُ ابنُ أبي كامل قال:

كان دِعبل يخرج فيغيب سنين، يدور الدنيا كلّها، ويرجع وقد أفاد وأثري. وكانت الشُّراة والصعاليك يلقَوْنه فلا يؤذونه، ويؤاكلونه ويشاربونه ويَبَرّونه، وكان إذ لقيهم وضع طعامَه وشرابه، ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثَقيف وشعف، وكانا مغنيين، فأقعدهما يغنيان، وسقاهم وشرب معهم، وأنشدهم، فكانوا قد عرفوه، وألِفوه لكثرة أسفاره، وكانوا يواصلونه ويصلونه. وأنشدني دِعبل بنُ علي لنفسه في بُعْدِ أسفاره:

حللْـــتُ محَـــلا يقصُـــر البـــرق دونـــه ... ويعجِـــز عنـــه الطيـــفُ أن يتجشمـــا

يعده البحتري أشعر من مسلم بن الوليد:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويْه قال:

قال لي البحتريّ: / دِعبل بنُ عليّ أشعر عندي من مُسلِم بنِ الوليد، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: لأن كلام [٣٧/١٨] دِعبلٍ أدخل[1] في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبُه أشبه بمذاهبهم. وكان يتعصب له.

يهجو صاحب بيت دب إلى رجل بات عنده:

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصريُّ قال:

بات دِعبِل ليلةً عند صديق له من أهل الشأم، وبات عندهم رجل من أهل بيت / لَهَياني[2] يقال له حَوِيّ بنُ [١٣٧/٢٠] عمرو السَّكْكيّ جَميلُ الوجه، فدبّ إليه صاحب البيت، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين، فقال فيه دعبل:

لـــولا حـــوَى لبيـــت لهيـــانـــي ... مـــا قـــام أَيـــر العـــزب[3] الفـــانـــي

لـــه دواة فـــي ســـراويلـــه ... يَليقهـــا[4] النـــازح والـــدانـــي

قال: وشاع هذان البيتان، فهرب حويّ من ذلك البلدِ، وكان الشيخ إذا رأى دِعبلاً سبّه، وقال: فضحتَني أخزاك الله.

يتمنى موت من تكون له منة عنده:

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدثني ابنُ مَهْرُويه قال: حدثني محمدُ بنُ الأشعث قال: سمعْتُ دِعبِلاً يقول: ما كانت لأحد قطُّ عندي مِنّة إلَاّ تمنيت موته.

يهجوه شاعر بالري وهو هناك فيرتحل:

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدثنا محمدُ بن عُمر الجُرجانيُّ قال: دخل دِعبلُ بنُ عليٍّ الرّيّ في

---

(١) في م، أ: «أخذ».

(٢) س، ب: «لهيان» وفي «معجم البلدان»: بيت لهيان، كذا يتلفظ به. والصحيح الإلاهة، وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق، والنسبة إليها بتلهي».

(٣) في أ. س: «الغراب». ب: «الغرب». وكل تحريف.

(٤) لاق الدواة: أصلح مدادها، أو جعل لها ليقة.

أيام الربيع، فجاءهم ثَلْج لم يَرَوا مثله في الشتاء، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً، وكتبه في رقعة هو:

جاءنا دِعبِل بِثَلْجٍ من الشعر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرَّيّ بعدما سكن البرد وقد أينعت رياض المروج
فكسانا بِبَرده لا كساه الله ثوباً من كُرْسُف[1] محلوج

قال: فألقي الرقعة في دِهليز دِعبِل، فلما قرأها ارتحل عن الرّيّ.

[٢٠/١٣٨] / **هجاؤه لصالح الأضجم لأنه قصّر عن حاجته:**

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال: حدّثنا العَنَزيّ قال: حدّثنا أبو خالد الأسلميُّ قال:

عرضَتْ لدِعبِل حاجةٌ إلى صالح بنِ عطية الأضجمِ، فقصّرَ عنها، ولم يبلغ ما أحبّه دعبل فيها، فقال يهجوه:

أحسنُ ما في صالحٍ وجهه فقِسْ على الغائب بالشاهد
تأملَتْ عيني له خِلقةً تدعو إلى تَزنية الوالد

فتحمل عليه صالحٌ بي وبجماعة من إخوانه حتى كف عنه، وعَرض عليه قضاء الحاجة، فأباها.

يهجو بني مكلم الذئب من خزاعة لأنهم فخروا عليه:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدثني محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُويَهْ قال حدثني أبي قال:

فَخَرَ قوم من خُزاعة على دِعبِلِ بن عليّ يقال لهم: بنو مُكلِّم الذئب، وكان جدّهم جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فحدّثه أن الذئب أخذ من غنمِه شاة فتبعه، فلما غشِيَه بالسيف قال له: ما لي ولك تمنعني رزقَ الله؟ قال فقلت: يا عَجَبًا لِلذئب يتكلم! فقال: أعجَبُ منه أن محمداً نبي قد بُعث بين أظهرُكم وأنتم لا تتبعونه، فبَنُوه يفخرون بتكليم الذئبِ جدَّهم، فقال دِعبِلُ بنُ عليّ يهجوهم:

تِهْتُمْ علينا بأنّ الذئب كلمكُم فقد لعَمري أبوكم كلَّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليثَ الهصورَ إذاً أفنَيتم[2] الناسَ مأكولا ومشروبا
٣٨/١٨ / هذا السُّنَيدي لا أصل ولا طُرَف[3] يكلّم الفيل تصعيداً وتصويبا

يهجو محمد بن عبدالملك الزيات لأنه مدحه فلم يرضه:

حدثني الحسن بن عليّ قال حدثني ابن مَهْرُويَه قال حدثني أبي قال:

[٢٠/١٣٩] / كان دِعبل قد مدح محمد بن عبدالملكِ الزياتَ، فأنشده ما قاله فيه، وفي يده طُومارٌ[4] قد جعله على فمِه كالمتكيء عليه وهو جالس، فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه، فقال: يهجوه:

يا مَن يُقلِّب طُوماراً ويلثَمه ماذا بِقلبك من حُبِّ الطوامير

---

(١) كرسف: قطن.

(٢) كذا في أ، م. مد. وفي س، ب: «أفتيتم»، تحريف.

(٣) الطرف: جمع طرفة، ويراد بها المستحدث من الكرم. أو هي طرف بالتحريك بمعنى الرجل الكريم.

(٤) طومار: صحيفة.

فيه مَشابِه من شيء تُسَرّ به ... طُولاً بطول وتدويراً بتدوير
لو كنتَ تجمع أموالاً كَجَمْعِكها ... إذاً جمعتَ بيوتاً من دنانير

ينزل بحمص فلم يبره رجلان من أهلها فيهجوهما:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويَه قال: حدثني أبي قال:

نزل دِعبلٌ بِحمص على قوم من أهلها، فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما: أشعث وللآخر أبو الصّناع[1]، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما:

إذا نَزل الغريب بأرض حِمص ... رأيتَ عليه عِزّ الإمتناع
سُموّ[2] المكرمسات بآل عيسى ... أحَلّهمُ على شرف التّلاع[3]
هناك الخزّ يلبَسه المُغالي ... وعيسى منهمُ سَقَط المتاع
فَسُدّد لإستِ أشعثَ أيرُ بَغل ... وآخرَ في حِرِ أمّ أبي الصناع
فليس بِصانع مَجداً ولكن ... أضاع المجدَ فهو أبو الضياع

شعره في الفضل بن مروان:

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا محمدُ بن القاسمِ بن مَهْرُويَه عن الحسين بن دعبل قال:

[١٤٠/٢٠] / قال أبي في الفضل بنِ مروان:

نصحتُ فأخلصتُ النصيحة للفضل ... وقلت فسيّرتُ المقالة في الفضل
ألا إنّ في الفضلِ بن سهل لِعَبرة ... إن اعتبر الفضلُ بنُ مروان بالفضل
ولِلفضل في الفضلِ بنِ يحيى مواعظ ... إذا فكّر الفضل بنُ مروان في الفضل
فأبقِ جميلاً من حديث تَفُز به ... ولا تدَع الإحسان والأخذَ بالفضل
فإنك قد أصبحت للمُلك قَيِّماً ... وصرْتَ مكانَ الفضل والفضلِ والفضل
ولم أرَ أبياتاً من الشّعر قبلها ... جميعُ قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عَيب إذا هي أُنشدَت ... سوى أن نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث إليه الفضل بنُ مروانَ بِدنانيرَ، وقال له: قد قبلْتُ نصحك، فاكفني خيرَك وشرَّك.

ينقد شعر شاعر احتكم إليه في شعره:

حدّثني عمي قال: حدّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال: حدّثني أبو الطيّب الحرّانيّ قال:

أنشد رجل دِعبِلَ بن عليّ شعراً له، فجعل يعيبه وينبّهه على خطئه فيه بيتا بيتا، ويقول: أيّ شيء صنعْتَ بنفسك! ولِمَ تقول الشعر إذا لم تقدر إلاّ على مثلِ هذا منه؟ إلى أن مرَّ له بيت جيد، فقال دِعبِل: أحسنت، أحسنت

---

(١) كذا في مي: وفي ب، س: «الصناع» سقط.

(٢) في ب: «سموا للمكرمات»، تحريف.

(٣) التلاع: المرتفعات من الأرض، جمع تلعة كجمرة.

ما شئت. فقال له يا أبا عليّ: أتقول لي هذا بعد ما مضى؟ فقال له: يا حبيبي لو أنّ رجلاً ضرَط سبعين ضَرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دَسْتنبويةٌ[1] واحدة.

لا يرى المأمون عجباً أن يهجوه:

٣٩/١٨ أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمدُ بن حاتمِ المؤدِّبُ / قال:

[٢٠/١٤١] قيل للمأمون: إن دِعْبل بنَ عليّ قد هجاك، فقال: وأيّ عجب في ذاك؟ هو يهجو / أبا عبّاد ولا يهجوني أنا! ومن أقدَمَ على جُنون أبي[2] عباد أقدم على حِلمي، ثم قال للجلساء: من كان منكم يحفظ شعره في أبي عبّاد فلْيُنْشِدْنيه، فأنشده بعضهم:

أَولى الأمور بضَيعةٍ وفسادِ ... أمرٌ يدبّره أبو عبّادِ
خَرِقٌ على جلسائه فكأنهم ... حضروا لمَلْحَمَةٍ ويوم جِلادِ
يَسْطو[3] على كُتّابه بدواته ... فمُضَمَّخٌ[4] بِدَمٍ ونَضْحِ مِدادِ
وكأنه من دَيْر هِزْقِلَ مُفْلِتٌ ... حَرِدٌ يَجُرّ سلاسلَ الأقيادِ[5]
فاشدد أميرَ المؤمنين وثاقَه ... فأصَحُّ منه بقيّةُ الحدّادِ

قال: وكان بَقِيّة هذا مجنوناً في المارَسْتان، فضحك المأمون. وكان إذا نظر إلى أبي عبّاد يضحك، ويقول لمن يقرب منه: والله ما كذب دِعبل في قوله.

حدّثني جَحْظةُ عن ميمونِ بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريباً منه.

يزعم أن رجلاً من الجن استنشده قصيدة مدارس آيات خلت:

أخبرني أحمدُ بنُ عبيدالله بنِ عَمار ومحمدُ بنُ أحمدَ الحكيمُ قالا: حدثنا أَنسُ ابنُ عبدِالله النّبهانيُّ قال: حدّثني عليُّ بنُ المنذرِ قال: حدّثني عبدُالله بنُ سعيدِ الأشقريُّ قال: حدّثني دِعبِل بنُ عليّ قال:

لما هَرَبْت من الخليفة بتّ ليلة بنَيْسابورَ وحدي، وعزمْتُ على أن أعمل قصيدة في عبدالله بنِ طاهر في تلك الليلةِ، فإني لفي ذلك إذ سمِعْتُ والباب مردود عليّ: السلام عليكم ورحمة الله، أنج يرحمُك الله، فاقشعَرّ بدني من [٢٠/١٤٢] ذلك، ونالني أمر عظيم، / فقال لي: لا تُرَعْ عافاك الله؛ فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طرأ إلينا طارىء من أهل العراق فأنشدَنا قصيدتك:

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوة ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ

فأحْببْت أن أسمعَها منك، قال فأنشدْتُه إياها، فبكى حتى خرّ، ثم قال: رحمك الله! ألا أحدثك حديثاً يَزيد في نِيّتِك ويُعينك على التمسك بمذهبِك؟ قلت: بلى قال: مكثْت حيناً أسمع بِذِكر جعفرِ بن محمدٍ عليه السلام،

(١) دستنبوية: نوع من البطيخ الأصفر.
(٢) في س: «أبا»، تحريف.
(٣) س: «يسطوا»، تحريف.
(٤) س: «فمضخ». تحريف.
(٥) راجع حواشي الصفحة ١٢٢ من طبعة دار الكتب.

فصرْتُ إلى المدينة فسمعْتُه يقول: حدّثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: عليٌّ وشيعتُه هم الفائزون، ثم ودّعَني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله، إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل، قال: أنا ظَبْيانُ بنُ عامر.

يدعو إليه أعرابياً من كلاب فينشده في كلابي هجاه له:

أخبرني الحسين بنُ القاسمِ الكوكبيُّ قال: حدّثني إسحاق بنُ محمدٍ النخَعيُّ وأخبرني به الحَليمي عن يعقوبَ بنِ إسرائيلَ عن إسحاق النخَعيّ قال:

كنت جالساً مع دِعبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثَقيف، فمرّ به أعرابي يرفُل في ثيابِ خَزّ، فقال لغلامه: أُدع لي هذا الأعرابيّ، فأومأ الغلام إليه، فجاء، فقال له دِعبِل: ممن الرجل؟ قال: من بني كِلاب. قال: من أيِّ ولَد كِلاب أنت؟ قال: منَ ولد أبي بكر، فقال دعبل: أتعرف القائل:

ونُبِّئْـتُ كلبـاً مـن كـلاب يسبنـي ... ومحـض كـلاب يقطـع الصلـوات

فـإن أنـا لـم أُعلـم كـلابـاً بـأنهـا ... كـلاب وأنـي بـاسـل النَّقِمـات

فكـان إذاً مـن قيـس عَيـلان والـدي ... وكـانـت إذا أمـي مـن الحَبَطـات[1]

[٢٠/١٤٣] / قال: وهذا الشعر لِدعبِل يقوله في عمرو بن عاصمٍ الكلابيِّ، فقال الأعرابي: ممن أنت؟ فكرِه أن يقول له ٤٠/١٨ من خُزاعة فيهجوَهم، فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر:

أنـاس علـيُّ الخيـرِ منهـم وجعفـر ... وحمـزة والسَّجّـادُ ذو الثَّفِنـات[2]

إذا فخَـروا يـومـاً أتَـوا بمحمـد ... وجبـريـلَ والفـرقـان والسُّـوَرات

فوثب الأعرابي وهو يقول: مالي إلى محمد وجبريلَ والفرقان والسورات مرتقى.

يهجو بني بسام لأن رجلاً منهم لم يقض حاجة له:

أخبرني الكوكبي قال حدثني ابن عبدوسٍ[3] قال:

سأل دعبل نصرَ بنَ منصورِ بَسّام حاجة، فلم يَقضِها لشغلٍ عرض له دونها، فقال يهجو بني بَسام:

حـواجـبٌ كـالجبـال سـودٌ ... إلـى عثـانيـن[4] كـالمخـالـي

وأوجُـهٌ جَهْمـة غِـلاظٌ ... عُطْـل مـن الحسـن والجمـال

يهجو أحمد بن خالد حين ولّي الوزارة للمأمون:

أخبرني الكوكبيُّ قال حدّثني ميمونُ بن هارونَ قال:

---

(١) الحبطات: أولاد الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم، وسمي بالحبط «كسبب» لأنه في بعض ما يروى أكل شيئاً فورم بطنه، وأصابه منه مثل الحبط، وهو وجع يبطن البعير من كلأ يستوبله أو يكثر منه فينتفخ بطنه ولا يخرج منه شيء.

(٢) هو علي زين العابدين، ولقب بذي الثفنات لأن مساجده كانت كثفنة البعير، وهي ركبته وسائر ما يمس الأرض من أعضائه إذا استناخ.

(٣) م، مي: «عروس».

(٤) العثانين: جمع عثنون، وهي ما فضل من اللحية بعد العارضين أو ما نبت على الذقن وتحته سفلاً.

لما ولّى أحمدُ بنُ أبي خالدٍ الوزارة في أيام المأمون قال دعبل بنُ علي يهجوه:

وكــان أبــو خــالــد مَــرّة ... إذا بــات متّخمــاً عــاقــداً[1]

يضيــق بــأولاده بطنُــه ... فيخــراهُــم واحــداً واحــدا

فقــد مــلأ الأرض مــن سَلحــه ... خنــافــسَ لا تشبــه الــوالــدا

[٢٠/١٤٤] / **يهرب من المعتصم ويهجوه:**

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُوَيه قال حدثنا أبو ناجيةَ قال:

كان المعتصم يُبغض دِعبِلاً لطول لسانه، وبلغ دِعبلاً أنه يريد اغتياله وقتْلَه، فهرب إلى الجبل، وقال يهجوه:

بكــىٰ لِشتــات الــدِّيــن مكتئــب صــبّ ... وفــاض بفَــرْط الــدمــع مــن عينــه غــربُ[2]

وقــام إمــام لــم يكــن ذا هــدايــة ... فليــس لــه دِيــن وليــس لــه لــبُّ

ومــا كــانــت الآبــاء[3] تــأتــي بمثِلــه ... يُملّــك يــومــاً أو تَــديــنُ لــه العُــرب

ولكــن كمــا قــال الــذيــن تتــابعــوا ... مِــن السلَــف المــاضيــن إذ عظُــم الخطــب:

ملــوك بنــي العبــاس فــي الكُتــب سبعــة ... ولــم تــأتنــا عــن[4] ثــامــن لهــمُ كتــب

كــذلــك أهــلُ الكهــف فــي الكهــفِ سبعــة ... خيــارٌ إذا عُــدّوا وثــامنهُــم كلــب

وإنــي لأُعلِــي كلبَهــم عنــك رفعــةً ... لأنــك ذو ذَنْــب وليــس لــه ذَنْــب

لقــد ضــاع ملــكُ النــاس إذ ســاس ملكَهــم ... وَصِيــف[5] وأشنــاسٌ وقــد عظُــم الكــرب

وفضــلُ بــنُ مــروانٍ يُثلّــم[6] ثَلمــةً ... يظــل لهــا الإســلام ليــس لــه شَعْــب[7]

يعارض محمد بن عبدالملك الزيات في رثائه للمعتصم:

أخبرني عمي قال حدّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال:

لما مات المعتصم قال محمدُ بنُ عبدالملك الزياتُ يرثيه:

قــد قلــتُ إذ غيّبــوه وانصــرفــوا ... فــي خَيــر قبــرٍ لِخَيــر مــدفــون

[٢٠/١٤٥] / لــن يَجبُــر الله أمــةً فقــدت ... مثلَــك إلاّ بمثــل هــارون

فقال دعبل يعارضه:

(١) والعاقد: الناقة التي أقرت باللقاح. وكان ابن أبي خالد معروفاً بالنشره. وفي س: «قاعداً»، تحريف.
(٢) غرب: دلو عظيمة، والمراد هنا ماء كثير.
(٣) كذا في م، أ. س، ب: «الأنباء».
(٤) كذا في س، ب. م، أ: «في».
(٥) وصيف وأشناس من الموالي الأتراك الذين اختارهم المعتصم قواداً في جيشه وحكاماً في ملكه، فأفسدوا أمور الدولة وكانوا من عوامل القضاء عليها.
(٦) كذا في أ، مد. وفي س «يسلم»، وهو تحريف.
(٧) شعب: إصلاح.

٤١/١٨

/ قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا — في شرّ قبرٍ لشر مدفون

اذهب إلى النار والعذاب فما — خِلْتُك إلا من الشياطين

ما زلتَ حتى عقدتَ بيعةَ مَن — أضرّ بالمسلمين والدين

يكتم نسبة رثاء محمد بن عبدالملك الزيات للمعتصم:

قال عمي حدثنا ابن مَهْرُويَه قال حدثني محمدُ بنُ عُمرَ الجُرجانيّ قال: أنشد دِعبلُ بنُ عليّ يوماً قول بعض الشعراء:

* قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا *

وذكر البيتين والجوابَ ولم يُسمِّ قائل المرثِيَة ولا نسبَه إلى محمدِ بنِ عبدالملك الزيات ولا غيره.

ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العباس:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال:

سألتُ دِعبلا عن هذه الأبيات:

* ملوكُ بني العباس في الكتْب سبعة *

فأنكر أن تكون له، فقلْتُ له: فمن قالها؟ قال: من حشا الله قبرَه نارا، إبراهيمُ بن المهديّ، أراد أن يُغريَ بي المعتصمَ فيقتلني لهجائي إياه.

يستعيد ابن المدبر أبياتاً له في هجاء ابن أبي داود:

أخبرني عمي والحسنُ بن عليّ جميعاً قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُويَهْ قال: حدثني أبي قال: كنتُ عند أحمدَ بنِ المدبِّر ليلة من الليالي، فأنشدته لدعبل في أحمد بنِ أبي دُوادٍ قوله:

إنّ هذا الذي دُواد أبوه — وإياد قد أكثر الأنباءِ

ساحَقَتْ أُمّه ولاط أبوه — ليت شِعري عنه فمِن أين جاء!

/ جاء مِن بين صخرتَين صلودَيْنِ عَقامَين[1] يُنبِتان الهَباء [٢٠/١٤٦]

لا سِفاحٌ ولا نِكاح ولا ما — يوجب الأمهاتِ والآباء

قال: فاستعادها أربعَ مرات، فظننت أنه يريد أن يحفظها، ثم قال لي: جئني بِدعِبل حتى أُوصلَه إلى المتوكل، فقلت له: دِعبل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع، وإنما غايتُه أن يُخمِلَ ذكره، فأمسك عني، ثم لقيت دِعبِلا فحدثْتُه بالحديث، فقال: لو حضرتُ أنا أحمدَ بنَ المدبِّر لما قدرْتُ أن أقولَ أكثر مما قلْتَ.

يروي له بيت في هجاء المتوكل:

أخبرني الحسن قال حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويَه قال حدثني محمدُ بنُ جَرير قال:

أنشدَني عُبيدالله بنُ يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعبِل يهجو به المتوكل، وما سمعت له غيره فيه:

(١) العقام: من لا يولد له. والمراد: مجدبة.

ولست بقائل قَذعا ولكن ... لأمرٍ ما تعبَّدك العبيد

قال: يرميه في هذا البيت بالأبنة.

يهجو المعتصم والواثق حين علم نعي المعتصم:

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويَه قال:

كنتُ مع دِعبِل بالصَّيْمَرة[1] وقد جاءَ نعي المعتصم وقيامُ الواثق، فقال لي دِعبِل: أمعَك شيء تكتب فيه؟ فقلت: نعم، وأخرجْتُ قِرْطاسا، فأملي عليّ بديها:

الحمدُلله لا صبر ولا جلَدُ ... ولا عزاء إذا أهلُ البَلا رَقَدوا

خليفةٌ مات لم يَحزن له أحد ... وآخرٌ قام لم يَفرح به أحد

يمزق قصيدة أعدها في مدح الحسن بن وهب:

حدّثني عمي قال: حدّثنا أحمدُ بنُ عَبيدالله بنِ ناصح قال:

[١٤٧/٢٠] / قلتُ لدِعبِلٍ، وقد عرض عليّ قصيدة له يمدح بها الحسنَ بنَ وَهْب، أولها:

* أعاذِلَتي ليس الهوَى من هوائيا *

فقلت له[2]: ويحك، أتقول فيه هذا بعد قولك:

أين مَحَلّ الحيّ يا حادي ... خبّر سقاك الرائحُ الغادي

٤٢/١٨ / وبعد قولك:

قالت سَلامة أينَ المال قلت لها ... المال ويحكِ لاقي الحمدَ فاصطحبا[3]

وبعد قولك:

فَعَلى أيمانِنا يجري النّدَى ... وعلى أسيافنا تجري المُهَجْ

والله إني أراك لو أنشدْتَه إياها لأمرِ لك بصَفع قفاك، فقال: صدقْتَ والله، ولقد نبّهتَني وحذَّرتَني، ثم مزقها.

يغضب على خريج له فيهجو أباه:

أخبرني عمّي قال: حدّثني العَنَزِيّ قال حدثني الحُسَيْنُ بنُ أبي السّريّ قال:

غضِب دِعبل على أبي نصرِ بن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ - وكان دِعبلٌ مؤدبَه قديماً - لشيء بلغه عنه، فقال يهجو أباه:

ما جعفرُ بنُ محمدِ بنِ الأشعث ... عندي بخيرِ أبوّة من عَثعثِ

(١) الصيمرة: بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان.
(٢) م، أ: «فقلت: يا أبا علي، أتقول».
(٣) س، ب: «فاصطحباء»، تحريف.

عبثاً تُمَارسُ[1] بــي تُمَــارسُ حيــة ... سَــوَارة إن هِجتَهــا لــم تلبــث

لــم يَعلــم المغــرور مــاذا حــاز مــن ... خــزي لــوالــده إذاً لــم يعبــث

قال: فلقيه عثعث، فقال له: عليك لعنة الله، أيُّ شيء كان بيني وبينك حتى / ضربْتَ بي المثل في خِسة [٢٠/١٤٨] الآباء، فضحك، وقال: لا شيءَ والله، اتفاق اسمك واسمِ ابنِ الأشعث في القافية. أو لا ترضَى أن أجعلَ ـ أباك وهو أسود ـ خيراً من آباء الأشعث بنِ قيس!.

يصف العيش الذي يرتضيه:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُويهْ قال: حدّثني إبراهيم بنُ سهل القاري، وكان يلقب أرُزة[2] قال: حدَّثني دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيّ قال:

كتبْتُ إلى أبي نَهْشَلِ بنِ حُمَيد الطوسيّ قوله:

إنمــا العَيــش فــي مُنــادمــةِ الإخــ ... ــوان لا فــي الجلــوس عنــد الكَعَــابِ

وبِصِــرْفٍ كــأنهــا ألسُــن البــرَ ... قِ إذا استعــرضَــت رقيــق السحــاب

إن تكــونــوا تــركتــمُ لــذة العيــ ... ــش حِــذار العِقــاب يــومَ العقــاب

فــدَعُــونــي ومــا ألــذّ وأهــوَى ... وادفعــوا بــي فــي صــدر يــوم الحســاب

ينشد علي بن موسى الرضا: مدارس آيات خلت:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويَه قال: حدّثني موسى بنُ عيسى المَرْوَزِيّ ـ وكان منزله بالكوفة في رَحَبة طيّء ـ قال:

سمعْت دِعبِلَ بنَ عليّ وأنا صبي يتحدث في مسجد المَرْوزية قال: دخلْتُ على عليِّ بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ فقال لي: أنشدني شيئاً مما أحدثت، فأنشدته:

مــدارس آيــات خلَــتْ مــن تــلاوة ... ومنــزلُ وحــي مقفــرُ العــرَصــات

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وُتِــروا مــدّوا إلــى واتــريهــمُ ... أكفّــا عــن الأوتــار منقبضــات

قال: فبكى حتى أُغمي عليه، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه: أن أسكت، فسكتّ / ساعة، ثم قال لي: [٢٠/١٤٩] أعِد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضاً، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرة الأولى، وأومأ الخادم إليّ: أن اسكت، فسكت، فمكث ساعة أخرى ثم قال لي: أعد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها، فقال لي: أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمَر لي بِعشرة آلاف درهم مما ضُرب باسمه، ولم تكن دُفعَت[3] إلى أحد بعدُ، وأمَر لي مَن في منزله بحَلْى كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدِمْتُ العراق، فبِعت كل درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها مِني الشيعة، فحصل

(١) م، أ: «تمرس بي فمارس حية».

(٢) ضبطه بالقلم في أ: بفتح الهمزة وضم الراء.

(٣) س، ب: «وقعت».

٤٣/١٨ لي / مائةُ ألف دِرهم، فكان أول مال اعتقدْتُه[١].

يستوهب الرضا ثوباً لبسه ليجعله في أكفانه:

قال ابن مَهْرُويَه وحدَّثني حُذَيفةُ بنُ محمد:

أن دِعبِلا قال له: إنه استوهَب من الرِّضا عليه السلام ثوباً قد لبِسه ليجعله في أكفانه فخلع جُبة كانت عليه، فأعطاه إياها وبلغ أهلَ قمّ[٢] خبرُها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألفَ درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في طريقه، فأخذوها منه غصباً، وقالوا له: إن شئتَ أن تأخذ المال فافعل، وإلاّ فأنت أعلم. فقال لهم: إني والله لا أُعطيكم إياها طَوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرِّضا عليه السلام. فصالحوه على أن أعطَوه الثلاثين الألفَ الدرهِم وفرْدكمٍّ من بطانتها فرضي بذلك.

يهجو إبراهيم بن المهدي حين خرج ببغداد:

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيدٍ قال حدثنا حَمادُ بنُ إسحاق عن أبيه قال:

بويع إبراهيمُ بنُ المهدي ببغدادَ، وقد قلّ المال عنده، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس، فاحتبس عنهم العطاء، فجعل إبراهيم يسوّفهم ولا يرَون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسولُه يوماً وقد اجتمعوا وضجُّوا فصرَّح / لهم بأنه لا مال عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد: أخرجوا إلينا خليفتنا ليغَنّي لأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات، ولأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات، فتكونَ عطاءً لهم، فأنشدني دِعبِل بعد ذلك بأيام قوله: [٢٠/١٥٠]

يـــا معشَـــر الأجنـــاد لا تقنَطـــوا ... وارضَـــوْا بمـــا كـــان ولا تَسخطـــوا

فســـوف تعطَـــون حُنَيْنِيـــة ... يلتـــذهـــا الأمـــرد والأشمـــط

والمعبَـــدِيّـــات لقـــوّادكـــم ... لا تـــدخـــل الكِيـــس ولا تُـــربـــط

وهكـــذا يَـــرزق قـــوّاده ... خليفـــةٌ مُصحفُـــه البَـــرْبـــط

وزادني فيها جعفر بن قدامة:

قـــد خَتـــم الصـــك بـــأرزاقكـــم ... وصحّـــح العـــزمَ[٣] فـــلا تسخطـــوا

بَيعـــة إبـــراهيـــم مشئـــومـــة ... يُقتَـــل فيهـــا الخلـــق أو يُقحَـــطُ

يقص قصة صديق له متخلف يقول شعراً:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويَه قال: حدّثني أبو عليٍّ يحيى بنُ محمد بنِ ثَوابة الكاتبُ قال: حدّثني دِعبِل قال:

كان لي صديق متخلّف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا[٤] أنهاه عنه إذا أنشدني، فأنشدني يوماً:

---

(١) اعتقدته: جمعته.

(٢) راجع الحاشية ٤ في الصفحة ١٢١ من طبعة دار الكتب.

(٣) م: «العرض».

(٤) في م، أ: «مرذولا وأنهاه».

إنّ ذا الحُبَّ شديدٌ ليس يُنجيه الفِرارُ
ونجا مَن كان لا يعشق من ذلّ المخازي

فقلت له: هذا لا يجوز، البيت الأول على الراء، والبيت الثاني على الزاي. فقال: لا تَنقُطْه، فقلت له: فالأول مرفوع، والثاني مخفوض. فقال: أنا أقول له لا تَنقُطه وهو يَشكلُه.

[١٥١/٢٠]

/ **يستشهد لكلمة أنكرت عليه:**

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مَهْرُويَه قال: حدثنا محمدُ بنُ زكريا بنِ ميمونٍ الفَرْغانيّ قال:

سمعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول في كلام جرى: لَيْسَك، فأنكرتُه عليه. فقال: دخل زيدُ الخيلِ على النبي ـ ﷺ ـ فقال له: يا زيدُ ما وُصِف لي رجل إلاّ رأيته دون وصفِه ليسك ـ يريد غيرَك.

يحسد شاعراً على معنى أعجبه:

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مَهْرُويَه قال: حدثنا عليُّ بنُ عبدِالله بنِ سعدٍ قال: قال لي دِعبلٌ، وقد أنشدته قصيدةَ بكرِ بنِ خارجة في عيسى بنِ البَرَاء النصرانيّ الحربيّ:

/ زُنّارُه في خصره معقود كأنه من كِبدي مقدود

٤٤
١٨

فقال: والله ما أعلَمُني حسدْتُ أحداً على شعر كما حسدْتُ بكراً على قوله: كأنه من كبدي مقدود.

يقول شعراً كل يوم خلال ستين سنة:

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال: سمعْتُ الجاحظ يقول: سمعْتُ دعبل بن عليٍّ يقول: مكثْت نحوَ ستين سنة ليس مِن يوم ذَرّ شارقُه إلاّ وأنا أقول فيه شعراً.

يعود مفلوجاً ويعجب لخفة روحه وهو على تلك الحال:

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثني محمدُ بن القاسِم بنِ مَهْرُويَه قال: حدثني أبي قال: سمعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول:

دخلْت على أبي الحارث جُمَيز[١] ـ وقد فُلِج ـ لأعوده، وكان صديقي، فقلت: ما هذا يا أبا الحرث؟ فقال: أخذْتُ من شَعري ودخلت الحمام، فغلِط بي الفالجُ، وظن أني قد احتجمْتُ. فقلت له: لو تركْتَ خِفة الرُّوح والمُجون[٢] في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال.

[١٥٢/٢٠]

/ **يسأل المأمون جلساءه أن ينشدوا من شعره:**

أخبرني الحسينُ بنُ القاسِم الكوكبيُّ قال: حدثنا أحمدُ بن صَدَقة قال: حدثني أبي قال: حدثني عمرُو بنُ مَسْعدة قال:

حضرْت أبا دُلَف عند المأمون، ، وقد قال له المأمون: أيَّ شيء تَروِي لأخي خُزاعة يا قاسم؟ فقال وأيَّ أخي

(١) س، ب: «جمين»، تحريف.
(٢) ف م، أ: «النوادر».

خُزاعةَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ومَن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أما مِنْ أنفُسِهم فأبوا الشَّيص ودِعبل وابنُ أبي الشَّيص وأما مِن مواليهم فطاهرٌ وابنُه عبدُالله. فقال: ومَن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دِعبل! هات أيَّ شيء عندك فيه. فقال وأيَّ شيء أقول في رجل لم يَسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم، فقَرن إحسانهم بالإساءة، وبَذْلهم بالمنع، وجودَهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة! قال: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول في المطّلب بنِ عبدالله بنِ مالك، وهو أصدق الناس له، وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه[1] العطايا الجزيلة، وولاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه:

اضـرِب نـدَى طلحـةِ الطّلحـات متئـداً ... بِلـؤم مطّلـب[2] فينـا وكـن حكمـا

تخـرجْ خـزاعـة مـن لـؤم ومـن كـرم ... فـلا تُحسُّ لهـا لـؤمـاً ولا كـرمـا

قال: فقال المأمون: قاتلَه الله! ما أغوصَه وألطفه وأدهاه! وجَعل يضحك، ثم دخل عبدالله بنُ طاهر، فقال له: أيَّ شيء تحفظ يا عبدَالله لِدعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتها ويحك، فأنشده عبدُالله قولَ دعبل:

سَقيـا ورَعيـا لأيـام الصبـابـاتِ ... أيـام أرفُـل فـي أثـواب لـذاتـي

أَيـام غصنـي رَطيـب مـن لَيـانتـه ... أصبـو إلـى غيـر جـارات وكَنّـات

/ دعْ عنـك ذكـرَ زمـان فـات مطلبُـه ... واقـذِف بِـرجلِـك عـن مَتـن الجهـالات [٢٠/١٥٣]

واقصِـد بكـل مـديـح أنـت قـائلـه ... نحـو الهُـداة بنـي بَيـت الكـرامـات

وصفه لسفر طويل يعجب المأمون:

فقال المأمون: إنه قد وَجد مقالاً فقال، ونال ببعيد ذكرهم مالاً يناله في وصف غيرهم، ثم قال المأمون: لقد أَحسن في وصف سَفرٍ سافره، فطال ذلك السفر عليه، فقال فيه:

أَلـمْ يـأنِ للسَّفْـر الـذيـن تَحملـوا ... إلـى وطـنٍ قبـل الممـات رجـوع!

فقلـتُ ولـم أملِـك سـوابـق عَبـرة ... نطقـن بمـا ضُمـت عليـه ضلـوع

/ تبيَّـنْ فكـم دار تفـرّق شَمْلهـا ... وشمـلٍ شتيـت عـاد وهـو جميـع [45/18]

كـذاك الليـالـي صـرفُهـنّ كمـا تـرى ... لكـل أنـاس جَـذبـةٌ وربيـع

ثم قال: ما سافرت قطّ إلا كانت هذه الأبيات نُصب عيني في سفري، ، وهِجّيري[3] ومسلِّيتي حتى أعود.

يقص قصة مكار أساء جوابه:

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدثني المبرِّد ومحمد بن الحسن بن الحرون[4] قالا: قال دِعبل:

(١) زائدة في م، أ.
(٢) ب، س: «حطلب»، تحريف.
(٣) هجيري: دأبي، وعادتي. م. أ: «في سفري ومسلبتي».
(٤) ساقطة في م، أ.

خرجتُ إلى الجبل هارباً من المعتصم، فكنت أسير في بعض طريقي والمُكاري يسوق بي بغلاً تحتي، وقد أتعبني تعباً شديداً، فتغنّى المُكاري في قولي:

لا تَعجبي يا سلم من رجل ... ضحِك المشيب برأسه فبكى

فقلت له، وأنا أريد أن أتقرّبَ إليه وأكفَّ ما يستعمله من الحثّ للبغل لئلاّ يتعبني: تَعرِف لِمن هذا الشعرُ يا فتى؟ فقال: لِمن ناك أُمّه وغرِم درهمين، فما أدري أيّ أموره أعجب: من هذا الجوابِ أم من قلة الحُرْم على عِظم الجناية!

تغنت بشعره جارية:

/ حدّثني عمي قال: حدثني أحمدُ بن الطيب السرْخَسيّ قال: [٢٠/١٥٤]

حضرْت مجلسِ محمدِ بن عليّ بنِ طاهرٍ وحضَرتْه مغنّية يقال لها: شنين مشهورة، فغنّت:

لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

ثم غنّت بعده:

* لقد عجِبَتْ سلمى وذاك عجيب *

فقلت لها: ما أكثر تعجبَ سلمى هذه! فعلِمَت أني أعبث بها لأسمع جوابها، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة:

فهُلك الفتى ألا يَراح[1] إلى نَدَى ... وألا يَرى شيئاً عجيباً فيعجبا

فعجبْتُ والله من جوابها وحِدّته وسرعته، وقلت لمن حضر: والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرَفاً.

نسبة هذا الصوت

صوت

لقد عجِبَت سلمى وذاك عجيب ... رأت بيَ شيباً عجّلته خُطوب

وما شيَّبتني كَبرةٌ غير أنني ... بِدَهر به رأسُ الفطيم يشيب

الغناء ليحيى المكيّ، ثقيل أول بالوُسطى من كتاب أبيه أحمدَ.

صديق له يصنع كل غناء بشعره:

حدّثني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثني محمدُ المرتجلُ بنُ أحمدَ بن يحيى المكيُّ قال:

كان أبي صديقاً لِدعبِل، كثيرَ العِشرة له، حافظاً لِغَيبه، وكلُّ شِعر يُغَنّى فيه لِدِعبِل / فهو من صنعةِ أبي، [٢٠/١٥٥] وغناني من صنعة أبيه في شعر دِعبل، والطريقةُ فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر:

(١) يرا: يرتاح.

صوت

سَرَى طيفُ ليلى حين آن هُبوب ... وقضّيتُ شوقاً حين كاد يذوب

فلم أرَ مطروقاً يُحَلّ برَحله ... ولا طارقاً يَقرى المنى ويُثيب[1]

وأنشدني عمي هذين البيتين عن أحمدَ بنِ يحيى بنِ أبي طاهرٍ وابنِ مَهْرُويَه جميعاً لدِعبِل.

ينفي أنه صاحب أبيات في هجاء بني العباس:

حدّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ قال: حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال: سألتُ دعبلاً من الذي يقول:

* مُلوك بني العباس في الكتْبِ سبعة *

فقال: مَن أضرم الله قبرَه ناراً، إبراهيم بنُ المهديّ. قال ابن أبي سعد: وحدّثني عبدُالعزيز بنُ سهل أنه سأله عنها فاعترف بها.

يهجو طاهر بن الحسين:

٤٦/١٨ / حدّثني عمي قال: أنشدني ابنُ أخي دِعبل لعمه في طاهرِ بنِ الحسين، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه:

وذي يمينَين وعينٍ واحدهْ ... نُقصانُ عَين ويمينٌ زائدهْ

نَزْرُ العطيات قليل الفائدهْ ... أعضَّه الله بِبَظْر الوالدهْ

يهجو أخوين لم يرض ما فعلا:

حدّثني جحظة قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون قال: كان دعبل قد[2] مدح دِينارَ بنَ عبدالله وأخاه يحيى، فلم يَرْضَ ما فعلاه، فقال يهجوهما:

[٢٠/١٥٦] / مازال عصياننا لله يُرذِلنا ... حتى دُفعنا إلى يحيى ودينارِ

وَغدَين عِلجَين لم تُقطَع ثمارهما ... قد طال ما سَجَدا للشمس والنار

يهجو الأخوين والحسن بن سهل معهما:

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دعبل يهجوهم؛ والحسنِ بنِ رجاء وأبيه أيضاً:

ألا فاشتروا مِني ملوك المخزمِ[3] ... أَبِعْ حسَناً وابنَي رجاء بدرهمِ

وأعط رجاء فوق ذاك زيادة[4] ... وأسمح بدينار بغير تندُّم

فإن رُدّ من عيب عليّ جميعُهم ... فليس يَردُّ العيبَ يحيى بنُ أكثم

(١) س، ب: «يثيب»، تحريف.
(٢) م، أ: «كان دعبل مدح».
(٣) في م، أ: «المخرم» مد «المحرم».
(٤) س، ب: «فوف»، تحريف.

انحرافه عن الطاهرية وهجاؤه فيهم:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْهِ قال: حدثني أبو الطيب الحرانيُّ قال:

كان دعبل منحرفاً عن الطاهرية[1] مع ميلهم إليه وأياديهم عنده، فأنشدني لنفسه فيهم:

وأبقى طاهر فينا ثلاثا ... عجائبَ تُسْتَخَفُّ لها الحلوم

ثلاثةَ أعبد لأَب وأم ... تُمَيِّز عن ثلاثتِهم أُروم

فبَعْضٌ في قريش منتماه ... ولا غَيْرٌ ومجهول قديم

وبعضهمُ يَهُشّ لآل كسرى ... ويزعم أنه عِلْج لئيم

فقد كثرَتْ[2] مناسبهم علينا ... وكلُّهمُ عَلَى حال زنيم[3]

[١٥٧/٢٠] / **يهجو رجلاً لقبح وجهه:**

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال: حدثني أبي قال:

كان صالحُ بن عطيةَ الأضجم من أبناء الدعوة، وكان من أقبح الناس وَجهاً، وكان ينزل واسطاً، فقال فيه دعبل:

أحسنُ ما في صالح وجهُهُ ... فقِس على الغائب بالشاهدِ

تأمّلتْ عيني له خِلقةً ... تدعو إلى تزنية الوالد

قال وقال فيه أيضاً، وخاطب فيها المعتصم:

قل للإمام إمامِ آل محمد ... قول امرىء حَدِبٍ عليكَ مُحام

أنكرْتُ أن تفتر عنك صنيعةٌ ... في صالح بنِ عطيةَ الحجّام

ليس الصنائعُ عنده بصنائع ... لكنهن طوائل الإسلام

اِضرِب به جيشَ العدوّ فوجهُهُ ... جيش من الطاعون والبِرسام[4]

يعرض شعره على مسلم بن الوليد أو يكتمه حتى أذن له في إظهاره.

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ محمدٍ الوراقُ قال: حدثني الحسينُ بن أبي السّريّ قال:

قال لي دعبل:

مازلتُ أقول شعر وأعرضُه على مُسلِم، فيقول لي: أُكتمْ هذا حتى قلت:

/ أين الشباب وأيةً سَلكا ... لا، أين يطلب ضلّ؟ بل هلكا

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئتَ لمن شئت[5].

---

(١) س، ب: «آل طاهرية»، تحريف.

(٢) س، ب: «كسرت» تحريف.

(٣) زنيم: مستحلق فيمن ينتمي إليهم وليس منهم ولا حاجة بهم إليه.

(٤) البرسام: التهاب يعرض للحجاب الذي بين الكبد والقلب، وعلة يهذي فيها.

(٥) م، أ: «كيف شئت، قال».

ينسبه أبو تمام إلى قصيدة من شعره:

قال إبراهيم: وحدثني الفتح غلامُ أبي تمام الطّائيِّ، وكان أبو سعيد الثَّغريّ اشتراه له بثلثمائة دينار ليُنشد شعره، وكان غلاماً أديباً فصيحاً، وكان إنشاد أبي تمام / قبيحاً، فكان يُنشد شعره عنه، فقال: سألت مولاي أبا تمام عن نَسَب دِعبِل فقال: هو دِعبِل بنُ عليّ[1] الذي يقول: [١٥٨/٢٠]

* ضحك المشيب برأسه فبكى *

يهجر مسلم بن الوليد حين وفد عليه فجفاه:

قال الفتح: وحدّثني مولاي أبو تمام قال: مازال دِعبِل مائلاً إلى مُسلِم بن الوَليد مُقِرّاً بأستاذيته حتى وَرَد عليه جُرجان فجفاه مسلم، وكان فيه بخل، فهجره دعبل وكتب إليه:

أبا مَخْلَد كنا عقيدَيْ[2] مودة ... هوانا وقلبانا جميعاً مَعاً مَعا

أحُوطك بالغيب الذي أنت حائطي ... وأيجع[3] إشفاقاً لأن تتوجعا

فصيّرتَني بعد انتكاسك[4] متهما ... لنفسي، عليها أرهب الخلق أجمعا

غششتَ الهوى حتى تداعت أُصوله ... بنا وابتذلتَ الوصل حتى تقطعا

وأنزلتَ من بين الجوانح والحشا ... ذخيرة وُد طالما تَمنعا

فلا تعذلنّي ليس لي فيك مطمع ... تخرقتَ حتى لم أجد لك مَرْقعا

فهبك يميني استأكلَتْ فقطعتُها ... وجشّمت قلبي صبره متشجعا

ويُروى: وحملت قلبي فقدها. قال ثم تهاجرا، فما التقيا بعد ذلك.

استمساك خزاعة بانتمائه إليهم:

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني إبراهيمُ بنُ محمد قال: حدثنا الحسينُ بنُ عليٍّ قال: قلت لابن الكلبي: إنّ دِعبِلاً قُطَعِيّ[5]، فلو أخبرتَ الناس أنه ليس من خُزاعةَ، فقال لي: يا فاعل، / مِثلُ دِعبلٍ تنفيه خُزاعة! والله لو كان من غيرها لرغِبَت فيه حتى تدّعيَه. دِعبل والله يا أخي خُزاعةُ كلها. [١٥٩/٢٠]

يقص خبر رحلته إلى مصر يقصد المطلب في ولايته:

أخبرني محمدُ بنُ المَرْزبان قال: حدثني إبراهيمُ بن محمدٍ الوراقُ عن الحسين بن أبي السريّ عن عبدالله بن أبي الشِّيص قال: حدثني دِعبل قال:

حججْت أنا وأخي رَزين وأخذْنا كُتباً إلى المطَّلب بنِ عبدالله بنِ مالك وهو بمصر يتولاها، فصِرنا من مكة إلى

(١) في م، أ: «دعبل ابن ضحك المشيب» إلخ.
(٢) العقيد: المعاقد والمعاهد.
(٣) كذا في م، أ. أي آلم وأشكو الوجع. س، ب: «أنجع»، تحريف.
(٤) س، ب: «انتحائك».
(٥) قطعي: منسوب إلى قطيعة، بطن من زبيد ومن قيس عيلان: س، ب: «قد قطعنا»، تحريف.

مصر، فصحَبنا رجل يُعرف بأحمدَ بن فلانٍ السراجِ، نَسِي عبدالله بنُ أبي الشّيص اسم أبيه، فمازال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خدمَتنا كما يتولاها الرفَقاء والأتباع. ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً، ولم نعلم، وكتَمنا نفْسَه، وقد علِم ما قصدنا له فعَرضْنا عليه أن يقول في المطّلب قصيدة، نَنحَله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا بذلك سروراً وتقبُّلا له، فعملنا قصيدة، وقلنا له: تُنشدها المطلب فإنك[1] تنتفع بها. فقال: نَعم. ووردْنا مصرَبِه، فدخلْنا إلى المطّلب، وأوصلْنا إليه كتباً كانت معنا، وأنشدناه. فسُرّ بموضِعنا، ووصفنا له أحمد السراجَ هذا، وذكرنا له أمره، فأذن له، فدخل عليه ونحن نظن أنه سيُنشد القصيدة التي نحلناه إياها، فلما مثَل بين يديه عدَل عنها[2] وأنشده:

لـــــم آت مطّلبـــــاً إلاّ بمطّلـــــب ... وهمــةٍ بلَغــت بــي غــايــة الــرُّتــب

/ أفــردتُــه بــرجــاءٍ أن تشــاركــه ... فــيّ الــوســائــل أو ألقــاه فــي الكتــب

٤٨/١٨

قال: وأشار إلى كتبي التي أوصلتُها إليه وهي بين يديه، فكان ذلك أشدّ من كل شيء مر بي منه[3] عليّ، ثم أنشده:

[٢٠/١٦٠]

/ رحلتْ عَنْسى[4] إلى البيت الحرام على ... مــا كــان مــن وصَــب فيهــا ومــن نَصَــب

ألقــىْ بهــا ويــوجهــي كــلَّ هــاجــرة ... تكــاد تقــدح بيــن الجلــد والعصَــب[5]

حتــى إذا مــا قضَــتْ نُسكــي ثَنَيــت لهــا ... عِطــف الــزّمــام فــأمّــت سيــدَ العــرب

فيمّمتْــك وقــد ذابــت مفــاصلهــا ... مــن طــول مــا تعَــبٍ لاقــت ومــن نَقَــب[6]

إنــي استجــرْت بــإستــاريــن[7] مستلِمــاً ... رُكنَيْــن: مّطلبــا والبيــتَ ذا الحُجُــب

فَــذاك لــلآجــل المــأمــول ألمَســه ... وأنــت للعــاجــل المــرجــوّ والطلــب

هــذا ثنــائــي وهــذي مصــر ســانحــةً ... وأنــت أنــت وقــد نــاديْــتُ مــن كثَــب

قال: فصاح مطّلب: لبيك لبيك: ثم قام إليه فأخذ بيده، وأجلسه معه، وقال: يا غلمان، البِدَر، فأُحضِرت، ثم قال: الخِلَع، فنُشرت، ثم قال: الدواب، فقِيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينَه وأعيننا وصدورَنا وحسدناه عليه، وكان حسدُنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظُنا بكتمه إيانا نفسعه واحتياله علينا أكثرُ وأعظم، فخرج بما أُمر له به، وخرجنا صِفْرا.

يوليه المطلب أسوان:

فمكثنا أياما، ثم ولّي دِعبلَ بنَ عليّ أُسوان، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظا منه، فقال:

(١) س، ب: «وإنك».

(٢) كذا في مد. م، أ: «فلما مثل بين يديه أنشده». س، ب: «عدل عنه»، تحريف.

(٣) في م، أ: «فكان ذلك أشد شيء علي مر بي منه».

(٤) كذا في م، أ. والعنس: الناقة الصلبة. وفي س، ب: «عيسى».

(٥) هذا البيت ساقط في م، أ.

(٦) نقب: حفا.

(٧) إستارين: مثنى إستار، وهو من العدد: أربعة.

تُعَلِّـق[1] مصـرُ بـك المخـزيـات وتبصـقُ فـي وجهـك المَـوْصِـلُ

وعـاديـتَ قـومـاً فمـا ضَـرّهـم وشـرّفـتَ قـومـاً فلـم ينبُلـوا

شِعـارك عنـد الحـروب النجـاء[2] وصـاحِبُـك الأخـور الأفشـل

[٢٠/١٦١] / فـأنـت إذا مـا التقـوا آخـرٌ وأنـت إذا انهـزمـوا أول

وقال فيه:

اضـربْ نَـدَى طلحـةِ الطلحـات متّـئدا بِلـؤم مطّلـب فينـا وكـن حكَمـا

تخـرج خـزاعـة مـن لـؤم ومـن كـرم فـلا تعـدُّ لهـا لـؤمـا ولا كـرمـا

من قصيدته في مدح المطلب:

قال: وكانت القصيدة التي مدح بها دعبل المطلبَ قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

أبَعـدَ مصـرٍ وبعـد مطّلـب تـرجـو الغِنـى إن ذا مـن العجـب

إن كـاثـرونـا جئنـا بـأسـرتـه أو واحـدونـا جئنـا بمطّلـب

يعزله المطلب عن أسوان حين بلغه هجاؤه له:

قال وبلغ المطلبَ هجاؤه إياه بعد أن ولاه، فعزله عن أُسوان، فأنفذ إليه كتاب العَزل مع مولى له، وقال: انتظره حتى يصعدَ المِنبر يومَ الجمعة، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه، وامنعه من الخطبة، وأنزله عن المِنبر، واصعد مكانه. فلما أن علا المِنبرَ وتنحنحَ ليخطب ناوله الكتاب، فقال له دِعبِل: دعني أخطب، فإذا نزلتُ قرأته. قال: لا، قد أمرني أن أمنعَك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً.

قال: فحدَّثني عبدالله بنِ أبي الشِّيص قال: قال لي دعبل قال لي المطلب: ما تفكرت في قولك قط:

إن كـاثـرونـا جئنـا بـأسـرتـه أو واحـدونـا جئنـا بمطلـب

[٤٩/١٨] / إلاّ كنتَ أحبَّ الناس إليّ، ولا تفكرْت والله في قولك لي:

وعـاديـتَ قـومـاً فمـا ضـرهـم وقـدّمـتَ قـومـاً فلـم ينبُلـوا

إلاّ كنت أبغضَ الناس إليّ.

معنى إستارين في شعره:

قال ابنُ المَرْزبانِ حدّثني مَن سأل الرّياشي عن قوله: إستارين، قال: يجوز على معنى إستار كذا، وإستار كذا. وأنشدنا الرياشي:

[٢٠/١٦٢] / سعـى[3] عقـالا[4] فلـم يتـرك لنـا سَبـدا فكيـف لـو قـد سعـى عمـرو عِقـالَيـن

---

(١) س: «تلعق»، تحريف.

(٢) س، ب: «النجا».

(٣) سعى: باشر عمل الصدقات.

(٤) العقال: زكاة عام من الإبل والغنم، ونصب على الظرفية.

لأصبَح القوم أوفاضاً[1] فلم يجدوا ... يوم الترحل والهيجا حِماليـن

هجاؤه المطلب:

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا عبدُالله بنُ أبي سعدٍ قال: حدثني عبدُالعزيز بنُ سهل قال: لما قصد دِعبل عبدالمطلب بنَ عبدالله بنِ مالك إلى مصر ولم يرضَ ما كان منه إليه قال فيه:

أمطلّبُ أنت مستعذِب ... حُمَيّا الأفاعي ومستقبِلُ
فإن أشفِ منك تكن سُبّة ... وإن أعفُ عنك فما تعقل
ستأتيك إما وردتَ العراق ... صحائفُ يأثِرها دِعبل
منمقةٌ بين أثنائها ... مَخازٍ تَحُطُّ فلا تَرحل
وضعتَ رجالاً فما ضرّهم ... وشرّفت قوماً فلم ينبُلوا
فأيُّهم الزَّينُ وسط المَلا ... عطيةُ أم صالحُ الأحول؟
أم الباذِجانيّ أم عامر ... أمينُ الحمَام التي تَزجُل
تُنوّط مصرُ بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل
ويومَ الشَّراة تحسّيتَها ... يطيب لدى مثلِها الحنظل
توليتَ ركْضاً وفتياننا ... صدُور القنا فيهمُ تعمَل[2]
/ إذا الحربُ كنت أميراً لها ... فحظهمُ منك أن يُقتَلوا
فمِنك الرؤوسُ غداةَ اللقاء ... ومِمّن يحاربك المُنْصُل
شِعارك في الحرب يومَ الوغى ... إذا انهزَموا: عجّلوا عجّلوا
هزائمك الغُرُّ مشهورة ... يُقرطِس[3] فيهن من ينضُل[4]
فأنتَ لأوّلهم آخرٌ ... وأنت لآخرهم أول

[٢٠/١٦٣]

ومن هَجائه المطلب:

أخبرني عمّي قال أنشدنا المبرِّدُ لدِعبل يهجو المطّلبَ بنَ عبدالله ويُعيِّره بغلامَين: عليّ وعمرو، وكان يُتهم بهما:

فأيرُ عليٍّ له آلة ... وقَفحة[5] عمرو له ربه[6]

---

(١) الأوفاض: الفقراء، مفردها وفض كسهل، أو وفض كجمل. وفي س، ب: «أوقاص»، تحريف.

(٢) ب، مد: «تعسل»

(٣) يقرطس: يصيب الغرض.

(٤) ينضل: يسبق في الرمي، والمراد هنا: يرمي.

(٥) القفحة: حلقة الدبر الواسعة.

(٦) له ربة: له صاحبة، وتطلب الربة على كل صنم على صورة الأنثى.

فَطـــــورا تصـــــادفـــــه جَعبـــــةٌ وطـــــوراً تصـــــادفـــــه حـــربـــــه

ومن مدحه إياه:

وأنشدني ابنُ عمار عن أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ أبي شيخ لِدِعبل[1] يمدح المطَّلب بنَ عبدالله بنِ مالك، وفيه غناء.

صوت

زَمَنِـــي بمطَّلـــب سُقِيـــتَ زمـــانـــا مـــا كنْـــتَ إلا روضـــة وجِنـــانـــا

50/18 / كُـــلُّ النـــدَى إلاّ نـــداكَ تكلُّـــفٌ لـــم أرضَ بعـــدك كـــائنـــاً مَـــن كـــانـــا

أصلحتَنـــي بـــالبـــرّ بـــل أفســـدتَنـــي فتـــركتَنـــي أتسخَّـــط الإحســـانـــا

[٢٠/١٦٤] **/ سبب سخطه على المطلب:**

وقد أخبرني بخبره الأولِ الطويل مع المطلب الحسنُ بن عليٍّ عن أحمدَ بنِ[2] محمد حدّان عن أحمدَ بنِ يحيى العدوي أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويِّين كان قد تحرك بطنجة[3]، فكان يَبُث دعاته إلى مصر، وخافه المطلب، فوكَّل بالأبواب مَن يمنع الغرباء دخولها.

فلما جاء دِعبِل مُنع فأغلظ لِلذي منعه، فقنّعه بالسوط وحبسه، فمضى رَزِين فأخبر المطلب، فأمر بإطلاقه، ودعا به فخلع عليه. فقال له: لا أرضى أو تقتلَ الموكَّل بالباب فقال له: هذا لا يمكن لأنه قائد من قُوّاد السلطان، فغضب ثم أنشده الرجل[4] الأبيات المذكورة، فأجازه، وحَكى أن اسمَه محمدُ بنُ الحجاج، لا أحمد بن السراج. وسائر الخبر مثلُه.

سبب مناقضته أبا سعد المخزومي:

وكان سببَ مناقضته أبا سعد المخزوميّ وما خرج إليه الأمر بينهما قولُ دِعبِل قصيدته التي هجا فيها قبائل نِزَار، فحمِي لذلك أبو سعد، فهجاهم، فأجابه أبو سعد، ولجَّ الهجاء بينهما.

ورُوي أنه نَزل بقوم من بني مخزوم، فلم يُضَيِّفوه، فهجاهم، فأجابه أبو سعد ولجّ الهجاء بينهما.

أخبرني عمي والحسنُ بنُ علي الخفّافُ قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويَه قال: حدثني محمدُ بنُ الأشعث قال: حدثني دعبل أنه ورَزِينا العَروضيّ نزلا بقوم من بني مخزوم، فلم يَقْروهما، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دعبل: فقلت فيهم:

[٢٠/١٦٥] / عِصـــابـــةٌ مـــن بنـــي مخـــزومَ بِـــتُّ بهـــم بحيـــث لا تطمـــع المِسحـــاة[5] فـــي الطيـــن

ثم قلت لرزين: أجز فقال:

---

(١) زيادة في م، أ. مد.

(٢) م، أ: «أحمد بن حدان».

(٣) كذا في م، أ، مد. وهي بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وفي س، ب: «ظنجة»، تحريف.

(٤) يريد رفيق دعبل وأخيه في الرحلة (راجع الصفحة ١٥٩ من طبعة دار الكتب).

(٥) المسحاة: أداة من حديد كالمجرفة يسحى بها الطين أي يقشر.

فـي مَضـغ أعـراضهـم مـن خبـزهـم عِـوَضٌ بنـــي(١) النفــاق وأبنـــاءَ المـــلاعيـــن

قال ابن الأشعث: فكان هذا أولَ الأسباب في مهاجاته لأبي سعد.

أخبرني محمدُ بن عِمران الصَّيرفيُّ قال: حدثني العَنَزيّ قال: حدثني عليُّ بن عمرو الشيبانيُّ أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودِعبِل قصيدته القحطانية التي هجا فيها نِزَاراً، فأجابه عنها أبو سعد، ولجّ الهجاء بينهما.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا محمدُ بن القاسم قال: حدثني أحمد بنُ أبي كامل قال: كان سببَ وقوع الهجاء بين دعبل وأبي سعد قولُ دعبل في قصيدة يفخر فيها بخُزاعة، ويهجو نِزاراً، وهي التي يقول فيها:

أتــانـــا طـــالبـــاً وَغْـــرا فـــأعقبنـــاه بـــالـــوَعـــر

وتَـــزْنـــاه فلـــم يَـــرضَ فـــأعقبنـــاه بـــالـــوِتـــر

فغضب أبو سعد، وقال قصيدته التي يقول فيها لدعبل، وهي مشهورة:

وبـــالكـــرخ هـــوًى أبقـــىٰ علـــى الـــدهـــر مـــن الـــدهـــر

هـــــوًى والحمـــــد لله كفـــانـــي كُلفـــة(٢) العـــذر

قال: ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك.

من هجاء أبي سعد المخزومي له:

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدثنا محمد بنُ القاسم بنُ مَهْرويَه قال: حدثني أحمدُ بنُ / هارونَ قال: دخلتُ [٢٠/١٦٦] على أبي سعدِ المخزوميِّ يوماً وهو يقول: / وأي شيء ينفعني؟ أجوِّد الشِّعر فلا يُروى، ويُرذل فيُروَى، ويفضحني ٥١/١٨ برديئه، ولا أفضحه بجيّدي، فقلتُ: مَن تَعني يا أبا سعد؟ فقال: مَن تراني أعني إلاّ مَن عليه لعنةُ الله دِعبِلا! فقلت فيه:

لَيْـــسَ لُبْـــس الطيـــالِـــس مِـــن لِبـــاس الفـــوارسِ

لا ولا حَـــوْمَـــةُ الـــوغـــىٰ كصُـــدور المجـــالـــس

ضَـــرْبُ أوتـــار نَفْنَـــف(٣) غيـــرُ ضـــرب القـــوانـــس(٤)

وظُهـــور الجيـــاد غيـــر ظهـــور الطنـــافـــس

ليـــس مَـــن ضـــارسَ(٥) الحـــرو ب كمـــن لـــم يُضـــارس

بِـــأبـــي غـــرسُ فِتيـــةٍ مِـــن كـــرام المغـــارس

فِتيـــة مـــن بنـــي المُغيـــرة شـــمّ المعـــاطـــس

(١) م، أ: «بنو».

(٢) في م، أ: «طلب».

(٣) نفنف: اسم غلام لدعبل، وكان مغنياً له.

(٤) القوانس: جمع قونس، وهي أعلى بيضة الحديد (الخوذة).

(٥) ضارس: جرب.

يُطعِمون السديف[١] في كل شهباء[٢] دامس
في جفانٍ كأنها من جفان العرائس
ثم يمشون في السَّنو[٣] ر مشيَ العنابس[٤]
ويخوضون باللوا ء دماءَ الأبالس
نحن خير الأنامِ عند قياس المُقايِس

[٢٠/١٦٧] / فوالله ما التفَت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر: وقال هو فيّ:

يا أبا سعدٍ قَوْصَره[٥] زانَي الأخت والمَرَه
لو تراه مُحَنَّباً[٦] خلته عَقدَ قنطره
أو ترى الأيرَ في أسته قلتَ ساقٌ بمِقطره[٧]

قال: فوالله لقد رواه صبيان الكتاب ومارة الطريق والسُّفَل، فما أجتاز بموضع إلّا سمعته من سِفْلة يَهْذِرُون به[٨]، فمنهم مَن يعرفني فيُعيِّبُني به، ومنهم من لا يعرفني، فأسمعه منه لسهولته على لسانه.

يذكر أن المخزومي دس في شعره ما لم يقله:

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمي قالوا: حدثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدثني عليُّ بن أبي عمرو الشيبانيُّ قال:

جاءني إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ ضَمْرة الخُزاعيُّ، فقال لي: إني سألت دِعبلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت:

أفيقي من مَلامِك يا ظعينا كفاك اللومَ مرُّ الأربعينا

فقال لي إسماعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن فيها أخبار وغَرِيب، فليكن معك رجل يقرؤها عليّ وأنت معه، فيكونَ أهونَ عليّ منك، فقلت له: لقد اخترْتُ صديقاً لي يقال له: علي، فقال: أَمِن العرب هو؟ قلت: نعم. قال: مِنْ أيّ العرب؟ قلت: مِن بني شيبانَ. قال: شيبانُ كندة؟ فقلت: بل شَيبانُ ربيعة. فقال لي: ويحك! أتأتيني برجل أُسمعه ما يكره في قومه؟ فقلت: له: إنه رجل يَحتمل، ويحب أن يسمع مالَه / وعليه. فقال: في مثل هذا رغبة[٩]، فأتني به، فصِرنا إليه، فلما لقيه قال: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُرِرتُ به؛ أن كنت رجلاً من العرب [٢٠/١٦٨]

(١) السديف: شحم السنام.
(٢) شهباء: سنة مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر.
(٣) السنور: لبوس من قد كالدرع، وجملة السلاح.
(٤) العنابس: جمع عنبس كجعفر، وهو الأسد.
(٥) القوصرة: كناية عن المرأة، وتطلق على المنبوذ في لغة أهل البصرة.
(٦) محنباً: محنياً، وفي بعض النسخ: «مجيباً»، ولا معنى لها هنا.
(٧) المقطرة: خشبة فيها خروق، سعة كل خرق على قدر الساق، يدخل فيها أرجل المحبوسين.
(٨) في م، أ: «يهذونه» أي يسرعون في قراءته.
(٩) كذا في أ، م. س، ب: «أريحية».

تُحب أن تَسمع ما لك وعليك لكيلا تَغبن، فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله:

/ مــــنَ أي ثَنيّـــة طلعَـــت قـــريـــش وكـــــانـــــوا معشـــــراً متنبّطينـــــا ٥٢/١٨

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي، ثم قال: لعنه الله وانتقم منه ـ يعني أبا سعد المخزوميّ ـ دَسّه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه[١] فجَرَد البيت بحدها ثم قال لنا: أحدثكم[٢] عنه بحديث طَريف:

يزوره المخزومي ويجالسه، ويرسل إليه حين انصرف هجاء فيه:

جاءني يوماً ببغدادَ أشدَّ ما كان بيني وبينه من الهجاء، وبين يدَيّ صحيفة ودواة، وأنا أهجوه فيها، إذ دخل عليّ غلام لي فقال: أبو سعد المخزومي بالباب. فقلتُ له: كذبْت. فقال، وهو عارف بأبي سعد: بلى والله يا مولاي، فأمرته برفع الدواةِ والجلدِ الذي كان بين يدَي، وأذِنت له في الدخول، وجعلْتُ أحمَد الله في نفسي، فأقول: الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هَتْك الأعراض وذِكرِ القبيح، وكان الابتداء منه. فقمْت إليه وسلْمت عليه وهو ضاحك مسرور، فأبديتُ له مثلَ ذلك من السرور به، ثم قلت: أصبحتُ والله حاسداً لك. قال: على ماذا يا أبا علي؟ فقلت: بسَبْقك إياي إلى الفضل.

فقال لي: أنا اليوم في دعوى عندك، فقلت: قل ما أحببتَ. فقال: إن كان عندك ما نأكله، وإلا ففي منزلي شيء مُعَدّ. فسألت الغلمان فقالوا عندنا: قِدْر أُمْسية[٣]. فقال: غايةٌ واتفاق جيّد. فهل عندك شيء نشربُه، وإلاّ وجهت إلى منزلي / ففيه شراب مُعَد؟ فقلت له: عندنا ما نَشرب، فطرح ثيابه ورَدّ دابته وقال: أحب ألا يكون معنا [١٦٩/٢٠] غيرُنا، فتغدينا وشربنا، فلما أن أخذ الشراب منا قال: مُرْ غلامَيك يغنياني، فأمرت الغلامَين فغنياه، فطرِب وفرح، واستحسن الغناء حتى سرّني وأطربني معه، ثم قال: حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرَهما بأن يغنياني في هجائك لي ـ وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه مني في هجائي قد حفِظا منه أشياء ولحّناها ـ فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد قد طَفِئت النائرة[٤]، وذهبت العداوة بيننا، وانقطع الشر. فما حاجتك إلى هذا؟ فقال لي: سألتك بالله إلاّ فعلْت، فليس يَشُق ذلك عليّ. ولو كرهتُه لما سألته. فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن عليّ؟ يا غلمان، غنّوه بما يريد، فقال غنوه:

يـــــا أبـــــا سعـــــد قَـــوْصَـــرَه زانـــــيَ الأخـــــت[٥] والمـــــره

فغنّوه، وهو يحرك رأسه وكتفيه، ويطرب ويصفق، فما زلنا يومنا مسرورَين. فلما ثَمِل ودّعني وقام فانصرف، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب، فأذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقِطعةِ قرطاس، وقال: دفعها إليّ أبو سعد المخزوميّ، وأمرني أن أدفعها إليك. قال: فقرأتها، فإذا فيها:

لِـــدعبـــلٍ مِنّـــة يَمـــنُّ بهـــا فلســـت حتـــى الممـــات أنســـاهـــا

(١) كذا في ب. وفي أ، م: «معنا».

(٢) في أ، م: «أحدثكم بحديث طريف».

(٣) أمسية: مساء.

(٤) النائرة هي الشحناء: وفي س، ب، مد: «الثائرة».

(٥) م، أ: «الأم».

أدخلَنـــا بيتـــه فـــأكـــرمنـــا[١] ودَسّ بـــامـــراتـــه[٢] فنكنـــاهـــا

فقال: ويْلِي على ابن الفاعلة، هاتوا جِلدا ودَواة، قال فَرَدُّوهما عليّ، فعُدتُ إلى هجائه، ولقِيته بعد يومين أو ثلاثة، فما سلّم عليّ، ولا سلمت عليه.

[٢٠/١٧٠] / أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حَدَّثنا عليّ بن عبدالله بن سعد، أنه سمع دِعبلا يحدث بخبره هذا مع أبي سعد، فذكر نحو ما ذكره العَنَزيّ.

يشد على المخزومي فيقنعه بسيفه:

٥٣/١٨ أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ / قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي كامل قال: رأيت دِعبلا قد لقِي أبا سعد في الرُّصافة، وعليهما السّواد وسيفاهما على أكتافهما، فشدّ دِعبِل على أبي سعد فقنّعه، فركض أبو سعد بين يديه هارباً، وركض دِعبِل في أثره وهو يهربُ منه حتى غاب.

يهجو المخزومي حين انتفى منه بنو مخزوم:

قال: وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون، فتظلموا منه إلى المأمون، وذكروا أنهم لا يعرفون له فيهم نسباً، فأمرهم المأمون بنفيه، فانتفوا منه، وكتبوا بذلك كتاباً. فقال دِعبِل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة:

غيـــر أن الصيـــدّ منهـــمْ قنَعـــوه[٣] بخَـــزايـــه
كتبـــوا الصّـــك عليـــه فَهْـــو بيـــن النـــاس آيـــه
فـــإذا أقبـــل يـــومـــاً قيـــل قـــد جـــاء النُّفَـــايـــه

وقال فيه أيضاً:

هـــمُ كتبـــوا الصّـــك الـــذي قـــد علِمْتـــه عليـــك وشنّـــوا فـــوق هـــامتـــك القفـــدا[٤]

قال: وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبه قال: أنا عبدُ ابن عبدٌ. قال: ونظر دِعبل فرأى على أبي سعد قَباء مَرْوِيّا[٥] مصبوغاً بسواد، فقال: هذا دعيّ على دعيّ.

يرى دفتر شعر المخزومي فيملي هجاء له على حامله:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَهْ قال: حدثني أحمدُ بن مروانَ مولى الهادي قال:

[٢٠/١٧١] / لِقيني أبو سعد المخزوميُّ على ظهر الطريق فقال لي: يا أحمد أنا أدرس شِكايتك إلى أبيك، قال فقلت: ولِمَ أبقاك الله؟ قال: فما فعل دفتر البَزَاريات[٦]؟ قلتُ: هو ذا أجيئك به، فلما صلّيتُ الظهر جئت بالدفتر أريده، فمررْتُ بِدعبِل فدققتُ بابه، فسمعته يقول لجارية له: يا دراهم، انظري مَن بالباب. فقالت له: أحمدُ بنُ مروان.

---

(١) م، أ: «فأطعمنا». (٢) في س، ب: «امرأته»، تحريف. (٣) س، ب: «فنفوه»، تحريف.

(٤) كذا في م، أ. ومعناها الصفع. وفي س، ب «القفرا»، تحريف.

(٥) مروي: منسوب إلى مرو، قاعدة خراسان.

(٦) كذا في النسخ، ولعلها المنسوبة إلى بزارة بلدة على فرسخين من نيسابور.

فقال: افتحي له، فلما دخلتُ قلت له: أيشٍ هو دراهم من الأسماء؟ قال: سميتم جواريكم دنانير، فسمينا جوارينا بدراهم. ثم قال: ما هذا معك؟ قلت: دفترٌ فيه شِعر أبي سعد في البزاريات، فأخذه فنظر فيه وابنهُ عليُّ بنُ دِعبل بنِ عليٍّ معه، فلما بلغ من نظرة إلى شِعره الذي يقول فيه:

مــالــت إلــى قلبــك أحــزانــه ... فهــو مُجِــمُّ الهــم خــزّانــه[1]

قال له ابنه علي: فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره:

عادت إلى قلبك أحزانه؟

فقال دِعبل: صدقْتَ والله يا بنيّ، أنت والله أشعر منه، قال: ثم إنه أمليّ[2] عليَّ دِعبلِ إملاء:

مـا كنـت أحسـب أنّ الـدهـر يُمهلنـي ... حتـى أرى أحـداً يهجـوه لا أحـدُ

إنـي لأعجـب ممـن فـي حقيبتـه ... مـن المنـيّ بُحـورٌ كيـف لا يلـد؟

فـإن سمِعـت بـه[3] بغـتُ القنـا عبثـاً ... فقـد أراد قَنـاً ليسـت لـه عُقَـدُ

ثم صِرْت إلى أبي سعد، فلما رآني من بعيد قال: يا أحمد، مِن أين أقبلت؟ / قلت: مِن عند دِعبل. قال: [٢٠/١٧٢] رما دعبلَت عنده؟ فأنشدته شِعر دِعبل فيه، وأخبرتُه بمـا قال ابنه في شعره، فقال: صدق والله، في أي سن هو؟ قلت: قد بلَغ. فدعا بدواة وقرطاس وقال: اكتب فكتبت:

لا والـذي خلـق الصهبـاء مـن ذهـب ... والمـاءَ مـن فِضـة لا سـادَ مـن بَخِـلا

يقـول لـي دِعبِـل فـي بطنـه حبـل ... ولـو أصـابـت ثيـابـي دِعبِـل حَبِـلا

ودِعبِـل رجـل مـا شئـت مـن رجـل ... لـو كـان أسفلُـه مـن خلفـه رجُـلا

/ قال: ثم هجاني أبو سعد، فقال: ٥٤/١٨

عـدُوٌّ راح فـي ثـوبَـيْ صـديـق ... شـريـك فـي الصبَـوح وفـي الغَبـوق

لـه وجهـان ظـاهـره ابـنُ عـمٍّ ... وبـاطنـه أبـنُ زانيـة عتيـق

يَسُـرُّك معلِنـا ويَسُـوءُ[4] سـرّاً ... كـذاك يكـون أبنـاء الطـريـق

يخاف بنو مخزوم هجاءه فينفون المخزومي عنهم:

أخبرني عمي والحسنُ بن عليّ قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويَة قال: حدثنا أبو ناجية ـ شيخٌ من ولد زُهَيرِ بن أبي سُلمىٰ ـ قال:

حضرتُ بني مخزوم وهم[5] ببغدادَ، وقد اجتمعوا على أبي سعد لمّا لجّ الهجاء بينه وبين دِعبِل، وقد خافوا لسان دعبل، وأن يقطعَهم ويهجوهم هجاء يُعمّهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً، وأشهدوا أنه ليس منهم. فحدّثني غيرُ

(١) الشطر الثاني زيادة من مي.
(٢) م، أ: «أمل»، وهي بمعنى أملي.
(٣) مي: «سمعت له».
(٤) ب، س، م: «ويسوك» بالتخفيف.
(٥) أ، م: «مخزوم ببغداد».

واحد أنه أتى حينئذٍ بخاتمة النقاشَ، فنقّش عليه: أبو سعدٍ العبدُ ابنُ العبد بَريء من بني مخزوم تَهاوُناً بما فعلوه.

المخزومي يحرض المأمون عليه فلا يستجيب له:

أخبرني علي بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال:

[٢٠/١٧٣] كان أبو سعد المخزوميُّ قد كان يستعلي على دِعبِل في أول أمره، وكان يدخل إلى / المأمون فيُنشده هجاء دِعبل له[١] وللخلفاء، ويحرّضه عليه وينشده جوابه[٢]، فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه.

يعترض ابن أبي الشيص بينهما، ويهجو المخزومي:

وكان يقول: الحقّ في يدِك والباطل في يد غيرك، والقول لك ممكن، فقل ما يكذبه[٣]، فأما القتل فإني لستُ أستعمله فيمن عظُم ذنبه، أفأستعمله في شاعر[٤]! فاعترض بينهما ابن أبي الشيص، فقال يهجو أبا سعد:

أنــــا بشّــــرتُ أبــــا سعــــد فــــأعطــــانــــي البشــــارَهْ
بِــــأبٍ صِيــــدَ لــــه بــــالـ أمــــس فــــي دار الإمــــاره
فَهْــــو يــــومــــاً مــــن تميــــم وهــــو يــــومــــاً مــــن فَــــزاره
كــــلَّ يــــوم لأبــــي سعــــد علــــى الأنســــاب غــــاره
خــــزَمــــتْ مخــــزوم فــــاه فــــادعــــاهــــا بــــالإشــــارة

قال: وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً:

أبــــا سعــــد بحــــق الخمـ ـــس والمفــــروضِ مــــن صــــومــــكْ
أقلْــــتَ الحــــق فــــي النسبــــة أم تحلُــــم فــــي نــــومــــك؟
ابِــــنْ لــــي أيّهــــا المَعْــــرو[٥] ر مِمّــــن أنــــت فــــي قــــومــــك؟
فــــولّــــى قــــائــــلاً لــــو شئــــتَ قــــد أقصــــرْتَ مــــن لــــومــــك
ودعنــــي أك مــــن شئــــتُ إذا لــــم أك مــــن قــــومــــك

[٢٠/١٧٤] / **من هجائه في المخزومي:**

وقال فيه دعبل:

إن أبــــا سعــــد فتــــى شــــاعــــرٌ يُعــــرَف بــــالكُنيــــة لا الــــوالــــدِ
يَنْشُــــد فــــي حــــيّ معــــدٍّ أبــــاً ضــــلَّ عــــن المنشــــود والنــــاشــــد
فــــرحمــــةُ الله علــــى مسلــــم أرشــــد مفقــــوداً إلــــى فــــاقــــد

(١) أ، م: «للنزار».
(٢) زيادة من مي.
(٣) أ، م: «ما تكذبه».
(٤) في س، ب: «فاستعمله ساعة»، تحريف.
(٥) المعرور: الأجرب، والملطخ بالشر. س، ب، مد: «المغرور».

يغري الصبيان أن يصيحوا بهجائه في المخزومي:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا ابنُ مُهْرُوَيْه قال: حدثني أحمدُ بن عثمانَ الطبريُّ قال:

سمعْتُ دِعبِل بنَ عليّ يقول: لما هاجيت أبا سعد أخذت معي جَوْزا ودعَوت الصبيان فأعطيتهم منه، وقلت لهم: صِيحوا به قائلين:

/ يـا أبـا سعـد قَـوْصَـره زانـيَ الأخـت والمَـرهْ ٥٥/١٨

فصاحوا به، فغلَبتُه.

تحريض آخر للمأمون عليه:

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال حدّثني ابن مَهْرُويَهْ، قال: حدّثني أحمدُ بنُ مروانَ قال: حدَّثني أبو سعد المخزوميُّ واسمه عيسى بنُ خالد[١] بنِ الوليد قال:

أنشدتُ المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله:

ويسـومنـي المـأمـون خطـةَ عـاجـز أوَ مـا رأى بـالأمـس رأس محمـد!

وأول قصيدتي:

أخـذ المشيـبُ مـن الشبـاب الأغيـد والنـائبـات مـن الأنـام[٢] بمـرصَـد

ثم قلت له: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أجيئك برأسه. قال: لا، هذا رجل فَخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا، فأمّا قتله بِلا[٣] حجة فلا.

/ **يذكر هجاء للمخزومي فيه وقد رأى وجهه في المرآة:** [١٧٥/٢٠]

أخبرني عَمِّي والحسنُ بنُ عليٍّ عن أحمدَ بن أبي طاهر قال: حدثني أبو السّريِّ عمرُو الشيبانيُّ قال:

نظر دِعبِل يوماً في المرآة، فجعل يضحك، وكانت في عَنْفَقَته[٤] سَلْعة[٥]، فقلتُ له: مِن أيِّ شيء تضحك؟ قال: نظرت إلى وجهي في المرآة، ورأيت هذه السَّلْعَةَ التي في عَنْفَقَتِي، فذكرْت قول الفاجر أبي سعد:

وسَلْعَـة سَـوه بـه سَلْعَـةٌ ظلمـتُ أبـاه فلـم ينتصـر

ينشده منشد قصيدة للمخزومي فيه:

أخبرني محمدُ بنِ عمرانَ الصيرفيُّ قال: حدَّثنا الحَسنَ بنُ عُلَيْل العَنَزِيّ قال: قال عبدُالله بنُ الحسن بنِ أحمدَ مولى عمرَ بنِ عبدالعزيز قال: حدَّثنا محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ قال:

لقِيت دِعبِل بنَ عليّ، فحدَّثني أن أبا عمرو الشيبانيَّ سأله: ما هو دعبل؟ فقلت له: لا أدري، فقال: إنها الناقة

(١) كذا في غير س. س: «عيسى بن الوليد»، وفي «معجم الشعراء»: «عيسى بن خالد بن الوليد».

(٢) م، أ: «الرجال».

(٣) م، أ: «فلا حجة فيه».

(٤) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٥) السلعة: زيادة في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت، وتكون من حمصة إلى بطيخة.

المسنّة. قال محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ: ثم تحدّثنا ساعة، فقلتُ: أما ترى لأبي سعد يا أبا عليّ وانهماكِه في هجائك؟ فقال دِعبل: لكني لم أقُل فيه إلا أبْياتاً سخيفة يلعب بها الصبيانُ والإماء، وأنشدني قوله فيه:

يـــا أبـــا سعـــد قَـــوْصـــرَه ... زانـــيَ الأخـــت والمـــره

لــــو تــــراه محتَبـــــاً ... خلتـــه عقـــد قنطـــره

أوتـــرى الأيـــر فـــي أستـــه ... قلـــتَ ســـاقٌ بمِقطَـــره

[١٧٦/٢٠] قال محمد، فقلت لدِعبل: دع عنك ذا، فقد والله أوجعك الرجل، فإن أجبته / بجواب مثله انتصفْتَ، وإلا فإن هذا اللغو الذي فَخرْتَ به يَسقط وتُفْضَح آخرَ الدهر، قال: ثم أنشدته قول أبي سعد فيه[1]:

لـم يبقَ لـي لـذةٌ[2] مـن طِيَّـةٍ[3] بُـدُدِ[4] ... ولا المنـازلِ مـن خَيْـف[5] ولا سَنَـد[6]

أبَعْـد خمسيـن عـادت جـاهليَّتُـه ... يـاليـت مـا عـاد منهـا اليـومَ لـم يَعـد

ومـا تُـريـد عيـونُ العِيـن مـن رجـل ... كـرَّ الجـديـدان فـي أيـامـه الجُـدُد

أبـدى سـرائـرَه وَجْـدا[7] بغـانيـة ... ولـو أطـاع مشيـبَ الـرأس لـم يجِـد

واستمطـرتْ عبـراتِ العَيـن منـزلـةٌ ... لـم يبـقَ منهـا سـوى الآريّ[8] والـوتـد

ومـا بكـاؤك داراً لا أنيـس بهـا ... إلاّ الخـواضبُ[9] من خيطـانها[10] الرُّبُد[11]

/ لـدِعبـل وطَـرٌ فـي كـل فـاحشـة ... لَـوْ بـادَ لـؤم بنـي قحطـانَ لـم يَبِـد

[٥٦/١٨] ولـي قـوافٍ إذا أنـزلتُهـا بلـداً ... طـارتْ بهـن شيـاطينـي إلـى بلَـد

[١٧٧/٢٠] / لـم ينـجُ مـن خيـرِهـا أو شـرّهـا أحـد ... فـاحـذَر شـآبيبَهـا[12] إن كنـت مِـن أحـد

إنّ الطِّـرِمّـاح نـالَتـه صـواعقُهـا ... فـي ظلمـة القبـر بيـن الهـام[13] والصُّـرَد[14]

وأنـت أولـى بهـا إذ كنـت وارثـه ... فـابعُـد وجهـدُك أن تنجـو علـى البُعـد

---

(١) م، أ: «قول أبي سعد، وفيه غناء». «صوت».

(٢) م، أ: «جلد».

(٣) كذا في م، أ. والطية: الحاجة والوطر. س، ب: «طرية»، تحريف.

(٤) بدد: متباعدة.

(٥) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ويضاف إلى أماكن متفرقة.

(٦) السند: ما قابلك من الجبل، وعلا من السفح، واسم ماء لبني سعد.

(٧) م، أ: «وجد».

(٨) الآري: عود في حائط، أو في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرف كالحلقة تشد فيها الدابة.

(٩) الخواضب: جمع خاضب، وهو الظليم، أي ذكر النعام أكل الربيع فاحمرّ ساقاه. م، أ: «ظلمانها».

(١٠) الخيطان: جمع خيط كسيف، وهو الجماعة من النعام.

(١١) الربد: الغبر.

(١٢) الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو حد كل شيء وشدة دفعه.

(١٣) الهام: من طيور الليل، جمع هامة.

(١٤) الصرد: طائر ضخم الرأس يصطاد العصافير.

تهجو نِزاراً وترعىٰ في أرومتِها[١] وتنتمي في أناس حاكةِ البُرُد
إني إذا رجُل دبَّت عقاربه سقيتُه سم حيَّاتي فلم يَعُدِ
زدني أزدك هواناً أنت موضعه ومَن يزيد إذا ما نحن لم نَزد؟
لو كنتَ متئداً فيما تُلفقه لكان حظك منه حظ متئد
أو كنتَ معتمِداً منه على ثقة من المكارم قلنا: طَوْل[٢] معتمد
لقد تقلدتَ أمراً لست نائله بلا ولِيّ ولا مولى ولا عضدُ
وقد رميتَ بياض الشمس تحسبه بياض بطنِك من لُؤم ومن نكَد
لا تُوعدنّي بقوم أنت ناصرهم واقعد فإنك نَوْمَانٌ[٣] من القَعَد[٤]
لله معتصم بالله، طاعتُه قضية من قضايا الواحد الصمد

قال، فلما أنشدتها دِعبلاً، قال: أنا أشتُمه وهو يشتُمني، فما إدخال المعتصم بيننا؟ وشق ذلك عليه وخافه، ثم قال نقيض هذه القصيدة:

/ * منازل الحيّ من غُمدان[٥] فالنَّضَدِ * [١٧٨/٢٠]

وهي طويلة مشهورة في شعره، هكذا قال العَنَزيّ في الخبر، ولم يأت بها.

يمر بأبي سعيد على جسر بغداد فيشتمه:

حدثنا محمدٌ قال: حدَّثنا العَنَزِيّ قال: حدَّثني عبدُالله بنُ الحسين عن محمدِ بن عليٍّ الطالبيِّ قال:

عَبَرَ دِعبِل الجَسر ببغداد، وأبو سعد واقف على دابته عند الجَسر، وعليه ثوبُ صوفٍ مشبَّه بالخز مصبوغ، فضرب دِعبِل بيده عَلَى فخذه، وقال: دَعِيٌّ عَلَىٰ دَعِيّ.

حديث بين عبدالله بن طاهر والضبي عن نسبه:

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدَلانيُّ صهر المبرِّد قال: حدَّثني محمدُ بنُ موسى الضبيُّ راوية العَتَّابيّ، وكان نديماً لعبدِالله بن طاهر قال:

بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهلِه وشعراء الجاهليةِ والإسلام إذ بلغ إلى ذكرِ المحدَثين حتى انتهى إلى ذِكر دِعبِل، فقال: ويحك يا ضَبّيّ!، إني أريد أن أحدثك بشيء عَلَى أن تستره طول حياتي، فقلت له: أصلحك الله أنا عندك في موضع ظِنة؟ قال: لا، ولكن أطيبُ لنفسي أن تُوثّق لي بالأيمان لأركن إليها، ويسكنَ قلبي عندها، فأحدّثك حينئذ.

---

(١) م، أ: «إمارتها».
(٢) الطول: القدرة والسعة.
(٣) النومان: كثير النوم، ولا يستعمل إلّا منادى.
(٤) القعد: هم الذين قعدوا عن نصرة علي ومقاتلته، جمع قاعد.
(٥) كذا في م، أ. وهو اسم قصر مشهور باليمن هدم في زمن عثمان. وفي س، ب: «عمران» وهو تحريف. وبقية البيت كما في «معجم البلدان»: فمأرب فظفار الملك فالجند.

قال: قلت: إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سرّه إليّ، واستعفيته مراراً فلم يُعفني، فاستحييت من مراجعته، وقلت: فليرَ الأمير رأيه. فقال لي: يا صَبيّ، قُل: والله. قلت: والله، فأمّرها عليّ غَموساً مؤكّدة بالبَيعة والطلاق وكلّ ما يَحلف به مسلم. ثم قال: أشَعرْتَ أنّ دعبلاً مدخول النسب؟ وأمسك، فقلت: أعزّ الله الأمير، أفي هذا أخذتَ العهود والمواثيق ومغلَّظ الأيمان؟ قال: إي والله، فقلت: / ولم؟ قال: لأني رجل لي في نفسي حاجة، ودِعبِل رجل قد حمَل نفسه عَلَى المهالك، وحمَل جِذعه عَلَى عنقه، فليس يجد من يصلبه عليه، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ / ما يبقى عَلَيّ عاره عَلَى الدهر، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمته اليمنُ - وما أراها تفعل؛ لأنه اليوم لسانُها وشاعرُها والذابُّ عنها والمحامِي لها والمرامِي دونها - فأضربه[1] مائة سوط، وأُثقِله حديداً، وأصيّره في مُطْبق[2] باب الشام. [٢٠/١٧٩] [٥٧/١٨]

وليس في ذلك عِوض مما سار فيّ من الهجاء وفي عقبِي من بعدي. فقلت: ما أراه يفعل ويُقدِم عليك. فقال لي: يا عاجز، أهوَنُ عليه مما لم يكن. أتراه أقدَم عَلَى الرشيد والأمين والمأمون وعَلَى أبي ولا يقدم عليّ؟ فقلت: فإذا كان الأمر كذا فقد وُفق الأمير فيما أخذه عَلَيّ.

قال: وكان دِعبل صديقاً لي، فقلت: هذا شيء قد عرفتَه، فمن أين؟ قال الأمير: إنّه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة، لا يتقدمهم غير بني أُهبانَ مكلّمِ الذئب. فقال: أسمع أنه كان أيامَ ترعرع خاملاً لا يُؤبه له، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد، لا يملكان غيره. ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أمردٌ يخدمه، ودعبل حينئذٍ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

بداية اشتهاره وطلب الرشيد أن يلازمه:

وغنّى فيه بعض المغنين وشاع، فغُنّيَ به بين يدي الرشيد، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكي، فطرب الرشيد، وسأل عن قائلِ الشعر، فقيل له: دِعبِل بن عليٍّ، وهو غلام نشأ من خُزاعة. فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلْعة من ثيابه، فأُحضر ذلك، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته، وقال له: اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دِعبِل بنِ عَلِيٍّ، فإذا دُللتَ عليه فأعطه هذا، وقل له: لِيحضرْ إن شاء، وإن لم يُجب / ذلك فدعه. وأمر للمغني بجائزة، فسار الغلام إلى دِعبِل، وأعطاه الجائزة، وأشار عليه بالمسير إليه. [٢٠/١٨٠]

فلما دخل عليه وسلّم أمره بالجلوس فجلس، واستنشده الشعر فأنشده إياه، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنيّاً، فكان أولَ من حرضه عَلَى قول الشعر.

يبلغه موت الرشيد فيهجوه:

فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه عَلَى ما فعله: من العَطاء السنيّ، والغِنى بعد الفقرِ، والرفعةِ بعد الخمولِ بأقبح مكافأة. وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام، وهجا الرشيد:

وليس حيّ من الأحياء نعلَمه من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مُضر

---

(١) كذا في النسخ ويبدو أنها: أن أضربه؛ لتستقيم العبارة.

(٢) المطبق: السجن تحت الأرض.

إلاّ وهُمْ شركاءُ في دمائهم كما تشارَكَ أيسار[١] عَلَى جُزُرِ
قَتْلٌ وأَسْرٌ وتحريقٌ ومنهبةٌ فعلَ الغُزاة بأرض الروم والخَزَرِ
أرى أُميةَ معذورين إن قَتلوا ولا أرى لبني العباس من عُذُرِ
اربع بطُوس[٢] عَلَى القبر الزكي إذا ما كنت تربَع من دين[٣] عَلَى[٤] وطَرِ
قبران في طُوسَ خيرُ الناس كلِّهم وقبرُ شرِّهم هذا من العِبَرِ
ما ينفع الرِّجسَ من قُرب الزكيِّ ولا عَلَى الزكيِّ بقُرب الرجس مِن ضررِ
هيهاتَ كلُّ امرىءٍ رهنٌ بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذَرِ

ـ يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام، فهذه واحدة.

يدس إلى المأمون شعر له فيصفح عنه ويستقدمه:

وأما الثانية فإن المأمون لم يزَل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله:

[٢٠/١٨١] ٥٨/١٨

/ عِلْمٌ وتحكيمٌ وشَيبٌ مَفارقٍ طمَّسْنَ رَيعانَ الشبابِ الرائقِ
وإمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ كانت على اللذات أشغبَ عائقِ
أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ[٥] يَرِثُ الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقِ
إن كان إبراهيمُ مضطلعاً بها فَلَتَصْلُحَنْ من بعده لمُخارقِ[٦]

فلما قرأها المأمون ضحك، وقال: قد صَفحْتُ عن كلِّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ في الخلافة، وولاه عهدَه.

وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان، ويحمِل إليه مالاً. وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل. فكتب إليه أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه، وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون ففعَل. فلما دخل وسلَّم عليه تبسم في وجهه، ثم قال أنشدني:

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ

فجزع، فقال له: لك الأمان فلا تخف، وقد روَيتُها ولكني أحبّ سماعها من فيك، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضَل لِحيته بدمعِه، فوالله ما شعَرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمونَ بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أولَ داخل، وآخر خارج مِن عنده.

يستدعيه بعض بني هاشم ثم لا يرضيه فيهجوه:

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال: حدثني أبو بكرٍ العامريُّ، قال:

---

(١) أيسار: جمع يسر، بالتحريك، وهم المجتمعون على الميسر.
(٢) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ.
(٣) وفي س، ب: «دير» تحريف.
(٤) س، ب: «إلى».
(٥) مي، مد: «إني يكون ولا يكون ولم يكن».
(٦) مخارق: هو أبو المهنأ المخارق بن يحيى من موالي الرشيد، وكان مغنياً.

استدعى بعضُ بني هاشم دِعبل وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام، فقصده إليها، فلم يقع منه بحيث[1] ظن وجفاه، فكتب إليه دِعبل:

دَلَّيْتَنــــي بغُــــرور وعــــدك فــــي ... متــلاطــمٍ مــن حَــوْمــة الغــرقِ

[٢٠/١٨٢] / حتــى إذا شمِــت العِــدوُّ وقــد ... شُهــر انتقــاصُــك شهــرةَ البَلَــق

أنشــأتَ تحلــف أنّ وُدَّك لــي ... صــافٍ وحبلــك غيــرُ منحــذق[2]

وحسبتَنِــي فَقْعــا[3] بقَــرْقَــرة[4] ... فــوطئتَنــي وَطئــاً علــى حنــقَ

ونصبتَنــي عَلمــا علــى غَــرَض ... تَــرْمِيــنِــيَ الأعــداءُ بــالحــدق

وظننــتَ أرض الله ضيّقــة ... عنــي وأرضُ الله لــم تضــق

مِــن غيــر مــا جُــرمٍ ســوى ثقــة ... منّــي بــوعــدك حيــن قلــتَ: ثِــق

ومــودةٍ تحنــو عليــك بهــا ... نفْســي بــلا مــنّ ولا ملــق

فمتــى ســألتــك حــاجــةً أبــداً ... فــاشــدُد بهــا قُفْــلا علــى غَلــق[5]

وقــفِ الإخــاء علــى شَفــى جُــرُف ... هــارٍ[6] فبِغْــه بيعــة الخَلــق

واعِــدّلــي قُفــلا وجــامعــة[7] ... فــاشــدد يــدَيّ بهــا إلــى عنقــي

أُعفيــك ممــا لا تحــبُّ بهــا ... واســدُد[8] علــيّ مــذاهــب الأفــق

مــا أطــولَ الــدنيــا وأعــرضهــا ... وأدلّنــي بمســالــك الطــرق

يتهم بشتم صفية بنت عبدالمطلب فيهرب وينكر التهمة:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُوَيه قال: حدثني أبي قال:

[٢٠/١٨٣] قدِم دِعبل الدِّينورَ[9]، فجرى بينه وبين رجل من ولَد الزّبَير بنِ العوام كلام / وعربدة عَلَى النبيذ، فاستعدى عليه / عمرَو بن حميد القاضي، وقال: شتم صفيةَ بنتَ عبدالمطلب، واجتمع عليه الغوغاء، فهرب دِعبل، وبعث القاضي إلى دارِ دِعبل فوكّل بها وختم بابه، فوجّه إليه برُقعة فيها: ما رأيتُ قطُّ أجهلَ منك إلاّ من ولاّك، فأنه أجهل، يقضِي في العَرْبَدَة على النبيذ، ويحكم عَلَى خصم غائب، ويقبَلُ عقلُكَ أني رافضِيٌّ شتَمْ صفيةَ بنتَ

$\frac{59}{18}$

(١) س، ب: «بحسن».

(٢) منحذق: منقطع.

(٣) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة وجمعها فقعة كعنبة.

(٤) قرقرة: أرض مطمئنة لينة. وفي المثل أذل من فقع بقرقرة، لأن الفقع لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

(٥) الغلق: المغلاق، وهو ما يغلق به.

(٦) هار: منهار.

(٧) الجامعة: الغل.

(٨) س، ب: «اشدد».

(٩) الدينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين.

عبدالمطلب. سَخِنَتْ عينك، أفمِن دِين الرافضة شَتْم صفية! قال أبي: فسألني الزبيريُّ القاضي عن هذا الحديث فحدثته، فقال: صدَق والله دِعبل في قوله، لو كنتُ مكانَهُ لوصلته وبرِرْتُه.

يغري متنسكا فيعود إلى الندماء يسمع الغناء ولا يشرب النبيذ:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرَوَيهْ قال: حدثني إبراهيم بن سهل القارىء قال حدثني دِعبِل قال: كتبتُ إلى أبي نهشل بن حميد، وقد كان نسك وترك شُرب النبيذ، ولزِم دار الحرَم:

إنمـا العَيـش فـي منـادمـة الإخـوان لا فـي الجلـوس عنـد الكَعـاب

وبِصِـرْفٍ كـأنهـا ألسـنُ البـر ق إذا استعـرَضَـتْ رقيـق السحـاب

إن تكـونـوا تـركتـمُ لـذة العيـش حِـذار العِقـاب يـومَ العقـاب

فـدعُـونـي ومـا ألـذُّ وأهـوىَ وادفعـوا بـي فـي نحـر يـوم الحسـاب

قال: فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي، فنشرب بين يديه، ويستمع الغناء، ويقتصر على الأنس والحديث.

يشترك في نظم قصيدة نصفها له ونصفها الآخر لإبراهيم بن العباس:

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويَهْ قال: حدثنا إبراهيم بنُ المدبِّر قال:

كنت أنا وإبراهيمُ بنُ العباس رفيقَين نتكسّبُ بالشعر قال: وأنشدني قصيدة دِعبل في المَطلب بنِ عبدالله:

/ أمطّلِـبٌ أنـت مستعـذِب سِمـامَ الأفـاعـي ومستقبِـلُ [٢٠/١٨٤]

قال، وقال لي دعبل: نصفها لإبراهيمَ بنِ العباس، كنتُ أقول مِصراعاً فيجيزُه، ويقول هو مِصراعا فأجيزه.

يهجو مالك بن طوق لأنه لم يرض ثوابه:

قال ابن مَهْرُويَهْ: وحدثني إبراهيم بنُ المدبر أن دِعبلا قصد مالكَ بنَ طَوْق ومدحه، فلم يرضَ ثوابه، فخرج عنه وقال فيه:

إنّ ابـنَ طَـوقٍ وبنـي تغلِـبٍ لـو قُتلـوا أو جُـرحـوا قُصْـره[1]

لـم يـأخـذوا مـن دِيـة درهمـا يـومـاً ولا مـن أرْشِهـمْ[2] بَعـره

دِمـاؤهـم ليـس لهـا طـالـب مَطْلـولـةٌ مثـلُ دم العُـذْره

وجـوههـم بيـض وأحسـابهـم سـود وفـي آذانهـم صُفْـرة

يمدح عبدالله بن طاهر فيجيزه:

حدثنا محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال: حدّثني العَنَزِيّ قال: حدثنا عبدُالله بنُ الحسن قال: حدثني عمرُ بنُ عبدالله أبو حفص النحويُّ مؤدب آل طاهر قال:

(١) قصرة: أراد أنهم يقصرون عن إدراك الثأر.
(٢) الأرش: دية الجراحات.

دخل دِعبلُ بن عليٍّ على عبدالله بن طاهر، فأنشده وهو ببغداد:

جئـتُ بـلا حُـرمـة ولا سبـبِ — إليـك إلّا بحـرمـة الأدبِ

فـاقـض ذِمـامـي فـإنني رجـل — غيـرُ ملـحّ عليـك فـي الطلـب

قال فانتعل[1] عبدالله، ودخل إلى الحُرَم، ووجّه إليه بصُرّة فيها ألفُ درهم، وكتب إليه:

أعجلتَنـا فـأتـاك عـاجـلُ بِـرّنـا — ولـو انتظـرْتَ كثيـرة لـم يَقلِـلِ

فخُـذ القليـل وكـن كـأنـك لـم تسـلْ — ونكـونُ نحـن كـأننـا لـم نفعـل

[٢٠/١٨٥] / **يهجو مالك بن طوق فيطلبه فيهرب إلى البصرة:**

٦٠ / ١٨

أخبرني أحمدُ بن عاصمٍ الحُلْوانيُّ قال: حدثنا أبو بكر المدائنيُّ قال: حدثنا أبو طالب الجعفريُّ ومحمدُ بنُ أُميّة الشاعرُ جميعاً قالا:

هجا دِعبلُ بنُ عليٍّ مالكَ بنَ طوق قال:

سـألـتُ عنكُـم يـا بنـي مـالـكٍ — فـي نـازح الأرضيـن والـدّانيـه[2]

طُـرّاً فلـم تُعـرف لكـن نِسبـة — حتـى إذا قلـتُ بنـي الـزانيـة

قـالـوا فـدَع داراً علـى يَمْنـة — وتلـك هـا دارهُـمُ ثـانيـه

لا حـدَّ أخشـاه علـى — مـن قـال أمُّـك زانيـة

وقال أيضاً فيه:

يـا زانـيَ ابـنَ الـزانِ ابـنَ الـزانِ ابـنَ الـزانيـة

أنـتَ المـردَّد فـي الـزنـا — ء علـى السنيـنَ الخـاليـة

ومـردَّد فيـه علـى — كـرِّ السنيـنَ البـاقيـة

وبلغَت الأبيات مالكاً، فطلبه، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاقُ بنُ العباس بنِ عليٍّ بنِ عبدِالله بنِ العباس بنِ عبدِالمطلب، وكان بلغه هجاء دِعبلٍ وابنِ أبي عُيَينة نِزاراً.

فأما ابنُ أبي عُيَيْنَة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه.

يقبض عليه والي البصرة فيعفيه من القتل ويشهره:

وأما دِعبِل فإنه حين دخل البصرة بَعث فقبض عليه، ودعا بالنِّطْع والسيف ليضربَ عنقه، فجحد القصيدة وحلف بالطلاق عَلَى جَحدها وبِكلّ يمين تبرّىء من الدم أنه لم يقلها وأن عدواً له قالها، إما أبو سعد المخزومي أو غيرهُ ونسبها إليه ليُغريَ بدمه، وجعل يتضرع إليه ويقبّل الأرض ويبكي بين يديه، فرقّ له، فقال: أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من / أن أشهرَكَ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سَلَح، وأمر به فأُلقيَ عَلَى قفاه، وفُتح فُمه فرُدّ سَلحه فيه [٢٠/١٨٦]

---

(١) كذا في م، أ. س، ب: «فانتقل».

(٢) في: «نازح الأرض وفي الدانية».

والمقارع تأخذ رجليه، وهو يحلف ألا يكفّ عنه حتى يستوفيَه ويبلغَه أو يقتله. فما رُفِعت عنه حتى بَلِغَ سلحه كله، ثم خلاّه، فهرب إلى الأهواز.

بعث مالك بن طوق رجلاً فاغتاله بأرض السوس:

وبعث مالك بنُ طوق رجلاً حَصيفاً مِقداماً، وأعطاه سمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه عَلَى ذلك عشرة آلاف درهم، لم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السُّوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتَمة، فضَرب ظهر قدمه بعُكاز لها زُجّ مسموم فمات من غد، ودُفن بتلك القرية.

وقيل بل حُمل إلى السوس، فدفن فيها.

طلب والي البصرة أن ينقض شاعر هجاءه هو وابن أبي عيينة لنزار:

وأمر إسحاق بنُ العباس شاعراً يقال له: الحسنُ بنُ زيد ويُكنَى أبا الذّلفاء، فنَقَض قصيدتَي دِعبِل وابن أبي عيينة بقصيدة أولها:

أمـــا تَنفـــك متبـــولا[1] حـــزينـــا ... تحـــبّ البيـــض تَعصِـــي العـــاذلينـــا

يهجو بها قبائل اليمن، ويذكر مثالبهم، وأمره بتفسير ما نظمه، وذكرِ الأيام والأحوال، ففعل ذلك وسماها الدامغة، وهي إلى اليوم موجودة.

[١٨٧/٢٠]

صوت

أتهجـــر مَـــن تُحـــب بغيـــر جـــرم ... أســـأتَ إذاً وأنـــت لـــه ظلـــوم

تـــؤرقنـــي الهمـــوم وأنـــت خِلْـــوٌ ... لعمـــرُك مـــا تـــؤرقـــك الهمـــوم

الشعر لجعَيْفران الموسوِس، أنشدنيه عمي عن عبدِالله عثمانَ الكاتبِ عن أبيه عن جده[2]، وأنشد[3] فيه جَحظةُ عن خالدٍ الكاتبِ له، وأنشدنيه ابن الوشّاء عن بعض شيوخه عن / سلَمة النحويّ له. ووجدته في بعض الكتب $\frac{٦١}{١٨}$ منسوباً إلى أم الضحاك المُحاربيةِ، والقول الأول أصح. والغناء لابن أبي قَباحة، ثاني ثقيل بالوُسطى في مجرى البِنصر. وفي أبيات أُخر من شعر جعيفران غناء، فإن لم يصح هذا له فالغناء له في أشعاره الأخر صحيح، منها:

مـــا يفعـــلُ المـــرء فهـــو أهلُـــه ... كـــلُّ امـــرىءٍ يشبهـــه فعلُـــه

ولا تـــرى أعجـــز مـــن عـــاجـــز ... سكّتنـــا عـــن ذمّـــه بـــذلُـــه

الشعر لجعيفران، والغناء لمتيمٍّ، ومّما وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعة وفيه له غناء:

قلبـــي بِصـــاحبـــة الشُّنـــوف مُعَلّـــقُ ... وتفِـــرُّ صـــاحبـــة الشنـــوف وألْحَـــق

---

(١) متبولاً: سقيماً.

(٢) ف: «عن أبيه له».

(٣) في طبعة بولاق: «وأنشدنيه».

[١٨٨/٢٠]

/ أخبار جعيفران ونسبه

نسبه ونشأته:

هو جعيفرانُ بن عليِّ بن أصفرَ بنِ السريِّ بنِ عبدالرحمن الأبناويِّ، من ساكني سُرَّ مَن رأى، ومولده ومنشؤه ببغداد. وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية، وكان يتشيّع، ويُكثر لِقاء أبي الحسن عليِّ بنِ موسى بنِ جعفر.

كان شاعراً مطبوعاً ثم اختلط:

أخبرني بذلك أبو الحسن عليُّ بنُ العباس بنِ أبي طلحة الكاتبُ عن أبيه وأهلِه.

وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً، وغلَبت عليه المِرّة السوداء، فاختَلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه، فقال الشعر الجيد. وكان أهله يزعمون أنه من العجم ولد أُذين.

خالف أباه إلى جارية له فطرده:

فأخبرني الحسنُ بنُ عليِّ الخَفّاف قال: حدثني محمدُ بنُ مَهْرُيَهَ قال: حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ النّوفليُّ قال: حدثني صالحُ بن عطيةَ قال:

كان لجُعَيفران الموسوِس قبل أن يَختلِط عقله أبٌ يقال له: عليُّ بنُ أصفر، وكان دِهقان الكَرْخ ببغداد، وكان يتشيَّع، فظهر على ابنِه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرِّيَة، فطرده عن داره.

يشكوه أبوه إلى موسى بن جعفر فيأمره بإخراجه من ميراثه:

وحجّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفرٍ، فقال له موسى: إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يَفقدَ عقله، وإن كنت قد تحققْتَ ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك، ولا تطعمْه شيئاً من مالِك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك.

فقدِم فطرده، وأخرجه من منزله، وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهِد بها في ماله حتى يخرجَه عن ميراثه، فدلّوه على السبيل إلى ذلك، فأشهد به، وأوصى إلى رجل. فلما مات الرجل حاز ميراثه ومَنع منه جعيفران، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي، فأحضر الوصيّ،

[١٨٩/٢٠] / وسأل جعيفران البينة على نَسبه وتركة أبيه، فأقام على ذلك بينة عِدة، وأحضر الوصيُّ بيّنة عُدولاً على الوصية يشهدون على أبيه ما كان احتال به عليه.

فلم يَرَ أبو يوسف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورِّثه، فدفعه الوصيّ عن ذلك مرَات بِعلَل. ثم عزم أبو يوسف على أن يُسجّل لجعيفران بالمال، فقال له الوصيّ: أيها القاضي، أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي، فأبى أبو يوسف أن يقبل منه، وجعل جعيفران يُحَرِّج عليه، ويقول له: قد ثبت عندك أمري، فبِأي شيء تدافعني؟ وجعل الوصيّ يسأله أن يسمع منه منفرداً، فيأبى، ويقول: لا أسمع منك إلاّ بحضرة خصمك. فقال له أجّلني إلى غد،

فأجّله إلى منزله وكتب رقعة خبّره فيها بحقيقة[١] ما أفتى به موسى بنُ جعفر، ودفعها إلى صديق لأبي / يوسف، ٦٢/١٨ فدفعها إليه، فلما قرأها دعا الوصيّ واستحلفه أنه قد صدَق في ذلك. فحلف باليمين الغَموس. فقال له: اغدُ عليّ غدا مع صاحبك، فحضر وحضر جعيفران معه، فحكم عليه أبو يوسف للوصي. فلما أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلَط منذ يومئذٍ.

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب عليُّ بن العباس بنِ أبي طلحة الكاتبُ، عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب، ولم أر أخباره عند أحد أكثر مما وجدتها عنده إلاّ ما أذكره عن غيره فأنسبُه إليه.

يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً:

قال عليّ بنُ العباس: وذُكر عبدالله بنُ عثمان الكاتبُ أن أباه عثمانَ بنَ محمد حدّثه قال:

كنتُ يوماً برُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جعيفران وهو مغضَب، فوقف عليّ وقال:

* استوجَبَ العالَم مِني القتلا *

/ فقلت: ولِم يا أبا الفضل؟ فنظر إليّ نظرة منكَرة خِفْت منها، وقال: [٢٠/١٩٠]

* لمّا شَعرت فرأوني فحلا *

ثم سكتَ هنيهة، وقال:

قالوا عليَّ كذِبا وبُطْلا ... إنيَ مجنون فَقَدتُ العقلا

قالوا المحال كذِبا وجهلا ... أقبِحْ بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف، فخِفْت أن يؤذيَه الصبيان، فقلت: اصبر فدَيتك حتى أقوم معك؛ فإنك مغضَب، وأكره أن تخرج على هذه الحال. فرجع إليّ، وقال: سبحان الله، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل، وأستقبح فعلهم، وتتخوّف مني مكافأتهم! ثم إنه ولّى وهو يقول:

لستُ بِراضٍ من جَهول جهلا ... ولا مجازيه بِفعل فِعلا

لكنْ أرى الصفح لِنفسي فضلا ... مَن يُرِد الخيرَ يجِدْه سهلا

ثم مضى.

رئي وحده يدور في دار طول ليلته وهو ينشده رجزاً:

وقال عليُّ بنُ العباس، وقال عثمان بنُ محمد[٢]: قال أبي:

كنتُ أُشرِف مرة من سطح لي على جُعَيفرانَ وهو في دارٍ وحدَه وقد اعتلّ، وتحركَت عليه السوداء، فهو يدور في الدار طول ليلته، ويقول:

طاف به طَيف من الوسواسِ ... نَفّر عنه لَذّةَ النُّعاسِ

فما يُرَى يأنس بالأناس ... ولا يلَذ عِشْرة الجُلّاسَ

(١) كذا في أ، م، س، ب: «تحقيق»، تحريف.

(٢) م: «عبدالله بن عثمان بن محمد».

* فهو غريب بين هذا[1] الناس *

حتى أصبح وهو يرددها، ثم سقط كأنه بَقْلة ذابلة.

يستجيب لنظم بيت بنصف درهم:

قال علي: وحدثني عليُّ بن رستمَ النحويَ، قال: حدثني سَلَمة بن محارب قال:

٢٠/١٩١) / مررت ببغداد، فرأيتُ قوماً مجتمعين على رجل، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: جعيفران المجنون، فقلت: قُل بيتاً بنصف درهم. قال: هاته، فأعطيته، فقال:

لَجَّ ذا الهمُّ واعتلَج[2] كلَّ همّ إلى فرج

ثم قال: زِد إن شئت حتى أزيدَك.

يصيح الصبيان خلفه وهو عريان، وينشد شعراً في جناية الفقر عليه:

قال عليّ: وحدثني عبدالله بن عثمان، عن أبيه قال:

غاب عنا جُعَيفران أياماً ثم جاءنا والصبيان يَشُدون خلفه وهو عُريانٌ وهم يصيحون به: يا جعيفران يا خرا في الدار. فلما بلغ إليّ وقف، وتفرّقوا عنه فقال: يا أبا عبدالله:

رأيتُ الناس يدعوتني بمجنون على حالي
/ وما بي اليومَ من جِنٍّ ولا وسواسٍ بَلبال
ولكن قولُهم هذا لإفلاسي وإقلالي
ولو كنت أخاً وَفرٍ رَخيّاً ناعمَ البال
رأوني حسن العقل أحُلّ المنزل العالي
وما ذاك على خُبرٍ ولكن هيبةُ المال

٦٣/١٨

يدخله سيد داره فيطعمه ويسقيه:

قال: فأدخلتُه منزلي، فأكل، وسقيته أقداحاً، ثم قلتُ له: تقدِر على أن تَغيِّر تلك القافية؟ فقال: نعم، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف:

رأيتُ الناس يرمونـ ـيَ أحياناً بِوسواسِ
ومَن يَضبِطُ يا صاح مقالَ الناس في الناس؟
فدَعْ ما قاله الناس ونازع صفوة الكاس
فتى حُراً صحيح الوُدّ ذا بِرٍّ وإيناس

(١) س، ب: «هذي».
(٢) اعتلج: كثر والتطم.

/ فـــإن الخلْـــق مَغْـــرُور(١) بـــأمثـــالـــي وأجنـــاســـي [٢٠/١٩٢]

ولـــو كنـــتُ أخـــا مـــال أتـــونـــي بيـــن جُـلاّســـي

يُحِبـــونـــي ويَحْبـــونـــي علـــى العينيـــن والـــراس

ويـــدعـــونـــي عـــزيـــزاً غيـــر أنّ الـــذل إفـــلاســـي

يضيق به بعض مجالسيه ويفطن لذلك فيقول شعراً:

ثم قام يبول، فقال بعض مَن حضر: أيُّ شيء معنى عشرتِنا هذا المجنون العريان؟ والله ما نأمنه وهو صاح، فكيف إذا سَكِر؟ وفَطِن جُعيْفران للمعنى، فخرج إلينا وهو يقول:

ونـــدامـــيَ أكلـــونـــي إذ تغيّبـــتُ قليـــلا

زعمـــوا أنِـــيَ مجنـــو نٌ أرى العُـــرْى جميـــلا

كيـــف لا أعَـــرى ومـــا أبـ ـصـــر فـــي النـــاس مثيـــلا؟

إن يكـــن قـــد ســـاءكـــم قُـــر بـــي فخلُّـــوا لـــي سبيـــلا

وأتمّـــوا يـــومكـــم ســـرّكـــم الله طـــويـــلا

قال: فرقّقنا له، واعتذرنا إليه، وقلنا له: والله ما نلتذّ إلاّ بِقُربك، وأتيناه بثوب، فلبسه، وأتممنا يومنا ذلك معه.

يحتكم إلى القاضي فيدفعه عن دعواه فيدعو عليه:

أخبرني جَحظةُ قال: حدثني ميمونُ بن هارونَ قال:

تقدّم جُعيفرانُ إلى أبي يوسفَ الأعور القاضي بِسُرَّ مَنْ رأى في حكومة في شيء كان في يده من وَقفٍ له، فدفعه عنه، وقضى عليه. فقال له: أراني اللهُ أيها القاضي عَينيك سواء، فأمسَك عنه، وأمر بردّه إلى داره.

/ فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم، ثم دعا بِهِ فقال له: ماذا أردتَ بدعائك؟ أردتَ أن يَرُد الله عليّ بصري [٢٠/١٩٣] ما ذهب؟ فقال له: والله لئن كنتَ وهبْتَ لي هذه الدراهم لأسخرَ منك؛ لأنت المجنون لا أنا. أخبِرْني كم من أعورَ رأيتَه عَمِي؟ قال: كثيراً، قال: فهل رأيتَ أعورَ صحّ قطُّ؟ قال: لا. قال: فكيف توهمْتَ عليّ الغلط! فضحك وصرفه.

يمدح أبا دلف فيجزل له العطاء:

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسِم البرتيّ قال: حدثني علي بن يوسف قال:

[٦٤/١٨] / كنتُ عند أبي دُلَف القاسِم بنِ عيسى العِجْليّ فاستأذن عليه حاجبه لجُعَيفرانَ الموسوِس، فقال له: أيّ شيء أصنع بموَسْوِس! قد قضَينا حقوق العقلاء، وبقي علينا حقوق المجانين! فقلت له: جُعلت فداء الأمير موسوِسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء، وإن له لساناً يُتّقى وقولاً مأثوراً يبقى، فالله الله أن تحجبه، فليس عليك منه أذى ولا

(١) كذا في النسخ، ولا معنى لها هنا، ولعلها مغرى، بمعنى مولع، وفعله غرى، كرضى.

ثِقَل، فأذن له، فلما مَثَل بين يديه قال:

يــا أكــرمَ العــالــم مــوجــوداً ويــا أعــزّ النــاس[1] مفقــوداً
لمــا ســألــتُ النــاسَ عــن واحــدٍ أصبــح فــي الأمــة محمــوداً
قــالــوا جميعــاً إنــه قــاســمٌ أشبــه آبــاءً لــه صِيــدا
لــو عبــدوا شيئــاً ســوى ربهــم أصبحــت فــي الأمــة معبــودا[2]
لا زِلــتَ فــي نُعْمــى وفــي غِبطــةٍ مكــرَّمــاً فــي النــاس معــدوداً

قال، فأمر له بِكُسوة وبألف درهم، فلما جاء بالدراهم أخذ عنها عشرة، وقال: تأمر القَهْرمان أن يُعطيني الباقي مفرَّقاً كلما جئت؛ لئلا يضيع مني، فقال للقهرمان: أعطه / المال، وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرِّق الموت بيننا، فبكى عند ذلك جُعَيفران، وتنفَّس الصعداءَ، وقال: [٢٠/١٩٤]

يمــوت هــذا الــذي أراه وكــلُّ شــيء لــه نفــاد
لــو غيــرَ ذي العــرش دام شــيء لــدام ذا المُفْضِــلُ الجــواد

ثم خرج، فقال أبو دُلَف: أنتَ كنتَ أعلَم به مني.

يسأل عن أبي دلف ويرتجل في مدحه شعراً:

قال: وغَبَر عني مدة، ثم لقيني وقال: يا أبا الحسن، ما فعل أميرُنا وسيّدُنا وكيف حاله؟ فقلت: بِخيرٍ وعلى غاية الشّوق إليك. فقال: أنا والله يا أخي أشوقُ، ولكني أعرِف أهلَ العسكر وشرَهَهم وإلحاحَهم[3] والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم، ولا يتركه كرمُه أن يُخْلِيَهم من العطيّة حتى يخرَج فقيراً. فقلت: دع هذا عنك[4] وزُرْه، فإن كثرة السؤال لا تضرّ بماله، فقال: وَكيف؟ أهو أيسرُ من الخليفة؟ قلت: لا. قال: والله لو تبذّل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلَفٍ وأطعمهم في ماله كما يُطعمهم لأفقروه في يومين، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا، فقلت: هاته يا أبا الفضل فأنشأ يقول:

أَبــا حســنٍ بلِّغَــنْ قــاسمــاً بــأنّــيَ لــم أجفُــهُ عــن قِلــى
ولا عــن مَــلال لإتيــانــه ولا عــن صُــدود ولا عــن غِــنــى
ولكــن تعفّفــتُ عــن مــالــه وأصفيتُــه مِــدْحتــي والثنــا
أَبــو دُلَــف سيّــدٌ مــاجــد سنــيّ العطيــة رَحــب الفِنــا
كــريــمٌ إذا انتــابــه المعتفــو نَ عمَّهــمُ بجــزيــل الحِبــا

[٢٠/١٩٥] / **يلقى أبا دلف فينشده ما حاله:**

قال: فأبلغتُها أبا دُلَف، وحدَّثته بالحديث الذي جرى، فقال لي: قد لقِيتُه منذ أيام؛ فلما رأيته وقفتُ له،

---

(١) م، أ: «الخلق». (٢) زيادة من مي، م. (٣) ف: «والحافهم». (٤) س، ب: «عنا».

وسلّمت عليه، وتحفّيت به، فقال لي: سِرْ أيها الأمير على بركة الله، ثم قال لي:

يا مُعطِيَ الجود على الأموالِ ... ويا كريمَ النفْس في الفعالِ
قد صُنْتَني عن ذِلة السؤالِ ... بِجُودك الموفي على الآمالِ
صانك ذو العزة والجلال ... مِن غِيَرَ الأيام والليالي

/ قال: ولم يَزَلْ يختلف إلى أبي دُلَف ويَبَرّه حتى افترقا. ٦٥/١٨

يرى وجهه في حب فيهجو نفسه:

سمعتُ عبدَالله بنَ أحمدَ، عمَّ أبي رحمه الله يحدّث فحفظت الخبر، ولا أدري أذَكر له إسناداً فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد، قال:

كان جعيفرانُ خبيثَ اللسان هَجّاء، لا يسلم عليه أحد، فاطّلع يوماً في الحُب[1]، فرأى وجهه قد تغيّر، وعفا[2] شعره فقال:

ما جَعفرٌ لأبيه ... ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير ... فكلّهم يدعيه
هذا يقول بُنَيّ ... وذا يخاصم فيه
والأمُّ تضحك منهم ... لِعلمها بأبيه

يسأل طعاماً فيجاب له:

حدثني محمد بنُ الحسنِ الكِنديّ خطيب القادسية قال: حدثني رجل من كتّاب الكوفة قال:

اجتاز بي جُعَيفرانُ مرة فقال: أنا جائع، فأيَّ شيء عندك تُطعِمني؟ فقلت سَلْق / بِخَرْدَل [٢٠/١٩٦]

يهجو جارية مضيفة لتأخرها في شراء بطيخ له:

فقال: إشتَر لي معه بِطّيخاً، فقلت: أفعل، فادخُل، وبعثت بالجارية تجيئه به، وقدّمتُ إليه الخبز والخَرْدل والسّلق، فأكل منه حتى ضجِر، وأبطأت الجاريةُ، فأقبَل عليّ وقد غضب فقال:

سَلَقْتَنا وخَرْدَلت[3] ... ثم ولّت فأدبَرَت
وأراها بواحد ... وافِر الأير قد خلَت

قال فخرجْتُ ـ يشهد الله ـ أطلبها، فوجدتُها خالية في الدّهليز بسائس لي على ما وصف.

---

(١) الحب: الجرة أو الضخمة منها وفي س: «الجب»، تحريف.
(٢) عفا: كثر وطال.
(٣) خردلت: يريد اشتدت في الإيذاء بالقول.

[١٩٧/٢٠]

صوت

ولهـا مَـرْبَـعٌ بِبُـرْقَـة(١) خـاخٍ ... وَمصِيـف بـالقصـر قصـرِ قُبـاءِ(٢)

كفِّنـونـي إن مـت فـي دِرعِ أروَى ... واجعلـوا لـي مِـنْ بئـر عُـروة مـائـي(٣)

سُخنـةٌ فـي الشتـاء بـاردة الصيـ ... ـف سـراجٌ فـي الليلـة الظلمـاء

الشعر للسَّرِيّ بنِ عبدالرحمن، والغناء لمعَبد، ثقيل أول بالوُسطى عن الهِشامي: قال: وفيهما ـ يعني الثالث والأول ـ رمَل مطلَق في مجرَى الوسطى.



(١) برقة خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له: روضة خاخ.

(٢) مواضع قرب المدينة.

(٣) بئر عروة: بئر بعقيق المدينة، تنسب إلى عروة بن الزبير بن العوام. وفي مي: «واستقوا لي» بدل «واجعلوا لي».

/ أخبار السري ونسبه

[٢٠/١٩٨]

نسبه:

السريُّ بن عبدالرحمن بن عُتبة بن عُوَيمِ بنِ ساعدة الأنصاريّ، ولجده عويم بن ساعدةَ صحبة بالنبي، ﷺ.

شعره وشخصه:

والسريّ شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمُكثِرٍ ولا فحلٍ، إلاّ أنه كان أحدَ الغَزِلينَ والفتيانِ والمنادمينِ على الشراب. كان هو وعُتَير بن سهل[1] بن عبدالرحمن بن عَوف، وجُبَيرُ بنُ أيمنَ، وخالدُ بن أبي أيوبَ الأنصاري يتنادمون. قال: وفيهم يقول:

إذا أنـتَ نـادمـتَ العُتَيـرَ وذا النـدى ... جُبَيـرا ونـازعـتَ[2] الـزّجـاجـة خـالـداً

أمِنـتَ بـإذنِ الله أن تُقـرع العصـا ... وأن يُنْبِهـوا مـن نـومـة السُّكْـر راقـدا

غناه الغَريض ثقيلا.

وكان السريّ هذا هجا الأحوصَ، وهَجا نُصَيبا؛ فلم يجيباه.

يهجو النصيب فيهبه لقومه، ولله ورسوله:

أخبرني الحَرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بَكّار قال: حدثني عمي، وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسي قال حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيِّ قالا:

حُبس النُّصيب في / مسجد النبي - ﷺ فأنشَد، وكان إذا أنشد لوى حاجبَيه، وأشار بيده، فرآه السريُّ بنُ عبدِالرحمن الأنصاريُّ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال: [٦٦/١٨]

فقـدتُ الشعـرَ حيـن أتـى نُصيبـا ... ألـم تستَحـي مـن مَقْـتِ الكـرام

إذا رَفـع ابـنُ ثَـوبـةَ حـاجبَيـه ... حسبـت الكلـبَ يُضـربُ فـي الكِعـام[3]

/ قال: فقال نصيب: مَن هذا! فقالوا: هذا ابنُ عُوَيم الأنصاريُّ، قال: قد وهبتُه لله عز وجلَ ولرسولهِ - ﷺ - ولعُوَيم بنِ ساعدةَ. قال: وكان لعُوَيم صحبةٌ ونصرةٌ. [٢٠/١٩٩]

يحب امرأة يقال لها زينب ويشبب بها:

أخبرني الحَرَميُّ قال: حدثنا الزبيرُ قال: حدثني عمي عن عبدِالرحمن بن عبدالله العُمَريِّ قال: كان السريُّ قصيراً دميماً أزرقَ، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويُشبِّب بها، فخرج إلى البادية، فرآها في نِسوةٍ، فصار إلى راعٍ

(١) ف: «سهيل».
(٢) مي، مج: «وعاطيت».
(٣) الكعام: الكمامة.

هناك وأعطاه ثيابَه، وأخذ منه جُبّتَه وعصاه، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النّسوة فلم يحفِلن به، وظنَن أنه أعرابيّ، فأقبلَ يقلّب بعصاه الأرضَ وينظر إليهم فقلن له: أذهَب منك يا راعيَ الغنم شيءٌ فأنتَ تَطلبُه؟ فقال: نعم. قال: فضربتْ زينب بكُمها على وجهها وقالت: السريّ والله، أخزاه الله! فأنشأ يقول:

صوت

مــــا زال فينـــا سقيـــمٌ يُستَطـــبّ لــــه	مـــن ريـــح زينـــبَ فينـــا ليلـــةَ الأحـــدِ
حُـــزتِ الجَمـــالَ ونشـــراً طيّبـــاً أرِجـــاً	فمـــا تُسمَّيـــنَ إلاّ مِسكـــةَ البلـــدِ
أمّـــا فـــؤادي فشـــيء قـــد ذهبـــتِ بـــه	فمـــا يضـــرُّكِ ألا تَحـــرُبـــي[1] جســـدي!

يستحسن المهدي شعراً له في الغزل:

أخبرني الحسينُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا أحمد بن أبي خَيْثمةَ قال: حدثنا مُصعبٌ الزُّبيريّ قال، قال أبي: قال لي المهديّ:

أنشِدني شعراً غزِلا، فأنشدتُه قولَ السريّ بنِ عبدالرحمن:

مــــا زال فينـــا سقيـــمٌ يُستَطـــبُ لــــه	مـــن ريـــحِ زينـــبَ فينـــا ليلـــةَ الأحـــدِ

فأعجَبْته، وما زال يَستعيدها مِراراً حتى حفِظها.

[٢٠/٢٠٠] / **كان وندماءه تقبل شهادتهم مع شربهم النبيذ:**

أخبرني الحسنُ قال: حدثني أحمدُ قال: حدثني محمدُ بنُ سلاّم الجُمحيُّ قال:

كان السريُّ بنُ عبدِالرحمن ينادم عُتَيرَ بن سَهل بنِ عبدالرحمن بنِ عَوفٍ وجُبيرَ بنَ أيمنَ بنِ أمّ أيمن مولى النبيّ ـ ﷺ ـ وخالدَ بنَ أبي أيوب الأنصاريَّ، وكانوا يشربون النبيذَ، وكلُّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ، جليلَ القدرِ مستوراً، فقال السريّ:

إذا أنـــتَ نـــادمـــتَ العُتَيْـــرَ وذا النـــدىٰ	جُبَيـــرا ونـــازعـــتَ الـــزجـــاجـــةَ خـــالـــداً
أمِنـــتَ بـــإذنِ الله أن تُقـــرَعَ العصـــا	وأن يُنْبهـــوا مـــن نـــومـــة السُّكـــر راقـــدا

فقالوا: قبحَك الله! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعةِ لسرنا؟ إنك لحقيق ألاّ ننادمَك. قال: والله ما أردتُ بكم سوءاً، ولكنه شِعر طفح فنَفثته[2] عن صدري، قال: وخالدُ بن أبي أيوب الأنصاريُّ الذي يقول:

صوت

ألا سقِّنـــي كـــأســـي ودع قـــول مَـــن لَحـــى	ورَوِّ عظـــامـــاً قَصْـــرُهـــن[3] إلـــى بِلـــىٰ
فـــإن بُطُـــوءَ[4] الكـــأس مَـــوْتٌ وحبسَهـــا	وإنّ دِراك الكـــأس عنـــدي هـــو الحيـــا

---

(١) تحربي: تسلبي.

(٢) ب، س: «فقئته».

(٣) قصرهن: غايتهن.

(٤) في محيط المحيط: البطاء والبطوء: ضد السرعة.

/ الغِناءُ في هذين البيتين هو لِعبدِالله بنِ العباس الرّبيعي، خفيف رمل بالبِنْصر عن عَمْرو بن بانَة. ٦٧/١٨

التمثل بشعره في طلب الشراب:

أخبرني أبو الحسنِ الأسديُّ قال: حدثني سليمانُ بنُ أبي شيخٍ قال: حدثني مصعبُ بنُ عبدالله الزبيريُّ قال: حدثني مصعبُ بنُ عثمانَ قال: حدثني عُبَيدُالله بن عروةَ بنِ الزُّبيرِ قال:

/ خرجتُ وأنا غلام أدُور في السككِ بالمدينة فانتهيتُ إلى فناءٍ مَرشوش وشابٌّ جميلِ الوجهِ جالس، فلما [٢٠/٢٠١] رآني دعاني، ثم قال لي: مَن أنتَ يا غلامُ؟ فقلت عُبيدُالله بنُ عروة بن الزبيرِ. فقال: اجلس، فجلستُ، فدعا بالغَداء فتغدَّينا جميعاً، ثم قال: يا جاريةُ؛ فأقبلَتْ جاريةٌ تتهادىٰ كأنها مَهاةٌ، وفي يدها قِنينةٌ فيها شرابٌ صاف وقلةُ ماءٍ وكأسٌ، فقال لها: اسقيني؛ فصبّت في الكأسِ وسَكَبتْ عليه ماءً وناولته، فشرب ثم قال: اسقيه، فصبَّت في الكأسِ وسكَبتْ عليه ماءً وناوَلته، فشرب ثم قال: اسقيه، فصَّبت في الكأس وسكَبتْ عليه ماءَ وناولَتني. فلما وجدتُ رائحتَه بَكيتُ، فقال: ما يبكيك يا بنَ أخي؟ فقلت: إنَّ أهلي إن وجدوا رائحةَ هذا مني ضربوني، فأقبل على الجاريةِ بوجهِهِ، وقال لها يخاطبها:

ألا سقِّني كأسي ودعْ عنكَ من أبىٰ ... وروِّ عظاماً قَصْرُهن إلى بِلىٰ

فأخذته من يدي وأعطته؛ فشربه، وقمتُ فلما جاوزتُه سألت عنه فقيل لي: هذا خالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر:

إذا أنتَ نادمت العُتَيِّر وذا النّدىٰ ... جُبَيْراً ونازعتَ الزجاجة خالداً

أمِنتَ بإذن الله أن تُقرعَ العصا ... وأن يوقظوا من سَكرةِ النوم راقداً

وصرتَ بحمدِ الله في خير عُصبةٍ ... حسانِ النّدامى لا تخاف العَرابدا[1]

يأبى ابن الماجشون دخول مجلس حتى يخرجه أصحابه فيخرجوه:

أخبرنا وكيعٌ قال: حدثنا محمد بن عليِّ بنِ حمزةَ قال: حدثني أبو غَسانَ عن محمدِ بن يحيى بنِ عبد الحميد قال:

كان السريُّ بن عبدِالرحمن يختلف إلى فِتْيةٍ، فجاء ابن الماجشونِ فقال: لا أدخل حتى يخرج السريّ؛ فأخرجتْه فقال السري:

/ قَبّح الله أهلَ بيتِ بِسَلْعٍ[2] ... أخرجوني وأدخلوا الماجشونا [٢٠/٢٠٢]

أدخَلوا هِرةً تُلاعب قِردا ... ما نراهمْ يَروْن ما يصنعونا

شعر له في أمة وبنتها:

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهيرٍ قال حدثني مصعبٌ قال:

أنشدني أبي لِلسّريّ بنِ عبدالرحمن في أَمَة الحميدِ بنتِ عبدِالله بنِ عباس وفي ابنتها أَمِة الواحد:

---

(١) العرابد: جمع عربد كزبرج، وهو من يؤذي نديمه في سكر.

(٢) سلع: موضع قرب المدينة، أو جبل بها.

أَمَــةُ الحميــدِ وبنتُهــا ظَبيــانِ فــي ظــلّ الأراك
يتتبّعــان بَــريــره[١] وظــلالَــه فهمــا كــذاك
حُــذِيَ الجَمــالُ عليهمــا حَــذْوَ الشِّــراك علــى الشــراك

يتمنى أن يكون مؤذناً ليرى من في السطوح:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثني محمد بن الحسنِ بن مسعود الزُّرَقي قال: حدثني يحيى بن عثمانَ بنِ أبي قَبَاحةَ الزُّهْريّ قال: أنشدني أبو غَسان صالح بن العباسِ بنِ محمدٍ - وهو إذ ذاك على المدينة - لِلسريّ بن عبدالرحمن:

ليتَنــي فــي المــؤذّنيــن نَهــاراً إنهــم يبصــرون مَــن فــي السطــوحِ
فيشيــرون أو يُشــار إليهــمْ حَبّــذا كــل ذات جِيــدٍ مليــحِ

68/18 / قال: فأمر صالحٌ بسَدّ المنار، فلم يقدِر أحدٌ على أن يُطْلِعَ رأسَه حتى عُزل صالح.

يعمره عمر بن عمرو بن عثمان أرضاً بقباء:

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ، قال: حدثنا عبدالله بن شبيب قال: حدثني زبير بن بكار عن عمّه:

أَن السريّ بنَ عبدالرحمن وقف على عمرَ بنِ عمرو بنِ عثمانَ، وهو جالسٌ على بابه والناس حولَه، فأنشأ يقول:

[٢٠/٢٠٣] / يــا بــن عثمــانَ يــا بــنَ خيــرِ قــريــشٍ أبْغِنــي مــا يَكفُنــي بقُبــاءِ[٢]
ربمــا بَلَّنــي نــداكَ وجَلّــى عــن جبينــي[٣]عجــاجــةَ الغُــرَمــاءِ

فأعمرَه أرضاً بقُباءٍ، وجعلها طُعْمةً له أيامَ حياته، فلم تزلْ في يده حتى مات.

مثل من الولوع بالتغني بشعره:

[أخبرني وسواسة بن الموصليّ، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عزيز بن طلحة، قال: قال معبد: خرجت من مكة أريد المدينة، فلما كنت قريباً من المنزل أريت بيتاً فعدلت إليه، فإذا فيه أسود عنده حُبّان من ماء وقد جَهدني العطش، فسلّمت عليه واستسقيت، فقال: تأخر عافاك الله، فقلت: يا هذا، اسقني بسرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً، فقال: والله لا تذوق منه جُرعة ولومت، فرجعت القهقري، وأنخت راحلتي واستظللت بظلها من الشمس، ثم اندفعت أغني ليبتلّ لساني:

كفّنــونــي إن مــت فــي درع أروى واستقــوا لــي مــن بئــر عــروة مــائــي

فإذا أنا بالأسود قد خرج إليّ ومعه قدح خيشاني[٤] فيه سَويق ملت[٥] بماء بارد، فقال: هل لك في هذا أرب؟

(١) بريره: ثمره.
(٢) قباء: موضع قرب المدينة.
(٣) كذا في أ. س، ب: «حبيبي»، تحريف.
(٤) خيشاني: لعله منسوب إلى خيشان، بلدة بخراسان.
(٥) كذا بالنسختين، والمعروف: ملتوت.

قلت: قد منعتني ما هو أقل منه: الماء. فقال: اشرب ـ عافاك الله ـ ودع عنك ما مضى، فشربت ثم قال: أعد ـ فديتك ـ الصوت، فأعدته، فقال: هل لك ـ بأبي وأمي ـ أن أحمل لك قربة من ماء، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد على هذا الصوت حتى أتزود منه، وكلما عطشت سقيتك؟ قلت: افعل، فَفعل وسار معي، فما زلت أغنيه إياه، وكلما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء][1].

[٢٠٤/٢٠]

/ صوت

سَلَــــب الشبـــــابُ رِداءه عنِّـــــي ويتبعــــهُ إزارهْ

ولقـــد تحـــلُ عـــلـــيّ حـــلـــتـــه ويعـجـبـنـــي افتخـــاره

ســـائـــل شبـــابـــي هـــل مسكــــتُ بِسَـــوءَةٍ أوذَل جـــاره[2]

مـــا إن ملكـــت المـــال إلاّ كـــان لـــي ولـــه خيـــاره

ويروي: هل أسأت مساكه.

الشعر لمسكينٍ الدارميّ، والغناء لِمقّاسة بن ناصح، خفيف رملٍ بالبِنصر عن عمرو.



(١) ما بين المعكوفتين من مي، مج.

(٢) قافية الأبيات بغير هاء في س، ب، وما أثبتناه رواية مي، مد، م.

[٢٠/٢٠٥] / أخبار مسكين ونسبه

اسمه ونسبه:

مسكينٌ لقبٌ غَلب عليه، واسمُه ربيعةُ بنُ عامر بنِ أُنيفِ بن شريح بن عمرِو بنِ زيدِ بنِ عبدالله بنِ عُدُس[١] بنِ دارِمِ بن مالكِ بن زيدِ مناةَ بنِ تميم. وقال أبو عمرو الشيبانيُّ: مسكينُ بن أُنيفِ بن شُريح بنِ عمرِو بنِ عُدُس بنِ زيدِ بنِ عبدِاللهِ بنِ دارمِ بنِ مالكِ بنِ حنظلَة بنِ زيدِ مَناة بنِ تميمٍ.

لماذا لقب مسكيناً؟:

قال أبو عمرو: وإنما لُقب مسكيناً لقوله:

أنــا مَسكيــنٌ لمــن أنكــرنــي ... ولِمَــن يَعــرفنــي جِــدّ نُطُــق[٢]

لا أبيــع النــاسَ عِــرضــي إننــي ... لــو أبيــع النــاسَ عِــرضــي لَنَفَــق

وقال أيضاً:

سُمّيتُ مسكينـاً وكـانـت لجـاجـةً ... وإنــي لمسكيــن إلــى الله راغــبُ

وقال أيضاً:

إنْ أُدعَ مسكينــاً فلســت بمنكَــرٍ ... وهــل يُنكرَنَّ الشمسُ ذَرَ[٣] شعــاعُهــا

لَعَمــرك مــا الأسمــاءُ إلاّ عــلامــةٌ ... منــارٌ ومــن خيــر المنــارِ ارتفــاعهــا

شاعر شريف من سادات قومه، هاجي الفرزدق ثم كافّه، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفَلت منها.

مهاجاته الفرزدق لأنه نقض رثاءه لزياد:

حدثني حبيبُ بنُ أوسٍ بن نصر المهلبيُّ قال: حدثنا عُمر بن شَبّة عن أبي عبيدة قال:

[٢٠/٢٠٦] / كان زيادٌ قد أرعىٰ مِسكيناً الدارميَّ حِمًى له بناحية العُذَيب[٤] في عام قَحطٍ حتى أخصب الناسُ وأحْيَوا، ثم كتب له ببُرٍّ وتَمر وكَساه، قال: فلما مات زيادٌ رثاه مسكين، فقال:

رأيــتُ زيــادةَ الإســلام ولّــت ... جِهــاراً حيــن وَدّعَنــا زيــادُ

فعارضه الفرزدق، وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه إياه وإخافته له، فقال:

أمسكيــنُ أبكــى الله عينَــك إنمــا ... جــرَى فــي ضــلال دَمْعُهــا فتحــدّرا

(١) جعله في «الاشتقاق» كزفر، وفي «القاموس» و«جمهرة الأنساب» كعنق.
(٢) كذا بالنسخ، وصف بالمصدر على معنى ناطق وحرك الطاء إتباعاً.
(٣) ذر: ظهر.
(٤) العذيب: ماء على أربعة أميال من القادسية.

بكيتَ على عِلْجٍ بمَيسانَ[1] كافرٍ ... ككسرى على عِدَّانِه[2] أو كقيصرا

أقول له لما أتاني نعيُّه: بِهِ[3] ... لا بظبيٍ بالصريمة[4] أعفرا[5]

٦٩/١٨

/ فقال مسكين يجيبه:

ألا أيها المرءُ الذي لستُ قاعداً ... ولا قائماً في القوم إلّا انبرى ليا

فجئني بعمٍّ مثلِ عميَ أو أبٍ ... كمثلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا

كعمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي الندى ... أو البِشْرِ مِن كلٍّ فرعتُ الروابيا

قال: فأمسك الفرزدق عنه، فلم يجبه، وتكافآ.

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلّام، فذكر نحواً مما ذكره / أبو عُبيدة وزاد فيه، قال: [٢٠/٢٠٧] والبشر خال لمسكين من النَّمِر بن قاسِط، وقد فخرَ به، فقال:

شُرَيحٌ فارس النعمان عمّي ... وخالي البِشرُ بشرُ بني هلال

وقاتِلُ خالِه بأبيه منا ... سماعةُ لم يبع حسبا بمال

اتقى الفرزدق هجاءه واتقى هو هجاء الفرزدق:

وأخبرني عمي قال: حدثنا الحزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه بمثل هذه الحكاية، وزاد فيها، قال:

فتكافّا واتّقاه الفرزدق أن يُعين عليه جريراً، واتّقاه مسكين أن يعين عليه عبدَالرحمن بنَ حسان بن ثابت. ودخل شيوخ بني عبدالله وبني مُجاشع، فتكافا.

مهاجاته الفرزدق من المحن التي أفلت منها الفرزدق:

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال: حدثنا أبو غسانَ دَماذُ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: قال الفرزدق.

نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوتُ من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رُمَيلة وقد نذَرا دمي وما فلتهما أحد طلباه قطُّ، ونجوتُ من مهاجاةِ مِسكينِ الدارميِّ؛ لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدِم شَطر حسَبي وفخري، لأنه مِن بُحبوحَة نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولساني.

شعره في الغيرة أشعر ما قيل فيها:

أخبرني أحمدُ بن عبيدالله بن عمّار قال: حدثني محمود بن داودَ عن أبي عِكرمة عامِر بنِ عمران عن مسعودِ بنِ بِشر عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول:

(١) ميسان. كورة بين البصرة وواسط. ورواية «اللسان» و«معجم البلدان»: «أتبكي امرأً من آل ميسان كافراً».

(٢) عدانه: زمانه وعهده.

(٣) به: الهلاك به لا بما يهمني، أو هو مثل يضرب عند الشماتة، معناه: جعل الله ما أصابه لا زماله مؤثراً فيه، ولا كان مثل الظبي في سلامته.

(٤) الصريمة: موضع.

(٥) أعفر: أبيض ليس بالشديد البياض، أو الذي يعلو بياضه حمرة.

أشعرُ ما قيل في الغَيْرَة قول مسكين الدارمي:

ألا أيها الغائر المستشيط فيم تغار إذا لم تُغَر؟

فما خير عِرْس إذا خفتَها وما خير عِرس إذا لم تُزَر؟

[٢٠٨/٢٠] / تغار على الناس أن ينظروا وهل يُفْتِن الصالحاتِ النظَرْ؟

وإني سأُخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

إذا اللهُ لم يُعطني حُبَّها فلن يُعطيَ الحُبَّ سوطٌ مُمَرّ[1]

يأبى معاوية أن يفرض له: ثم يعود فيجيبه إلى طلبه:

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال: حدثني عبدُالله بنُ عمرو بن أبي سعدٍ قال: حدثني عبدُ الله بنُ مالك الخزاعي قال: حدثني عبدُ الله بنُ بشَير قال: أخبرني أيوب بن أبي أيوب السعديُّ قال:

لما قدِم مسكينٌ الدارميّ على معاوية فسأله أن يَفْرض له فأبى عليه، وكان لا يفرض إلّا لليمن، فخرج مِن عنده مسكين وهو يقول:

أخاكَ أخاكَ إن مَن لا أخاً له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابنَ عم المرء فاعلم جَناحُه وهل ينهض البازي بغير جَناح؟

وما طالب الحاجات إلّا مغرّرٌ[2] وما نال شيئاً طالب كنجاح[3]

[٧٠/١٨] / قال السعديّ: فلم يزل معاوية كذلك حتى غَزَت اليمنُ وكثرت، وضُعضعتْ عدنانُ، فبلغ معاويةَ أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً: لهمَمْتُ[4] ألا أدع بالشأم أحداً من مضَرَ، بل همَمتُ ألّا أحُل حبوتي حتى أُخرج كل نِزاريّ بالشأم، فبلَغت معاويةَ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِندف، وقَدِمَ على تفِئِة[5] ذلك [٢٠٩/٢٠] عُطارد بن حاجب عَلَى معاوية، فقال له: ما فعل الفتى الدارميُّ الصبيح الوجه الفصيح / اللسان؟ يعني مسكيناً، فقال: صالح: يا أمير المؤمنين، فقال: أعلمْه أني قد فرضت له في شرَف العطاء وهو في بلاده؛ فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل، فإنّ عطاءه سيأتيه، وبشِّره أني قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خِندفٍ؛ قال: وكان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمنَ في البحر، ويُغزي قيساً في البرّ، فقال شاعر اليمن:

ألا أيها القوم الذين تجمعوا بعَكَّا أُناسٌ أنتمُ أم أباعر؟

أتُترك قيسٌ آمنين بدارهم ونركب ظَهر البحر والبحر زاخر؟

فوالله ما أدري وإني لسائل أهمدانُ يُحمى ضَيْمها أم يُحابر؟

---

(١) ممر: مفتول فتلاً شديداً.

(٢) في «خزانة الأدب» ٣: ٦٠: «معذب».

(٣) كذا في المصدر السابق. وفي س، ب: «كجناح».

(٤) وفي س: «الممت»، تحريف.

(٥) على تفيئة: على أثر.

أم الشــرف الأعلــى مــن أولاد حِميــر بنــو مــالــك إذ تَستمــر[1] المــرائــر[2]

أأوصــى أبــوهــم بينهــم أن تَــواصَلــوا وأوصــى أبــوكــم بينكــم أن تــدابــروا

قال، ويقال: إن النجاشي قال هذه الأبيات.

أخبرني بذلك عبدالله بن أحمدَ بنِ الحارثِ العدَويّ عن محمدِ بنِ عائذ عن الوليدِ بنِ مسلمٍ عن إسماعيلَ بن عيّاشٍ وغيره، قالوا:

فلما بلَغت هذه الأبياتُ معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم، وقال: ما أغزيتكُم البحرَ إلّا لأني أتيمن بكم، وأن في قيس نَكَداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، وأنا عارف بطاعتكم. ونُصحكم. فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقَباً[3] بينكم، فرضُوا فِعل ذلك فيما بعد.

/ بشر بن مروان يتمثل بشعر له: [٢١٠/٢٠]

حدَّثني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ زهَير بن حرب قال: حدّثني مصعبُ بنُ عبدالله قال: وحدثنيه زُبيرٌ عن عمه قال:

كان أصاغر ولدَ مروان في حِجر ابنه عبدالعزيز بن مروان، فكتب عبد العزيز إلى بِشر كتاباً، وهو يومئذٍ عَلَى العراق، فورد عليه وهو ثَمِل، وكان فيه كلام أحفظه، فأمَر بِشر كاتبه فأجاب عبدَالعزيز جواباً قبيحاً، فلما ورَد عليه عَلِم أنه كتبه وهو سكران، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً. وبلغ بشراً عَتْبه عليه، فكتب إليه: لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل. ولو احتَمل الكتاب أكثر مما ضمّنته[4] لزدتُ فيه، وبقِيَّةُ[5] الأكابر عَلَى الأصاغر من شيم الأكارم. ولقد أحسن مسكينٌ الدارميّ حين يقول:

أخــاك أخــاك إنَّ مــن لا أخــاً لــه كســاعٍ إلــى الهيجــا بغيــر ســلاح

وإن ابــنَ عــمّ[6] المــرء فــاعلــم جنــاحُــه وهــل ينهــض البــازي بغيــر جنــاح!

قال: فلما وصل كتابُه إلى عبدالعزيز دَمَعت عينه، وقال: إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرَى منه ما جرى، فسلُوا عمن شهِد ذلك المجلس؛ فسئل عنهم، فأخبر بهم، فقبِل عذره، وأقسم / عليه ألا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس، وأن يعزلَ كاتبه عن كتابته، ففعل. ٧١/١٨

مهاجاته الفرزدق من المحن التي نجا الفرزدق منها:

أخبرني محمدُ بنُ الحسين الكِنديُّ خطيبُ القادسية قال: حدثنا عمر بن شَبّة عن أبي عُبيدة عن أبي عمرو قال:

/ كان الفرزدق يقول: نجوتُ من ثلاث أرجو ألّا يصيبني بَعدهن شر: نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته [٢١١/٢٠]

(١) تستمر: تستحكم.

(٢) المرائر: العزائم، جمع مريرة.

(٣) عقب: جمع عقبة كغرفة، وهي النوبة والبدل.

(٤) م، س، ب: «ضممته»، تحريف.

(٥) بقية: إبقاء.

(٦) م، أ: «ابن أم».

مطلوب قطّ، ونجوتُ من ضربة رثاب بن رُمَيلة أَبي البَذال فلم يقع[١] في رأسي، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارمي. ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عَمّي، وقطع لساني عن الشعراء.

يخطب فتاة فتأباه، ويمر بها وهي مع زوجها، فيقول في ذلك شعراً:

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال: حدَّثنا أَبو العيناء عن الأصمعي قال:

خطب مسكينٌ الدراميّ فتاةً من قومِه فكرِهَته لسوادِ لونه وقلة ماله، وتزوجَتْ بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثلُ نسب مسكين، فمرّ بهما مسكين ذات يوم، وتلك المرأة جالسة مع زوجها، فقال:

أنـا مسكيـن لِمَـن يعـرفنـي ... لَـوْنـيَ السُّمـرة ألـوانُ العَـربْ

مَـن رأى ظبيـاً عليـه لـؤلـؤ ... واضـحَ الخـديـن مقـرونـاً بضـب[٢]

أكْسَبَتْـه الـورِقُ البيـضُ أبـاً ... ولقـد كـان ومـا يُـدعـىٰ لأب

رُبَّ مهـزولٍ سميـنٌ بيتُـه ... وسميـنِ البيـت مهـزُول النسـب

أصبحـتْ تُـرزَق مِـن شحـم الـذُّرا[٣] ... وتخـال اللـؤم دُرّاً يُنتَهـب

لا تَلُمهـا إنهـا مـن نِسـوة ... صَخِبـاتٍ مِلْحُهـا فـوق الـرُّكـب[٤]

كشَمـوسِ الخيـلِ يبـدو شَغْبُهـا ... كلمـا قيـل لهـا هـالٌ وَهَـب[٥]

/ يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه: [٢١٢/٢٠]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدثني حماد بن إسحاق الموصليُّ قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عديٍّ عن عبدالله بن عياش قال:

كان يزيد بن معاوية يُؤثر مسكيناً الدارميّ، ويَصِله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعةَ ليزيدَ تهيّب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس، لِحُسن البقيّة فيهم، وكثرة من يُرَشَّح للخلافة، وبلغه في ذلك ذَرْء[٦] وكلام كرهه من سعيدِ بن العاص ومروانَ بنِ الحكم وعبدِالله بن عامر، فأمَر يزيدُ مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أُمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول:

إن أُدْعَ مسكينـاً فـإنّـي ابـن معشـر ... مِـن النـاسِ أحمِـي عنهـمُ وأذودُ

إليـك أميـرَ المـؤمنيـن رَحَلتُهـا ... تُثيـر القطـا ليـلاً وهـنّ هُجـود

وهـاجـرةٍ ظلـت كـأن ظبـاءهـا ... إذا مـا اتَّقَتْهـا بـالقـرون سجـود

(١) في م، أ: «تقع».
(٢) م، أ: «واضح الخدين مقرون».
(٣) الذرا: أعلى السنام.
(٤) ملحها فوق الركب: كثيرة الخصام، كأن طول مجاثاتها ومصاكتها الركب قرح ركبتها، فهي تضع الملح عليهما تداويهما.
(٥) هال وهب: اسما زجر للخيل.
(٦) ذرء: شيء.

صوت

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ... ومروانُ أم ماذا يقول سعيد؟

بَني خلفاء الله مهلاً فإنما ... يُبوِّئها الرحمنُ حيث يريد

إذا المِنبر الغربيّ خلّاه ربه ... فإن أميرَ المؤمنين يزيد

٧٢/١٨

/ ـ الغناء لمَعبد ثقيلٌ أولُ بالبِنَصر، عن عمرو بن بانة:

على الطائر الميمون والجَدُّ صاعد ... لِكلِّ أُناس طائر وجُدود

/ فلا زلتَ أعلى الناس كعباً[1] ولا تزل ... وفود تُساميها إليك وفود [٢١٣/٢٠]

ولا زال بيت المُلك فوقك عالياً ... تُشيَّد أطناب له وعَمود

قُدُور ابنِ حرب كالجوابي[2] وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرئال[3] رُكود

فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين، ونستخير الله. قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلاّ بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته.

يغير مغن للرشيد شطر بيت له، فيعجب الرشيد تغييره:

أخبرني محمدُ بن خَلفٍ قال: حدثنا العَنَزيّ قال: حدثنا أبو معاوية بنُ سعيدِ بنِ سالم قال: قال لي عَقيد: غنيت الرشيد:

* إذا المِنبر الغربيّ خلّاه ربه *

ثم فطِنْت لخطابي، ورأيت وجه الرشيد قد تغير، قال: فتداركتها وقلت:

* فإن أمير المحسنين عقيد *

فطرِب، وقال: أحسنت والله، بحياتي قل:

* فإن أمير المؤمنين عقيد *

فوالله لأنت أحق بها مِن يزيدَ بن معاوية، فتعاظمتُ ذلك، فحلف لا أغنيه إلاّ كما أمر، ففعلت، وشرب عليه ثلاثة أرطال، ووصلني صلة سنية.

تمر به امرأة له وهو ينشد من شعره، فتعقب عليه، فيضربها:

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال: حدثنا عبدالرحمن بن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي قال:

/ كانت لمسكينٍ الدراميِّ امرأة من مِنقر، وكانت فاركا[4] كثيرةَ الخصومة والمُماظَّةِ[5]، فجازت به يوماً وهو [٢١٤/٢٠]

(١) يريد كعب الرمح، كناية عن الشرف.

(٢) الجوابي: جمع جابية، وهي الحوض يجبي فيه الماء للإبل.

(٣) الرئال: جمع رأل، وهو ولد النعام.

(٤) فاركا: مبغضة لزوجها.

(٥) المماظة: المنازعة والمشادة.

ينشد قوله في نادي قومه:

إن أُدْعَ[١] مسكيناً فما قَصَرَتْ[٢] قِدْري بيوتُ الحي والجُدُرُ

فوقفَتْ عليه تَسمع حتى إذا بلغ قوله:

ناري ونارُ الجار واحدة وإليه قبلي تُنزَل القِدر

فقالت له: صدقت والله، يجلس جارُك فيطبُخ قدره، فتصطلي بناره، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب، فإذا شبع أطعمك، أجَلْ والله، إن القدر لتنزل إليه قبلك، فأعرض عنها، ومرّ في قصيدته حتى بلغ قوله:

ما ضَرَّ جاراً لِي أجاوره ألا يكون لبيته ستر

فقلت له: أجل، إن كان له ستر هتكته، فوثب إليها يضربها، وجعل قومه يضحكون منهما[٣] وهذه القصيدة من جيد شعره[٣].

[٢١٥/٢٠]

صوت

يا فرحتا إذ صَرَفْنا أوجه الإبلِ نحو الأحبة بالإزعاج والعَجَلِ

نحثُّهن وما يؤتَيْن من دأَب لكنَّ للشوق حَثاً ليس للإبل

الشعر لأبي محمد اليزيديّ، والغناء لسليمان، ثقيل أول بالبِنصَر عن عمرو، والهشامي.

(١) كذا في «خزانة الأدب»: ٣ : ٦٣ و «أمالي المرتضى»: ٣: ١٢٠ وفيما سبق له في ص ٢١٢ من طبعة دار الكتب. وفي النسخ: أك.

(٢) قصره، كضرب: جعله قصيراً، يريد أن قدري بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان.

(٣ ـ ٣) زيادة من: مي، مج.

/ أخبار أبي محمد ونسبه

[٢١٦/٢٠]

نسبه:

أبو محمدٍ يحيى بنُ المبارَكُ، أحَدُ بني عدِيِّ بنِ عبد شمسِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم.

سمِعْتُ أبا عبدالله محمدَ بنَ العباسِ بنِ محمد بن أبي محمدٍ اليزيديَّ يذكر ذلك، ويقول: نحن مِن رَهْط ذي الرمة.

لم يقال له اليزيدي؟:

وقيل: إنهم موالي بني عدي، وقيل لأبي محمدٍ: اليزيديُّ لأنه كان فيمن خرج مع إبراهيمَ بنِ / عبدِالله بنِ الحسن بالبصرة، ثم توارى زماناً حتى استتَرَ أمرُه، ثم اتصل بعد ذلك بيزيدَ بنِ منصورٍ خالِ المهدي، فوصله بالرشيد، فلم يزل معه. وأدّب المأمونَ خاصةً من ولده، ولم يزل أبو محمد وأولادُهُ منقطعين إليه وإلى ولده، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد.

[٧٣/١٨]

مكانته العلمية والأدبية وشيوخه:

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو، راويةً للشعر، متصرفاً في علوم العرب. أخذ عن أبي عمروِ بنِ العلاءِ ويونُسَ بنِ حبيبٍ النحويِّ وأكابرِ البصريين، وقرأ القرآن على أبي عمروِ بنِ العلاء، وجوّد قراءته ورواها عن. ، وهي المعوَّل عليها في هذا الوقت. وكان بَنُوه جميعاً في مثل منزلته من العِلم والمعرفة باللغة، وحسن التصرف في علوم العرب. ولسائرِهم عِلمٌ جيد[١].

من له شعر يتغنى به من أولاده:

ونحن نَذكر بعْدَ انقضاء أخباره أخبار مَن كان له شعر وفيه غناء من ولَده، إذ كنا قد شرطنا ذِكْر ما فيه صنعة دون غيره.

فمنهم محمدُ بنُ أبي محمدٍ، وإبراهيم بن أبي محمد، وإسماعيلُ بنُ أبي محمد. كلُّ هؤلاء ولَده لصلبه، ولكلِّهم شعر جيد.

ومن ولَد ولَدِهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي محمد، وهو أكبرُهم، وكان شاعراً راوية عالماً.

/ ومنهم عُبَيدالله والفضلُ ابنا محمد بن محمدٍ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة، وحُمِل عنهما علم كثير. وآخِر مَن كان بقِي من علماء أهل هذا البيتِ أبو عبدالله محمدُ بنُ العباس بنِ محمدِ بنِ أبي محمد، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقيّ فيما ينقله.

[٢١٧/٢٠]

وقد حمَلْنا نحن عنه وكثيرٌ من طلبة العلم ورواته عِلْما كثيراً، فسمِعْنا منه سمَاعا جمّاً. فأما ما أذكر ها هنا من

(١) مي: «شعر جيد».

أخبارهم فإني أخذته عن أبي عبدالله عن عمّه عُبيدالله والفضل، وأضفت إليه أشياء أُخر يسيرة أخذتها عن غيره، فذكرْت ذلك في مواضعه، ورويته عن أهله.

يقول في المأمون شعراً وقد ضرب عنق أسيرين فأبان رأسيهما:

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال: حدثني عمي عُبَيدالله عن عمه إسماعيلَ بنِ أبي محمد قال: حدثني أبي قال:

كان الرشيد جالساً في مجلسه فأُتي بأسير من الروم، فقال لِدُفَافَةَ العبسيّ: قُم فاضرب عنقه، فضربه فنبا سيفه، فقال لابن فُلَيح لندَنيّ: قم فاضرب عنقه، فضربه فنبا سيفه أيضاً، فقال: أصلح الله أميرَ المؤمنين! تقدمَتْني ضربة عبسية، فقال الرشيد للمأمون، وهو يومئذٍ غلام: قم - فداك أبوك - فاضرب عنقه، فقام فضرب العِلْج، فأبان رأسه، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه، فضربه فأبان رأسه، ونظر إليّ المأمونُ نظر مستنطِق، فقلت:

أبقي دُفافةُ عاراً بعد ضربته ... عند الإمام لِعَبسٍ آخَرَ الأبدِ

كذاك أسرتُه تنبو سيوفهمُ ... كسيف ورقاء[1] لم يقطع ولم يكَد

ما بال سيفِك قد خانتك ضربتُه ... وقد ضربت بسيف غيرِ ذي أودَ

هلا كضربةِ عبدالله إذ وقعت ... ففرّقَت[2] بين رأس العلج والجسد

[٢٠/٢١٨] / **يحتكم في فضله اثنان فيفضله الحكم على الكسائي فيقول في ذلك شعرا:**

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره:

كان حَمّويه ابنُ أخت الحسن الحاجب وسعيدٌ والجوهريُّ واقفين، فذكرا أبا محمد - يعني أباه والكسائي - ففضّل حَمّويه الكسائي على أبي محمد، وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي.

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برَجل يحكم بينهما، فتراهنا على أنّ مَن غَلب أخذ بِرْذَون صاحبه، فجعلا الحَكَم بينهما / أبا صفوان الأحوزيّ، فلما دخل سألاه فقال لهما: لو ناصح الكسائيُّ نفسه لصار إلى أبي محمد، وتعلم منه كلام العرب، فما رأيت أحداً أعلم منه به، فأخذ الجوهريّ دابة حَمّويه. وبلغ أبا محمد اليزيديّ هذا الخبر فقال: [٧٤/١٨]

يا حَمّويه اسمع ثَنا[3] صادقاً ... فيك وما الصادق كالكاذبِ

يا جالبَ الخزي على نفسه ... بُعْداً وسحْقاً لكَ من جالب

إنّ فخرَ الناس بآبائهم ... آتيتَهم بالعجب العاجب

قلت وأدْغمتَ[4] أباً خاملاً ... أنا ابنُ أخت الحسن الحاجب

(١) هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، وكان ضرب خالد بن جعفر بن كلاب بسيفه فلم يصنع شيئاً، لأنه قد ظاهر بين درعين (ابن الأثير: ١: ٤١٣).

(٢) كذا في غير س. وفي س «فرقت»، تحريف.

(٣) س، ب: «ثناء»، تحريف.

(٤) مي: «وألغيت».

يهجو سلم الخاسر:

قال إسماعيل: وحدثني أبي قال:

كنت ذاتَ يوم جالساً أكتب كتاباً، فنظر فيه سلمٌ الخاسر طويلاً، ثم قال:

أَيْــر يحيـى أخــط مــن كــفّ يحيـى ... إنّ يحيـــى بـــأيـــره لخَطُـــوطُ

فقال أبو محمد يحيى:

أمُّ سَلْـــم بـــذاكَ أعلـــمُ شـــيء ... إنهـــا تحـــت أيـــره لضَـــروطُ

/ ولهـــا تـــارةً إذا مـــا عـــلاهـــا ... أزمَـــلٌ[1] مِـــن وِداقِهـــا[2] وأطِيـــط[3] [٢١٩/٢٠]

أمُّ سَلـــم تُعلِّـــم الشّعـــرَ سلمـــا ... حبّـــذا شِعـــر أمـــك المنقـــوط

ليـت شعـري مـا بـالُ سلـم بـنِ عمـرو ... كـاسـفَ البـال حيـن يُـذكَـر لـوط

لا يصلّـــي عليـــه فيمـــن يصلّـــي ... بـــل لـــه عنـــد ذكـــره تَبْييـــط

فقال له سلم: ويحك ما لك خُبِثت؟ أي شيء دعاك إلى هذا كله؟ فقال أبو محمد: بدأتَ، فانتصرْتُ، والبادي أظلم.

يطلب سلم الخاسر أن يهجوه على روي سماه، فيفعل، فيغضب سلم:

قال أبو عبدالله محمدُ بنُ العباس اليزيديّ حدّثني عُبَيدُالله وعمي أبو القاسم عن أبي عليٍّ إسماعيل قال: قال لي أبي: قال سلم الخاسر يوماً:

يا أبا محمد، قل أبياتاً على قول امرىء القيس:

* رُبّ رامٍ مـــن بنـــي ثُعَـــلِ *

ولا أبالي أن تهجوني فيها، فقلت:

رُبّ مغمـــومٍ بعـــافيـــة ... غَمَـــط النّعمـــاء مـــن أشَـــرِهْ

مُـــوردٌ أمـــراً يُسَـــرّ بـــه ... فـــرأى المكـــروه فـــي صـــدَرِهْ

وامـــرىءٍ طـــالـــت ســـلامتـــه ... فـــرمـــاه الـــدهـــر مـــن غِيَـــرِهْ

بِسِهـــام غيـــرِ مُشـــوِيـــة[4] ... نقضَـــتْ منـــه عُـــرا مِـــرِرهْ

وكـــذاك الـــدهـــرُ مختلِـــف ... بـــالفتـــى حـــالَيـــن مـــن عُصُـــره

يخلِـــط العُسْـــرى بمَيسَـــرة ... ويَســـارُ المـــرء فـــي عُسُـــرهْ

/ عـــقّ سلَـــم أمّـــهُ سفهـــا ... وأبـــا سلـــم علـــى كبَـــرَهْ [٢٢٠/٢٠]

(١) أزمل: صوت.

(٢) وداق ككتاب: شبق. وهو في الأصل: ميل ذات الحافر إلى الفحل.

(٣) أطيط: أنين.

(٤) غير مشوية: غير مخطئة.

كــلَّ يــوم خلفَــه رجــل رامــح[1] يسعــى علــى أثــرهْ
يُــولــج الغُــرمــول[2] سبتَــه[3] كَــولُــوج الضَّــبّ فــي جُحُــرهْ

فانصرف سلم وهو يشتِمُه ويقول: ما يَحلّ لأحد أن يكلمك.

يطلب شاعر أن ينظم على قافية معينة فيجهوه فيما نظم:

قال: وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر:

يا أبا محمد، قل أبياتاً قافيتها على هاءين، فقلت له: على أن أهجوك فيها، فقال نعم، فقلت:

قلــتُ ونفســي جَــمٌّ تــأوُّهــا تصبــو إلــى إلفهــا وأنــدَهُهــا[4]
/ سقيــا لصنعــاء لا أرى بلــداً أوطَنــه[5] المُــوطنــون يشبههــا
حِصْنــا ولا كبهجتهــا أعــذَى[6] بــلادٍ عــذًا وأنــزهــا
يعــرف صنعــاء مَــن أقــام بهــا أرغــدُ أرض عيشــا وأرفههــا
أبلــغْ حضيــراً عنّــي أبــا حنَــش عــائــرة[7] نحــوَه أوجِّههــا
تــأتيــه مثــلَ السهــام عــامــدة عليــه مشهــورةً أُدَهْــدِهُهــا[8]
كُنَيَّتُــه طــرحُ نــون كنيتِــه إذا تهجيّتَهــا ستفقههــا

[٧٥/١٨]

/ يريد إسقاط النون من أب حنش حتى يكون أبا حش[9]. [٢٢١/٢٠]

يقول شعراً في يونس بن الربيع وكان وسيماً:

قال أبو عبدالله: وحدثني عمي قال: حدّثني الطَّلْحيّ ـ وكان له علم وأدب ـ قال:

اجتمعت مع أبي محمدٍ عند يونُسَ بنِ الربيع، وكان قد دعانا، فأقمنا عنده، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد، فقام يونُس لحاجته، وكان جميلاً وسيماً، فالتفتَ إلى اليزيديّ فقال:

وفتــى كــالقنــاة فــي الطّــرف منــه إن تــأملــتَ طــرفَــه استــرخــاءُ
فــإذا الــرامــح المُشيــح[10] تــلاه وضــع الــرمــح منــه حيــث يشــاء

يهجو قتيبة الخراساني لأنه كان يسأله كالمتعنت:

قال: وحدثني عمي عن عمه إسماعيل عن أبي محمد قال:

(١) الرامح في الأصل: ذو الرمح. (٢) الغرمول: الذكر. (٣) سبته: استه. (٤) اندهها: أزجرها.
(٥) أوطنه: استوطنه.
(٦) أعذى: أطيب هواء. والفعل عذا يعذو.
(٧) عائرة: سهاماً لا يدري راميها. والمراد قصيدة.
(٨) أدهدهها: أرسلها، من دهده الحجر: دحرجه.
(٩) الحش: موضع قضاء الحاجة مثلثة.
(١٠) المشيح: المقبل.

كان قُتَيبة الخُراسانيّ عيسى بن عمرَ يأتيني، فيسألني عن مسائل كالمتعنِّت، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً، وكان أفطس، فقلت له يوماً:

أَمُخْبِـري أنـت يـا قتيبـةُ عـن ... أنفِـك أم أنـت كـاتـمٌ خبـره؟

بـأي جُـرم وأيّ ذنـب تَـرى ... سـوّت بخـدَيـك أنفَـك البقَـره

فصيَّـرتـه كَفَيْشَـة[1] نبتَـت ... فـي وجـهِ قـرد مفضـوضـة[2] الكمَـره

قـد كـان فـي ذاك شـاغـل لـك عـن ... تفتيـش بـاب العـرفـان والنكـره

وقلت فيه أيضاً:

إذا عـافـى مَليك الناس عبـدا ... فـلا عـافـاك ربّـك يـا قُتَيْبـة

/ طلبـتَ النحـو مـذ أن كنـت طفـلاً ... إلـى أن جلّلتـك قبُحـتَ شيبـه [٢٢٢/٢٠]

فمـا تـزداد إلاّ النقـصَ فيـه ... وأنـت لـدى الإيـاب بِشَـرّ أو بـه

وكنـتَ كغـائـب قـد غـاب حينـاً ... فطـال مُقـامُـه وأتـى بخيبـه

يلقن قتيبة غريباً فيه فحش، فيعابي به عيسى بن عمر:

قال أبو محمد:

كان عيسى بنُ عمر أعلمَ الناس بالغريب، فأتاني قُتَيبةُ الخراسانيّ هذا، فقال لي: أفِدْني شيئاً من الغريب أعايي[3] به عيسى بنَ عُمر، فقلت له: أجوَدُ المساويك عند العرب الأراك، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتْمِرًا[4] عُجَارِما[5] جَيدا، وقد قال الشاعر:

إذا استكْـتَ يـومـاً بـالأراك فـلا يَكُـن ... سـواكـك إلاّ المتمثـرَ العُجـارمـا

يعني الأير. قال: فكتب قتيبة ما قلت له، وكتب البيت، ثم أتى عيسى بنَ عمرَ في مجلسه، قال: يا أبا عُمرَ، ما أجودُ المساويك عند العرب؟ فقال: الأراك، يرحمك الله. فقال له قتيبة: أفلا أهدي إليك منه شيئاً مُتْمِرا عُجارِما؟ فقال: أهدِه إلى نفسك. وغضب، وضحك كل من كان في مجلسه، / وبقِي قتيبة متحيراً، فعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاء، فقال له: ويلك! مَنْ فضَحَكَ وسخِر منك بهذه المسألة؟ ومن أهلكك ودّمر عليك؟ قال: أبو محمد اليزيديّ، فضحك عيسى حتى فحص برجله، وقال: هذه والله من مَزّحاته وبلاياه. أراه عنك منحرفاً، فقد فضحك. فقال قتيبة: لا أعاود مسألته عن شيء. [٧٦/١٨]

---

(١) الفيشة: رأس الذكر.

(٢) مي: «مقطوعة».

(٣) كذا في م، أ. ومعناه: أعجزه عن فهمه. س، ب: «أعاني» بمعنى أشاجر.

(٤) المتمثر: الذكر الصلب.

(٥) العجارم: الرجل الشديد، ويكنى به عن الذكر.

الخليل يحبه ويجله:

[٢٢٣/٢٠] حدثني عمي قال: حدثني عُبَيدالله بنُ محمدِ اليزيديّ قال: حدثني أخي أبو جعفر / قال: سمعتُ جدّي أبا محمد يقول: صِرْت يوماً إلى الخليل بن أحمد، والمجلس غاص بأهله، فقال لي: ها هنا عندي، فقلت أضيّق عليك، فقال: إنّ الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضَين، وإنّ شِبراً في شِبر لا يضيق عن متحابَّين. قال: وكان الخليل لأبي محمد صافيَ الوُدّ.

يجمع بين الخليل وابن المقفع:

حدثنا اليزيديّ قال: حدثني عمي عُبيدالله قال: حدثني أخي أحمدُ قال: سمعت جدي أبا محمد يقول:

كنت ألقَي الخليل بنَ أحمدَ، فيقولُ لي: أُحبّ أن يُجمع بيني وبين عبدِالله بنِ المُقفّع، وألقى ابنَ المُقفَّع فيقول: أُحب أن يُجمعَ بيني وبين الخليلِ بنِ أحمدَ. فجمعْتُ بينهما، فمرّ لنا أحسنُ مجلِس وأكثرُه علماً، ثم افترقنا، فلقيتُ الخليل فقلت له: يا أبا عبدِ الرحمن، كيف رأيت صاحبك؟ قال: ما شئتُ من علم وأدب، إلاّ أني رأيت كلامَه أكثرَ من عِلمه، ثم لقيت ابن المُقفَّع فقلت: كيف رأيتَ صاحبَك؟ فقال: ما شئتُ من عِلم وأدب، إلاّ أنّ عقلَه أكثرُ من علمه[1].

يناظر الكسائي في مجلس المهدي فيغلبه:

حدثنا اليزيديّ قال حدثني عمي عُبَيدالله قال: حدثني أخي أحمدُ بنُ محمدٍ قال: حدثني أبي محمدُ بنُ أبي محمدٍ قال: قال لي أبو محمد:

كنا مع المهدي بِبَلَد في شهر رمضان قبل أن يُستخلفَ بأربعة أشهر، وكان الكسائيّ معنا، فذكر المهديّ العربية وعنده شَيْبةُ بن الوليدِ العبسيُّ عمُّ دُفافة، فقال المهديّ: نَبعث إلى اليزيديّ والكِسَائيّ، وأنا يومئذٍ مع يزيدَ بنِ المنصور خالِ المهديّ، والكسائي مع الحسن الحاجب، فجاءنا الرسول، فجئت أنا، فإذا الكسائيُّ على الباب قد سبقني. فقال: يا أبا محمد، أعوذ باللهِ من شرّك، فقلت: والله لا تُؤتَى من قِبَلي حتى أوتَى من قِبلك.

[٢٢٤/٢٠] / فلما دخلنا عليه أقبل عليّ، وقال: كيف نسبوا إلى البَحْرَين فقالوا: بَحْرانيٌّ، ونسبوا إلى الحِصنَين[2] فقالوا: حِصنّي ولم يقولوا حِصنانيّ. كما قالوا بَحراني؟ فقلت: أصلح الله الأمير! لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحريّ لم يعرف أإلي البحرَين نسبوا أم إلى البحر؟ فلما جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له: الحصن يُنسَب إليه غيرُهما[3] فقالوا: حصني.

قال أبو محمد، سمعتُ الكسائي يقول لعمرَ بن بَزِيع ـ وكان حاضراً ـ لو سألني الأمير لأخبرته فيها بِعلّة هي أحسن من هذه. قال أبو محمد: قلت: أصلح الله الأمير، إن هذا يزعم أنك لو سألتَه لأجاب بأحسنَ مما أجبْتُ به. قال: فقد سألتُه. فقال الكسائيّ: لما نسبوا إلى الحصنَين كانت فيه نُونان، فقالوا: حِصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى، ولم يكن في البحرَين إلاّ نون واحدة، فقالوا: بَحراني. فقلْتُ: أصلح الله الأمير! فكيف تَنسب رجلاً من

(١) هد: «إلاّ أن عقله وعلمه أكثر من كلامه».
(٢) الحصنين موضع، وقلعة بوادي ليه من نواحي الطائف.
(٣) ذكر ياقوت أن هناك مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم، ومما ذكر منها: ثنية بمكة في موضع يقال له: المفجر.

بني جنّان فإنه يلزمه على قياسه أن يقول: جِنّي إن في جنّان نونين، فإن قال ذلك فقد سوّى بينه وبين المنسوب إلى الجِنّ.

قال: فقال لي المهدي وله: تناظرا في غير هذا حتى نسمع، فتناظرْنا في مسائل حفظ فيها قولي / وقوله إلى [٧٧/١٨] أن قلت له: كيف تقول: إن من خير القوم أو خيرَهم نيةً زيد؟ قال: فأطال الفكر لا يجيب. فقلت: لأن تجيب فتخطيء فتتعلم أحسن من هذه الإطالة. فقال: إن من خير القوم أو خيرُهم نيةً زيداً. قال: فقلت: أصلح الله الأمير، ما رَضي أن يلحن حتى لحن وأحال. قال: وكيف؟ قلت: لرفعه قبل أن يأتيَ باسم إنّ، ونصبه بعد رفعه.

فقال شَيْبةُ بن الوليد: أراد بأوْ ـ بَلْ، فرفع هذا معنى. فقال الكسائيّ: ما أردْتُ / غير ذلك فقلت: فقد أخطأا [٢٠/٢٢٥] جميعاً أيها الأمير. لو أراد بأوْ ـ بَلْ رفع زيداً؛ لأنه لا يكون بل خيرُهم زيداً، فقال المهديّ: يا كسائيّ، لقد دخلْتَ عليّ مع مَسْلَمة النحويّ وغيره، فما رأيت كما أصابك اليوم. قال: ثم قال: هذان عالمان، ولا يقضي بينهما إلاّ أعرابيّ فصيح يُلقَى عليه المسائلُ التي اختلفا فيها فيجيب. قال: فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب. قال أبو محمد، وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابيّ، وكان المهديّ محبّاً لأخواله، ومنصورُ بنُ يزيدَ بنِ منصورٍ حاضر، فقلت: أصلح الله الأمير! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات:

يـــا أيهـــا الســـائلـــي لأُخبـــره عمـــن بصنعـــاءَ مـــن ذوي الحســـبِ

حِمْيَـــرُ ســـاداتُهـــا تُقـــر لهـــا بـــالفضـــل طـــرّاً جحـــاجـــح[1] العـــرب

وإنَّ مـــن خيـــرهـــم وأكـــرمهـــمْ أو خيـــرَهـــم نيـــة أبـــو كـــرب

قال: فقال لي المهديّ: كيف تنشده أنت؟ فقلت: أو خيرَهم نيةً أبو كرب على إعادة إنّ، كأنه قال: أو إنَّ خيرَهم نية أبو كَرَب. فقال الكسائيّ: هو والله قالها الساعةَ. قال، فتبسم المهديّ، وقال: إنك لتشهد له وما تدري. قال: ثم طلع الأعرابيّ الذي بعث إليه فأُلقيَت عليه المسائل، فأجاب فيها كلّها بقولي، فاستفزّني السرور حتى ضربْتُ بِقُلُنسِيَتي الأرضَ، وقلت: أنا أبو محمد. قال لي شيبة: أتَتكَنّي باسم الأمير؟ فقال المهديّ: والله ما أراد بذلك مكروهاً، ولكنه فعل ما فعل للظفَر، وقد ـ لَعَمري ـ ظفر. فقلت: إن الله ـ عزّ وجل ـ أنطقك أيها الأمير بما أنت أهلُه، وأنطق غيرك بما هو أهله.

يتهدده شيبة بن الوليد فيهجوه في رقاع دسها في الدواوين:

قال: فلما خرجنا قال لي شيبة: أتخطّئني بين يدَي الأمير؟ أمَا لتعلَمنّ! قلت: قد سمعْتُ ما قلت، وأرجو أن تجد غبّها، ثم لم أُصبح حتى كتبْتُ / رِقاعاً عدة، فلم أدع ديواناً إلاّ دسستُ إليه رُقعة فيها أبيات قلتُها فيه، فأصبح [٢٠/٢٢٦] الناس يتناشدونها، وهي:

عِـــش بِجَـــدٍّ ولا يضـــرُّك نَـــوك إنمـــا عَيـــش مـــن تَـــرى بـــالجُـــدودِ

عِـــش بِجَـــدٍّ وكـــن هَبَنقـــه[2] القيســـيّ نَـــوكـــاً أو شيبَـــة بـــنَ الـــوليـــد

شيـــب يـــا شيـــب يـــا جُـــدَيّ بنـــي القَعقـــاع مـــا أنـــت بـــالحليـــم الرشيـــد[3]

لا ولا فيـــك خَلّـــةٌ مـــن خـــلال الخيـــر أحـــرزْتهـــا لحـــزم وجـــود

(١) جحاجح: سادة، جمع جحجح.

(٢) هو يزيد بن ثروان، ويكنى ذا الودعات، لأنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته، فسئل فقال: لئلا أضل، فسرقها أخوه في ليلة وتقلدها، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه، فقال: أخي، أنت أنا، فمن أنا؟ فضرب بحمقه المثل.

(٣) زيادة من مي، مل، هد، م.

غيـرَ مـا أنـك المجيـد لتقطيـع غنـاءٍ وضـربِ دُفٍّ وعـود
فعلـى ذا وذاك يحتمِـل الدهـر مجيـداً لـه وغيـرَ مجيد

يهجو خلفا الأحمر:

قال: وقال أبو محمد اليزيديّ يهجو خَلفا الأحمر أستاذ[1] الكسائيّ، أنشدنيه عمي الفضل:

زعـم الأحمـر المَقيـت علـيٌّ والـذي أمّـه تُقِـرّ بمقتـه
/ أنـه علّـم الكسـائـيّ نحـواً فلئـن كـان ذا كـذاك فِبـاسته

٧٨/١٨

يأمر له الرشيد بمال، ويستعين الغساني على تعجيله فلا يعينه:

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال:

[٢٢٧/٢٠] أَمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصَه إلى السِّن[2]، فأتيت عاصما الغسانيَّ - وكان / أثيراً عند يحي بنِ خالد - فقلت له: إن أمير المؤمنين قد أمر لي بمال، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت، فأحبُّ أن تذكُر أبا علي يحيى بن خالد أمرَه ليعجّله إليّ. فقال: نعم، ثم عدْتُ بعد ذلك بيومين، فقال لي يتفخّم في لفظه: ما أصبتَ بحاجتك موضعاً. قال: قلت فاجعلها منك - أكرمك الله - بِبال.

فلما خرجتُ لحقني بعض من كان في المجلس، فقال لي: يا أبا محمد، إني لأربأ بك أن تأتيَ هذا الكلبَ أو تسألَه حاجة، قلت: وكيف؟ قال: سمعته يقول - وقد ولّيْت - لو أن بيدي دجلةَ والفراتَ ما سقَيْتُ هذا منهما شَربة، فقيل له: ولم ذاك - أصلحك الله - فإن له قَدراً وعلماً؟ قال: لأنه من مُضَرَ، ما رأيت مُضرياً قطّ يحب اليمانيّة.

قال: فأحبَبت ألا أُعجَل، فعُدت إليه من غد فقلت: هل كان منك - أكرمك الله - في الحاجة شيء؟ فقال: والله لكأنك تطلبنا بِدَين فتحقَّق عندي ما بلغني عنه، فقلت له: لا قضى اللهُ هذه الحاجَةَ عَلَى يدك، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها، والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً، ولا رددتُ عليك السلام إن بدأتني به. ونفَضْت ثوبي وخرجْت.

يستعين بجعفر بن يحيى على تعجيل المال فيعينه

فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يَرْكُض حتى لحقني، فقال: بعثني إليك أبو علي يحيى بن خالد لِتقف حتى يلحقك، فرجعْت مع رسوله إليه فلقيته، وكان قريباً، فسلّمْتُ عليه ثم سايرته، فقال لي: إن أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح، فإني أحدّثك حديثاً حدثني به أَبي خالدُ بنُ بَرْمكَ: أنّ الحجاج بنَ يوسف أراد مؤدّباً لولده، فقيل له: ها هنا رجل نصرانيّ عالم، وها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصرانيّ، قال: ادعوا لي المسلم.

[٢٢٨/٢٠] / فلما أتاه قال: ألا ترى يا هذا أنّا قد دُللنا عَلَى نصرانيّ قد ذكروا أنه أعلم منك، غير أني كرهْتُ أن أضمّ إلى ولدي مَن لا ينبّههم للصلاة عند وقتها، ولا يدلُّهم على شرائع الإسلام ومعالمه؟ وأنت - إن كان لك عقل - قادر على أن تتعلم في اليوم ما يُعلمه أولادي في جمعه، وفي الجمعة ما يعلّمهم في الشهر، وفي الشهر ما يعلمهم في سنة.

(١) كذا بالنسخ، ولم نعثر في المراجع التي رجعنا إليها على خبر يدل على أن الكسائي أخذ عن خلف الأحمر. فلعل المراد علي بن الحسن، ويقال: ابن المبارك المعروف بالأحمر، وكان تلميذ الكسائي. وقد ذكر اليزيدي في البيت الأول أن اسمه علي. (بغية الوعاة، نزهة الألباء، مراتب النحويين).

(٢) السن: مدينة على دجلة فوق تكريت، يقال لها: سن بارما.

ثم قال لي يحيى: فينبغي يا أبا محمد أن نُؤثر الدّين على ما سواه، فقلت له: قد أصبتُ من أرضاه، وذكرت له الحسن بن المسوّر، فضمه إليه ثم سألني: من أين أقبلت؟ فأخبرتُه بخبر عاصم وما كان منه، فقلت له: قد حضر هذا المَسير، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه؟ فضحك وقال: ولِم لا تدري؟ الْقَ صديقك جعفراً، يعني ابنه، حتى يكلم أميرَ المؤمنين أو يذكرَني حاجتك، فقد تركته على المضي الساعة، فانثنيت إلى جعفر وقلت له في طريقي:

يـــا ســـائلـــي عمـــا أخبِّـــرهُ ... عـــن جعفـــر كـــرمـــاً وعـــن شيمـــهْ

إن ابـــن يحيـــى جعفـــراً رجـــل ... سِيـــطَ[1] السمـــاحُ بلحمـــه ودمـــه

فعليـــه «لا» أبـــداً محـــرمـــةٌ ... وكـــلامـــه وقـــف علـــى نَعَمـــه

وتـــرى مُســـابقَـــه ليـــدركـــه ... بمكـــان حَـــذْو النعـــل مـــن قـــدمـــه

/ فلما دخلت إليه أخبرته الخبر، وأنشدته الأبيات، وأعلمته ما أمرني به أبوه، فقال لي: قل بيتين تذكُره ٧٩/١٨ فيهما إلى أن أجدّد طُهرا واكتبهما حتى يكونا معي، فأذكَر بهما حاجتك، فقلت: نعم يا سيدي، وأخذت الدواة وكتبت:

أحـــقُّ مَـــن أنجـــز مـــوعـــودَه ... خليفـــةُ الله علـــى خلقـــهِ

ومَـــن لـــه إرث نبـــيّ الهـــدى ... بـــالحـــق لا يُـــدفَـــع عـــن حقـــه

/ يُنسـب فـي الهَـدْي إلـى هَـدْيِـهِ ... بِـرّاً وفـي الصـدق إلـى صـدقـه [٢٠/٢٢٩]

ومَـــن لـــه الطـــاعَـــة مفـــروضـــة ... لائحـــة بـــالـــوحـــي فـــي رَقِّـــه

والـــراتـــقُ الفتـــقِ العظيـــم الـــذي ... لا يقـــدر النـــاس علـــى رتْقـــه

يهجو الغساني لأنه لم يمنه على تعجيل المال:

قال: فأخذ الشعر، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إياه، فَصَكَّ إليّ بالمال عليه، وقبضته بعد ذلك بيوم، وأنشأت أقول في الغسّانيّ:

ألا طَـرقَـتْ أسمـاءِ أم أنـت حـالِـم؟ ... فـأهـلاً بطيـف زار والليـل عـاتـمُ

إذا قيـل أيُّ النـاس أعظـم جفـوةً ... والأمُ قيـل الجـرمقـانـيُّ[2] عـاصـم

دَعِـيّ أجـاءتـه إلـى اللـؤم دعـوة ... ومغـرِس سَـوء لـؤمـه متقـادم

شَهيـدي علـى أن ليـس حـرّاً صَليبـةً ... صفيحـةُ وجـه ابـنِ استِهَـا[3] واللهـازم

صفيحـة دَقّـاق أبـوه شبيهـه ... وجـدّاه سمّـاك لئيـم وحـاجـم

أعـاصـمُ خـلِّ المكـرمـات لأهلهـا ... وأغـض عَلَـى لـؤم ووجهُـك سـالـم

فكيـف تَنـال الـدهـر مجـداً وسـودَدَا ... وفـي كـل يـوم كـوكـبٌ لـك نـاجـم؟

---

(١) سيط: خلط، وبابه قال.

(٢) الجرمقاني: واحد الجرامقة، وهم من قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام.

(٣) تركيب يقال لمن يسب ويصغر من جهة أمة.

وأَصلُكَ مدخولٌ وفسقُكَ ظاهرٌ ... وعَجْبُكَ مهموزٌ وعَرْدُكَ[1] عارِمُ
تُصانعُ غسّاناً لتُلْحَقَ فيهمُ ... ورُبَّ دَعِيٍّ ألحقته الدراهمُ
فإن رابَ رَيبٌ أو أَصابتك شدةٌ ... رجعتَ إلى شَلْثى وأنفُك راغمُ

ـ قال: وكان اسم ابنه شلثي، فصيره صِلْتاً[2] ـ

إذا عَاصماً يوماً أتيتَ لحاجةٍ ... فلا تلقَه إلاّ وأَيرك قائمُ
/ وعرِّض له من قبلِ ذاكَ بأمرَدٍ ... وضيءٍ وسيمٍ أثقلتْه المآكمُ
وإلاّ فلا تسألْه ما عِشتَ حاجةً ... ولا تبكِه إن أعولَتْه المآتمُ

[٢٠/ ٢٣٠]

يستعينه الغساني على رد ضيعة له قبضت فيعينه:

قال: فلما حدَث بِبَني بَرْمك ما حدث قُبضَت ضيعتُه في المقبوض من ضِيَاع أسبابهم، فصار إليّ وكلّمني في أمرها، وسألني كلامَ الجوهريّ في ذلكَ، فقمت له حتى رُدت الضيعة عليه، فجاءَني يشكرني، ويعتذر مِمَّا جرَى مِن فعِله المتقدم، فقلت له: تنَاس مَا مضى، فلستُ ممن يكَافىء عَلَى سوءٍ أحداً.

يتهمه أبو عبيدة بذكر مساوىء الناس في المسجد فيهجوه:

قال أبو محمد: كان أبو عبيدةَ يجلس في مسجد البصرة إلى سَارية، وكُنت أنا وخَلَفٌ الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى، وكان أبو عبيدة من أَعْضِه[3] الناس لِلناس وأذكرِهم لمثَالبهم، فقال لأصحابه: أترون الأحمر واليزيديّ إنما يجتمعان عَلَى الوقيعة لِلناس وذِكر مسَاويهم؟ وبلغني ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه، فقلت لِخَلفٍ: دعه، فأنا أكفيكه. / فلما كان من الأذان جئت أنا وخَلفٌ إلى المسجد، فكتبت عَلَى الجصّ في الموضع الذي كان يجلس فيه أبو عبيدة:

٨٠/ ١٨

صلى الإلهُ عَلَى لوطٍ وشيعتِه ... أبا عبيدةَ قل باللهِ آمينا

قال: وأصبح الناس، وجَاءَ أبو عبيدة، فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوباً وأَقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون، ورفَع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه، فخجل، ولم يَزل منكّسا رأسه حتى انصرف الناس وأَنا وخَلَفٌ ناحيةً ننظر إلى ما به، ثم قمنا حتى وقفنا عليه، فقلنا له: ما قال صاحب هذا البيت إلاّ حقاً، نعم فصَلى الله عَلَى لوط، فأقبل عَلَيّ وقال: قد علمتُ مِن أين أُتيت، ولن أُعاود التعرّض لتلك الجهة، ولم يعد لذكرنا بعد ذلك.

[٢٠/ ٢٣١] **/ يجفوه يزيد بن منصور فيعاتبه فيعتبه:**

وقالَ أبو محمد: اعتللْتُ عِلّة من حمى رِبْع[4] طالت عَلَيَّ أشهرا، فجفاني يزيد بن منصور، ولم يمر بي في علتي، ولم يتفقدني كما ينبغي؛ فكتبتُ رقعة إليه ضمنتها هذه الأبيات:

---

(١) العرد: الذكر الصلب.
(٢) الصلت: اللص.
(٣) أعضه: وصف من عضه: جاء بالإفك والبهتان.
(٤) حمى الربع: هي الحمى التي تأتي في اليوم الرابع، بأن يحم يوماً، ويترك يومين لا يحم، ويحم في اليوم الرابع.

قـل لـلأميـر الـذي يـرجـو نـوافِلَـهُ مَـن جـاء طـالبـاً للخيـر منتـابـاً[1]
إنـي صحبتـك دهـراً كـلُّ ذاك أرى مِـنْ دون خَيـرك حُجّـابـاً وأبـوابـاً
وَكـم ضـريـكٍ[2] أجـاءتـه شقـاوَتُـه إليـك إذا أنشَبَـتْ ضـراؤهـا نـابـا
فمـا فتحـتَ لـه بـابـاً لميسـرة وَلا سـددتَ لـه مـن فـاقـة بـابـا
كغـائـب شـاهـدٌ يخفـي عليـك كمـا مـن غـاب عنـك فـوافـى حظُّـه غـابـا

فلما قرأها قال: جفَوْنا أبا محمد؛ وأحوجناه إلى استبطائنا. والله المستعان، وبعث إليه بصلة.

يعبث به خلف الأحمر في قصيدة نسبه فيها إلى اللواط:

أخبرني هاشمُ بنُ محمدِ الخزاعيُّ أبو دُلَف قال: حدثني محمدُ بنُ عبدالرحمن بنِ الفهم، وكان من أصحاب الأصمعيّ، قال:

كان خلَف الأحمر يعبَث بأبي محمدٍ اليزيديّ عبثاً شديداً، وربما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح، فقال فيه ينسبه إلى اللّواط:

إنـي ومَـن وَسَـج[3] المَطـيُّ لـه حُـدْبَ الـذرى أذقـانها رُجُـف[4]
/ يَطْـرحـن بـالبِيـد السُّحـال[5] إذا حـثّ النجـاءَ الـركـبُ وازدَهفـوا[6] [٢٠/٢٣٢]
والمُخْـرِمـين لِصَـوتهـم زَجَـل بِفِنـاء كعبتـه إذا هتفـوا
وإذا قطَعْـن مسـافَ مَهْمَهـة قَـذَفٍ[7] تعـرّض دونهـا شَـرَف
وافَـتْ بهـم خُـوص[8] محـزّمـة مثـلُ القِسـيِّ ضـوامـرٌ شُسُـف[9]
مِنّـي إليـه غيـرَ ذي كـذِب مـا إن رأى قـوم ولا عـرَفـوا
فـي غـابـر النـاس الـذيـن بقُـوا والفُـرّطِ[10] المـاضيـن إذ سَلفـوا
أحـداً كيحيـىٰ فـي الطعـان إذا افـتَرش[11] القنـا وتضعضـع الحَجَـف[12]

---

(١) متتاباً: وصف من انتاب الرجل القوم انتياباً، إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة.
(٢) الضريك: الفقير السيء الحال.
(٣) وسج: الوسج والوسيج ضرب من سير الإبل سريع.
(٤) رجف: مضطربة.
(٥) السحال، ككتاب: اللجام.
(٦) ازدهف: خف وعجل، وازدهفه: استعجله.
(٧) قذف: بعيدة.
(٨) خوص: غائرات العيون في الرؤوس، واحده أخوص وخوصاء.
(٩) شسف: يابسة من الضمر والهزال. شسف، كنصر وكرم.
(١٠) الفرط: السابقون.
(١١) افترش القنا: وقع بعضها على بعض عند الطعان.
(١٢) الحجف: الترس، وقيل من الجلود خاصة. وفي مي، هد، مل: «وتقعقع الجحف».

في مَعركٍ يُلقى الكَميّ به … للوجه منبطحاً وينحرف

وإذا أكبَّ القِرن يُتبِعه … طعناً دُوَين صَلاه[1] ينخسف

لله دَرُّك أيّ ذي نُزُلٍ[2] … في الحرب إذ همّوا وإذ وقفوا

لا تخطئ الوجعاء[3] آلته[4] … ولا تُصدّ إذا همُ زحفوا[5]

/ وله جياد لا يُفرّطها[6] الـ … إحلال والمضمار والعلف

[٢٠/٢٣٣]
٨١/١٨

جُرْد[7] يهان لها السّويق وألـ … بان اللِّقاح[8] كأنها نُزُف[9]

مُرْد وأطفال تخالهمُ … دُرّاً تَطابَق فوقه الصَّدَف

فهمُ لديه يعكُفون به … والمَرءِ منه اللِّين واللطُف

ومتى يشا يُجنَب[10] له جَذع[11] … نَهدٌ أسيل الخد مشترف[12]

يمشي العِرَضْنَة[13] تحت فارسه … عَبْلَ[14] الشوى[15] في متنه قَطَف[16]

رَبِذٌ[17] إذا عرِقت مَغابِنه[18] … ذَهَبَ السكون وأقبل العُنُف

فأعدَّ ذاك لسرجه وله … في كل غادية لها عُرُف

في حَقْوه[19] حَرْدٌ تَقَدَّمُه … صلعاء في خرطومها قَلَف

---

(١) الصلا: وسط الظهر.
(٢) النزل: ما هيىء للضيف أن ينزل عليه. والمراد ما أعد لمن يقع عليهم.
(٣) الوجعاء: الدبر.
(٤) الألة: الحربة العظيمة النصل.
(٥) كذا في جميع النسخ، وفي التفعيلة الأولى من الشطر الثاني الوقص (حذف الثاني المتحرك)، وهو صالح في «الكامل».
(٦) لا يفرطها: لا يثيرها للسبق.
(٧) جرد: جمع أجرد، وهو الذي لا شعر عليه.
(٨) اللقاح: الإبل التي نتجت، جمع لقوح.
(٩) نزف: جمع نزيف، للذي يخرج منه دم كثير.
(١٠) جنب الدابة: قادها إلى جنبه.
(١١) الجذع: هو في الأصل ولد الشاة في الثانية، وولد البقر في الثالثة.
(١٢) مشترف: مشرف.
(١٣) العرضنة: مشية فيما بغى من النشاط.
(١٤) عبل: ضخم.
(١٥) الشوى: اليدان، والرجلان، والرأس من الإنسان.
(١٦) قطف: أثر.
(١٧) ربذ: سريع. وفي النسخ: «ربد»، تحريف.
(١٨) المغابن: جمع مغبن، كمنزل، وهو الإبط، وأصل الفخذ.
(١٩) حقوه: خصره.

/ جرداء تُشحَذ بالبزاق[١] إذا دُعيت نزال وهبّ مرتدِف[٢] [٢٠/٢٣٤]

أوفى على قِيدِ[٣] الذراع شديـ ـدُ الجلْز[٤] في يافوخه جَوَف[٥]

خَاظٍ[٦] مُمَرٌّ متنُه ضَرِم لا خانه خَوَر ولا قَضَف[٧]

عَرْدُ المَجَس بمتنه عُجَر[٨] في جِذره عن فخْذه جنَف

فلوَ أن فياضا تأمله نادى بجهد الويل يلتهف

وإذا تمسَّحه لِعادته ودنا الطعان فمِدْعَس[٩] ثَقِف

وإذا رأى نفَقا رَبَا ونزا حتى يكاد لعابه يكف

لا ناشئا[١٠] يُبقي ولا رجلا فِندا[١١] وهذا قلبه كِلف

يا ليتني أدري أمُنجيتي وجناءُ ناجيةٌ بها شَدَف[١٢]

من أن تعلقني حبائلُه أو أن يواري هامتي لُجُف[١٣]

ولقد أقول حِذارَ سطوته إيهاً إليك تسوّق يا خلف

/ ولو ان بيتك في ذُرا علَم من دون قلة رأسه شَعَف[١٤] [٢٠/٢٣٥]

زَلِقٍ أعاليه وأسفلُه وعر التنائف[١٥] بينها قذف[١٦]

لخَشيت عَرْدَك[١٧] ان يُبيِّتني أن لم يكن ليَ عنه منصرَف

أعرابي يعلق على بيت من هذه الفائية:

قال الأصمعيّ: فحدثني شيخ من آل أبي سفيان بنِ العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قال:

(١) البزاق: البصاق. وفي النسخ: «بالبراق»، تحريف.
(٢) المرتدف: الذي يركب خلف الراكب.
(٣) قيد: مقدار.
(٤) الجلز: الطي واللي والمد والنزع.
(٥) جوف: اتساع.
(٦) خاظ: مكتنز.
(٧) قضف: نحافة.
(٨) عجر: جمع عجرة بضم فسكون، وهي العقدة.
(٩) مدعس: شديد الطعن.
(١٠) كذا في أ. س، ب: «ماشيا»، تحريف.
(١١) فند: خرف.
(١٢) الشدف: سرعة الوثب.
(١٣) اللجف جمع لجاف ككتاب، وهو ما أشرف على الغار من صخرة وغيرها، ناتىء في الجبل.
(١٤) الشعف: جمع شعفة، وهي رأس الجبل.
(١٥) التنائف: جمع تنوفة، وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف.
(١٦) القذف بضمتين وبفتحتين: الفلاة البعيدة.
(١٧) كذا في غير س، وفي س: «عرضك»، تحريف.

أنشدت قصيدة خلفٍ الفائيةَ هذه وأعرابي جالس يسمع، فلما سمع قوله:

فــــإذا أكــــب القـــرنَ أتبعـــه طعنـــاً دُوَيـــن صَــلاه ينخســـف

قال الأعرابيّ: وأبيك لقد أحب أن يضعه في حاق[1] مَقِيل[2] ضَرْطته.

يشغب في مجلس ضم خلفا الأحمر، ليهجوه خلف فيغضب:

أخبرني هاشمُ بنُ محمد قال: حدثني ابنُ الفهم قال: حدثني الأصمعيّ قال:

كنتُ مع خَلفٍ جالساً، فجرى كلام في شيء من اللغة، وتكلم فيه أبو محمدٍ اليزيدي وجعل يَشغَب، فقال لي خَلَفٌ: دَعْني من هذا يا أبا محمد، وأخبرني من الذي يقول:

٨٢/١٨ / فـــإذا انتشـــأتُ[3] فـــإنني رب الخُـــوَرْنـــق والـــرُّمَيـــخ

وإذا صحـــوتُ فـــإنني رب الـــدُّوَيْـــة واللـــوَيـــح

يعرِّض به أنه معلم، وأنه يلوط، فغضب اليزيدي، وقام فانصرف.

[٢٠/٢٣٦] / **يهجو مواليه بني عدي لقعودهم عنه وقد استنهضهم:**

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه قال: حدثني طلحةُ الخُزاعِيّ قال: حدثني أبو سعيد عثمانُ بنُ يوسفَ الحنفيُّ قال:

غاضب أبو محمد اليزيديّ مواليَه بَنِي عدي رَهْطَ ذي الرمة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه، فقعدوا عنه، فقال يهجوهم:

يـــأيهـــا الســـائـــل عـــن قـــومنـــا لمّـــا رأى بِـــبِـــزَّةَ أحبـــارهـــم[4]

وحُســـنَ سَمْـــت منهـــمُ ظـــاهـــراً إعـــلانُهـــم ليـــس كـــإســـرارهـــم

ســـائـــلْ بهـــم أحمـــرَ أو غيـــرَه يُنبيـــك عـــن قـــومـــي وأخبـــارهـــم

[قـــوم كـــرام مـــا عـــدا أنهـــم صـــولتهـــم منهـــم علـــى جيـــرانهـــم

أُســـد علـــى الجيـــران أعـــداؤهـــم آمنـــة تخطـــر فـــي دارهـــم

لـــو جـــاءهـــم مقتبســـاً جـــارُهـــم مـــا قبســـوه الـــدهـــر مـــن نـــارهـــم

وقـــد وتـــرنـــاهـــمْ فلـــم نخـــش مَـــن ينهـــض فـــي سيـــره أو ثـــارهـــم

أحســـنُ قـــوم لمـــواليهـــمُ إن أيســـروا يـــومـــاً لأيســـارهـــم

شهـــادة الـــزور لهـــم عـــادة حقـــاً بهـــا قيمـــة أخبـــارهـــم

ومـــا لهـــم مجـــد ســـوى مسجـــد بـــه تعـــدُّوا فـــوق أطـــوارهـــم

---

(١) حاق: وسط. (٢) مقيل: موضع.

(٣) كذا بالنسخ. ولعلها محرفة عن انتشيت، بدليل البيت الثاني.

(٤) الأحبار: جمع حبر، وهو العالم أو الصالح.

لو هُدم المسجد لم يُعرفوا يوماً ولم يسمع بأخبارهم][1]

يهنىء الرشيد ويمدح المأمون لتوقفه في أول خطبة له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرني عمي عُبَيدالله قال: حدثني عمي إسماعيل وأخي أحمدُ قالا: لما بلغ المأمونُ وصار في حدّ الرجال أمرَنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم / الجمعة، فعمِلنا له خطبته [٢٠/٢٣٧] المشهورة. وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة، فلما خطب بها رَقَّت قلوب الناس، وأبكى من سمعه، فقال أبو محمد اليزيديّ:

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن وليّ العهد مأمونَ هاشم بدا فضله إذ قام وهو خطيبُ
ولما رماه الناس من كل جانب بأبصارهم والعُود منه صليب
رماهم بقول أنصتوا عجباً له وفي دونه للسامعين عجيب
ولما وعَت آذانُهم ما أتى به أنابَتْ ورقَّت عند ذاك قلوب
فأبكى عيونَ الناس أبلغُ واعظ أغرُّ بِطاحيٌّ[2] النِّجار نجيب
مَهيب عليه لِلوقار سكينة جريء جنَانٍ لا أكَعّ[3] هيوب
ولا واجبٌ فوق المنابر قلْبه إذا ما اعترى قلبَ النجيب وجيب
إذا ما علا المأمونُ أعوادَ منبر فليس له في العالمين ضريب
تَصدَّع عنه الناس وهو حديثهم تَحدَّثَ عنه نازح وقريب
شَبيه أمير المؤمنين حَزامةً إذا وردَتْ يوماً عليه خطوب
إذا طاب أصل في عُروقِ مشاجه[4] فأغصانه من طِيبه ستطيب
فقل لأمير المؤمنين الذي به يقدِّم عبدالله فهو أديب
كأن لم تغب عن بلدة كان والياً عليها ولا التدبيرُ منك يغيب
تتبَع ما يُرضيك في كل أمره فسِيرته شخص إليك حبيب
/ ورِثتم بني العباس إرثَ محمد فليس لَحيٍّ في التراث نصيب [٢٠/٢٣٨]
وإني لأرجو يا بن عم محمد عطاياك والراجيك ليس يخيب
أثبني على المأمون وابنِي محمداً نوالاً فإياه بذاك تثيب
/ جناب أمير المؤمنين مُبارَك لنا ولكل المؤمنين خصيب

(١) زيادة من مي، مل.
(٢) بطاحي: من قريش البطاح، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة، وهما جبلاها: أبو قبيس والأحمر.
(٣) أكع: جبان.
(٤) مشاجه: تكونه وحيث يلتقي آباؤه وأمهاته، جمع مشج كسبب. وفي هد: «في مشاج عروقه».

لقد عَمَّهم جُود الإمام فكلهم ... له في الذي حازت يداه نصيب

[٢٣٩/٢٠]

/ صوت

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم، ولابنه محمدِ بنِ أبي محمد بمثله.

أخبرني عمي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديّ قال: حدثني أخي أحمد عن أبيه قال:

أستأذن أبو محمد الرشيدَ وهو بالرَّقّة في الحجّ، فأذن له، فلما عاد أنشدنا لنفسه:

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل ... إلى الأحبة بالإزعاج والعَجَل

نَحثهن ولا يُؤتَين[1] من دأب ... لكنّ للشوق حثاً ليس للإبل

يا نائياً قرُبَتْ منه وساوسه ... أمسَى قرينَ الهوى والشوقِ والوجل

إن طال عهدك بالأحباب مغترباً ... فإن عهدك بالتسهيد لم يَطُل

أمّا اشتفى الدهرُ من حَرّانَ مُختَبلٍ ... صبُّ الفؤاد إلى حَرّانَ مُختَبلِ

عِش بالرجاء وأمِّل قرب دارهمُ ... لعل نفسك أن تبقى مع الأمل



(١) كذا في م، أ. س، ب: «يولين»، من أرناه بمعنى أتعبه وفتره.

[٢٤٠/٢٠]

/ أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي وولد ولده

شعر له غني فيه:

فمنهم محمدُ بنُ أبي محمد، ومما يُغنَّى فيه من شعره قوله:

صوت

أتيتُك عائذاً بك منك لما ضاقت الحِيَلُ

وصيَّرني هواك وبي لِحَيني يُضرَب المثل

فإن سلِمَتْ لكم نفسي فما لاقيته جَلَل

وإن قَتَل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل

الشعر لمحمدِ بنِ أبي محمدِ اليزيديّ، يُكنَى أبا عبدالله، والغناء لسُلَيم بنِ سَلاَم، ثقيل أول بالبِنصر، وله أيضاً فيه ماخوريّ.

يمدح سليم بن سلام المغني:

وكان سليم صديقَ محمدِ بنِ أبي محمدِ اليزيديِّ، كثيرَ العشرة له، وليس في شيء من شعره صنعة إلاّ له. وله يقول محمد بنُ أبي محمد اليزيديّ:

صوت

بأبي أنتَ يا سُلَيم وأمي ضِقتُ ذَرعاً بهجر من لا أسمّي

صدّ عنّي أقرُّ مَن خلق الله لعيني فاشتد غمي وهمي

ما احتيالي إن كان في القدَر السا بق لِلحَين أن أموت بسُقمي؟

الغناء لسُلَيم، خفيفُ رمل بالوُسطَى عن عمرو.

[٢٤١/٢٠]

/ **ينظر إليه أبو ظبية العكلي فيعجب به:**

أخبرني محمدُ بن العباس اليزيديّ قال: حدثني عمي عُبيدالله عن أخيه أبي جعفرٍ عن أبيه محمدِ بن أبي محمد قال:

قال لي أبي: نظر إليك أبو ظبية العُكلي ـ وقد جاءني ـ فقال لي، وقد أقبلْت:

يَلِد الرجال بنيهم أولادَهم وولدْتَ أنت أباً من الأولاد

يجيب أبا ظبية شعراً وقد كتب إليه شعراً:

/ قال أبو محمد: وكتب أبو ظبية يوماً:

أيحيىٰ لقد زُرناك نلتمس الجَدَا وأنت امرؤ يرجَى جَداه ونائله

وما صَنع المعروفَ في الناس صانع فيُحْمَدَ إلاّ أنت بالخير فاضله

تخيركَ الناسَ الخليفةُ لابنه وأحكمْتَ منه كل أمر يحاوله

فما ظنَّ ذو ظنٌ من الناس علمُه كعلمك إلاّ مخطيء الظن قائله[1]

إليك تناهت غايةُ الناس كلِّهم إذا اشتبهَتْ عند البصير مسائله

قال أبو محمد: فكتب إليه:

أبا طيبةَ اسمع ما أقول فَخيْرُ ما يقال إذا ما قيل صُدّق قائله

إذا شئت فانهَد[2] بي إلى من أردتَه وأمّلتَ جدواه فإني منازله

فإن يك تقصيرٌ ولا يك عارفاً بحقك فاعذِ له فتكثر[3] عواذله

يتمنى العباس بن الأحنف أن يكون سبقه إلى بيتين له:

حدثني أبو عبدُالله محمدُ بن العباس اليزيديُّ قال: حدثني عمي عُبيدالله قال: حدثني أخي أحمدُ عن أبي قال:

[٢٠/٢٤٢] صِرت إلى العباس بن الأحنف، فقال لي ما حاجتك؟ قلت: أمرني أخوك وأبي / أن أصير إليك وأستفيدَ منك، فقال لي: أتصير إليّ؟ ودِدْت أني سبقتك إلى بيتين قلتَهما وأني لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما، فدخلني من السرور ما الله به عليم، فقلت وما هما؟ فقال: قولك:

يا بَعيد الدار موصو لا بقلبي ولِساني

رُبما باعدك الدهـ ـر وأدنتك الأماني

لم يسرق من الشعر إلاّ معنيين لمسلم بن الوليد:

حدّثني أحمد بن عُبَيدالله بنِ عمار قال: حدثني محمدُ بنُ داودَ الجراحُ قال: حدثني أبو القاسمِ عُبَيدالله بنُ محمد اليزيديُّ قال: حدثني أحمد بنُ محمد قال:

سمعت أبي يقول: ما سرقْتُ من الشعر شيئاً إلاّ معنيين: قال مُسلم بن الوليد:

ذاك ظبي تحيّر الحسنُ في الأر كان منه وحلّ كل مكانِ

عَرَضَتْ دونه الحِجال فما يلـ ـقاك إلاّ في النوم أو في الأماني

فقلت:

يا بعيد الدار موصو لا بقلبي ولساني

(١) م. س، ب: «قاتله»، تحريف.

(٢) نهد: نهض ومضى على كل حال.

(٣) لعل راء فتكثر سكنت تخفيفاً، لتتابع الحركات.

ربمـــا بـــاعــدك الـــدهـــر وأدنتـــك الأمــانـــي

وقال مسلم أيضاً:

متـى مـا تسمعـي بقتيـل حُـبٍّ أُصيب فـإنني ذاكِ القتيـلُ

فقلت أنا:

أتيتـكِ عـائـذاً بـكِ منـكِ لمـا ضـاقـت الحِيـلُ

وصيّـرني هـواكِ وبي لَحيني يُضـرَب المثـل

فـإن سلمـت لكـم نفسي فمـا لاقيتـه جلَـل

/ وإن قَتـل الهـوى رجـلاً فـإني ذلـك الـرجـل [٢٠/٢٤٣]

يعتب على صديق له فيجيبه:

أخبرني محمدُ بن العباس قال: حدثني عمي عُبَيدالله عن أخيه أبي جعفر قال:

عتَب أبي -/ يعني محمدَ بن أبي محمد - على يُونس بنِ الربيع، وكان صديقَه فكتب إليه: $\frac{85}{18}$

سـأبكيـك حيّـاً لا بكيتـك ميِّـتاً بـأربعـة تجـري عليـك هُمـولاً

وأُعفيـك مـن طـول اللقـاء وإنني أرى اليوم لا ألقـاك فيـه طـويـلاً

فكيـف بصبـري عنـك لا كيـف بعدمـا حللـتَ محـلاً فـي الفـؤاد جليـلا!

قال، وكتب إليه يونس:

إلـى كـم قـد بَلِيـت وليـس يَبلى عتـاب منـك لـي أبـداً طـويـلُ؟

إذا كثـر التجنّـي مـن خليـل ولـم تُـذنـبْ فقـد ظَلـم[1] الخليـل

يقول في قنفذ شعراً اقترح عليه:

أخبرني عمي قال: حدثني الحسنُ بن الفهم قال: قال لي أبو سمير عبدُالله بن أيوبَ مولى بني أمية:

بات عندي ليلةً محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ، فظهر لنا قُنفذ، فقلت له: قل فيه شيئاً، فأنشأ يقول:

وطـارقِ ليـل زارنـا بعـد هَجْعـة مـن الليـل إلاّ مـا تحـدث سـامـرُ

فقلـتُ لعبـدُالله مـا طـارقٌ أتـى؟ فقـال امـرؤ سبقَـت إليـه المقـادر

قَـرَيْنـاه صفـو الـزاد حيـن رأيتـه وقـد جـاء خفَّـاق الحشـا وهـو سـادر

جميـل المَحيَـا والـرضـا فـإذا أبـى حمَتْـه مـن الضيـم الـرمـاح الشّـواجـر

ولسـتَ تـراه واضعـاً لسـلاحـه مـدى الـدهـر مـوتـوراً ولا هـو واتـر

(١) ف: «مل».

[٢٠/٢٤٤] **/ يحجب عن المأمون، فيرسل إليه شعراً، فيأذن له ويجيزه:**

حدّثنا اليزيديّ قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو صالح بن يزداد قال: حدثني أبي قال:

جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر، فاستأذن، فقال الحاجِب: قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد. قال: فأَمرَكَ ألا توصل إليه رقعة؟ قال: لا، فدَفع إليه رقعة فيها[1]:

هديّتي التحيةُ للإمام إمام العدل والملكِ الهمام
لأني لو بذلْتُ له حياتي وما أهوى[2] لقلّا للإمام
أراك من الدواء اللهُ نفعاً وعافيةً تكون إلى تمام
وأعقبك السلامةَ منه رَبٌّ يُريك سلامة في كل عام
أتأذن في السلام[3] بلا كلام سوى تقبيل كفكَ والسلام

قال: فأوصلها، وخرج فأذن له، فدخل وسلّم وحُمِلَت معه ألفا دينار.

يستحسن المعتصم شعراً اقترحه عليه:

حدثني عمي قال: حدثني الفضلُ اليزيديُّ قال: حدثني أخي أحمدُ عن أبي:

قال: دخلتُ إلى المعتصِم وهو ولي عهد وقد طلع القمر، فتنفس ثم قال: يا محمد، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر، فإنه غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع، فإن كان كما أُحِب فلك بكل بيت مائة دينار، فقلت:

صوت

هذا شبيه الحبيب قد طلعا غاب كما غاب ثم قد لمعا[4]
وما أرى غيرَه يشاكله فأسأله بالله عنه ما صنعا؟
فرّق بيني وبينه قدَر وهو الذي كان بيننا جمَعا
/ فهل له عودة فأرقَبها كما رأينا شبِهه[5] رجَعا

٨٦/١٨

[٢٠/٢٤٥] / فقال: أحسنت وحياتي، ثم قال لعَلويه: غَن هذه الأبيات - وكان حاضراً - فغنّى فيها، وشرب عليها ليلته، وأمر لي بأربَعمائة دينار ولعَلّويه بمثلها.

لَحْن علّويه في هذه الأبيات رَمل.

المأمون يحكم له بثلاثة آلاف دينار من مال عبدالله بن طاهر:

حدثني عمي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال: حدثني أخي عن أبي قال:

---

(١) ف: «فدعا بدواة وقرطاس فكتب».
(٢) ف: «وما أحوى».
(٣) هد، مي، مل: «في الدخول».
(٤) ف: «رجعا».
(٥) ف: «شبيهاً له».

شكوْت إلى المأمون دَينا عليّ، فقال: إن عبدَالله بنَ طاهر اليوم عندي، وأريد الخلوة معه، فإذا علمْتَ فاستدعِ أن يكون دخولُك أو إخرَاجه إليك، فإني سأحكم لك عليه بمال، فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار، وكتبت بهذين البيتين:

يـــا خيـــرَ ســـاداتٍ وأصحـــابِ	هـــذا الطفَيلـــيُّ علـــى البـــابِ
فصيِّـــروا لـــي معكـــمْ مجلســـاً	أو أخـــرِجُـوا لـــي بعـض أصحـــابي

وبعثت بهما إليه، فلما قرأهما قال: صدق اكتبوا إليه وسلوه أن يختار، فكُتِبَ إليّ: أمّا وصولك فلا سبيل إليه، ولكن من تختار لِنخرجَه إليك فتَمضي معه. فكتبتُ: ما كنتُ لأختار على أبي العباس[1] أحداً. فقل له المأمون: قُم إلى صديقك. فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك. أتُخرجُني عما شرفْتَني به من منادمتك وتبدلُني بها منادمة ابن اليزيدي! قال: لا بدّ من ذلك أو ترضيَه. قال: فليحتكِم. قال: أخاف أن يشتط أو تقصُرَ أنت، ولكني أحكم فأعدِل. قال: قد رضيت. قال: تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجّلة. قال: قد فعلْت، فأمَر صاحبَ بيت المال أن يحمَلها معي، وأمر عبدُالله بِرَدها إلى بيت المال.

يعشق جارية ويحرمها فيعوضه المأمون:

حدثني الصوليُّ قال: حدثني عونُ بنُ محمد قال:

كان محمدُ بنُ أبي أحمدَ اليزيديُّ يعشق جارية لسحاب يقال لها عُليا[2]، وكانت / من أظرف النساء لساناً [٢٠/٢٤٦] وأحسنهن وجهاً وغناء، فأُعطِي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار، وذلك في خلافة المأمون، وكان عليُّ بنُ الهَيثم جونقا[3] صديقاً لمحمدِ بنِ أبي أحمدَ اليزيديِّ، فبلغ المأمونَ الخبرُ، فدعا محمداً، وقال: ما قصتك مع عليا؟ قال: قد قلتُ في ذلك أبياتاً، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها قال: هاتها فأنشده.

أشكـــو إلـــى الله حُبـــي للعَلّيينـــا	وأننـــي فيهـــمُ ألقَـــى الأمـــرينـــا[4]
حَسْبـــي عليّـــاً أميـــر المـــؤمنيـــن فقـــد	أصبحـــتُ حقّـــاً أرى حبـــيّ لـــه دِينـــا
وحـبُّ خِلّـــي وخُلصـانـــي[5] أبـــي حسـن	أعنـــي عليّـــاً قـــريـــعَ التغلَبيينـــا
ورِقتـــي[6] لُبنَـــيٌّ لـــي أُصِبـــت بـــه	وَجْـــدِي بـــه فـــوق وجـــد الآدميينـــا
ورابـــع قـــد رمـــىٰ قلبـــي بأسهمـــه	فجُـزْت فـي حبـه حدّ المحبينـــا
وبعـــض مـــن لا أسمّـــي قـــد تملّكـــه	فـــرُحْـــتُ عنـــه بمـــا أعيـــا المـــداوينـــا
أتـــاه بـــالـــديـــن[7] والـــدنيـــا تمكُّنُـــه	فلـــم يَـــدَعْ لـــيَ لا دُنيـــا ولا دِنيـــا

---

(١) أبو العباس كنية عبدُالله بن طاهر.

(٢) في م، أ، هد: «علا».

(٣) كذا في س، ب. وفي أ، م: «حونقا».

(٤) لأمرينا: لعلها تثنية أمر، وكسرت الراء للضرورة.

(٥) خلصاني: صفيي للواحد والجمع.

(٦) مل: «ورحمتي».

(٧) في س، ب: «أتاه والدين بالدنيا».

قال: فقال المأمون: لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتُها منه، ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً، ولقِيني المعتصم في الدار فقال لي: يا محمد، قد علمتُ ما آل إليه أمرُ فلانةَ، فلا تذكرنّها. فقلت: / السمعُ والطاعة لأمرك.

ينظم شعراً اقترحه المأمون عليه:

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال: حدثنا أبو العباس محمدُ بنُ الحسنِ بن دينار مولى بني هاشم قال: حدثني جعفرُ بنُ محمدُ اليزيديُّ عن أبيه محمدِ بنِ أبي محمد قال:

[٢٠/٢٤٧] / كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:

صحيح يودّ السُّقم كيما تعُوده ... وإن لم تَعُده عاد عنها رسولُها
لِيعلم هل ترتاع عند شَكاته ... كما قد يروع المُشفقات خليلها؟

قال فقلت:

صحيحٌ وَدّ لو أمسى عليلاً ... لتكتبَ أو يسرى منكم رسولاً
رآكِ تسومُه الهجران حتى ... إذا ما اعتلّ كنت له وَصولا
فودّضَنا الحياة بوصل يوم ... يكون على هواكَ له دليلاً
هما موتان موت هوى وهَجرٍ ... وموت الهجر شرُّهما سبيلاً

قال: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال: حدثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ. عن أبيه قال: دخلت على المأمون وهو يشرب، وعنده عَريب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنّر يغنّيانه، فقال: أطعموا محمداً شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أمَا ترى كيف عَتَق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلاّ أقلّه، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب؟ فقلت: قول الحَكَميّ:

عتقت حتى لو اتّصلت ... بلسان ناطق وفمِ
لاحتبتْ في القوم ماثلةً ... ثم قصّت قصّة الأممِ

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقُوا محمداً رطلين، وأعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسَه ثم قال: يا محمّد:

إنّي وأنت رضيعاً قهوةٍ لطفتْ ... عني العِيانِ ودقّت عن مَدَى الفَهِمِ
لم نرتضعْ غيرَ كأسٍ دَرُّها ذهبٌ ... والكأسُ حُرْمتها أولى من الرَّحِمِ

[٢٠/٢٤٨] / قال: والشّعر له قاله في ذلك الوقت.

وممّا فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد، أنشدناه محمّد بن العباس عن عمّه عُبيدالله عن أخيه أحمد:

صوت

أنت امرؤ متجنٌّ ... ولست بالغضبان

أنـــت امـــرؤ لـــك شـــأنٌ ... فيمـــا أرى غيـــر شَـــانِـــي
صـــرّحْ بمـــا عنـــه أَكْنِـــي ... أكـــفّ عنـــك لســـانِـــي
حَسْبِـــي(١) أســـأتُ فهـــلا ... مَنَنْـــتَ بـــالغفـــران

ومنها:

صوت

يـــا أحســـنَ الأمّـــة فـــي ... عينـــي أمَـــا تـــرحُمنِـــي!
أمَـــا تـــرانـــي كـــامـــداً ... مـــوكَـــلاً بـــالحـــزَنِ
أمَـــا تـــرى فيـــك مُـــدَا ... راتِـــي لأهْـــلِ الظِنَـــنِ
أصـــرفُ طَـــرْفـــي عنـــك خَـــوْ ... فـــاً منـــه أن يَفْضَحَنِـــي
يَـــرَانِـــيَ الله ومـــا الْغَـــى وإنْ لَـــمْ تَـــرَنِـــي

وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي لصلبه إبراهيم:

صوت

لا تلحَنـــي إن منحـــتُ عشقـــاً ... مَـــن كـــان للعشـــق مستحِقـــاً
ولـــم يقـــدِّمْ علـــيَّ خَلقـــاً ... ولـــم أقـــدّم عليـــه خلقـــاً
يملـــك رِقّـــي ولســـت أبغـــي ... مَـــن مِلكـــه مـــا حييـــت عتقـــاً
لـــم أر فيمـــن هـــويـــت خلقـــاً ... أعطـــفَ منـــه ولا أرقّـــاً

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيديّ، والغناء لأبي العبيس بن حمدون، خفيف ثقيل مطلق. وفيه لعريب رمل مزموم.

(١) كذا في الأصول، ولعلها: «هبني أسأت».

[٢٠/٢٤٩]

/ أخبار إبراهيم

خبر له مع عريب وقد نظم شعراً اقترحته عليه:

أخبرني عمي قال: حدثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديّ قال: حدثنا أحمدُ عن عمه إبراهيمَ قال:

كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينا أنا في ليلة مظلمة شاتية ذاتِ غيمٍ وريح وإلى جانبي قُبة، فبرقَت بَرْقةٌ وإذا في القبّة عَريب. قالت: إبراهيمُ بنُ اليزيديّ؟ فقلت: لبيك! فقالت: قل في هذا البرق أبياتاً مِلاحاً لأغنّي فيها، فقلت:

ماذا بقلبي من أليم الخَفْقِ … إذا رأيتُ لمعان البرْقِ

من قِبَل الأُرْدُنّ أو دمشق … لأنّ مَن أهوى بذاك الأفْق

فارقتُه وهو أعز الخلق … عليّ والزُّور خلاف الحق

ذاك الذي يملك مني رقي … ولست أبغي ما حييت عتقي

قال: فتنفسَت نفساً ظننته قد قطع حيازيمها، فقلت: ويحك على من هذا؟ فضحكت ثم قالت: على الوطن. فقلت: هيهات! ليس هذا كلُّه للوطن، فقالت: ويلك! أفتراك ظننتَ أنك / تستفزني؟ والله لقد نظرتُ نظرة مُريبة في مجلس، فادعاها أكثرُ من ثلاثين رئيساً، والله ما علِم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم[١].

٨٨/١٨

يقيم أياماً بسيحان مع صديق، ويقول هناك شعراً:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديّ قال: حدثني أخي عن عمي إبراهيم بن أبي محمد:

أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو، قال فكُتِب في رُفقه[٢] فيها فتى من أهل البصرة، ظريف أديب شاعر راوية، فكان لي فيه أُنس، وكنا لا تفترق حتى غزَونا / وعذْنا، فعاد إلى البصرة، وكان له بستان حسن بسيحانَ، فكان أكثرُ مُقامه به، وعُزِم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عَرضت لي، فكان أكثرُ نشاطي لها من أجله، فوردْتُها، ونظرتُ فيما وردتُ له، ثم سألتُ عنه، ومضيت إليه، فكاد أن يُستطار بي فرحاً، وأقمت بسيحان معه أياماً، وقلت في بعضها وقد اصطبحنا في بستانه:

[٢٠/٢٥٠]

يا مسعدَيّ بسيحانٍ فدَيتكما … حُثّا المدامة في أكناف سيحانا

نَهْر كريم من الفِردوس مَخرجه … بذاك خبّرنا من كان أنبانا

(١) ف: «الوقت».

(٢) س، ب: «رقعة»، تحريف.

لا تحسداني رَواحاً أو مباكرة ... طِيبَ المسير على سيحان أحياناً

بشَطّ سيحان إنسان كلِفت به ... نفسي تقي ذلك الإنسان إنساناً

ريّاه ريحاننا والكأسُ معملة[1] ... لا شيء أطيب من ريّاه ريحانا

حُثّا شَرابكما حتى أرى بكما ... سُكراً فإنّيَ قد أمسيت سكرانا

رَيّا الحبيب وكأسٌ من معتّقه ... يُهيّجان لنفس الصّبّ أشجانا

سَقيا لسيحانَ من نهر ومن وطن ... وساكنيه من السكان مَن كانا

هُم الذين عَقدنا الودّ بينهمُ ... وبيننا وهُمُ في دَير مُرّانا[2]

يدعو ابن أخيه محمداً شعراً إلى مجلس شراب:

أخبرني محمدُ بنُ العباس قال: حدثني عمي عُبَيدالله عن جماعة من أهلنا:

أن إبراهيمَ بنَ أبي محمدٍ اليزيديَّ كان يعاشر أبا غسان، مولى منيرة؛ وكانت له جارية مغنية؛ يقال لها جاني؛ فدعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب، فقال له: لو دعوْت ابنَ أخيك ـ يعني محمدَ بن أبي محمد ـ لنأنس به فكتب إليه إبراهيم.

/ يا أكرمَ الناس طُرّاً ... وأكرم[3] الفتيانِ [٢٠/٢٥١]

بادِرْ إلينا لكيما ... تُسقَى[4] سُلاف الدِّنانِ

على غِناء غزال ... مُهَفْهَفٍ فَتّان

اشرَب على وجه جانٍ ... شرابَك الخُسرَواني[5]

فما لِجانٍ نظيرٌ ... وما لها من مُدان

إلاّ الذي هو فَرد ... وما له من ثان

أعنِي الهلال لِستٍّ ... في شهره وثمان

للناس بَدرٌ منير ... يُرى بكل مكان

وما لنا غيرُ بدر ... لدى أبي غسان

ذِكْراه في كل وقت ... موصولة بلساني

/ سبيتُه وسباني ... فحُبُّه قد براني [٨٩/١٨]

مِن ثم لستَ تَراني ... أصبو إلى إنسان

(١) هد: «معلمة».

(٢) كفر مشرف على كفرطاب قرب المعرة، ودير قرب دمشق على تلّ مشرف على مزارع ورياض حسنة.

(٣) هد، مي: «وأظرف».

(٤) وفي أ، م: نسقى.

(٥) الخسرواني: نوع من الشراب.

يستصلحه بعض إخوانه بعد جفوة فيقول في ذلك شعراً:

أنشدنا أبو عُبيدالله[1] اليزيديُّ عن عمه الفضلِ لإبراهيمَ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ في بعض إخوانه، وقد رأى منه جفوة، ثم عاد واستصلحه، فكتب إليه:

مَـن تـاه واحـدة فتِيـهْ عَشْـرا ... كـي لا يجـوز بنفسـه القـدرا

وإذا زهـا أحـد عليـك فكـن ... أزهـى عليـه ولا تكـن غُمْـرا[2]

أرأيـتَ مَـن لـم تـرجُ منفعـةً ... منـه ولـم تحـذر لـه ضَـرا

[٢٠/٢٥٢] / لـم يُستـذَلّ[3] وتُستـذلّ لـه ... بـل كـن أشـد إذا زهـا كِبـرا

يعربد في مجلس شراب مع المأمون، ثم يعتذر إليه:

حدثني عمي والحسنُ بنُ عليٍّ قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويه قال: حدثني أبي عن جعفرِ بن المأمون قال:

دخل إبراهيم بنُ أبي محمدٍ اليزيديُّ على أبي وهو يشرب، فأمره بالجلوس فجلس، وأمر له بشراب فشرب. وزاد في الشراب فسكر وعَرْبد، فأخذ عليُّ بنُ صالح صاحبُ المصلَّى بيده، فأخرجه، فلما أصبح كتب إلى أبي:

أنـا المـذنـب الخطّـاء والعفـو واسـع ... ولـو لـم يكـن ذنـب لَمَـا عُـرِف العفـو

ثمِلـت فـأبدتْ منّـي الكـأس بعـض مـا ... كـرهـتُ ومـا إن يستـوي السكـر والصحـو

ولـولا حُمَيـا الكـأس كـان احتمـال مـا ... بَـدَهـتُ بـه لا شـك فيـه هـو السَّـرو[4]

ولا سيمـا إذ كنـتُ عنـد خليفـة ... وفـي مجلـس مـا إن يجـوز بـه اللغـو

تنصلـت مـن ذنبـي تنصُّـل ضـارع ... إلـى مـن لـديـه يُغْفَـرُ العمـد والسهـو

فـإن تعـف عنـي تلْيـفِ خطـويَ واسعـاً ... وإلاّ يكـن عفـو فقـد قصـر الخطـو

يحجب عن هارون بن المأمون، فينظم في ذلك شعراً:

حدثني عمي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: جاء إبراهيمُ إلى هارونَ بن المأمون، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة. فلم يصل إليه وحُجب عنه، فكتب إليه:

غلبَـتْ عليكـم هـذه القَـدَرِيَّـة[5] ... فعليكُـم منـي السـلام تحيـة

آتيكـمُ شـوقـاً فـلا ألقـاكـمُ ... وهـمُ لـدَيكـم بُكـرةً وعشيـة

هـٰرونُ قـائـدهـم وقـد حَفَّـتْ بـه ... أشيـاعـه وكفـى بتلـك بليـه

---

(١) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «عبدالله».
(٢) الغمر: الجاهل الذي لم يجرب الأمور.
(٣) كذا في ب، س. أ، م: «يسترك» بمعنى يستضعف، استركه: استضعفه.
(٤) السرو: المروءة في شرف.
(٥) القدرية: جاحدة القدر.

لكـنّ قـائـدَنـا الإمـام ورأينـا ... مـا قـد رآه فنحـن مـأمـونيـه

[٢٠/٢٥٣] / **يكتب شعراً إلى ابن له أحب غلاماً وأحب الغلام غيره:**

أخبرني عمي قال: حدثني الفضلُ قال:

كان لعمي إبراهيمَ ابنٌ يقال له: إسحاق، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي. فلما خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه، وخرج الغلام الذي يألفه في العسكر، وعرف إبراهيم أنه قد صحِب فتى من فتيان العسكر غير ابنه، فكتب عمي إبراهيم إلى ابنه:

قـل لأبـي يعقـوب إن الـذي ... يعـرفـه قـد فعـل الحُـوبـا[1]

كـان محِبـاً لـك فيمـا مضـى ... فـالآن قـد صـادف محبـوبـاً

يـركـب هـذا ذا وذا ذا فمـا ... ينفـك تصعيـداً وتصـويبـاً

فـرأس إسحـاق فـدَينـاه قـد ... أظهـر شيئـاً كـان محجـوبـاً

/ أرى قـرونـاً قـد تَجلّلنـه ... منصـوبـةً شُعَّبـن تشعيبـاً [٩٠/١٨]

أظنـه يعجِـز عـن حملهـا ... إذ رُكّبـت فـي الـرأس تـركيبـاً

يـا رحمتـا لابنـي علـى ضعفـه ... يحمـل منهـن أعـاجيبـا!!

يسأله ابن أخ له مزيداً من العناية به فيجيبه شعراً:

حدثني عمي قال: حدثني فضلٌ اليزيديُّ قال:

كتبتُ إلى عمي إبراهيمَ أستعين به في حاجة لي، وأستزيده من عنايته بأموري، وأطالبه أن يتوفر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه، فكتب إلي:

فـدَيتـك لـو لـم تكـن لـي قـريبـاً ... وكنـت امـرأ أجنبيّـاً غـريبـاً

مـع البـر منـك ومـا يستجـر[2] ... بـه مستخفـاً إليـك اللبيبـا

لمَـا إن جعلـت لخلـق سـوا ... ك مثـلَ نصيبـك منـي نصيبـاً

/ وكنـتَ المقـدّم ممـن أودّ ... وازداد حقـك عنـدي وُجـوبـاً [٢٠/٢٥٤]

تَلطّـفْ لمـا قـد تكلمـت فيـه ... فمـا زلـتَ فـي الحـاج شهمـاً نجيبـاً

وراوض أبـا حسـن إن رأيـ ... ـت واحتـل بـرِفقـك حتـى يجيبـا

فـإن هـو صـار إلـى مـا تـريـد ... وإلاّ استعنـتَ عليـه الحبيبـا

ومـا لا يخـالـف مـا تشتهيـه[3] ... لِتلفِيَـه غيـرَ شـك مجيبـا

---

(١) الحوب: الإثم.

(٢) يستجر: من استجر له بمعنى انقاد، وفي ف: «تستجد».

(٣) ف: «ومن لا يخالف ما أشتهيه».

يـــودك خـــاقـــان وُدّاً عجيبـــا كـــذاك الأديـــب يحـــب[1] الأديبـــا
وأنـــت تكـــافيـــه بـــل قـــد تـــزيـــد[2] عليـــه وتجمـــع فيـــه ضـــروبـــا
تثُيـــب أخـــاك علـــى الـــود منـــه وذو اللـــب يـــأنـــف ألا يثيبـــا
ولا سيمـــا إذ بَـــراه الإلـــه كـــالبـــدر يـــدعـــو إليـــه القلـــوبـــا
يـــرى المُتمنّـــي لـــه رِدْفَـــه كثيبـــاً وأعـــلاه يحكـــي القضيبـــا
وقـــد فـــاق فـــي العلـــم والفهـــم منـــه كمـــا تـــم مِلْحـــاً[3] وحسنـــاً وطيبـــا
ويبلـــغ فيمـــا يقـــولـــون ليـــس يعـــاف إذا نـــاولـــوه القضيبـــا
ولكنـــه وافَـــق الـــزاهـــديـــن فخـــاب وقـــد ظـــن أن لـــن يخيبـــا
وإن ركِـــب المـــرء فيـــه هـــوا ه عـــاث فتطهيـــره أن يشـــوبـــا
إذا زارت الشـــاة ذئبـــاً طبيبـــاً فـــلا تـــأمنَـــنّ علـــى الشـــاة ذيبـــا
وعنـــد الطبيـــب شفـــاء السقيـــم إذا اعتـــلّ يـــومـــاً وجـــاء الطبيبـــا
ولســـتَ تـــرى فـــارســـاً فـــي الأنـــا م إلاّ وَثُـــوبـــا بجيـــد الـــركـــوبـــا

[٢٠/٢٥٥] / شعره وقد زامل المأمون في سفر يحيى بن أكثم ومخنثا:

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديّ قال: حدثني عمي عُبيدالله قال: وحدثني أخي أحمد قال:
زامل المأمونُ في بعض أسفاره بين يحيى بنِ أكثمَ وعبّادةَ المخنَّث، فقال عمي إبراهيم في ذلك:

وحـــاكـــمٍ زامـــلَ عبّـــاده ولـــم يـــزل تلـــك لـــه عـــاده
لـــو جـــاز لـــي حُكـــم لمـــا جـــاز أن يحكـــم فـــي قيمـــةِ لُبّـــاده[4]
كـــم مـــنِ غـــلام عـــزّ فـــي أهلـــه وافـــتْ قفـــاه منـــه سجـــاده

يرمي يحيى بن أكثم باللواط:

وقال في يحيى أيضاً:

٩١/١٨ / وكنـــا نـــرجّـــي أن نـــرى العـــدل ظـــاهـــراً فـــأعقبنَـــا بعـــد الـــرجـــاء قنـــوط
متـــى تصلـــحُ الـــدنيـــا ويصلـــحُ أهلهـــا وقـــاضـــي قضـــاة المسلميـــن يلـــوط!

يتمثل المأمون ببيت من هجائه ليحيى بن أكثم:

وأخبرني عمي حدثنا أبو العيناء قال:

---

(١) ف: «يود».
(٢) ف: «بل لا يزيد».
(٣) ملحا: ملاحة وحسناً.
(٤) لبادة كرمانة: ما يلبس من اللبود للمطر.

نظر المأمون إلى يحيى بنِ أكثَمَ يلحظ خادماً له، فقال للخادم: تعرضْ له إذا قمت؛ فإني سأقوم للوضوء ـ وأمره ألا يبرح ـ وعُدْ إليّ بما يقول لك، وقام المأمون، وأمر يحيى بالجلوس. فلما غَمزه الخادم بعينه، قال يحيى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾(١) فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره، فقال له: عُدْ إليه فقل له: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾(١) فخرج الخادم إليه، فقال له ما أمره به المأمون، فأطرق يحيى وكاد يموت جزعاً، وخرج المأمون وهو يقول:

متى تصلحُ الدنيا ويصلحُ أهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط!

/ قم وانصرف، واتق الله وأصلح نيتك(٢). [٢٠/٢٥٦]

يرتجل في مجلس المأمون بيت ويزيد المأمون بيتاً عليه:

حدثنا اليزيديّ قال: حدثني ابن عمي إسحاق بن إبراهيم بنِ أبي محمد اليزيديّ عن أبيه إبراهيم قال:

كنت عند المأمون يوماً وبحضرته عَريبُ، فقالت لي على سبيل الوَلَع بي: يا سلعوس، وكان جَواري المأمون يلقبنَني بذلك عبثاً، فقلت لها:

قُلْ لعريب لا تكوني مسلَعسه ... وكوني كتزيفِ وكوني كمونسه

فقال المأمون:

فإن كثُرَت منك الأقاويل لم يكن ... هنالك شك أنّ ذا منك وسوسة

قال: فقلت: كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول، وعجبت من ذهن المأمون.

/ وممن غُنّيَ في شعره من ولد أبي محمد اليزيدي [٢٠/٢٥٧]

أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد

فمن ذلك:

صوت

شوقي إليك على الأيام يزداد ... والقلب مُذ غبْت للأحزان معتادُ

يا لهفَ نفسي على دهر فُجعتُ به ... كأنّ أيامه في الحسن أعياد

الشعر لأحمدَ بن محمدِ بنِ أبي محمد، والغناء لِبَحر هزج، وفيه ثاني ثقيل مطلق. ذكر الهِشامي أنه لإسحاق، وما أراه أصاب، ولا هو في جامع إسحاق، ولا يشبه صنعته.

طرف من أخباره:

وكان أحمد راوية لعلم أهله، فاضلاً أديباً، وكان أسنّ ولَد محمدِ بنِ أبي محمد، وكان أخوته جميعاً يأثُرون(٣)

(١ ـ ١) سورة سبأ: ٣١، ٣٢.

(٢) ف: «سريرتك».

(٣) يأثرون: يروون.

علوم جدهم وعمومتِهم عنه، وقد أدرك أبا محمد، وأظن أنه قد رَوى عنه أيضاً، إلاّ أني لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكرى إياه فأحكيَه عنه.

يبيت عند ابن المأمون فيكتب إليه عمه شعراً:

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: حدثني أخي أبو جعفر قال:

كنت عند جعفرِ بنِ المأمون مقيماً، فلما أردت الانصراف منعني، فبتّ عنده، وزارته لما أصبحنا عريبُ في جواريها؛ وبتّ فاحتبسها من غد؛ فاستطبت المقام أيضاً فأقمت، فكتب إليّ عمي إبراهيم بن محمد اليزيديُّ:

شَرَدْتَ يا هذا شُرود البعيرْ ... وطالت الغيبة عند الأميرْ
أقمتَ يومين وليليهما ... وثالثاً تُحبَى ببِرٍّ كثير
/ يومُ عَريبٍ مع إحسانها ... إن طالت الأيامُ يوم قصير
لهَا أغانٍ غيرُ مملولة ... منها ولا تخلُق عند الكرور
غيرُ مَلوم يا أبا جعفر ... أن تؤثرَ اللهو ويومَ السرور
فاجعل لنا منك نصيباً فما ... إن كنتَ عن مجلسنا بالنَّفور
وصِر إلينا غير ما صاغر ... أصارك الرحمن خيرَ المصير
إن لم يكن عندي غِناء ولا ... عُود فعندي القَمر[1] بالنردشير[2]
والذِّكر بالعلم الذي قد مضى ... بأهله حادثُ صَرْفِ الدهور
وهو جديد عندنا نهجه ... أعلامه تحويه منا الصدور
فالحمد لله على كل ما ... أولى وأبلى ولِربِّي الشُّكور

يقترح عليه المعتصم شعراً في غلام وسيم:

حدثنا محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال: حدثني عمي الفضلُ قال: سمعتُ أخي أبا جعفر أحمدَ بنَ محمد يقول:

دخلتُ إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم، فطلَعتْ عليه الشمس، فما رأيت أحسن منها على وجهه، فقال لي: يا أحمد، قل في هذا الخادم شيئاً، وصفْ طلوع الشمس عليه وحسنها، فقلت:

قد طلَعَتْ شمس على شمس ... وطاب لي الهوى مع الأنس
وكنت أَقلِي الشمس فيما مضى ... فصرتُ أشتاق إلى الشمس

من شعره في الرد على اعتذار:

حدثني اليزيديُّ قال: حدثني عمي الفضل قال:

---

(١) قمره: كنصره، غلبه في القمار.

(٢) هو النرد: ويقال له، النردشير باسم واضعه أردشير بن بابك.

[٢٥٨/٢٠] $\frac{92}{18}$

كتب إلى أخي بعض إخوانه ممن كان يألفه ويديم زيارته، ثم انقطع عنه ـ يعتذر إليه من تأخُره عنه، فكتب إليه:

[٢٠/٢٥٩]

/ إنـي امـرؤ أعـذِر إخـوانـي ... فـي تـركهـم بِـرّي وإتيـانـي
لأنـه لا لهـو عنـدي ولا ... لـي اليـومَ جـاهٌ عنـد سلطـان
وأكثـر الإخـوان فـي دهـرنـا ... أصحـاب تمييـز ورُجحـان
فمَـن أتـانـي مُنعمـا مُفْضـلاً ... فشكـرُه عنـديَ شكـرانِ
ومَـن جفـانـي لـم يكـن لـومُـه ... عنـدي ولا تعنيفُـه شـانـي
أعفـو عـن السـيّء مـن فعلِهـم ... وأُتبـع الحسنَـى بـإحسـان
حسْـبُ صـديقـي أنـه واثـق ... منـي بـإسـراري وإعـلانـي

ينشد المأمون شعراً وهو لا يزال غلاماً:

حدثني اليزيديّ قال: حدثني أبي عن عمي من أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمد قال:

دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله ـ وأنا يومئذ غلام ـ فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحاً لي مدحتُه به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلاّ بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبُك ترفعاً، فأنشدته:

يـا مـن شكـوت إليـه مـا ألقـاهُ ... وبـذلـتُ مـن وَجـدي لـه أقصـاهُ
فـأجـابنـي بخـلاف مـا أمّلتُـه ... ولـربمـا مُنـع الحـريـصُ منـاه
أتـرى جميـلاً أن شكـا ذو صَبْـوة ... فهجـرتَـه وغضبـتَ مـن شكـواه
/ يكفيـك صُمـت أو جـواب مـؤيـس ... إن كنـت تكـره وصلـه وهـواه
مـوت المحـب سعـادة إن كـان مَـن ... يهـواه يـزعـم أن ذاك رضـاه

[٩٣/١٨]

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبقـى لنـا الله الإمـامَ وزاده ... عـزاً إلـى العـز الـذي أعطـاه
فـالله مكـرمنـا بـأنـا معشـر ... عُتقـاء مـن نعـم العبـاد سـواه

/ فسرّ بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة، ويحسن العمل.

[٢٠/٢٦٠]

ينشد المأمون شعراً وهو يريد الغزو:

أخبرنا محمدُ بن العباس قال: حدثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال:

دخلتُ يوماً على المأمون بقارا[١]، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه؛ أوله:

(١) كذا بالنسخ، ولم أعثر على موضع بهذا الاسم.

يـا قصـرُ ذا النّخـلات مـن بـارا[(١)] إنـي حللـتُ إليـك مـن قـارا
أبصـرتُ أشجـاراً علـى نهـرَ فـذكـرتُ أشجـاراً وأنهـاراً
لله أيـامٌ نعِمـتُ بهـا بـالقُفْـص[(٢)] أحيانـاً وفـي بـارا
إذ لا أزال أزور غـانيـة ألهـو بهـا وأزور خَمّـارا
لا أستجيـب لِمَـن دعـا لهُـدًى وأجيـب شطّـارا ودُعّـارا
أعصِـي النصيـحَ وكـلّ عـاذلـة وأُطيـع أوتـاراً ومـزمـارا

قال: فغضب المأمون، وقال: أنا في وجه عدو، وأحض الناس على الغزو، وأنت تذكّرهم نزهة بغداد؟ فقلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

فصحـوت بـالمـأمـون عـن سُكْـري ورأيـت خيـر الأمـر مـا اختـارا
ورأيـت طـاعتـه مـؤديـةً لِلفَـرض إعـلانـاً وإسـرارا
فخلعـتُ ثـوب الهـزل عـن عنقـي ورضِيـتُ دارَ الجِـدّ لـي داراً
وظلِلـتُ معتصمـاً بطـاعتـه وجِـواره وكَفـى بـه جـارا
إن حَـلّ أرضـاً فهْـي لـي وطـن وأسيـر عنهـا حيثمـا سـارا

[٢٠/٢٦١] / فقال له يحيى بنُ أكثم: ما أحسنَ ما قال يا أمير المؤمنين! أخبرَ أنه كان في سكر وخَسار، فترك ذلك وارعوَى، وآثر طاعة خليفتِه، وعلم أن الرشد فيها؛ فسكن وأمسك.

يجيز بيتا للمأمون في غلام المعتصم:

حدثني الصوليُّ قال: حدثني محمدُ بنُ يحيى بنِ أبي عباد قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبدالملك الزياتُ عن أبيه قال:

دعا المعتصمَ ذات يوم المأمونُ فجاءه، فأجلسه في بيت على سَقْفِه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم، وكان المعتصم أوجدَ الناس به، ولم يكن في عصره مثله، فصاح المأمون يا أحمدُ بنَ محمد اليزيديّ ـ وكان حاضراً ـ فقال: انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركي، أرأيت أحسن من هذا قط؟ وقد قلت:

قـد طلعـت شمـس علـى شمـس وزالـت الـوحشـة بـالأنـس

أجِزْ يا أحمد، فقلت:

قـد كنـت أشنـا الشمـس فيمـا مضـى فصـرت أشتـاق إلـى الشمـس

(١) في «معجم البلدان»: باري بكسر الراء: قرية من أعمال كلواذ من نواحي بغداد، وكان بها بساتين ومتنزهات، يتصدها أهل البطالة.
(٢) القفص، بالضم ثم بالسكون: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا، قريب من بغداد. وكانت من مواطن اللهو ومعاهد التنزه ومجالس الفرح، ينسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة.

/ قال: وفطِن المعتصم، فعضّ على شفته لأحمد[1]، فقال أحمد للمأمون: والله لئن لم يعلم الحقيقة من أمير ٩٤/١٨ المؤمنين لأقعنّ معه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم. فقال له المأمون: كثر الله في غلمانك[2] مثله، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره.

يعدد المأمون الحقوق التي توجب عليه مراعاته له:

حدثني الصوليّ قال: حدثني عونُ بن محمدٍ قال: حدثني أحمدُ بن محمدٍ اليزيديُّ قال:

كنا بين يدي المأمون، فأنشدتُه مدحاً، فقال: لئن كانت حقوق أصحابي تجِب عليَّ لطاعتهم بأنفسهم فإن أحمد ممن تجب له المراعاة لنفسه وصُحبتِه، ولأبيه وخدمته، وَلجَدِّه / وقديم خدمته وحرمته، وإنه لَلْعَريق في [٢٠/٢٦٢] خدمتنا، فقلت: قد علّمتني يا أمير المؤمنين كيف أقول، ثم تنحيتُ ورجعتُ إليه، فأنشدته:

لـــي بـــالخليفـــة أعظـــم السبـــبِ ... فبِـــه أمنـــتُ بـــوائـــق العَطَـــب

ملِـــك غـــذَتنـــي كفّـــه وأبـــي ... قَبلـــي وجـــدّي كـــان قبـــلَ أبـــي

قـــد خصّنـــي الـــرحمـــن منـــه بمـــا ... أسمـــو بـــه فـــي العجـــم والعـــرب

فضحك، وقال: قد نظمت يا أحمد ما نثرناه.

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة.

[٢٠/٢٦٣]

/ صوت[3]

أفـــي كُـــلِّ يـــوم أنـــت مـــن غُبُـــرِ الهـــوى ... إلـــى الشُّـــمّ مـــن أعـــلام ميـــلاء نـــاظـــر

بعمشـــاء مـــن طـــول البكـــاء كـــأنمـــا ... بهـــا خَـــزَرٌ أو طـــرفُهـــا مُتخـــازرٌ

عروضه من الطويل، والغُبْر: البقية من الشيء، يقال: فلان في غبر من علته. وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه، والشمّ: الطوال، والأعلام جمع علم وهو الجبل، قالت الخنساء:

وإن صخـــراً لتـــأتـــم الهـــداة بـــه ... كـــأنـــه عَلَـــم فـــي رأســـه نـــار

والخزَر: ضيق العين وصغرها، ومنه سمي الخزر بذلك لصغر أعينهم، قال الراجز:

إذا تخـــازرت ومـــا بـــي مـــن خَـــزَرْ ... ثـــم كســـرت الطـــرف مـــن غيـــر عـــورْ

والشعر[4] لرجل من قيس يقال: كعب، ويلقب بالمخبل. والغناء لإبراهيم، ثقيل أول بالوسطى. ومن الناس من يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرمة، ويجعل فيه مية مكان ميلاء، ويقال: إن اللحن لابن المكيّ، وقد نسب إلى غيرهما، والصحيح ما ذكرناه أولاً.

---

(١) ف: «على أحمد».

(٢) ف: «في غلمان غلمانك».

(٣) الصوت وما وليه من نسختي هد، مل، وقد ورد جزء منه في م.

(٤) المراد بالشعر البيتان الواردان في الصوت.

[٢٠/٢٦٤]

/ أخبار المخبل القيسي ونسبه[١]

حبة بنتي عم له:

قال عبدُالله بنُ أبي سعد الوراق ـ فيما أخبرني به حبيبُ بنُ نصر المهَلَّبيّ، إجازة عنه ـ: حدثَني عليُّ بن الصباح بن الفَرات، قال: أخبرني عليُّ بنُ الحسن بنِ أيوب النبيل، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسديّ، قال: كانت عند رجل من قيس يقال له: كعب ـ بنتُ عمٍّ له، وكانت أحبَّ الناسِ إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها، فقال: يا أم عمرو، هل تَرَين أن الله خلق أحسنَ منك؟ قالت: نعم، أختي مَيلاء، هي أحسن مني.

ينكشف حبه فيرحل ولا يدري مكانه:

قال: فإني أُحب أن أنظر إليها، فقالت: إنْ علمَتْ بك لم تخرج إليك، ولكن كن من وراء السِّتر، ففعل، وأرسلَتْ إليها فجاءتها، فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها، فاعترضها فشكا إليها حبَّها، فقالت: والله يا بنَ عمّ، ما وجدتَ من شيء إلاّ وقد وقع لك في قلبي أكثرُ منه. وواعدتَه مرة أخرى، فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان، فرأتهما جالسين، فمضت إلى إخوتها ـ وكانوا سبعة ـ فقالت: إما أن تزوجوا ميلاء كعباً، وإما أن تُكْفوني أمرها. وبلغهما الخبر، ووقف إخوتها على ذلك، فرمَى بنفسه نحو الشام حياء منهم، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز، فلم يدرِ أهلُه ولا بَنُو عمه أين ذهب، فقال كعب:

شعره في أرض الغربة:

أَفِـي كـلِّ يـومٍ أنـتَ مـن لاعـجِ الهـوى ... إلـى الشُّـمِّ مـن أعـلامِ مـيلاء نـاظـرُ

بعَمْشـاء مـن طـولِ البكـاء كـأنمـا ... بهـا خَـزَرٌ أو طـرفهـا متخـازرُ

تَمنَّـى المُنـى حتـى إذا ملَّـت المنـى ... جـرَى واكِـفٌ مـن دمعهـا متبـادرُ

كمـا ارْفـضَّ عنهـا بعـدمـا ضـمّ ضمـةً ... بخيـط الفَتِيـل اللـؤلـؤُ التنـاثـرُ

[٢٠/٢٦٥] / **تدل رواية شعره على مكانه:**

قال: فرواه عنه رجل من أهل الشام، ثم خرج بعد ذلك الشاميّ يريد مكة، فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء، وقد ضل الطريق، فسلم عليهما ثم سألهما عن الطريق، فقالت أم عمرو: يا ميلاء[٢]، صِفي له الطريق، فذكر ـ لما نادت: يا ميلاء ـ شعر كعب هذا، فتمثل به، فعرفَت أم عمرو الشعر، فقالت: يا عبدُالله، من أين أنت؟ قال: رجل من أهل الشام. قالت: مِن أين روَيت هذا الشعر؟ قال: رويته عن أعرابي بالشام، قالت: أو تدري ما اسمه؟ فقال: سمعتُ أنه كعب، فأقسمت عليه: لا تَبرح حتى تعرّف إخوتنا بذلك فنحسن إليك نحن وهم، وقد أنعمتَ

---

(١) هذه الترجمة لم ترد في طبعة بولاق، ووردت في ملحق برنو، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) في س، ب: «ملاء»، وهو تحريف.

علينا. قال: أفعل، وإني لأروي له شعراً آخر، فما أدري أتعرفانه أم لا؟ فقالت: نسألك بالله أسمعتنا، قال: سمعته يقول:

شعر آخر له في أرض الغربة:

خليليَّ قد قِسْتُ الأمور ورُمْتُها ... بِنَفْسي وبالفِتيان كلَّ زمانِ

فلم أُخْفِ سُوءاً للصديق ولم أجِدْ ... خليلاً ولا ذا البَثِّ يستويان

من الناس إنسانان دَيني عليهما ... مليئان[1] لو شاءا لقد قَضَياني

خليليَّ أمّا أُمُّ عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تَسَلاني

بُلينا بهجران ولم أرَ مثلَنا ... من الناس إنسانين يهتجران

أشدَّ مصافاةً وأبعدَ من قِلًى ... وأغْصَى لِواشٍ حين يكتفيان

تحدَّث طرفانا بما في صدورنا ... إذا استعجَمَتْ بالمنطق الشفتان

فوالله ما أدري أكلُّ ذَوي الهوى ... على ما بنا أو نحن مبتَلَيان؟

فلا تَعْجبا مما بيَ اليومَ من هوًى ... فَفِي كلِّ يوم مثلُ ما تريان

خليليَّ عن أيِّ الذي كان بيننا ... من الوصل أم ماضي الهوى تسلان؟

وكنا كَريمَي معشرٍ حُمَّ بيننا ... هوى فحفِظناه بحسن صِيان

/ سلاه بأم العَمْرو مَن هي إذ بَدا ... به سقَم جَمٌّ وطول ضمان[2] [٢٦٦/٢٠]

فما زادنا بُعدُ المدى نَقْضَ مِرّةٍ[3] ... ولا رَجعا مِن عِلْمنا ببيان

خليليَّ لا والله ما ليَ بالذي ... تريدان مِن هجر الحبيبِ يدان

ولا لِيَ بالبين اعتلاءٌ إذا نأت ... كما أنتما بالبين معتليان

يعود به ابن عمه من الشام ويموت غماً:

قال: ونزل الرجل ووضع رحلة حتى جاء إخوتهما، فأخبراهم الخبر، وكانوا مهتمين بكعب، وكان كعب أظرفَهم وأشعرهم، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودَلُّوه على الطريق، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام، فأقبلوا به، حتى إذا كانوا في ناحية ماءِ أهلِهم إذا الناسُ قد اجتمعوا عند البيوت، وكان كعب تَرك بُنيّاً له صغيراً، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء، فقال له كعب: ويحك يا غلام! من أبوك؟ فقال: رجل يقال له: كعب، قال: وعَلَى أيّ شيء قد اجتمع الناس؟ وأحسّ قلبُه بالشرّ. قال: اجتمعوا على خالتي ميلاء. قال: وما قصتها؟ قال: ماتت. فزفر زفرة مات منها مكانَه، فدُفن حِذاء قبرها.

من شعره في الشام:

قال: وقال كعب وهو بالشام:

أحقّاً عبادَ اللهِ أن لستُ ماشياً ... بمرحابَ حتى يُحشَرَ الثقلان

---

(١) المليئان: مثنى المليء، وهو الغني المقتدر، والفعل: ملؤ.

(٢) ضمان: مرض ملازم، يشتد وقتاً بعد وقت، ضمن، بفتح فكسر، فهو ضمن كفرح.

(٣) المرة، بكسر الميم وتشديد الراء: الفتل، وهي أيضاً القوة. أمر الحبل: شد فتله.

ولا لاهِيـاً يـومـاً إلـى الليـل كلّـه ببيـضٍ لطيفـات الخصـور روانـي[(١)]؟
يُمنّيننـا حتـى تَـريـعَ[(٢)] قلـوبنـا ويَخلِطـن مَطْـلا ظـاهـراً بلَيـان
فعينـيّ يـا عينـيّ حتّـام أنتمـا بهجـران أمّ العمـرو تختلجـان؟
أمَـا أنتمـا إلاّ علـيّ طليعـةٌ علـى قُـرْب أعـدائـي كمـا تـريـان
[٢٠/٢٦٧] / فلـو أنّ أم العمـرو أضحَـتْ مقيمـةً بمصـر وجثمـانـي بِشحْـرِ[(٣)] عُمـان
إذا لـرجـوتُ اللهَ يجمـع شملَنـا فـإنّـا علـى مـا كـان ملتقيـان[(٤)]

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

اختلاف الرواة في نسبة صوت من شعره:

مـن النـاس إنسـانـان دَيْنـي عليهمـا مليئـان لـو شـاءا لقـد قضيـانـي
خليلـيّ أمّـا أمّ عمـرو فمنهمـا وأمّـا عـن الأخـرى فـلا تسـلانـي

عروضه من الطويل، الشعر - على ما في هذا الخبر - لِكعب المذكورةِ قصته، ورَوى المفضلُ بنُ سلَمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخَثْعميّ. والغناء لإبراهيم الموصلي، خفيف رمل بالوسطى، ذكره أبو العُبَيْس عنه، وذكر ابن المكي أنه لعَلُّويه. والأبيات التي ذكرنا أن المفضلَ بنَ سلمة وابن أبي طاهر روياها لابن الدُّمينة مع البيتين اللذين فيهما الغناء هي:

مِـن النـاس إنسـانـان دَيْنـي عليهمـا مليئـان لـو شـاءا لقـد قضيـانـي
خليلـيّ أمّـا أمّ عمـرو فمنهمـا وأمّـا عـن الأخـرى فـلا تسـلانـي
مَنُـوعـان ظَـلاّمـان مـا يُنْصفـانني بِـدَلَيهمـا والحُسـنِ قـد خَلَبـانـي
مِـن البيـض نجـلاء العيـون غـذاهمـا نعيـمٌ وعَيـشٌ ضـاربٌ بِجِـران[(٥)]
أفـي كـلّ يـومٍ أنـت رامٍ بـلادَهـا بعَيْنيـن إنسـانـا همـا غَـرِقـان؟
[٢٠/٢٦٨] / إذا اغـرَوْرقـت عينـاي قـال صحـابتـي لقـد أُولعـتْ عينـاك بـالهَمَـلان

وقدرُوي أيضاً أن هذا البيت:

* أفي كلّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها *

---

(١) الرواني، جمع الرانية: الطروب اللاهية مع شغل قلب وغلبه هوى.
(٢) تريع: تفزع.
(٣) الشحر، بفتح أو كسر فسكون: صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان. (معجم ياقوت، والقاموس).
(٤) كذا في هد، وفي ب، س: «ملتقتان».
(٥) الجران من البعير، بوزن كتاب: مقدم عنقه، وعيش ضارب بجران: مستقر ثابت.

لعُروة بنِ حِزَام:

ألا فـاحـمـلانـي بـارك الله فيكمـا ... إلـى حـاضـر الـرَّوحـاء[1] ثـم ذرانـي

أخبرني محمدُ بنُ خلف وكيعٌ، قال: حدثني أبو سعيد القيسي، قال: حدثني سليمان بن عبدالعزيز، قال: حدثني خارجة المالي قال: حدثني مَن رأى عُروةَ بنَ حِزام يطاف به حول البيت، قال: فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الذي أقول:

أفـي كـلِّ يـومٍ أنـت رامٍ بـلادَهـا ... بعَيْنَيْـن إنسـانـاهمـا غَـرِقـان؟

ألا فـاحـمـلانـي بـارك الله فيكمـا ... إلـى حـاضـر الـرَّوحـاء ثـم ذرانـي

فقلت: زدني، قال: لا، ولا حَرْف.

التغني بالصوت المنسوب إليه يهيج الواثق للإيقاع بشخصين:

ويقال: إن الذي هاج الواثقَ على القبض على أحمدَ بنِ الخصيب وسليمان بن وهب أنه غنّى ـ هذا الصوت ـ أعني:

* مِن الناس إنسانان دَيْني عليهما *

فدعا خادماً كان للمعتصم، ثم قال له: أَصْدِقْني وإلاَّ ضربت عنقك. قال: سل يا أمير المؤمنين عما شئت، قال: سمعتُ أبي وقد نَظر إليك يتَمثَّل بهذين البيتين، ويومىء إليك إيماء تعرفه، فمن اللذان عني؟ قال، قال لي: إنه وقف على إقطاع أحمد بنِ الخصيب وسليمان بن وهب ألفَي دينار، وأنه يريد الإيقاع بهما. فكان كلما رآني / يتمثل بهذين البيتين. قال: صدقني والله، والله لا سبقاني بهما[2] كما سبقاه، ثم أوقع بهما. [٢٠/٢٦٩]

وأخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون، قال: نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي، فتمثّل:

* مِـن الـنـاس إنسـانـان دَيْنـي عليهمـا *

وذكَر البيتين، وأشار بقوله:

* خليلـيّ أمّـا أم عمـرو فمنهمـا *

إلى أحمدَ بنِ الخصيب. فلما بلغ هذا سليمانَ بنِ وهب، قال: إنا لله! أحمدُ بن الخصيب والله أمُّ عمرو، وأنا الأخرى. قال: ونكبهما بعد أيام. وقد قيل: إن محمد بن عبدالملك الزيات كان السبب في نكبتهما.

رواية أخرى لسبب إيقاع الواثق بصاحبيه:

أَخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عونُ بنُ محمد الكِنديّ، قال: كانت الخلافة أَيام الواثق تدور على إيتاخ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب، وعلى أَشناس وكاتبه أَحمدَ بنِ الخصيب، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبدالملك الزيات قصيدة، وأَوصلها إلى الواثق على أنها لِبَعض أَهل العسكر، وهي:

---

(١) الروحاء: موضع بين الحرمين، على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

(٢) في س: «بها»، وهو تحريف.

يـا بـنَ الخـلائـفِ والأمـلاكِ إن نُسبـوا ... حُـزْتَ الخـلافـة عـن آبـائـك الأوَلِ

أَجُـرْتَ أم رقَـدتْ عينـاك عـن عَجَـب ... فيـه البـريَّـةُ مِـن خـوف ومـن وَهَـل

ولّيـتَ أربعـةً أمـرَ العبـاد معـاً ... وكلّهـمْ خـاطـبٌ فـي حَبْـل مُحْتبِـل[1]

هـذا سليمـان قـد ملّكـتَ راحتَـه ... مشـارقَ الأرضِ مـن سهـل ومـن جبـل

[٢٠/ ٢٧٠] / ملّكتـه السندَ فـالشّحـريـن مـن عـدَنٍ ... إلـى الجـزيـرة فـالأطـراف مـن مَلَـل[2]

خـلافـةٌ قـد حـواهـا وحـده فمضـت ... أحكـامُـه فـي دمـاء القـوم والنَّفَـلِ[3]

وابـنُ الخصيـب الـذي ملّكـت راحتـه ... خـلافـةَ الشـأم والغَـازيـن[4] والقفـل[5]

فَنِيـل مصـرِ فبحـر الشـأم قـد جـريـا ... بمـا أراد مـن الأمـوال والحُلـل

كـأنهـمْ فـي الـذي قسّمـتَ بينهـمُ ... بنـو الـرشيـد زمـانَ القَسْـمِ لِلـدُّوَل

حَـوى سليمـان مـا كـان الأميـنُ حـوى ... مـن الخـلافـة والتبليـغ لـلأمَـل

وأحمـدُ بـنُ خصيـب فـي إمـارتـه ... كـالقـاسـم بـنِ الـرشيـد الجـامـع السبُـل

أصبحـتَ لا نـاصـحٌ يـأتيـك مستتـرا ... ولا عـلانيـةً خـوفـاً مـن الحِيَـل

سَـلْ بيـتَ مـالِـكَ أيـن المـال تعـرفـه ... وسـل خَـراجَـك عـن أمـوالِـك الجُمَـل[6]

كـم فـي حُبـوسِـك ممّـن لاذنـوب لهـمْ ... أسـرى التكـذُّب فـي الأقيـاد[7] والكَبَـل[8]

سُمِّيـتَ بـاسـمِ الـرشيـدِ المـرتضَى فَبِـه ... قِـسِ الأمـورَ التـي تُنجـي مـن الـزلـل

عِـثْ فيهـمُ مـا عـاشـت يـداه معـاً ... علـى البـرامـكِ بـالتهـديـم للقُلَـل

[٢٠/ ٢٧١] فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه، ونكب سليمانَ بنَ وهب وأحمد بن / الخصيب، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفَ ألفِ دينار، فجعلها في بيت المال، فقال أحمدُ بنُ أبي فَنَن:

نـزلَـتْ بـالخـائنيـن سَنَـة[9] ... سَنَـةٌ للنـاس ممتحِنـة

سـوّغَـت ذا النصـح بغيتـه ... وأزالـت دولـةَ الخـونـه[10]

فتـرَى أهـلَ العفـافِ بهـا ... وهـمُ فـي دولـةٍ حسنـه

---

(١) المحتبل: آخذ الصيد بالحبالة.

(٢) ملل: موضع في طريق مكة بين الحرمين.

(٣) النفل، بالتحريك: الغنيمة.

(٤) الغازين: لعل المراد بهما غاز الكنز، وهو موضع بجبل أبي قبيس، وغاز المعرة بأرض اليمامة، لبني جشم بن الحارث.

(٥) القفل: ثنية تطلع على قرن المنازل حيال الطائف.

(٦) الجمل: جمع جملة، وهي جماعة الشيء.

(٧) الأقياد: جمع القيد، لما يجعل في رجل الدابة وغيرها، فيمسكها.

(٨) الكبل، كسهل: القيد أعظم ما يكون، وحرك الباء إتباعاً، وجمعه كبول وأكبل.

(٩) السنة: الجدب. والمراد هنا المحنة.

(١٠) هذا البيت زيادة من هد.

وتـــرى مَـــن جـــار هِمَّتُـــه أن يُـــؤدّي كـــل مـــا احتجنـــه[١]

وقال إبراهيم بن العباس لابن الزيات:

إيهـا[٢] أبـا جعفـرٍ وللـدهـر كَـرّ راتٌ وعمـا يـريـب متّسـعُ
أرسلـتَ ليثـاً علـى فـرائسـه وأنـت منهـا فـانظـرْ متـى تَقَـع
لكنّـه قُـوتُـه وفيـكَ لـه وقـد تقضّـتْ أقـواتُـه شِبـع

وهي أبيات، وقد كان أحمد بن أبي دواد[٣] حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات وأمر عليّ بنَ الجَهم فقال فيه:

لَعـائِـنُ[٤] الله مُـوَفّـراتِ مُصَبّحـاتٍ ومهجَّـراتِ
عَلَـى ابـنِ عبـدالملِـكِ الـزّيـاتِ عـرّضَ شَمَـل المُلـك للشتَـاتِ
يَـرمِـي الـدواويـن بتَـوقيعـاتِ معقّـداتٍ غيـرِ مفتـوحـاتِ
أشبـه شـيء بُـرقَـي الحَيـاتِ كـأنّها بـالـزيـت مـدهـونـاتِ
/ بعـد ركـوب الطـوف[٥] فـي الفـراتِ وبَعـد بيَـعِ الـزيـت بـالحبـاتِ [٢٠/٢٧٢]
سبحـان مَـن جـلّ عـن الصفـاتِ هـارون يـابـن سيّـد السـاداتِ
أمـا تـرى الأمـور مهمـلاتِ[٦] تشكـو إليـك عـدمَ الكُفـاةِ[٧]

وهي أبيات، فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيات، وقال: لقد صدق، قائل هذا الشعر، ما بقي لنا كاتب. فطرَح نفسه على إسحاق بن إبراهيم، وكانا مجتمعَين على عداوة بن أبي دواد، فقال للواثق: أَمِثلُ ابنِ الزيات ـ مع خدمته وكفايته ـ يُفعل به هذا، وما جنى عليك وما خانك، وإنما دَلّك على خَوَنة أخذتَ ما اختانوه، فهذا ذنبه!.

وبعد، فلا ينبغي لك أن تَعزل أحداً أو تُعِد مكانه جماعةً يقومون مقامه، فَمن لك بمن يقوم مقامه؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له.

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي دواد، فكان يغشاه كثيراً، فقال له بعض كتابه: إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم، وهو يجيئك دائماً، ولا تأمنُ أن يظن الوزير بك ممالأة عليه؛ فعرّفه ذلك، فلما دخل ابن أبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى، فقال: إني والله ما أجيئك متعززاً بك من ذِلة، ولا متكثّراً من قِلّة، ولكن أمير المؤمنين رتّبك رتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنه فلنفسك، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه.

(١) احتجنه: احتواه وضمه إلى نفسه.
(٢) إيها: كلمة استزادة واستنطاق.
(٣) في ب س: «داود»، وهو تحريف.
(٤) اللعائن: جمع اللعينة، وهي الشدة يلعنها كل أحد.
(٥) الطوف: قرب ينفخ فيها، ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح، يركب عليها في الماء ويحمل عليها.
(٦) في س، ب: «مهمولات»، وهو تحريف.
(٧) الكفاة: جمع الكافي، وهو الذي يكفي ويغني عن غيره.

وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها، ليس هذا موضعها، وإنما ذكرنا ها هنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه.

[٢٧٣/٢٠]

صوت

عِشْ فَحُبِّيكَ سريعاً قاتِلي والضَّنى إن لم تصلني واصلي
ظَفِرَ الشوقُ بقلبٍ دَنِفٍ فيك والسُّقْمِ بِجِسْمٍ ناحِلِ
فهُما بينَ اكتئابٍ وضَنًى تركاني كالقضيب الذابِلِ

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسْدُودِ، رمل مطلق في مجرى الوسطى، وذكر جحْظَة أن هذا الرمل أُخِذَ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.



[٢٠/ ٢٧٤]

/ أخبار خالد الكاتب[١]

وطنه وأصله وسبب إصابته بالوسواس:

هو خالدُ بنُ يزيدَ، ويكنى أبا الهَيْثم، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيْش. وَوَسْوسَ في آخر عمره، قيل إن السَّوْدَاء غلبت عليه، وقال قوم: كان يهوَى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها، وولاَّه محمدُ بنُ عبدالملك الإعْطاء في الثغور، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد، ومَغنِّية تغنّي:

مَـن كـان ذَا شجَـنٍ بـالشـام يطلبـه ... ففِي سِوى الشام أمسى الأهـل والشجـنُ

فبكى حتى سَقَط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق مختلِطاً. واتصل ذلك حتى وَسْوَس وبطل.

كيف اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي؟:

وكان اتصل بعليِّ بنِ هشام[٢] وإبراهيم بن المهدي وكان سبب اتصاله بعليّ بن هشام[٢] أنه صحبه في وقت خروجه إلى قمّ، في جملة كتّابِ الإعطاء، فبلغه وهو في طريقه أن خالداً يقول الشعر، فأنِس به وسُرّ به، وأحضره[٣] فأنشده قوله:

يـا تـاركَ الجِسْـمِ بـلا قلـب ... إنْ كنـتُ أهـواكَ فمـا ذَنبـي؟

يـا مُفْـرَداً بـالحسـن أفـردتَنـي ... منـك بطـول الهَجـرِ والعتْـب

إن تَـكُ عَيْنـي أبصـرت فِتْنَـةً ... فهـلْ علـى قلبـيَ مـن عتـب[٤]

حَسِيبُـكَ اللهُ لمـا بِـي كمـا ... أنـك فـي فِعلـك بـي حَسْبـي

/ للمسدود في هذه الأبيات رمل طُنْبوري مطلق من رواية الهشامي، قال: فجعله علي بن هشام في نُدمائه إلى أن قُتل. [٢٠/ ٢٧٥]

كيف اتصل بالمعتصم؟:

ثم صحِب الفضلُ بنُ مَرْوان، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزَة[٥] قبل أن يَبْني سُرّ مَن رأى، فقال خالد:

عـزَم السـرورُ علـى المُقـا ... م بِسُـرَّ مَـنْ را لـلإمـامِ

بَلَـدُ المَسَـرّة والفتـو ... حِ المستنيـراتِ العظـام

وتـراه أشبـهَ منـزِلٍ ... فـي الأرض بـالبلـد الحـرام

فـالله يعمُـرُهُ بمَـن ... أضْحَـى بـه عـزُّ الأنـام

(١) هذه الترجمة لم ترد في بولاق، وتوجد في ملحق برنو، وموضعها هنا على حسب المخطوطات المعتمدة.
(٢) ـ (٢) زيادة من م: هد، يستقيم بها المعنى، وفي «المختار» مكانها: «وذلك».
(٣) في «المختار»: «فأحضره فاستنشده».
(٤) في «المختار»: «ذنب».
(٥) الماحوزة: موضع قرب سامرا.

فاستحسنها الفضلُ بنُ مَرْوان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقَالَ في بناء سُرّ مَن رأى شيء، فكانت أول ما أُنشد في هذا المعنى من الشعر، فتبرَّكَ بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم.

وذكر ذلك كلَّه إسماعيل بن يحيى الكاتب، وذكر اليوسفيّ صاحب الرسائل أن خالداً قال أيضاً في ذلك:

بيَّنَ صَفْوُ الزمان عن كَدرِهْ ... في ضَحِكات الربيع عن زَهَرِهْ
يا سُرَّ مَن رابوركت مِن بَلَدٍ ... بُورك في نَبْته وفي شجره
غَرسُ جُدود الإمام ينبته[1] ... بابَكُ والمازِيارُ من ثمره
فالفتح والنصر ينزلان به ... والخِصب في تُرْبه وفي شجره

فغنى مخارقٌ في هذه الأبيات، فسأله المعتصم: لمن هذا الشعر؟ فقال: لخالد يا أمير المؤمنين، قال: الذي يقول:

[٢٠/٢٧٦] / كيفَ تُرْجَى لذاذةُ الإغتماضِ ... لمريضٍ من العيون المِراضِ!

فقال محمدُ بنُ عبدالملك: نعم يا أمير المؤمنين، هُوَ له، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات، فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم، وبلغ خالداً الخبرُ، فقال لأحمد بن عبدالوهاب صاحب محمد بنِ عبدالملك - وقيل لأبي جعفر - أعزه الله: إذا بلغتُ المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل.

يداخل الشعراء في القصائد. وكان أول صاحب مقطعات:

قال اليوسُفِيّ: ولَمّا قال خالد في صفة سُرّ مَن رأى قصيدته التي يقول فيها:

اسْقِنِي في جرائرٍ[2] وزِقَاقِ ... لتُلاقي[3] السرور يوم التلاقِ
من سُلافٍ كأنَّ في الكأس منه ... عبراتٍ من مقلتَيْ مشتاقِ
في رياضٍ بسُرّ مَن را إلى الكرْ ... خ ودَعْني من سائر الآفاق
بلادُ كَـارَاتِ كل فتح عظيم ... لإمام الهدى أبي إسحاق

وهي قصيدة[4]، لقيه دعبل فقال: يا أبا الهيثم، كنتَ صاحبَ مُقَطعات فداخلْتَ الشعراء في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك، ويوشك أن تتعب بما ما تقولِ وتُغلَب عليه. فقال له خالد: لو عرفتُ النُّصْحَ منك لِغيري لأطعتك في نفسي.

خلافة مع الحلبي الشاعر وهجاؤه إياه:

قال اليوسفيّ: وحدثني أبو الحسن الشهْرَزانيّ: أن خالداً وقع بينه وبين الحلبي الشاعر الذي يقول فيه البحتريّ:

* سل الحلبيّ[5] عن حلب *

---

(١) كذا في ف، وفي س، ب: نكبتها، وهو تحريف.
(٢) جرائر: جمع جرار، وجرار: جمع جرة.
(٣) كذا في ف، وفي س: «التلاقي»، وهو تحريف.
(٤) ت، س: «قصيرة» تحريف.
(٥) كذا في «الديوان»، وفي س، ب: «الحي»، وهو تحريف، وعجز البيت:
وعن تركانه حلبا

[٢٠/٢٧٧] / خلافٌ في معنى شعر، فقال له الحليّ: لا تعدُ طَورَك فأُخرسَك! فقال له خالد: لستَ هناك، ولا فيك موضع للهجاء، ولكن ستعلم أني أجعلك ضُحْكة سُرَّ مَن رأى. وكان الحليّ من أوسخ الناس، فجعل يهجو جُبَّتَهُ وثيابه وطيلسانه، فمن ذلك قوله:

وشـــاعـــرٍ ذي منطـــقٍ رائـــقٍ ... فـــي جبَّـــةٍ كـــالعـــارض البـــارق
قطعـــاءَ شـــلاّءَ[1] رقـــاعِيَّـــة[2] ... دَغْـــرِيَّـــة مـــرقـــوعـــة[3] العـــاتـــق
قـــدَّمهـــا العُـــرْيُ علـــى نفســـه ... لفضلهـــا فـــي القَـــدَر الســـابـــق[4]

وقوله:

وشـــاعـــرٍ مُقْـــدِمٍ لـــه قـــومُ ... ليـــس عليهـــمْ فـــي نصـــرِه لَـــومُ
قـــد ســـاعـــدوه فـــي الجـــوع كلُّهـــمُ ... فَقْـــرَى فكـــلٌّ غـــداؤه الصـــومُ
يـــأتيـــكَ فـــي جُبّـــة مُـــرَقعـــةٍ ... أطـــولُ أعمـــار مثلِهـــا يـــومُ
وطيْلســـانٍ كـــالآل يلبُســـه ... علـــى قميـــصٍ كـــأنـــه غَيْـــمُ
مِـــن حَلَـــب فـــي صميـــم سِفلتِهـــا ... غِنـــاه فقـــرٌ وعـــزُّه ضَيـــم

قال: وقال فيه:

تـــاهَ علـــى ربِّـــه فـــأفقـــرهُ ... حتـــى رآه الغِنَـــى فـــأنكـــرهُ
فصـــار مـــن طـــول حِـــرفَـــةٍ[5] علمـــاً ... يقـــذفـــه الـــرزق حيـــث أبصـــرهُ
يـــا حلبيّـــاً قضـــى الإلـــهُ لـــهَ ... بـــالتِّيـــه والفقـــر حيـــن صـــوَّرهُ
/ لَـــوْ خلطـــوهُ بـــالمســـك[6] وسَخَـــه ... أو طَـــرحُـــوهُ فـــي البحـــر كـــدَّره [٢٠/٢٧٨]

يستنشده إبراهيم بن المهدي شعراً فيجيزه:

حدثني جَحْظَةُ، قال: حدثني خالد الكاتب، قال: دخلتُ على إبراهيم بن المهديّ فاستنشدني، فقلت: أيها الأمير، أنا غلامٌ أقول في شُجونِ نفسي، لا أكاد أمدح ولا أهجو، فقال: ذلك أشدّ لدواعي البَلاء، فأنشدته:

صوت

عـــاتبـــتُ نفســـي فـــي هـــوا ... كَ فلـــم أجِـــدْهـــا تَقْبَـــلُ
وأطعـــتُ داعيَـــا إليـــكَ ولـــم أُطِـــعْ مَـــن يعـــذل

(١) شلاء: وصف من الشلل، وهو أن يصيب الثوب سواد، ولا يذهب بغسله.
(٢) رقاعية: كثيرة الرقاع.
(٣) كذا في ف، هد. وفي ب، س: «مفرقة».
(٤) ورد هذا البيت زيادة من هد.
(٥) الحرفة، بضم الحاء وكسرها: الحرمان، وسوء الحظ.
(٦) ب، س: «الملك» تحريف.

لا والـــذي جعـــل الـــوجـــو ه لحســـن وجهـــك تمثُـــلُ

لا قلـــتُ إن الصبـــرَ عنـ ـــك مـــن التصـــابـــي أجمـــل

لجحظة في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق بالوسطى.

قال: فبكى إبراهيم وصاح: وَأيْ[1] عليك بإبراهيم، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها:

ويبكـــي العـــاذلُ مـــن رَحْمَتـــي فبُكـــائـــي لِبُكـــا العـــاذلِ

وقال إبراهيم: يا رشيق، كم معك من العَيْن؟ قال: سِتمائةٌ وخمسون ديناراً. قال: اقسِمْها بيني وبين الفَتى، واجعل الكَسْر له صحيحاً، فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً، فاشتريت بها منزلي بساباطِ[2] الحسن والحسين، فواراني إلى يومي هذا.

[٢٠/٢٧٩] / **يستوهبه علي بن الجهم بيتاً من شعره:**

حدثني جحظة، قال: حدثني خالد الكاتب قال: قال لي عليّ بن الجهم: هب لي[3] بيتَك الذي تقول فيه:

ليـــتَ مـــا أَصْبَـــحَ مِـــنْ رقّـ ـــة خـــدَّيـــك بقَلْبِـــكْ

فقلت: يا جاهل، هل رأيتَ أحداً يهب ولده.

يتعاطى الهجاء:

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب: لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له، وكان قد باعَدَهُ ولم أعلم، فأنشأ يقول:

ظَعَـــنَ الغـــريـــبُ لغيبـــة الأبَـــد حتـــى المخـــافـــة نـــأتـــيَ البلـــدِ

حيـــرانَ يُـــؤنســـه ويكلـــؤُه يـــومٌ تَـــوَعَّـــدَهُ بشـــرٌ غـــدِ

سنَـــحَ الغُـــرابُ لـــه بـــأنكـــرِ مـــا تغـــدو النحـــوسُ بـــه علـــى أحـــدِ

وابتـــاع أشـــأمـــه بـــأيمنـــه[4] الجَـــدُّ العثـــورُ لـــه يـــداً بيـــدِ

حتـــى يُنيـــخ بـــأرضِ مهلكـــةٍ فـــي حيـــثُ لـــم يـــولـــد ولـــم يَلِـــد

جـــزعـــتْ حليلتُـــهُ عليـــه فمـــا تخلـــو مـــن الـــزفـــرات والكمـــد

نَـــزَلَ الـــزمـــانُ بهـــا فـــأهلكهـــا منـــه وأهـــدى اليُتْـــم للـــولـــد

ظفـــرتْ بـــه الأيـــامُ فـــانحســـرت عنـــه بنـــاقِـــرَةٍ[5] ولـــم تكـــدِ

---

(١) كذا في ف: زاد ألفاً بعد الواو، ورسم عليها سكوناً، كأنه يصور مد الصوت بالكلمة حين صاح بها إبراهيم. وفي «المختار»: «وي»، ومعناها في الموضعين: أعجب، وفي س: «وائي»، وهو تحريف.

(٢) في «المختار»: «بساباط». وفي «معجم البلدان»: ساباط كسرى بالمدائن: موضع معروف.

(٣) في «المختار»: «بالله هب لي».

(٤) كذا في ف، وفي ب، س: «أيمنه بأشأمه»، وهو تخليط.

(٥) الناقرة: الداهية.

فتـــركْــنَ منـــه بعـــد طِيَّتِـــهِ مثـــل الـــذي أبقيْـــن مـــن لُبَـــدِ[1]

قال، فقلت له: يا أبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ في قول الهجاء؟ قال: مذ سالمتُ فحوربت، وصافيت فتوقفت.

[٢٠/٢٨٠] / **شعره في غلام نافس أبا تمام في حبه:**

وقال الرياشي. كان خالد مغرماً بالغلمان المُرْد، يُنفقِ عليهم كلّ ما يُفيد، فَهوِيَ غلاماً يقال له: عبدُالله، وكان أبو تمام الطائي يهواه، فقال فيه خالد:

قضيـــبُ بـــانٍ جنـــاه وردُ تحملـــه وَجْنَـــةٌ وخَـــدُّ

لـــم أثْـــنِ طَـــرْفـــي إليـــه إلاّ مـــات عـــزاءٌ وعـــاش وَجْـــدُ

مُلِّـــكَ طَـــوْعَ النفـــوسِ حتّـــى[2] علّمـــه الـــزهـــوَ حيـــن يبـــدُو

واجتمـــعَ الصـــدُّ فيـــه حتّـــى ليـــس لخَلْـــقٍ سِـــواه صـــدّ

فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها:

شِعْـــرُكَ هـــذا كلُّـــه مفـــرطٌ[3] فـــي بَـــرْدِهِ يـــا خـــالـــدُ البـــاردُ

فعَلِمها[4] الصبيانُ، فلم يزالوا يصيحون به: يا خالد يا بارد حتى وَسْوَس، قال: ومِن الناس من يزعُمُ أن هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمام، وليس الأمر كذلك.

هجاؤه أبا تمام:

[وكان خالد][5] قد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه:

يـــا معشَـــرَ المُـــرْدِ إنـــي نـــاصـــح لكـــمُ والمرءُ فـي القـولِ بيْـن الصدقِ والكـذبِ

لا ينكِحَـــنَّ حبيبـــاً منكـــمُ أحـــدٌ فـــإنّ وجعـــاءَه[6] أعـــدَى مـــن الجـــرَبِ

لا تـــأمنـــوا أن تَحـــوُلـــوا بَعـــدَ ثـــالثـــةٍ فتـــركبـــوا عُمُـــداً ليســـتْ مـــن الخشـــبِ

يستنشده إبراهيم بن المهدي حين بويع ويستمع شعره:

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسن بن إسحاق قال: حدثني خالد الكاتب، قال: لما بويع إبراهيمُ بن المهدي بالخلافة طلبني ـ وقد كان يعرفني ـ وكنت / متصلاً ببعض أسبابه، فَأُدْخِلْتُ إليه فقال: أنشدني [٢٠/٢٨١] يا خالد شيئاً من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إنّ من الشّعر لَحِكماً»، وإنما أمزح وأهزِل، فقال: لا تقل هذا، فإنّ جِدَّ الأدب وهَزْلَه جِدّ، هات أنشدني، فأنشدته:

عِـــش فَحُبِّيـــكَ ســـريعـــاً قـــاتلـــي والضّنـــى إن لـــم تَصِلْنـــي واصلـــي

---

(١) لبد: آخر نسور لقمان. وكانت سبعة، كلما هلك نسر خلفه نسر حتى هلكت كلها.

(٢) في «المختار»: «كيف» تحريف.

(٣) في «المختار»: «مفرط كله».

(٤) في «المختار»، هد: «فعلقها».

(٥) ما بين العلامتين زيادة من المختار تصلح بها العبارة.

(٦) الوجعاء: الدبر.

ظَفِرَ الشوق بقَلْبٍ دَنِفٍ[١] فيك والسُّقم بجسمٍ ناحل

فهُما بين اكتئاب وضنًى تركاني كالقضيب الذابل

قال: فاستملح ذلك ووصلني.

رثى راكباً قصبة والصبيان يصيحون به:

حدثني حمزة بن أبي سلالة الشاعر الكوفيّ، قال دخلْتُ بغداد في بعض السنين فبينا أنا[٢] مارٌّ بِجُنَيْنَة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة، وعلى رأسه قُلَنْسيه[٣] سوداء، وهو راكب قصبةً، والصبيان خلفه يصيحون به: يا خالد يا بارد، فإذا آذَوْهُ حمل عليهم بالقصبة، فلم أزَل أطردهم عنه حتى تفرقوا، وأدخلته بستاناً هناك، فجلس واستراح، واشتريت له رُطَباً فأكل، واستنشدته فأنشدني:

قدْ حازَ قلبي فصار يملِكُهُ فكيف أَسْلو وكيف أتركهُ!

رَطِيبُ جسمٍ كالماء تَحْسَبه يَخْطِر في القلب مِنه مسلكُهُ

يكادُ يجري من القميص من النـ ـعمة لولا القميص يُمسكُهُ

فاستزِدتُه، فقال: لا، ولا حَرْف[٤].

[٢٠/٢٨٢] / **يخلع ثياباً أعطيها على غلام يحبه، ويقول فيه شعراً:**

وذكر عليُّ بنُ الحسينِ بنِ أبي طلحة عن أبي الفضل الكاتب ـ أنه دعا خالداً ذات يوم فأقام عنده. وخلع عليه، فما استقر به المجلس حتى خرج، قال: فأَتْبَعْتُهُ رسولاً ليعرف خبره، فإذا هو قد جاء إلى غلام[٥] كان يحبه، فسأل[٦] عنه فوجده في دار القمار، فَمَضَى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبّله وعانقه وعاد إلينا، فلما جاء خالد أعطيت[٧] الغلامَ الذي وجّهنا[٨] به دنانير ودعاه[٩] فجاء به إلينا، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجَمجم[١٠]، فغمزنا الرسول فأخرجه علينا، فلما رآه خالد بكى ودَهِش، فقلنا له: لا تُرَع، فإن من القصة كَيْتَ وكيت، وإنما أردنا أن نعرفَ خبرَك لا أن نَسوءك، فطابت نفسُه وأجلسَه إلى جنبه، وقال: قد بُليتُ بحبّه وبالخوف عليه مما قد بُلِيَ به من القمار، ثم أنشد لنفسه فيه:

مُحِبٌّ شَفَّه ألَمُهْ وخامَرَ جِسْمَه سَقَمُهْ

وباحَ بما يُجَمْجِمُهُ من الأسرار مكتَتِمُهْ

---

(١) الدنف: الذي يلازمه المرض.

(٢) في «المختار»: «أنا مار إذا».

(٣) في «المختار»: قلنسوة، وهي بضم السين إذا فتحت القاف، وبكسر السين إذا ضمت القاف.

(٤) في «المختار»: «ولا حرفاً».

(٥) في «المختار»: «غلام أمرد».

(٦) كذا في «المختار». وفي ب، س: «فسئل عنه فوجده في دار القمار».

(٧) كذا في «المختار»، وفي س: «فلما جاز خالد أعطاه الغلام»، وهو تحريف.

(٨) في «المختار»: «اعرفنا خبره».

(٩) في «المختار»: «اليجيء بالغلام».

(١٠) جمجم الكلام: لم يبينه.

أمـــا تـــرثـــي لمكتئـــب يُحِبُّـــك لحْمُـــه ودَمُـــهْ
يغـــار علـــى قميصـــك حِيـــنَ تَلْبَســـه ويتّهمـــه

من شعره في الشوق:

وذكر علي بن الحسين أيضاً أن محمد بنَ السرِيّ حدّثه أنه أطال الغَيبة عن بغداد وقد وَسْوَسَ خالد، فَمَرّ به في الرُّصافة والصبيان يصيحون به: يا غلام الشرَيطيّ يا خالد البارد، ويرجع إليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم، قال: فقلت له: كيف أنت يا أبا الهيثم؟ / قال: كما ترى! فقلت له: فَمَنْ تُعاشِر اليوم؟ قال: مَنْ أحذرُه، فعجبت من جوابه مع [٢٠/ ٢٨٣] اختلاله، فقلت له: ما قلتَ بعدي من الشعر؟ قال: ما حفظه الناس وأُنْسيتُه، وعلى ذلك قولي:

كَبِـدٌ شفهـا غليـلُ التصـابـي بيـن عَتْـب وسَخْطَـةٍ وعـذاب[١]
كـلَّ يـوم تَـدْمَـى بجَـرح مـن الشـو ق ونـوع مجـدَّدٍ مـن عـذاب
يـا سقيـمَ الجفـون أسقَمْـتَ جسمـي فـاشفِنـي كيـف شئـت، لا بِـكَ مـا بـي
إنْ أكـنْ مـذنبـاً فكـن حَسَـنَ العفـ ـوِ أو اجعَـلْ سـوى الصُّدُود عقـابـي

ثم قال: يا أبا جعفر، جننت بعدك، فقلت: ما جعلك الله مجنوناً؛ وهذا كلامك لي ونظمك.

حدثني محمدُ بن الطلاس أبو الطيب، قال: حضرتُ جنازة بعضِ جيراني، فلقِيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه، وقلت: أنشدْني، فذهب ليهرُب مني، فغمزتُ على يده غمزة أوجعتْه، فقال: خَلِّ عني أُنْشِدْك، فأرخيت يدي عن يده، فأنشدني:

لَـــمْ تَـــرَعيـــنٌ نَظَـــرَتْ أحســـنَ مـــن منظـــرِهِ
النـــورُ والنُّعمـــة والنَّـ ـعمـــة[٢] فـــي مَخْبـــرِهِ
لا تَصِـــلُ الألســـنُ بـــالـــوصـــف إلـــى أكثـــرِهِ
كَيْـــف بمَـــن تَنْتســـبُ الشمـــس إلـــى جـــوهـــرِهِ!

ينشد شعراً لأبي تمام، ثم ينشد شعراً عارضه به:

حدثني عمّي ـ رحمه الله ـ قال: مَرّ بنا خالد الكاتب ها هنا والصبيان خلفه يصيحون به، فجلس إليَّ فقال: فرّق هؤلاء عني، فقلتُ، وألحّتْ عليه جارية تصيح: يا خالد يا بارد، فقال لها:

/ مُرِّي يا منتنة الكُسّ، ويا من كُسها دُس[٣]. فقلت له: يا أبا الهيثم، أيُّ شيء معنى «دس» ها هنا؟ قال: [٢٠/ ٢٨٤] تشتهي الأيرَ الصغير والكبير والوسط، ولا تكره منها شيئاً وأقْبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد، وهي ترميهم وتهرُبُ منهم حتى غابوا معها عنا، فأقبل عليَّ خالدٌ متمثلاً فقال:

---

(١) في «المختار»، هد: «وعتاب».

(٢) النعمة بفتح النون: اسم من التنعم، وهو: الترفه.

(٣) في «المختار»: «رس»، ولم أعثر على التفسير الذي ذكره خالد اللفظين فيما رجعت إليه من «المعاجم»، والعبارة مثبتة في النسخ على نظام الشعر، وليست منه، ولا لها وزن من أوزانه المعروفة، وهي في «المختار» على هيئة النثر.

وما أنا في أمري[1] ولا في خصومتي بمهتضَم حَقّي ولا قارعٍ سِنّي[2]

فاختَبَنْتُهُ عندي[3] يومي ذلك. فلما شرب وطابت نفسه، أنشده لأبي تمام:

أحْبابَه لِمَ تفعلونَ بِقلبِه ما ليس يَفْعَلُه به أعداؤه؟

مَطَرٌ مِن العَبراتِ خَدِّي أرضُه حتى الصباحِ ومُقْلَتايَ سماؤهُ

نفسي فداءُ محمدٍ ووِقاؤه وكذبتُ، ما في العالَمينَ فداؤه

أزعمتَ أنَّ البدرَ يحكي وجهه والغصن حين يَميدُ فيه ماؤه؟

أسْكتْ[4] فأين بهاؤه[5] وكماله وجماله[6] وحياؤه وضياؤه؟

لا تَقْرَ أسماءَ المَلاحة باطلاً فيمن سِواه فإنها أسماؤه

[٢٠/٢٨٥] / ثم قال: وقد عارضه أبو الهيثم ـ يعني خالداً نفسَه ـ فقال:

فديتُ محمداً من كل سوءٍ[7] يحاذِر في رَواحٍ أو غُدوِّ

أيا قمرَ السماء سَفُلْتَ حتى كأنك قد ضَجِرْتَ من العُلوِّ

رأيتك من حبيبك[8] ذا بِعادٍ ومِمَّن لا يُحِبك ذا دُنُوِّ

وحسْبُك حسْرةً لك من حبيبٍ رأيتَ زمامه بيدَيْ[9] عَدُوِّ

هكذا أخبرني عمي عن خالد، وهذه الأبيات أيضاً تُرْوَى لأبي تمام.

يبعث بشعر إلى صديق له عليل:

وقال ابن أبي طلحة: حدثني الهلاليّ، قال: مررتُ بخالدٍ وحوله جماعة يُنشدهم فقلت له: يا أبا الهيثم، سلَوْتَ عن صديقك[10]؟ قال: لا والله. قلت: فإنه عليل وما عُدتَه، فسكت ساعة ثم رفع رأسه إليَّ، وقال:

زَعَمُوا أنني صحوتُ[11] وكلاّ أُشْهِدُ اللهَ أنني لن أمَلاّ

كيف صبري يا من إذا ازدادتيها أبداً زدتُه خضوعاً وذُلاّ؟

ثم قال: احفظه وأبلغه عني:

---

(١) في «المختار»: «حقي».
(٢) هد، مل: «بمهتضم حقي ولا سالم خصمي».
(٣) في «المختار»: «يومه عندي».
(٤) في «المختار»: «أقصر».
(٥) في «المختار»: «جماله».
(٦) في «المختار»: «بهاؤه».
(٧) كذا في «المختار»، وفي س: «سو»، وهو تحريف.
(٨) في «المختار»: «محبك».
(٩) في «المختار»: «بيد العدو».
(١٠) في «المختار»، هد: «صديقك فلان».
(١١) في «المختار»: «مللت».

بِجِسْمِيَ لا بجسمِك يا عليلُ ... ويكفيني من الألمِ القليلُ
تَعدَّاكَ السَّقام إليَّ إنِّي ... على ما بي لعادِيهِ[1] حَمولُ
إذا ما كنتَ يا أملي صحيحاً ... فحَالفني[2] وبيالَمسكَ النحولُ
/ ألستَ شقيقَ ما ضمَّتْ ضُلوعي ... عَلى أنِّي لِعلَّتِك العليلُ [٢٠/٢٨٦]

من شعره في غلام يحبه:

قال: وحدثني العباس بنُ يحيى أنهم كانوا عند عليِّ بنِ المعتصم، فغُنِّيَ في شعر لخالد، فأَمر باحضاره وطُلِبَ فلم يوجدْ، فوجَّه إليَّ غلام كان يتعشقه فأُحضِر، وسأله عنه فدَلّ عليه، وقال: كنّا نَشرب إلى السحَر، وقد مضى إلى حمام فلان، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي، ودكانُه مألَفٌ للغِلمان المُرْد والمغنين، فبعث إليه فأُحضر، فلما جلس أخرج عليُّ بن المعتصم الغلام؛ وقال: هذا دَلّنا عليك؛ وهو يزعم أنك تعشقُه، فقال له الغلام: نعم أيها الأمير ، لو لم يكن من فضيحته[3] إياي إلاّ أنه إذا لم يوجد أُحْضِرتُ وسئلت[4] عنه، فأقبل عليه خالد وقال:

يا تاركَ الجسم بلا قلبِ ... إن كنتُ أهواك فما ذنبي؟
يا مفرَدا بالحسن أفردْتني ... مِنْك بِطولِ الشوق والحُبِّ
إنْ تَكُ عَيني أبصَرَتْ فتنةً ... فهل على قَلْبيَ من عَتْبِ؟
حَسِيبُكَ الله لمَا بي كما ... أنسك فـي فِعلك بي حَسبي

لجحظة فيه رمل، فاستحْسَنَ عَلِيّ الشعرَ، وأمر له بخمسين ديناراً.

يعتذر إلى غلام أعرض عنه:

قال: حدثني ابن أبي المدوّر أنه شهد خالداً عند عبدالرحيم بن الأزهر الكاتب، وأنه دخل عليهم غلامٌ من أولاد الكتاب، فلما رأى خالداً أعرضَ عنه، فقلت له: لمَ أعرضْتَ عن أبي الهيثم؟ فقال: والله لو علمتُ أنّه ها هنا ما دخلت إليكم، ما يبالي إذا شَرِب هذين القَدحين ما قال ولا مَنْ هَتَك، فقال لي خالد: ألا تُعينني على ظالمي؟ نقلت: بلى والله أعِينُك، فأقبل على الفتى وقال:

/ صوت [٢٠/٢٨٧]

هَبْني أسأتُ فكان ذَنْبي مثلَ ذنب أبي لَهَبْ
فأنا أتوبُ وكم أسأتَ وكم أسأتَ ولم تَتُبْ

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفُه له حتى أقبل عليه وكلّمه وحادثه، فطابت نفسه، وسُرَّ بقيةَ يومه.

---

(١) كذا في «المختار»، ومن معاني العادي: المعتدي. وفي س: «العادته»، وهو تحريف.
(٢) في س: «فخالقني»، وهو تحريف.
(٣) في س: في نصيحة، وهي بادية التحريف.
(٤) في س: «سألت»، وهو تحريف أيضاً.

في هذين البيتين لأبي العُبَيْس خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولرذاذ خفيف رمل مطلق.

شعره في تفاحة معضوضة:

وحدثني عبدُالله بن صالح الطوسيّ أن عليّ بن المعتصم دعا خالداً يوماً وهو يشرَب، وقد أَخرجَتْ إليه وَصِيفَةٌ من وُصَفَاءِ حَظِيَّتِهِ تفَّاحة مَعْضوضة مُغلَّفة بعثت بها إليه ستُّها، فقال:

تفاحةٌ خرجتْ بالدُّر مِن فيها ... أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها

بيضاءُ في حمرة عُلَّتْ بغاليَةٍ ... كأنما قُطِفت من خَدِّ مُهْدِيها

جاءت بها قينةٌ من عند غانية ... رُوحي من السوء والمكروه تَفْديها

لو كنتُ ميْتاً ونادتني بنغمتها ... إذاً لأسرعتُ من لحدي أُلَبِّيها

فاستحسن عليُّ بن المعتصم الأبيات، وغُنِّي فيها، وأمرَ بتختَ[1] ثياب وخمسين ديناراً.



(١) التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

[٢٨٨/٢٠]

/ أخبار المسدود[١]

اسمه وكنيته وموطنه:

المسدود من أهل بغداد، وكان منزلُه في ناحية درب المفضّل، في الموضع المعروف بِخَراب المسدود، منسوب إليه.

وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن، وكنيته أبو عليّ، وأن أباه كان قَصّاباً، وأنه كان مسدودَ فَرْدِ مَنْخِرٍ ومفتوحَ الآخر، وكان يقول: لو كان مَنْخِرِي الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل[٢] الحُلُوم وذوي الألباب، وشَغَلْت مَن سمعه[٣] عن أمر دِينه ودُنياه ومعاشه ومعاده.

أشجى الناس صوتاً وأحضرهم بديهة:

قال جحظة: وكان أشجَى الناس صوتاً وأحضرهم[٤] نادرة، ولم يكتسب أحد من المغنّين بطُنبور ما كسَبه، وكان مع يساره وقلة نفقته يُقرض بالعِينة[٥] وكانت له صنعة عجيبة، أكثرها الأهزاج. قال جحظة: قال لي مُخَارق غلامه: قال لي، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هَزَج:

[٢٨٩/٢٠]

/ صوت

مَــن رَأى العِيــسَ عَلَيْهــا الــرِّحــالُ ... إضَــمٌ[٦] قَصْــدٌ لهَــا أم أُثــالُ[٧]؟

لســتُ أدري حيــث حلُّــواْ ولكــن ... حيثمــا حلُّــوا فثَــمّ الجَمَــالُ

والآخر:

عُــجْ بنــا نَجْــنِ بِطَــرْف العَيــنِ تُفّــاحَ الخُــدودْ ... ونُسَــلِّ القلــبَ عمّــا منــه الكُــدود[٨]

(١) هذه الترجمة لم ترد في بولاق، وهي في ملحق برنو، وموضعها هنا على حسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) في «المختار»: «ذوي الحلوم والآداب»؛ وفي هد: «لأذهلت بغنائي أهل الأرض ودوي الحلوم».

(٣) هد: «وشغلت من يسمعني».

(٤) ب: «وأحذره نادرة».

(٥) كذا في «المختار». وفي س، ف: «بالعنيه»، وهو تحريف. وفي هامش س: «قوله: بالعنيه، لعل الأصل: بالعينة، وهي ضرب من الربا. قال ابن الأثير: وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة، لأن العين هو المال الحاضر من النقد، والمشتري إنما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل إليه معجلة. وقال في «لسان العرب»: والعين والعينة: الربا غير الناجز، أخذ بالعينة وأعطى بها. والعينة: السلف».

(٦) إضم، كعنب: أسفل الوادي الذي به مدينة الرسول، ﷺ.

(٧) أثال، كغراب: اسم لبلدة، ولغيرهما من المسميات.

(٨) هد: «الصدود».

ثم قال: والله لا تركتُ بَعدي من يَهزج. قال جحظة: والله ما كذب!.

ينفيه الواثق إلى عمان:

أخبرني جحظة، قال: كان الواثق قد أذِن لجلسائه ألا يُرِدَّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه[1]، فغنى الواثق يوماً:

نظـرتُ كـأنـي مـن وراء زُجـاجـةٍ ... إلـى الـدارِ مِـن مـاءِ الصبـابـة انظـرُ

وقد كان النبيذ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث[2] إليه المسدود فقال: أنت تنظر أبداً مِن وراء زجاجة، إن كان في عينيك[3] ماء صبابة أو لم يكن، فغضب الواثق من ذلك وكان في عينيه بياض، ثم قال: خذوا بِرجْل العاضّ بَظْر[4] أمه، فسُحب من بين يديه. ثم قال: يُنفَى إلى عُمان الساعة، فنفي من وقته وحَدَر / ومعه المُوَكَّلون[5]. فلما سلّموه إلى صاحب البصرة، سأله أن يقيمُ عنده يوماً ويغَنِّيه، ففعل. [٢٠/ ٢٩٠]

يأبى الغناء لأمير البصرة فيرسله إلى عمان:

فلما جلسوا للشراب ابتدأ فقال: احذروني يا أهل البصرة على حُرَمكم، فقد دخلْتُ إلى بلدكم وأنا أزنَى خلق الله. قال: فقال له الجَمّاز: أما يعني[6] أنه أزنى خلقِ الله أُمّاً، فغضب المسدود، وضرب بطُنبوره الأرض وحلف ألا يغَنّي، فسأله الأمير أن يقيم عنده وأمر بإخراج الجماز وكلِّ من حضر، فأَبى ولجّ فأحدره إلى عُمان.

يشتاقه الواثق فيكتب في إحضاره:

ومكث الواثق[7] لا يسأل عنه سنة، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره، فلما جاءه الرسولُ ووصَل إلى الواثق قبّل الأرض بين يديه، فاعتذر من هفوته وشكر التفضل عليه. فأمره بالجلوس ثم قال له: حدثني بما رأيت بعْدي. فقال: لي حديث ليس في الأرض أظرف[8] منه، وأعاد عليه حديثه بالبصرة. فقال له الواثق: قَبّحك الله ما أجهلك! ويلك! فأنت سُوقةٌ وأنا ملك، وكنتَ صاحياً وكنتُ مُنتَشِياً وبدأتَ القوم فأجابوك، فبلغ بك الغضب ما ذكرتَه وما بدأتك فتُجِيبَني، وبدأتني - من المزح - بِما لا يحتمله النظير لنظيره، ويلك! لا تعاود ممازحة خليفةٍ وإنْ أذِن لك في ذلك، فليس كل أحد يَحضره حلمهُ كما حضرني فيك.

يهجو الواثق في رقعة ويقدمها إليه خطأً:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عَون بن محمد، قال: سمعت حمدون بن إسماعيل يقول: لم يكن في الخلفاء أحد أحلمَ من الواثق، ولا أصبرَ على أذى وخلاف. وكان / يُعجبه غناء أبي حَشيشة [٢٠/ ٢٩١]

(١) في «المختار» و«التجريد»: «ولا عنه».
(٢) في «المختار» و«التجريد»: «فالتفت».
(٣) كذا في «المختار»، وفي س: «عينك»، وهو تحريف.
(٤) البظر: ما بين شفري الفرج.
(٥) كذا في «المختار»، وفي ب: «المؤكلون»، وهو تحريف.
(٦) في «المختار»: «إنه يعني أنه...» وفي «التجريد»: «إنما يعني».
(٧) زيادة من «المختار» يتضح بها الكلام.
(٨) في «المختار»: «أطرف».

الطُّنبوريّ، فوجَد المسدود من ذلك، فكان يَبْلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه[١]. وكان المسدود قد هجاه ببيتين، فكانا معه في رقعة، وفي رقعة أخرى حاجة له[٢] يريد أن يَرْفعها إليه، فغلط بين الرقعتين، فناوله رقعة الشِّعر وهو يَرى أنها رقعة الحاجة، فقرأها وفيها:

مِـــنَ المســدودِ فــي الأنــفِ ... إلــى المَســدود فــي العَيْــنِ
أنـــا طَبْـــلٌ لـــه شِـــقٌّ ... فيـــا طبـــلاً بشِقَّيْـــنِ

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه، فقال للمسدود: خلطت[٣] في الرقعتين، فهات الأخرى وخذ هذه واحترز[٤] من مثل هذا، والله ما زاده على هذا القول.

من أجوبته الموجعة:

أخبرني جحظة، قال: تحدث المسدود في مجلس المنتصر بحديث، فقال له المنتصر: متى كان ذلك؟ قال: ليلة لا ناهٍ ولا زاجر، يُعرِّض له بلَيلةٍ قتل فيها المتوكل[٥]، فأغضى[٦] المنتصر واحتمله.

قال: وقالت الذكورية يوماً بين يدي المعتمد: غنِّ يا مسدود، قال: نعم يا مفتوحة! وقالت له امرأة: كيف آخذ إلى شجرة بابك؟ قال: قُدّامك، أطعمكِ[٧] اللهُ من ثمرها.

قال: وغنى بين يدي المتوكل، فسكّته وقال لبكران الشبري[٨]: تَغَنَّ أنت، فقال المسدود: أنا[٩] أحتاج إلى مستمع، فلم يفهم المتوكل ما قال.

/ وقَدّم إليه طبّاخُ المتوكل طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له: أيّ شيء تشتهي حتى أجيئك به؟ قال: خبزاً، فبلغ [٢٠/٢٩٢] ذلك المتوكل، فأمر بالطباخ فضُرِب مائتي مِقْرعة.

قال جحظة: وحدثني بعض الجلساء أنه لما وَضع الطباخ الرغيفَين بين يديه قال له المسدود: هذا حرز فأين[١٠] النير؟ قال ودعاه بعض الرؤساء[١١] فأهدى له بِرْذَوناً أشهب[١٢]، فارتبطه ليلته، فلما كان من غدٍ نفَق، وبعث إليه يدعوه بعد ذلك، فكتب: أنا لا أمضي إلى من يعرف آجال الدواب، فيهب ما قرُب أجله منها.

قال: واستوهب مِن بعض الرؤساء وبراً، فأعطاه سمّوراً قد قَرِع بعضُه، فردّه وقال: ليس هذا سموراً، هذا أشكر[١٣].

(١) كذا في «المختار». وسقطت (عنه) في س. وفي ف: «فيتجاوز».
(٢) في «المختار» و«التجريد» وف: «لامرأة تريد أن ترفعها».
(٣) في «المختار» و«التجريد»: «غلطت».
(٤) في «المختار» و«التجريد» وف وهد: «واحترس».
(٥) في «التجريد»: «المتوكل وأن ذلك كان بأمره».
(٦) هد: «فأحفظ».
(٧) في ف: «أطعمك من ثمرها».
(٨) في ف: «الشيزي». وفي هد: «لشكران الشاري».
(٩) كذا في ف. وفي ب: «الغناء أحتاج»، وهو تحريف.
(١٠) الحرز: العوذة. والنير: هدب الثوب، والخيوط إذا اجتمعت، وفي ف: «هذا جور، فأين التين»، ولا معنى له.
(١١) كذا في ف. وفي ب، س: «ودعاه بجار حداه أو غيره»، وهو تحريف.
(١٢) الأشهب: الأبيض يتخلل بياضه سواد.
(١٣) أشكر: لعله وصف من شكر النخل: إذا نبت الشكير حول أصوله، وهو فراخه، والشكير أيضاً: الصغير الشعر.

[٢٩٣/٢٠]

/ صوت

أجــدَّكَ مــا تَعْفُــو كُلــومُ مُصيبَــةٍ ... علـى صـاحِـبٍ إلاّ فُجِعـتُ بصـاحِـبِ

تقَطَّــعُ أحشــائـي إذا مــا ذكــرتهــمُ ... وتنهـلّ عينـي بـالـدمـوع السـواكـب

عروضه من الطويل، الشعر لسلمة بن عياش، والغناء لحكم، وله فيه لحنان: رمل بالبنصر، وهزج بالوسطى(١).



(١) كذا في هد، مل. وهو الموافق للترجمة التالية، وورد في ب، س مكانه صوت في ثلاثة أبيات، هي:

كـلانـا يـرى الجـوزاء يـا جمـلِ إذ بـدت ... ونجـم الثـريـا والمـزار بعيـد

فكيـف بكـم يـا جمـل أهـلاً ودونكـم ... بحـور يقمصـن السفيـن وبيـد؟

إذا قالـت قـد حـان القفـول يصـدنـا ... سليمـان عـن أهـوائنـا وسعيـد

الشعر لمسعود بن خرشة المزني، والغناء لبحر. خفيف، ثقيل بالوسطى، عن الهشامي.

[٢٠/٢٩٤]

/ أخبار سلمة بن عياش

ولاؤه وعصره ومن انقطع لمدحه:

سلمة بن عياش مولى بني حِسْل بنِ عامر بن لؤي. شاعرٌ بصريّ مِن مَخْضرَمِي الدولتين، وكان يتديّن ويتصون[١]، وانقطع إلى جعفر ومحمد ابنيْ سليمانَ بنِ علي بنِ عبدُالله بن عباس، ومدَحهما فأكثر وأجاد.

من مدحه:

وممّا مدَحهما به وفيه غناء قوله:

صوت

أرِقْتُ وطالت ليلتي بأبانِ[٢] — لِبرْقٍ سَرى بَعْد الهدوء يَمانِ
يُضيء بأعلام المدينة هُمَّداً — إلى أمجٍ[٣] فالطلح[٤] طلح قنان

غنى في هذين البيتين دحمان، ولَحْنه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، قال: وفيه لحن لعطرّد يقول فيها:

ورَدْتُ خَليجَي جعفرٍ ومحمدٍ — وكلَّ بَديءٍ[٥] من نَداه سقاني
وإني لأرجو جعفراً ومحمداً — لأفضلِ ما يُرجَى له مَلَكان
هُما ابْنا رسولِ الله وابنا ابنِ عمِّه — فقد كَرُم الجَدّان والأبوان

شعر يعزى إليه:

ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله:

[٢٠/٢٩٥]

/ صوت

أَنارٌ بدَتْ وَهْناً[٦] لعينك تُرمِضُ[٧] — ببغداد أم سارٍ من البرق مُومِضُ؟
يضيء سناه مكْفَهِرًّا كأنه — حناتِمُ[٨] سودٌ أو عِشارٌ[٩] تَمَخَّضُ

(١) في «المختار»: «يتصوف، وكان منقطعاً إلى جعفر».
(٢) أبان: جبل عنده نخل وماء.
(٣) أمج: موضع بعينه.
(٤) الطلح: موضع بين المدينة وبدر، وآخر بين اليمامة ومكة.
(٥) البديء: العجيب.
(٦) الوهن من الليل: نحو منتصفه.
(٧) ترمض: تشتعل، من أرمض الشيء: أي أحرقه.
(٨) الحناتم: جمع حنتم، وهي الجرة الخضراء.
(٩) العشار: جمع عشراء، بضم ففتح، وهي: الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر، أو ثمانية.

غنى فيهما عطرّد ثقيلاً أول، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها:

ولَــوْلا انتظــاري جعفــراً ونَــوالَــه ... لَمَـا كــان فــي بغــداد مــا أتبــرّضُ[1]

وقد وَجدتُ هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له، وأظن ذلك الصحيح، لا ما ذكر محمدُ بنُ داود من أنها لسلمة بن عياش.

يرفد الفرزدق ببيت من الشعر حين أجبل في قصيدة:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبة وغيره، قال: قال سلمة بن عياش ـ وذكر محمدُ بن داود، عن عسَل بنِ ذكوان، عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن سلمة بن عياش مولى بني عامر بن لؤيّ ـ قال: دخلت على الفرزدق السجن، وهو محبوس، وقد قال قصيدته:

إنّ الــذي سَمَــك السمــاءَ بَنَــى لنــا ... بَيْتــاً دعــائمُــه أعــزُّ وأطــوَل

[٢٠/٢٩٦] / وقد أُفحِمَ وأَجبل[2]، فقلت له: ألا أرفدك[3]؟ فقلت: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت:

بَيْــتٌ زُرارةُ مُحْتَبِــبٌ بِفِنــائــه ... ومُجــاشِــع وأبُ الفــوارس نَهْشَــل

فاستجاد البيت وغاظه قولي له، فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من قريش، فقال: كل أَيْرِ حمار من قريش! فَمِن أيُّها أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله رَضَعة[4]، جاورتُهم بالمدينة فما أحمدتُهم[5]، فقلت: ألأمُ والله منهم قومُك وأرضع. جاء رسولُ مالكِ بنِ المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بأُذُنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد، ولا نصرك، فقال: قاتلك اللهُ ما أكرَمك[6]! وأخذ البيت، فأدخله في قصيدته.

يتغزل في بربر المغنية، فتوهب له:

أخبرنا وكيع، قال: أخبرني محمدُ بن سعد الكَرّانيّ، قال: حدثنا سهل بنُ محمد، قال: حدثني العُتْبِيّ، قال كان سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان، وجارية تغنّيهم وتَسقيهم يقال لها: بربر، فقال سلمة:

إلــى اللهِ أشكــو مــا أُلاقــي مــنَ القِلَــى ... لأهلــي ومــا لاقيــتُ مــن حُــبِّ بَــرْبــرِ

علــى حيــنَ ودَّعــتُ الصبــابــةَ والصبــا ... وفــارقــتُ أَخْــدانــي وشمَّــرتُ مِئْــزَري

نــأَى جعفــرٌ عنّــا وكــان لمِثْلِهــا ... وأنــتَ لنــا فــي النــائبــاتِ كجعفــر

[٢٠/٢٩٧] قال: فقال محمد بن سليمان لسلمة: خذها، هي لك، فاستحيا وارتدع، وقال: / لا أريدها فألحّ عليه في أخذها، فقال: أَعتِق ما أَمْلِك إن أخذتُها، فقال له أبو سفيان: يا سخين العين، أعتِق ما تَمْلِك وخذها، فهي خير من كلّ ما تملك، فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال:

(١) أتبرض: أتبلغ بالقليل، والتبرض أيضاً: أخذ الشيء قليلاً قليلاً.
(٢) أجبل الشاعر: صعب القول عليه.
(٣) أرفدك، رفده: أعطاه. والمراد: ألا أعينك وأمدك؟.
(٤) رضعة: لئام، جمع راضع. وفي «المختار»، «هد»: وضعة، بالواو.
(٥) ما أحمدتهم: ما صادفت منهم ما يحمدون به.
(٦) هد: «ما أمكرك».

يرثي صديقه أبا سفيان:

لَعَمْـرُكَ لا[1] تعفُـو كلُـومُ مصيبـةٍ ... علـى صـاحـبٍ إلاّ فُجعـتُ بصـاحـبِ
تَقَطَّـعُ أحشـائـي إذا مـا ذكـرتكـم[2] ... وتَنْهـلّ عينـي بالـدمـوع السـواكـبِ
وكنـتُ امـرَاً جلـداً علـى مـا يَنُـوبنـي ... ومعتـرفـاً بـالصبـر عنـد المصـائـب[3]
فهَـدَّ أبـو سفيـان رُكنـي ولـم أكـنْ ... جَـزوعـاً ولا مستنكِـراً للنـوائـب[4]
غَنِينـا مَعـاً بِضْعـاً وستيـن حِجَّـةً ... خَليلَـيْ صفـاءٍ وُدُّنـا غيـرُ كـاذب
فـأصبحـتُ لمّـا حـالـت الأرضُ دونَـه ... علـى قُـرْبِـه مِنّـي كَمـن لـم أصـاحـب

وذَكر محمدُ بن داود عن عسل بن ذَكوان أن محمد بنَ سليمان قال له: اختر ما شئت غيرها، لأن أبا أيوب قد وطئها.

يهزأ بأبي حية النميري فيخرسه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمدُ بن يزيد النحويّ، قال: حُدِّثت من غير وجه عن سلمةَ بنِ عياش أنه قال: قلت لأبي حَيّة النميري أهزأُ به: ويحك يا أبا حية! أتدري ما يقول الناس؟ قال: لا، قلت: يزعمون أني أشعر منك، قال: إنا لله! هلَك والله الناس.

من شعره في بربر:

وفي بَرْبَر هذه يقول سلمة بن عياش، وفيه غناء، وذَكر عمر بن شبة أنه لمطيع ابن إياس:

[٢٠/٢٩٨]

/ صـوت

أظـنُّ الحـبَّ مـن وجْـدي ... سيقتُلُنـي علـى بَـرْبَـرْ
وبَـرْبَـرُ دُرّةُ الغـوا ... صِ مَـنْ يَمْلِكُهـا يُحْبَـرْ
فخـافِـي الله يـا بَـرْبَـرْ ... فقـد أفتَنْـتِ[5] ذا العسكَـرْ
بُحُسْـنِ الـدَّلّ والشكـلِ ... وريـحِ المسـك والعَنْبَـرْ
ووجـهٍ يُشْبِـه البَـدْرَ ... وعينَـيْ جـؤْذُر[6] أحـور

فيه لحكم ثلاثة ألحان: رمَل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات، وهزج عن أبي أيوب المدني.

(١) في «المختار»: «ما تعفو».
(٢) في «المختار»: «ذكرتهم».
(٣) في «المختار»: «النوائب».
(٤) في «المختار»: «المصائب».
(٥) أفتنت: ولهت.
(٦) الجوذر: ولد البقرة الوحشية.

شعر مطيع بن إياس في جارية لبربر بعد ما أعتقت:

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال بَرْبَرُ جارية آلِ سليمان أُعتِقتْ، وكان لها جَوار مغنيات، فيهن جارية اسمها جوهر، وكان في البصرة فتى يُعْرف بالصحّاف، حسن الوجه، فبلغ مطيعَ بنَ إياس أنه بات مع جوهرَ جارية بربرَ، فغاظه ذلك، فقال:

نــاكَ واللهِ جــوهــرَ الصحّــافُ ... وعَليهــا قَميصُهــا الأفــوافُ[1]

شــام[2]فيهــا أيــراً لــه ذا صُــلاع[3] ... لــم يَخُنْــه نَقــص ولا إخطــاف[4]

زعمــوهــا قــالــت وقــد غــاب فيهــا ... قــائمــاً فــي قيــامــه استِحْصــاف[5]

[٢٠/٢٩٩] / وهــو فــي جــارة استهــا يتلظّــى ... وبهــا شهــوة لــه والتهــاف[6]

بَعْــضَ هــذا مهــلاً تــرفــق قليــلاً ... مــا كــذا يــا فتــى تُنــاك الظُّــراف

قال: وقال فيها، وقد وجّهت بجواريها إلى عسكر المهدي:

خــافِــي[7] اللهَ يــا بــرْبــرْ ... فقــد أفســدْتِ ذا العسكــرْ

أَفضْــتِ الفِســقَ فــي النــاسِ ... فصــار الفِسْــقُ لا يُنكــر

ومَــنْ ذا يملِــك النــاسَ ... إذا مــا أقبلَــتْ بَــرْبَــرْ؟

وأَعطــافُ جــواريهــا ... كــريــح المســك والعنبــرْ

وجــوهــرُ دُرّةُ الغــوّا ... صِ مَــنْ يَمْلِكهــا يُحبــرْ

أَلا يــا جــوهــرَ القلْــبِ ... لقــد زِدْتِ علــى الجــوهــر

وقــد أكملــكِ اللهُ ... بحُسْــن الــدلّ والمنظــر

إذا غنّيــتِ يــا أَحسَــنَ خلــقِ اللهِ بــالمِــزهــر[8]

فهــذا حَــزَنــاً يَبْكــي ... وهــذا طــرَبــاً يكفُــر

وهــذا يَشْــربُ الكــأسَ ... وذا مــن فَــرَح ينعِــرَ

ولا واللهِ مــا المهــديّ ... أَوَلــى منــك بــالمنبــر

فمــا عِشْــتِ ففــي كفيــك خَلْــعُ ابــن أَبــي جعفــر

---

(١) ثوب أفواف: رقيق.

(٢) شام السيف: أغمده.

(٣) كذا في ف. وفي ب: «أيراً له أضلاع»، وهو تحريف.

(٤) الأطاف: مصدر أخطفه: أي أخطأه.

(٥) استحصاف: شدة وانتصاب، من استحصف الحبل: أي شد فتله.

(٦) زيادة من هد.

(٧) كذا في جميع النسخ، وفيه خرم، وهو قبيح في الهزج.

(٨) المزهر: العود الذي يضرب عليه.

قال: فبلغ ذلك المهدي، فضحك وأمر لمطيع بصلة، وقال: أَنفق هذا عليها، وسلها ألّا تخلعنا ما عاشت.

[٢٠/٣٠٠] / قال: وفي جوهر يقول مطيع:

جاريةٌ أحسنُ من حَلْيِها ... وفيه فَضْلَ الدُّر والجوهرْ
وجِرمُها أطيبُ من طِيبِها ... والطِّيب فيه المسكُ والعنبرْ
جاءت بها بربرُ مَمْكُورةً[1] ... يا حبذا ما جلَبَتْ بَربرْ

قال: وقال فيها:

أنتِ يا جوهرُ عندي جَوْهَرهْ ... في بياض الدّرة المشتهَره
وإذا غنَّت فنارٌ أُضرِمَتْ ... قَدَحَتْ في كلّ قلب شَرَره

[٢٠/٣٠١] / صوت

يا عمودَ الإسلام خيرَ عمود ... والذي صيغ من حياء وجُودِ
إِن يوماً أراك فيه ليومٌ ... طلعت شَمسُه بسعد السعود[2]

الشعر لأبي العتاهية يمدح محمد الأمين، والغناء لإسحاق، ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وإسحاق.

(١) ممكورة: حسنة امتلاء الساقين.

(٢) كذا في هد، ومل. وهو الموافق للترجمة التالية لأم جعفر أم محمد الأمين، الذي قيل الصوت في مدحه. وورد في (ب) مكان هذا الصوت:

فأما الشنفري فإنه رجل من الأزد، ثم من بني الأوس بن الحجر بن الهنو بن الأزد، ومما يغني فيه من شعره:

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت ... وما ودعت جيرانها إذ تولت
فوا ندما بانت أمامة بعد ما ... طمعت فهجا نعمة قد تولت
وقد أعجبتني لا سقوطاً خمارها ... إذا ما مشت، ولا بذات تلفت

غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

وفي (ب): «ألا»، مكان «أرى»، «ونعمة العيش زلت» مكان «نعمة قد تولت». وما أثبتناه من رواية القصيدة في ترجمة الشاعر في «الأغاني»: ٢١: ٩٠.

[٣٠٢/٢٠]

/ أخبار لأم جعفر(١)

تستنشد أبا العتاهية مدحه للأمين:

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ، قال: حدثنا العلائيّ، قال: حدثني محمد بن أبي العتاهية، قال: لما جَلس الأمينُ في الخلافة أنشده أبو العتاهية:

يا بنَ عمِّ النبيِّ خيرِ البَرِيّة ... إنّما أنتَ رحمةٌ للرّعيّة

يا إمامَ الهدى الأمينَ المصفَّى ... بِلُبَاب الخلافةِ الهاشميه

لك نفسٌ أمّارة لك بالخيـ ... ـر وكفٌّ بالمكرُمات نَديّه

إنّ نفساً تحملَتْ منك ما حُمِّـ ... ـلتَ للمسلمين نفسٌ قَويّة

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له: أنشدني ما أنشدتَ أمير المؤمنين، فأنشدها.

فقالت: أين هذا من مدائحك في المهديّ والرشيد؟ فغضب وقال: إنما أنشدتُ أمير المؤمنين ما يستملح، وأنا القائل فيه:

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ ... والّذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ

والّذي ... ما يُسَلّي ذوي الأحـ ... ـزان عن كلِّ هالكٍ مفقود

إنّ يوماً أراك فيه لَيَوْمٌ ... طلَعت شمسه بسعد السعود

فقالت له: الآن وفيت المديحَ حقه، وأمرَت له بعشرة آلاف درهم.

يستنجز أبو العتاهية ما كانت تجريه عليه:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمدُ بنُ موسى اليزيديّ، قال: حدثني محمدُ بن الفضلُ، قال:

كان المأمون يوجِّه إلى أمّ جعفر زُبَيدةَ في كل سنة بمائة ألف دينار جُدُد وألفِ ألفِ درهم، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم، فأغفلَتْه سنة، فَدفع إليّ رقعة وقال: ضعْها بين يديها فوضعْتها، وكان فيها:

[٣٠٣/٢٠]

/ خبّرُوني أنّ في ضَرْبِ السَّنَة ... جُدُداً بيضاً وصُفْرا حَسَنَة

سِكَكاً(٢) قد أُحْدِثَتْ لم أرها ... مثلَ ما كنت أرى كلّ سَنَة

فقالت: إنا(٣) لله! أغفلناه. فوجّهت إليه بوظيفة على يَدِي.

(١) هذه الترجمة، لم ترد في بولاق، ووردت في ملحق برنو، وموضعها هذا في المخطوطات المعتمدة.
(٢) السكك: جمع سكة، وهي حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم.
(٣) في س: «إن» وهو تحريف.

تطلب أن ينظم أبو العتاهية أبياتاً تعطف عليها المأمون:

حدثني محمد بن موسى، قال، حدثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب، قال: أحسّت زُبَيدة من المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تُعْلمه بذلك، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تَعْطِفه عليها، فقال:

صوت

ألا إنّ ريبَ الدهرِ يُدني ويبعدُ ويؤنس بالالآف طوراً ويفقدُ
أصابتْ لريبِ الدهرِ مني يَدِي يَدِي فسلّمتُ للأقدارِ والله أَحْمَدُ
وقلتُ لِرَيْبِ الدهرِ إنْ ذهبَت يَدٌ فقد بقيت والحمدُ لله لي يَدُ
إذا بَقِي المأمونُ فالرشيدُ لِي ولي جعفرٌ لم يفقَدا ومحمدُ

الغناء لعلّويه.

قال: فحُسن موقع الأبيات منه، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه.

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب.

حدثني هارونُ بنُ مُخارق، قال: حدثني أبي، قال: ظهرَتْ لأم جعفر جَفْوَة من المأمون، فبعثت إليّ بأبيات وأمرتني أن أغني فيها المأمون إذا رأَيته نشيطاً وأسْنَتْ لي الجائزة، وكان كاتبها قال الأبيات، ففعلت، فسألني المأمون عن الخبر فعرّفته، فبكى ورقّ لها، وقام من وقتِه فدخل إليها فأكبّ عليها، وقبلَتْ يديه، وقال لها: / يا [٣٠٤/٢٠] أُمّه، ما جفوتك تعمُّدا، ولكن شُغِلْت عنك بما لا يمكن إغفالُه، فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حَسُنَ رأيك لم يُوحشني شُغلك، وأتمّ يومَه عندها، والأبيات:

ألَا إن ريبَ الدهرِ يُدْني ويُبعدُ ويُؤنس بالألّاف طوراً ويُفْقِدُ

وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول:

ينظم أبو العتاهية شعراً على لسانها للمأمون:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسن بن على الرازي، قال:

حدثني أبو سَهْل الرازقي عن أبيه، قال: عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زُبَيْدة بأمْرِها لمّا قدم المأمون بغداد، أولُه:

لخَيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ عنصُرِ وأفضلِ راقٍ فوق أعواد مِنْبرِ

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتاب السلطان: أن المأمون لمّا قدم مدينة السلام واستقَرّت به الدار، وانتظمت له الأمور، أمرَت أم جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات، وبعثَتْ بها إلى عَلُّويَه، وسألته أن يصنع فيها لحناً، ويغني فيه المأمون ففعل، وكان ذلك مما عطفه عليها، وأمرت لعلويه بعشرين ألفَ درهم. وقد رُوي أن الأبيات التي أولها:

* يا عمودَ الإسلام خيرَ عمود *

لعيسى بن زينب المراكبي.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: حدثنا عليُّ بن نجيح، قال: حدثني صالح بن الرشيد، قال:

كنا عند المأمون يوماً وعقيد المغني وعمرو بن بانةَ يغنيان، وعيسى بن زينب المراكبي حاضر، وكان مشهوراً بالإبنَةِ، فتغنّى عقيد بشعر عيسى:

يــا عمــودَ الإسـلامِ خيـر عمــودِ ... والــذي صيـغ مــن حيـاء وجـودِ

لــك عنـدي فـي كـل يـومٍ جَـديـدٍ ... طُــرْفَـةٌ تستفـاد يـا بـنَ الـرشيـد

[٢٠/٣٠٥] / فقال المأمون لعقيد: أنشد باقي هذا الشعر، فقال: أصونُ سمْعَ أميرِ المؤمنين عنه، فقال: هاته ويحك! فقال:

كنــتُ فـــي مجلــسٍ أنيــق وريْحَــا ... نٍ وراحٍ ومُسْمِعــــــاتٍ وَعُـــــودِ

فتغنَّـــى عمـــرو بـــن بـــانـــةَ إذا ذا ... كَ وهْـــوَ[١] ممســكٌ بـــأيْـــر عقيـــد

يـــا عمـــودَ الإســـلام خيـــرَ عمـــود ... والـــذي صيـــغ مـــن حيـــاءٍ وَجُـــود

فتنفســـتُ ثـــم قلـــت كـــذا كـــلُّ ... محـــبٌ صـــبٌ الفـــؤاد عميـــد

فقال المأمون لعيسى بن زينب: والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفّسك عند قبض عمرو على أير عقيد: لأيِّ شيء هو؟ لاَ بُدّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه، أو عَلَى أن تكون مثله، لَعَنَ الله تنفسَك هذا يا مُريب! قال: وإنما سُمِّيَ المراكبيّ لتوليه[٢] مراكب المنصور، وأمه زينب بنت بشر صاحِب طَاقَاتِ بشر بباب الشام.

[٢٠/٣٠٦] / صوت

لقيـــتُ مـــن الغـــانيـــات العُجَـــابـــا ... لـــو ادرك منـــي العـــذارَى الشبـــابـــا

غـــلامَ يُكحُلـــن حُـــورَ العيـــون ... ويُحْـــدِثْـــن بَعـــد الخضـــابِ الخضـــابـــا

ويُبْـــرِقـــن[٣] إلاّ لمـــا تعلمـــون ... فـــلا تمنعُـــنَّ النســـاء الضـــرابـــا

الشعر لأيمنَ بنِ خُرَيم بنِ فاتك الأسدي، والغناء لإبراهيم الموصليّ، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشامي.

---

(١) تسكين واو «هو» لغة قيس وأسد، وعليها يستقيم وزن البيت. انظر الهمع: ١. ٦١.

(٢) ف: «لأنه ابن عبدالله بن إسماعيل صاحب مراكب المنصور.

(٣) أبرقت المرأة، وبرقت: تزينت.

/ أخبار أيمن بن خريم[1]

[٢٠/٣٠٧]

نسبه وتشيعه:

وأيمنُ بنُ خُرَيم بنِ فاتك الأسدي لأبيه صُحبة برسول الله ـ ﷺ ـ وروايةٌ عنه، وينسب إلى فاتك، وهو جد أبيه. وهو أيمنُ بن خُرَيم بن الأخرمِ بنِ عمرو بنِ فاتك بنِ القليب بنِ عمرو بنِ أسد بنِ خزيمة بن مدركة بن إلياس بـن مضر بنِ نزار. وكان أيمن يتشيع، وكان أبوه أحدَ من اعتزل حربَ الجمَل وصِفِّين وما بعدهما من الأحْداث، فلم يحضرها.

يصف قوته لعبدالملك بن مروان، فيحسده ويتغير عليه:

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرَوَيَة، قال: حدثني النوشجانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديٍّ، عن عبدالله بن عياش، عن مجالد، قال كان عبدالملك شديد الشغف بالنساء، فلما أسنَّ ضُعف عن الجماع وازداد غرامُه بهنّ، فدخل إليه يوماً أيمنُ بنُ خُرَيم قال له: كيف أنت؟ فقال: بخير يا أمير المؤمنين. قال: فكيف قوّتُك؟ قال: كما أُحب، ولله الحمد، إنّي لآكل الجَذَعَة[2] من الضأن بالصاع من البُرّ، وأشرب العُسّ[3] المَملوء[4]، وأرتحلُ البعيرَ الصعب وأُنصِبُه[5]، وأركب المُهر الأرن[6] فأُذلّلُه، وأفترع العذراء، ولا يُقعِدُني[7] عنها الكِبرَ، ولا يمنعني منها الحَصَر[8]، ولا يُرْوِيني منها الغُمَر[9] ولا ينقضي[10] مني الوَطر. فغاظ / عبدالملك قولُه وحسدَه، فمنعه العطاء وحجبه، وقصدَه بما كَرِه حتى أثّر ذلك في حاله، فقالت له امرأته: ويحك! أصْدِقْني عن حالك؟ هل لك جُرْم؟ قال: لا والله، قالت: فأيُّ شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ ما لقيتَه؟ فأخبرها، فقالت: إنا لله! مِن ها هنا أُتيت.

[٢٠/٣٠٨]

تحتال له امرأته فيعود عبدالملك إلى بره:

أنا أحتال لك في ذلك حتى أُزيل ما جرى عليك، فقد حسَدَك الرجلُ على ما وصفتَ به نفسَك، فتهيأتْ ولبستْ ثيابَها ودخلت على عاتكة زوجته، فقالت: أسألك أن تستَعْدِي لي أمير المؤمنين على زوجي، قالت:

---

(١) هذه الترجمة لم ترد في بولاق، وذكرها برنو في الملحق، وموضعها هنا حسب نسخة فيض الله.

(٢) الجذعة من الضأن: الصغيرة منه.

(٣) العس: القدح العظيم.

(٤) في «المختار» و«التجريد»: «المملوء أعبه عبا».

(٥) في «المختار» و«التجريد»: «فأنصبه».

(٦) الأرن: النشيط، والفعل أرن، كفرح.

(٧) في «المختار» و«التجريد»: «لا يقعدني».

(٨) الحصر: عدم اشتهاء النساء، حصر كفرح. وفي «المختار» و«التجريد»: «إلا السحر».

(٩) الغمر، بضم ففتح: القدح الصغير.

(١٠) في ب، س: «ينقص»، وهو تحريف.

ومالَه؟[١] قالت: والله ما أدري أنا مع رجلٍ أو حائطٍ؟ وإنّ له لِسنين[٢] ما يعرف فراشي، فسليه أن يفرّق بيني وبينه، فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرَت[٣] ذلك له، وسألته في أمرها، فوجّه إلى أيمنَ بنِ خريم فحضر، فسأله عما شكت منه فاعترف به، فقال: أو لم أسألكِ عاماً أوّلَ[٤] عن حالك فوصفتَ كَيْتَ وكيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل ليتجمّل عند سلطانه، ويتجلدُ عند[٥] أعدائه بأكثر مما وصفتُ نفسي به، وأنا القائل:

لَقيتُ من الغانيات العُجابا ... لو آدرَكَ مني الغواني الشبابا

ولكنَّ جمعَ النساء الحسان ... عناءٌ شديد إذا المرء شابا[٦]

ولو كِلتَ بالمدِّ للغانيات ... وضاعفْتَ فوق الثياب الثيابا

/ إذا لم تُنِلْهُنّ من ذاك ذاك ... جحدْنك[٧] عند الأمير الكتابا [٢٠/٣٠٩]

يَذُدْنَ بكل عصا ذائدٍ ... ويصبِحْن كلَّ غداة صِعابا

إذا لم يُخالِطْنَ كل الخلاط ... أصبحن مُخْرنْطماتٍ غضابا[٨]

علام يُكحّلن حورَ العيون ... ويُحدِثْنَ بعد الخضاب الخضابا

ويَعرُكن بالمسكِ أجيادَهنّ ... ويُدْنِين عند الحِجال العيابا[٩]

ويُبرِقْن إلا لما تعلمون ... فلا تحرموا الغانيات الضِرابا

قال: فجعل عبدُالملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى[١٠] لك يا بنَ خُرَيم! لقد لقيتَ منهن تَرَحا[١١]، فما ترى أن نصنع فيما بينك وبين زوجتك؟ قال: تستأجلها إلى أجل العِنِّين، وأُداريها لعلي أستطيع إمساكَها، قال: أَفعلَ ذلك، وردَّها إليه، وأمر له بما فات من عطائه، وعاد إلى برّه وتقريبه.

يعتزل عمرو بن سعيد وعبدالعزيز بن مروان في منازعة بينهم ويقول في ذلك شعراً:

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ أبو دلف، قال: حدثنا الرياشيّ، قال: ذكر العُتْبيّ أن منازعةً وقعت بين عمرو بن سعيد وعبدالعزيز بن مروان، فتعصَّب لكل واحد منهما أخوالُه، وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا، وكان أيمنُ بنُ

---

(١) في «المختار»: وما شأنه؟».
(٢) في «المختار»: «ستتين».
(٣) في «المختار»: فأخبرته.
(٤) في «المختار» و«التجريد»: «عام أول».
(٥) كذا في «المختار» و«التجريد»، وفي ب، س: «على»، وهو تحريف.
(٦) رواية ف، و«المختار»:

ترى الشيب جمع النساء الحسا ... ن عيباً شديداً إذا المرء شابا

وفي «التجريد»: «عتبا» مكان «عيبا»، وأراها تحريف «عتبا»، وبقية البيت كما في ف و«المختار».
(٧) في «المختار» و«التجريد»: «بغينك» وسيأتي البيت، وفيه «الكذابا» مكان «الكتابا»، وهي أشبه.
(٨) مخرنطمات: وصف من أخر نطم: إذا رفع أنفه واستكبر وغضب.
(٩) وفي ف: «الحجاب».
(١٠) أولى لك: دعاء عليه أن يناله مكروه، أولى: أفعل من الولي، بفتح فسكون، وهو القرب. والمراد بالعبارة التعجب.
(١١) الترح: الحزن، وفي «المختار»: «برحا»، أي شدة وأذى.

خريم حاضرا للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه، يقال له: ابن كُوز، فعاتبه عبدالعزيز وعمرو جميعاً على ذلك، فقال:

[٢٠/٣١٠]

/ أَأَقْتَـلُ بيـنَ حجّـاج بـن عمـرو ... وبيـن خصيمـه عبـدالعـزيـز

أَنَقتَـلُ[1] ضِلّـةً فـي غيـر شـيء ... ويبْقـى بعـدَنـا أهـلُ الكنـوزِ

لعمـر أَبيـك مـا أُتيـتُ رشـدي ... ولا وُفِّقـتُ للحِـرْز الحـريـز

فـإنـي تـاركٌ لهمـا جميعـاً ... ومعتـزلٌ كمـا اعتـزل ابـنُ كـوز

يهجو يحيى بن الحكم:

أَخبرني عمِّي قال: حدثني الكرانيّ، عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ، قال: أَصاب يحيى بن الحكم جاريةً في غَزاة الصائفة[2]، بها وضح[3]، فقال: أعطوها أَيمنَ بنَ خريم، وكان مُوضحاً، فغضب وأنشأ يقول:

تـركـتُ بنـي مـروان تنـدى أكفُّهـم ... وصـاحبـتُ يحيـى ضلّـة مـن ضلاليـا

فـإنـك لـو أشبهـتَ مـروان لـم تَقُـل ... لقـومـيَ هُجـراً أَنْ أتـوك ولا ليـا

وانصرف عنه، فأتى عبدالعزيز بن مروان، وكان يحيى مُحَمقاً.

يرى عبدالملك مدحه لبني هاشم مثلاً يحتذى:

حدثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عمي الفضل، قال: حدثني مُصْعَب الزبيريّ عن أشياخه أن عبدالملك بن مروان قال: يا معشر الشعراء تُشَبِّهوننا مرة بالأسد الأبخر، ومرة بالجبل الأوعَرِ، ومرة بالبحر الأُجاج، ألاّ قلتم فينا كما قال أيمن بنُ خريم في بني هاشم:

نهـاركُـمُ مكـابـدةٌ وصـومٌ ... ولَيْلُكُـمُ صـلاة واقتـراء[4]

وَلِيتـم بـالقُـران وبـالتـزكّـي ... فـأسـرع فيكـمُ ذاك البـلاء

بكـى نجـدٌ غـداة غـدٍ عليكـم ... ومكـةُ والمـدينـةُ والجِـواء[5]

[٢٠/٣١١]

/ وحـقّ لكـل أرض فـارقـوهـا ... عليكـم لا أبـالكُـم البكـاء

أأجعلكـم وأقـوامـاً سـواءً ... وبينكـمُ وبينهـمُ الهـواء

وهـمْ أرض لأرْجُلكـم وأنتـم ... لأرؤسهـم وأعينهـم سمـاء

شعره وقد أدى عبدالملك عنه دية قتل خطأ:

أخبرني الحسن بن عليّ، عن أحمد بن زهير، عن أبي همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا عبدالله بن إدريس،

(١) أنقتل ضلة. أنقتل عن ضلال وبغي.
(٢) غزاة الصائفة: غزاة الصيف.
(٣) الوضح: البرص، والفعل: وضح، بكسر الضاد.
(٤) اقتراء: قراءة.
(٥) الجواء: اليمامة، واسم لمواضع أخرى.

قال: أَصاب أيمنُ بنُ خُرَيم امرأةً له خطأً ـ يعني قتلها ـ فوداها عبدالملك بن مروان: أَعطى ورثتها ديتها، وكَفَّر عنه كفارة القتل، وأعطاه عِدَّة جوار، ووهب له مالاً، فقال أيمن:

رأَيــتُ الغــوانــيَ شيئــاً عُجــابــا ... لَــوَ آنــسَ مِنّــي الغــوانــي الشبــابــا
ولكــنَّ جمــعَ العــذارى الحســانِ ... عنــاءٌ شــديــد إذا المــرء شــابــا
ولــو كِلــتَ بــالمُــدِّ للغــانيــات ... وضــاعفْــت فــوق الثيــاب ثيــابــا
إذا لــم تُنِلْهــن مِــن ذاك ذاك ... بَغَيْنَــكَ عِنْــد الأميــر الكــذابــا
يَــذُدن بكــل عَصَــا ذائــدٍ ... ويُصبحــن كــل غــداة صعــابــا
إذا لــم يُخَــالَطْــنَ كــلّ الخِــلاط ... تــراهــنّ مُخْــرَنْطِمَــاتٍ عِصَــابــا
عَــلامَ يُكَحَّلْــن حُــورَ العيــون ... ويُحْــدِثْــنَ بعــد الخضــاب الخضــابــا
ويَعــرُكــن بــالمســك أجيــادَهــنّ ... ويــدنيــن عنــد الحِجــال العيــابــا
ويغمِــزن إلاّ لمــا تعلمــون ... فــلا تحــرمــوا الغــانيــات الضِّــرابــا

قال: فبلغني أن عبد الملك أُنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيع أيمَنُ لهنّ.

يستجيد عبد الملك وصفه للنساء:

وأخبرني أحمدُ بنُ عبدالعزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبدالملك لما أنشده هذا الشعر: ما وصفَ النساءَ أحدٌ مثلَ صفتك، [٢٠/٣١٢] / ولا عَرّفهنّ أحد معرفتك. قال: فقال له: لئن كنتُ صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول:

صوت

فــإن تســألــونــي بــالنســاء فــإننــي ... خبيــرٌ بــأدواء النســاء طبيــبُ
إذا شــاب رأسُ المــرءِ أو قــلَّ مــالــه ... فليــس لــه فِــي وُدّهــنّ نصيــب
يُــرِدْنَ ثــراءَ المــال حيــث علمنــه ... وشَــرْخُ الشبــاب عنــدهــن عجيــب

فقال له عبدالملك: قد لعمري صَدَقتما وأحسنتما، الشعر لعَلْقَمَة بن عَبَدة، والغناء لَبِسْبَاسَة، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش. وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شأس[1]. وخبرهُ يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خُرَيم.

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

يفضل عبدالعزيز بن مروان شعر نصيب على شعره، فيلحق ببشر بن مروان:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بنُ شبّة، قال: حدثني المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ،

(١) في هامش س: «قوله: ويسأله إطلاق ابنه شأس، قال في «القاموس»: إنه أخوه، وتابعه على ذلك شارحه. وقال في «لسان العرب»: إنه أخوه، وقال ذلك أيضاً العيني في «شرح الشواهد». وقال ابن الأنباري في المفضليات: إنه أخوه، وقيل: «ابن أخيه».

قال: دخل نُصَيب يوماً إلى[1] عبدالعزيز بنِ مروان، فأنشده قصيدة له امتدَحه بها فأعجبته، وأقبل على أيمن بن خريم فقال: كيف تَرى شِعرَ سولاي هذا؟ قال: هو أشعرُ أهل جِلْدَته[2]. فقال: هو أشعر والله منك. قال أمِنّي أيها الأمير؟.

/ فقال: إي والله، قال: لا والله، ولكنك طِرْفٌ[3] ملول، فقال له: لو كنت كذلك ما صبرْتُ على مؤاكلتِك [٢٠/٣١٣] منذ سنة وبك من البرص ما بك[4]، فقال: ائذن لي أيها الأمير في الانصراف، قال: ذلك إليك، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان، وقال فيه:

ركبتُ من المقطّم في جُمادى ... إلى بشرِ بن مروان البَريدا

ولو أعطاكَ بشرٌ ألفَ ألفٍ ... رأى حقاً عليه أن يزيدا

أميرَ المؤمنين أقِمْ ببِشر ... عمودَ الدين إنّ له عمودا

ودَعْ بشراً يُقوّمهم ويُحدِثْ ... لأهل الزيغ إسلاماً جديداً

وإنّا قد وجدنا أُمّ بشر ... كأُمّ الأُسْد مِذْكاراً وَلُودا

كأنّ التاج تاجَ أبي هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لأعظمِ الأيام عيدا

يُحالف لونُه ديباجَ بشر ... إذا الألوانُ حالفت الخدودا

ـ يُعرض بِنَمَشٍ كان بوجه عبدالعزيز ـ فقبّله بشرُ بن مروان ووصله، ولم يزَل أثيراً عنده.

من مدحه في بشر بن مروان:

أخبرني عمّي، قال: حدثني الكُرانيّ، وأبو العيناء عن العُتْبي، قال: لما أتى أيمنُ بن خريم بشرَ بن مروان نظر الناسَ[5] يدخلون عليه أفواجاً، فقال مَنْ يُؤذن[6] لنا الأمير أو يستأذن[7] لنا عليه؟ قيل له: ليسَ على الأمير حِجابٌ ولا سِتر، فدخل وهو يقول:

يُرَى بارزاً للناس بشرٌ كأنه ... إذا لاح في أثوابه قَمَرٌ بَدْرُ

/ ولو شاء بشرٌ أغلقَ البابَ دونه ... طماطمُ[8] سودٌ أو صقالبةٌ شُقْر [٢٠/٣١٤]

أبىٰ ذا ولكن سهّل الإذنَ للتي ... يكون له في غِبّها الحمد والشكر

فضحك إليه بشر، وقال: إنا[9] قوم نحجُبُ الحُرَمَ، وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

---

(١) في «المختار»: «على».

(٢) في «المختار»: «جلدته فقط، بل هو والله أشعر منك».

(٣) الطرف: الذي لا يثبت على صحبة أحد لملله.

(٤) في «المختار» بعد كلمة «بك»: «وكان به وضح».

(٥) ف: «نظر إلى الناس».

(٦) في «المختار»: «يؤذن بنا».

(٧) في «المختار»: «ويستأذن».

(٨) الطماطم: جمع طمطم، والرجل المطمطم: الذي في لسانه عجمة.

(٩) في «المختار»: فضحك بشر إليه، وقال: يا قوم.

يعير أهل العراق بقلة غنائهم في حرب غزالة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دُلَف، قال: حدثني الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي عن المعتمدِ بن سليمان، قال:

لما طالت الحرب بين غَزَالة وبين أهل العراق وهمْ لا يُغْنُون شيئاً ـ قال أيمنُ بن خريم:

أتينـا بِهِـمْ مـائتـي فـارسٍ ... مـن السـافِكِيـن الحـرامَ العَبِيطـا[1]

وخمسـون مـن مـارقـات النسـا ... ء يَسْحَبْـنَ لِلمُنـدِيـات[2] المُـرُوطـا[3]

وهُـمْ مـائتـا ألـفِ ذي قَـونَـسٍ[4] ... يَئِـطُّ[5] العـراقـان منهـم أطيطـا

رأيـت غـزالـة إن طَـرَّحَـت[6] ... بمكَّـة هَـودَجهـا والغَبيطـا

سَمَـتْ للعـراقيـن فـي جمعهـا ... فـلاقـى العـراقـان منهـا بطيطـا[7]

ألَا يستحِـي اللهَ أهـلُ العِـرا ... قِ إن قَلَّـدُوا الغـانيـات السُّمـوطـا؟

وخيـلُ غـزالَـة تسبِـي النِّسـاء ... وتَحـوي النِّهـابَ[8] وتحـوي النبيطـا[9]

ولـو أنَّ لُـوطـاً أميـرٌ لكـم ... لأسْلَمْتُـمُ فـي المُلِمَّـات لُـوطـا

[٢٠/٣١٥]

صوت

تصـابَيْـتَ أم هـاجـتْ لـك الشـوقَ زينَـبُ ... وكيـف تَصَـابِـي المـرء والـرأسُ أشيـب!

إذا قَـرُبَـتْ زادتْـك شـوقـاً بِقُـرْبِهـا ... وإن جـانبـتَ لـم يُسْلِ عَنهـا التجنّـب

فـلا اليـأسُ إن ألممـتَ يبـدو فتـرعَـوِي ... ولا أنـت مـردود بمـا جئـت تطلـب

وفِـي اليـأسِ لـو يبـدُو لـك اليـأسُ راحـةٌ ... وفـي الأرض عمَّـنْ لا يـؤاتيـك مـذهـب

الشعر لحُجَيَّة بن المضرب الكنديّ، فيما ذكره إسحاق والكوفيون. وذكر الزبير بنُ بَكّار أنه لإسماعيلَ بنِ يسار، وذكر غيرُه أنه لأخيه أحمد بن يسار. والغناء ليونسَ الكاتب، ولحنُه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البِنصِر، وفيه ثقيل أول بالبِنصِر. ذكر حَبَش أنه لمالك، وذكر غيره أنه لمعبد.

---

(١) العبيط: الدم الخالص الطري وفي س: «أتينا بهم مائتي فارس».

(٢) المنديات: المخزيات يندى لها الجبين.

(٣) المروط: جمع مرط، بكسر فسكون، وهو كساء من صوف ونحوه يؤتزر به.

(٤) القونس في الأصل: أعلى بيضة الحديد، والمراد البيضة.

(٥) يئط: يصوت.

(٦) ف: «قد طرحت».

(٧) البطيط: شق الجرح.

(٨) النهاب: جمع نهب، وهو الغنيمة.

(٩) النبيط: النبط، وهم جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين.

[٢٠/٣١٦]

/ أخبار حجية بن المضرب[١]

تجعله عائشة مثلاً في بر صبية لأخيه مات عنهم:

حدثني ابن عمار، قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأمويّ، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق، عن سعيد بن يحيى الأمويّ، قال: حدثني المحبر بن قَحْذم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

لما قدِم القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر وأختُه من مصر ـ وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن عَوَانَةَ، قال: كان القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر يحدث، قال:

لما قَتَلَ معاوية بن حُديج الكنْديّ وعمرو بن العاص أبي ـ يَعْني محمد بن أبي بكر بمصر ـ جاء عمي عبدالرحمن بن أبي بكر فاحتملَني وأختاً لِي من مصر. وقد جمعت الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر، وخبرُه أتَمّ قال.

فقدم بنا المدينة، فبعثَت إلينا عائشة، فاحتملتنا من منزل عبدالرحمن إليها، فما رأيت والدةً قط، ولا والداً أبرَّ منها، فلم نَزَل في حِجرها[٢] حتى إذا كان ذات يوم وقد تَرَعْرَعْنا ألبستنا ثياباً بيضاء، ثم أجلست كل واحد منا[٢] على فخذها، ثم بعثَت إلى عمِّي عبدالرحمن، فلما دخلَ عليها تكلّمَتْ فحمِدت اللهَ ـ عز وجلّ ـ وأثنت عليه. فما رأيت متكلّماً ولا متكلمة قبلَها ولا بعدَها أبلغَ منها، ثم قالت:

يا أخي إني لم أزَلْ أراكَ مُعْرضاً عني منذ قَبضتُ هذين الصبيّيْن منك، ووالله ما قبضتهما تطاولا عليك، ولا تُهمَة لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً، فخشيت أن يَرَى نساؤك منهما ما يتقذرن[٣] به من قبيح أمر الصبيان فكنتُ ألطَفَ لذلك وأحقَّ بولايته، فقدْ قَوِيَا / على [٢٠/٣١٧] أنفسهما وشبا، وعرفا ما يأتيان، فها هما هذان فَضُمَّهما إليكَ، وكن لهما كحجيّة بن المضرب أخي كندة، فإنه كان له أخ يقال له: معدان، فمات وترك أُصَيْبِيَة[٤] صغاراً في حجر أخيه، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عَلَيْهِم، وكان يؤثرهم على صبيانه، فمكث بذلك ما شاء الله. ثم إنه عرض له سفر لم يجد بدّاً من الخروج فيه، فخرجَ وأوصى بهم امرأته، وكانت إحدى بنات عمه، وكان يقال لها: زينب، فقال: اصنَعِي بِبَنِي أخي ما كنت أصنع بهم، ثم مضى لوجهه أشهراً، ثم رجع وقد ساءَتْ حالُ الصبيان وتغيّرت، فقال لامرأته: ويلك! مالي أرى بَنِي معدان مهازيل، وأَرى بَنِيّ سِمَانا؟ قالت: قد كنت أُواسِي بينهم، ولكنَّهم كانوا يعبثون ويلعبون، فخلا بالصبيان فقال: كيف كانت

(١) لم ترد هذه الترجمة في طبعة بولاق، وجاءت في ملحق برنو وموضعها هنا في المخطوطات المعتمدة.

(٢) ـ (٢) زيادة من «التجريد» يتم بها الكلام.

(٣) في ف: «يتقذرنه»، وفي س: «يتقدرن»، وهو تحريف.

(٤) أصيبية: تصغير أصبية، جمع صبي. وفي «التجريد»: «صبية».

زينبُ لكم؟ قالوا: سيّئة، ما كانت تعطينا من القوت إلاّ مِلْءَ هذا القَدَحِ من لبن ـ وأرَوْهُ قدحاً صغيراً ـ فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها، حتى إذا أراح[1] عليه راعيا إبلِه قال لهما: اذهبا، فأنتما وإبلكما لبني معدان. فغضبت من ذلك زينبُ وهجرته، وضربت بينه وبينها حجاباً، فقال: والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً، وقال في ذلك[2]:

شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لِصِغَارِ أخيه:

لجِجْنَا وَلجّت هذه في التغضّب ... ولطُّ[3] الحجابِ بيننا التجنُّبِ

وخطّتْ بفردَيْ إثمِدِ جفنَ عينها ... لتقتلَني وشَدَّ ما حُبُّ زينب

تلومُ على مالٍ شفاني مكانُه ... فَلُومي حياتي ما بدا لك واغضبي

رحِمت بني مَعْدانَ أنْ[4] قلَّ مالُهُمْ ... وحقّ لهم مِني وربِّ المحصَّب[5]

وكان[6] اليتامى لا يَسُدُّ اختلالهم[7] ... هدايا لهم في كل قَعْبٍ مشعّب[8]

فقلت لعبديْنا: أريحا عليهمُ ... سأجعل بَيْتي بيتَ آخرَ مُعْزب[9]

وقلتُ خذوها واعلموا أن عمّكمْ ... هو اليومَ أولى منكمُ بالتكسب

عِيالي[10] أحقُّ أن ينالوا خصاصةً ... وأن يشربوا رَنْقاً إلى حين[11] مكسبي

أُحابي بها من لو قصدتُ لمالِه ... حَرِيباً[12] لآساني على كل موكِب

أخي والذي إن أدْعُه لعظيمةٍ ... يُجِبْني وإن أغضَبْ إلى السيف يَغْضب

إلى ها هنا رواية ابن عمار.

تركته زوجته إلى المدينة وأسلمت فراح يطلبها:

وفي خبر إسحاق قال: فلما بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجتْ حتى أتت المدينة فأسلَمَت، وذلك في ولاية عمر بن الخطاب، فقدِم حجية المدينة فطلب زينب أن تُرَدَّ عليه، وكان نصرانياً، فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته، فقال له: إياك وأنْ يَبْلُغَ هذا عنك عمر فتلْقَى منه أذى.

(١) أراح عليه إبله: ردها عليه رواحاً.
(٢) الشعر في شرح «ديوان الحماسة» بشرح ص ١١٧٦.
(٣) اللط: الستر.
(٤) في «التجريد»: «إذ».
(٥) المحصب: موضع رمي الجمار.
(٦) في «الحماسة»: «رأيت».
(٧) في «الحماسة»: «فقورهم».
(٨) المشعب: المجبور في مواضع منه.
(٩) المعزب: الخالي من الإبل، من أعزبت الإبل: إذا بعدت عن أهلها في المرعى.
(١٠) في «الحماسة»: «بنيَّ».
(١١) في «الحماسة»: «لدى كل مشرب».
(١٢) الحريب: المسلوب المال، حرب، بفتح الراء يحرب، بضمها.

يمدح الزبير بن العوام ويرحل كئيباً بائساً:

وانتشر خبر حُجية وفشا بالمدينة وعُلِم فيم كان مقدَمُه، فبلغ ذلك عمر، فقال للزبير: قد بلغني قصة ضيفك، ولقد هممت به لولا / تحرُّمه[1] بالنزول عليك، فرجع الزبيرُ إلى حُجَيَّةَ فأعلمه قول عمر، قال حجية في ذلك. [٣١٩/٢٠]

إن الزبيرَ بنَ عوّامٍ تداركني ... منه بسيبِ كريمٍ سيبُه عِصَمُ[2]

نفسي فداؤك مأخوذاً بحُجزتها[3] ... إذ شاط[4] لحمي وإذ زلّت بيَ القدم

إذ لا يقومُ بها إلاّ فتى أنِفٌ ... عاري الأشاجع[5] في عِرْنينه[6] شَمَمُ

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده، آيساً من زينب كئيباً حزيناً، فقال في ذلك:

* تصابيتَ أمْ هاجَتْ لك الشوقَ زينبُ *

الأبيات المذكورة فيها الغناء.

[٣٢٠/٢٠]

/ صوت

خليليَّ هُبّا نَصْطَبِحْ بسوادِ ... ونُروِ قُلوباً هامُهُنّ صوادِ

وقولاً لساقينا زيادٍ يُرِقُّها ... فقد هَزَّ بعضَ القومِ سقيُ زيادِ

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر.

(١) تحرمه: احتماؤه.

(٢) عصم: جمع عصمة، وهي المنع والصيانة. وفي ش، ب و«التجريد»: «عمم»، وهو الكثير المجتمع.

(٣) الحجزة: معقد الإزار، وموضع التكة من السراويل.

(٤) شاط لحمي: استبيح قتلي، من شاط دمه: إذا بطل وأهدر.

(٥) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف. أو هي عروق ظاهر الكف.

(٦) العرنين: الأنف كله، أو ما صلب من عظمه.

[٢٠/٣٢١] ١

/ خبر إسحاق مع غلامه زياد

وصف زياد غلام إسحاق:

هذا الشعر[١] يقوله إسحاق في غلام له مملوكٍ خِلاَسيّ[٢]، يقال له: زياد. كان مولّداً من مولّدي المدينة، فصيحاً ظريفاً، فجعله ساقيَه، وذكره هو وغيره في شعره. فمِمَّن ذكره من الشعراء دِعبل، وله يقول:

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السُّكريّ قال: كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدة مواضع، منها قوله:

* وقولاً لِسَاقينا زيادٍ يُرِقّها *

ـ وكان نظيفَ السَّقْي لَبِقاً، فقال فيه دعبل:

يقــول زيــادٌ قِــف بصحبِــك مَــرةً ... على الرَّبع، مالي والوقوفَ على الربْعِ!

صوت

أدِرْهـا عَلـى فَقْـدِ الحبيب فـإنّما ... شـربـتُ علـى نـأيِ الأحبـة والفَجْـع

فمـا بلغَتْنِـي الكـأسُ إلاّ شـربتُهـا ... وإلاّ سَقيتُ الأرضَ كـأسـاً مـن الـدمـع

غنى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبدالله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبِنصر.

نسبة الصوت إلى غير إسحاق:

قال أبو الحسن: وقد قيل: إن هذين البيتين ـ يعني:

* خليليّ هُبّا نصطبِحْ بسواد *

[٢٠/٣٢٢] / ـ للأخطل.

زياد يراجع إسحاق وهو يغني:

أخبرني عليُّ بن سليمان، قال: حدثني أبي، قال:

قال لي جعفر بن معروف الكاتب ـ وكان قد جاوز مائةَ سنة: لقد شهِدتُ إسحاق يوماً في مجلس أُنس وهو يتغنّى هذا الصوت:

* خليليّ هبّا نصطبح بسواد *

---

(١) هذا الخبر مما لم يرد في بولاق، وأوردها برنو في الملحق وموضعه هنا في المخطوطات المعتمدة.

(٢) الخلاسي: الولد من أبوين: أبيض وأسود.

وغلامُه زياد جالسٌ على مِسْوَرة[1] يسقي، وهو يومئذٍ غلام أمرد أصفر، رقيق البدن حلو الوجه. ثم أخذ يراجعه ولا[2] أحد يستطيع يقول له: زدني ولا انقصني.

يعتقه إسحاق ويزوجه:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ، قال: حدثني أحمد بن الهيثم، يعني جدَّ أبي ـ رحمه الله ـ قال:

كنت ذات يوم جالساً في منزلي بِسُرَّ مَن رأى وعندي إخوان لي، وكان طريقُ إسحاق في مُضيِّه إلى دار الخليفة ورجوعِه منها على منزلي، فجاءني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي: إسحاق بن إبراهيم الموصلي بالباب، فقلتُ له: قل له، ويلك! يدخلُ، أَوَفي الخلْقِ أحد يُسْتَأْذَن عليه لإسحاق!.

فذهب الغلام وبادرتُ أسعَى في أثره حتى تلقيته، فدخل وجلس منبسطاً آنساً، فعرضنا عليه ما عندنا، فأجاب إلى الشُّرْبِ، فأحضرناه نبيذاً مشمَّساً فشرب منه، ثم قال: أتحبون أن أغنّيَكم؟ قلنا: إي والله أطال الله بقاءك، إنا نحب ذلك. قال: فلِمَ لم تسألوني؟ قلنا: هِبْنَاك والله، قال: فلا تفعلوا، ثم دعا بِعُود فأحضرْناه، فاندفع فغنانا، فشربنا وطربنا. فلما فرغ قال: أحسنتُ أم لا؟ فقلنا: بلى والله، جعلنا الله فداءك لقد أحسنتَ. قال: فما منعكم أن تقولوا لي: أحسنت!.

/ قلنا: الهَيْبَةُ واللهِ لك، قال: فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون، فإنّ المغنّيَ يُحب أن يقال له: غَنِّ، ويحبّ أن يقال له إذا غنّى: أحسنت، ثم غنانا صوتَه: [٢٠/٣٢٣]

* خليليَّ هُبّا نصطبحْ بسواد *

فقلنا له: يا أبا محمد، مَن هو زياد الذي عنيتَه؟ قال: هو غلامِي الواقف بالباب، ادْعُوه يا غلمان، فأُدْخِلَ إلينا، فإذا غلام خِلاسيّ، قيمته عشرون ديناراً أو نحوُها. فأمسكنا عنه، فقال: أتسألوني عنه فأعرِّفكم إياه ويخرجُ كما دخل، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي؟ أُشهِدكم أنه حرٌّ لوجه الله، وأنّي زوّجته أَمَتِي فلانة، فأعينوه على أمره. قال: فلم يَخرج حتى أوصلْنا إليه عشرين ألفَ درهم، أخرجْناها له من أموالنا.

إسحاق يرثيه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدثني أبي، قال: توفي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه:

* وقولا لِساقينا زيادٍ يُرِقُّها *

فقال إسحاق يرثيه:

فَقَدْنـا زيـاداً بعـد طـول صَحـابـة ... فـلا زال يَسقِـي الغيـثُ قبـرَ زيـاد

ستبكيـك كـأسٌ لـم تجـد مـن يُـديـرُهـا ... وظمـآنُ يستَبْطِـي الـزجـاجـةَ صـاد

يطلب الأمين إسحاق فيغنيه:

أخبرني عمي، قال: حدثني ابن المكي عن أبيه، قال:

---

(١) المسورة: المتكأمن الجلد، ومثلها: المسور.

(٢) كذا في نسخة بيروت، وفي ب، س: «وما أحد»، وهو تحريف.

اصطبح محمد الأمين ذات يوم، وأمر بالتوجيه إلى إسحاق، فوُجِّه إليه عِدَّةُ رسل، كلهم لا يصادفه، حتى جاء أحدهم به، فدخل منتشياً ومحمد مغضب. فقال له: أين كنت ويلك! قال: أصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطاً، فركبت إلى بعض المتنزهات، فاستطبْت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد، فذكرْتُ أبياتاً للأخطل وهو يسقيني، فدار لي فيها لَحْنٌ حسن فصنعته فيها، وقد جئتك به. فتبسّم، ثم قال: هات، فما تزال تأتي بما يُرْضِي عنك عند السخط، فغناه:

[٢٠/٣٢٤]

/ صوت

إذا مـــا زيـــادٌ علنـــي ثـــم علّنـــي	ثـــلاثَ زجـــاجـــات لهـــنّ هَـــدِيـــرُ
خـــرجْـــت أَجُـــرُّ الـــذيـــل زهـــواً كـــأننـــي	عليـــك أميـــرَ المـــؤمنيـــن أميـــر

قال: بل على أبيك، قَبّح الله فِعلك، فما يزال إحسانُك في غنائك يمحو إساءتك في فِعلك، وأمر له بألف دينار.

الشعرُ في هذين البيتين للأخطل، والغناء لإسحاق، رمل بالبنصر. ورواية شعر الأخطل:

* إذا ما نديمي عَلّني ثم علّني *

وإنما غيَّره إسحاق فقال: «إذا ما زياد».

أخبرني عليُّ بنُ سليمان عن محمد بن يزيد النحويّ:

أن عبدَالملك بنَ مروان قال للأخطل: ما يدعوك إلى الخمر؟ فوالله إن أولها لَمُرّ، وإنّ آخرها لَسُكر! قال: أجل، ولكن بينهما حالة، ما مُلْكُك عندها بشيء، وقد قلت في ذلك:

إذا مـــا نَـــدِيمِـــي عَلّنِـــي ثـــم عَلّنـــي	ثـــلاثَ زجـــاجـــات لهـــنّ هَـــدِيـــرُ
خـــرجْـــتُ أجُـــرُّ الـــذيـــل زهـــواً كـــأننـــي	عليـــكَ أميـــرَ المـــؤمنيـــن أميـــر

قال: فجعل عبدالملك يضحك.

[٢٠/٣٢٥]

/ صوت

أشـــارتْ بِطَـــرْفِ العيـــن خِيفـــةَ أهلِهـــا	إشـــارةَ مخـــزونٍ ولـــم تتكلـــمِ
فـــأيقنْـــت أن الطـــرف قـــد قـــال مَـــرْحَبـــاً	وأهـــلاً وسهـــلاً بـــالحبيـــبِ المسلِّـــم
هنيئـــاً لكـــم حُبِّـــي وصَفْـــوُ مَـــوَدّتـــي	فقـــد سِيـــطَ مِـــن لَحْمـــي هَـــواكِ ومـــن دَمِـــي(١)

الشعر لعمرَ بن أبي ربيعة، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر. ويقال: إنه لابن سُرَيج، وقيل: إن الثقيل الأول لابن عائشة، والثقيل الثاني لابن سريج، وفيه خفيف ثقيل أول، ينسب إلى ابن سريج وإلى علي بـن الجواريّ.

---

(١) سيط: خلط.

/ خبر لحبابة مع ابن عائشة[١]

[٢٠/٣٢٦]

تشتاق حبابة إلى ابن عائشة فتحتال لتسمع غناءه:

أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي الأزهر، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن المدائنيّ، قال:

كانت حبابة جارية يزيد بن عبدالملك مُعْجَبَةً بغناء ابن عائشة، وكان ابن عائشة حديث السن، فلما طال عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه، فلم تَدْر كيف تصنع، فاختلفت هي وسلاّمةُ في صوت لمعبَد، فأمر يزيد بإحضاره ووجّه في ذلك رسولاً، فبعثَت حبابة إلى الرسول سرّاً فأمرَته أن يأتي ابنَ عائشة وأميرَ المدينة في خفاءَ، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سرّاً، وقالت: قل لهما يَسْتُرَان ذلك عن أمير المؤمنين.

فلما قدِم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة، فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد، وقال لمعبد: انظر ما تأمرك به حبَابة فانتِبه إليه، فقال: نعم، فخرجا حتى قدما على يزيد، وبلغ الخبرُ حبَابة فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة. فلما حضر معبد حاكمت سَلاّمَةَ إليه، فحكم لها، فاندفعت فغنت صوتاً لابن عائشة، وفيه لابن سُرَيج لحن، ولحنُ ابن عائشة أشهرهما، وهو:

* أشارت بِطَرْف العين خيفةَ أهلها *

فقال يزيد: يا حبيبتي؛ أنّي لكِ هذا ولم أسمعه منك، وهو على غاية الحسن؟ إنّ لهذا لَشأناً، فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا لحن كنت أخذتُه عن ابن عائشة، قال: ذلك الصبي! قالت: نعم، وهذا أستاذُه ـ وأشارت بيدها إلى معبد ـ فقال لمعبد: أهذا لحن ابن عائشة أو انتحلَه؟ فقال معبَد: هذا ـ أصلح الله الأمير ـ له، فقال يزيد: لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه، فقال معبد: هو والله مَعِي لا يفارقني، فقال يزيد: / ويلك يا معبد! احتملنا الساعة أمرَكَ، فزدتنا ما كرهنا، ثم قال لحبابة: هذا والله عملُك، قالت: أجل يا سيدي، قال لها: هذه الشامُ، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة. قالت: يا سيدي أنا والله أُحب أن أسمعَ من ابن عائشة، فأُحْضِرَ، فلما دخل قال له: هات صوتاً غنتهُ حبَابة:

[٢٠/٣٢٧]

* أشارت بطرف العين خيفة أهلها *

فغنّاه، فقال: هو والله يا حبَابة مِنه أحسنُ منك، قالت: أجل يا سيدي، ثم قال يزيد: هات يا محمد ما عندك، فغنى:

صوت

قِــف بــالمنــازلِ قبــل أن تتفــرقــا	واستنطــق الــربــعَ المُحيــل المخلِقــا

(١) هذا الخبر ممّا لم يرد في بولاق، وورد في ملحق برنو، وموضعه هنا.

عن عِلْمِ ما فعل الخليط لعله ... بجواب رجْعِ حديثهم أن ينطقا
فيَبين مِنْ أخبارهم لِمُتيَّمٍ ... أمسى وأصبح بالرسول معلَّقا
كلِفاً بها أبداً تَسُحُّ دموعُهُ ... وَسْطَ الديارِ مسائلاً مستنطقا
ذَرَفَتْ له عين يُرى إنسانُها ... في لُجَّةٍ من مائها مغرورقاً
تُقْرِي محاجرُهَا الدموعَ كأنَّها ... دُرٌّ وَهْي من سلكه مستوسقا[1]

الغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: إن فيه لابن جندب وحُنين لحنين، قال: فقال له يزيد: أهلاً وسهلاً بك يا بن عائشةَ، فأنت والله الحسنُ الوجه، الحسن الغناء. وأحسنَ إليه ووصله.

ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس، وبعثَت إليه حبَابة بِبِرّ وألطاف واتبَعتها سلامة في ذلك.

[٢٠/٣٢٨]

/ صوت[2]

لما سمعتُ الديك صاح بسُحْرة ... وتوسط النسران بَطْنَ العَقْرَبِ
وبدا سُهَيل في السماء كأنه ... نور وعَارضه هِجان الرَّبْرَب
نبّهتُ نَدماني وقلت له اصطبح ... يا بن الكرام من الشراب الطيب
صفراء تبرُق في الزجاج كأنها ... حدق الجرادة أو لُعَاب الجندب

الشعر لأبي الهنديّ، والغناء لإبراهيم الموصليّ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عَمْرو.

---

(١) مستوسقاً: مجتمعاً.

(٢) الصوت من مج، مل.

/ أخبار أبي الهندي ونسبه[1]

[٢٠/٣٢٩]

اسمه ونسبه وشعره:

اسمه غالب بنُ عبد القُدُّوس، بنِ شَبَث بن رِبْعِيّ. وكان شاعراً مطبوعاً، وقد أدرك الدولتين: دولة بني أمية، وأول دولة ولد العباس. وكان جَزْل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني. وإنما أخمله وأمات ذِكرَه بُعْدُه من بلاد العرب، ومُقَامه بِسِجِسْتان وبخراسَان، وشغفه بالشراب ومعَاقرته إياه، وفسْقِه وما كان يتهم به من فساد الدين.

هو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام:

واستفرغ شِعْرَه بصفة الخمر، وهو أول من وصفَها من شعراء الإسلام، فجعل وصفها وَكْدَه وَقَصْده، ومن مشهور قوله فيها ومختاره:

سقَيْتُ أبَا المُطَرّح[2] إذ أتاني ... وذو الرَّعَثات[3] منتَصِبٌ يصيحُ

شراباً يهرُب الذُّبَّان منه ... ويَلْثَغ حين يشربه الفصيحُ

أبو نواس يأخذ من معانيه في الخمر:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش، قال حدّثني فضل اليزيدي أنه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول، وأنشد شعراً لأبي الهنديّ في صفة الخمر، فاستحسنُهُ وقرّظه، فذُكر عنده أبو نواس، فقال: ومِن أين أخذ أبو نواس معَانيه إلاّ من هذه الطبقة؟ وأنا أُوجدكم سَلْخَه هذه المعاني كلَّهَا في شعره، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهنديّ، ثم يَستخرج المعنى والموضع الذي سَرقه الحسن فيه حين أتى عَلَى الأبيات كلها واستخرجها من شعره.

شعر مأخوذ من شعره:

أخبرني الحسن بنُ علي؛ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال:

/ حدثني عبدالله بن أبي سعد. قال: حدثني شيخ من أهل البصرة، قال:

[٢٠/٣٣٠]

كنا عند أبي عُبيدة، فأنشد منشد شعراً في صفة الخمر - أُنْسِيه الشيخ - فضحك ثم قال: هذا أخذه من قول أبي الهنديّ:

سَيُغْني أبا الهندي عن وَطْبِ[4] سالم ... أباريقُ لم يَعْلَق بها وَضَر[5] الزُّبْدِ

(١) هذه الترجمة لم ترد في بولاق، ووردت في ملحق برنو، وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) في ف و«التجريد»: «المطوح»، وفي «المختار»: «المطوع».

(٣) ذو الرعثات: الديك، والرعثات: جمع رعثة، وهي عثنون الديك، والعثنون في الأصل؛ اللحية. ويراد بها هنا اللحمة التي تحت رأس الديك.

(٤) الوطب: سقاء اللبن.

(٥) الوضر: وسخ الدسم.

مُقَدَّمةٌ[1] قُزٌّ[2] كأن رِقابَها رِقابُ بناتِ الماءِ تَفْزَعُ للرعدِ
جَلَتْها الجوالي حين طابَ مِزاجها وَطَيّبَتَها بالمِسكِ والعنبرِ والوَرْدِ
تَمجّ سُلافاً في الأباريقِ خالصاً وفي كلّ كأسٍ من مَهاً حسنِ القَدِّ
تَضمّنها زِقٌ أزَبُّ[3] كأنه صريعٌ من السودانِ ذو شَعَرٍ جَعْدِ

نسخت من كتاب ابن النّطاح.

ثلاثة أيام يسكر فيها كلما أفاق:

حدّثني بعض أصحابنا:

أن أبا الهنديّ اشتهى الصّبوح في الحانة ذات يوم، فأتى خماراً بِسجِستَان في محلّة يقال لهَا: كوه زيان ـ وتفسيره: جبل الخُسران ـ يباع فيَها الخمر وَالفاحشة، وَيَأْوي إليها كل خارِبٍ[4] وَزانٍ ومغنّية[5]، فدخل إلى الخمار فقال له: اسقني، وَأعطاه دينَاراً، فكال له، وَجعل يشرب حتى سكر، وجَاء قوم يسألون عنه فصادفوه عَلَى تلك الحَال. فقالُوا للخمّار: ألحقنا به؛ فسقاهم حتى سكروا، فانتبه فسأل عنهم، فعرّفه الخمّار خبرهم، / [٢٠/٣٣١] فقال له: هذا الآن وقت السكر، الآن طاب، ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكر، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك! هذا نائم بعد! فقال: لا، ولقد انتبه، فلما عرَف خبركم شرب حتى سكر، فقالوا: ألحقنا به فسقاهم حتى سكروا، وانتبه فسأل عن خبرهم، فعرّفه فقال: والله لألحقَنّ بهم، فشرب حتى سكر، ولم يزل ذلك دَأْبَه ودأبَهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم في موضع واحد، ثم تركوا هُم الشرب عمداً حتى أفاق، فَلَقُوه.

وهذا الخبر بعينه يُحكي لواليه بن الحُبَاب مع أبي نواس، وقد ذُكر في أخبار والبة، والصحيح أنه لأبي الهنديّ، وفي ذلك يقول:

نَدامَى بَعْدَ ثالثةٍ تلاقَوْا يَضمُّهمُ بِكُوه زيَانَ راحُ
وقد باكرتُها فتركْتُ منها قتيلاً ما أصابتني جِراح
وقالوا أيّها الخمّارُ مَنْ ذا؟ فقال أخ تَخَوّنه اصطباحُ
فقالوا هاتِ راحَكَ ألحِقَنا به وتَعلّلوا ثم استراحوا
فما إنْ لَبّثتهم أن رَمتْهم بحَدِّ سلاحِها ولها سلاح
وحانَ تَنبُّهي فسألتُ عنهمْ فقال أتاحَهُمْ قَدَرٌ مُتاح
رأوك مُجَدّلاً فاستخبروني فحرّكهم إلى الشرب ارتياح
فقلْتُ بِهمْ فألحقني فهَبّوا فقالوا هل تَنَبّه حين راحوا؟
فقال نعم فقالوا ألحقَنْا بِهِ قد لاح للرائي صباح

---

(١) مقدمة: وصف من فدم الإناء: إذا جعل عليه الفدام، وهو مصفاة صغيرة، أو خرقة تجعل على فم الإبريق ليصفى بها ما فيه

(٢) القز، بالضم: التباعد من الدنس، وكل ما يستقذر، يريد أنها فدمت صيانة لها، ومحافظة على ما فيها.

(٣) أزب، هو في الأصل: كثير شعر الوجه والأذنين، والمراد أنه ذو شعر.

(٤) الخارب: اللص.

(٥) كذا في ف، وفي س، ب: «بغيّة»، ولا وجه لإلحاق التاء ببغي.

فمــــا إن زال ذاك الـــــدأب مِنّـــا ثـــلاثـــاً يُستغــــبّ[1] ويستبــاح

نَبيــتُ معــاً وليـــسَ لنـــا لقــاةٌ ببيـــت مـــا لنـــا فيـــه بـــراحُ[2]

[٢٠/٢٣٢]

/ يموت مختنقاً:

أخبرني عمي الحسنُ بنُ أحمد، قال: حدثني الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ، قال: قال صدقةُ بن إبراهيم البكريّ:

كان أبو الهنديّ يشرب معنا بمَرْو، وكان إذا سكر يتقلب تقلُّباً قبيحاً في نومه، فكنا كثيراً ما نَشدُّ رِجله لئلا يسقط من السطح، فسكر ليلة وشددنا رجله بحبل، وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه، فتقلَّب وسقط من السطح، وأمسكه الحبل فبقيَ منكّساً وتخنّق بما في جوفه من الشراب، فأصبحنا فوجدناه ميتاً.

قال صدقة: فمررتُ بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً:

اجعلـــوا إن مــــتُّ يـــومـــاً كفَنـــي ورَقَ الكـــرْم وقبـــري[3] مَعْصَـــرهْ

إنّنـــي أرجـــو مــــن الله غـــداً بعَـــدْ شـــربِ الـــراح حُســـنَ المغفـــره

قال: فكان الفِتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره، ويشربون ويصبّون القدَح إذا انتهى إليه على قبره.

قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهنديّ: إنه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريان، فأصابه[4] ثلج فقتله، فوُجد من غدٍ ميتاً على الطريق.

شعره وقد كف عن الشراب مدة:

وروَى حماد بنُ إسحاق عن أبيه، قال: حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهنديّ، فلما حَضَرت أيام الموسم قال له: يا أبا الهنديّ، إنّا بحيث تَرى، وَفْدُ الله وزُوّار بيته، فهب لي النبيذ في هذه الأيام واحتكم عليّ، فلولا ما ترى، ما منعتُك، فَضمِن له ذلك وغلّظ عليه الاحتكام، ووكّل به نصر بن سيار، فلما انقضى الأجل مضى في السحَر قبل أن يلقّي نصراً، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة، وأقبل يشرب ويبكي، ويقول:

[٢٠/٢٣٣]

/ أَدِيــرا علــيّ الكــأس إنّــي فقَــدْتها كمـــا فقـــد المَفْطـــومُ دَرّ المَـــراضِـــع

حليـــف مُـــدامٍ فـــارق الـــراحُ روحَـــه فظـــلّ عليهـــا مستهِـــلَّ المَـــدامـــع

قال: وعاتب قوم أبا الهنديّ على فِسْقه ومعاقرته الشراب، فقال:

إذا صلّيـــتُ خمســـاً كـــلَّ يـــومٍ فـــإنّ الله يغفـــر لـــي فُسُـــوقـــي

ولَـــم أُشـــركْ بِـــرَبّ النـــاسِ شيئـــاً فقـــد أمسكـــت بـــالـــدِّيـــن[5] الـــوثيـــق

وجـــاهـــدتُ العَـــدُوّ ونِلْـــتُ مـــالاً يَبلِّغُنـــي إلـــى البيـــت العتيـــق

(١) كذا في الأصل، كأنه استفعال من الغب، والمراد التناوب. وفي «المختار»: «يستهب»، وفي «التجريد»: «يستحل».

(٢) هذا البيت زيادة من «المختار» و«التجريد».

(٣) في «المختار»: «وقشر المعصرة».

(٤) في «المختار»: «فأصابه الثلج».

(٥) في «المختار»: «الحبل».

فهـذا الـديـن ليـس بـه خفـاء دَعَـونـي مـن بُنَيّـات الطـريـق[١]

شعره وقد امتنع من أجر فسقه:

قال إسحاق: وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك، وكان عندها نِسْوةٌ عواهِر، ففجر بهنّ ولم يعطهنّ شيئاً، فجعلن يطالبنه بجُعْل فلم ينفعهن، فقال في ذلك:

آلـى يمينـاً أبـو الهنـدِيّ كـاذبـةً لَيُعْطِيـنَّ زوانِـي لسـت مـاشينـا[٢]

وغـرّهُـنّ فلمّـا أن قضـى وطـراً قـال ارتَحِلْـن فأخزى الله ذادينـا

يخطب امرأة فيرد أهلها خطبته:

أخبرني عمي عن عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، عن أبي محلم، قال:

خطب أبو الهنديّ غالبُ بنُ عبد القدوس بن شَبَث بن رِبعيّ إلى رجل من بني تميم، فقال: لو كنتَ مثلَ أبيك لزَوّجتك، فقال له غالب: لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت إليك.

أمثلة من سرعة جوابه:

قال أبو محلم: ومرّ نَصر بن سيّار بأبي الهنديّ، وهو سكران يتمايل، فوقف عليه فعذَله وسبّه، وقال: ضيّعت شرفك، وفضحتَ أسلافك. فلما طال عتابه التفَت / إليه فقال: لولا أني ضيّعتُ شرَفي لم تكن أنت على خراسان، فانصرف نصر خَجِلاً. [٣٣٤/٢٠]

قال أبو محلم: وكان بِسجِسْتان رجل يقال له: برزين ناسكا، وكان أبوه صُلِب في خِرابة[٣] فجلس إليه أبو الهنديّ - فطفِق ويُعرّض له بالشراب. فقال له أبو الهنديّ: أحدُكم يرى القَذاة[٤] في عين أخيه، ولا يرى الخشبة في أست أبيه! فأخجله.

قال أبو محلم: وكان أسرع الناس جواباً.

[٣٣٥/٢٠]

/ صـوت

لقـد قُلْـتُ حيـن قَـرّ بـتِ العِيـسُ يـا نـوارُ

قِفُـوا فـاربعـوا قليـلاً فَلَـم يـربعـوا وسـارُوا

فنفسـي لهـا حنيـن وقلبـي لـه انكسـارُ

وصـدري بـه غليـل ودمعـي لـه انحـدارُ[٥]

الشعر لسعيد بن وهب، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشاميّ، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية.

---

(١) بنيات الطريق: الطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة.

(٢) لست: موضع بعينه.

(٣) الخرابة: سرقة الإبل.

(٤) القذاة: ما يقع في العين أو الشراب من تبنة ونحوها.

(٥) هذا الصوت والترجمة بعده من مج، هد، مل، ولم يرد في بولاق.

[٢٠/٢٣٦]

/ أخبار سعيد بن وهب

نسبه ومنشؤه:

سعيدُ بنُ وهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤيّ بن نصر، مولده ومنشؤه[١] بالبصرة، ثم سار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعتَه، فتصرّف مع البرامكة فاصطنعوه، وتقدم عندهم.

أكثر شعره في الغزل:

وكان شَاعراً مطبوعاً، ومات في أيام المأمون، وأكثرُ شعْرِه في الغزل والتشبيب[٢] بالمذكَّر، وكان مشْغُوفاً بالغلمان والشراب.

ثم تنسك[٣] وتاب، وحج راجلاً على قدمَيْه، ومات على توبة وإقلاع ومذهب[٤] جميل.

أبو العتاهية يرثيه:

ومات وأبو العتاهية حَيّ، وَكان صديقه فرثاه.

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش. عن محمد بن مزيد. قال:

حُدِّثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية. قال: جاء رجل إلى أبي العتاهية ـ ونحن عنده ـ فسارّه في شيء فبكى أبو العتاهية، فقلنا له: ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال، وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً:

قالَ لِي ماتَ سعيدُ بنُ وهب ... رحم الله سعيدَ بنَ وهبِ

يا أبا عثمان أبكيتَ عَيْني ... يا أبا عثمان أوجَعتَ قلبي

قال: فعجبنا من طبعه وأنّه تحدّث، فكان حديثه شعراً موزوناً.

[٢٠/٢٣٧]

/ يتوب ويتزهد:

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفاف. قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثني سيبويه أبو محمد، قال:

كان سعيد بنُ وهب الشاعر البصريّ مولى بني سامة قد تاب وتزهّد، وترك قول الشعر. وكان له عشرةٌ من البنين وعشرٌ من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه.

وكان امرأ صدقٍ، كثيرَ الصلاة، يزكّي في كل سنة عن جميع ما عنده حتى إنه لَيُزكّي عن فضة كانت على امرأته.

(١) هذه الترجمة ممّا لم يرد في طبعة بولاق، وهو في ملحق برنو وموضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

(٢) في «المختار»: و«كان أكثر شعره في الغزل والشراب والتشبيب...»، وفي «التجريد»: «وكان أكثر شعره في الغزل والشراب».

(٣) في «المختار» و«التجريد»: «نسك».

(٤) في «المختار»: «ومذهبه».

شعره وقد توعده غلام كان يعشقه:

أخبرني عمي، قال: حدثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدثني أبو عثمان الليثي، قال:

كان سعيد بن وهب يتعشق غلاماً يتشطر[1]، يقال له: سعيد، فبلغه أنه توعده أن يَجْرَحَه، فقال فيه:

مَـــنْ عـــذيـــري مِـــن سميِّـــي[2] مَـــنْ عـــذيـــري مـــن سعيـــد؟

أنـــا بـــاللحـــم أجـــاه ويجـــائـــي بـــالحـــديـــد[3]

شعره حين رأى كتاباً في أحوال جميلة:

حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّابِ السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول:

مَـــن كـــانَ فـــي الـــدنيـــا لـــه شـــارةٌ فنحـــنُ مِـــن نظَّـــارَةِ الـــدُّنْيـــا

نَـــرْمُقهـــا مـــن كَثَـــبٍ حَسْـــرةً كـــأنّنـــا لفـــظٌ بـــلا مَعْنـــى

يَعْلُـــوا بهـــا النـــاسُ وأيـــامُنـــا تـــذهـــب فـــي الأرذَلِ وتـــالأدْنـــى

شعره في غلام وسيم حين رآه:

أخبرني عمي، قال: حدثني عبدالله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبدالله / بن يعقوب بن داود، قال: [٢٠/٣٣٨]
حدثني عبدالله بن أبي العلاء المغني، قال:

نَظَرَ إليَّ سعيدُ بن وهب، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل، حين اخضَرَّ شارِبي، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فسلّمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد، وقال: مَن هذا الغلام؟ فتبسَّم، وقال: هذا ابن صديق لي، فأقبل عليَّ وقال:

لا تخـــرجَـــنَّ مـــع الغـــزيِّ لمغنـــم[4] إن الغـــزيَّ يـــراك أفضـــلَ مغنـــمِ

فـــي مثـــل وجهـــك يستحـــلُّ ذَوو التقـــى والـــديـــن والعلمـــاءُ كـــل محـــرّم

مـــا أنـــت إلاّ غـــادةٌ ممكـــورة لـــولا شـــواربُـــك المُطِلّـــةُ[5] بـــالفـــم

يستميل غلاماً بالشعر:

أخبرني محمدُ بن خلف المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي دعامة، قال: مَرَّ سعيد بن وهب والكسائيّ، فلقيا غلاماً جميل الوجه، فاستحسنه الكسائيّ وأراد أن يستميله[6]، فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلم به، فلم

(١) يتشطر: يتعاطى أعمال الشطار، جمع شاطر، وهو الذي أعيا أهله خبثاً.
(٢) ف «سمي»، وهو تحريف.
(٣) أجاه أجؤه: أضربه بالسكين.
(٤) الغزي: الغزاة.
(٥) هد: «المطيفة بالفم» والممكورة: ذات الساق الغليظة.
(٦) في «المختار»: يستميله بالنحو.

يملْ إليه، وأخذ سعيد بن وهب في العشر ينشده، فمال إليه الغلامُ، فبعث به إلى منزله، وبعث معه بالكسائيّ، وقال له: حدّثه وآنِسْه إلى أن أَجِيء وتشاغل بحاجة له، فمضى به الكسائيّ، فما زال يداريه حتى قضى حاجته وأَرَبَه، ثم قال له: انصرف، وجاء سعيد فلم يره، فقال:

شعره وقد نال الكسائي من الغلام الذي استماله:

أبُو حَسَنٍ لا يَفِي … فَمَن ذا يَفي بَعْدَهُ؟

أَثَرْتُ لَهُ شَادِناً … فصَادَهُ وَجْدُهُ

وأظهرَ لي غَدْرَةً … وأخلفني وَعْدَهُ

سأطلبُ ما ساءه … كما ساءني جُهْدَهُ

/ يرثي ابناً له: [٢٠/٣٣٩]

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان سعيد بن وهب لي صديقاً، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطاب، من أكيَسِ الصبيان وأحسَنِهم وجهاً وأدباً، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لشدة شغفه به، ورقته عليه. فمات وله عشرُ سنين، فجزِعَ عليه جزعاً شديداً، وانقطع عن لذاته. فدخلْتُ إليه يوماً لأعاتبه على ذلك، وأستعطفهُ، فحينَ رأى ذلك في وجهي فاضتْ دموعه، ثم انتحب حتى رحمتُه، وأنشدني:

عَينُ جُودي علَى أبي الخَطَّابِ … إذ تَوَلَّى غَضّاً بماءِ الشبابِ

لم يُقارِفْ ذَنباً ولم يَبْلُغ الحنـ … ـثَ مُرَجًّى[1] مُطهَّرَ الأثوابِ

فَقَدتْه عَيْنِي إذا ما سعى أتـ … ـرابُه مِنْ جماعةِ الأترابِ

إنْ غَدَا مُوحِشاً لِداري فقد أصـ … ـبح أُنْسَ الثَّرَى وزينَ التُّرابِ

أحمدُ اللهَ يا حَبيبي فأنّي … بِكَ راجٍ منه عظيمَ الثوابِ

ثم ناشدني ألاّ أُذَكِّرَه بشيء مما جئتُ إليه، فقُمتُ ولم أُخاطبه بحرف.

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره، يقول فيه: أنشدَني سعيد بن وهب لنفسه يَرْثي ابناً له صغيراً، وهيَ على ما ذَكره جعفرُ بنُ قدامة عن حماد سواء.

كان مألفة للغلمان والظرفاء والقيان:

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق، قال: حدثني أبو هِفَّانَ، قال:

حدثني أبو دعامة، قال: كان سعيد بن وهب مَألَفَةً لكل غلام أمْرَدَ، وفتًى ظريف، وقَيْنة مُحْسنة، فحدثني رجل كان يعاشره، قال: دخل إليه يوماً وأنا عندهُ غلامَانِ أمردَان، فقالا له: قد تحاكمنا إليك: أيُّنا أجمل وجهاً، وأحسن جسماً؟ وجعَلْنا لك / أَجْرَ حُكْمِكَ أن تختار أيَّنا حكَمْتَ له، فتقضي حاجتكَ منه. فحكم لأحدهما، وقام [٢٠/٣٤٠] فقضى حاجته واحتبَسَهُمَا[2] فشربا عنده نبيذاً، ثم مال عل الآخر أيضاً، وقمتُ معه. فداخلتهما حتى فعلْتُ كفعلِه،

(١) في س: «مزجى»، وهو تحريف.

(٢) في «المختار»: «فحبيسهما عنده وشربا».

فقال لي سعيد: هذا يومُ الغاراتِ في الحارات[1]، ثم قال:

شعره في غلامين احتكما إليه أيهما أجمل:

رئمَــانِ جـــاءا فحَكَّمـــانـــي ... لا حُكْـــمَ قـــاضٍ ولا أميـــرِ

هـــذا كشمـــسِ الضحَـــى جمـــالا ... وذَا كبَـــدْرِ الـــدُّجَـــى المُنِيـــرِ

وفضْــــلُ هـــذا كـــذا علَـــى ذا ... فضـــلُ خَميـــسٍ علـــى عَشِيـــر

قـــالا أشِـــرْ بَيْنَنَـــا بـــرأيٍ ... ونجعـــلُ الفضـــلَ للمشيـــر

تبـــاذلا ثـــم قمـــت حتـــى ... أخـــذْتُ فضلـــي مـــن الكبيـــر

وكـــان عيبـــاً بـــأنْ أرانـــي ... أُحْـــرَمُ حَظِّـــي مـــن الصغيـــر

فكـــان مِنِّـــي ومِـــنْ قـــرِينـــي ... إليهمـــا وثْبَـــةُ المُغِيـــر

فمَـــنْ رأى حـــاكمـــا كحُكْمـــي ... أعظـــمَ جـــوراً بـــلا نكيـــر!

وقال: وشاعتْ الأبيات حتى بلغت الرشيدَ، فَدَعا به فاستنشده إياها، فتلكأ، فقال له: أنشدْ ولا بأس عليك، فأنشدَ، فقال له: ويلك! اخترْتَ الكبير سناً أو قدراً؟ قال: بل الكبير قدراً. قال: لو قلت غير هذا سقطتَ عندي واستُخففتُ بك. ووصله.

يمدح الفضل بن يحيى ببيتين فيطرب لهما:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال:

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جَلَس فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمرُ لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيدٍ بن وهب كالمستنطق، فقال له:

[٢٠/٣٤١] / أيها الوزير، إني ما كنت استعدَدْتُ لهذه الحال، ولا تقدّمَت لها، عندي مقدِّمة فأغرِفها، ولكن قد حضَرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة، فقال: هاتهما فرُبَّ قليلٍ أبلغَ من الكثير، فقال سعيد:

مَـــدح الفضـــلُ نفسَـــه بـــالفَعـــالِ[2] ... فَعَـــلا عـــن مَـــدِيحنـــا بـــالمقـــالِ

أَمـــرُونـــي بمـــدحِـــه قلـــتُ كـــلا ... كَبُـــر الفضـــل عـــن مـــدِيـــح الـــرجـــالِ

قال: فطرب الفضل، وقال له: أحسنتَ والله وأجدْتَ! ولئن قلّ القولُ ونَزَر لقد اتسع المعنى وكثر.

ثم أمر له بمثل ما أعطاه[3] كلّ مَنْ أنشده مديحاً يومئذٍ، وقال: لا خير فيما يجيء بعد بيتيك[4]؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سِواهمَا.

(١) في النسخ: «الخسارات»، وأحسبها محرفة.
(٢) مل، مج: «بالمعالي».
(٣) في «المختار»: «أعطى».
(٤) في س: «بيتك»، وهو تحريف.

كان نديم الفضل بن يحيى وأنيسه:

حدثني عمّي قال: حدثني ميمونُ بن هارون، قال: حُدّثت عن الخريمي، قال:

كان الفضل بنُ يحيى ينافسُ أخاه جعفراً، وينافسه جعفر، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر، ينادِمه ويأنس به في خلواته، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل.

فدخلت يوماً إلى جعفر، ودخل إليه سعيد بن وهب، فحدّثه وأنشدَه وتنادر له، وحكي عن المتنادرين، وأتى بكل ما يَسُرُّ ويُطْرِب ويُضْحك، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك.

فلما خرج سعيد من عنده تجاهلْتُ عليه، وقلت له: مَن هذا الرجل الكثير الهذيان؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا؛ قال: هذا سعيد بن وهب صديق أخي / أبي العباس وَخُلْصَانه وعشيقه، قلت: وأيّ شيء رأى فيه؟ قال: لا [٢٠/٣٤٢] شيء والله إلاّ القَذَرُ والبرْد والغثاثة.

ثم دَخَلْتُ بعد ذلك إلى الفضل، ودخل أنس بنُ أبي شيخ فحدّث وندّر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد، فقلت له بعد أن خرج من حضرته: من هذا المُبرِّد؟ قال: أولا تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته. قلت: وأيّ شيء أعجبه فيه؟ قال: لا أدري والله، إلاّ القَذر والبرْد وسوء الاختيار.

قال: وأنا والله أعرَف بسعيد وأنَسٍ من الناس جميعاً، ولكني تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما.

يفي للفضل بن الربيع في نكبته فيعظم قدره:

حدثني عمّي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: قال إبراهيم بن العباس:

قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم: عرّفَتْنا أيامُ النكبة[1] مَن كنا نجهله من الناس، وذلك أنا احتجنَا إلى أن نُودع أَموالنَا، وَكان[2] أمْرهَا كثيراً مفرطاً، فكنا نُلقيهَا على الناس إلقاء، ونُودعها الثقة وغير الثقة، فكان ممن أودَعته سعيدُ بنُ وهب، وكان رجلاً صعلوكاً لا مالَ له، إنمَا صَحِبنَا عَلَى البطَالة[3]: فظننت أن مَا أودعته ذاهب،، ثم طلبته منه بَعْدَ حين، فجَاءني والله بخَوَاتيمه.

وأودعتُ عليّ بن الهيثم كَاتبنَا جملة عظيمة، وَكَان عندي أوْثَقَ مَنْ أَودعتُه، / فلما أَمِنتُ طالبته بالوديعة، [٢٠/٣٤٣] فجحدنيها وبهتني[4] وحلف على ذلك، فصار سعيد عندي في السماء، وبلغتُ به كل مبلغ، وسقط عليّ بن الهيثم، فمَا يصل إليّ ولا يلقاني.

يحاجي جارية رجل من البرامكة:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه، حدّثني عمرو بن بانة. قال:

كان في جواري رجلٌ من البرامكة، وَكانت له جارية شاعرة ظريفة، يقال لها حسناء، يَدْخل إليها الشعراء

(١) في «المختار»: «البلية».

(٢) في «المختار»: «وكانت كثيرة مفرطة».

(٣) في «المختار»: «البطالة والضحك».

(٤) بهتني: افترى عليّ الكذب.

ويَسألونها عن المعاني، فتأتي بكل مستحسنٍ من الجواب، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً، وجلَس إليها فحادثها طويلاً، ثم قال لها بعد ذلك:

حــاجَيْتُــك[1] يـــا حَسْنـــا[2] ءُ فـــي جِنْـــسٍ مـــن الشِّعْــر
وفيمـــا طُـــولُــــه شِبْـــرٌ وَقَـــدْ يُـــوفـــى علـــى الشِّبْــر
لـــه فـــي رأسِـــه شَـــقٌ نَطُـــوفٌ[3] بـــالنَّـــدَى يجـــري
إذا مـــا جَـــفَّ لـــم يَجْـــرِ لَـــدَى بَـــرٍّ ولا بَحْـــرِ
وإنْ بُـــلَّ أتَـــى بـــالعَـ ـجَـــب العـــاجـــب والسِّحْـــر
أجيبـــي لـــم أُرِدْ فُحْشـــاً وربِّ الشفـــع والـــوتـــر
ولكـــن صُغْـــتُ أبيـــاتـــاً لهـــا حـــظ مـــن الـــزجـــر[4]

قال: فغضب مولاها وتغيَّر لونُه، وقال أتَفْحِشُ على جاريتي وتخاطبها بالخنا! فقالت له: خَفِّض[5] عليك، فما ذهب إلى ما ظننت، وإنما يعني القلم، فسُرِّيَ عنه، وضحك سعيد وقال: هي أعلم منك بما سَمِعَت.

[٢٠/٣٤٤]

/ صـوت

دايَنَـــتْ أرْوَى والـــديـــون تقضـــى فمطَلَـــتْ بعضـــاً وأدَّتْ بعضـــا
يـــا ليـــتَ أرْوى إذ لَـــوتْـــكَ القَـــرْضـــا جـــادت بقـــرض فشكَـــرْتَ القَـــرضـــا

الشعر لرؤبة بن العجاج، والغناء لعمرو بن بانة، رمل بالوسطى.

(١) حاجيتك: ألقيت عليك أحجية وفي البيت خرم.
(٢) سقطت الهمزة من أول عجز البيت في ش.
(٣) نطوف: سيال.
(٤) في «المختار» بعد الأبيات: «يريد القلم»، فقالت له: عند أمك من خبر هذا المسؤول عنه عجائب، فاسألها عنه تخبرك».
(٥) خفض عليك: هون عليك.

[٢٠/٣٤٥]

/ أخبار رؤبة ونسبه[1]

نسبه واسم أبيه:

هو رؤبة بن العجّاجِ، واسم العجاج عبدالله بن رؤبة بن حنيفة، وهو أبو جُذَيْمْ بن مالك بن قُدامة بنِ أُسامة بنِ الحارث بنِ عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

عصره والاحتجاج بشعره:

من رُجّاز الإسلام وفصحائهم، والمذكورين المقدّمين منهم، [بدويّ][2] نزل البصرة، وهو من مُخَضْرَمي الدولتين.

مدح بني أمية وبني العباس، ومات في أيام المنصور، وقد أخذ عنه وُجوهُ أهل اللغة، وكانوا يقتدون به، ويحتجون بشعره، ويجعلونه إماماً؛ ويكنى أبا الجَحّاف وأبا العجّاج.

يراه يونس بن حبيب أفصح من معد بن عدنان:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وأحمد بن عمار ـ واللفظ له ـ قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد، قال: حدّثني يونس بن حبيب، قال:

كنت جالساً مع أبي عمرو بن العلاء إذ مرَّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَة الضُّبَعيّ ـ قال أبو يزيد: وكان علاّمة ـ فقال: يا أبا عمرو، أشعرتَ أني سألت رأبة عن اسمه فلم يدر ما هو وما معناه؟ قال يونس: فقلت له: والله لَرُؤْبَةُ أفصح من معدِّ بن عدنان، وأنا غلام رؤبة، أفتَعْرِف أنت رُوبة ورُوبة ورُوبة وروبة ورؤبة؟ قال: فضَرَب بغلته وذهب، فما تكلم بشيء: قال يونس: فقال لي أبو عمرو: ما يسرني أنك نَقَصْتَني[3] منها.

قال ابن عمار في خبره: والروبة: اللبن الخاثر، والروبة: ماء الفحل، والروبة: / الساعة تمضي من الليل، [٢٠/٣٤٦] والروبة: الحاجة، والرؤبة: شَعب القدَح، قال: وأنشدني بعد ذلك.

فأما تميمٌ تميمُ بن مرٍّ ... فألفاهم القومُ رَوْبَى[4] نياما

حدّثني ابن عمّارٍ، قال: حدّثني عبدالله بنُ أبي سعد، قال: حدّثني يحيى بنُ محمد بنِ أَعْيَنَ المَرْوَزِيُّ، قال: حدّثني أبو عبيدة؛ قال:

شهدت شُبَيْلاً الضُّبَعيّ وأبا عمرو، فذكر نحوه.

---

(١) هذه الترجمة وردت في ملحق برنو: وموضعها هنا على حسب المخطوطات المعتمدة، ووردت بعض أخبار رؤبة في التراجم السابقة.

(٢) زيادة من «المختار» و«التجريد».

(٣) في «المختار»: «أنك تنضب منها».

(٤) الروبى: الذين أثخنهم السير، فاستثقلوا نعاساً، جمع رائب أو روبان.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عَنْ محمدِ بن سَلّام، قال: قلت ليونس: هل رأيت عربياً قط أفصحَ من رؤبة؟ قال: لا، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه.

قال يونس: قال لي رؤبة: حتى متى أُزَخْرف لك كلام الشيطان؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك!

يروي هو وأبوه الحديث:

وقد رَوَى رؤبة بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ، ورواه أبوه أيضاً.

ينشد أبا هريرة فيشهد له بالإيمان:

أخبرني عبدالله بن أَبي داود السجستانيّ، قال: حدثنا عبدالله بنُ محمد بنِ خلّاد، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهْري، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، عن يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج، عن أبيه قال: أنشدت أبا هريرة:

الحمـــدُ للهِ الـــذي تَعَلَّـــت[1] بـــأمـــره السمـــاءُ واستقلّـــتِ

بـــإذنـــه الأرضُ ومـــا تغيّـــتِ[2] أرسَـــى عليهـــا بـــالجبـــال الثبّـــتِ

* البـــاعـــثِ النـــاسَ لِيـــوم المَـــؤَقـــت *

[٣٤٧/٢٠] / قال أبو هريرة: أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ، عن ابنِ شبّة، عن أبي حرب البابِيّ - مِن آل الحجاج بن باب - قال: حدثنا يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج، عن أبي الشعثاء، عن أبي هريرة، قال:

كنا مع النبي ﷺ في سفر وحَادٍ يَحْدُو:

طـــافَ الخيـــالاَنِ فهـــاجَـــا سَقَمـــا خيـــالُ لُبْنَـــى وخيـــالُ تَكتُمـــا

قـــامـــت تـــريـــك خشيـــةَ أن تصـــرِمَـــا ســـاقـــاً بَخَنْـــداةً[3] وكعبـــاً أدْرَمـــا[4]

والنبي ﷺ يسمع ولا ينكر.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبدالله بنُ عمرو، عن محمد بن إسحاق السهميّ، عن أبي عبيدة الحداد، قال: حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبيه، قال:

سمعت أبا عبيدة يقول: السِّواكُ يُذْهِبُ وضرَ[5] الطعام.

ينشد أبا مسلم الخراساني فيجيزه:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا محمدُ بن سعد الكَرّانيُّ، قال: حدثنا أبو حاتم والأشْنَانْدَانِيُّ أبو عثمان، عن أبي عبيدة، عن رؤبة بن العجاج، قال:

---

(١) تعلت: علت شيئاً فشيئاً.

(٢) في «الديوان» و«اللسان» «عنا تغنّت أي وما عصت. ويقال غيّا الراية أي نصبها».

(٣) الساق البخنداة: الممتلئة، والبخنداة في الأصل: المرأة التامة القصب.

(٤) الأدرم: المستوى.

(٥) الوضر: وسخ الدسم.

بعث إليَّ أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم، فلما دخلتُ عليه رأى مِنّي جَزَعاً، فقال: اسكن فلا بأس عليك، ما هذا الجَزَعُ الذي ظهر منك؟ قلت أخافُك، قال: ولِمَ؟ قلتُ: لأنه بلغني أنك تقتل الناسَ، قال: إنما أقتل من يقاتلني ويريد قتلي، أفأنت منهم؟ قتل: لا، قال: فهل ترى بأساً؟ لا، فأقبَل على جلسائه ضاحكاً، ثم قال: أما ابن العَجّاج فقد رخّص لنا، ثم قال: أنشدني قولك:

/ * وقـاتِـمِ الأعمـاقِ[1] خـاوِي المختـرَقْ[2] * [٢٠/٣٤٨]

فقلت: أو أُنشِدُك ـ أصلحك الله أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

قلـتُ وقـولـي[3] مستجِـدٌ حَـوْكـا لبّيـك إذ دعَـوْتنـي لَبّيكـا

* أحمـدُ ربّـاً سـاقنـي إليكـا *

قال: هات كلمتكَ الأولى، قلت: أو أنشدك أحسن منها؟ قال: هات، فأنشدته:

مـا زَال يَبْنِـي خَنْـدقـاً ويهـدمُـهْ ويَستجيـشُ عسكـراً ويَهـزِمُـهْ

ومَغنمـاً يَجْمَعـه ويقسمـه مَـرْوانُ لمـا أن تهـاوتْ أنجُمـهْ

* وخـانـه فـي حكمـه مُنَجِّمـهْ *

قال: دع هذا وأنشدني: وقاتم الأعماق، قلت: أو أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

رفعـتَ بيتـاً وخفضـتَ بَيْتَـا وشِـدْتَ رُكـنَ الـديـن إذ بنيتـا

* فـي الأكـرميـن مـن قـريـش بيتـا *

قال: هات ما سألتك عنه، فأنشدته:

مـا زال يـأتـي الأمْـرَ مـن أقطـارِهِ علـى اليميـن وعلـى يسـارِهِ

مشمِّـراً لا يُصطَلـى بنـارِه حتـى أقـرّ الملـكَ فـي قَـرارِهِ

* وفَـرّ مـروانُ علـى حمـارِه *

قال: ويحك! هات ما دعوتُك له وأمرت بإنشاده، ولا تنشد شيئاً غيره، فأنشدته:

/ * وقـاتِـمِ الأعمـاقِ خـاوِي المختـرَق * [٢٠/٣٤٩]

فلما صرت إلى قولي:

* يَـرمِـي الجـلاميـد بِجُلْمُـودٍ مِـدَق *

قال: قاتلك الله! لَشَدّ ما استصلَبْتَ الحافر! ثم قال: حسبك، أنا ذلك الجُلْمُود المدق.

قال: وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يديّ، فقال أبو مسلم: يا رؤبة، إنك أتيتنا والأموال مشفوهة[4]، وإن

---

(١) الأعماق: جمع عمق، ويراد به هنا البعيد من أطراف المفاوز، مستعار من عمق البئر.
(٢) المخترق: موضع الاختراق، ويراد هنا، موضع قطع المفاوز.
(٣) ف «ونسجي».
(٤) مشفوهة: اشتد طلبها حتى نفدت.

لك لعودةً إلينا وعلينا مُعوَّلاً، والدهر أطرقُ[١] مُسْتَتِبٌ، فلا تجعل بجنْبَيْكَ الأسدة[٢].

قال رُؤبة: فأخذت المِنديل منه، وتالله ما رأيت أعجمياً أفصحَ منه، وما ظننت أحداً يَعْرف هذا الكلام غيري، وغيرُ أبي.

قال الكَرَّاني: قال أبو عثمان الأشناندانيّ خاصة: يقال: اشتفَّ ما في الإناء، وَشَفَهَهُ: إذا أتى عليه، وأنشد:

وكـــادَ المَـــالُ يَشفَهـــه عِيَـــالـــي ومـــاذُو عَيْلتـــي مَـــنْ لا أعُـــول[٣]

يأكل الفأر ويفضله على الدواجن:

[٢٠/٣٥٠] أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني: محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم / بن أيوب، قال: حدّثني ابن قتيبة، قال:

كان رؤبة يأكل الفأر، فقيل له في ذلك وعوتب، فقال: هو واللهِ أنظَفُ من دَواجنكمْ ودَجاجكم اللواتي يأكلن القذَر[٤]، وهل يأكل الفأرُ إلا نَقيّ البرّ ولُبَاب الطعَام؟

يَرحل هو وأبوه ليلقيا الوليد بن عبدالملك:

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيْد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن رؤبة، قال: لما ولِّيَ الوَليدُ بنُ عبدالملك الخلافة بَعث بي الحجاجُ مع أبي لتلقاه، فاستَقبَلنَا الشَّمال حتى صرنا ببَاب الفراديس[٥].

قال: وكان خروجنَا في عامٍ مُخْصِب، وكنت أُصَلِّي الغداة، وأجتني من الكَمأة[٦] ما شئت، ثم لا أُجَاوز إلّا قليلاً حتى أرى خيراً منها، فأرمي بها وآخذ الأُخَر، حتى نَزَلْنَا بعض المِياه، فأُهْدِيَ لنا حَمَل مُخرْفَج[٧] ووَطْب[٨] لبنٍ غليظٍ وزبدةٌ كأنهَا رأس نعجة حُوشِية[٩]، فقطَّعنَا الحملَ آرابًا[١٠]، وكررْنا عَلَيهِ اللبن والزبدة، حتى إذا بلغ إناه[١١] انتشلنَا اللحم بغير خبز.

---

(١) في ف: «أطرق مستلت»، كأن (أطرق) وصف من طرق، بكسر الراء: إذا اعوج. وكأن مستتب تحريف مستلت، ومستلت وصف من استلت. يقال: استلت القصعة: إذا مسحها بإصبعه. فيكون المعنى أن الدهر لا يستقيم على حال، يعطي ويستلب. وفي «المختار»: «الطريق مستتب»، ومستتب: واضح. ولا يبدو لها هنا وجه.

(٢) لا تجعل بجنبيك الأساءة: لا يضيقن صدرك، كأنما يوصيه بالاحتمال وحسن المحاولة. وفي «المختار»، مج، مل: «فلا تجعل بيننا وبينك الأسدة» وفي ف: «فلا تجعل بيننا وبينك الأسرة»، والأسرة تحريف.

(٣) ف: «وصادف عيلي من لا أعول».

(٤) في «المختار»: «يأكلن العذرة».

(٥) باب الفراديس: أحد أبواب دمشق، أضيف إلى موضع قريب منها.

(٦) الكمأة: ضرب من النبات، واحده كمء.

(٧) حمل مخرفج: سمين.

(٨) الوطب: سقاء اللبن.

(٩) حوشية: منسوبة إلى الحوش: بلاد الجن في زعمهم، تنسب إليها الإبل وغيرها.

(١٠) الآراب: جمع إرب، بكسر فسكون، وهو العضو.

(١١) إناه: الإنى: مصدر أني الطعام، كرمي، أدرك. وبلغ إناه: حان أدراكه.

ثم شرِبتُ من مَرَقه شَرْبة لم تزَل لها ذِفْرَيَايَ[1] ترشحان؛ حتى رَجعنا إلى حَجْر[2].

فكان أول من لَقِينَا من الشعراء جريراً، فاستَعْهدنا ألا نُعين عليه. فكان أولَ / من أذن له من الشعراء أبي ثم [٢٠/٣٥١] أنا، فأقبلَ الوليد على جرير فقال له: وَيلك! ألا تكون مثل هذين؟ عَقدَا الشِّفاه عن أعراض الناس، فقال: إني أُظلَمُ فلا أصبر[3].

ثم لقِينَا بعد ذلك جرير فقال: يا بني أمِّ العجّاج، واللهِ لئن وضعتُ كلْكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطّعاتكما، فقلنا: لا والله ما بَلَغَه عنا شيء، ولكنه حَسدنا لما أُذنَ لنا قبله، واستُنشِدنا قبله.

يتوعد جرير أباه فيعتذر إليه:

وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرويه قال: حدّثني أحمد ابن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ، قال: قال روح بن فلان الكلبيّ:

كنت عند عبدالملك بن بشر بن مروان فدخَل جرير، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له: والله لئن سَهِرْت لك ليلة ليقِلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه، فقال العجاج: يا أبا حَزْرة، والله ما فعلت ما بَلَغك، وجعل يعتذر ويحلف ويخضَع؛ فلما خرج قال له رجل: لشَدّ ما اعتذرت إلى جرير، قال: والله لو علمتُ أنه لا ينفعني إلاّ السِّلاح لسلَحْتُ.

ليس في شعره ولا شعر أبيه حرف مدغم:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ، عن سليمان بن أخضر، عن ابن عون، قال: ما شَبّهْتُ لهجة الحسن البصريّ إلاّ بلهجة رؤبة، وَلم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مُدْغمٌ قَطّ.

هو وأبوه أشعر الناس عند يونس بن حبيب:

أخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد، قال: أخبرني عبدالرحمن بن أخي الأصمعيُّ عن عمه، قال: قيل ليونُس: مَن أشعر الناس، قال: العجاج ورؤبة، فقيل له لم[4] / ولم نَعنِ الرُّجاز؟ فقال: هما[5] أشعر من أهل القصيد[6]، [٢٠/٣٥٢] إنما الشعر كلام: فأجوده أشعَره، قد قال العجاج:

* قـد جَبـرَ الـدِّيـنَ الإلـهُ فجبـر *

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة، وكذلك عامة أراجيزهما.

يقعد اللغويون إليه يوم الجمعة:

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمدِ بنِ سلاّم: عن أبي زيد الأنصاريّ والحكم بن قنبر: قالا:

---

(١) ذفرياي: مثنى ذفرى، بكسر فسكون ففتح، وهو العظم الشاخص خلف الأذن.

(٢) حجر: اسم لغير بلدة وموضع.

(٣) ف: «إني أظلم فأنتصر ولا أصبر».

(٤) في «المختار»: فقيل له: «لم نعن الرجاز».

(٥) كذا في «المختار»، وفي الأصل: «هم»، وهو تحريف.

(٦) في «المختار»: «القصيدة».

كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رَحبة بني تميم: فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق، ومرّت بنا عجوزٌ فلم تقدر عَلَى أن تجوزَ في طريقها، فقال رؤبة بن العجاج:

تَنَـحَّ للعجُـوزِ عـن طَـرِيقهـا إذ أقبلَـتْ رائحـةً مـن سُـوقهـا

* دَعْها فما النحويُّ من صديقها *

يعبث به الصبيان فيستعين الوالي عليهم:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيدالله بن عمار، قالا: حدثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: حدثنا أبو زيد سعيدُ بنُ أوس الأنصاري النحويّ، قال:

دخل رؤبة بن العجاج السوق وعليه بَرْنَكَانٌ[1] أخضر، فجعل الصبيان يعبثون به، ويَغرزون شَوكَ النخل في بَرْنكانِه ويصيحون به، يا مَرْذُوم يا مرذوم! فجاء إلى الوالي فقال: أرسل معي الوَزَعَة[2]، فإن الصبيان قدْ حَالوا بيني وبين دخول السوق، فأرسل معه أعواناً فشدَّ على الصبيان، وهو يقول:

[٢٠/٣٥٣] / أَنْحَـى علـى أمِّـك بـالمـرذُومْ أعـورُ جَعْـدٌ مِـن بَنـي تميـمْ

* شَـرّابُ ألبـانِ خـلايَـا[3] الكُـوم[4] *

ففروا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة، فقال له الشُّرَطُ: أينَ هُم؟ قال: دخلوا دار الظالمين، فسمِّيَت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤبة، وهي في صيارفة سوق البصرة.

بينه وبين راجزٍ من أهل المدينة:

وذَكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ، قال: قدم البصرة راجزٌ من أهل المدينة، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء، فقال: أنا أرجَز العرب، أنا الذي أقول:

مَـرْوانُ يُعْطِـي وسعيـدٌ يمنـعُ مـروانُ نَبْـعٌ[5] وسعيـدٌ خِـرْوَعُ

وَدِدتُ أني راميت مَن أحِبُّ في الرجز يداً بيد، والله لأنا أرجز من العجاج، فلَيْتَ البصرة جمعت بيني وبينه، قال: والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه، فأقبل رؤبة على أبيه فقال: قد أنصفَكَ الرجل، فأقبلَ عليه العجاج وقال: هأنذا العجاجُ، فهلم! وزحف إليه، فقال: وأيُّ العجّاجين أنت؟ قال: ما خِلتُك تعني غيري، أنا عبدالله الطويل ـ وكان يُكْنَى بذلك ـ فقال له المَدَنِيُّ: ما عَنَيتك ولا أردتك، فقال: وكيف وقد هتَفت بي؟ قال: وما في الدنيا عجاجٌ سواك؟ قال: ما علِمتُ، قال: لكني أعلم، وإياه عَنَيْتُ. قال: فهذا ابني رؤبة، فقال: اللهم غَفراً، ما بيني وبينكما عَمَلٌ: وإنما مرادي غيرُكما، فضحك أهل الحلقة منه، وكفّا عنه.

---

(١) البرنكان، كزعفران: الكساء.

(٢) الوزعة: جمع الوازع، وصف من وزع: أي كف ومنع.

(٣) الخلايا: جمع خلية، وهي من الإبل: المخلاة للحلب.

(٤) الكوم: جمع كوماء، وهي: الناقة العظيمة السنام، والفعل كوم، كفرح.

(٥) النبع: شجر تتخذ منه القسي والسهام لصلابته، ينبت في قنة الجبل.

بينه وبين زائرين:

أخبرني أبو خليفة في كتابه، عن محمد بن سلاّم: عن يونُس، قال: / غَدَوْت يوماً أنا وإبراهيم بن محمد [٢٠/ ٣٥٤] العُطَارِدِيُّ على رؤبة: فخرج إلينا كأنه نَسْرٌ، فقال له ابن نوح: أصبحتَ والله كقولك:

كالكُرَّزِ[1] المشدودِ بين الأوتادْ ساقطَ عنه الريشَ كَرُّ الإبراد[2]

فقال له رؤبة: والله يابن نوح ما زلتُ لك ماقِتاً، فقلت: بل أصبحت يا أبا الجَحّاف كما قال الآخر:

فأبقينَ منهُ وأبْقَى الطرا دُ بَطْناً خميصاً وصُلْباً سميناً

فضحك: وقال: هات حاجتّك.

من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له:

قال ابن سلاّم: ووقف رؤبة على باب سليمان بن عليّ يستأذنُ: فقيل له: قد أخذ الإذْرِيطُوسَ[3] فقال رؤبة:

يا مُنزلَ الوحي على إدريسَ ومُنزلَ اللعنِ على إبليسَ

وخالقَ الإثنينَ والخميسِ بارِكْ له في شُربِ إِذْرِيطُوس

يخطئه سلم بن قتيبة:

أخبرني الحسن بن يحيَى قال: قال حماد: أخبرني أبي عن الأصمعي قال: أنشد رؤبة سَلْم بن قتيبة في صفة خيل:

* يَهْوِينَ شَتَّى ويقعْنَ وُقَّفا *

فقال له: أخطأت يا أبا الجَحّاف: جعلته مقيداً فقال: أَدْنِني أيها الأمير ذَنَب البعير أصِفْه لك كما يجب.

من رجزه وقد قدم الطعام وهو يلعب بالنرد:

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ، عن محمد بن سلاّم، عن عبدالرحمن بن محمد.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ، عن محمد بن سلاّم، عن عبدالرحمن بن محمد، / عن علقمة الضَّبِي، قال: [٢٠/ ٣٥٥]

خرج شاهين بنُ عبدالله الثقفي برؤبة إلى أرضه، فقعدوا يَلعَبُون بالنَّرْدِ فلما أتَوْا بِالخوان قال رؤبة:

يا إخوتي جاء الخِوانُ فارفعوا حنّانةً كِعابُها تُقَعْقِعُ

* لم أدْرِ ما ثَلاثُها والأربعُ *

قال: فضحكنا ورفعناها، وقُدِّم الطعام.

يشيد الخليل بفضله وقد عاد من جنازته:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثنا عبدالله بن أبي سعد، عن

(١) الكرز، الصقر، والبازي أيضاً.

(٢) أبرده: فتره.

(٣) الإذريطوس: دواء، والكلمة رومية معربة، وفي ف: «قد أخذ الأذريطوس»، وهو اسم دواء.

محمد بن عبدالله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود، قال:

لقيتُ الخليل بَن أحمدَ يوماً بالبصرة فقال لي: يا أبا عبدالله دفَنَّا الشعر واللغةَ والفصاحة اليوم، فقلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا حين انصرفتُ من جنازة رؤبة.

[٢٠/٣٥٦]

صوت

لَعَمري لقد صاح الغراب ببينهم ... فأوجعَ قلبي بالحديث الذي يُبدي

فقلت له أفصحتَ لاطِرت بعدها ... بريش فهل للبين ويحك من ردّ؟

الشعر لقيس بن ذَريح، وقد تقدمت أخباره والغناء لعمرو بن أبي الكَنّات، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.



/ أخبار عمرو بن أبي الكنات [٢٠/٣٥٧]

اسمه وولاؤه وكنيته:

/ هو عمرُو بنُ عثمانَ بن أبي الكنّات، مولى بَنِي جُمَح، مكي مغن[١]، محسن موصوف بطيب الصوت من طبقة ١٢٦/١٨ ابنَ جامع وأصحابِه، وفيه يقول الشاعر:

أحسنُ الناس فاعلموه غِناءِ ... رُجل من بني أبي الكَنّات

وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لَحنٌ ابتداؤه:

صوت

عفَتِ الدار بالهِضاب اللواتي ... بِسَوارٍ[٢]؛ فملتقى عرفاتِ

فالحريان[٣] أوحشا بعد أنس ... فديارٌ بالرّبع ذي السَّلِمات[٤]

إنّ بالبين[٥] مربعاً من سليمى ... فإلى محضرين[٦]؛ فالنخلات

وبعده البيت الأول المذكور.

الغناء في هذا الشعر لعمرو بنِ أبي الكنات، وطريقته من الرمَل بالوسطى.

وقيل: إنه لابن سُرَيج، وقيل: بل لحن ابن سُريج غيرُ هذا اللحن، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابنُ أبي الكنّات.

/ ويكنى عمرُو بنُ أبي الكنّات أبا عثمان، وذكر بنُ خرداذبه أنه كان يكنى أبا معاذ؛ وكان له ابن يغني أيضاً [٢٠/٣٥٨] يقال له: درّاج؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء.

يؤثره الرشيد على جمع من المغنين:

فذكر هارون بنُ محمد بنُ عبدالملك الزياتُ في الخبر الذي حكاه[٧] عنه من أخباره أن محمد بن عبدالله المخزُوميّ حدثه قال: حدثني محمدُ بن عبدالله بن فزوة قال:

(١) كذا ف. وفي س، ب: «يكنى بمعن»، تحريف.

(٢) سوار: من قرى البحرين لبني عبد القيس العامريين. ورواية «نهاية الأرب»، هد:

عفت الدار فالهضاب اللواتي ... بين ثور فملتقى عرفات

وثور: جبل بمكة، به الغار الذي اختفى الرسول فيه.

(٣) في ف: «الجريان».

(٤) السلمات: الحجارة، جمع سلمة بفتح فكسر.

(٥) البيت: اسم لعدة مواضع، منها موضع قرب نجران، وآخر قرب الحيرة.

(٦) في «معجم ياقوت»: محضر: قرية بأجأ لطيىء.

(٧) في ف: «رواه».

قُلت لابن جامع[١] يوماً: هل غَلبك أحد من المغنين قط؛ قال: نعم؛ كنتُ ليلة ببغدادَ إذ جاءني رسول الرشيد[٢]؛ يأمرني بالركوب؛ فركبتُ حتى إذا صِرتُ إلى الدار، فإذا أنا بفضلِ بنِ الربيع معه زَلْزَلٌ العَواد وبَرْصوما: فسلمتُ وجلست قَليلاً، ثم طَلع خادم فقال للفضل: هل جاء؟ فقال: لا، قال: فابعث إليه؛ ولم يزَل المغنون يدخلون وَاحداً بعد وَاحدٍ حتى كنا ستة أو سبعة.

ثم طلع الخادم فقال: هل جاء؟ فقال: لا، قال: قُم[٣]؛ فابعث في طلبه؛ فقام فغاب غير طويل؛ فإذا هو قد جاء بِعَمْرو بن أبي الكَنَّات؛ فسلم؛ وجلس إلى جنبي فقال لي: من هؤلاء؟ قلتُ مغنون؛ وَهذا زَلْزَل، وَهذا بَرْصوما. فقال: والله لأغنينك غناء يخرق هذا السقف وَتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً. قال: ثم طلع الخصيّ فدعا بكراسيّ؛ وخرجت الجواري. فلما جلسن قام الخادم للمغنين: شدوا، فشدُّوا عيدانهم[٤]، ثم قال: نعم يا بنَ جامع؛ فغنيت سبعة أو ثمَانية أصوات. ثم قالَ: اسكت ولِيُغنّ إبراهيم الموصلي؛ فغنى مثل ذلك أو دونه. ثم سكت؛ فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً حتى فرغوا.

[٢٠/٣٥٩] / ثم قال: لابن أبي الكَنَّات: غنّ، فقال لِزَلْزَل: شد طبقتك[٥]، فشد ثم أخذ العود من يده فحبسّه حتى وقف عَلَى الموضع الذي يريده، ثم قال: على هذا وابتدأ بصوت أوله: ألالا: فوالله لقد خُيِّل لي أن الحيطان تجاوبه. ثم رجع النغم فيه. فطلع الخصيّ فقال له: اسكت. لا تتم الصوت، فسكت.

ثم قال: يُحبس عمروُ بن أبي الكَنَّات، وينصرف باقي المغنين، فقمنا بأكسف حال وأسوإ بال، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله: ألالا، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه. فما عرفه منا أحد وَبات عمرو ليلته عند الرشيد، وانصرف / من عنده بجوائز وصِلات وَطرف سنيه. [١٢٧/١٨]

يغني وَقد دفع من عرفة فيزحم الناس الطريق:

قال هارون: وأخبرني محمدُ بنُ عبدالله عن موسى بنِ أبي المهاجر قال:

خرج ابنُ جامعٍ وابنُ أبي الكَنَّات حين[٦] دُفعا من عرفة حتى إذا كان بين المأزِمين[٧] جلس عمرو على طرفَ الجبل، ثم اندفع يغني، فوقف القِطارات، وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا: يا هذا، اللهَ اللهَ. اسكت عنا يَجُز الناس، فضبط إسماعيل بنُ جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مزْدلفة.

يغني على جسر بغداد فتمتلىء الجسور بالناس:

قال هارون. وحدثني عبدُالرحمن بنُ سليمانَ عن عليٍّ بن أبي الجهم قال: حدثني من أثق به قال.

واقفتُ ابنَ أبي الكَنَّات المديني[٨] على جَسر بغداد أيام الرشيد. فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه

(١) ف: «إسماعيل بن جامع».
(٢) في ف: «أمير المؤمنين».
(٣) كذا في ف. وفي س، ب: «نعم»، تحريف.
(٤) هد، ف: «قال الخادم للمغنين: سووا، فسووا عيدانهم».
(٥) في ف: «طبقك».
(٦) في «نهاية الأرب»: «حين دفع الإمام من عرفة».
(٧) المأزمان: اسم لعدة مواضع، منها موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفه.
(٨) في ف، و «نهاية الأرب»: واقفت ابن أبي الكنات على جسر.

فعله أيام هشام، وهو أن بعض أصحابنا حدثني قال: وقف / ابنُ عائشة في المَوسم فمرّ به بعض أصحابه، فقال له: [٢٠/٣٦٠] ما تعمل؟ فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبَس الناسَ، فلم يذهب أحد ولم يجيء. فقلت له: ومَن هذا الرجل؟ قال: أنا، ثم اندفع يغني:

صوت

جَـرتْ سُنُحـاً فقلـت[1] لَهـا أجيـزي ... نـوى مشمـولـة فمتـى اللقـاء

بنفسـي مَـن تـذكُّـره سَقـام ... أعـالجـه ومطلبـه عَنـاءُ

قال: فحبَس الناس، واضطربت المحامل[2]، وَمدّت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة تقع، فأُتي به هشام فقال: يا عدو الله أردتَ أن تفتن الناس؟ فأمسك عنه وكان تياهاً، فقال له هشام: أرفُق بتيهك[3]. فقال ابن عائشة: حقٌّ لِمن كانت هذه قدرتَه على القلوب أن يكون تيّاهاً، فضحك وأطلقه قال فَبرق[4] ابن أبي الكنات، وكان معجَبا بنفسه، وقال: أنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع فغنى في هذا الصوت ونحن على جَسر بغداد.

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الطرق، وامتلأت الجسور بالناس، وازدحموا عليها، واضطربت حتى خيف عليها أن تتقطع لثقل من عليها من الناس. فأُخذ فأُتي به الرشيد، فقال: يا عدو الله أردتَ أن تفتن الناس؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأحببت أن يكون في أيامك مثلُه فأُعجب[5] من قوله ذلك، وأمر له بمال، وأمره / أن يغني، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فاحتبسه [٢٠/٣٦١] عنده شهراً[6] يستزيده في كل يوم استأذنه فيع في الانصراف، يوماً آخر حتى تم له شهر[6] فقال هذا المخبر عنه: وكان ابن أبي الكنّات كثير الغِشيان لي: فلما أبطأ توهمتُه قد قُتل فصار إليّ بعد شهر بأموال جسيمة، وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد.

يسمع غناؤه على ثلاثة أميال:

قال هارونُ: وأخبرني محمدُ بنُ عبدالله المخزوميُّ عن عثمان بنِ موسى مولانا قال:

كنا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكَنّات، ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس: مَن تحبون أن يجيئكم؟ قلنا: منصورٌ الحجَبيّ. فقال: أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني:

أحسـنُ النـاس فـاعلمـوه غنـاءً ... رجـل مـن بنـي أبـي الكَنّـات

عفـت الـدار بـالهضـاب اللـواتـي ... بسَـوار فملتقـى عـرفـات

---

(١) سقطت هذه الكلمة من س.

(٢) المحامل: جمل محمل كمجلس، وهو شقان على البعير، يحمل فيهما العديلان.

(٣) في س: «بتهيك»، تحريف.

(٤) في هد، مل. نزق وفي ب، س مرق، كفرح.

(٥) في ف، و «نهاية الأرب»: «فأعجبه ذلك».

(٦) ـ (٦) زيادة من هد، ف.

١٢٨/١٨ / فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بُعد قد أقبل يركُض دابته نحونا، فلما جلس إلينا قلنا له: من أين علمتَ بنا؟ قال: سمعتُ صوت عمرو يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر، فخرجتُ أركضُ دابتي حتى صِرتُ إليكم، قال: وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال.

قال هارون، وأخبرني محمد بن عبدالله، قال: أخبرني يحيى بنُ يَعلَى بنِ سعيد قال:

بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكَنّات كأنه معي، فأَمرتُ الغلام فأسرج لي دابتي، وخرجتُ أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدتُه جالساً على الكثيب العارض ببطن عُرَنَة[1] يغني:

[٢٠/٣٦٢] / صوت

خذي العفو مني تستديمي مودّتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرة الدُّفّ مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيَّب

فإني وجدتُ الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبّ يذهب

عروضه من الطويل، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق. والشعر لأسماء بنِ خارجة الفزاريّ، وقد قيل: إنه لأبي الأسود الدّؤلي، وليس ذلك بصحيح. والغناء لإبراهيم الموصلي، وفيه لحن قديم للغريض من رواية حماد عن أبيه.

(١) بطن عرنة: واد بحذاء عرفات.

/ أسماء بن خارجة وابنته هند

[٢٠/٣٦٣]

وصيته لبنته ليلة زفافها:

أخبرني اليزيديّ عن أحمدَ بنِ زُهيرٍ عن الزُّبير بن بكار قال:

زَوّج أسماء بنُ خارجة الفزاريّ بنته هنداً من الحجاج بن يوسف، فلما كانت ليلة أراد البناء بها قال لها أسماء بن خارجة: يا بنيّة، إنّ الأمهات يؤدبن البنات، وإنّ أمّك هلكَت وأنت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب الماءِ، وأحسن الحُسن الكحل. وإياك وكثرةَ المعاتبة، فإنها قطيعة للوُدّ، وإياك والغَيرة فإنها مفتاح الطلاق. وكوني لزوجك أمَةً يكن لك عبداً، واعلمي أني القائل لأمّك:

* خذي العفو مني تستديمي مودّتي *

شعر لبعض الشعراء فيها:

قال: وكانت هند امرأة مجرَّبة قد تزوجها جماعة من أمراء العراق، فقبلَت من أبيها وصيته. وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكلّ خير، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها:

جــزاكَ الله يــا أسمــاء خيــراً ... كمــا أرضيــت فَيْشلــة الأميــر

بِصــدغ قــد يفــوح المســك منــه ... عليــه مثــل كِــركــرة[1] البعيــر

إذا أخــذ الأميــر بمَشعبيهــا ... سمعــتَ لهــا أزيــزاً كــالصريــر

إذا لقحــت بــأرواح تــراهــا ... تجيــد الــرَّهــز مــن فــوق الســريــر[2]

قال مؤلف هذا الكتاب: الشعر لعُقَيْبة الأسديّ.

يعير معير بتزويج الحجاج فيحتال حتى يزوجه المعير أيضاً:

أخبرني الجوهريّ وحبيبُ المهلبيّ عن ابن شبة قال:

/ لما قدم الحجاج الكوفة أشار عليه محمدُ بنُ عُمير بنِ عُطارد أن يخطب إلى أسماءِ ابنته هند، فخطبها فزوجه أسماءُ ابنته، فأقبل عليه محمد متمثّلاً يقول: [٢٠/٣٦٤]

أمِــنْ حَــذر الهُــزال نكحــتَ عبــداً ... فصهــر العبــد أدنــى للهــزال!

فاحتملها عليه أسماءُ وسكت عن جوابه، ثم أقبل على الحجاج يوماً وهند جالسة، فقال: ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنتَه فإنّ من[3] شأنها كيتَ وكيتَ. فقال: أتقول / هذا وهند تسمع؟ فقال: موافقتك ١٢٩/١٨

(١) الكركرة: جزء من زور البعير، ناتىء عن جسمه كالقرص، إذا برك أصاب الأرض.
(٢) الرهز: التحرك عند المباشرة، وفي ف: «إذا لقحت بأزواج»، وفي هد: «إذا لهجت بأرواح».
(٣) في ف: «فإن من أمرها وشأنها».

أحبّ إليّ من رضا هند، فخطبها إلى محمد بنِ عمير، فزوجه إيّاها، فقال أسماءٌ لمحمدِ بنِ عُمَير، وضرب بيده على منكبه:

دونـك مـا أسـديتـه يـابـن حـاجـب سـواء كعَيـن[1] الـديـك أو قُـذّة[2] النسـرِ

بقـولـك للحجـاج إن كنـت نـاكحـاً فـلا تعـدُ هنـداً مـن نسـاء بنـي بـدر

فـإن أبـاهـا لا يـرى أنّ خـاطبـاً كفـاءٌ لـه إلا المتـوجَ مـن فِهـر

فـزوجتُهـا الحجـاج لامتكـارهـا ولا راغبـاً[3] عنـه ونعـم أخـو الصهـر

أردتَ ضِـراري فـاعتمـدتَ مسـرتـي وقـد يُحسـن الإنسـان مـن حيـث لا يـدري

فـإن تـرهـا عـاراً فقـد جئـتَ مثلهـا وإن تـرهـا فخـراً فهـل لـك مـن شكـر؟

أحبت هند عبيدالله بن زياد حبّاً شديداً:

قال المدائني حدّثني الحرمازي عن الوليد بن هشام القحذمي وكان كاتب خالداً القسريّ ويوسفَ بنَ عمر[4] أن هنداً بنت أسماء كانت تحت[5] عُبيدِالله بنِ زيادٍ، وكان أبا عذرها، فلما قتِلَ ـ وكانت معه ـ لبِسَتْ قَباء، وتقلّدت سيفاً، وركبت فرساً / لعُبيدالله كان يقال لها: الكامل، وخرجت حتى دخلَت الكوفة ليس معها دليل، ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلق الله جزعاً عليه، ولقد قالت يوماً: إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عُبيدِالله بنِ زياد. [٢٠/٣٦٥]

بشر بن مروان يتزوجها:

فلما قدِم بشرُ بنُ مروان الكوفة دُلّ عليها، فخطبها، فزُوِّجها، فولدَت له عبدَالملك بنَ بشر، وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك، وكان إذا صلّى العصر خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلا أعينُ مولاه صاحبُ حمّام أعينَ بالكوفة، وأخذ في شأنه. فلم تزَل هند تتجسّس خبره حتى عرفته، فبعثَت مولى لها، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشده وأرقه وأصفاه، وأحضرَت[6] له طعاماً علمت أنه يشتهيه، وأرسلَت إلى أخويها: مالك وعيينة، فأتياها وبعثَت إلى بشر واعتلّت عليه بعلة، فجاءها فوضعَت بين يديه ما أعدّته، فأكل وشرب، وجعل مالك يسقيه، وعيينه يحدّثه، وهند تريه وجهها. فلم يزَل في ذلك حتى أمسى، فقال: هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً؟ فقالت: هذا دائم لك ما أردتَه، فلزمها وبقِي أعينُ يتبع الديار بوجهه ولا يرى بشراً، إلا أن يبحث عن أمره فعرفه، وعلم أنه ليس فيه حظ بعدها. قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه، فقال الفرزدق في ذلك:

فـإن تـك[7] لا هنـد بكتـه فقـد بكـت عليـه الثـريـا فـي كـواكبهـا الـزُّهـر

(١) يضرب المثل بعين الديك في الصفاء.
(٢) قذة النسر: ريشه، كأنها في مقابلة عين الديك كناية عن المشارة والمعاداة.
(٣) كذا في ف. وفي س، ب: «باغياً»، تحريف.
(٤) كذا في ب، ف. س: «ابن عمران»، تحريف.
(٥) كذا في ف، وفي س، ب: «تحب».
(٦) في ف: «أصلحت».
(٧) في ف: «فإلا تكن».

الحجاج يخلف بشراً في تزوجها:

ثم خلَف عليها الحجاجُ، وكان السبب في ذلك فِيما ذكره المدائنيّ عن الجِرمازيّ عن القحذميّ، وأخبرني به من هٰاهنا أحمدُ بنُ عبدالعزيز عن ابنِ شبة عن عثمانَ بنِ عبدِ الوهاب عن عبدِ الحميد الثقفيّ قالا:

كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بُردةَ بنَ أبي موسى الأشعري ـ وهو قاضيه ـ / إلى أسماءِ يقول له: إن قبيحاً [٢٠/٣٦٦] بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بِشرٍ لا أضمهما إليّ، وأتولّى منهما مثلَ ما أتولى من ولَدي. فاسأل هنداً أن تطيب نفساً عنهما.

وقال عمر بن شبة في خبره: وأعلِمْها أنه لا بد من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدبهما، قال أبو بُردة: فاستأذنت فأُذن لي وهو يأكل وهند معه، فما رأيت وجهاً[1] / ولا كفاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفها وذراعها، وجعلَت ١٣٠/١٨ تُتحفني وتضع بين يَديّ.

قال أبو زيد في خبره: فدعاني إلى الطعام، فلم أفعل، وجعلَت تعبث بي وتضحك، فقلت: أما والله لو علمتِ ما جئتُ له لبكيتِ، فأمسكت يدها عن الطعام فقال: أسماء: قد منعتَها الأكل: فقل: ما جئت له. فلما بُلّغَت أسماء ما أُرسلتُ به بكت، فلم أر والله دموعاً قطّ سائلة من محاجرَ أحسنَ من دموعها على[2] محاجرها. ثم قالت: نعم أُرسل بهما إليه، فلا أحد أحقّ بتأديبهما منه.

وقال أسماءُ: إنما عبدالملك ثمرة قلوبنا ـ يعني عبدالملك بنَ بشر ـ وقد أنِسنا به، ولكن أمرَ الأمير طاعة، فأتيت الحجاج، فأعلمته جوابها وهيئتها. فقال: ارجع فاخطبها عليّ فرجعتُ وهما على حالهما. فلما دخلتُ قلت: إني جئتكَ بغير الرسالة الأولى قال: اذكر ما أحببتَ. قلت: قد جئت خاطباً. قال: أَعلى نفسك فما بنا عنك رغبة؟ قلت: لا، على مَن هو خير لها مني، وأعلمتُه ما أمرني به الحجاج، فقال: ها هي تسمع ما أدّيت، فسكَتَتْ، فقال أسماء: قد رضيَتْ، وقد زوجتها إياه.

فقال أبو زيد في حديثه: فلما زَوّجها أبوها قامت مبادِرة وعليها مُطْرَف[3]، ولم تستقل قائمة مِن ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها مِن شَحمها، فانصرفتُ بذلك إلى الحجاج، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً مِنْ ثياب وقال: يا أبا بردة، / إني أحب أن تسلمها إليها، ففعلتُ ذلك، وأرسلَت إليّ من المال بعشرين ألفاً، [٢٠/٣٦٧] ومن الثياب تختين. فقلت: ما أقبل شَيئاً حتى أستطلع رَأي الأمير. ثم انصرفتُ إليه فأعلمتُه، فأمرني بقبضة ووصلني بمثله[4].

وقال: أبو زيد في حَديثه: فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرةُ آلاف درهم، وثلاثين جارية مع كل جارية تختٌ من ثياب، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يَذكر عددهَا. فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لي به الحجاج، فأبيتُ قبوله، وقلت: ليس الحجاج ممن يتعرّض له بمثل هذا. وأتيت الحجاج فأخبرته. فقال: قد أحسنتَ وأضعَفَ الله لك ذلك، وأمر له بستين ألفاً، وبضعف تلك الثياب، وكان أولَ ما أصبته مع الحجاج. وأرسلَ

(١) ف: «فما وجدت وجهاً قط».

(٢) في ف: «من».

(٣) في ف: «مطرف خز أسود».

(٤) زيادة في ف.

إليها: إني أكره أن أبيت خِلواً[١]، ولي زوجة. فقالت: وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها[٢] كرامته وصداقها، فأصلحت من شأنها، وأتته ليلاً.

قال: المدائني: فسمعت أن ابن كناسة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت: كنتُ فيمَن زفّها. فدخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاره ستارة، وهو دون الستارة عَلَى فرشه، فلما أن دخلَت سلَّمت، فأوْمأ إليها بقضيب كان في يده. فجلَست عند رجلَيه، ومكثت ساعة وهو لا يتكلم ونحن وقوف، فَضَربت بيدها على فخذه، ثم قالت: ألم تَبعد من سوء الخلق؟ قال: فتبسم، وأقبل عليها، واستوى جالساً. فدعونا له وَخرجنا وَأُرخيت الستور.

[٢٠/٣٦٨] / **سبب تطليق الحجاج لها:**

قال: ثم قدم الحجاج البصرة، فحملها معه. فلما بني قصره الذي دون المحدَثة[٣] الذي يقال له: قصر الحجاج اليوم قال لها: هل رأيتِ قط أحسن من هذا القصر؟ قالت[٤]: ما أَحسنه! قال: أصدقيني، قالت: أمّا إذ أبيتَ فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر. وَكان فيه عبيدالله بنُ زياد، وكان دار الإمارة بالبصرة، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر. فطلق هنداً غضبا بما قالته، وبعث إلى القصر فهدمه، وبناه بلبن. ثم تعهده صالح بنُ عبدالرحمن في / خلافة سليمان بن عبدالملك، فبناه بالآجرّ، ثم هُدم بعد ذلك فأُدخل في المسجد الجامع. ١٣١/١٨

حنين الحجاج إلى مراجعتها:

قال: القحذميّ عن محمد بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي:

فخرجنا يوماً نعود عبدالملك بن بشر، فسلّمنا عليه وعُدناه معه. ثم خرجنا وَتخلف الحجّاج، فوقفنا ننتظره، فلما خرج التفتّ فرآني، فقال: يا محمد وَيحك! رَأيتُ هنداً الساعة فما رأيتها[٥]، قط أجمل ولا أشبّ منها حين رأيتها، وما أنا بمُمسٍ حتى أراجعها: فقلت: أصلح الله الأمير، امرأة طلقتها على عتب[٦] يرى الناس أن نفسك تتبعها، وتكون لها الحجة عليك. قال: صدقت، الصبر أحجى.

قال: محمد: والله ما كان منى ما كان نظراً ولا نصيحة، ولكني أنِفت لرجل من قريش أن[٧] تداس أمّه في كل وقت.

[٢٠/٣٦٩] / **خبر طريف يروى عن أسماء:**

أخبرني الحسين بنُ يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال:

حججتُ فإني لفي رُفقة من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة، فنامت وانتهبت[٨] وحية مطوية عليها، قد جمعت

(١) خلوا: لا زوجة معي.
(٢) كذا في ف. وفي ب، س: «انتهى»، تحريف.
(٣) المحدثة: قرية بواسط.
(٤) س، ب: «قال لها: هل رأيت قط أحسن من هذا القصر؟ فقالت: هذا القصر».
(٥) ب، س: «فما رأيت»، والمثبت من ف.
(٦) كذا في ف وفي ب، س: «على عنت».
(٧) كذا في ف؛ وفي ب، س: «أنفت لرجل أن ترامس أمه»، وفيها سقط وتحريف.
(٨) كذا في ف. ب، س: «وانتبهت ومعها حية».

رأسها وذنبها بين ثدييها. فهالنا ذلك وارتحلنا(١).

فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرَم فانسابت، فدخلنا مكة وقضينا نُسكنا، فرآها الغريض فقال: أيْ شِقيّة، ما فعلَت حيتك؟ فقالت: في النار، قال: ستعلمين مَن أهل النار؟ ولم أفهم ما أراد، وظننتُ أنه مازحها، واشتقتُ إلى غنائه، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك، فأتيت بعض أهله، فسألتُه ذلك، فقال نعم، فوجَّه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا، وقال لي: اركب بنا، فركبنا حتى سِرْنا قدرَ مِيل، فإذا الغريض هناك، فنزلنا، فإذا طعام مُعَدّ، وموضع حسن. فأكلنا وشربنا، ثم قال: يا أبا يزيد، هات بعض طرائفك فاندفع يغني، ويوقع بقضيب:

مـرضـتُ فلـم تحفـل علـيّ جنـوب ... وأُدنفـتُ والمَمشـى إلـيّ قـريـب

فـلا يُبعـد الله الشبـاب وقـولَنـا ... إذا مـا صبـونـا صبـوة سنتـوب

فلقد سمعنا شيئاً ظننت أن الجبال التي حولي تنطق معه: شَجَا صوت، وحُسْن غناء. وقال لي: أتحب أن يَزيدك(٢)؟ فقلت: إي والله. فقال: هذا ضيفك وضيفنا، وقد رغب إليك وإلينا، فأسعِفْه بما يريد. فاندفع يغني بشعر مجنون بني عامر:

عفـا الله عـن ليلـى الغـداة فـإنهـا ... إذا وَلِيـت حكمـا علـيّ تجـور

أأتـرك ليلـى ليـس بينـي وبينهـا ... سـوى ليلـة؟ إنـي إذاً لصبـور!

/ فما عقلَت لما غنى من حسنه إلا بقول صاحبي: نجور عليك يا أبا يزيد. فقلت: [٢٠/ ٣٧٠]

وما معناك في ذلك؟ فقال: إن أبا يزيد عرّض بأني لما وليت الحكم عليه جُرت في سُؤالي إياه أكثر من صوت واحد. فقلت له ـ بعدَ ساعة ـ سرّاً: جُعلتُ فداءك، إني أريد المضي وأصحابي يريدون الرحلة، وقد أبطأتُ عليهم، فإن رأيت أن تسأله ـ حاطه الله من السوء والمكروه ـ أن يزوّدني لحناً واحداً. فقال لي: يا أبا يزيد، أتعلم ما أنهى إلينا ضيفُنا؟ قال: نعم، أرادك أن تكلمني في أن أغنيه قلت: هو والله ذلك، فاندفع يغني:

خـذي العفـو منـي تستـديمـي مـودتـي ... ولا تنطقـي فـي سَـورتـي حيـن أغضـب

فـإنـي رأيـت الحب فـي الصـدر والأذى ... إذا اجتمعـا لـم يَلبـث الحـبُّ يـذهـب

/ فقال: قد أخذنا العفو منك، واستدَمْنا مودتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أحدثكم بحديث حسن؟ فقلنا: ١٣٢/١٨ بلى. قال: قال شيخ العلم وفقيه الناس وصاحب عليّ ـ صلوات الله عليه ـ وخليفة عبدالله بنِ العباس على البصرة أبو الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء(٣): أيْ بُنَيّة، النساء(٤) كنّ بوصيتك وتأديبك أحقَّ مني، ولكن لا بد مما لا بد منه. يا بنيّة، إن أطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الدهن، وأحلى الحلاوة الكحل. يا بنية، لا تكثري مباشرة زوجك فيملّك، ولا تباعدي عنه فيجفَوك ويعتلّ عليك، وكوني كما قلت لأمّك:

---

(١) كذا في ب، س: «ارتحلنا»، تحريف.

(٢) في ف: «نزيدك».

(٣) ف: «ليلة بها».

(٤) ف: «إن النساء».

خـذي العفـو منـي تسـتديمـي مـودتـي ولا تنطقـي فـي سَـورتـي حيـن أغضـب

[٢٠/٣٧١] / فقلت: له فدَتك نفسي، ما أدري أيّهما أحسن: أحديثك أم غناؤك؟ والسلام عليكم. ونهضتُ فركبتُ وتخلّف الغريض وصاحبه في موضعهما، وأتيت أصحابي وقد أبطأتُ، فرحَلنا منصرفين حتى إذا كنا في المكان الذي رأيت فيه الحية منطوية على صدر المرأة ونحن ذاهبون ـ رأيت المرأة والحيةُ منطوية عليها، فلم ألبث أن صفَرت الحية، فإذا الوادي يسيل علينا حيات فنهشتها حتى بقيت عظاماً. فطال تعجبنا من ذلك، ورأينا ما لم نر مثله قط. فقلت لجارية كانت معها: ويحك أخبرينا عن هذه المرأة، قالت: نعم أُثكلَت[1] ثلاث مرات، كلَّ مرة تلد ولداً: فإذا وضعته سجَرت التنور ثم ألقته: فذكرتُ قول الغريض حين سألها عن الحية، فقالت: في النار. [2]فقال: ستعلمين من في النار[2].

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء

فمنها:

صوت

مـرِضـتُ فلـم تحفـل علـى جَنـوبُ وأُدنفـتُ والمَمشَـى إلـيّ قـريـبُ

فـلا يُبعـد الله الشبـاب وقـولَنـا إذا مـا صبـونـا صبـوة ستتـوب

عروضه من الطويل. الشعر لحُميدِ بنِ ثَورٍ الهلاليّ، والغناء للغريض من رواية حماد عن أبيه، وفيه لِعَلُّويَه ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومنها:

[٢٠/٣٧٢] / صوت

عفـا الله عـن ليلـى الغـداة فـإنهـا إذا وليـت حكمـا علـيّ تجـور

أأتـرك ليلـى ليـس بينـي وبينهـا سـوى ليلـة إنـي إذا لصبـور!

عروضه من الطويل، والشعر ـ يقال ـ لأبي دَهبلٍ الجُمَحيّ، ويقال: إنه لمجنون بني عامر، ويقال: إنه لعمرَ بنِ أبي ربيعةَ. والغناء لابن سُرَيج، خفيف رمَل بالوسطى، عن عمرو بن بانة، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى، وفي الثاني والأول خفيف ثقيل أول بالبنصر مجهول.

أخبرني الحرَميّ عن الزبير عن محمدِ بن الضحاك عن أبيه قال: قال أبو دهبل:

أأتـرك ليلـى ليـس بينـي وبينهـا سـوى ليلـة إنـي إذا لصبـورُ

هبـونـي امـرأ منكـم أضـلّ[3] بعيـرَه لـه ذمـة إن الـذمـام كبيـر

/ ولَلصـاحـب المتـروك أعظـم حـرمـة علـى صـاحـب مـن أن يَضـلّ بعيـر

(١) ف، هد: «بغت ثلاث مرات».
(٢ ـ ٢) زيادة من ف، هد.
(٣) أضل بعيره: ذهب البعير عنه.

قال الزبير وقال عمي: هذه الأبيات لمجنون بني عامر.

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخزازُ عن المدائنيّ عن أبي محمدٍ الشيباني قال: قال عبدالملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: أنت القائل:

أأتــرك ليلــى ليــس بينــي وبينهــا   ســوى ليلــة إنــي إذا لصبــور!

قال: نعم. قال فبئس المحبّ أنت: تركتها وبينها وبينك غُدوة. قال: يا أمير المؤمنين، إنها من غُدوات سليمانَ، غدوُّها شهر، ورواحها شهر.

أخبرني اليزيديّ عن أحمدَ بن يحيى وابنِ زهيرٍ قال حدثني عمرُ بنُ القاسم بنِ المعتمر الزهريُّ قال: قلت لأبي السائب المخزوميّ: أما أحسنَ الذي يقول:

/ أأتــرك ليلــى ليــس بينــي وبينهــا   ســوى ليلــة إنــي إذا لصبــور! [٢٠/٢٧٣]

هبــونــي أمــرأ منكــم أَضــل بعيَــره   لــه ذمــة إن الــزمــام كبيــر

وللصاحــب المتــروك أعظــم حُــرمــة   علــى صاحــب مــن أن يضــلّ بعيــر؟

فقال: بأبي أنت، كنتُ والله أجنّبك[١] وتثقل عليّ، فأنا الآن أحبك[٢] وتخفّ عليّ، حيث تعرف هذا.

[٢٠/٢٧٤]

/ صوت

مِــن الخفِــرات لــم تفضــح أخــاهــا   ولــم تَــرفــع لــوالــدهــا شَنــارا

كــأنّ مَجــامــع الأرداف منهــا   نقــاً دَرجــتْ[٣] عليــه الــريــح هــارا

يعــاف وصــالَ ذات البــذْل قلبــي   ويتَّبــع الممنَّعــة النَّــوارا

[٤]الخفِرة: الحيية، والخَفَر: الحياء. والشَّنار: العار. والنقا: الكثيب من الرمل. درجت عليه الريح: مرت. هار: تهافت وتداعى. قال الله تبارك وتعالى: ﴿على شفَا جُرُف هارٍ﴾[٥] ويعاف: يكره. والنوار: الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء[٤].

عروضه من الوافر. الشعر للسُّلَيك بنِ السُّلَكة، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن الهِرْبِذ لحن من رواية بذل، ولم يذكر طريقته وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنّسه.

---

(١) س، ب: «أحبك».

(٢) زيادة في ف.

(٣) كذا في ف. ب، س: «نقادر»، تحريف.

(٤ ـ٤) زيادة في ب.

(٥) سورة التوبة: ١٠٩.

[٢٠/٣٧٥]

/ أخبار السليك بن السلكة ونسبه

نسبه:

هو السُّلَيْكُ بنُ عمرو، وقيل: بنُ عميرِ بنِ يثربيّ. أحدُ بني مُقاعس، وهو الحارثُ بنُ عمرو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ زَيد مناةَ بن تميم. والسُّلَكة: أمَة، وهي أمَة سوداء.

من صعاليك العرب العدائين:

وهو أحد صعاليك العرب العدّائين الذين كانوا لا يُلحَقون، ولا تعلَق بهم الخيل إذا عدَوا. وهم: السُّلَيك بنُ السُّلَكة، والشَّنْفَري، وتأبط شراً، وعمرو بن برّاق، ونفيل بن براقة. وأخبارهم تذكر على تواليها ها هنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يُغنَّى فيها؛ لتتصل أحاديثهم.

فأمّا السُّلَيك[1] فأخبرني بخبره الأخفش عن السكري عن ابن حبيبٍ عن ابن الأعرابي، قال: وقرىء لي خبره وشعره على محمدِ بن الحسنِ الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة. أخبرني ببعضه اليزيديّ عن عمه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضَّل، وقد جمعتُ رواياتهم، فإذا اختلفت نسبتُ كل مرويٍّ إلى راويه.

يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشربه في الصيف:

قال أبو عبيدة: حدثني المنتجعُ بنُ نَبْهان قال:

كان السُّلَيك بنُ عميرٍ السعديُّ إذا كان الشتاء استَودع ببَيض النعام ماءَ السماء ثم دفنه، فإذا كان الصيف / وانقطعَت إغارة الخيل وأغار. وكان أدلّ من قطاة ـ يجيء حتى يقف على البيضة. وكان لا يغير على مضر، وإنما يغيرُ على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة.

[١٣٤/١٨]

صفاته:

وقال المفضل في روايته:

[٢٠/٣٧٦]

وكان السلَيك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرِهم. وكَانت العرب تدعوه / سلَيك المقانب[2] وكان أدلّ الناس بالأرض، وأعلَمهم بمسالكها، وأشدَّهم عَدْواً على رجليه لا تعلَق به الخيل. وكان يقول: اللهم إنك تهيىء ما شئت لما شئت إذا شئت. اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة. اللهم إني أعوذ بك من الخَيبة، فأما الهَيبةُ فلا هيبةَ.

من إنهاء غاراته:

فذكرو أنه أملقَ حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يمرّ به فيذهبَ

(١) ب، س: «أخبرني».
(٢) المقانب، جمع مقنب وهو من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين.

بإبله، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردةٍ مُقمرةٍ فاشتمل الصماءَ ثم نام ـ واشتمال الصماء: أن يَرُدَّ فَضلة ثوبه على عضده اليمنى، ثم ينام عليها ـ فبينا هو نائم إذ جثم رَجل[1] فقعد على جنبه فقال: استأسر. فرفع السليك إليه رأسه، وقال: الليل طويل وأنت مقمر. فأرسلَها مثلاً، فجعل الرجل يَلْهَزه[2] ويقول: يا خبيث استأسر. فلما آذاه بذلك أخرج السليك بعده، فضم الرجل إليه ضَمة ضرَط منها وهو فوقه، فقال السليك: أضرَطا وأنت الأعلى؟ فأرسلها مثلاً، ثم قال: مَن أنت؟ فقال. أنا رجل افتقرت، فقلت: لأخرجَنّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغني فآتيهم وأنا غنّي قال. انطلق معي. فانطلقا، فوجدا رجلاً قصتُه مثل قصتهما. فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجَوفَ: جوف مراد.

فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم قد ملأ كل شيء من كثرته. فهابوا أن يُغيروا فيطردوا بعضها، فيلحقَهم الطلب. فقال لهما سلَيك. كُونا قريباً مني حتى آتي الرِّعاء فأعلمَ لكما عِلَم الحي، أقريب أم بعيد. فإن كانوا قريباً رجعت إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أومىء[3] إليكما به فأغيرا. فأنطلق حتى أتى الرِّعاء، فلم يزن / يستنطقهم [٢٠/٣٧٧] حتى أخبروه بمكان الحي، فإذا هم بعيد. إن طُلبوا لم يُدركوا. فقال السُّلَيك للرِّعاء: ألا أغنيكم؟ فقالوا: بلى غنّنا، فرفع صوته وغنّى:

يا صاحبيّ ألا لاحي بالوادي سوى عَبيدٍ وآمٍ[4] بين أذواد

أتنظران قريباً رَيثَ غفلتِهم أم تغدوان فإن الريح[5] للغادي؟

فلما سمعا ذلك أتيا السليك، فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصَّرِيخُ الحي حتى فاتوهم بالإبل.

نبأ آخر من أنباء المراتع:

قال المفضل: وزعموا أن سلَيكا خرج ومعه رجلان من بني الحارث بنِ امرىء القيسِ بنِ زيدِ مناةَ بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم وهو يريد الغارة، فمر على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى. فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتيَ أهل هذا البيت، فلعلي[6] أن أصيب لكم خيراً، أو آتيكم بطعام قالوا: افعل، فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل، فإذا البيت بيت رُوَيم، وهو جد حوشب بنِ يزيد بن رُويم، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت.

فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن راح ابنه بإبله. فلما أراحها غضب الشيخ، وقال لابنه: هلاّ عشيّتَها ساعة من الليل. فقال له ابنه: إنها أبت العشاء فقال: / العاشية[7] تَهيج الآبية، فأرسلَها مثلاً، ثم غضب [١٣٥/١٨] الشيخ، ونفَض ثوبه في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة. فرتعَت. وحبس الشيخ عندها لتتعشى، وغطى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سليك.

(١) ف، هد: م: «جثم عليه رجل».
(٢) يلهزه: يضربه بجمع يده في صدره أو رقبته.
(٣) أومىء. أوحي إليكما به.
(٤) الآم: جمع أمة.
(٥) الريح: الغلبة والظفر.
(٦) ب، س: «فعلي».
(٧) العاشية: الراعية ليلاً من الإبل.

[٢٠/٣٧٨] / فلما وجد الشيخ مغترا[1] خَتله[2] من ورائه، فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردها، فلم يشعر صاحباه - وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه - حتى إذا هما بالسلَيك يطردها فطرداها معه، وقال سلَيك في ذلك:

وعاشيةٍ راحت بِطاناً ذعَرتُها ... بسوط[3] قتيلٍ وسْطها يُتسيف[4]

كأنّ عليه لونَ بُرد محبَّر[5] ... إذا ما أتاه صارخ[6] يتلهف

فبات لها[7] أهل خلاءٌ فناؤهم ... ومرّت بهمْ طير فلم يتعيفوا[8]

وباتوا يظنون الظنون وصُحبتي ... إذا ما علَوا نشزا[9] أهلّوا وأوجفوا[10]

وما نلْتها حتى تصعلكتُ حِقبة ... وكدتُ لأسباب المنية أعرِف[11]

وحتى رأيتُ الجوع بالصيف ضرّني ... إذا قمت تغشاني ظلال فأَسدِف[12]

من حيله للغارة:

وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة:

[٢٠/٣٧٩] خرج سُلَيك في الشهر الحرام حتى أتى عُكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه، / ثم خرج متفضّلا مترجلاً، فجعل يطوف الناس ويقول: مَن يصف لي منازل قومه، وأصف له منازل قومي؟ فلقيه قيسُ بنُ مكشوحَ المراديُّ، فقال: أنا أصف لم منازل قومي، وَصِف لي منازل قومك، فتوافقا، وتعاهدا ألا يتكاذبا.

فقال قيسُ بن المكشوح: خذ بين مهَبّ الجنوب والصَّبا، ثم سِرْ حتى لا تدري أين ظل الشجرة؟ فإذا انقطعَت المياه فسِر أربعاً حتى تبدو لك رملةٌ وقفٌ بينها[13] الطريق، فإنك ترد على قومي مراد وخثعم.

فقال السُّلَيك: خُذ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء، فَثَمّ منازل قومي بني سعدِ بن زيدِ مناة.

فانطلق قيسٌ إلى قومه فأخبرهم الخبر، فقال أبوه المكشوح: ثكلتْك أمك. هل تدري من لقيت؟ قال: لقيت رجلاً فُضُلاً[14] كأنما خرج من أهله، فقال: هو والله سلَيك بن سعْد.

(١) كذا في ف، أي غافلاً. وفي ب، س: «مفترا»، أي ساكناً مستقراً، من فتر الشيء تفتيرا سكنه.
(٢) كذا في ف، وفي ب، س: «استله من ردائه».
(٣) في «مجمع الأمثال» للميداني: «بصوت».
(٤) كذا في أ، ب، جـ، أي يضرب بالسيف. وفي ف: «يتشرف» مبيناً للمعلوم، من تشرف عليه بمعنى أشرف. وفي س: «ويتسيف»، تحريف.
(٥) محبر: موشى، يريد أن الدم بدت له عليه طرائق.
(٦) كذا في أ، ف، أي باك متحزن. وفي ب، س: «صارم» تحريف.
(٧) كذا في ف. وفي ب، س: «له».
(٨) لم يتعيفوا: لم يزجروها.
(٩) نشزا: مرتفعاً من الأرض.
(١٠) أوجفوا: حملوها على الوجيف، وهو ضرب من السير.
(١١) أعرف: أصبر.
(١٢) أسدف: أظلمت عيناه من الجوع. وخص الصيف بالذكر، لكثرة اللبن فيه.
(١٣) في ف: «رملة وقف بينهما الطريق». والقف: ما ارتفع من الأرض.
(١٤) فضل: في ثواب واحد.

فاستعلق واستعوى[1] السلَيك قومه فخرج أحماس[2] من بني سعد وبني عبد شمس ـ وكان في الربيع يعمِد إلى بَيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز. قال: فإذا غزا في الصيف مرّ به فاستثاره[3] ـ فمرّ بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا: يا سلَيك أهلكتنا ويحك! قال: قد بلغتُم الماء، ما أقربكم منه! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه طلبه فلم يجده، وجعل يتردد في طلبه. فقال بعض أصحابه لبعض: أين يقودكم هذا العبد؟ قد والله هلكتُم، وسمع ذلك. ثم أصاب الماء[4] بعد ما ساء ظنهم، فهمّ السلَيك بقتل بعضهم، ثمّ أمسك.

/ فانصرفَتْ عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد. قال: ومضى السلَيك في بني مقاعس ومعه [٢٠/٣٨٠] رجل مِن بني حرام يقال له: صُرَد. فلمّا رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السُّلَيك، حتى إذا دنَوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقة صُرَد في جوف الليل، فخرج في طلبها، فأصابه أناس حين أصبح، فإذا هم مراد وخثعم، فأسروه، ولحقه[5] السلَيك فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكان أولَ مَنْ / لقيه قيسُ بن مكشوح، فأسره السلَيك بعد أن ضربه ضربة أشرفَت على نفسه، وأصاب من ١٣٦/١٨ نَعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه، وأصاب أمّ الحارث[6] بنتَ عوف بنِ يربوعٍ الخثعميةَ يومئذ، واستنقذ صُرَد من أيدي خثعم، ثم انصرف مسرعاً، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحي، وهم أكثر من الذين شهدوا معه، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا. وقال السليك في ذلك:

بكى صُرَدٌ لما رأى الحيَّ أعرضَت ... مهامهُ رملٍ دونهم وسُهوبُ
وخوّفه ريبُ الزمان وفقرُه ... بلادُ عدوّ حاضر وجَدوب
ونأيٌ بَعيد عن بلاد مقاعس ... وأن مخاريق الأمور تَريب
فقلت له لا تبك عينك إنها ... قضيةُ ما يُقضَى لها فتثوب[7]
سيكفيك فَقدَ[8] الحي لحمٌ مغرَّض[9] ... وماء قُدور في الجِفان مشوب
ألم تر أن الدهر لونان لونُهُ ... وطَوران[10] بِشْرٌ مرة وكَذوب
/ فما خير[11] مَن لا يرتجي خير أوبة ... ويُخشى عليه مِرية[12] وحروب [٢٠/٣٨١]

(١) ساقطة من ب، س.
(٢) أحماس: شجعان وفي هد، م: «فخرج في أحماس من بني سعد وبني عبد شمس».
(٣) ب، س: «استأثره»، تحريف.
(٤) زيادة في ف.
(٥) كذا في ف. وفي ب، س: «الحقوا».
(٦) في س: «حرف».
(٧) في أ: «يقضي لنا فتتوب».
(٨) الفقد: شراب من زبيب، أو عسل، أو كشوث بضمتين أو فتح وضم، وهو نبت يعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض. وفي م: «بسر».
(٩) مغرض: أخذ طريا.
(١٠) في ب، س: «طوان»، تحريف وفي ف: «وقاران بشر تارة». والتار: التارة.
(١١) في ب، س: «فيا خير»، تحريف.
(١٢) في ف: «سرية». وهي كغرفة: جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين.

رددتُ عليه نفسه فكأنما تلاقى عليه منسر[١] وسَرُوب

فما ذرّ قرن الشمس حتى أريته[٢] قُصار[٣] المنايا والغبار يثوب[٤]

وضاربتُ عنه القوم حتى كأنما يصعّد في آثارهم ويصُوب[٥]

وقلت له خذ هَجْمة[٦] حِميريّةً[٧] وأهلاً ولا يبعُد عليك شَروب[٨]

وليلةَ جابانٍ[٩] كررتُ عليهمُ على ساعة[١٠] فيها الإياب حبيب

عشيةَ كرّت[١١] بالحرامي ناقة بحيّ هلاً تُدعى به فتجيب

فضاربتُ أولي الخيل حتى كأنما أُميل عليها أيدَع وصبيب

الأيدع: دم الأخوين، والصبيب: الحِناء.

من أنباء قدرته على الاحتمال:

قال أبو عبيدة: وبلغني أن السّلَيك بنَ السُلَكَة رآه طلائع جيش لبَكرِ بن وائل، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد، فقالوا: / إن علِم السّليك بنا أنذر قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلمّا هايجاه [٢٠/ ٣٨٢] خرج يمحَص[١٢] كأنه ظبي، وطارداه سحابة يومه، ثم قالا: إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قَصَر عن العدْو، فنأخذه.

فلما أصبحا وجدا[١٣] أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها[١٤]، فندرت قوسه فانحطمت، فوجدا[١٣] قِصْدة[١٥] منها قد ارتزّت[١٦] بالأرض، فقالا: ما له، أخزاه الله؟ ما أشدّه! وهمّا بالرجوع، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاج[١٧] قد بال[١٨] فرغا في الأرض وخدّها[١٨] فقالا: ما له قاتله الله؟ ما أشد متنه!

(١) المنسر: قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير والسروب: جماعات الخيل.
(٢) كذا في ف. وفي ب، س: «رأيته».
(٣) كذا في ف. والقصار: الغاية. وفي ب، س: «مضاده»، وقد يكون محرفاً عن مصاد كسحاب. ويراد به الغاية أيضاً، وهو في الأصل: أعلى الجبل.
(٤) في ف: «والفؤاد يذوب».
(٥) يصوب: ينحدر.
(٦) الهجمة: جماعة من الإبل أولها أربعون.
(٧) كذا في أ، ف، م. وفي ب، س: «جبرية»، تحريف.
(٨) شروب: شراب.
(٩) جابان: مخلاف باليمن.
(١٠) كذا في أ، ف، م. وفي ب، س: «ساحة».
(١١) كذا في أ، م. وفي ب، س: «كدت».
(١٢) يمحص: يعدو.
(١٣ ـ ١٣) زيادة في ف على ما في س، ب.
(١٤) وردت هذه الكلمة محرفة في جميع النسخ.
(١٥) القصدة: القطعة مما يكسر.
(١٦) كذا في جـ، ف. ومعناها: ثبتت. وفي ب، س: «ارتزنت»، تحريف.
(١٧) متفاج: متباعد ما بين رجليه وفي جـ، «مفج»، من أفج بمعنى تفاج، الذي منه متفاج.
(١٨ ـ ١٨) زيادة في جـ، ف. وفي ب، س: «قد بال في الأرض وجد، فقالا»، سقط وتحريف.

والله لا نتبعه أبداً، فانصرفا. ونمى[١] إلى قومه وأنذرهم، فكذبوه لبعد الغاية، فأنشأ يقول:

يكـذّبني العَمْـران عمـرُو بـن جنـدب ... وعمـرو بـن سعـد والمكـذِّب أكـذب

لعمـرُك مـا سـاعيـتُ مـن سعـى عـاجـز ... ولا أنـا بـالـوانـي ففيـم أكـذَّب[٢]؟

ثكلتكمـا[٣] إن لـم أكـن قـد رأيتهـا ... كـراديس[٤] يهـديهـا إلـى الحـي مـوكِـب

/ كـراديـس فيهـا الحَـوْفَـزان وقـومـه ... فـوارس همَّـام متـى يَـدْعُ يـركبـوا[٥] [٢٠/ ٣٨٣]

ـ يعني الحَوْفَزان بن شريك الشيباني ـ.

[٦]تفـاقـدتـمُ هـل أنكـرنّ مغيـرة ... مـع الصبـح يهـديهـن أشقـر مغـرب[٧]؟

تفاقدتم: يدعو عليهم بالتفاقد[٦].

قال، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم.

كان يقال له: سليك المقانب:

قال: وكان يقال / للسّلَيك سلَيك المقانب، وقد قال في ذلك فرار الأسديّ ـ وكان قد وجد قوماً يتحدثون ١٣٧/١٨ إلى امرأته من بني عمها فعقرها بالسيف، فطلبه بنو عمها فهرب ولم يقدروا عليه ـ فقال في ذلك:

لَـزُوار ليلَـى منكـم آل بـرثُـن ... علـى الهـول أمضـى مـن سُلَيـك المقـانـب

يـزورونهـا ولا أزور نسـاءهـم ... ألهفـيْ لأولاد الإمـاء الحـواطـب

يلجأ إلى امرأة فتنقذه فيقول فيها شعراً:

وقال أبو عبيدة: أغار السلَيك على بني عوَار[٨] بطن من بني مالك بن ضُبَيعة، فلم يظفر منهم بفائدة، وأرادوا مساورته.

فقال شيخ منهم: إنه إذا عدا لم يُتعلق به، فدعوه حتى يرد الماء، فإذا شرب وثقُل لم يستطع العَدْو، وظفرتم به. فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب، ثم بادروه، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم[٩] وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولجَ على امرأة منهم يقال لها: فُكَيهة، فاستجار بها، فمنعته، وجعلته تحت دِرعها، واخترطت السيف، وقامت دونه، فكاثروها فكشفَت خِمارها عن شعرها، وصاحت بإخوتها فجاءوها، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل، فقال السّليك في ذلك:

---

(١) كذا في ف، أي حدث قومه بما كان. وفي ب، س: «تم»، تحريف.

(٢) هذا البيت زيادة من ف، هد.

(٣) كذا في أ، ب. وفي ف: «ثكلتهما». وفي س: «ثكتمان»، تحريف.

(٤) كراديس: جمع كردوسة، وهي القطعة العظيمة من الخيل.

(٥) كذا في أ، ف، م. وفي ب، جـ، س: «يركب» تحريف.

(٦) ـ(٦) زيادة في أ.

(٧) المغرب: الذي يأتي الغرب، والذي يجري فرسه إلى أن يموت.

(٨) ف: «عوارة».

(٩) كذا في أ، ف. وفي ب، س: «جاملهم».

[٢٠/٣٨٤]

/ لعمر أبيك والأنباء تنمى ... لنعم الجار أخت بني عُوارا[1]

من الخفرات لم تفضح أباها[2] ... ولم ترفع لإخوتها شَنارا

كأن مجامع الأرداف منها ... نَقاً درَجت عليه الريح هارا

يعاف وِصال ذاتِ البَذل قلبي ... ويتّبع الممنَّعة النَّوارَا

وما عجزت فُكَيهة يوم قامت ... بنصل السيف واستلبوا الخِمارا

يأخذ رجلاً من كنانة ثم يطلقه فيجزلون له العطاء:

أخبرني الأخفشُ عن السكّريّ عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أن السلَيك أخذ رجلاً من بني كنانةَ بنِ تَيمِ بن أُسامةَ بن مالكِ بنِ بكرِ بنِ حبيبِ بنِ غَنْمِ بن تغلبَ يقال له: النعمانُ بنُ عُقْفانَ، ثم أطلقه وقال:

سمعتُ بجمعهم فرضختُ[3] فيهم ... بنُعمانَ بنِ عُقْفانَ بنِ عمرو

فإن تكفر فإني لا أبالي ... وإن تشكر فإني لستُ أدري

قال: ثم قدِم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير، وهُم بماء لهم يقال له: قُباقِبٌ، خلف البِشْر، فأتاه نعمان بابنيه الحكَم وعثمانَ - وهما سيدا بني كنانة - ونائلةَ ابنتِه، فقال: هذان وهذه لك، وما أملك غيرهم، فقالوا: صدق، فقال: قد شكرتُ لك وقد رددتُهم عليك.

يسبق في العدو جمعاً من الشباب وهو شيخ:

فجمعَتْ له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه، ثم قالوا له: إن رأيت أن ترينا بعض ما بقي من إحضارك[4]. قال: نعم، وأبغوني أربعين شاباً، وأبغوني درعاً ثقيلة، فأتوه بذلك، فلبس الدرع، وقال للشبان: الحقوا بي إن شئتم. وعَدا، فلاث العدَو / لَوثاً، وعدَوا جَنْبَته[5] فلم يلحقوه إلا قليلاً، ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد إلى الحي هو وحده يُحضِر والدرع في عنقه تَضْرب[6] كأنها خِرْقة من شدة إحضاره. [٢٠/٣٨٥]

أخبر[7] به هاشم بن محمد الخزاعي عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدم[7].

خبر مقتله:

وقال السكريّ في خبر مَقتله: إنه لقي رجلاً من خَثْعم في أرض يقال لها: فخة، بين أرض عُقَيل وسعد تميم، وكان يقال للرجل: مالكُ بنُ عمير بنِ أبي ذراع بنِ جُشَمَ بنِ عوف، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها:

(١) كذا بالنسخ، والبيت في «الاشتقاق» (٣٥٧) وفيه: «العوار».

(٢) في ف: أخاها.

(٣) كذا في ب، جـ، س. وأصل الرضخ: إعطاء ما ليس بكثير. والمراد أنه أطلقه لهم، ومن به عليهم. وفي أ، م: «فصرخت».

(٤) الإحضار: العدو.

(٥) وفي ف، م: «في جنبتيه».

(٦) م، هد: «تضطرب».

(٧ - ٧) زيادة من هد، ف.

النَّوار، فقال له الخثعمي: أنا أفدي نفسي منك، فقال له: السلَيك: ذلك لك، على ألا تَخيس بي، ولا تطلع عليّ أحداً من خَثعم، فحالفه على ذلك، ورجع إلى قومه، وخلّف امرأته رهينة معه، فنكحها السلَيك، وجعلَت تقول: احذر خثعم؛ فإنّي أخافهم عليك، فأنشأ يقول:

تحـذّرنـي كـي أحـذَرَ العـام خثعمـا ... وقـد علمَـت أنـي امـرؤ غيـر مُسلَـم

ومـا خثعـم إلاّ لئـام أذلّـة ... إلـى الـذّل والإسحـاق[1] تنمـي وتنتمـي

قال: وبلغ ذلك شبلَ بنَ قلادةَ بنِ عمرَ بنِ سعد، وأنَس بنَ مدرك الخثعميّين، فخالفا إلى السليك، فلم يشعر إلاّ وقد طرقاه في الخيل، فأنشأ يقول:

* مَـن مبلـغ جِـذمـي بـأبنـي مقتـولْ؟ *

* يـا رُب نَهـب قـد حـويـتُ عُثكـولْ[2] *

* ورُبّ قـرنٍ قـد تـركـت مجـدولْ *

*/ وربَّ زوج قـد نكحـت عُطبـولْ[3] *

* وربَّ عـانٍ قـد فككـتُ مكبـولْ *

* ورب واد قـد قطعـت مسبـولْ *

[٣٨٦/٢٠]

قال أنس للشبل: إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل، وإن شئت أكفني القوم أكفك الرجل. قال: بل أكفيك القوم، فشد أنس على السلَيك فقتله، وقَتل شبل وأصحابُه من كان معه.

وكاد الشرّ يتفاقم بين أنس وبين عبدالملك[4]، لأنه كان أجاره حتى وَداه أنس لمّا خاف أن يخرج الأمر من يده، وقال:

كـم مِـن أخ لـي كـريـمٍ قـد فُجعـتُ بـه ... ثـم بقيـتُ كـأنـي بعـده حَجَـرُ

لا أستكيـن علـى ريـب الـزمـان ولا ... أُغضـي علـى الأمـر يـأتـي دونـه القـدر

مِـرْدَى حُـروب أُديـر الأمـر حـابلَـه ... إذ بعضُهـم لأمـور تعتـري جـزَرَ

قـد أطعـن الطعنـة النجـلاء أُتبعهـا ... طَـرْفـا شـديـداً إذا مـا يَشخَـص البصـ

ويـوم حمضـة مطلـوب دلفـتُ لـه ... بـذات وذقيـن لمـا يُعفهـا المطـ

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه:

* إنـي وقتلـى سُلَيكـا ثـم أعقِلَـه *

كما ذَكَره مَن روينا عنه ذلك.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ عن عبدالرحمن بنِ أخي الأصمعيّ عن عمه فذكر ما تقدم.

(١) الإسحاق: الإبعاد، وأسحقهم الله سحقا: باعدهم من رحمته.
(٢) أصل العثكول: العذق. والمراد نهب متنوع ذو شعب.
(٣) عطبول: فتية جميلة ممتلئة طويلة العنق.
(٤) هو عبدالملك بن مويلك الخثعمي، وسيأتي في الخبر التالي.

[٣٨٧/٢٠] / **يجعل لعبدالملك بن مويلك إتاوةً ليجيره:**

قال أبو عبيدة وحدثني المنتجعُ بنُ نَبهان قال: كان السُّلَيك يعطي عبدَالملك بنَ مُوَيلكٍ الخثعميّ إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوزَ بلاد خثعم إلى مَن وراءهم من أهل / اليمن، فيُغيرَ عليهم. فمرّ قافلاً من غزوة فإذا بَيت من خثعم أهلُه خُلوف[1] وفيه امرأة شابة بَضّة، فسألها عن الحي فأخبرته، فتسنمها، أي علاها، ثم جلس حَجْرة[2]، ثم التَقم المَحجّة،[3] فبادَرتْ إلى الماء فأخبَرتْ القوم، فركب أنس[4] بنُ مُدركٍ الخثعمي في طلبه فلحقه، فقتله. فقال عبدالملك: والله لأقتلَنّ قاتله أولَيَدِيَنّه، فقال أنس: والله لا أديه ولا كرامة، ولو طلب في ديته عِقالا لما أعطيته. وقال في ذلك:

١٣٨/١٨

إنــي وقتلِــي سُلَيكــا ثــم أعقِلَــه	كــالثــور يخضــرب لمــا عــافــت البقــر
عضبــتُ للمــرء إذ نيكــت حليلتُــه	وإذ يُشَــد علــى وَجعــائهــا[5] الثَّفَــر[6]
إنــي لتــاركُ هــامــات بمجــزَرة	لا يــزدهينــي[7] ســواد الليــل والقمــرُ
أغشــى الحــروب وســربــالــي مضــاعَفَــة	تغشــى البنــانَ وسيفــي صــارم ذكــر

الغناء بشعره أفسد مجلس لهو:

أخبرني ابنُ أبي الأزهر عن حمادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن فُلَيح بن أبي العوراء قال:

كان لي صديق بمكة، وكنا لا نفترق ولا يكتم أحد صاحبه سرّاً، فقال لي ذات يوم: يا فُلَيح، إني أهوى ابنة عم لي ولم أقدر عليها قط، وقد زارتني اليوم فأحبّ أن تَسُرّني بنفسك، فإني لا أحتشمك. فقلت: أفعل، وصرت إليهما، وأُحضر / الطعام فأكلنا، ووُضع النبيذ فشربنا أقداحنا، فسألني أن أغنيَهما، فكأن الله ـ عزّ وجل ـ أنساني الغناء كلّه إلّا هذا الصوت: [٣٨٨/٢٠]

مــن الخفِــرات لــم تفضــح أبــاهــا	ولــم تُلحــق[8] بــإخــوتهــا شَنــارا

فلما سمِعته الجارية قالت أحسنت يا أخي، أعِد، فأعدتُه. فوثبَتْ وقالت: أنا إلى الله تائبة، والله ما كنت لأفضح أبي ولا لأرفعَ لإخوتي شنارا. فجَهَد الفتى في رجوعها فأبَت وخرجَت، فقال لي: ويحك ما حملك على ما صنعتَ؟ فقلت: والله ما هو شيء اعتمدتُه، ولكنه أُلقي على لساني لأمر أُريدَ بك وبها. هكذا في الخبر المذكور.

وقد رواه غير من ذكرتُه عن فُلَيح بنِ أبي العوراء، فأخبرني اليزيديّ عن عمه عبيدالله قال: كان إبراهيم بن سعدان يؤدب ولد عليّ بنِ هشامٍ، وكان يغَنّي بالعود تأدباً ولعباً، قال: فوجّه إليّ يوماً عليُّ بنُ هشام يدعوني،

(١) خلوف: ذهبوا من الحي.
(٢) زيادة في ف: ومعناها: جلس ناحية.
(٣) إلتقم السحَجّة: استقبلها، وراح يطويها كأنه يلتقمها.
(٤) كذا في ا، ف. م. وفي ب، س: «أسد».
(٥) الوجعاء: الدبر.
(٦) الثفر: السير في مؤخر السراج، وكني بذلك عن اعتلائه إياها.
(٧) لا يزدهيني: لا يستخفني.
(٨) ف، هد: «ولم ترقع».

فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنَّرْد، فرجعت عجلاً، فصاح بي: ادخل، فدخلْت، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه، فقال: خذ عوداً وغنّ لنا، ففعلت، ثم غنيت في وَسَط غنائي:

مِـــن الخِفَـــرات لـــم تفضَـــح أبـــاهـــا ولـــم تـــرفـــع لإخـــوتهـــا شَنـــارا

فوثبت من بين يديه، وغطت رأسها، وقالت: إني أُشهد الله أني تائبة إليه، ولا أفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شنارا. فَفَتَر عليّ بن هشام ولم ينطق وخرجَتْ من حضرته، فقال لي: ويلك، مِن أين صبّك الله عليّ؟ هذه مغنية بغداد، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا اليوم، فجئتني بهذا الصوت حتى هربَت. فقلت: والله ما اعتمدتُ مَساءتك، ولكنه شيء خطر على غير تعمد.

[٢٠/٣٨٩]

/ صـوت

أمَسْلَـــم إنِّـــي يـــا بـــنَ كـــلّ خليفـــة ويـــا جبَـــل الـــدنيـــا ويـــا ملِـــكَ الأرضِ

/ شكـــرتُـــك إن الشكـــر حـــظ مـــن التقـــى ومـــا كـــلّ مـــن أوليتَـــه نعمـــة يَقضـــي

١٣٩/١٨

الشعر لأبي نُخَيلة الحِماني، والغناء لابن سُرَيج، ثقيل بالوسُطى عن يحيى المكي.



[٢٠/٣٩٠]

/ أخبار أبي نُخيلَة ونسبه

اسمه وكنيته ونسبه:

أبو نُخيلَة اسمه لا كنيته، ويكنى أبا الجُنيد، ذكر الأصمعي ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيبٍ، لا يعرف له اسم[١] غيره، وله كنيتان: أبو الجُنيد وأبو العِرماس، وهو ابن حزن[٢] بنِ زائدةَ بنِ لقِيط بن هَرِمِ بنِ يَثرَبِيّ، وقيل: بن أثربي بنِ ظالِم بنِ مُجاسرِ بنِ حمّاد بن عبد العُزى بنِ كعبِ بنِ لُؤي بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بنِ تميم.

نفاه أبوه عن نفسه لعقوقه:

وكان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه. وكان الأغلب عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير[٣].

مسلمة بن عبدالملك يصطنعه:

ولما خرج إلى الشأم اتصل بمَسْلَمةَ بنِ عبدالملك، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاءِ واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنَوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم. انقطع إلى بني هاشم، ولَقّب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثر.

يغري المنصور بعيسى بن موسى فيبعث من يقتله:

وكان طمعه[٤]، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل. فطلبه عيسى فهرب منه؛ وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده[٥].

[٢٠/٣٩١] / **سأل فمطل فهجا ثم أجيب فمدح:**

أخبرني هاشمٌ الخُزاعي عن عبدالرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال:

رأى أبو نُخيلة على شَبيب حلة[٦] فأعجبَته، فسأله إياها، فوعده ومطله، فقال فيه:

يـــا قـــومِ لا تُســـوّدوا شبيبـــا الخـــائـنَ[٧] ابـــن الخـــائـن الكـــذوبـــا

* هل تلد الذِّيبة إلا الذيبا؟ *

---

(١) في الشعراء: اسمه يعمر.
(٢) ب، س: «عدن».
(٣) في أ، م: «بالكثير».
(٤) في أ، جـ، ف، م: «طامعاً نطفاً»، أي مريبا ملطخاً بعيب.
(٥) في هد، ف: «وسلخ وجهه».
(٦) كذا في ب، س. وفي أ، ف، م: «جبة».
(٧) في أ، جـ، ف، م: «الملذان الخائن الكذوبا». والملذان، بالتحريك: المتصنع الذي لا تصح مودته.

قال: فبلغه ذلك، فبعث إليه بها فقال:

إذا غـــدتْ سعـــد علـــى شبيبهـــا علـــى فتـــاهـــا وعلـــى خطيبهـــا

مِـــن مطلـــع الشمـــس إلـــى مغيبهـــا عجبـــتَ مـــن كثـــرتهـــا وطيبهـــا

لا يهجو خالد بن صفوان خشية لسانه:

حدثني حبيبُ بنُ نصرِ المهلَّبيُّ عن عمر بن شَبة، قال: حدّثني الرَّعل بن الخطاب قال:

بنى أبو نخيلة داره، فمرّ به خالد بن صفوان(١) وكان بينهما مداعبة قديمة، ومودة وكيدة، فوقف عليه(١).

فقال أبو نخيلة: يابن صفوان، كيف ترى داري؟ قال: رأيتك سألتَ فيها إلحافاً، وأنفقتَ ما جمعت إسرافاً. جعلتَ إحدى يديك سَطحاً، وملأتَ الأخرى سَلحاً، فقلتَ: مَن وضع في سَطحي وإلا ملأتُه بسَلْحي، ثم ولّى وتركه.

فقيل له: ألا تهجوه؟ فقال: إذن والله يركب بغلته، ويطوف في مجالس البصرة، ويصف أبنيتي(٢) بما يعيبها. وما عسى أن يضرّ الإنسان صفةُ أبنيته بما يَعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة.

/ **تأديب في البادية حتى شعر:** [٢٠/٣٩٢]

أخبرني الحسنُ بنُ علي الخَفّاف عن ابن مَهْرُويه عن أبي مسلم المستملي عن الحِرْمازي عن يحيى بن نجيم قال:

لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه، فتأدب / بالبادية حتى شعر(٣) وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما، وسار شعره في البدو والحضر، ورواه الناس. ١٤٠/١٨

مدح مسلمة بن عبدالملك:

ثم وفد إلى مَسْلمةَ بنِ عبدالملك(٤) فرفع منه، وأعطاه، وشفع له، وأوصله إلى الوليد بن عبدالملك(٤)، فمدحه، ولم يزل به حتى أغناه، قال يحيى بن نجيم: فحدثني أبو نخيلة قال: وردت على مَسلَمة بن عبدالملك فمدحته، وقلت له:

أَمَسْلَـــم إنـــي يـــابـــنَ كـــلِّ خليفـــة ويـــا فـــارس الهيجـــا ويـــا جبـــل الأرضِ

شكـــرتُـــك إنّ الشكـــر حبـــل مـــن التقـــى ومـــا كـــل مـــن أوليتَـــه(٥) نعمـــة يَقضـــي

وألقيـــت لمـــا أن أتيتـــكَ زائـــراً علـــيّ لحـــافـــاً ســـابـــغ الطـــول والعـــرض(٦)

وأحييـــت لـــي ذكـــرى ومـــا كـــان خـــامـــلاً ولكـــنّ بعـــض الـــذكـــر أنبـــهُ مـــن بعـــض

يستنشده مسلمة فينتحل أرجوزة لرؤبة:

قال: فقال لي مسلمة: ممن أنت؟ فقلت: من بني سعد. فقال: مالكم يا بني سعد والقصيد وإنما حظكم في

(١) ـ(١) زيادة في ف.
(٢) هد، م: «أرنبتي».
(٣) في أ، م: «استوى».
(٤ ـ ٤) زيادة في أ، ف، م.
(٥) في أ: أقرضته.
(٦) زيادة من ف، هد.

الرجز؟ قال: فقلت له: أنا والله أرجز العرب، قال: فأنشدني من رجزك، فكأني والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط، أنسانيه الله كلَّه، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة، فظننتُ أنها لم تَبلغ مَسْلَمَة، فأنشده إياها، فنكس رأسه وتَتَعتع، فرفع رأسه إليّ وقال: لا تُتعب نفسك، فأنا أروَى لها منك، قال: فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند / [٢٠/٣٩٣] نفسي حتى تلطفت[1] بعد ذلك ومدحته برجز كثير، فعرفني وقرّبني. وما رأيت ذلك أثر فيه، يرحمه الله ولا قَرّ عني به حتى افترقنا.

من مدحه لمسلمة:

وحدثني أبو نخيلة قال: لما انصرف مَسْلَمة من حرب يزيدَ بنِ المهلب تلقيته، فلما عاينته صحت به:

مَسْلَم يا مَسْلَمَة الحروبِ ... أنت المصفَّى من أذى العيوبِ

مُصَاصةٌ من كَرم وطيبِ ... لولا ثقاف[2] ليس بالتذبيب[3]

تفري به عن حُجُب القلوب ... لأمست الأمّة شاء الذيب

فضحك وضمّني إليه، وأجزل صلتي.

يسأل رجلاً من عشيرته أن يوصله إلى الخليفة هشام فيفعل:

حدثني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا عبدُالرحمن بنُ أخي الأصمَعي عن عمه، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بنُ عُبيدالله بن عمّار قال: حدّثني عليُّ بنُ محمد النُّوفلي عن أبيه ـ وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي، قال: قال أبو نخيلة:

وفدت على هشام بن عبدالملك فصادفت مسلمة قد مات، وكنت بأخلاق هشام غِرّاً وأنا غريب، فسألت عن أخص الناس به، فذُكر لي رجلان: أحدهما من قيس، والآخر من اليمن، فعدلْتُ إلى القيسي بالتؤدة[4] فقلت: هو أقربهما إليّ، وأجدرهما بما أُحب، فجلست إليه، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له: إني مَسِستك[5] لتمَسّني رحِمك[6].

[٢٠/٣٩٤] / أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك، وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة، وأحببت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعُني عنده، وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه، فقال: ذلك كلُّه لك عليّ. وفي الرجل شِدة، ليس كمَن عهدت من أهله، وإذا سئل وخُلط مدحه بطلب حَرم الطالب، فأخلص له المدح، فإنه[7] أجدَر أن ينفعَك، واغد إليه غداً فإني منتظرك بالباب حتى أوصلك، والله يعينك. فصرتُ من غد إلى باب هشام، فإذا بالرجل منتظر لي، فأدخلني معه، / $\frac{١٤١}{١٨}$ وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله:

(١) في ب، س: «استضلعت».
(٢) الثقاف: ما تسوى به الرماح.
(٣) أ، التذنيب.
(٤) في جـ: «بالنوارية». وفي أ، م: «بالمزارية»، ولم أعثر على موضع بهذه الألفاظ في المظان التي رجعت إليها.
(٥) كذا في أ، م. وفي ب، س: «مستشيك»، تحريف.
(٦) في ف: «التمسني رحمك، رحمك الله».
(٧) كذا في أ، ف، م. وفي ب، س: «فإذا» تحريف.

إلـــى هشـــام وإلـــى مـــروانِ ... بيتـــان مـــا مثلهمـــا بيتـــانِ

كفّـــاك بـــالجـــود تَبـــاريـــان ... كمـــا تبـــارى فـــرســـاً رِهـــان

مـــال علـــيّ حَـــدَثُ[1] الـــزمـــان ... وبيـــعَ مـــا يغلـــو مـــن الغلمـــان

بـــالثمـــن الـــوَكْـــس مـــن الأثمـــان ... والمُهـــر بعـــد المُهـــر والحصـــان

يمدح هشاماً فيجيزه:

قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينتُ الكراهة في وجهه، ثم استأذنتُ فأذن لي، فأنشدته:

لمـــا أتتنـــي بغيـــةٌ كـــالشّهـــد ... والعســـل الممـــزوج بعـــد الـــرقـــد[2]

يـــا بَـــرْدَهـــا لمُشْتَـــفٍ بـــالبَـــرْد ... رفعْـــت[3] مـــن أطمـــار مستعِـــدّ

وقلـــت لِلْعِيـــس إعتلـــي وجِـــدي ... فَهْـــي تَخـــدّى[4] أبـــرح[5] التخـــدي

/ كـــم قـــد تعسّفـــتُ[6] بهـــا مـــن نجـــد ... ومُجْـــرَهِـــدّ[7] بعـــد مُجْـــرَهِـــدّ [٢٠/٣٩٥]

قـــد ادّرَعْـــن فـــي مَسيـــر سَمْـــد[8] ... لَيـــلاً كلَـــون الطيلســـان الجَـــرْد[9]

إلـــى أميـــر المـــؤمنيـــن المُجـــدي ... ربِّ مَعَـــدّ وســـوى معـــدّ

ممـــن دعـــا مِـــن أصيـــدٍ وعبـــد[10] ... ذي المجـــد والتشريـــف بعـــد المجـــد

فـــي وجهـــه بـــدر بـــدا بـــالسّعـــد ... أنـــت الهُمـــام القَـــرْمُ[11] لخنـــد[12] الجِـــد

طُـــوِّقْتَهـــا مجتمِـــع الأشُـــد ... فـــانهـــلّ لمـــا قمـــتَ صـــوبُ الـــرعـــد

قال: حتى أتيت عليها وهممت أن اسأله، ثم عزفَتْ نفسي وقلت: قد استنصحتُ رجلاً، وأخشى أن أخالفه فأخطىء، وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً. فلما فرغتُ أقبل على جلسائه فقال: الغلام السّعديّ أشعر من الشيخ العِجْلي، وخرجت. فلما كان بعدَ أيام أتتني جائزته، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها فألقى عليّ جُبّةَ خَز من جِبابه مبطنةً بِسَمّور، ثم دخلت عليه يوماً آخر، فكساني

(١) كذا في أ، م. وفي ب، س: «حدب»، تحريف.
(٢) الرقد: الرقاد.
(٣) في ب، س: «رعت من الجمال مسمخد» تحريف، والمسمغد: الممتلىء غضباً.
(٤) تخدى: تسرع، وتزج بقوائمها.
(٥) كذا في ب، س، وفي ف و«خزانة الأدب»: «أحسن».
(٦) في ف: «تعسفن بنا».
(٧) مجرهد: مكان لا نبات فيه.
(٨) سمد: مستمر في السير.
(٩) الجرد: الخلق.
(١٠) كذا في أ، ف، م. وفي ب، س: «نجد»، والنجد: صاحب النجدة.
(١١) القرم: السيد، وأصله الفحل المكرم لا يركب ولا يرحل.
(١٢) في ب، س: «عقد» تحريف.

دُوّاجاً[1] كان عليه من خَز أحمر مبطنٍ بسَمّور، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء، فحملتني نفسي على أن قلت له:

[٣٩٦/٢٠] / كسوتنيها فهي كالتِّجفاف[2] من خزك المصونة الكِثاف

كأنني فيها وفي اللّحاف من عبد شمس أو بني مناف

* والخَزّ مشتاق إلى الأفواف[3] *

قال، فضحك ـ وكانت عليه جبة أفواف ـ وأدخل يده فيها ونزعها ورمَى بها إليّ، وقال: خذها، فلا بارك الله لك فيها.

يغير داليته ويجعلها في السفاح:

قال محمدُ بنُ هشام في خبره خاصة: فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيّرها وجعلها فيه ـ يعني الأرجوزة الدالية ـ فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح.

يشفع للفرزدق عند ابن هبيرة:

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثني أبو عمر الخصاف عن العتبي قال:

لما حبَس عمرُ بن هُبَيْرة الفرزدق وهو أمير العراق أبَى أن يشفَّع فيه أحداً، فدخل عليه أبو نُخَيلة في يوم فِطر، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

١٤٢/١٨ / أطلقتَ بالأمس أسير بكر فهلّ، فداك نَفَري وَوَفْري

مِن سببٍ أو حُجة أو عذر يُنْجي التميميَّ القليلَ الشكر

من حَلَق القيد الثِّقال السُّمر ما زال مجنوناً على أست[4] الدهر

[٣٩٧/٢٠] / ذا حسب ينمو[5] وعقل يحري[6] هبه لأخوالك يوم الفطر

يعود الفرزدق إلى السجن حين علم أن شفيعه أبو نخيلة:

قال: فأمر بإطلاقه، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر[7] قد أفسد، فشفَعتْ فيه بكرُ بن وائل فأطلقه. وإياه عني أبو نُخَيلة. فلما أُخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأُخبر، فرجع إلى الحبس وقال: لا أَريمه ولو مت. انطلق[8] قَبلي بكري وأُخرجتُ[9] بشفاعة دَعِيّ، والله لا أخرج هكذا ولو من النار. فأُخبر ابنُ هبيرة

(١) الدواج: ويخفف: الثوب الواسع الذي يغطي الجسد كله، وهو في س، ب: «دراج»، تحريف.
(٢) التجفاف: آلة تلبس في الحرب للوقاية.
(٣) الأفواف: البرود اليمنية والثياب الرقيقة، جمع فوف.
(٤) في أ، جـ: «مجنوباً ممر الدهر». والمجنوب: المقود إلى جنب غيره.
(٥) وفي أ، ف، م: «يعلي».
(٦) كذا في س. ويحري: ينقص. وفي سائر النسخ: «يزري».
(٧) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة.
(٨) كذا في ب، س. ف. وفي أ، م: «أيطلق قبلي».
(٩) وفي ف: «وأطلق».

بذلك فضحك ودعا به فأطلقه، وقال: وهبتك لنفسك. وكان هجاه فحبسه لذلك، فلما عُزل ابن هُبيرة وحُبس مدحه الفرزدق، فقال: ما رأيت أكرم منه، هجاني أميراً ومدحني أسيراً.

رواية أخرى لخبر هذه الشفاعة:

وجدت هذا الخَبر بخَط القاسم بن يوسف، فذكر أن أبا القاسم الحضرَميّ حدّثه أن هذه القصة كانت لأبي نُخَيلة مع يزيدَ بن عُمرَ بنِ هُبَيرة، وانه أُتي بأَسيرين من الشُّراه أُخذا بعين التمر: أحدهما أبو القاسم بنُ بِسطامِ بنِ ضِرار بن القعقاع بن معبَد بن زُرارة، والآخر رجل من بكر بن وائل. فتكلم في البكري قومُه فأطلقه، ولم يتكلم في التميميّ أحد، فدخل عليه أبو نخيلة فقال:

الحمـــــدلله ولــــيّ الأمـــــرِ ... هــو الــذي أخــرج كــلّ غَمْــرِ[1]

وكــلَّ عُــوّار[2] وكــلّ وَغْــر[3] ... مــن كــلّ ذي قلــب نقــيّ الصــدر

/ لمــا أتــتْ مــن نحــو عيــن التمــر ... سِــتٌّ أثــاف، لا أثــافــي القِــدر [٢٠/٢٩٨]

فظلّــت القضبــان فيهــم تجــري ... هَبْــرا[4] هــو الهبــر وفــوق الهبــر

إنــي لمهــدٍ لــلإمــام الغَمْــر[5] ... شعــري ونُصــحَ الحــب[6] بعــد الشعــر

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذُكرت في الخبر المتقدم.

عندما نزل به ضيف هجاه:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ أحمدُ بنُ محمد قال: حدثني محمد بن صالح بن النّطاح قال:

ذكر عن العتبي أن أبا نُخَيلة حج ومعه جَريب من سَويق قد حلاّه بِقَنْد[7]، فنزل منزلاً في طريقه، فأتاه أعرابي من بني تميم وهو يقلب ذلك السويق، واستحيا منه فعرض عليه، فتناول ما أعطاه فأتى عليه، ثم قال: زدني يا بن أخ، فقال أبو نُخَيلة:

لمّــا نــزلنــا منــزلاً ممقــوتــا ... نُــريــد أن نَــرحَــل أو نبيتــا

جئــتَ ولــم نَــدْر مــن أيــن جيتــا ... إذا سقيــتَ المُــزبــد السّحتيتــا[8]

* قلت ألا زدني وقد رويتا *

فقام الأعرابيّ وهو يسّبه.

وحدثني بهذا الخبر هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

---

(١) غمر: حقد.

(٢) العوار في الأصل: اللحم ينزع من العين. والمراد الفساد والشر.

(٣) وغر: ضغينة.

(٤) الضرب الهبر: الذي يقطع من اللحم.

(٥) الغمر: الكريم الخلق.

(٦) في أ، ف، م: «الجيب».

(٧) القند: على قصب السكر إذا جمد، معرب.

(٨) السحيت: السويق القليل الدسم.

[٢٠/٣٩٩] / كان أبو نُخَيلة إذا نزل به ضيف هجاه، فنزل به يوماً رجل من عشيرته، فسقاه سويقاً قد حلاّه، فقال له: زدني، فزاده. فلما رحل هجاه وذكر / الأبيات بعينها، وقال في الخبر قال أبو عبيدة: السُّحتيت: السويق الدُّقَاق. ١٤٣/١٨

يعتذر إلى السفاح من مدحه بني مروان:

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال: حدثني ابن عائشة قال:

دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس السفاح فسلّم، واستأذن في الإنشاد، فقال له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك، إنما تنشدنا فضلات بني مروان، فقال: يا أمير المؤمنين:

كنا أناساً نرهب الأملاكا إذ ركبوا الأعناق والأوراكا

قد ارتَجَينا زمناً أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا

ثم ارتجينا بعده إياكا[١] وكان ما قلتُ لِمَن سواكا

* زُورا فقد كفّر هذا ذاكا *

فضحك أبو العباس، وأجازه جائزة سنية، وقال: أجل، إن التوبة لتكفر ما قبلها، وقد كفّر هذا ذاك.

وأخبرنا أبو الفياض سَوّار بن أبي شراعة قال: حدثني أبي عن عبدالصمد بن المعذَّل عن أبيه قال:

دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس، قال وكان لا يجترىء[٢] عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مَسْلمة إياه، وكثرة [٢٠/٤٠٠] مديحه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عَمَّن هو أكبر[٣] محَلاً / من القوم وأعظم جرما منه، فلما وقف بين يديه سلّم عليه، ودعا له وأثنى، ثم استأذنه في الإنشاد، فقال له: ومن أنت؟ قال: عبدك يا أميرَ المؤمنين أبو نُخَيلة الحِمّاني. فقال: لا حيّاك الله، ولا قرّب دارك يا نِضْو السوء. ألست القائل في مَسْلَمَة بنِ عبدالملك بالأمس:

أَمَسْلَم يا من ساد كلَّ خليفةٍ[٤] ويا فارسَ الهيجا ويا قمرَ الأرض؟

والله لولا أني قد أمّنت نظراءك لما ارتدّ إليك طرفك حتى أخضِبَك بدمك. فقال أبو نخيلة:

* كنّا أناساً نرهب الأملاكا *

يعفو السفاح عنه ويخوله اختيار جارية فلا يحمدها:

وذكر الأبيات المتقدمة كلّها مثل ما مضى من ذكرها، فتبسم أبو العباس، ثم قال له: أنت شاعر وطالب خير[٥]. وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم، والتوبة تكفر[٦] الخطيئة، والظّفر يزيل الحقد. وقد عفَونا عنك، واستأنفنا الصنيعة لك. وأنت الآن شاعرنا فاتَّسِم بذلك فيزولَ عنك مِيسم بني مروان، فقد كفّر هذا ذاك. كما قلت. ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال: يا مرزوق، أدخله دار الرقيق فخيّره جارية يأخذها لنفسه، ففعل واختار

(١) في هد، ف: «ثم ارتجيناك لها أياكا».
(٢) ف: «وكاد لا يجترىء».
(٣) كذا في ب، وفي سائر النسخ: «أكثر».
(٤) ف، هد مم: «أمسلم إني يا بن كل خليفة».
(٥) في ف: «خبز».
(٦) في ف: «تمحو».

جارية وطفاء[١] كثيرة اللحم فلم يحمدها، فلما كان من غد دخل على أبي العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء[٢] تذبّ عنه، فقال له: قد عرفتُ خبر الجارية التي أخذتَها بالأمس وهي كذنا كونه فاحتفظ بها، فأنشأ يقول:

/ إنــي وجــدت الكــذنــا ذَنُــوّكــا[٣] غيــرَ مَنِيــك فــابغنــي مُنَيكــا [٢٠/٤٠١]

* حتــى إذا حــركتُــه تَحَــرَّكــا[٤] *

فضحك أبو العباس، وقال: خذ هذه الوصيفة، فإنك إذا خلوتَ بها تَحرّك من غير أن تحركه.

رجزه وقد هرب من دين طولب به:

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عُبيدة قال:

أدّان أبو نخيلة من بقّال له يقال له: ماعزٌ الكلابيُّ باليمامة، وكان يأخذ منه أولاً أولاً[٥] حتى كثر ما عليه وثقل، فطالبه ماعز فمطَله، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة، فارتحل يريد الموصل، / وخرج عن اليمامة $\frac{١٤٤}{١٨}$ ليلاً، فلم يعلم به ماعز إلاّ بعد ثلاث. وقد نجا أبو نُخَيلة وقال في ذلك:

يــا مــاعــزَ الكُــرّاث قــد خــزيتــا[٦] لقــد خــدعــت[٧] ولقــد هجيتــا

كــدتَ[٨] تَخصينــا فقــد خُصيتــا وكنــت ذا حــظ فقــد مُحيتــا

ويحــكَ لــم تعلــم بمــن صُليتــا ولا بــأيّ حَجَــر رُميتــا

إذا رأيــت المُــزبــدَ الهَبــوتــا[٩] يــركــب شِــدْقــا شَــدْقمــا[١٠] هَــريتــا[١١]

/ طِــرْ بجنــاحيــك فقــد أُتيتــا حَــرّان[١٢] حــرّان فهيتــا[١٣] هِيتــا [٢٠/٤٠٢]

والمــوصِــل المــوصــلَ أو تكْــريتــا[١٤] حيــث تبيــع النبَــطُ البيــوتــا

* ويــأكلــون العــدَسَ المَــريتــا[١٥] *

وقال أيضاً لماعز هذا:

(١) كذا في ف. والوطفاء: الكثيرة شعر الحاجبين والعينين. وفي سائر النسخ: «وطباء»، تحريف.
(٢) زيادة في أ، ف، م.
(٣) كذا في ف: «الكذنا ذنوكا» وفي ب. س: «الأنذبان الكوذكا»، اسم الجارية.
(٤) في أ، م. «تحريكا» تحريف.
(٥) زيادة في أ، ف، م.
(٦) كذا في ف. وفي سائر الأصول: «خزيتا».
(٧) كذا في أ، ف، م. وفي ب، س: «خربت».
(٨) كذا في الأصول، وفي وزنه شذوذ عروضي.
(٩) كذا في ف، م. والهبوت: القاهر من هيبته بمعنى ضربه، وطأطأه وحطه. وفي ب، س، أ: «المبهوتا»، تحريف.
(١٠) كذا في أ، ف، م. ومعناه الواسع العظيم وفي ب، س: «شدقا» بفتح فكسر.
(١١) هريتاً: واسعاً.
(١٢) حران: قصبة ديار مضريين الرها والرقة، واسم لمواضع أخرى.
(١٣) هيت: بلد بالعراق على الفرات.
(١٤) تكريت: من بلاد الجزيرة على دجلة.
(١٥) المريت: المجروش.

يـــا مـــاعـــزَ القَمـــل وبَيـــتَ الـــذّلّ بِثْـــاويـــات البغـــل فـــي الإصطبـــل

وبـــات شيطـــان القـــوافـــي يُمْلـــي علـــى امـــرىء فَحْـــلٍ وغيـــر فحـــل

لا خيـــر فـــي عِلمـــي ولا فـــي جهلـــي لـــو كـــان أودَى مـــاعـــز بنخلـــي[1]

مـــا زال يَقليننـــي وعَيْمـــي[2] يغلـــي حتـــى إذا العَيـــم رمـــى بـــالجفـــل[3]

* طبّقـــت تطبيـــق الجُـــراز النصـــل *

نسخت من كتاب اليوسفيّ.

يقرن مدح الممدوح بمدح سائسه:

حدثني المنمقُ بن جمّاع عن أبيه قال:

كان أبو نُخَيلة نَذلاً يرضيه القليل، ويسخطه، وكان الربيع يُنزله عنده، ويأمر سائساً يتفقد فرسه، فمدح الربيع بأرجوزة، ومدح فيها معه سائسه فقال:

لـــولا أبـــو الفضـــل ولـــولا فضلُـــه مـــا اسْطِيـــع بـــاب لا يُسنّـــي[4] قُفْلُـــهُ

/ ومـــن صـــلاح راشـــد إصطبلُـــه نعـــم الفتـــى وخيـــرُ فعـــل فعلـــه [٢٠/٤٠٣]

* يَسْمَـــن منـــه طِـــرفـــه وبغلـــه[5] *

فضحك الربيع، وقال: يا أبا نُخَيلة أترضى أن تقرِن بي[6] السائس في مديح! كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك.

يمدح خباز مضيفه:

قال: ونزل أبو نُخَيلة بسليمان بنِ صعصعةَ، فأمر غلامه بتعهده، وكان يغاديه ويراوحه في كل يوم بالخبز واللحم، فقال أبو نخيلة يمدح خبّاز سليمانَ بنِ صعصعة:

بـــارَكَ ربّـــي فيـــك مـــن خبـــاز مـــازلـــت إذ كنـــتَ علـــى أوفـــاز[7]

* تنصـــبّ بـــاللحـــم انصبـــاب البـــاز *

شعره وقد رأى اجتهاد العمال في أرض له:

أخبرني هاشم بنُ محمّدٍ الخزاعيُّ قال: حدثنا عيسى بن إسماعيلَ تِينةُ قال: حدثنا أحمدُ بنُ المعذَّل عن عليّ بن أبي نُخَيلة الحِمانيّ قال:

(١) كذا في غير ف. وفي ف: «لو كان يدري ماعز محلي».
(٢) كذا بالأصول. ومعناه العطش، وشهوة اللبن. ولعله محرف عن الغيم، وهو الغيظ.
(٣) أصل الجفل: الجرف والقشر. وجفل الفيل: راث، وروثه الجفل أيضاً. ورمى بالجفل، يريد أن الغضب جعله يقذف بالمخزيات من المقابح.
(٤) يسني: يفتح.
(٥) الطرف: الكريم من الخيل.
(٦) كذا في ب، س، ف. وفي أ، م: وتقرن بيني وبين السائس».
(٧) على أوفاز: معجل، جمع وفز بفتح فكسر. والوفز أيضاً: المكان المرتفع.

دخلتُ مع أبي إلى أرض له وقد قدم من مكة، فرآها وقد أضرَّ بها جفاء القيّم عليها وتهاونه بها، وكلما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعِمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف، فقلت: الساعةَ يقول في هذا شعراً، فلم ألبث أن التفت إليّ وقال:

شـاهـد مـالاً رَبُّ مـالٍ فسـاسَـهُ سيـاسـة شهـم حـازم وابـن حـازم

/ أقـام بهـا العصْـريـن حينـاً[1] ولـم يكـن كمـن ضـنّ عـن عُمـرانهـا بـالـدراهـم 145/18

كـأنَّ نقيـض الليـف عـن سعفـاتـه نقيضُ رحـال المَيـس[2] فـوق العيـاهـم[3]

/ وأضحـت تغـالـي[4] بـالنبـات كـأنهـا علـى متـن شيـخ مـن شيـوخ الأعـاجـم [٢٠/٤٠٤]

ومـا الأصـل مـا رويـتَ مضـرب[5] عِـرقـه مـن المـاء عـن إصـلاح فـرع بنـائـم

أخبرني بهذا الخبر محمدُ بنُ مزيد عن أبي الأزهر البُوشَنجيّ قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق الموصليُّ عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس بن أرطاة - وهو ابن أخت أبي نخيلة - فذكر قريباً مما ذُكر في الخبر الذي قبله.

يسأل فلا يعطى فيهجو ثم يعطى فيمدح:

وأخبرني عيسى بن الحسن الورّاق المَرْوَزيُّ قال: حدثنا عليُّ بنُ محمد النَّوفَليّ قال: حدّثني أبي قال:

ابتاع أبو نُخَيلة داراً في بني حِمّان ليصحح بها نسبَه، وسأل في بنائها، فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشرّه، فسأل شبيب بن شيبة[6] فلم يعطه شيئاً واعتذر إليه، فقال:

يـا قـومِ لا تسـوّدوا شبيبـا المَلَـذّانَ[7] الخـائـن الكـذوبـا

* هـل تلـد الـذِّيبـةُ إلا الـذيبـا *

فقال شبيب: ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً، فإنه قد جعل إحدى يديه سطحاً، وملأ الأخرى سلحاً، وقال: مَن وضع شيئاً في سطحي وإلا ملأته بسلحي، من أجل دار يريد أن يصحح نسبه بها، فسفر بينهما مشايخ الحيّ يعطيَه، فأبى شبيبٌ أن يعطيه شيئاً، وحلف أبو نُخَيلة ألا يكفّ عن عِرضه أو يأخذَ منه شيئاً يستعين به. فلما رأى شبيب ذلك خافه، فبعث إليه بما سأل، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس في مجلِسه مع قومه، فوقف عليهم، ثم أنشأ يقول:

/ إذا غـدَتْ سعـد علـى شبيبهـا علـى فتـاهـا وعلـى خطيبهـا [٢٠/٤٠٥]

مِـن مطلـع الشمـس إلـى مغيبهـا عجبْـت مـن كثـرتهـا وطيبهـا

(١) كذا في ف، وفي باقي الأصول: «أقام به العمران جيرة».

(٢) نقيض الرحال: صوتها، والميس: التبختر.

(٣) العياهم: جمع عيهم، وهو الشديد، والناقة السريعة.

(٤) وهو من غالى بالسهم إذا رفع به يديه لأقصى الغاية. وفي ف: تعالي.

(٥) كذا في أ، م. وفي ب، س: «مضروب». وفي ف: «ضرب عروقه».

(٦) في معظم الأصول «شبة»، تحريف.

(٧) الملذان: المتصنع الذي لا تصح مودته.

يتحل أرجوزة لرؤبة وينشدها فيفجؤه رؤبة من مرقده فيعتذر:

أخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُرَيد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال:

دخل أبو نُخَيلة على عُمرَ بنِ هُبَيْرةَ، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر، فأنشد أبو نخيلة مديحه له، ثم قال ابن هبيرة: يا أبا نخيلة، أيَّ شيء أحدثتَ بعدنا؟ فاندفع يُنشده أرجوزة لرؤبة، فلما توسطها كشف رؤبة الستر، وأخرج رأسه من تحته، فقال له: كيف أنت يا أبا نُخَيلة؟ فقطع إنشاده وقال: بخير أبا العجاج، فمعذرة إليك ما علمت بمكانك، فقال له رؤبة: ألم ننهَك أن تعرض لشعري إذا كنتُ حاضراً، فإذا ما غبتُ فشأنك به! فضحك أبو نخيلة، وقال: هل أنا إلا حسنة من حسناتك، وتابعٌ لك، وحامل عنك؟ فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع، ولم يراجعه حرفاً. والله أعلم.

يمدح ثم لا يرضى الجائزة فيهجو، ثم يزاد فيمدح:

أخبرني هاشم بنُ محمد قال: حدثنا دَماذُ عن أبي عبيدة:

أن أبا نُخَيلة قدم على المهاجر بن عبدالله الكلابي ـ وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجِسماً وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر ـ فدخل عليه فأنشده قوله فيه:

يـــا دارَ أُمِّ مـــالـــك ألا اسلمـــي ... علـــى التنـــائـــي مـــن مُقـــام وانعَمـــي

146/18 / كيـــف أنـــا إن أنـــت لـــم تكلّمـــي ... بـــالـــوحْـــي أو كيـــف بـــأن تجمجمـــي[1]

تقـــول لـــي بنتـــي مـــلامَ اللُّـــوَّم ... يـــا أبتـــا إنـــك يـــومـــاً مـــؤتِمـــي[2]

فقلـــت كـــلاّ فـــاعلمـــي ثـــم اعلمـــي ... أنـــي لميقـــات كتـــاب محكَـــم

لـــو كنـــتُ فـــي ظلمـــة شِعـــب مظلـــم ... أو فـــي السمـــاءِ أرتقـــي بسلَّـــم

[20/406] / لا نصـــبَ مقـــداري إلـــى مُجْـــرَنْثَمـــي[3] ... إنـــي وربّ الـــراقصـــات[4] الـــرسَّـــم

وربِّ حـــوض زمـــزم وزمـــزم ... لأَستبيـــن[5] الخيـــر عنـــد مَقـــدَمـــي

وعنـــد تَـــرحـــالـــيَ عـــن[6] مُخَيَّمـــي ... علَـــى ابـــنِ عبـــدالله قَـــرْمِ الأقـــرم

فـــإنّنـــي بـــالعِلـــمِ ذو تـــرسُّـــم ... لـــم أدر مـــا مهـــاجِـــرُ التكـــرم

حتـــى تبينـــت[7] قضـــايـــا الغشّـــم[8] ... مُهـــاجِـــرُ يـــا ذا النـــوال الخِضـــرِم[9]

---

(١) الجمجمة: ألا يبين الكلام. وفي ب، س: «بأن تحمحمي»، تحريف.

(٢) مؤتمي: جاعلي يتيمة.

(٣) كذا في ف، ومعناه: مستقري، من اجرنثم، أي سقط من علو إلى أسفل. وفي سائر الأصول: «مجرثمي»، تحريف.

(٤) الراقصات هنا: الإبل.

(٥) كذا في ف، م. وفي سائر الأصول: «لأوثنين»، تحريف.

(٦) في أ، م: «من».

(٧) في ب، س: «تبشت».

(٨) في أ، م: «القسم».

(٩) الخضرم: الكثير.

أنــــت إذا انتُجعـــتَ خيــرُ مُغْنِـــم مُشتـــرَك النـــائـــل جســمُ الأنعُـــم

ولِتَميـــمٍ منــــك خيــــر[١] مُقْسَـــم إذا التقـــوا شتـــى[٢] معـــاً كـــالهُيّـــم

قـــد علِـــم الشـــأم وكـــلّ مـــوســـم أنـــك تحلـــو لـــي كحلـــو[٣] المعجَـــم

* طـــوراً وطـــوراً أنـــت مثـــل العلقـــم *

قال: فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضباً، وقال يهجوه:

إن الكـــلابـــيّ اللئيـــم الأثـــرمـــا أعطـــى علـــى المِـــدْحَـــةِ نـــابـــا عِـــرْزِمـــا[٤]

* مـــا جبـــر العظـــم ولكـــن تمّمـــا *

/ فبلغ ذلك المهاجر، فبعث فترضّاه، وقام في أمره بما يحب، ووصله، فقال له أبو نُخَيلة: هذه صلة [٢٠/٤٠٧] المديح، فأين صلة الشَّبَه؟ فإن التشابه في الناس نسب، فوصله حتى أرضاه، فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات، ورثاه بعد وفاته فقال:

خليلـــيّ مـــالـــي بـــاليمـــامـــة مقعـــدٌ ولا قُـــرّةٌ للعيـــن بعـــد المهـــاجـــرِ

مضى مـا مضى من صـالـح العيش فـاربعـا علـى ابـنِ سبيـلٍ مـزمِـعِ البيـن عـابـرِ

فـإن تـك فـي مَلحـودة يـابـن وائـل فقـد كنـتَ زيـن الـوفـد زيـن المنـابـر

وقـد كنـتَ لـولا سَلُّـك السيـف لـم يَنـم مقيـم ولـم تـأمـن سبيـلُ المسـافـر

لَعَـزّ[٥] علـى الحيّيـن قيـسٍ وخِنـدفٍ تَبَكّـي[٦] علـيٌّ والـوليـد[٧] وجـابـر

هـوى قمـر مـن بينهـم فكـأنمـا هـوى البـدر مـن بيـن النجـوم الـزواهـر

يهجو أخته لأنها خاصمته في مال لها:

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال:

تزوّجَت أخت أبي نخيلة برجل يقال له ميار[٨]، وكان أبو نخيلة يقوم بمالها مع ماله، ويرعى سَوامها مع سَوامه، ويستبدّ عليها بأكثرِ منافعها، فخاصمته يوماً من وراء خدرها في ذلك، فأنشأ يقول:

أظـــلُّ أرعـــى وتـــرا هـــزينـــا[٩] مُلَمْلَمـــا[١٠] تـــرى لـــه غضـــونـــا

(١) كذا في أ، ف. وفي سائر الأصول: «غير».
(٢) كذا في ف. وفي سائر الأصول: «ستا» تحريف.
(٣) في ب، س: «الحلو».
(٤) ناب عرزم: هزلها الكبر، وأصل العرزم: الحية القديمة.
(٥) في أ، ف. م: «يعز».
(٦) ب، س: «بمبكى»، تحريف.
(٧) في ف: «والحسين».
(٨) في ف: «سيار».
(٩) كذا في ب، س. وفي أ، ف، م: «هرينا»، ولم أعثر لها في الروايتين ولا فيما يقاربها من الكلمات على معنى مناسب.
(١٠) ململما: مجتمعاً مدوراً مضموناً.

[٢٠/٤٠٨] / ذا أُبَنٍ[1] مقوماً[2] عُثنونا ... يطعن طعناً يقضب[3] الوتينا[4]

ويهتك الأعفاج[5] والرُّبينا[6] ... يذهب ميّار وتقعدينا

١٤٧/١٨ / وتفسدين أو تُبذرينا ... وتمنحين استك آخرينا

* أير الحمار في است هذا دينا *

يطلق امرأته لأنها ولدت بنتاً، ثم يراجعها ويرق للبنت:

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعيُّ قال: حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال:

تزوّج أبو نخيلة امرأة من عشيرته، فولدت له بنتاً، فغمه ذلك، فطلقها تطليقة ثم ندم، وعاتبه قومه[7] فراجعها. فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأمُّها تلاعبها، فحرّكه ذلك ورق لها، فقام إليها فأخذها، وجعل ينزيها ويقول:

يا بنتَ مَن لم يك يهوَى بنتاً ... ما كنتِ إلا خمسة أو ستا

حتى حللتِ[8] في الحشى وحتى ... فتّتِ[9] قلبي مِنْ جوًى فانفتّا

لأنت خيرٌ من غلام أنتا[10] ... يُصبح مخموراً ويمسي سَبتا[11]

[٢٠/٤٠٩] / **يسأل المهدي زائراً أي النساء أحب إليه فيفضل التي وصفها أبو نخيلة:**

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبدالملك الزياتُ قال: حدثنا أبو هِفان قال: حدّثني أصحابنا الأهتميون قالوا:

دخل عِقال بنُ شَبة المجاشعيّ على المهديّ فقال له: أيا أبا الشُّيظم، مَا بقي من حبك بناتِ آدم؟ وما يعجبك منهن[12]؟ التي عُصِبت[13]عَصْب الجانّ[14]، وجُدِلَت جَدْل العنان، واهتزتِ اهتزاز البان، أم التي بَدُنت فعظمت وكمَلت[15] فتمت؟ فقال: يا أمير المؤمنين أحبُّهما إليَّ التي وصفها أبو نخيلة، فإنه كانت له جارية صغيرة وهبَها له

(١) الأبن: العقد في العود، جمع أبنة كغرفة.
(٢) في ف: «مقدماً»، من قدم الإبريق: جعل عليه مصفاة.
(٣) في ف: «يقصف».
(٤) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.
(٥) الأعفاج: جمع عفج بالتحريك، وهو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة.
(٦) الربين: جمع ربة، وهي الجوف.
(٧) وعاتبه قومه: زيادة في أ، ف، م.
(٨) في ب، س: «هلكت»، تحريف.
(٩) كذا في م. وفي سائر الأصول: «فتت في القلب جوى».
(١٠) لعله مخفف أنتأ بمعنى منتفخ كبراً وتعالياً.
(١١) السبت: الكثير النوم، والغلام العارم الجريء.
(١٢) كذا في ف. وفي سائر الأصول: «ما بقي من حبك؟ قال: بنات آدم. قال: وما يعجبك» إلخ.
(١٣) المراد: اكتنزت، وأصل العصب: الشد وضم المتفرق.
(١٤) الجان: ضرب من الحيات لا يؤذي.
(١٥) في ف: «عبلت».

عَمُّك أبو العباس السفاح، فكان إذا غشيها صغرت عنه، وقلت تحته، فقال:

إنـي وجـدتُ الكـذنـاذَنّـوكـا[١] غيـر منيـك فـابغنـي منيكـا

* شيئـاً إذا حـرّكتـه تحـركـا *

قال، فوهب له المهديّ جارية كاملة فائقة متأدبلة رَبعة[٢]، فلما أصبح عِقال غدا على المهديّ متشكراً، فخرج المهديّ وفي يده مُشط يُسرّح به لحيته وهو يضحك، فدعَا له عِقال وقال له: يا أمير المؤمنين مِمَّ تضحك؟ أدام الله سرورك. قال: يا أبا الشيظم، إني اغتسلت آنفاً من شيء إذا حركته تحرك، وذكرت قولك الآن لما رأيتك، فضحكت.

يرثي ممدوحاً له كان يكثر بره:

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرّد قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم / العجلي البرتيُّ قال: حدّثني أبو [٢٠/٤١٠] هفان قال: حدثتني رقيةُ بنت حَمَل عَن أبيها قال:

كان أبو نخيلة مدّاحاً للجنيدِ بن عبدالرحمن المريّ، وكان الجنيد له محبّاً، يكثر رفده ويقرّب مجلسه، ويحسن[٣]، إليه فلما مات الجنيد قال أبو نخيلة يرثيه:

لعمـري لئـن رَكـبُ الجنيـد تحملـوا[٤] إلـى الشـأم مـن مـرّ وراحـت[٥] ركـائبـه[٦]

لقـد غـادر الـركـب الشـآمـون خلفهـم فتـى غطفـانيـا يُعلـل جـانبـه[٧]

فتـى كـان يسـرى للعـدو كـأنمـا سُـروب[٨] القطـا فـي كـلّ يـوم كتـائبـه

وكـان كـأن البـدر تحـت لـوائـه إذا راح فـي جيـش وراحـت عصـائبـه

تلومه امرأة له على شدة حبه لابنه فيمدحها فتسكت عنه:

أخبرنا محمدُ بنُ جعفرٍ قال: حدّثني أحمدُ بنُ القاسم قال: حدّثني أبو هِفان عن عبدِالله بنِ داودَ عن عليِّ بن أبي نخيلة[٩]، قال:

كان أبي شديد الرقة عليَّ معجباً بي، فكان إذا أكل[١٠] / خصني بأطيب الطعام، وإذا نام أضجعني إلى جنبه، $\frac{١٤٨}{١٨}$ فغاظ ذلك امرأته أمَّ حماد الحنفيةَ، فجعلت تعذُله وتؤنبه، وتقول: قد أقمتَ في منزلك، وعكفتَ على هذا الصبيّ، وتركت الطلب لولدك وعيالك. فقال أبي في ذلك:

(١) راجع الصفحة ٤٠١ من هذا الجزء: الحاشية الأولى.
(٢) في ف: «بارعة». وفي ب، س: «بديعة».
(٣) كذا في ف. وفي سائر الأصول: «يحن»، تحريف.
(٤) في ب، س: «تحملت».
(٥) في ف: «وسارت».
(٦) في غير ب، س. «كتائبه».
(٧) كذا في أ، م. وفي باقي الأصول: «تعلل جادبه».
(٨) في ب، س: «عجاج».
(٩) في ب، س: «عن علي عن أبي نخيلة».
(١٠) كذا في غير أ، م. وفيهما: «إذا أكل شيئاً».

[٢٠/٤١١] / ولــولا شهــوتــي شَفَتــيْ علــيٍّ رَبعــتُ علــى الصحــابــة والــركــاب[١]

ولكــنّ الــوســائــل مــن علــيٍّ[٢] خلَصــن إلــى الفــؤاد مــن الحجــاب

قال، فازدادت غضباً، فقال لها:

وليــس كــأمّ حمّــاد خليــلٌ إذا مــا الأمــر جــلّ عــن الخطــاب

منعمــةً أرى فتقــرّ عينــي وتكفينــي خــلائقُهــا[٣] عتــابــي

فرضيت وأمسكت عنا.

يمدح ببيتٍ على مثال بيت تمناه الممدوح:

حدّثني عمي قال: حدّثني هارونُ بنُ محمدِ بن عبدالملك قال حدّثني سهلُ بنُ زكريا قال: حدّثني عبدُالله بنُ أحمدَ الباهليُّ قال:

قال أبانُ بنُ عبدِالله النميريُّ يوماً لجلسائه ـ وفيهم أبو نخيلة ـ: والله لوددت أنه قيل فيّ ما قيل في جرير بن عبدالله:

لــولا جــريــر هَلَكــتْ بجيلــه نعــم[٤] الفتــى وبئســت القبيلــه

وأنني أثيت على ذلك مالي كله، فقال له أبو نُخَيلة: هَلُم الثواب، فقد حضرني مِن ذلك ما تريد، فأمر له بدراهم، فقال: اسمع يا طالب ما يجزيه:

لــولا أبــانٌ هلكــت نُميــرُ نعــم الفتــى وليــس فيهــم خَيــرُ

يستأذن على أبي جعفر فلا يصل، ويقول في ذلك شعراً:

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال: حدثنا الحسنُ بنَ عُليل العنَزيُّ قال: حدثنا سَلَمَةُ بنُ خالدٍ المازنيُّ عن أبي عبيدة قال:

[٢٠/٤١٢] / وقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر واستأذن، فلم يصل، وجعلت الخراسانية تَدخل وتخرج، فتهْزأُ به، فيرون شيخاً أعرابياً جِلفا فيعبثون به، فقال له رجلٌ عرفه: كيف أنت أبا نخيلة؟ فأنشأ يقول:

أصبحــتُ لا يملــك بعضــي بعضــاً أشكــو العُــروق الآبضــات[٥] أبضــا

كمــا تَشكــي الأرحبــيُّ[٦] الغــرْضــا[٧] كــأنمــا كــان شبــابــي قَــرضَــا

فقال له الرجل: وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة؟ فقال:

---

(١) في أ، م: «وما أمتاح منها من رضاب».
(٢) في أ، م: «وأخلاق ملاح معجبات».
(٣) كذا في أ، ف، م. وفي ب، س: «خلابتها».
(٤) هذا الشطر زيادة في أ، م.
(٥) الآبضات: المتقبضة.
(٦) كذا في أ، ف، م. ومعناه: النجيب، نسبة إلى أرحب: قبيلة، أو فحل. وفي ب، س: «الأزجي»، تحريف.
(٧) كذا في أ، ف، م. وهو حزام الرحل. وفي ب، س: «الفرض»، تحريف.

أكثـرُ خلـق الله مـن لا يُـدرَى ... مِـن أيّ خلـق الله حيـن يُلْقـى[١]

وحُلـةٌ تُنشـر ثـم تُطـوَى ... وطيلسـانٌ يُشتَـرى فيُغْلـى

لِعبـد عبـدٍ أو لمـولـى مـولـى[٢] ... يـا ويـحَ بيـتِ المـال مـاذا يَلقـى!

يسأل عن ممدوح له فيعدد هباته له:

وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أن أبا نخيلة قدم عَلَى أَبانِ بنِ الوليد فامتدحه، فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوماً من عنده، فلقيَ رجل من قومه، فقيل له: كيف وجدتَ أَبانَ بن الوليد يا أَبا نخيلة؟ فقال:

أكثـرَ والله ابـانٌ مَيْـري ... ومِـن أَبـانِ الخيـرِ كـلُّ خيـري

* ثـوبٌ لِجِلـدي وحِـرٌ لأيـري *

نسخت من كتاب اليوسفيّ.

يصاب بتخمة:

حدّثني خالدُ بنِ حميدٍ عن أبي عمروٍ الشيبانيّ قال:

/ أقحمت السنَة أبا نُخَيلة فأتى القعقاع بن ضِرار ـ وهو يومئذ على شُرطة الكوفة ـ فمدحه، وأنزله[٢٠/٤١٣] / القعقاعُ بن ضِرار وابنَيه وعبدَيه وركابَهم في دار، وأقام لهم الأنزال، ولِركابهم العُلوفَة. ١٤٩/١٨

وكان طباخ القعقاع يجيئُهم في كلّ يوم بأربع قصاع، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم، ويأتيهم بتَمر وزُبد، فقال له يوماً القعقاع: كيف منزلك أبا نخيلة؟ فقال:

مَـا زال عنّـا قَصَعـاتٌ أربـعُ ... شَهـريـن دأبـا ذُوّدٍ ورجـعُ[٣]

عَبـداي وابنـاي وشيـخ يـرفـعُ[٤] ... كمـا يقـوم الجمَـل المطبّـعُ[٥]

قال: وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته تُخَمَة، فدخل على القعقاع فسأله: كيف أصبحت أبا نخيلة؟ فقال: أَصبحتُ والله بشما أمرْتَ خبازك فأتاني بهذا الرّقاق الذي كأنه الثياب المبلولة، قد غمسه في الشحم غمساً، وأتبعه بزبد[٦]، كرأس النعجةِ الخُرْسية[٧]، وتمرٍ كأنه عَنز رابضة. إذا أخذْتُ التمرة مِن موضعها تَبِعها من الرُّبُ كالسلوك الممدودة، فأمعنت في ذلك، وأعجبني حتى بَشِمتُ، فهل من أقداح جياد؟ وبين يدي القعقاع حجّام واقف وسُفرةٌ[٨] موضوعة فيها المواسي، فإذا أُتي بِشُرّاب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم. فقال له القعقاع: أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بِشرّابه؟ عليك بالعسل والماء البارد، فوثب ثم قال:

قـد علـم المظَـلّ والمبيـت ... أنـي مِـن القعقـاع فيمـا شِيـت

(١) كذا في ب، س: وفي أ، م: «يكفى». وفي ف: «يلغى».

(٢) كذا في غير ف. وفي ف: «لعبد عبدالله أو لمولى».

(٣) في أ، م: «شهرين داما فبواد رجع». وفي ف: «شهرين دأبا فبواد رجع».

(٤) كذا في أ، م. وفي غيرهما: «يركع».

(٥) المطبع: المثقل بالحمل.

(٦) في أ، م: «ثريدة».

(٧) كذا في ب، س. ومعناه: المنسوبة إلى خراسان. وفي أ، م: «الخراسانية» وفي ف «العدسية» بضم العين: ضرب من الغنم.

(٨) في ب: «صفرة»، تحريف.

[٢٠/٤١٤] / إذا أتـت مـائـدة أُتيـت بِبِـدَع لسـت بهـا غُـذيـتُ

وُلّيتَ فاستشفِعتُ واستُعدِيتُ كـأنني كنت الـذي وُلّيتُ

ولـو تمنّيتُ الـذي أعطيت مـا ازددتُ شيئاً فـوق مـا لقيتُ

أيـا بـن بيتٍ دونـه البيوت أقصـرْ فقد فـوق القِرى قُـريتُ

مـا بيـن[١] شـرابي عسـلٌ منعوت ولا فُـرات صِرد[٢] بيّـوت[٣]

لكنّـي فـي النـوم[٤] قـد أُريت رطـلَ نبيذ مُخفِس[٥] سُقيت

* صلبـاً[٦] إذا جـاذبتـه رويت *

فغمزه عَلى إسماعيل ابن أخيه، وأومأ إلى إسماعيل، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله، فسقاه حتى صلح.

يمدح السفاح ويغضب في مدحه بعض أهل المجلس فيحرض عليه السفاح:

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال: حدثنا قَعنبُ بنُ المُحرزِ وأبو عمرٍو الباهليُّ قالا: حدثنا الأصمعي قال:

دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس السفاح، وعنده أبو صفوانَ إسحاب بنُ مسلمٍ العُقَيليُّ، فأنشده قوله:

صـادتْـك يـومَ الـرملتيـن شَعْفَـرُ[٧] وقـد يصيـد القـانـصَ المـزعفَـرُ

يـا صـورةً حسّنهـا المصـوّرُ لِلـرِّيـم منهـا جيـدُهـا والمَحجَـرُ

[٢٠/٤١٥] / يقول فيها في مدح أبي العباس:

حتـى إذا مـا الأوصيـاء عسكـروا وقـام مِـن تِبـر[٨] النبـيّ الجـوهـرُ

ومِـن بنـي العبـاس نَبـع أصفـر[٩] ينميـه فـرعٌ طيّـب وعنصـر

أقبـل بـالنـاس الهـوى المستبهـر[١٠] وصـاح فـي الليـل نهـار أنـور

أنـا الـذي لـو قيـل إنـي أشعـرُ جلّـي الضبـابَ الـرجـز المخبّـر[١١]

لمّـا مضـت لـي أشهـر وأشهـر قلـت لنفـس تُـزدَهَـى فتصبـر

(١) في ب، س: «عن»، تحريف.
(٢) صرد: خالص.
(٣) بيوت: بارد.
(٤) في ب، س: «القوم»، تحريف.
(٥) مخفس: سريع الإسكار.
(٦) في أ، م: «صلب».
(٧) شعفر: اسم امرأة.
(٨) في أ، م: «آل».
(٩) في ب، س: «أصفر».
(١٠) في ب، س: «المشهير» تحريف.
(١١) في أ، م: «المحبر».

/ لا يستخفنَّك ركب يَصدر ... لا مُنجد يَمضي ولا مُغوِّر

وخالفي الأنباءَ فهي المحشر ... أو يسمعَ الخليفة المطهَّرّ

مِنّي فإنّي كلّ جنح أحضر ... وإن بالأنبار غيثاً يهمرُ

والغيث يُرجى والديار تنضُر ... ما كان إلا أن أتاها العسكر

حتى زهاما مسجد ومنبر ... لم يبقَ من مروانَ عين تنظر

لا غائبٌ ولا أناس حُضَّر ... هيهات أودى المنعم[1] المعقَّر

وأمست الأنبار داراً تُعمَر ... وخربت من الشآم أدوُر

حِمصٌ وبابُ التِّبن[2] والموقَّر[3] ... ودمِّرت بعد امتناع[4] تدمر

/ وواسط لم يبق إلا القرقر[5] ... منها وإلّا الدير بان[6] الأخضر

(ومنها)

أين[7] أبو الورد وأين الكوثر

أبو الورد بن هذيل بن زفر، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان[7].

وأين مروان وأين الأشقر ... وأين فَلٌّ لم يَفُت[8] محيّر[9]

وأين عاديكم المُجَمْهَر[10] ... وعامر وعامر وأعصُر؟

ـ قال: يعني عامرَ بنَ صعصعةَ، وعامرَ بنَ ربيعةَ، وأعصُرَ باهلةَ وغنيٍّ ـ قال: فغضب إسحاق بن مسلم، وقال: هؤلاء كلهم في حِرِ أمك أبا نخيلة، فأنكر الخليفة عليه ذلك، فقال: إني والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شرّاً من هذا في مجالس بني مروان. وما له عهد، وما هو بوفيّ ولا كريم. فبان ذلك في وجه أبي العباس، وقال له قولاً ضعيفاً: إن التوبة تغسل الحَوْبة، والحسناتِ يذهبن السيئات، وهذا شاعر بني هاشم. وقام فدخل، وانصرف الناس، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً.

(١) في ف: «النعم المعفر».
(٢) باب التبن: كبيرة كانت ببغداد، وفي الأصول: «التين»، تحريف.
(٣) الموقر: موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق، كان يزيد بن عبدالملك ينزله.
(٤) كذا في ب، س، ف. وفي أ، م: «اتساع».
(٥) القرقر، في «معجم البلدان»: جانب من القرية، وأظن القرية بين الفلج ونجران والقرية، مشددة الراء والياء.
(٦) الديربان: لعله دير أبان، من قرى غوطه دمشق، منسوب إلى أبان بن عثمان بن حرب بن عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية.
(٧ ـ ٧) ما بين الرقمين زيادة في أ، ف، م. إلّا أن تورد الكلام عن البيت بعد جملة الأبيات.
(٨) كذا في ب، س وفي أ، ف، م: «لم يقف».
(٩) كذا في ف وفي أ، ب، س، م: «محبر».
(١٠) المجمهر: المجموع.

يدعو في رجز له إلى تولية المهدي العهد فيجيزه المنصور:

وأخبرني أحمد بنُ عُبيدالله بنِ عمار الثقفيُّ حدثنا عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ النوفليُّ قال: حدثني أبي عن عبدالله بن أبي سُلَيم مولى عبدالله بنِ الحارث قال:

[٢٠/٤١٧] بينا أنا أسير مع أبي الفضل يَعني ـ سليمانَ بنَ عبدالله ـ وحدي بين الحِيرة والكوفة ـ / وهو يريد المنصور، وقدهمّ بتولية المهدي العهدَ وخلعِ عيسى بن موسى، وهو يَرُوض ذلك ـ إذا هو بأبي نُخَيلة الشاعرِ، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه. فقال له: يا أبا نُخيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بنِ معبَد أحدِ ولَد معبَد بن زُرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهديّ العهدَ ونزعِ عيسى بن موسى، فسألني التحول عنه، لئلا ينالَه مكروه من عيسى إذ كان صنيعته، فقال سليمان: يا عبدالله، اذهب بأب نُخَيلة فأنزله منزلاً[1] وأحسِنْ نُزُله وبِرّه[2]، ففعلت. ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر، فلما كان يوم البَيعة جاء بأبي نُخيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي يقول فيها:

بـل يـا أميـن الـواحـد المـوحَّـدِ ... إنّ الـذي ولاك ربُّ المسجـدِ[3]

ليـس ولـيّ عهـدنـا[4] بـالأسعَـد ... عيسـى فـزحلفهـا[5] إلـى محمـد

مـن عنـد[6] عيسـى معهـدا عـن[7] معهـد ... حتـى تُـؤدَّى مـن يـد إلـى يـد

١٥١/١٨ قال: فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وبايع لمحمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى / إلى منزله، قال: فحدثني داودُ بنُ عيسى بنِ موسى قال: جمعَنا أبي فقال: يا بَنِيّ، قد رأيتم ما جرى، فأيُّما أحبُّ إليكم: أن يقال لكم: ابَني المخلوع، أو يقال لكم: يا بَني المفقود؟ فقلنا: لا، بل يا بَني المخلوع. فقال: وُفّقتم بَنِيّ. وأول هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها:

[٢٠/٤١٨] / لـم يُنسنـي يـا بنـةَ آل معبَـدِ ... ذكـراكِ تكـرارُ الليـالـي العُـوّدِ

ولا ذواتُ العَصَـب[8] المـورَّد ... ولـو طَلَبْـن الـوُدّ بـالتـودّد

ورُحـن فـي الـدُّر وفـي الـزبـرجـد ... هيهـات منهـن وإن لـم تَعهـدي

نَجـديـةٌ ذاتُ مَعـانٍ[9] منجـد ... كـأنّ ريّـاهـا بُعَيـد المَـرقَـد

ريّـا الخُـزامـى فـي ثَـرًى جَعْدٍ[10] نـدى ... كيـفَ التصـابـي فِعـلَ مـن لـم يهتـد

---

(١) في أ، م: «منزلنا».
(٢) في ب، س، ف: «ورده».
(٣) هذا البيت، زيادة في أ، م.
(٤) كذا في ب، س، ف. وفي أ، م: «عهدها».
(٥) كذا في ب، س ومعناه: قدمها، أو ادفعها. وفي ف: «زحلقها». وفي أ، م: «فرحلها».
(٦) في ف: «من عهد».
(٧) في أ، م: «من».
(٨) العصب: نوع من البرود.
(٩) معان: منزل ومباءة.
(١٠) الجعد: الندى. وفي ب، س: ثرى «جعندد».

وقد علّتني دِرة[1] بادي[2] بَدِي ورَثْيَةٌ[3] تنهض في تشددي[4]

* بعد انتهاضي[5] في الشباب الأملد *

يقول فيها:

إلى أمير المؤمنين فاعمد إلى الذي يُندى[6] ولا يَندَى نَدي

سيري إلى بحر البحار المزْبد إلى الذي إن نفدت لم ينفَد

* أو ثَمَّدَتْ[7] أشراعها[8] لم يَثمِد *

/ ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر: [٤١٩/٢٠]

فقد رضينا بالغلام الأمرد وقد فَرغنا غير أن لم تشهدِ

وغيرَ أنّ العَقد[9] لم يؤكد فلو سمعنا قولك امدُدِ امدُد

كانت لنا كزعقة[10] الورد[11] الصدى فنادِ للبيعة جمعاً نَحشُد

في يومنا الحاضر هذا أوغد واصنع كما شئت ورُدّ يُردَد[12]

وَردُه منك رداء يرتد فهو رِداء السابق المقلَّد

وكان يَروي أنها كأن قد عادت ولو قد نقِلَت[13] لم تُردد

أقول في كرى[14] أحاديث الغد لله دَري من أخ ومنشد

* لو نلتُ حظّ الحبشيّ الأسود[15] *

(١) كذا في أ، ف، م. والمراد بالدرة هنا: الشيب. وهي في الأصل: سيلان اللبن. وفي ب، س: «ذرأة»، تحريف ويرويه الشنتمري: «وقد علتني ذرأة بادي بدي»: ورثية إلخ. (سيبوية: ٢: حاشية الصفحة: ٥٤) والذرأة: الشيب أول ابتدائه. والرثية: وجع المفاصل واليدين والرجلين، والضعف.

(٢) بادي بدي: أولاً.

(٣) في ب، س: «رثينة»، تحريف.

(٤) في أ، ف، م: «تجلدي».

(٥) ف: انتهاض.

(٦) أندى: كثر عطاؤه.

(٧) كذا في أ، ف، م. ومعناه: نزفت. وفي ب، س: «إذ أثمدت»، تحريف.

(٨) أشراعها: مواردها.

(٩) في ف: «العهد».

(١٠) في ف: «ككرعة». وفي ب، س: «كدعكة». تحريف.

(١١) الورد: القوم يردون الماء.

(١٢) في ف: «وزده يزدد».

(١٣) في ف: «فعلت».

(١٤) في ف: «ذكرى».

(١٥) الأبيات التالية لبيت: كانت لنا كزعقة الورد الصدى ـ تروي في أ، م: هكذا: وفيها يذكر مقتل أبي مسلم:

لما استثار الله العبد الردى

خر على الخدين لم يوسد

=

[٢٠/٤٢٠] / ـ يعني أبا دُلامة.

خبر آخر من أرجوزة العهد للمهدي:

فأخبرني عبدُالله بنُ محمد الرازيُّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارثِ قال:

حدثنا المدائنيُّ ـ أن أبا نُخَيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة، وتناشدتها العامة، فبلغت المنصور فدعا به، وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه، فأنشده إياها، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها. قال أبو نخيلة: فجعلتُ أرى فيه السرور، ثم قال لعيسى بن موسى: ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررتَ عمك[١]، وبلغتَ من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السارّ. فقال عيسى: لقد ضَلَلْتُ إذاً وما أنا من المهتدين. قال: أبو نخيلة: فلما خرجت لحِقَني عِقالُ بنُ شبة فقال: أمّا أنت فقد سررتَ أمير المؤمنين، ولئن تم الأمر فلعمري لتصيبنّ خيراً، ولئن لم يَتم فابتغ نَفَقا في الأرض، أو سُلَّماً في السماء. فقلت له:

عَلِقتْ معالقها وصرّ الجندُب[٢]

خبر ثالث عن هذه الأرجوزة:

قال المدائني: وحدثني بعض موالي المنصور قال:

١٥٢/١٨ لما / أراد المنصور أن يعقِد للمهديّ أحبّ أن تقول الشعراء في ذلك، فحدثني عبدُالجبار بنُ عُبيدالله الحِمانيُّ قال:

حدثني أبو نخيلة قال: قدمتُ على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه، فقال لي عبدُالله بنُ الربيع الحارثي: يا أبا نُخَيلة، إن أمير المؤمنين يريد أن يقدّم المهديّ بين يديّ عيسى بنِ موسى، فلو قلتَ شيئاً على ما يريد. فقلت:

[٢٠/٤٢١] / ماذا على شَحْطِ النوى عناكا[٣] أم ما مرَى[٤] دمعَك من ذكراكا؟

* وقد تبكّيتَ فما أبكاكا *

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها:

=

فاصنع كما شئت وزده تزدد
أقول في ردى أحاديث الغد
لله دري من أخ ومنشد
لو نلت حظ الحبشي الأسود
فبادر البيعة جمعاً وأنشد
في يومنا الحاضر هذا أو غد
ورده منك رداء يرتد

(١) كذا في ف. وفي: ب، س: «لئن كان هذا عن رأيك فلقد».

(٢) مثل معناه: قد وجب الأمر ونشب، فجزع الضعيف من القوم. وأصله أن رجلاً انتهى إلى بئر وعلق رشاه برشائها، ثم صار إلى صاحب البئر فادعى جواره. فقال له: وما سبب ذلك؟ فقال: علقت رشائي برشائك، فأبي صاحب البئر وأمره بالرحيل. فقال: علقت معالقها إلخ. والضمير في علقت للدلو أو الأرشية والمعالق جمع معلق، وهو موضع العلوق. صر: صوت. والجندب: ضرب من الجراد.

(٣) كذا في ف، وفي ب، س: «غشاكا»، تحريف.

(٤) كذا في ف، ومعناه أسال وفي ب، س: «جرى»، تحريف.

خليفـــــةَ الله وأنـــــا ذاكـــــا ... أسنِـــدْ إلـــى محمـــدٍ عصـــاكـــا
فـــاحفَـــظُ النـــاس لهـــا أدنـــاكـــا ... وابنُـــكَ مـــا استكفيتَـــه كفـــاكـــا
وكلّنـــا منتظـــر لـــذاكـــا ... لـــو قلـــتَ هـــاتـــوا قلـــتُ هـــاكَ هـــاكـــا

المنصور يحذره عيسى بن موسى وعيسى يوكل به من يقتله:

قال: فأنشدته إياها، فوصلني بألفي درهم، وقال لي: احذر عيسى بنَ موسى، فإني أخافه عليك أن يغتالك.

قال المدائنيّ: وخلَع أبو جعفر عيسى بنَ موسى، فبعث عيسى في طلب أبي نخَيلة، فهرب منه، وخرج يريد خراسان، فبلغ عيسى خبرُه، فجرّد خلفَه مولى له يقال له: قَطَرِيّ، معه عِدّة من مواليه، وقال له: نَفْسَك نفسك أن يفوتك أبو نُخَيلة، فخرج في طلبه مُغِذّاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه.

ونسخت من كتاب القاسم بن يوسفَ عن خالدِ بنِ حَمَل أنّ عليّ بن أبي نخيلة حدّثه أنّ المنصور أمر أبا نخيلة أن يهرُب إلى خراسان، فأخذه قَطَريّ وكتفَه فأضجعه، فلما وضع السكين على أوداجه قال: إيه يابن اللخناء، ألست القائل:

* علِقَـــت معـــالقهـــا وصـــر الجنـــدب *

الآن صَرّ جندُبُك. فقال: لعن الله ذاك جندُباً، ما كان أشأم ذكره! ثم ذبحه، / قَطَري، وَسلخ وجهه، وألقى [٢٠/٤٢٢] جسمه إلى النّسور، وأقسم لا يريم مكانَه حتى تمزّق السباع والطيور لحمه، فأقام حتى لم يبق منه إلا عظامه، ثم انصرف.

أبو الأبرش يشمت به لمهاجات كانت بينهما:

أخبرنا جعفرُ بنُ قُدامةَ قال: حدثنا أبو حاتمٍ السجِستانيُّ قال: حدثني الأصمَعي عن سعيد بنِ سَلْم عن أبيه قال:

قلت لأبي الأبرش: مات أبو نُخَيلة، قال: حتفَ أنفه؟ قلت: لا، بل اغتيل فقتل. فقال: الحمدلله الذي قطع قلبَه، وقبض روحه، وسفك دمه، وأراحني منه، وأحياني بعده.

وكان أبو نخيلة يهاجي الأبرش، فغلبه أبو نُخَيلة.

[٢٠/٤٢٣]

/ صـوت

ولقـــد دخلـــتُ علـــى الفتـــا ... ةِ الخِـــدر فـــي اليـــوم المطيـــرِ
فـــدفعتُهـــا فتـــدافعـــت ... مشـــيَ القطـــاة علـــى الغـــديـــر
فلثمتُهـــا فتنفسَـــت ... كتنفـــس الظبـــي البهيـــرِ[1]

الشعر للمنخّل اليشكري، والغناء لإبراهيم، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرٍو وأحمد المكيّ.

تم الجزءُ العشرون من كتاب الأغاني

ويليه إن شاءَ الله تعالى الجزءَ الحادي والعشرون

وأوله: أخبار المنخَّل ونسبه

---

(١) البهير: المنقطع النفس.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء العشرون من الأغاني

الموضوع الصفحة

